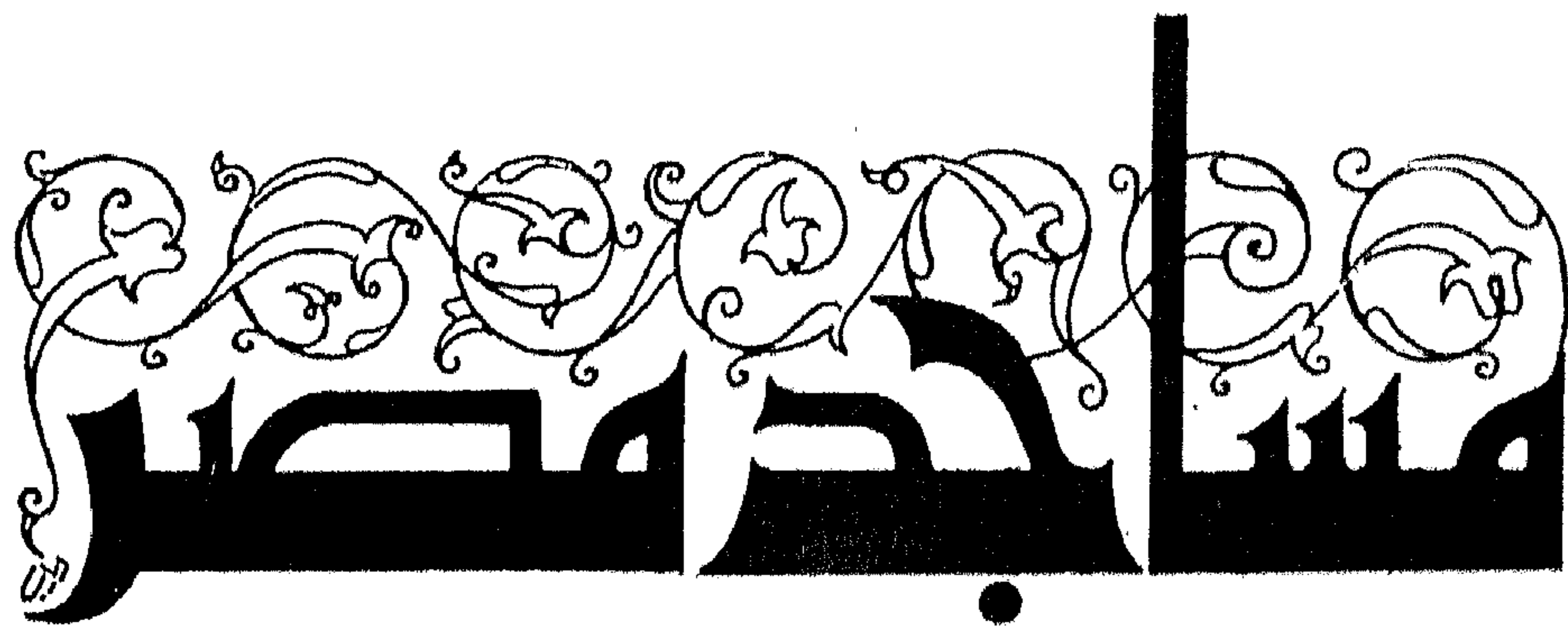


774. 2000

10/10/10

10

13



وأولياؤها الصالحون

الهيئة العامة للكتاب - الإسكندرية
رقم التمهيد:
رقم التسجيل: ١٩٠٨٧ / ٧

7

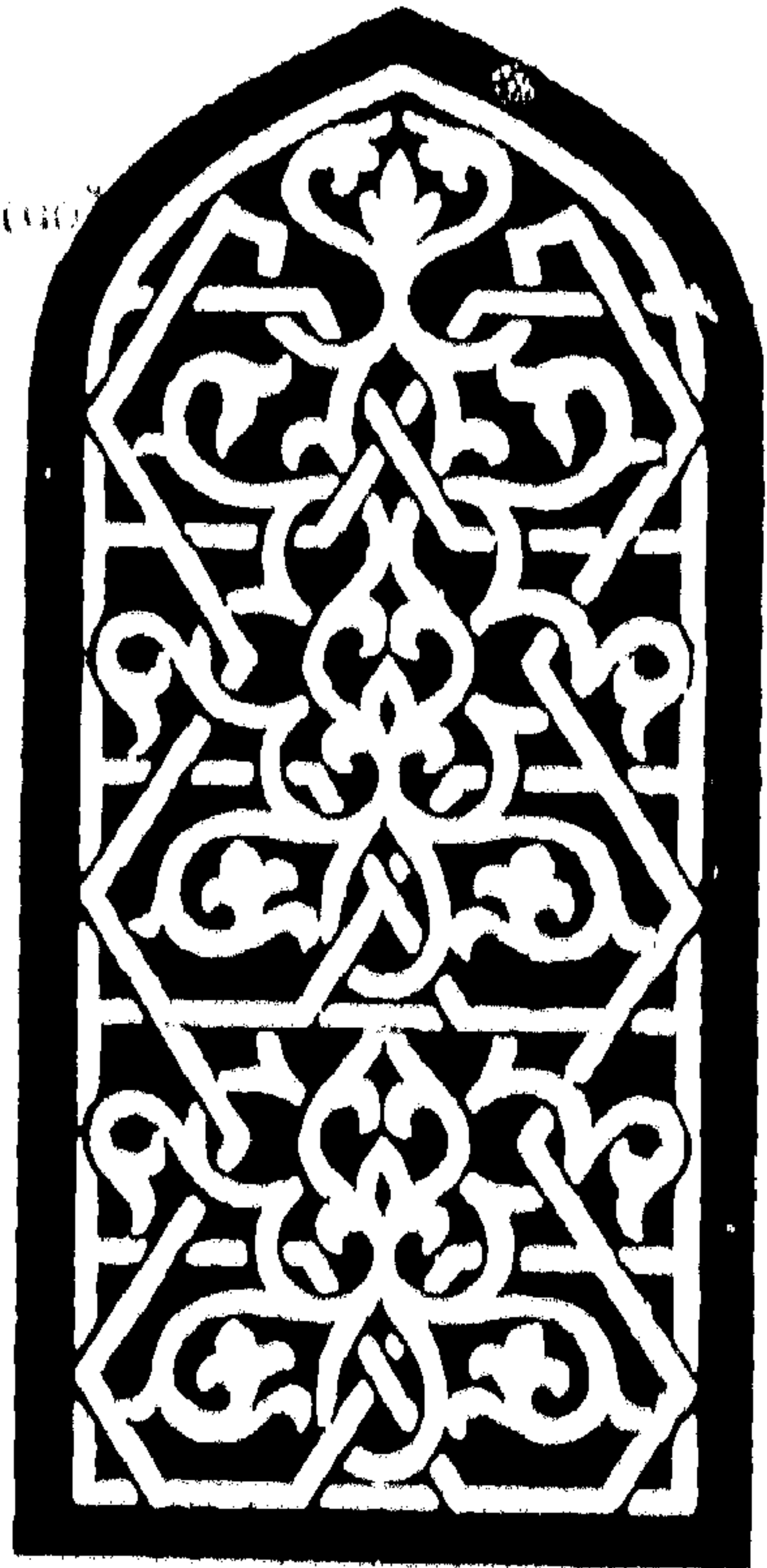
جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجالس الأعلى
للشؤون الإسلامية

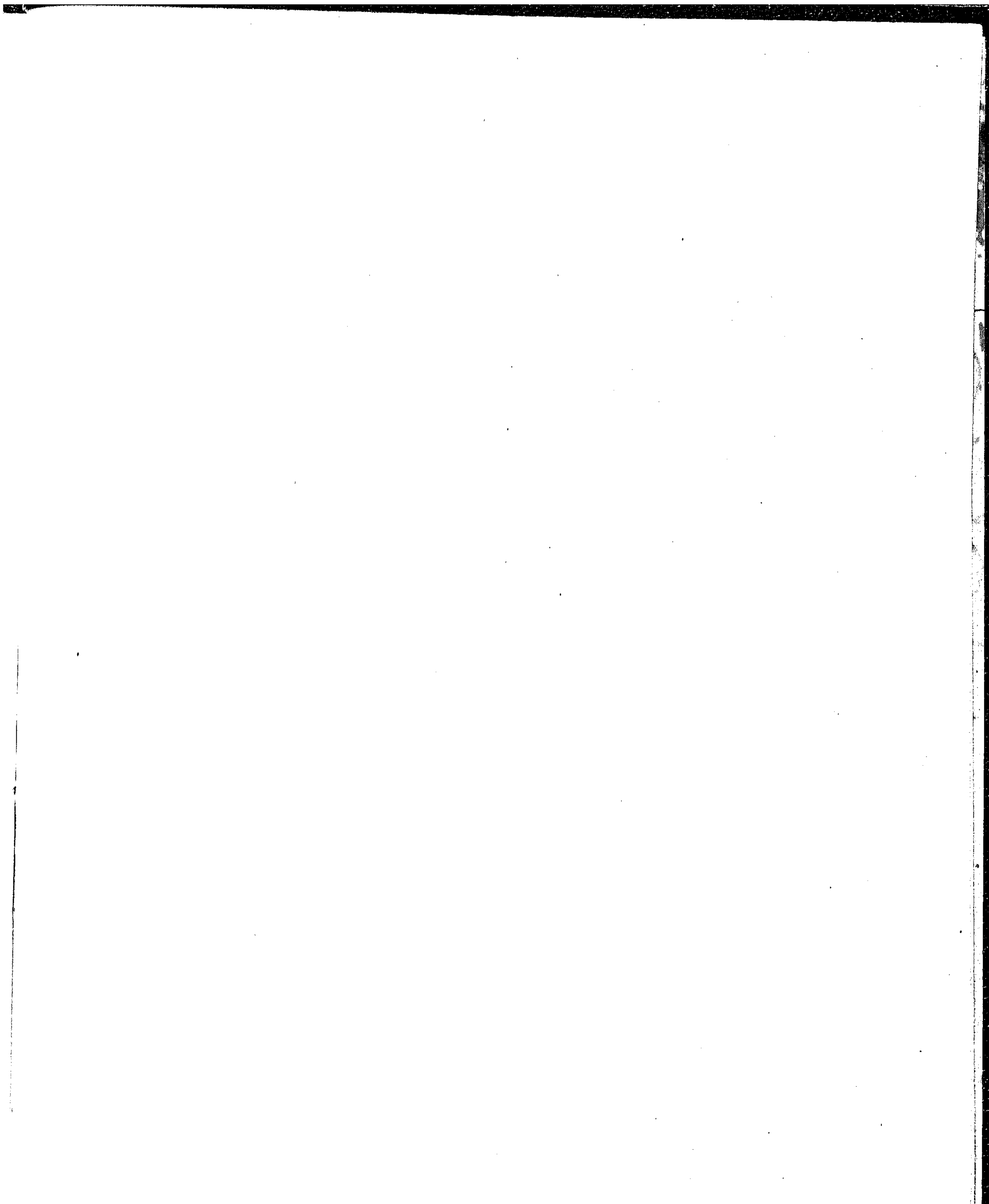


وأولياؤها الصالحون

الجزء الثالث

الدكتورة سعاد ماهر محمد

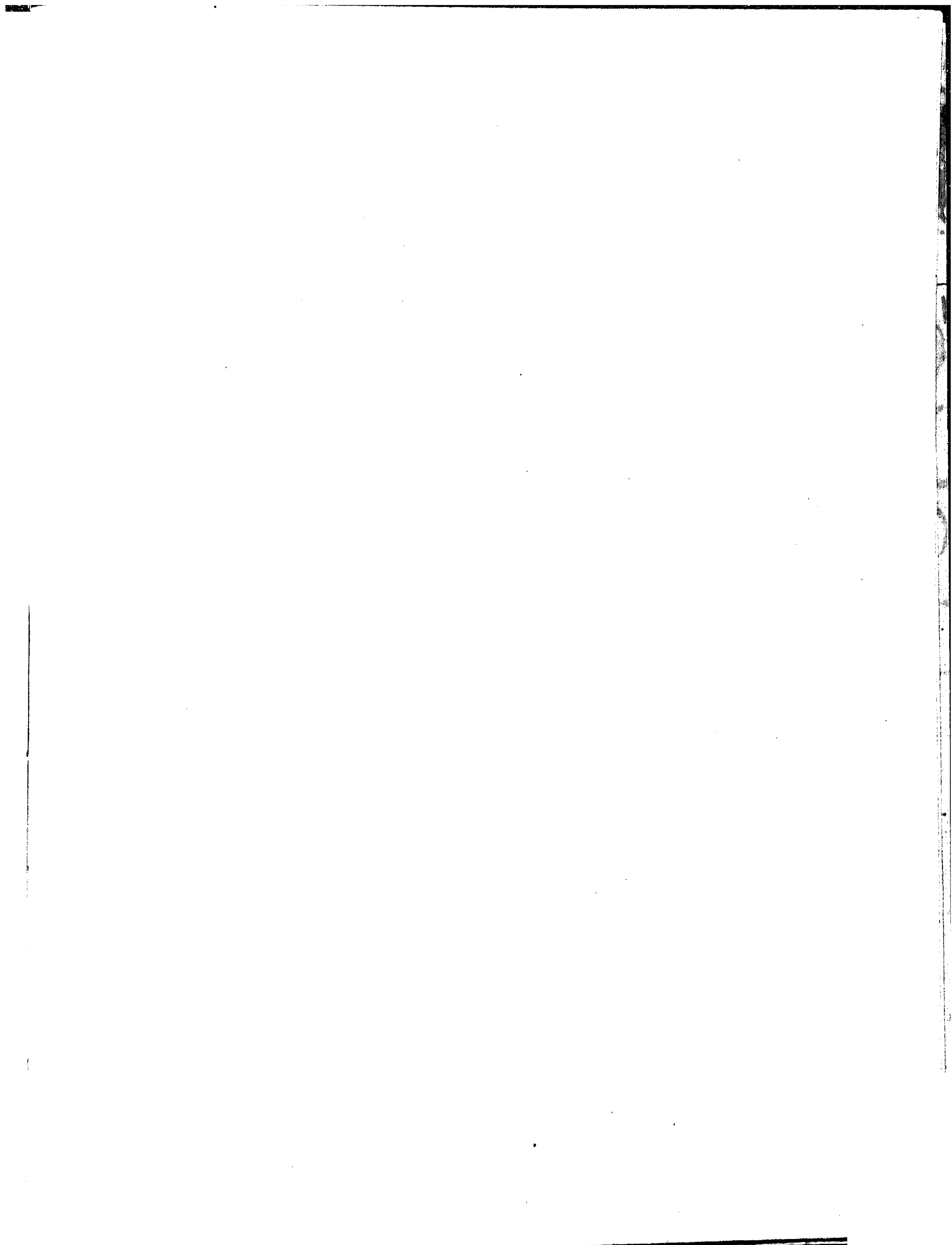




بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

ربنا آتتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا وامنحننا العون حتى نقيم بالجزء
الثالث من هذا الكتاب أثراً يوضح آثار الأبرار . وعملا صالحاً يباركه ذكر الصالحين
الأنبياء الذين يَسِّرُ الله لهم فأقاموا هذه المساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، عبادة ودراسة
وتقرباً وتنويراً ، فلهم من الله أحسن الجزاء ومنا أطيب الثناء .



مقدمة

العمارة كما سبق القول هي السجل الذي يستقى منه تاريخ الأقدمين بما فيه من تقدم وازدهار ، أو تدهور وتخلف ، ومن ثم فقد سجلت لنا العمارة الإسلامية وخاصة الدينية منها تاريخ الدول المتعاقبة وأعطتها صورة صادقة عن منشئها . ذلك أن العقيدة الإسلامية التي تغلغلت في نفوس معتنقيها أسماحتها وملاءمتها لطبيعة النفس البشرية واحرصها على الاسعاد في الدارين ، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعمارة المساجد التي يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله .

ويعمرها الزاهدون ، والمتصوفون ، والذاكرون الله كثيراً ، والعارفون بالله . ويعمرها حلقات الدرس من فقه وحديث ومنطق وكلام ، ومجالس الأدب من نحو وبلاغة ونقد ، وندوات الاجتماع التي تتعرض لسائر العلوم . ويعمرها العلماء والفقهاء ، والأئمة والأدباء ويقوى بها الضعيف ، والغريب ويأنس إليها ابن السبيل والمسكين ، ويرفع صوته فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعي إلى الخير .

فالمسجد دين وخلق وهدى ونور ، وصومعة الناسك ومدرسة الدارس ، ودرك للعزة في الأولى والفوز العظيم في الآخرة .

ولقد تناولت في الجزأين الأول والثاني من كتابي « مساجد مصر وأواياؤها الصالحون » الذين تنشر بذكرهم الصدور وتعمر القلوب وتترثب الهمم ، لما فيها من عظة وحافذة ، وعبرة بالغة ولما لهم علينا من حق يشرفنا أداؤه ويسعدنا قضاؤه . قلت تناولت في الجزء الأول عمارة المسجد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتدرجت في تسلسل زمني حتى وصلت إلى نهاية العصر الفاطمي . وتناولت في الجزء الثاني عمارة العصر الأيوبي حتى بداية العصر المملوكي .

وها آنذا أتقدم بالجزء الثالث الذي تناولت فيه عمارة عصر المماليك البحرية . وقد نهجت فيه أسلوب التمييز الذي اتبعته في الجزأين الأول والثاني . فقد جمعت في دراستي

لعمائر عصر المماليك البحرية بين ترجمة المنشئ أو صاحب المسجد والتاريخ السياسى والحضارى للفترة التى أنشئ فيها الأثر . كما تناولت فى كثير من الأحيان دراسة تاريخ البلد أو الحى الذى يوجد فيه الأثر . وأتبعته هذه الدراسة التاريخية بوصف معمارى للأثر منذ نشأته والإصلاحات والترميمات التى أجريت له خلال العصور . وإتماماً للفائدة فقد زودت الكتاب مجموعة من الرسوم التخطيطية وبعدد كبير من اللوحات - الملونة والبيضاء والسوداء . وعנית عناية خاصة بعمل مجموعة من ثبت الفهارس وخصصت بعضها لوصف اللوحات والأشكال وصفاً تفصيلياً دقيقاً وأخرى لأسماء الاعلام وثالثة لأسماء الأماكن والبقاع ، ورابعة للمراجع العربية والأجنبية ، هذا بالإضافة إلى فهرس الموضوعات .

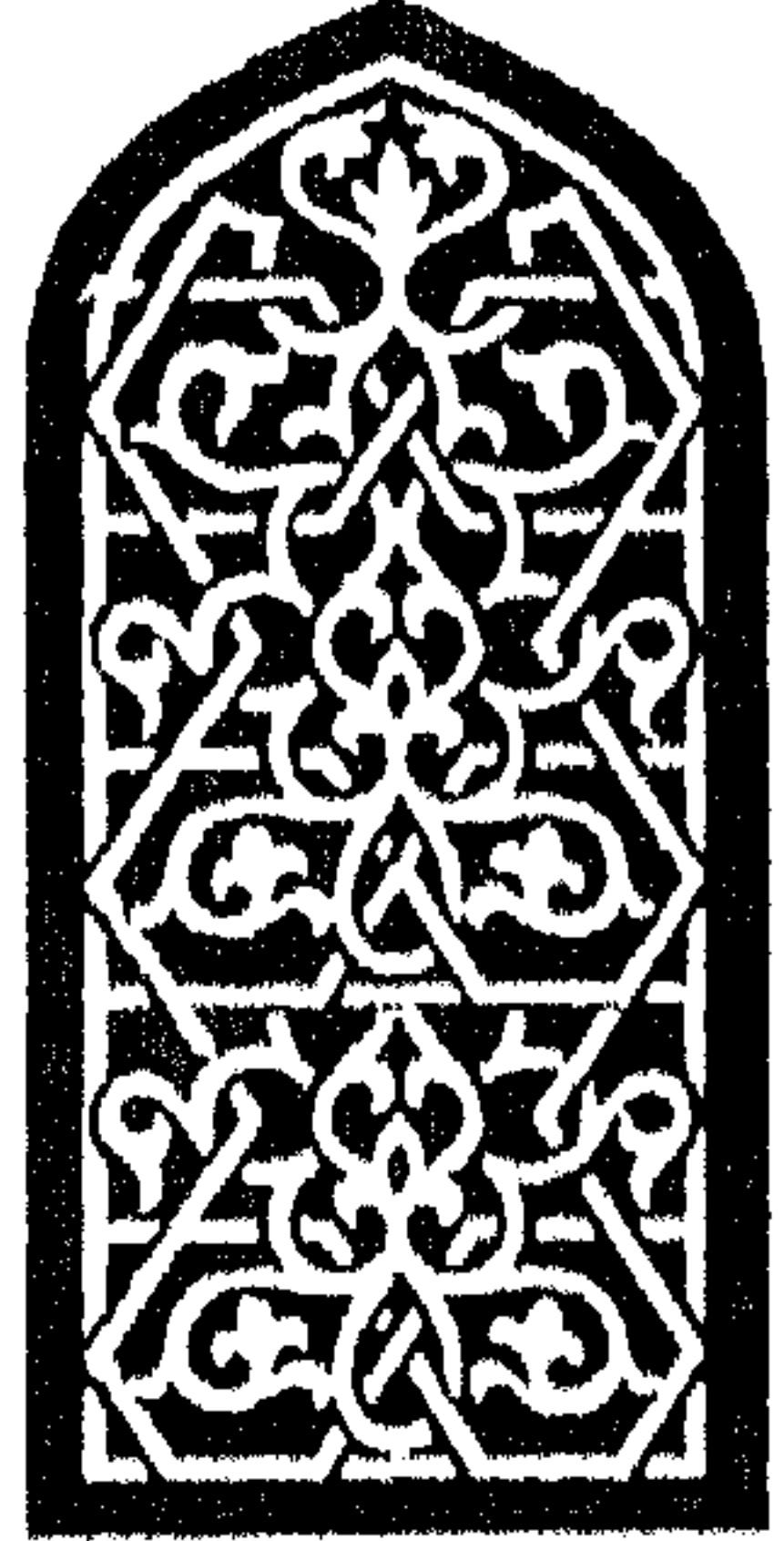
وبعد :

فإننى أجد لزاماً على وأنا أضع الجزء الثالث من كتابى (مساجد مصر) بين يدى القارىء أن أسجل كلمة شكر وعرفان بالفضل والجميل لمن أبت عليه نخوته الدينية وإيمانه العميق بالله تعالى وببيوته إلا أن يتم فضله فى إبراز الجزء الثالث بالمظهر المشرف الذى ظهر فيه الجزأين الأول والثانى ، ألا وهو الأستاذ عبد السلام الشريف عميد معهد النقد الفنى كما لايفوتنى أن أقدم شكرى لكل من عاوننى فى طبع هذا الكتاب وأخص بالذكر منهم ، الأستاذ مصطفى شيبه .

والله نسأل أن يهديننا سواء السبيل

الجيزة - رجب - ١٣٩٩ هـ - يونية سنة ١٩٧٩

سعاد ماهر محمد



الخوانق في العصر المملوكي

ومن العمائر الدينية الهامة التي كثر انتشارها في مصر في العصر المملوكي إلى جانب الجامع والمدرسة الخانقاوات التي ذاع انتشارها في العالم الإسلامي وخاصة إيران في القرن الرابع للهجرة والتي جعلت لإيواء الصوفية المنقطعين للعبادة . أما عن نشأة الصوفية فيقول القشيري^(١) ، أن المسلمين بعد رسول الله لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لا فضيلة فوقها فقليل لهم الصحابة ، ولمن أدرك أهل العصر الثاني سمى من صحب الصحابة بالتابعين ، وقيل لخواص الخواص ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد . وانفرد أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله باسم التصوف واشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة وغلبت التسمية على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية .

وهناك رأى آخر في نشأة الصوفية في الإسلام ينسب إلى أهل الصفة^(٢) المنقطعين للعبادة والذين كانوا يصطفون في نهاية مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . أما الرأى الثالث فيقول أنه أخذ من كلمة الصفاء أى الصفاء الروحي .

أما عن إقامة مبان لإقامة هؤلاء المنقطعين ، فإن أول من اتخذ بيتاً هؤلاء العبادة الزهاد هو زيد بن صوجان بن صبرة وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة

(١) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري : الرسالة القشيرية ص ١٢٦

(٢) المقرئزي : ج ٢ ص ٢٧١

وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دوراً وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقيم مصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره .

على أن أول من استعمل كلمة صوفي للنسك هو الجاحظ^(١) وذكر كثيراً منهم ممن اشتهروا بالفصاحة ، ثم عم استعمال كلمتي صوفي ومتصوف في أواخر القرن^(٢) الثاني للهجرة ، وهي الفترة التي حددها نيكلسون بأنها كانت فترة انتقال من دور الزهد إلى دور التصوف الحقيقي . على أن صوفية القرن الثاني كانوا معتدلين ولم يكن ثمة فوارق بينهم وبين سائر المسلمين اللهم إلا أنهم كانوا يهتمون ببعض الأحكام القرآنية أكثر من غيرهم . وأهل من أبرز هؤلاء الصوفية الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ هـ الذي كان يعقد حلقات في المسجد الجامع بالبصرة تجمع إلى الاهتمام بالفقه والتوحيد العناية الكبرى بالتربية الروحية .

وقد ظهر في القرن الثاني للهجرة بعض المبالغين من المتصوفة الذين غالوا في الرياضة الروحية وأعرضوا عن الدنيا وانقطعوا عن زخرف الحياة وزينتها ، وتقللوا من دنياهم بعد أن تبينوا تفاهة الصراع على حطامها الفاني^(٣) .

وقد اكتمل للتصوف مقوماته في القرنين الثالث والرابع إذ لم يعد محدوداً بالزهد والتقوى فحسب بل أصبح له كيان عقلي وروحي . ولكن لا بد أن يتصدى لطوائف المتصوفة بعد أن كثر عددهم واشتهر أمرهم بين الفقهاء الذين اتهموهم بالكفر وفساد العقيدة بل اعتبروهم خطراً على المجتمع مما حدا بالصوفية بالرد عليهم معتمدين في ذلك على أصول العلم وفنون الجدل كما لجأوا للتأليف والتصنيف متخذين من العلم سلاحاً يردون به على أعدائهم ويدافعون عن أنفسهم . كما اضطروا إزاء شدة اضطهاد الفقهاء ورجال الدين لهم إلى استعمال الرمز والإيماء حتى لا يفهمهم إلا أتباعهم والراسخون في العلم .

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ١٩٥

(٢) القشيري : الرسالة ص ٨

(٣) المناوي : الكواكب الدرية ج ١ ص ٢٠٩

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الهجوم والاضطهاد للصوفية أن كونوا لأنفسهم جماعات أشبه ما تكون بالأحزاب ولكل جماعة أو فرقة مبادئها وأصولها وشيخها وأتباعها ، وعلى كل صوفي أن ياتمر بأوامر شيخه ومرشده ، وهكذا تكونت الصوفية الجماعية بعد أن كانت صوفية فردية^(١) . وهكذا كثر عدد المتصوفة وأصبحوا يكونون قطاعا هاما في المجتمع الإسلامي له تقاليده ونظمه وخصائصه . أما النتيجة الحتمية لمثل هذه الجماعات والفرق المنظمة أن تتخذ لها أماكن خاصة بها هي التي عرفت باسم الخوانق والخانقاوات .

وكانت الخانقاوات الأولى التي ظهرت في القرن الرابع الهجري بسيطة بطبيعة الحال لاتنظمها قواعد ولا تسير وفق منهج معين أو ترتيب خاص ، حتى ظهر أبو سعيد بن أبي الخير الذي وضع الأسس الأولى لتنظيم الخانقاوات حتى عرف باسم « أبو الخانقا »^(٢) أو كما يقول الشيخ نصر « صقر الطريقة »^(٣) :

وقد كثرت مؤلفات الصوفية في القرن الخامس الهجري ، كما تطورت نظمهم وتقاليدهم الأمر الذي أصبح بعضها مثالا يحتذى في الآداب العامة والتربية فقد قدم أحد أمراء طبرستان لابنه كتابا يضم فصلا عن آداب أهل الخوانق ، كالصحبة وإجلال الصوفية لشيخهم ومراعاة آداب الجلوس والاستماع ومراعاة الصوفي لإخوانه في الخوانق . ومن ثم فقد حظى الصوفية بمكانة ممتازة عند المحكام ، فقد كان السلطان محمود الغزنوي يتوجه إلى الشيخ أبي الحسن^(٤) الخرقانة في خانقائه بالرى . كما كثرت الخانقاوات ، مثل خانقاه السلمى صاحب طبقات الصوفية في نيسابور وخانقاه القشيري^(٥) في طوس وكذا خانقاه الإمام الغزالي بطوس التي دفن بها^(٥) سنة ٥٠٥ هـ .

(١) القزويني : آثار العباد ص ٢٤١

(٢) القزويني : آثار العباد ص ٢٤٢

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٨

(٤) القشيري : الرسالة ص ٣

(٥) الغزالي : أحياء علوم الدين ج ١ ص (مصر سنة ١٣٥٢ هـ) .

ويعتبر القرن السادس الهجرى عصر انطلاق للصوفية ، فقد انتشرت بين طبقات الشعب وعرف الكثير عن مبادئها وأصولها التى صاغها الشعراء ، شعراً تغنى به الشعب مما جعله يقدر الصوفية تمام التقدير ، حتى اتخذ منهم الملوك والسلاطين جلساءهم وانتصحوهم بنصائحهم مثل الخيوشانى^(١) وصلاح الدين^(٢). وكذلك كان الصوفية موضع ثقة المجتمع على مختلف طبقاته ومن ثم فقد سعوا لإصلاح البين بين مذاهب السنة والشيعة والتقريب بينها^(٣).

وتعتبر خانقاه سعيد^(٤) السعداء أول خانقاه أقيمت فى مصر فى القرن السادس الهجرى أقامها صلاح الدين (سنة ٥٦٩ هـ - سنة ١١٧٣ م).

وقد كان للغزو المغولى فى القرن السابع أكثر الأثر فى هجرة الكثير من الصوفية من إيران والعراق إلى غرب العالم الإسلامى ، إذ ما تزال مصر تحتفظ بثمانية من خانقاوات ، أهمها الخانقاه البندقدارية والجاولية والبيبرسية والشرابيشية والخانقاه الجيبغا المظفرى وخانقاه سرياقوس وخانقاه أرسلان . أما فى القرنين الثامن والتاسع فقد ذكر لنا المقرئى تاريخ وترجمة شيوخ واحد وعشرين خانقاه .

وقد تطورت خوانق مصر المملوكية فى القرن الثامن الهجرى ، فقد أضيفت إليها وظيفة التدريس بجانب وظيفتها الأصلية ، فقد كان يدرس بالخانقاه الجاولية فقه الشافعى وفقه

(١) المناوى : الكواكب الدرية ج ٢ ص ١٠٦

(٢) سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج ٢

(٣) ابن الإثير : الكامل فى التاريخ .

(٤) هذه الخانقاه بخط رجة باب السعيد من القاهرة (بالقرب من خانقاه بيبرس الجاشنكير بدارب القصر بالجمالية) . كانت أولا دار تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر أو عنبر أحد الأستاذين المحنكين بدار القصر العتيق فى عهد الخليفة المستنصر . قتل فى شعبان سنة ٥٥٤ هـ ورى برأسه من القصر ثم صلبت جثته بباب زويلة من ناحية باب الخرق (الخلق) . وكانت هذه الدار مقابل دار الوزارة ، فلما سكنها الصالح طلائع بن زريك فتح من دار الوزارة إليها سرداباً تحت الأرض يمر فيها ثم سكنها الوزير شاور ثم ابنه الكامل فلما استولى صلاح الدين على مصر عمل دار سعيد السعداء برسم الفقراء الصوفية الوافدين على مصر ووقفها عليهم سنة ٥٦٩ هـ وولى عليهم شيخاً ووقف عليهم بستان الحجازية بجوار بركة الفيل وقيسارية الشراب بالقاهرة وناحية دهمرو من البهنساوية . وشرط أن مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً لها دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطانى . ورتب للصوفية فى كل يوم طعاماً ولحمًا ونخبزاً وبني لهم حماماً بجوارهم فكانت أول خانقاه عملت بمصر وعرفت بدويرة الصوفية وسمت شيخها بشيخ الشيوخ .

المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١٥٤

الحنفى بالخانقاه الجمالية والمهندارية ، كما جمعت الخانقاه الاقبغاوية بين فقه الشافعى والحنفى . أما الخانقاه الشيخونية فقد كان يدرس بها الفقه على المذاهب الأربعة هذا بالإضافة إلى التفسير والقراءات^(١) . وبرغم هذا التطور إلا أن بعض الخوانق قد احتفظ بتقاليدها القديمة كالخروج لتأدية صلاة الجمعة فى المساجد الجامعة فصوفية خانقاه بيبرس جاشنكير يؤدون صلاة الجمعة فى جامع الحاكم لقربه منهم لذلك فقد أودع بيبرس بالجامع الحاكمى مصحفاً شريفاً مكتوباً بماء الذهب من سبعة أجزاء ليقرأ فيه الصوفية قبل صلاة الجمعة .

(١) المقرئى : ج ٢ ص ٤٢٠

التصميم المعماري للخانقاه

أما من حيث التصميم المعماري فيمكن تقسيم الخانقاوات تبعاً لطرزها المعماري إلى ثلاثة أنواع هي الجامع الخانقاه والمدرسة الخانقاه والقبة الخانقاه .

الجامع الخانقاه :

لما كانت الخانقاه أساساً وقبل كل شيء هي مكان مخصص للعبادة فقد حرص المعمار على أن تحتوى على أهم مقومات المسجد ، إلا وهو المحراب والأروقة وكذا المئذنة ، ومن ثم فإن الخانقاه الجامع تحتوى عادة على صحن مكشوف أو مغطى حسب الحالة ثم أروقة تحيط بالصحن من جميع الجهات أو بعضها على أن يكون رواق القبلة أكبرها .

أما حجر المتصوفة أو خلاويهم (كما تعرف) فإنها تقع إلى خلف الأروقة وقد تشغل طبقاً أو اثنين بل قد تصل في بعض الأحيان أربعة طوابق . ومن أحسن الأمثلة للخانقاه الجامع خانقاه سعيد السعداء والبندقارية و خانقاه الناصر محمد بسرياقوس و خانقاه شيخون والبرقوقية بجبانة الممالك .

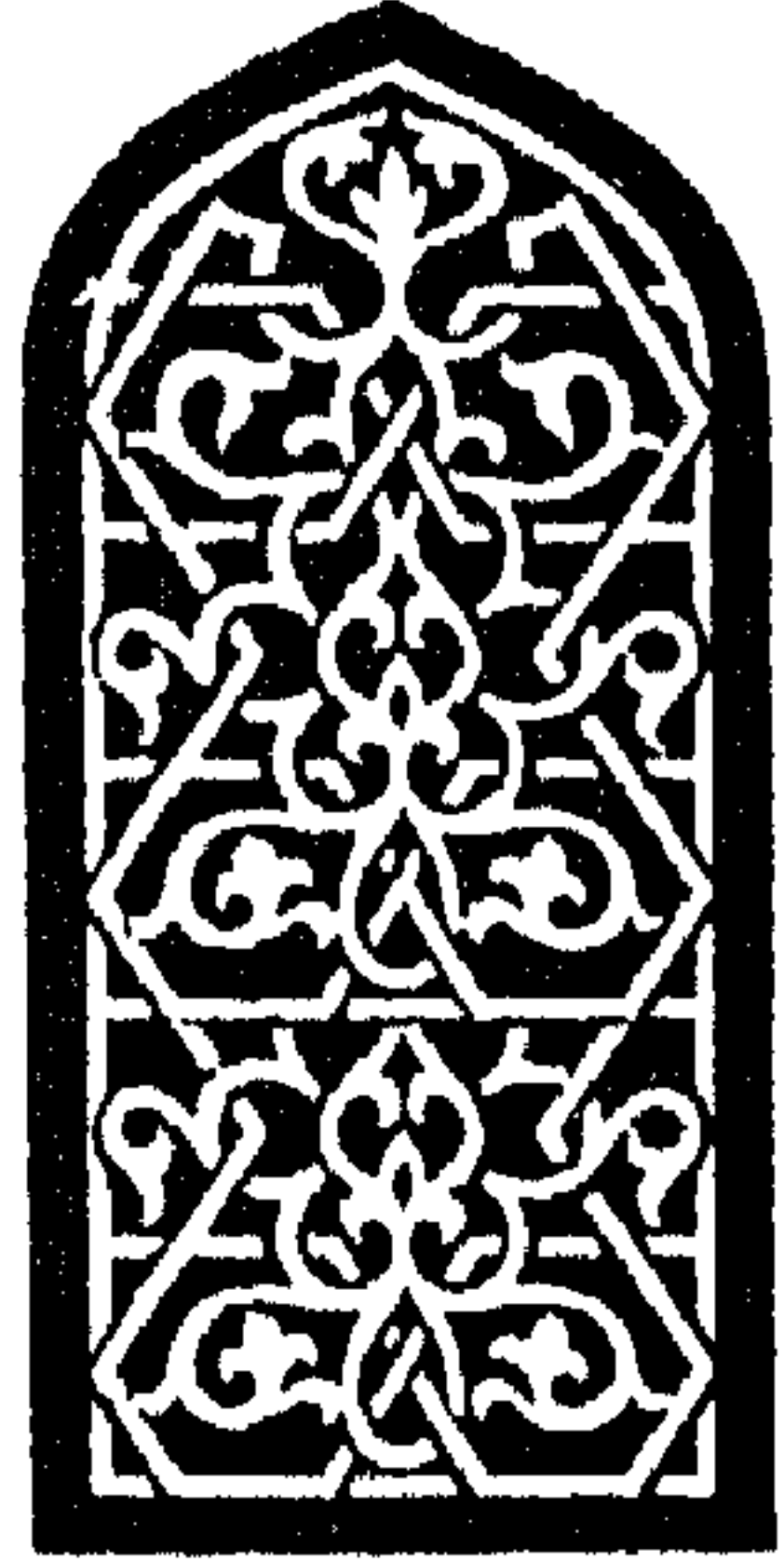
المدرسة الخانقاه :

لقد انتشر في مصر طراز معماري جديد للمنشآت الدينية منذ العصر الإسلامي الأيوبي يلائم الوظيفة الجديدة لتلك المنشآت وهي التدريس إلى جانب تأدية الشعيرة الأولى والأساسية وهي الصلاة . ولما كان القصد السياسي من إقامة هذه المنشآت هو القضاء على المذهب الشيعي ونشر المذاهب السنية الأربعة ، لذلك فقد وجد المعمار نفسه مضطراً لترك الأروقة التي لا يمكن الفصل فيها بحيث تتيح لأكثر من أستاذ أن يلتقى بتلاميذه ولا يعطى في نفس الوقت على غيره من فقهاء المذاهب الأخرى ، لذلك فقد لجأ إلى استعمال الأواوين التي ينفرد كل منها بضلع من أضلاع المدرسة الأربعة وهكذا كان الإيوان أكثر الطرز المعمارية مواءمة للوظيفة التي تقوم بها إلى جانب فريضة الصلاة .

وقد وافق نظام المدارس المعماري الخانقاوات تمام الموافقة خاصة وأن خانقاوات العصر المملوكي قد أصبحت معاهد للدراسة إلى جانب التصوف . فإلى جانب الإيوانات الأربعة أو الإيوانين نجد الخلاوى تكتنف الإيوانات وترتفع في طوابق عليا مثل خانقاه بيبرس جاشنكير وقد توجد خلف إيوان أو أكثر مثل البرقوقية بالجمالية أو منفصلة تماماً عن المدرسة بواسطة صحن كبير غير صحن المدرسة مثل خانقاه إينال بقرافة المماليك .

القبة الخانقاه :

هذا الطراز من الخانقاوات قليل في العصر المملوكي ، وكان من الممكن أن تسمى زاوية لولا احتواؤها على خلاو منفصلة لعدد من الصوفية . فمن المعروف أن القباب التي أقيمت على المقابر والأضرحة قد عرفت في العالم الإسلامي منذ سنة ٢٤٨ هـ في مدينة سامراء ، ثم انتشرت في مصر في العصر الفاطمي في أضرحة آل البيت التي عرفت بالمشاهد . أما في العصر الأيوبي والمملوكي فقد أصبحت القبة ظاهرة معمارية مكتملة للجامع أو المدرسة يدفن فيها المنشئ . وفي القرن الثامن نجد أمثلة لقباب غير ملحقة بجامع أو مدرسة بل ملحقة بها مجموعة كبيرة أو صغيرة من الخلاوى مثل خانقاه خوند طغاي .



الرنوك الإسلامية

لقد بدأت الشارات التي عرفت باسم الرنوك تظهر في مصر في آثارها الثابتة والمنقولة في العصر المملوكي . وقد ناقش هذا الموضوع كثير من علماء الآثار منهم برس دافين^(١) Prisse d'Avennes سنة ١٨٧٧ وروجر^(٢) في سنة ١٨٨٠ ويعقوب أرتين^(٣) في عدة موضوعات منذ سنة ١٨٨٦ م وكان آخرهم ماير (Mayer)^(٤) الذي ألف كتاباً سماه الرنوك الإسلامية .

والرنوك أو الشارة هي عبارة عن حق امتياز للأمير أو شرف حربي في العصر الأيوبي والمملوكي وأن السلطان والأمراء هم الذين يحق لهم حمل هذه الشارات أو الرنوك فقط . ويقول أبو الفداء^(٥) ، أن تلك الشارات التي يحملها الأمراء تبين الوظائف التي يشغلها الأمير فمثلاً الرنك الذي يمثل الدواه والقلم ويعرف حامله باسم (الدويدار) يعني أن صاحبه يشغل وظيفة سكرتير السلطان . (السلحدار) وهو عبارة عن سيف يشغل صاحبه وظيفة حامل السلاح (والشطدار) وهو عبارة عن طست ، يشغل صاحبه وظيفة المشرف على مخازن السلطان . و (الجمدار) وهو عبارة عن بقعة يشغل صاحبه وظيفة الإشراف على لباس السلطان . (والأمير الأكبر) وهو عبارة عن حدوة الفرس ، ويشغل صاحبه قيادة الجيش .

(١) L'artArabe, Texte p.p. 63-8.

(٢) Le Blason chez les princes musulmans de Egypte et de Syrie 2èm vol. p. 83

H.T.H. 31

(٣) Description de Six Lampes de Mosquée en Verre émaille pp. 120-54

(٤) Saracenic Heraldry (Oxford 1933)

(٥) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر : ج ٤ ص ٣٨٠

وهناك رنوك أخرى تبين كذلك أن حاملها يشغل الوظيفة التي تدل^(١) عليها مثل (السائق) وهو عبارة عن كأس (والجندار) وهو عبارة عن عصا البولو (الجاشنكير) وهو عبارة عن مائدة مستديرة ويشغل صاحبه وظيفة تذوق طعام السلطان (والبندقدار) وهو عبارة عن قوس لرمي السهام .

ويضيف (Mayer) فيقول أن هذه الشارات والرنوك تبقى ملازمة لأصحابها حتى إذا تغيرت وظائفهم بعد ذلك فيضاف شارة الوظيفة الثانية إلى جانب الوظيفة الأولى . وقد ظل الحال على ذلك حتى نهاية القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي . وفي كثير من الأحيان يحمل الأمير شارة أو رنك الأمير المذي اشتراه أو كان يملكه .

ولعل أقدم الرنوك التي عشر عليها تلك التي وجدها ماير (Mayer)^(٢) على عتب ضريح الشيخ الياس في غزة وهي مؤرخة سنة ٦٧١ هـ وقد وجد مثيل لها على قطعة خزف عشر عليها في الفسطاط (بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة) .

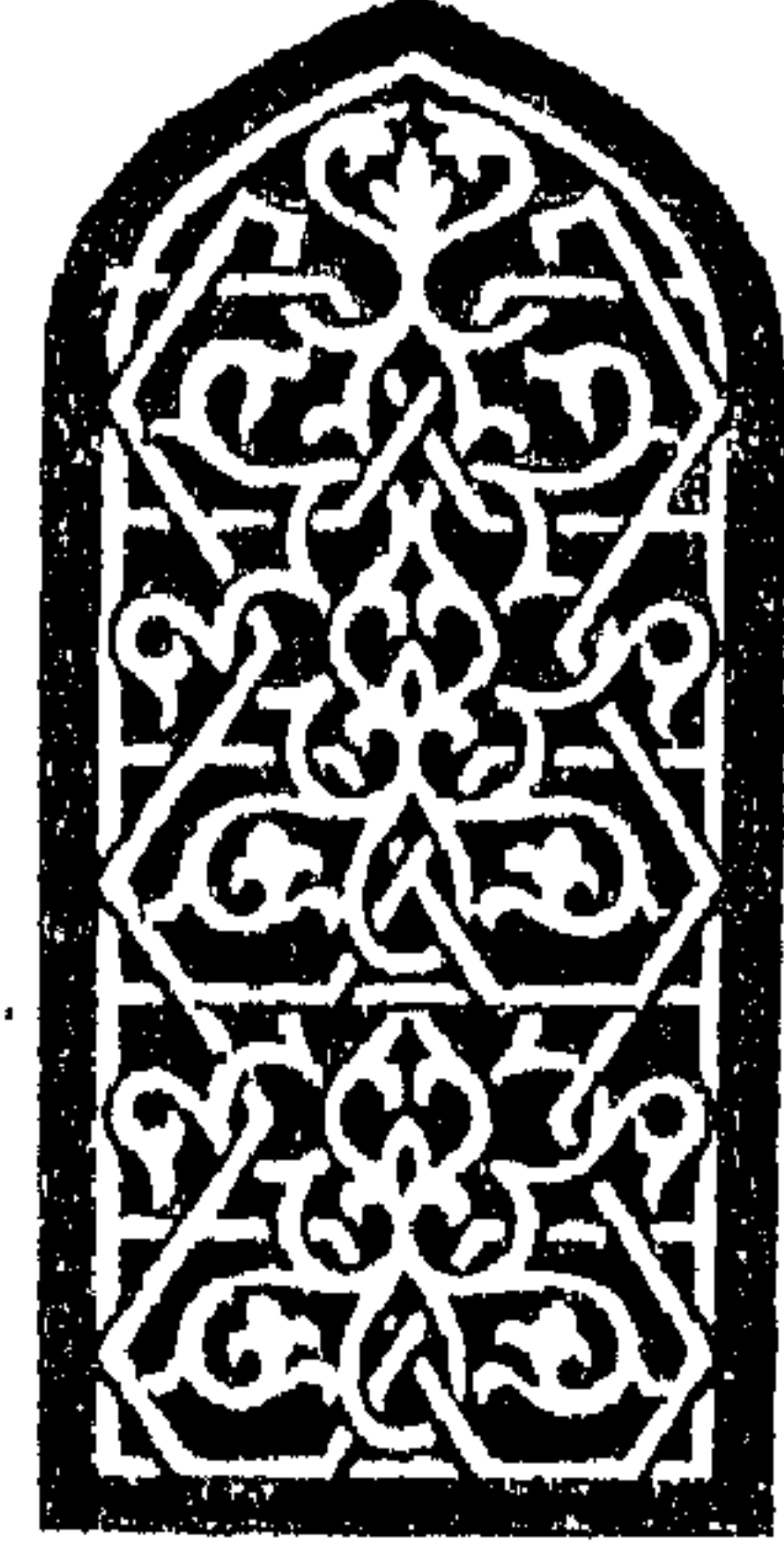
على أن نظام الرنوك قد انتهى مدلوله وأهميته بانتهاء العصر المملوكي وبداية العصر العثماني (سنة ٩٢٣ هـ - سنة ١١٥٧ م) ولعل الرنك الوحيد الذي عشر عليه بعد ذلك التاريخ هو الرنك الذي عشر عليه على تابوت الأمير قضا بدرى^(٣) الظاهري الذي أنشأ طريق الأهرام المتوفى (سنة ٩٥٤ هـ - سنة ١٥٤٧ م) .

(١) Mayer : Arabic inscriptions of Gaza p. 4.

(٢) Mayer : Arabic inscriptions of Gaza (J. of the Palestine Oriental Soc. III p.p. 70-74 Pl. I).

(٣) Mayer opt. cit. p. 141.

(٤) لجنة حفظ الآثار كراسة سنة ١٩٠٨ ص ١٠٣



مدرسة الملأ الظاهر بيبرس البندقدارى

هو الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقدارى الصالحى النجمى الأيوبي التركى ، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية ، وهو أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر وكان معتقلا بحلب ، فلما سمع بقصة المملوكين الصغيرين بيبرس وزميله اشتراهما وهو فى معتقله .

ولد بيبرس فى حدود العشرين وستائة بصحراء القبيجاق^(١) والقبيجاق قبيلة عظيمة من الترك فى جنوب روسيا وأنه قضى طفولته فى تلك البلاد .

وكلمة بيبرس ، كلمة تركية معناها : أمير فهد .

ويحكى أبو المحاسن وابن واصل قصة طريفة مفادها أن بيبرس أخذ من بلاده وتنقل فى أيدي تجار الرقيق وحدث أن عرض هو وزميل له على الملك المنصور صاحب مدينة حماة ، ولما كان المنصور صغيرا فقد اعتاد أن يستشير والدته عندما يقدم على شراء الرقيق فرأتها والدته المنصور من وراء ستار فأشارت بشراء رفيق بيبرس ، أما هو فقد قالت عنه لابنها (هذا الأسمر لا يكون بينك وبينه معاملة ، فإن فى عينيه شرا لائعا) .

اتفق حضور ركن الدين بيبرس مع تاجر الرقيق وقت أن كان الأمير علاء الدين

(١) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٩٤

البندقدارى الصالحى قد أحضر إلى حماة واعتقل بجامع قلعتها فسمع بقصة الغلامين وهو في المعتقل فاشتراهما ولما أفرج عنه أخذ بيبرس معه إلى القاهرة .

وكلمة البندقدارى لفظ فارسي مركب معناه حامل جراوة أى كيس البندق خلف الأمير أو السلطان .

لبث بيبرس في ملك البندقدارى إلى أن صادره أستاذه ملك الصالح نجم الدين أيوب ، فأخذ بيبرس هذا فيما أخذه في المصادر .

ولما انتقل بيبرس إلى ملكية السلطان الصالح نجم الدين أيوب ابتدأت صفحة جديدة في تاريخ هذا المملوك الصغير ، فلم يلبث السلطان نجم الدين أيوب أن اعتقه وجعله من جملة مماليكه وقدمه على طائفة الجمدارية لما رأى من فطنته وذكائه^(١) .

ترقى بيبرس في خدمة السلطان الصالح نجم الدين أيوب واستفاد من أخلاقه . فلما مات السلطان الصالح نجم الدين في أواخر سنة ١٢٤٩ انتقل بيبرس إلى خدمة ابنه تورانشاه .

جاءت وفاة الصالح نجم الدين أيوب في وقت عصيب إذ دهم مصر الملك لويس التاسع ملك فرنسا على رأس الحملة الصليبية السابعة واحتل دمياط وزحف على المنصورة وكان تورانشاه في هذا الوقت بعيدا عن مصر إذ كان يحصن كيفا على أطراف العراق فصارت مقاليد الأمور بيد شجر الدر - زوج الصالح أيوب والأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ، أتاك العسكر .

في فبراير سنة ١٢٥٠ هاجم الصليبيون معسكر المسلمين وسقط الأمير فخر الدين قائد الجيش قتيلا واندفع الصليبيون نحو المنصورة واقتحموها وتغلغلوا في أزقتها وكادت أن تدور الدائرة على المسلمين لولا خروج طائفة المماليك البحرية مع من تطوع للدفاع من المصريين ومعهم ركن الدين بيبرس فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم^(٢) بها وتبدلت بلطف الهزيمة إلى انتصار ووقع كثير من الصليبيين قتلى في أزقة المنصورة وحاول بعضهم

(١) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٩٥

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٧١

الفرار فلاحق بهم المسلمون قرب فارسكور وأنزلوا بهم هزيمة ساحقة وأسروا لويس التاسع ومجموعة من كبار أمرائه وقادته .

قويت شوكة المماليك البحرية بعد واقعة فارسكور فأحسوا بأهميتهم وفي ذلك الوقت بالذات وصل تورانشاه بن الصالح أيوب إلى مصر ونودى به سلطانا وتلقب بالمعظم .

على أن الشيء الذي كدر صفو المعظم تورانشاه هو ما صارت إليه قوة المماليك البحرية فأصبحت تقاسمه السلطان بل تتفوق عليه في هذا المجال الأمر الذي أثار حفيظة تورانشاه وجعله يتحين الفرص للإيقاع بزعماء هذه الطائفة ويروى^(١) أبو المحاسن تغرى بردى : أن تورانشاه كان إذا سكر في الليل جمع ما بين يديه من الشموع وصفحها أمامه ثم أخذ يضرب رؤسها بالسيف حتى تنقطع واحدة بعد أخرى وهو يقول (هكذا أفعل بالبحرية) .

لم يكن المماليك البحرية أقل كرها لتورانشاه من كرهه لهم إذ جاء كرههم له مقرونا بالخوف منه والتحفز للانتقام منه نظرا لاحتجابه عن أمرائه وتهالكه وانغماسه في الملذات والفساد وقلبه ظهر المجن للماليك أبيه وعدم العرفان لزوجة أبيه - شجر الدر - بالجميل الذي أسندته إليه بحفظها حقه في الملك عقب وفاة أبيه فكان جزاؤها منه أن أرسل إليها وكانت قد رحلت إلى بيت المقدس - يتوعدا ويتهمها باخفاء مال أبيه عنه فكتبت بذلك إلى المماليك البحرية بما فعلته لتورانشاه من ضبط الأمور وتمهيد الدولة له حتى حضر وتسلم المملكة وما جازاها به من التهديد والمطالبة بما ليس عندها فحنق (البحرية) من أفعال تورانشاه^(٢) .

استقر رأى زعماء البحرية على قتل تورانشاه ، فتحينوا نزوله بناحية فارسكور سنة ١٢٥٠ هـ حتى بادره الأمير ركن الدين بيبرس فضربه بالسيف ضربة أطاحت أصابع يده ثم تبعه بعد ذلك بقية الأمراء وتقول المراجع أن تورانشاه فوجئ بالاعتداء الذي وقع عليه فلم يكن منه إلا أن فر إلى برج خشبي كان قد أعد للإقامة فيه ولكن بيبرس ومن معه من الأمراء تبعوه وأشعلوا النار في البرج وأخيرا لم يجد تورانشاه حيلة

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٣٥٠

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٣٥٨

إلا إلقاء نفسه في النيل وجد في السباحة محاولا النجاة ولكن نشاب البحرية لاحقته كما سبج بعضهم خلفه وقطعوه بالسيف وهو يصيح (ما أريد ملكا ! دعوني ارجع إلى الحصن) كيفا الذي قدم منه (يامسلمين ! مافيكم أحد يصطنعني ويجيرني !) وعلى هذه الحال انتهى تورانشاه ويقول المقریزی أنه مات جريحا حريقا غريقا^(١).

ولّى المماليك البحرية شجر الدر بعد مقتل تورانشاه غير أن شجر الدر لم تستطع الصمود في وجه البحرية وزعيمهم بيبرس فعملت على استرضائهم وكسب مودتهم غير أن بنى أيوب لم يرضهم ماتم في مصر من نقل السلطة إلى المماليك إذ أن شجر الدر لم تكن من سلالة بنى أيوب بل كان نسبها أقرب إلى المماليك لذلك اجتمع زعماء البحرية واتفقوا على أن تتزوج شجر الدر من عز الدين أيبك أتابك العسكر على أن تتنازل له عن السلطنة ثم قر قرارهم على إقامة أحد أبناء البيت الأيوبي شريكا لأيبك في الحكم فاختاروا الأشرف موسى الأيوبي الذي كان في السادسة من عمره .

على أن ما قام به البحرية في مصر لكسب مودة بنى أيوب لم يأت بفائدة ترتجى إذ استولى الناصر يوسف الأيوبي على دمشق وخرج منها يريد غزو مصر فاستعان المعز أيبك بالبحرية لصد الخطر الذي تهدده وبفضل هؤلاء تمكن أيبك من انزال الهزيمة بالأيوبيين عند العباسية بمحافظة الشرقية سنة ١٢٥٠ وقوى هذا النصر من شوكة البحرية فعاثوا في الأرض فسادا وبغوا وأنزلوا بالناس ضررا عظيما قال عنه المقریزی (لو ملك الفرنج ما فعلوا فعلهم) .

عند ذلك ضاق السلطان المعز أيبك بالبحرية لتعننتهم واستطالتهم ، وفي هذا الوقت بدأ الخطر المغولي بزعامة هولاكو يهدد العراق فأسرع أيبك بطرد الأشرف موسى من السلطنة وعقد صلحا مع الناصر يوسف الأيوبي صاحب الشام وأحمد الثورة التي قام بها الأعراب في الشرقية والبحيرة والغربية والمنوفية ، ولم يعد يقض مضجعه إلا المماليك البحرية فدبر مؤامرة لقتل زعيمهم فارس الدين أقطاي وتم تنفيذ المؤامرة في القلعة ولما شاع أمر هذه المؤامرة اجتمع سبعمائة فارس تحت أسوار القلعة فرمى إليهم أيبك

(١) المقریزی : السلوك ج ١ ص ٣٥٨

برأس اقطاي ، فخشي زعماء البحرية أن يظفر بهم أيبك ففروا إلى الشام ومعهم بيبرس وكتبوا إلى الناصر يوسف الأيوبي صاحب حلب يعرضون عليه دخولهم في خدمته ، فرحب بهم ومنحهم الأموال ، غير أنهم دأبوا على تحريضه على مهاجمة مصر فاستجاب الناصر يوسف لرجائهم وأعد جيشا لغزو مصر تقابل مع جيش أيبك عند العباسة سنة ١٢٥٦ وتم الصلح بين الطرفين ومن بنود الصلح المذكور عدم ايداء المماليك البحرية .

أمن المعز أيبك عائلة المماليك البحرية بعد أن نكل بهم غير أن ما أقض مضجعه كان يأتيه من زوجه شجر الدر التي استبدت بأمر المملكة فخاف على نفسه منها بعد أن أخبره أحد المنجمين كما أورد المقرئزي^(١) : « أن سبب قتله ستكون امرأة » .

على أن شجر الدر قد تملكها الغيرة بدورها لما بلغها أن زوجها يريد التزوج من ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فأنتهى بها الأمر بأن قتلت زوجها أيبك فانتقم ممالك أيبك بقتل شجر الدر وبذلك خلا الجو منهما واختار الأمراء على ابن أيبك سلطانا وكان صغيرا في الخامسة عشرة من عمره فقام الأمير سيف الدين قطز بنبابة السلطنة .

ظل زعماء المماليك البحرية وعلى رأسهم بيبرس يعيشون في الشام ينتابهم القلق وعدم الاستقرار بعد الصلح الذي تم بين المعز أيبك والناصر يوسف الأيوبي غير أن استيلاء المغول على بغداد في فبراير سنة ١٢٥٨ أثار الذعر والأسى في العالم الاسلامي الأمر الذي حدا بأمراء مصر والشام بالاتحاد لمواجهة هذا الخطر الداهم ، هذا بالإضافة إلى أن سيف الدين قطز نائب السلطنة في مصر أعلن نفسه سلطانا مقررًا أن المنصور على بن أيبك صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة وأنه (لا بد من سلطان قاهر يقاتل هذا العدو) .

تناسى بيبرس الأحقاد القديمة التي بين البحرية والمظفر قطز ، كما بث روح الحماس في أمراء الشام وثار في وجه الأمير زين الدين الحافظي الذي نادى بالاستسلام للهولاكو وجيوشه وسبه قائلا (أنتم سبب هلاك المسلمين) .

استولى المغول في زحفهم على مدينتي حلب ودمشق وغيرهما مدن الشام ، وحدث

(١) المقرئزي : السلوك ج ١ ص - ٤٠٣

أن اضطر هولاءكو إلى العودة إلى بلاد تاركا قيادة جيشه لنائبه كتبغا ، وكان هولاءكو قد أرسل خطابا مع بعض الرسل إلى المظفر قطز في مصر يطلب منه التسليم ويحذره من عاقبة المقاومة .

استشار قطز الأمراء فيما يجب عمله فأجمعوا على مواصلة الجهاد والمقاومة وعندئذ بادر قطز بالقبض على رسل المغول وقتلهم وعلق رؤوسهم على باب زويلة فكانت هذه الرؤوس أول ما علق على باب زويلة من رؤوس^(١) التتار .

وصلت طلائع المغول إلى غزة والخليل ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والصبيان وساقوا من الأسرى والأبقار والأغنام والماشى شيئا كثيرا ، لذلك بادر قطز بالاستعداد وأرسل مقدمة الجيش المصرى في يوليو سنة ١٢٦٠ إلى غزة تحت إمرة الأمير ركن الدين بيبرس وكان جيش التتار بقيادة بيدرا الذى ما علم بوصول الجيش المصرى حتى طلب النجدة من كتبغا في بحلبك غير أن بيبرس لم يمهله وهاجمه قبل وصول النجدة له وأنزل بهم الهزيمة وطاردهم ، وعندما وصل قطز على رأس بقية الجيش سار هو وبيبرس بحذاء الساحل ، ثم اتجه المسلمون شرقا عبر الجليل إلى الأردن لاسترداد دمشق من المغول .

أسرع كتبغا بالحضور عندما علم بهزيمة رجاله في غزة فالتقى المغول بجيش مصر عند قرية عين جالوت ... بين بيسان ونابلس - وفي تلك الموقعة اجأ السلطان المظفر قطز إلى اخفاء معظم جيشه بين الأحراش والأشجار وترك مقدمة الجيش بقيادة الأمير بيبرس ، فانقض كتبغا على بيبرس ورجاله وعندئذ داهمته بقية الجيش المصرى من كل جهة ويدكر المؤرخون أن الجنود اضطربوا في ابتداء المعركة فألقى السلطان قطز خوذته عن رأسه إلى الأرض وصاح بألى صوته (واسلاماه !) وحمل بنفسه على العدو الذى اضطرب إلى الفرار .

أصبح السلطان المظفر قطز عقب موقعة عين جالوت سيد الموقف في بلاد الشام ، فدخل دمشق دخول الظافر فاستقبل استقبال حافلا . واستعدت القاهرة لاستقبال قطز غير أنه لم يقدر له دخولها فقد دبر بيبرس مع زملائه من البحرية لقتل قطز وذلك لأن بيبرس

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ٤٢٨ - ٤٢٩

كان يأمل من قطز أن يوليه نيابة حلب التي كان السلطان قد وعده بها ولكن قطز امتنع وتنكر له^(١) ، وعند وصول قطز إلى الصالحية في طريقه إلى القاهرة رغب في الصيد ولما فرغ من ذلك تقدم منه الأمير بيبرس وطلب امرأة من سبي التتار فأجابته السلطان إلى طلبه فتظاهر بيبرس برغبته في تقبيل يد السلطان فقبض بيبرس على يد قطز ليمنعه من الحركة في حين انهال عليه بقية أمراء البحرية بسيوفهم ورماحهم وألقوه عن فرسه وأجهزوا عليه وخلا بذلك الجو لزعيم البحرية بيبرس .

وبعد أن تمت الإجراءات المبدئية في الصالحية ، أسرع بيبرس ومن معه من الأمراء إلى القاهرة وكانت قد زينت لاستقبال المظفر قطز بطل عين جالوت ، فإذا بالمنادى ينادى في طرقات القاهرة (ترحموا على الملك المظفر وأدعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس^(٢)) .

وبدخول بيبرس قلعة الجبل بدأت صفحة جديدة في التاريخ ، ذلك أن السلطان الظاهر بيبرس أثبت بأعماله وإصلاحاته وحروبه أنه المؤسس الحقيقي للدولة المماليك في مصر والشام .

أما عن منشآت السلطان الظاهر بيبرس ، فقد قال عنها أبو المحاسن : (بنى في أيامه بالديار المصرية ما لم يبن في أيام الخلفاء المصريين ولا ملوك بني أيوب من الأبنية والرباع والخانات والقواسير والدور والمساجد والحمامات^(٣)) .

والواقع أن الظاهر بيبرس أقام كثيراً من المنشآت الدينية التي مازال الكثير منها قائما حتى الآن ، ففي قلعة الجبل يقول المؤرخون أنه عمر دار الذهب وبنى بها قبة عظيمة محمولة على اثني عشر عمودا من الرخام الملون ، كذلك عمر بيبرس بالقلعة طبةقتين مطليتين على زحبة الجامع وأنشأ بجوار باب القلعة العموى برج الزاوية وهو البرج الذي لا يزال قائما حتى اليوم في الزاوية الشمالية الغربية من السور القديم للقلعة . وقد

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٠١

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٤٣٧

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٠

أنشأ بيبرس على هذا البرج قبة وزخرف سقفها ثم أقام بجواره طباقا للماليك . وفي رحبة القلعة أنشأ بيبرس دارا كبيرة لولده الملك السعيد^(١) .

جدد بيبرس أيضا جامع الأنوار والجامع الأزهر ، وبني جامع العافية بالحسينية وأنفق عليه فوق الألف درهم وأنشأ بالقرب منه زاوية الشيخ خضر ، كما أنشأ بيبرس قبة جميلة عند مقياس الروضة ، وجود قلعة جزيرة الروضة ، هذا فضلا عن الحمامات والطواحين والأفران والخانات والأسواق العديدة .

ولم تحرم ضواحي القاهرة من عناية بيبرس فشملت عناية العماثر من مسجد البتر إلى أسوار القاهرة إلى الخليج وأرض الطبالة واتصلت العماثر إلى باب المقس إلى اللوق إلى البورجى ومن الشارع إلى الكبش إلى تحت القلعة ومشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها .

لم يقصر بيبرس اصلاحاته على الديار المصرية والشام بل شملت عناية الأراضي الحجازية من ذلك أنه أتم عمارة الحرم النبوى الشريف بالمدينة وعمل منبره وجعل بالضريح النبوى درابزينا ، وذهب سقوفه وجدها وبيض حيطانه . وجدد البيمارستان بالمدينة النبوية ونقل إليه سائر الأدوية والمعاجين والأكحال وبعث إليه طبيبها من الديار المصرية .

وفي الشام رمم مقام الخليل عليه السلام وجدد قبته وأصلح أبوابه وميضآته ، كما أصلح ما كان قد تهدم من قبة الصخرة بالقدس وأنشأ بها خانا للسبيل وبني مسجدا وطاحونا وفرنا وبستانا .

ويلاحظ أن أجل صفات بيبرس هي شجاعته النادرة التي خلدت اسمه في التاريخ ، وقد حرص دائما على ألا يشاركه أحد في هذه الصفة حتى وصفه بعض المؤرخين بأنه (كان عنده حسد شديد لمن يوصف بالشجاعة^(٢)) وقد اتصف بيبرس أيضا بحبه للاحسان

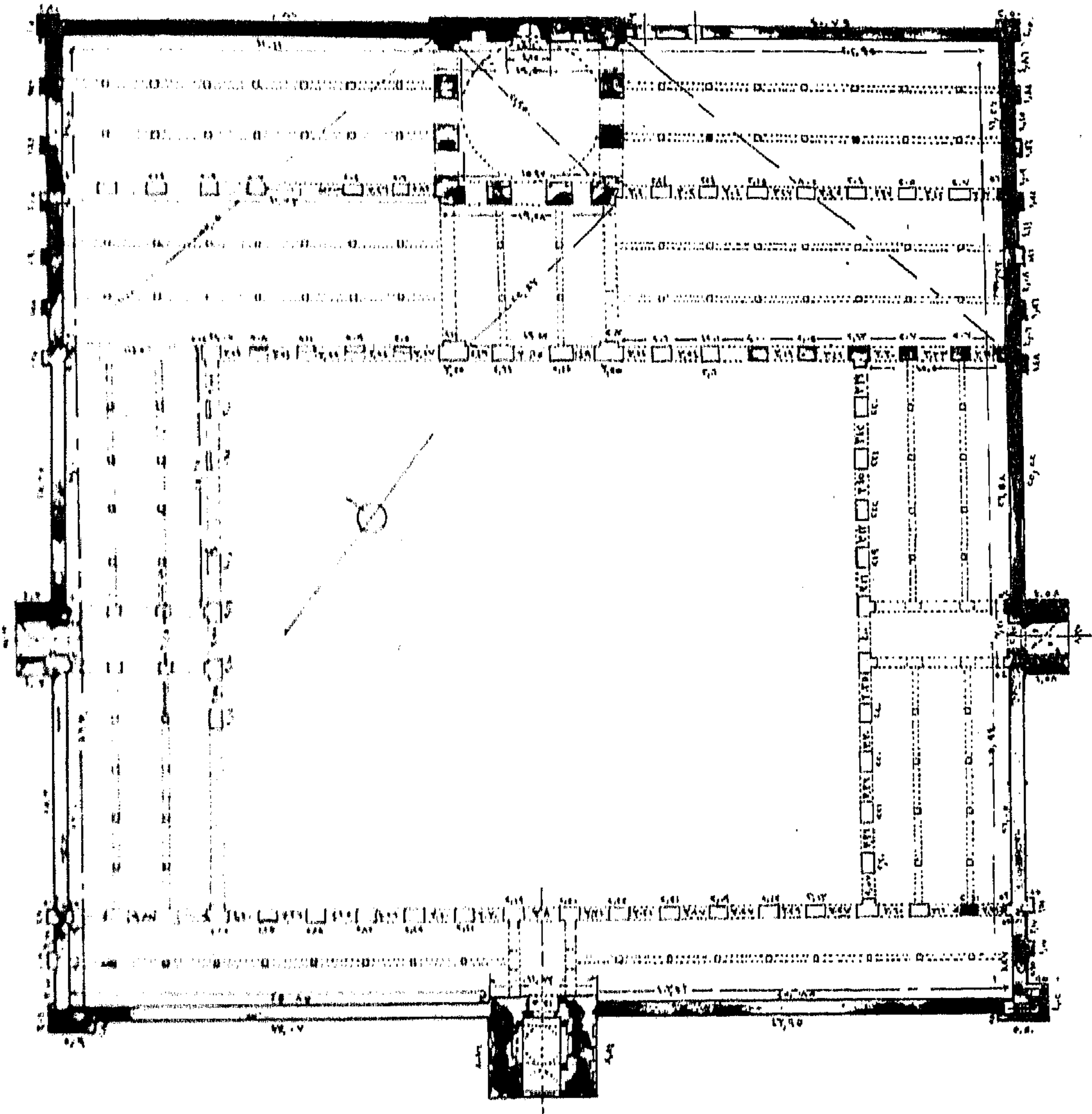
(١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩١

(٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ص ١٩٦ - ١٩٧

(٣) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٧٨

وعمل البر حتى قال عنه المقریزی أنه كان يطعم فی کل لیلۃ من لیالی رمضان خمسة آلاف نفس ، ویکسو فی کل سنة ستمائة کسوة هذا بالإضافة إلى الوقف الذی وقفه لدفن الفقراء .

توفی السلطان الظاهر بیبرس فی ۳۰ یونیو سنة ۱۲۷۷ (۲۸ المحرم سنة ۶۷۶ هـ) بعد أن جاوز الخمسین من عمره ومدة حکمه سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر یوما وكانت وفاته فی دمشق .



وصف المدرسة

يقول المقرئى^(١) : « هذه المدرسة من جملة خط بين القصرين كان موضعها من القصر الشرقى الكبير يعرف بقاعة الخيم ، كما يدخل فى هذه المدرسة باب الذهب أحد أبواب القصر الهامة وقد تمكن السلطان الظاهر بيبرس من الاستيلاء على كنوز القصور الفاطمية وغيرها من الأماكن التى يملكها ورثة الفاطميين وذلك باستصدار قوانين تعسفية ، وفى ذلك يقول المقرئى : فلما أوقع السلطان الحوطة على القصور والمناظر ، فقام القاضى كمال الدين طاهر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال وقوم قاعة الخيم هذه وابتاعها الشيخ شمس الدين محمد بن العماد ابراهيم المقدسى شيخ الحنابلة ومدرس المدرسة الصالحية النجمية ثم باعها المذكور للسلطان ، فأمر بهدمها وبناء مدرسة فابتدئ بعمارته فى ثلثى ربيع الآخر سنة ستين وستمائة وفرغ منها فى سنة اثنتين وستين وستمائة ولم يقع الشروع فى بنائها حتى رتب السلطان وقفها ، وكان بالشام فكتب بما رتبته إلى الأمير جمال الدين بن يغمور .

وقد أمره السلطان أن لا يستعمل فيها أحدا بغير أجر ولا ينقص من أجرته شيئا . ويضيف المقرئى فيقول ، فلما كان يوم الأحد الخامس من صفر سنة اثنتين وستين وستمائة اجتمع أهل العلم بها وقد فرغ منها وحضر القراء وجلس أهل الدروس كل طائفة فى أيوان منها الشافعية بالأيوان القبلى ومدرسهم الشيخ تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين الحموى ، والحنفية بالأيوان البحرى ومدرسهم الصدر مجد الدين عبد الرحمن ابن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم الحلبي . وأهل الحديث بالأيوان الشرقى ومدرسهم الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطى . والقراء بالقراءات السبع بالأيوان الغربى وشيوخهم الفقيه كمال الدين المجلى وقرروا كلهم الدرس وتناظروا فى علومهم ثم مدت الاسمطة لهم فأكلوا وقام الأدباء فانشدوا قصائد المدح فى الملك وفى المدرسة .

(١) الخط ج ٢ ص ٢٧٨

فلما فرغ الشعراء من انشاد شعرهم أفيضت عليهم الخلع وكان يوما مشهودا على حد قول المقریزی . ويستمر ابن عبد الظاهر في وصف باقي أجزاء المدرسة الظاهرية فيقول : وجعل بها خزانة للكتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم وبني بجانبها مكتب لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله تعالى وأجرى لهم الجرايات والكسوة . وقد أوقف على هذه المدرسة ريع السلطان خارج باب زويلة فيما بين باب زويلة وباب الفرج ، ويعرف ذلك الخط اليوم به فيقال خط تحت الريع .

ويصف المقریزی خط تحت الريع فيقول : وكان ريعا كبيرا لكنه خرب منه عدة دور فلم تعمر . وتحت هذا الريع عدة حوانيت هي الآن (أي القرن التاسع الهجري) من أجل الأسواق وللناس في سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسا يرتفعون فيه إلى الحكام . وهذه المدرسة من أجل المدارس إلا أنها تقادم عهدها وتدهورت حالتها . وبها إلى الآن بقية صالحة ، ونظرها تارة يكون بيد الحنفية وأحيانا بيد الشافعية ، ويتنازع نظرها أولاد الظاهر ولله عاقبة الأمور .

وهكذا يتبين لنا أن المدرسة كانت تتكون من أربعة أيوانات متعامدة ، وكان تاريخ انشائها مكتوبا على المدخل وقد نقله مهيرن (Meheren) وعنه نقله (Van Bercham) وعلى الرغم من أن المدرسة كانت خربة منذ عهد المقریزی ، إلا أن جزءا كبيرا منها كان لا يزال باقيا حتى سنة ١٨٧٤ عندما شق الطريق الموصل بين بيت القاضي وسوق النحاسين أمام قبة قلاوون ، وفي سنة ١٨٨٢ سقطت مثلثة المدرسة ولم يبق قائما منها حتى الآن غير كتلة من المباني تبلغ مساحتها (١١ × ٥ متار) تكون جزءا من الركن الغربي وجزءا من الايوان الجنوبي وبداية عقد الايوان الشرق .

ويتقدم هذه الكتلة البنائية الواجهة الغربية للمدرسة التي تطل على شارع بين القصرين (المعز لدين الله الآن) ، يتوسطها باب يعلوه شريط كتابي به جزء من الكتابات المؤرخة . وخلف الواجهة غرفة صغيرة تشغل الزاوية الجنوبية الغربية ، ومن المحتمل أنها كانت سبيلا . كما تحتوى على نافذتين أحدهما تطل على الجهة الجنوبية للمدرسة والأخرى تطل على شارع المعز .

وقد احتفظت النافذتان بمعظم زخارفهما ، إذ يعلو عتب كل منهما عقد عاتق مكون من صنجات بديعة النقوش والزخرفة (R). وفي طبلة العقد يوجد رسم حيوانين اعلمهما رسم فهدين متقابلين . وتستمر الواجهة الجنوبية مسافة (١١٣٠) مترا حتى تلتقى بحائط ضريح السلطان نجم الدين أيوب . كما توجد نافذة ثالثة (Q) في هذه الواجهة توافقت معظم مبانيها ولم يبق منها غير بعض صنجات بعقدتها العاتق .

وقد كسيت هذه الكتلة في الجزء العلوى منها بأحجار اعلمها أخذت من أرضية الدور الأول للمنزل الذى بنى على المدرسة في النصف الأول من القرن (١٩) ، كما تظهر في الصورة اليدوية التى رسمها (Charidan) (١) . وعلى بعد (١١٥) مترا من زاوية الركن يوجد الايوان ، الذى تبلغ فتحته (٧٧) أمتار وعمقه (٧٢) أمتار بنيت جوانبه من الحجر جدد جزء كبير منه في عصور متأخرة ، وعمل له محراب في الجهة الجنوبية الشرقية في نفس الوقت . ويتصل هذا الايوان بجزء من الردهة المقبية (L) التى تعتبر الدهليز الثانى لضريح الصالح نجم الدين عن طريق عقدتين من الداخل والمخرج ولكنهما سدا الآن .

ويوجد خلف المساكن وعلى الجانب المقابل من شارع (بيت القاضى) عقد كبير يخيل للإنسان معه أنه قد يكون الايوان المقابل . ولكن ذلك لا يمكن أن يكون ، أولا لأنه ليس على محور الايوان الشرقى ، فهو يقع إلى الشمال الغربى ، والسبب الثانى أن فتحته (٧٢٠) أمتار بينما فتحة الثانى (٨٧) أمتار ولم يحدث أن تقابل ايوانان غير متساويى الفتحة . وقد فحص الأستاذ كزويل العقد فوجده لايمت بصلة بقبو أو خلافة ، ويرجح أن يكون عقد الايوان خشبيا مسطح السقف يتصل بمبنى آخر قد اندثر .

وقد أعاد الأستاذ كزويل تخطيط المدرسة ، فوجد أنه من المرجح أن تكون المسافة بين المدخل والمحراب (٥٥) مترا كما هو الحال في المدرسة الصالحية حيث تبلغ المسافة (٥٤٧) مترا ابتداء من شارع المعز . وقد استعان كزويل بالرسوم التى رسمها (Robert David)

سنة ١٨٣٩ ، وصورة أخرى مجهولة المصدر ، وفيهما يظهر المدخل المزخرف بالمقرنصات لأول مرة في تاريخ العمارة الإسلامية في مصر . وبذلك يمكن القول أن المدرسة الظاهرية تسبق في هذه الظاهرة أقدم مدخل مقرنص باق حتى الآن وهو مدرسة وضريح زين الدين يوسف (سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٨ م) .

ويقول كزويل أن هذا النوع من المداخل المزخرفة بالدلايات ليس من ابتداع المصريين إذ أنه وجد في سوريا قبل مصر بقرن من الزمان ، فقد وجد بمدرسة (شادبخت) بحلب التي ترجع إلى سنة ٥٨٩ هـ ومشهد الامام الحسين بحلب سنة ٥٩٦ هـ كما هو ثابت من التاريخ المنقوش على المدخل وقد رتب كزويل المدارس التي سبقت المدرسة الظاهرية التي اشتملت واجهاتها على دلايات قبل المدرسة الظاهرية على الوجه التالي:

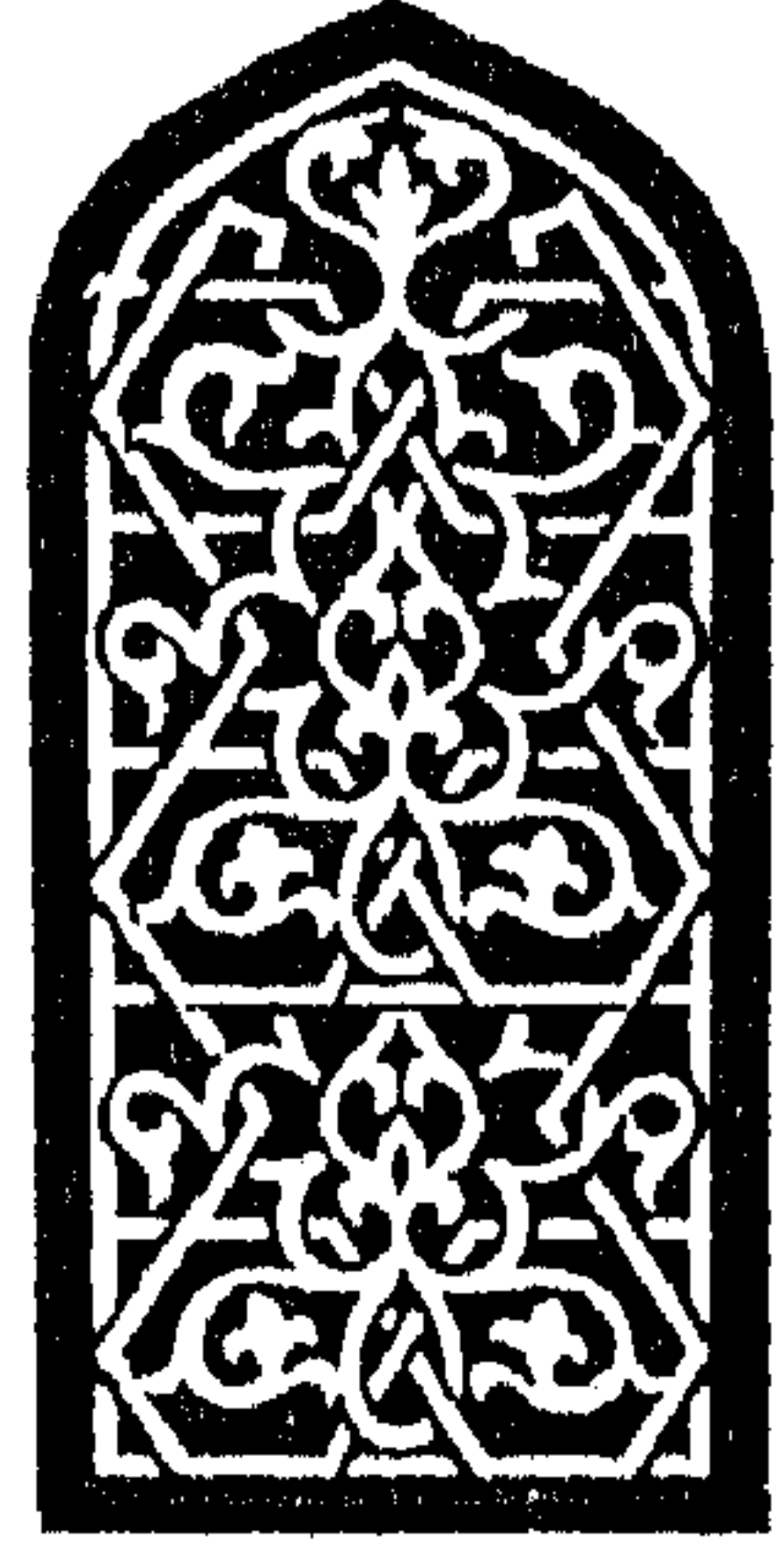
- (١) المدرسة الظاهرية بالفردوس خارج حلب التي بناها الملك الظاهر غزى سنة ٦١٦ هـ
- (٢) المدرسة الكاملية في ضاحية قرب الفردوس وقرب المدرسة الظاهرية بحلب ويمكن ارجاعها إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري .
- (٣) جامع ومدرسة الفردوس خارج حلب وهي مؤرخة سنة ٦٣٣ هـ .
- (٤) رباط خانقاه بحلب سنة ٦٣٥ هـ .
- (٥) المدرسة الظاهرية بدمشق التي بدأ بناءها بيبرس سنة ٦٧٦ هـ وتمت سنة ٦٨٠ هـ بعد وفاة ابنه .

وتظهر في الصورة المدرسة الظاهرية وأمامها قبة ومدرسة قلاوون وفي ركنه سبيل الناصر محمد ومدخل المدرسة الظاهرية يحتوى على دلايات وبعدها يظهر سبيل وكتاب خسرو باشا . كما يظهر من الصورة اليدوية صورة ولجنة حفظ أنه يوجد شريط عريض من الكتابة بالخط الثلث تحت الدلايات مباشرة ، كما توجد مشربية محمولة على كوابيل ، كما يظهر من هذه الصورة الأخيرة ، أن المدرسة الظاهرية كانت بارترفاع عمائر قلاوون وأنه يوجد على جانبيها خلاو للطلبة .

ويعلق كزويل على نشأة المداخل ذات الدلايات ، بأنها بدأت في شمال سوريا في حلب .
سنة ٥٨٩ هـ ومع ذلك لم تنتشر في سوريا حتى في أقرب البقاع لحلب مثل معرة النعمان
التي تبعد عنها (٥٠) كيلومتر جنوبا ، كما لم تظهر في دمشق إلا في النصف الأول من
القرن السابع الهجري . ولم تظهر في بيت المقدس إلا سنة ٧١١ هـ . أما في مصر فعلى الرغم
من ظهورها في عصر بيبرس في القرن السابع الهجري إلا أنها لم تنتشر فيها وفي الشام إلا في
بداية القرن الثامن الهجري .

من الأجزاء الهامة التي ماتزال باقية من المدرسة الظاهرية والتي تشهد بعظمتها بابها
المصفح الموجود حاليا بالمفوضية الفرنسية (سابقا) والسفارة الفرنسية الآن بالجيزة أمام
حديقة الحيوان . فقد أخذه الكونت دي سانت موريس سنة ١٨٧٤ ، بعد هدم معظم
أجزاء المدرسة الظاهرية واستعمله في مبنى المفوضية . والباب مؤرخ سنة ٦٦١ هـ بالحروف
مما جعل (فان برشم) يشك في هذا التاريخ ، لأنه لا توجد كتابة مؤرخة كتبت بالأرقام
قبل الفتح العثماني ، اللهم إلا ضريح سنقر السعدي (سنة ٧١٥ هـ - ١٣١٥ م) .

وبالكشف الدقيق على الباب تبين أن ثلاث كلمات بالإضافة إلى التاريخ قد أضيفت
حديثا ، كما أنه قطع من أول شريط الكتابة ثلاث كلمات لكي يوضع مكانها التاريخ
في نهاية الشريط . وعلى ذلك فقد أكد (فان برشم) أن أحد التجار كان يعلم أن الباب
مأخوذ من المدرسة الظاهرية فوضع التاريخ ليؤكد نسبته للمدرسة فيرتفع ثمنه .



جامع الظاهر بيبرس

ومن منشآت السلطان الظاهر الدينية الهامة جامعة المعروف باسمه والذي يصفه المقرئى
فيقول : هذا الجامع خارج القاهرة وكان موضعه ميدانا فأنشأ الظاهر بيبرس البندقدارى
جامعا .

ويقول جامع السيرة الظاهرية : اهتم السلطان بعمارة جامع بالحسينية في ربيع الآخر
يعنى سنة خمس وستين وستمائة ، وسير الاتابك فارس الدين اقطاي المستعرب والصاحب
فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا وجماعة من المهندسين اكشف مكان
يليق أن يعمل جامعا ، فتوجهوا لذلك واتفقوا على مناخ الجمال السلطانية فقال السلطان ،
لا والله لاجعلت الجامع مكان الجمال وأولى ما جعلته ميدانى الذى ألعب فيه بالكرة وهو
نزهتى . فلما كان يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر ركب السلطان وصحبه نخواده
والوزير الصاحب بهاء الدين على بن حنا والقضاة ونزل إلى ميدان قرقوس وتحدث
في أمره وقاسه ورتب أموره وأمر بنائه ورسم بأن يكون بقية الميدان وقفا على الجامع
يحكر . ورسم بين يديه هيئة الجامع وأشار أن يكون بابه مثل باب المدرسة الظاهرية
وأن يكون على محرابه قبة قدر قبة الامام الشافعى .

ويضيف المقرئى فيقول : وكتب السلطان في وقته الكتب إلى البلاد باحضار عمد
الرخام من سائر البلاد وكتب باحضار الجمال والجواميس والأبقار والدواب من سائر
الولايات وكتب باحضار الآلات من الحديد والأخشاب النقية برسم الأبواب والسقوف

وغيرها . كما ولى عدة مشيدين (ملاحظين) على عمارة الجامع ، وشرع فى العمارة فى منتصف جمادى الآخرة منها .

ويستطرد المقرئى فى ذكر أخبار السلطان بيبرس فيما يختص بجامعه فيقول : وكان إلى جانب الميدان قاعة ومنظرة عظيمة بناها السلطان الملك الظاهر ، فلما رسم ببناء الجامع طلبها الأمير سيف الدين قشتمر العجمى من السلطان فقال الأرض قد خرجت عنها لهذا الجامع (يعنى جامع الأزهر) فاستأجرها من ديوانه ، والبناء والأصناف وهبتك أياها .

وظلت الشعائر الدينية مقامة بهذا الجامع العظيم ولم تعطل إلا منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى وذلك لاتساع رقعته وعجز الدولة عن الصرف عليه . وكان من نتائج ذلك أن ساءت حالة الجامع وتخرّب ، فحوّله العثمانيون إلى مخزن للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها . وفى عهد الحملة الفرنسية تحوّل الجامع إلى قلعة وثكنات للمجنّد وعرف الجامع فى ذلك الوقت باسم قلعة سيكوفسكى^(١) . وفى عصر محمد على تحوّل الجامع إلى معسكر لطائفة ومخبز للجراية ، ثم استعمل بعد ذلك مصنعا للصابون .

وفى سنة ١٨١٢ نقلت أعمدة الجامع الرخامية وكذا بعض أحجاره لبناء رواق الشارقة بالجامع الأزهر وذلك بناء على رغبة الشيخ الشرقاوى ، كما يقال إن بعض أعمدة الجامع استعملت فى بناء قصر النيل . ومنذ سنة ١٨٨٢ م اتخذته جيش الاحتلال البريطانى مخبزا ثم ملابحا . وقد عرف ولا يزال باسم (ملبّح الانجليز) وإن كان الملبّح قد أوقف منذ سنة ١٩١٥ م .

وفى سنة ١٩١٨ تسلّمت لجنة حفظ الآثار العربية الجامع فأصلحت بعض أجزائه ورممتها وخاصة الجزء المحيط بالمحراب وجعلت منه مصلى ، أما باقى الجامع فقد حولته مصلحة التنظيم إلى منتزه عام . وفى سنة ١٩٧٠ بدأت مصلحة الآثار تهم بإعادة بناء الجامع وإرجاعه إلى حالته الأولى وإنا لنترجو أن توفق المصلحة فى رسالتها الجليلة .

(١) الخطة التوفيقية ج ٥ ص ٤٣

(٢) سليمان رصد الحنفى : كنز الجواهر فى تاريخ الأزهر ص ٤٥

وصف الجامع

وبرغم ما عانه جامع بيبرس من الاهمال وسوء الاستعمال كما سبق الذكر ، فإنه ما يزال يسترعى إعجاب الناظرين بجمال عمارته وفخامة مبانيه التي تظهر لأول وهلة في مداخله التذكارية ونقوشه الجصية .

يتكون الجامع من مربع يبلغ طول ضلعه (١٠٠) متر ويحيط به سور من الحجر يبلغ ارتفاعه (١٠ر٩٦) أمتار ويعلو السور شرافات يبلغ ارتفاعها (١ر٣٠) متر . ما يزال جزء منها باقيا في الضلع الجنوبي من المسجد . ويبلغ سمك جدار السور (١ر٦٥) متر . على أن هذا السمك يقل أسفل فتحة النوافذ بحيث يصبح عرضه (١ر٥) متر . والسور مبني من الحجر المشذب ويبلغ ارتفاع كل مدامك (٣٠) سم .

وقد قويت أركان الجامع من الخارج بأربعة أبراج اثنان مربعان على طرفي الضلع الشرقي والآخران مستطيلان . والأبراج مصممة ماعدا ذلك الذي يشغل الركن الجنوبي الغربي فهو مجوف إذ يشغله درج يؤدي إلى سطح الجامع . وقد فتحت في البرج الأخير أربع نوافذ صغيرة في الجهة الغربية واثنان في الجهة الجنوبية واثنان في الضلع الشرقي وكذلك قوى السور الخارجى بدعائم كذا سائدة يبلغ عددها في الضلع الشمالى ثمانية وكذا في الضلع الجنوبي ، ويبرز كل منها عن سمت السور بمقدار (٨٥) سم وعرضها (١ر٧٠) متر . والقصد من هذه الدعائم السائدة هو تحمل الضغط الطارد لبوائك ايوان القبلة وكذا بوائك الايوان الغربي .

وقد فتح في الجزء العلوى من السور اثنان وسبعون نافذة يعلوها عقد مدبب بمعدل ثمانى عشرة نافذة في كل ضلع . وقد كانت هذه النوافذ مملوءة بالجص المخرم والزجاج المعشق من الداخل والخارج وقد دب التلف إليها جميعا وإن كانت هناك بقايا يمكن الاستعانة بها لاعادتها إلى ما كانت عليه .

ويحتوى المسجد على ثلاثة مداخل تذكارية بارزة عن سمت السور الخارجى ،
المدخل الرئيسى منها يتوسط الضلع الغربى أما المدخل الشمالى والمدخل الجنوبى فينوسطان
صحن الجامع فقط .

ويعتبر المدخل الرئيسى تحفة معمارية رائعة إذ يبلغ اتساعه (١١ر٨٣) مترا ويبرز عن
سمت السور بمقدار (٨ر٨٦) أمتار . ويتوسط المدخل باب معقود يبلغ سعة عقده (٣ر٩٥)
مترا ومزخرف بصنجات مفصصة وكان يتركز على عمودين من الرخام فقد الآن .
وعلى جانبي هذا الباب من أسفل يوجد حنيتان مستطيلتان يعلوهما صفان من الدلايات
وبداخلهما تجويفان يعلوهما عقد مفصص .

أما الجزء العلوى من الباب فيشغل خاصرية حنيتان يعلوهما عقد منكسر مفصص
يتوسطه جامة مستديرة مفصصة لذلك . وعلى الجانب الداخلى لكل من الحنيتين يوجد
شكل نجمى به كتابة بالخط الجلالة (الله) ويعلو كلا من الحنيتين شريط به كتابة
قرآنية اندثر معظمها الآن .

أما جانبا المدخل البارزان عن سمت بمقدار (٨ر٨٦) أمتار فيزخرف كل منهما
ثلاث حنيات مستطية يعلوها عقد منكسر ويتوسطه جامة مستديرة ويعلو الحنيات
ثمانية مربعات وثلاث دوائر تملؤها زخارف نباتية وهندسية جميلة .

ويؤدى باب المدخل الرئيسى إلى ممر مقبب فى أوله ثم ينتهى بقبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية
مقعرة . والقبة تغطى جزء مربع من الممر فقط وعلى جانبي القبة يوجد تجويفان يتقدمهما
أربعة أعمدة ويعلوهما عقدان مدبيان . وينتهى الممر بعقد مدبب كبير داخل حنية
كبيرة يؤدى إلى الايوان الغربى المقابل لايوان القبلة .

ويبدو من الرسم الذى جاء فى كتاب وصف مصر للحملة الفرنسية أن المدخل كانت
تعلوه غرفة مربعة مزخرفة واجهتها الغربية بحنية يعلوها عقد منكسر مثل تلك الحنايا التى

تزخرف بالمدخل التذكاري . ويرجح كزويل أن هذه الغرفة هي الطابق الأول من مئذنة الجامع التي ما تزال بعض بقاياها موجودة حتى الآن ، والتي تشبه مئذنة المدرسة الصالحية بالنحاسين التي بنيت قبل الجامع بخمسة وعشرين عاماً فقط .

أما المدخلان الآخران في الجهة الشمالية والجنوبية من الجامع فمتمشاهان وهما أصغر من المدخل الرئيسي إذ يبلغ عرض الواحد منهما (٨ر١٣) أمتار ويبرز عن سمت الحائط بمقدار (٤ر٣) أمتار ويتوسط المدخل عقد كبير يبلغ سعته (٣ر٧٣) أمتار مزخرف بصنجات جميلة تحتوي على زخارف نباتية . وعلى جانبي العقد توجد حنيات يعلوها صفان من الدلايات وأعلى الحنيات وفي خواصر عقد المدخل توجد جامتان بهما زخارف نباتية .

ويختلف المدخل الجنوبي على الشمالي في أن خواصر عقد المدخل تحتوي على جامتين ومعينين مزخرفين كما أن الجزء الأسفل من بناء المدخل مكون من مداميك صف منها أبيض والآخر أحمر مما يعرف في العمارة الإسلامية باسم (الأبلق) .

ويؤدي عقد كل مدخل إلى مربع يغطيه أقباء متقاطعة وعلى جانبيه حنيتان تعلوهما عقود بها صنجات مزخرفة . وينتهي ممر المدخل بباب مستطيل يعلوه عتب مكون من صفين من المداميك الملونة بالأبيض والأحمر على التبادل . ويعلو العتب عقد عاتق ، وقد زخرف طيلة العقد بكتابات قرآنية بالخط النسخي ، وفي وسط الطيلة توجد قطعة من الحجر نقش عليها تاريخ بناء الجامع بالخط النسخي في ثمانية سطور نصها « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السلطان الظاهر بيبرس في ١٤ ربيع الثاني سنة خمس وستين وستمائة (١٢٦٧ م) .

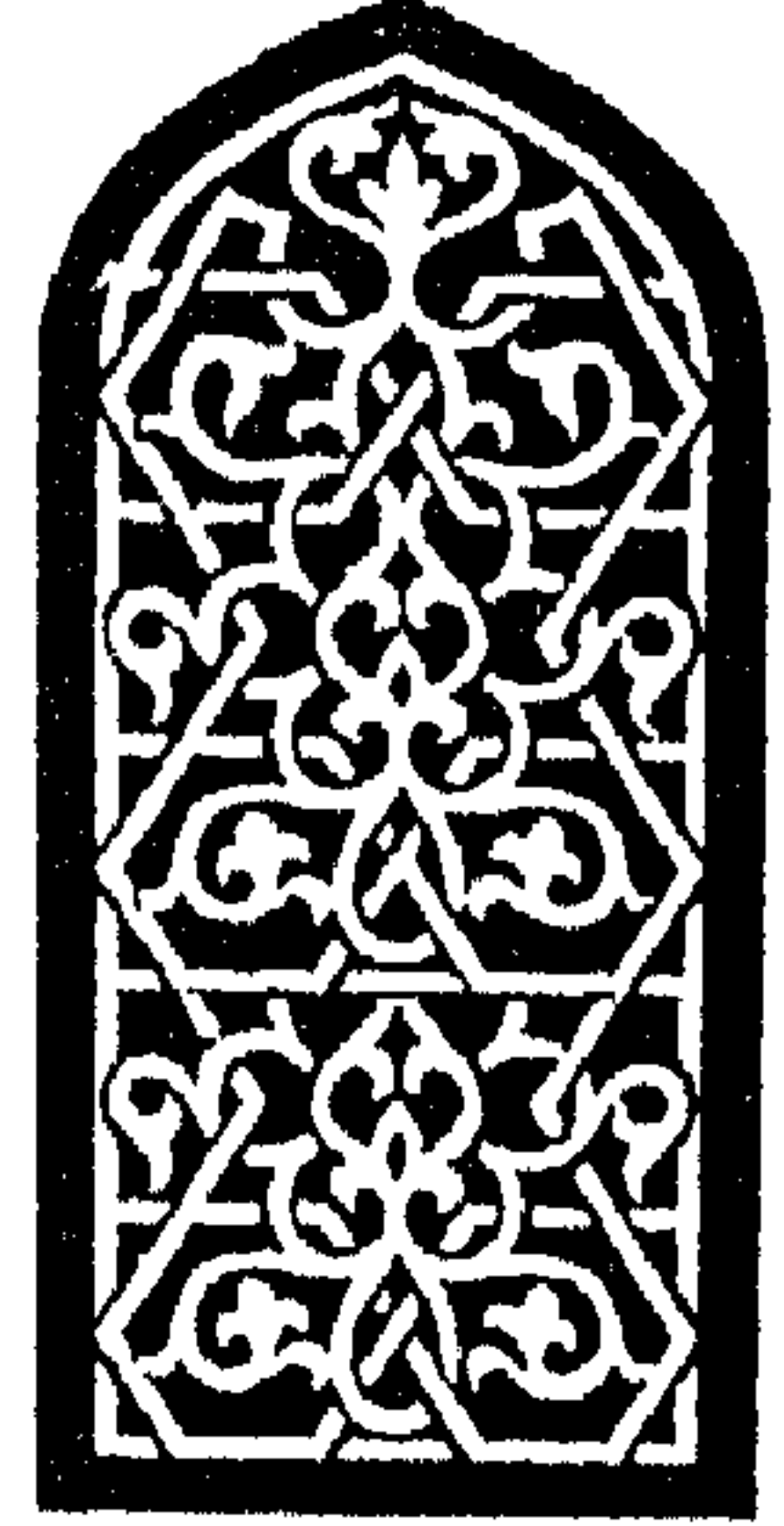
ويتكون الجامع من الداخل من صحن مربع تقريباً يتوسطه إذ تبلغ مساحته (٦٠ر٧٠) متراً وتحيط بالصحن الأروقة من جهاته الأربع . ويبلغ عقد بوائك إيوان القبلة ستة . أما الجانبان الشمالي والجنوبي فبكل منهما ثلاث بوائك وتحتوي الجهة الغربية على بائكتين . وترتكز بعض البوائك على أعمدة والأخرى على دعائم .

ونلاحظ أن جميع البوائك التي تطل على صحن الجامع ترتكز على دعائم كما أن إيوان القبلة ترتكز بائكتان من بوائكه الست على دعائم . كذلك نجد أن جميع المجازات التي

تتوسط بوائك الأضلاع الأربعة والتي تؤدي ثلاث منها إلى الأبواب والمداخل الخارجية تتركز على دعائم .

ولعل أهم ما يتميز به جامع الظاهر بيبرس هو احتواؤه على مقصورة تتقدم المحراب . وتشغل هذه المقصورة تسعة إيوانات (3×3) أمتار مربعة ، وتبلغ مساحتها (١٥٥) مترًا مربعًا ويتكون كل ضلع من أضلاعها الثلاثة من ثلاثة عقود المتوسط منها يرتفع إلى سقف الجامع . ويبدو أن كل دعامة من دعائم المقصورة تحتوى أركانها على أعمدة ملتصقة سقط معظمها الآن ويتوسط الضلع الرابع من المقصورة محراب كبير مجوف على جانبيه حنيتان مسطحتان يعلوهما نافذتان . ويعلو المحراب لوحة من الرخام عليها كتابات تثبت تاريخ إنشاء المقصورة والقبة التي كانت تغطيها ونصها : أمر بإنشاء هذه القبة المباركة سنة ست وستين وستمائة (١٢٦٨ م) ويؤدي مجاز إيوان القبلة الذي يتكون من ثلاثة عقود المتوسط منها أكبرها وأوسعها إلى المقصورة .

أما تغطية الجامع فلم يبق منها شيء ، وإن كان من الواضح أنها كانت من الخشب فيما عدا المقصورة فقد كانت مغطاة بقبة مبنية من الآجر الذي استعمل كذلك في بناء العقود جميعها:



ضريح ورباط الشيخ يوسف العجمي العدوي سنة ٦٦٧هـ

المعروف بضريح مصطفى باشا
(بقرافة الإمام الشافعي)

هو الشيخ الصالح القدوة العارف ، مربى المريدين قدوة العارفين يوسف العجمي . كان عارفاً بسلوك الطريق أدرك الشيخ يحيى الصنافيري ، وكان يزوره ويفهم ما يقوله من الإشارات ، وله مناقب جليلة وله ذرية باقية إلى الآن^(١) ، وهو جد زين الدين المتوفى سنة ٩٦٧ هـ .

ويقول ابن الزيات^(٢) ، أن الشيخ يوسف العجمي العدوي من أصحاب الشيخ عدي^(٣) ابن مسافر . ومن الروايات التي كان يرويها الشيخ نفسه ، أنه جاع ليلة فرأى الشيخ عدي في المنام فقدم له طبقاً به عنب فأكل منه ، فاستيقظ فوجد حلاوة العنب في فيه^(٤) .

وكان للشيخ يوسف العجمي تأثير كبير على السلطان الظاهر بيبرس حتى أنه كتب بإزالة الخمر وإبطال الفساد والخواطىء من القاهرة ومصر وجميع أعمال (أقاليم) مصر فظهرت كلها من المنكر . ونهبت الخانات التي جرت عادة أهل الفساد الإقامة بها . وسلبت جميع أموال المفسدات وحسن حتى يتزوجن . كما أمر بنفى كثير من المفسدين ، وكتب السلطان إلى جميع البلاد بمثل ذلك .

(١) تحفة الأحياب ص ٣٣٣

(٢) الكواكب السيارة ص ١٨٦

(٣) أنظر الشيخ زين الدين بن مسافر

(٤) المصباح المنير : ص ١١٩

وكان الشيخ يوسف راجع العقل نافذ البصيرة مما جعل السلطان بيبرس يستشيريه ويأخذ برأيه في أدق أحوال البلاد السياسية ، فقد كان شيخنا من أقوى المشجعين والمؤيدين للسلطان في نقل الخلافة العباسية من العراق بعد سقوطها على يد التتار ، إلى مصر . فقد حدث عندما أحضر السلطان الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس أحمد بن الأمير أبي علي الحسن من العراق سنة إحدى وستين وستمائة كان الشيخ يوسف العجمي أول من بايعه بالخلافة في مصر بعد السلطان^(١) .

وعندما انخفض منسوب فيضان النيل سنة اثنتين وستين^(٢) وستمائة ووقع الغلاء بمصر فبلغ الأردب من القمح مائة درهم وخمسة دراهم نقرة (فضة خالصة) والشعير سبعين درهماً للأردب ، وثلاثة أرطال خبز بدرهم نقرة ورطل اللحم بدرهم وثلث ، أقول عندما وصلت أسعار الحاجيات والمعاش هذا الحد من الغلاء ، أشار الشيخ يوسف على السلطان أن يوزع الفقراء على الأغنياء والأمراء وألزمهم بإطعامهم . ففعل كما أشار عليه بتفريق القمح من شونه الخاصة على الزوايا والربط ، وترتب للفقراء كل يوم مائة أردب مخبوزة تفرق بجامع أحمد بن طولون . وقد دام الأمر على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة والغلة الجديدة .

كذلك كان الشيخ يوسف صاحب حظوة ومسموع الكلمة عند الكثير من الأمراء والوجهاء فقد كان الأمير حسام الدين لاجين بن عبد الله العزيزي الجوكندار^(٣) ، وهو من أكابر الأمراء وأعظمهم شأنًا ، شجاعًا جوادًا دينًا له اليد البيضاء في غزو التتار ، كان هذا الأمير لا يرد لشيخنا طلبًا ، فقد كان يجمع الفقراء ويصنع لهم الأوقات والسماعات (الحفلات الدينية) ، وذلك بتوجيه من الشيخ يوسف .

ومن الأمراء الذين أحاطوا الشيخ يوسف بالعناية والرعاية الأمير جمال الدين موسى ابن يغمور بن جلندك بن بلهان^(٤) ، الذي كان يتعلم على يديه في أمور دينه كما كان

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٤٧٩

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٢١٣

(٣) ابن قنبرى بردى : المنهل الصافى ص ٢٢٧

(٤) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك في حوادث سنة ٦٦٣ هـ

يحضر في رباطه دروس الحديث . وبرغم كثرة تنقلات هذا الأمير في الولايات مثل نيابة السلطنة في دمشق ثم نيابة القاهرة إلا أنه كان يداوم المراسلة والاستفسار عن الشيخ يوسف . ويصف الشيخ يوسف الأمير جمال الدين فيقول : « لم يكن في الأمراء من يفضاه في منزله وشجاعته وقربه من الملوك ، وكان أميراً جليلاً خبيراً حازماً سيوساً مدبراً جواداً ممدحاً . وكان الملك الظاهر ، إذا عمل مشورة وتكلم جمع خشداشيته من الأمراء ، فلا يصغي إلا إلى قول ابن يغمور هذا ويفعل ما أشار به عليه » وكان شاعراً مجيداً ومن شعره قوله :

ما أحسن ما جاء كتاب الجب يبلى حرقاً كأنه عن قلبي
فازددت بما قرأت شوقاً وضماً لا يسبرده إلا نسيم القرب^(١)

ومن معاصري الشيخ يوسف العجمي من العلماء ورجال الدين الذين كانوا يجمعون به ويترددون عليه ويستمعون إليه القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود ابن بدر أبو محمد العلّامي الفقيه الشافعي المعروف بابن بنت الأعز . كان إماماً فاضلاً ولى كثيراً من المناصب الجليلة كنظر الدواوين والوزارة وقضاء القضاة ودرس بقبة الإمام الشافعي . وكان الشيخ يوسف هو صاحب الفضل في كل ما ولى القاضي تاج الدين من المناصب ، فهو الذي أسمع السلطنة عنه ، فقربه منه وأصبحت له مكانة خاصة عند السلطان الظاهر بيبرس^(٢) ، ولما توفي القاضي تاج الدين سنة خمس وستين وستمائة حزن عليه شيخنا حزناً شديداً وشيعه إلى مقره الأخير حيث دفن بسفح جبل المقطم^(٣) .

ومن العلماء الملازمين للشيخ يوسف الشيخ الإمام المحدث تاج الدين أبو الحسن علي ابن أحمد بن محمد بن ميمون القيسي المصري المالكي المعروف بابن القسطلاني . وكان

(١) ولد الأمير جمال الدين موسى بن يغمور سنة تسع وتسعين وخمسمائة بقرية القوب ، من أعمال قوص ، التي تعرف اليوم باسم كوم يعقوب إحدى قرى مركز نجع حمادى بمحافظة قنا . وتوفي بالقصير من أعمال الفاقوسية بين الفراق والصالحية سنة ٥٦٣ هـ .

والقصير التي ذكرها المقرئ في السلوك وفي المخطوط ج ٢ ص ٣٠١ ، هي كما يقول محمد رمزي (في حاشية النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٨٣) هي القرية التي تعرف اليوم باسم الجماعرة إحدى قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية .

(٢) المقرئ : السلوك ج ١ ص ٥٥٥

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٢٢٣

الوصف المعماري

تبلغ مساحة الضريح المسمى خطأ ضريح مصطفى باشا ٢٣ متراً عرضاً + ٢٨ متراً عمقاً . وهو بناء لا مثيل له في مصر ، وقد بنيت جدرانها من الخارج من الحجر الكبير المقطوع (Cut stone) ومن الداخل من حجر صغير (talatat) والعقود والأقباء من الآجر . ويوجد المدخل الحالي في الركن الشمالي الغربي للضريح ، ويبلغ اتساعه ١٤١ متر وارتفاعه ٢٧٧ متر ويحتوى على عتبة من الجرانيت الوردى ويعلوه عقد على شكل حدوة فرس مستديرة مزخرفة بصفنجيات . ويقع المدخل في إطار مستطيل يزخره أقواس صغيرة - (chevron) أول مثال من نوعه في مصر .

وعندما ندخل من الباب نجد أنفسنا في ردهة مربعة طول ضلعها (٣٢٠) أمتار مغطاة بقبو متقاطع وفي نهايتها توجد حنية عمقها (٢) متر مغطاة بقبو وترتفع عن أرضية الردهة بمقدار (٢٨ سم) الأمر الذي يعتقد معه أنها كانت أشبه بمصطبة على جانبها الشرقى نافذة . وفي الضلع الغربى يوجد باب يؤدي إلى ممر مواز للردهة على يساره سلم وفي نهايته الجنوبية باب يوصل إلى الصحن . ويتكون الصحن من مربع طول ضلعه ١١٥٠ × ١١٢٠ متراً على جانبيه الشرقى والغربى خمس خللوا مقببة اتساعها ١٨٠ أو ١٦٩ متر وعمقها ٢١٨ م ويعلو صف الخللوى طابق آخر سقفه من الخشب ويضيئه فتحات على شكل شق السهام وفتحة متسعة ذات عقد ذى زاوية يطل على الصحن .

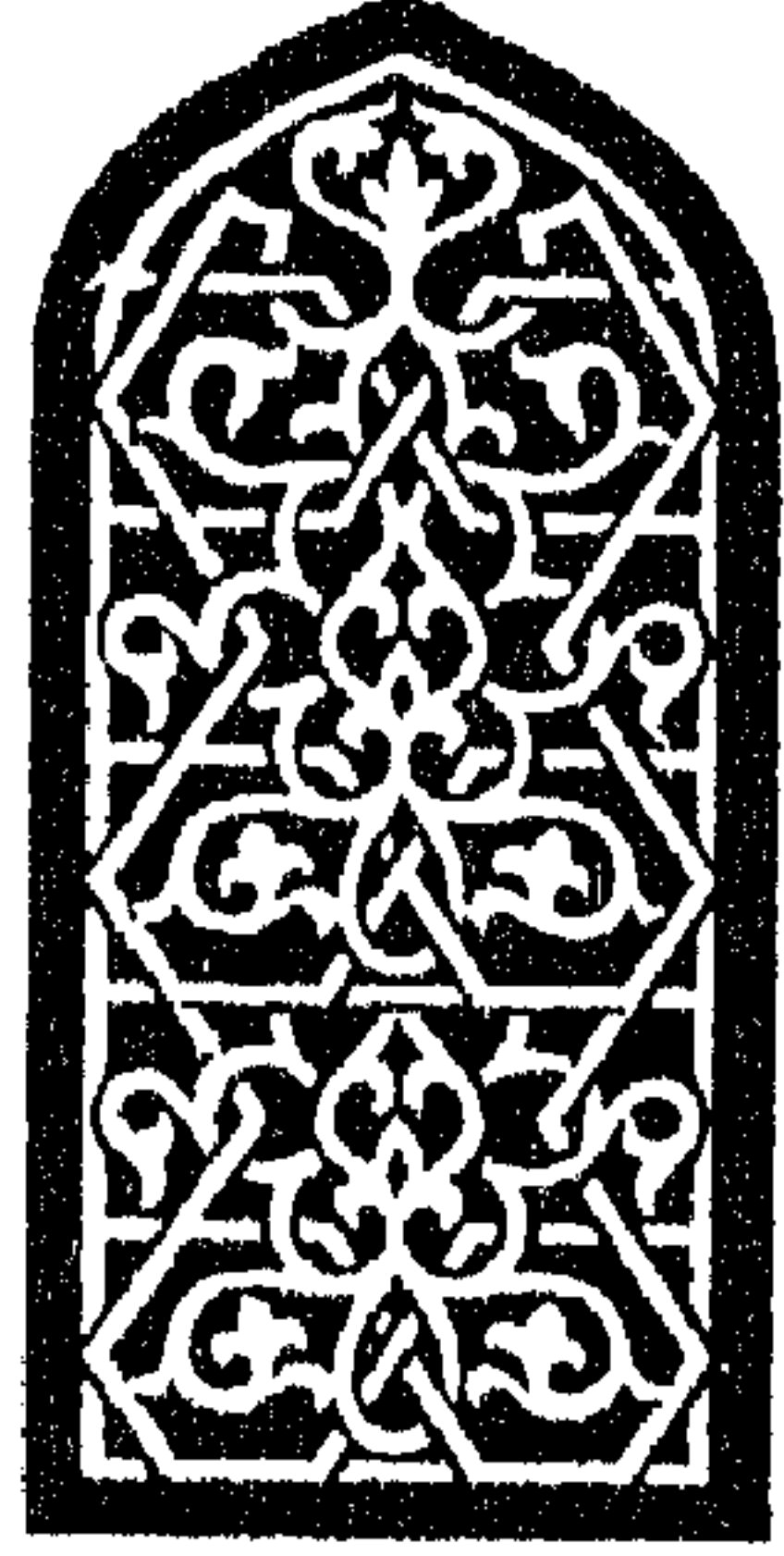
وفي الضلع الجنوبي من الصحن يوجد إيوان كبير مقبب يبلغ اتساعه ٥٦٥ × ١٧٧ أمتار عمق في نهايته محراب يعلوه عقد ذو زاوية منحرف (askew) لكى يكون فى اتجاه القبلة تماماً حيث أن المبنى يقابل الجهات الأربع تماماً . على جانبي المحراب يوجد حنيتان لعلهما كانا يستعملان كدواليب (Placar) . كما يعلو المحراب نافذة ذات ثلاث فتحات يحيط بها شريط من الخط الكوفي والجزء الباقى من الجدار ملئ بزخارف جصية غاية فى

الدقة والجمال ويحيط بكل هذا شريط من الخط (بسم الله الرحمن الرحيم) النسخى . على يسار الإيوان توجد غرفة مساحتها 338×98 أمتار عمق في صدرها ثلاثة محاريب منحرفة لكي تكون في اتجاه القبلة . والمحاريب مزخرفة بزخارف جصية جميلة ويعلوها نافذة من ثلاث فتحات . وعلى الجانب الأيمن للإيوان الكبير نجد بابا يؤدي إلى ممر ضيق ضلعه الغربى حائط حديث . كما أن كل الضلع الغربى للصحن كله حديث ماعدا جزءا صغيرا في النهاية الجنوبية .

وفي الجهة الشمالية من الصحن توجد غرفة مستطيلة مقبية وبوسط القبو فتحة مربعة للإضاءة وقد قسمت هذه الغرفة حوائط حادثة . كما يوجد في الواجهة الشمالية مدخل سد الآن . ويحتفظ هذا الضريح بشرافات في الجهة الشرقية وهي تشبه الموجودة بمسجد العيوشى والسيدة رقية والخلفاء العباسيين .

التاريخ :

ويرجح كزويل اعتمادا على ابن الزيات أن يكون هذا الضريح الموجود بالقرافة الجنوبية للشيخ يوسف العجمى العدوى جد زين الدين يوسف . ويقول السخاوى أن الأمير ازدمر الصالحى رمم رباطا به مجموعة من الخلاوى ، وأن به ضريح الشيخ ابن يوسف ، وتقيم به مجموعة من الدراويش ، كما دفن به الشيخ مهيب الدين أبو الفرج الذى كان شيخ مدرسة الحديث الكاملية ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ . ولما كانت الزخارف الجصية تشبه تلك الموجودة بجامعة بيبرس الذى بنى سنة ٦٦٦ هـ . لذلك فإن كزويل يقول بأن المبنى هو رباط وضريح الشيخ يوسف العجمى العدوى وأنه يرجع إلى ما بين سنة ٦٦٦ هـ إلى سنة ٦٧٢ هـ .



ضريح فاطمة خاتون^(١)

أم الملك الصالح بن المنصور
قلاوون سنة ٥٦٨٢

الملك الصالح هو ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، الذي تولى سلطنة مصر سنة ٥٦٧٨. وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس تزوج المنصور قلاوون بابنة أحد أمراء المماليك وقد احتفل السلطان الظاهر بهذا الزواج احتفالا كبيرا، وتعهد بكل ما يلزم هذا الحفل من الولائم مما جعل الأمراء وكبار رجال الدولة يتسابقون في تقديم الهدايا إلى المنصور قلاوون. وكانت أعظم تلك الهدايا تلك التي قدمها له السلطان^(٢) والتي كانت تحوى الخيل والأنسجة الوشاة والشرابيش المذهبة والمرصعة بالجواهر والمناطق المكففة بالفضة والذهب والسيوف المرصعة والمزخرفة بالمينا والقصي المطعمة بالعاج والصدف وغيرها كثير، هذا بالإضافة إلى عشرة من المماليك. وقد قبل قلاوون الهدايا كلها فيما عدا المماليك، فقد اعتذر عن قبولهم قائلا: هؤلاء خوشداشيتي^(٣) في خدمة السلطان « وقد قبل السلطان اعتذاره، وأثنى عليه. وعلى بعد نظره وثاقب فكره.

وعندما تولى المنصور قلاوون سلطنة مصر وضع نصب عينيه القضاء على التتار الذين احتلوا جزءا من بلاد الشام، لذلك نجده يكتب إلى الأمير سيف^(٤) الدين بلبان الطباختي

(١) يسميها المقرئى : مدرسة تربة أم الصالح (المجلد ج ٢ ص ٢٩٤)

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ١١٩

(٣) خوشداش هو الزميل.

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٦٨٤

نائب حصن الأكراد بغزو الفرنج بالمرقب ، لمساعدتهم التتار ، عند وصولهم^(١) حلب ، ولم يكن قد مضى على توليه السلطنة غير أسبوع واحد . فقام الأمير سيف الدين بتجميع التركمان وغيرهم وحمل المجانيق والآلات ونازل المرقب ، فانهزم المسلمون ونهبهم الفرنج ، وعدم من المسلمين مقدار مائتي^(٢) فارس وراجل .

فكبر ذلك على السلطان وتحرك للسفر فجمع أعيان مملكته بقلعة الجبل وجعل ولده علاء الدين عليا ولي عهده ولقبه « الملك الصالح » وخطب له على المنابر^(٣) . ورتب السلطان الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى استخراج الأموال وتدبير أمور المملكة ، وجعله فى خدمة الملك الصالح مع الوزير برهان الدين السنجارى^(٤) .

وقد تزوج السلطان الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨١ هـ (بخوند أشلون^(٥)) ابنة (الأمير سكينى) بن قراجين بن جنغان نوين ، الذى وفد على مصر فى عهد السلطان الظاهر^(٦) بيبرس وعاش فى كنف السلطان موفور الكرامة متمتعاً بكل ما كان ينعم به أمراء الممالك من حياة الترف والبذخ . والسيدة خوند أشلون هى (أم الملك الناصر محمد^(٧)) وكانت ذات حسن وبهاء أخذت بمجامع لب السلطان وعقله حتى أنه احتفل بهذا الزواج احتفالاً باهراً فاق فى رونقه الاحتفال بزواجه السابق وصرف فيه الأموال الطائلة^(٨) .

وحدث أثناء هذا الحفل أن رأى (على) الملك الصالح ، ابن السلطان ، إحدى المدعوات فأعجب بجمالها غاية الإعجاب وفتن بحسنها إلى أبعد حد . وكانت هذه السيدة زوجة

(١) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ص ١٥٨

(٢) ابن أبي الفضايل : النهج السديد ص ٣٢١

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٠٠

(٤) المقرئى : ج ١ ص ٦٨٤

(٥) Lane-Poore : A History of Egypt. p. 288 and Quatremère op. cit. III p. 54.

(٦) الزويرى : نهاية الإرب ج ٢٩ ص ٢٨٠

(٧) يذكر كزويل وفان برشم أن السيدة أشلون أم الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحبة الضريح الذى نحن بصدد الحديث عنه ، وهذا مخالف للحقبة التى جاءت فى جميع المراجع التاريخية ، ذلك أن المنصور قلاوون تزوجها سنة ٦٨١ هـ والضريح بنى سنة ٦٨٢ هـ . حيث دفن فيه زوجته فاطمة خاتون أم ولده على الملقب بالملك الصالح التى توفيت سنة ٦٨٢ هـ . كما دفن فيه ولدها الملك الصالح سنة ٦٨٧ هـ . أما خوند أشلون فقد ماتت فى سلطنة ولدها .

(٨) ابن إياس : ج ١ ص ١٢٣ Creswell : Muslim Architecture in Egypt vol. II p. 184.

الأمير كتبغا المنصوري ، الأمر الذي جعل الملك الصالح يكاد يهلك من الغم والحسرة لعدم استطاعته الزواج بها . فلما عرف السلطان بذلك سعى لدى الأمير كتبغا لتسريح زوجته ، فلما نجحت المسعى تزوج بها . وهكذا نرى أن الملك الصالح على ، قد تزوج (بعخوند منليك^(١)) ابنة الأمير سيف الدين نوقيه في نفس السنة التي تزوج فيها والده بأُم الملك الناصر محمد . وفي ذلك يقول ابن تغرى^(٢) بردى : « تزوج الملك الصالح على ابنة الأمير سيف الدين نوقيه وكانت تحت الأمير زين الدين كتبغا المنصوري فرآها الملك الصالح يوم حضرت مع نساء الأمراء يوم زفت مَهمَّ أشلون إلى السلطان ، ففتنته بحسنها حتى كاد يهلك ، فما زال السلطان بطرنتاي النائب حتى ألزم كتبغا بطلاقها فطلقها . وأفرج السلطان عن أبيها نوقيه من سجن الاسكندرية وأحضر إلى القاهرة وأنعم عليه بأمره ، وعقد العقد على خمسة آلاف عينا (دينار) عجل منها ألفا دينار » .

وفي سنة سبع وثمانين وستمائة مرض الملك الصالح مرضاً شديداً أدى إلى وفاته ، وفي ذلك يقول المقرئ^(٣) : « وفي يوم الأحد الخامس عشر من جمادى الأولى خرج السلطان مبرزا بظاهر القاهرة يريد الشام ، فركب معه ابنه الملك الصالح وحضر السباط ، ثم عاد الصالح إلى القلعة آخر النهار ، فتحرك عليه فؤاده في الليل وكثر إسهاله الدموى وأفرط ، فعاد السلطان لعيادته ولم يفد فيه العلاج . فمات الصالح بكرة يوم الجمعة من « سنطاريا كبديية » ويضيف المقرئ فيقول وتحدثت طائفة من المماليك بأن أخاه الملك الأشرف خليلا سَمَه » .

وقد صلى عليه بالقلعة قاضي القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز إماماً والسلطان خلفه في بقية الأمراء والملك الأشرف خليل . وقد اشتد حزن السلطان عليه وجلس للعزاء بالإيوان الكبير ، وأنشئت كتب العزاء إلى النواب بالممالك ، ورسم فيها ألا يقطع أحد شعراً ولا يلبس ثواب حداد ولا يغير زيه .

وفي مدة مرض الملك الصالح جاد السلطان بالمال وأكثر من الصدقات واستدعى الفقراء

(١) النويرى : نهاية الإرب ج ٢٩ ص ٢٨٠

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٢٠

(٣) السلوك : ج ١ ص ٧٤٤

والصالحين ليدعوا له . ومما يروى في هذا المقام ، أن السلطان بعث إلى الشيخ محمد المرجاني أحد أولياء الله الصالحين في عهده ، يدعوهُ فأبى أن يجتمع به ، فأرسل له مع الطواشي (مرشد) خمسة آلاف درهم ليعمل بها وقتاً (حفلة للذكر وقراءة القرآن) للمفقراء ، حتى يطلبوا ولد السلطان من الله تعالى ، فقال له الشيخ « سلم على السلطان وقل له متى رأيت فقيراً يطلب أجداً من الله ، فإن فرغ أجله فوالله ما ينفعه أحد ، وإن كانت فيه بقية فهو يعيش .

ثم حملت جنازة الملك الصالح وصلى عليه ثانياً قاضي القضاة خارج القلعة ودفن بترربة أمه قريباً من المشهد النفيسى . ويصف المقيزى^(١) هذه المدرسة بجوار المدرسة الأشرفية (الأشرف خليل) بالقرب من المشهد النفيسى فيما بين القاهرة ومصر موضعها من جملة . ما كان بستاناً . وقد أنشأ هذه التربة الملك المنصور قلاوون على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعى في سنة اثنتين وثمانين وستائة برسم أم الملك الصالح علاء الدين على بن الملك المنصور قلاوون . فلما كمل بناؤها نزل إليها الملك المنصور ومعه ابنه الصالح على . وتصدق عند قبرها بمال جزيل ورتب لها وقفاً حسناً على قراء وفقهاء وغير ذلك . وكانت وفاة أم الملك الصالح في سادس عشر شوال سنة ثلاث وثمانين وستائة .

الوصف المعماري

المدخل :

يقع المدخل في الجهة الشمالية ويتكون من مدخل مقبب سعتة (٣٤٥ ر) أمتار و (٣٥ ر) أمتار عمقه وارتفاعه (٧) أمتار . وكان يوجد على جانبي المدخل عمودان اندثرا الآن . وعلى جانبي هذا المدخل توجد مصطبة كان يعلوها زخارف قلبية . وفي نهاية المدخل المقبب يوجد باب سعتة ٢٠٥ م وارتفاعه (٣٥٦ ر) م يعلوه عتب يفتح على حنية عمقها (١٢٠) متر يعلوها قبو من الآجر . وتفتح هذه الحنية على فضاء أنخلت الحفائر حديثاً . وعلى يمين هذا الفضاء توجد صالة يدخل إليها من فتحة مرتفعة جداً بنى جانبيها بأحجار دقشوم ويبلغ طول الصالة ٨١٠ أمتار وعرضها ٢٦٥ من الداخل ويضيؤها صفان من النوافذ المستطيلة الضيقة أحدها في الضلع الشمالي بجوار المدخل واثنان في الضلع الغربي . الصف الأول من هذه النوافذ يعلوها عتب استخدم كقواعد لنوافذ الصف الثاني التي تصغر نوافذ الصف الأول . وقد كانت هذه الصالة مغطاة بقبو زال معظمه الآن ولم يبق إلا أجزاء منه عند نهايتي الصالة .

السقيفة :

ويتقدم الضريح سقيفة (narthex or portico) مثل سقيفة السيدة رقيقة وشجر الدر والأشرف خليل . وتبلغ مساحة هذه السقيفة (١١٥١ × ٨٠ ر) أمتار من الداخل وبها ثلاث فتحات (K.L.M.) في الضلع الشمالي وفتحتان في الضلع الغربي (N.O.) . ويعلو هذه الفتحات كما هو الحال في الصالة ، صف آخر من الفتحات . ويعلو الفتحات عتب من الخارج ومن الداخل عتب يعلوه عقد عاتق مبنى من الحجر والآجر وكل هذه الفتحات في السقيفة كذا الصالة يحيط بها من الخارج إطار مستطيل داخلي على شكل حنية بعضها يعلوه زخرفة قلبية على شكل (Cevetto) أو صفان من الدلايات . والسقيفة غير مسقوفة الآن وإن كان من المؤكد أنه كان يتطيرها سقف خشبي تحت مستوى نوافذ الضريح مباشرة . ويعتقد (Patricolo) أن السقف الخشبي كان يعلو أفريزا خشبياً ما تزال المسامير التي ثبت بها على الحجر ما تزال ظاهرة .

الضريح :

هو عبارة عن مكعب من الآجر يقوم على مدماكين من الحجر ويبلغ سمك الجدار (١ر٩٠) متر ويبلغ طول ضلع الضريح من الداخل ١٠ر٤٢ أمتار . ويتوسط كل ضلع من أضلاع الضريح عدا حائط القبلة باب عرضه (١ر٧٦) متر وارتفاعه (٢ر٨٨) متر . ويكتنف الباب الذى يطل على السقيفة حنيتان كان على جانبي كل منهما عمودان يحملان عقدًا ذا زاوية . ويعلو الأبواب عرق خشبي فوقه عقد عاتق من الآجر .

النوافذ :

وفى وسط كل ضلع من أضلاع الضريح توجد نافذة كبيرة مكونة من فتحتين مستطيلتين يعلوها عقد على شكل حدوة الفرس . وفوق الفتحتين فتحة مستديرة وجميع هذه الفتحات الثلاث محصورة داخل إطار معقود حدد بزخارف قلبية على (Cavetto) وهذه الطريقة فى زخرفة النوافذ تعتبر الأولى من نوعها فى العمارة المصرية وسوف تساعدنا فيما بعد فى تحديد تواريخ العماثر غير المؤرخة . وهذه النوافذ خالية من الزخارف فيما عدا النافذة فى الضلع الشمالى الشرقى التى ما تزال تحتفظ ببعض الزخارف الجصية وكتابة كوفية تشبه إلى حد كبير الزخارف الموجودة فى نوافذ قلاوون بالبحاسين .

وقد زخرفت جدران الضريح من الخارج على ارتفاع (١٤) متراً بكرنيش حجري يحمل كتابة اندثر معظمها ، ويعلو ذلك شرافات ظاهرة فى حائط القبلة .

داخل الضريح :

يغطى الضريح من الداخل طبقة من الجص لا يوجد بها زخرفة . وقد طلى المحراب بطبقة من الجير رسمت عليه زخارف حديثة هزيلة . ويقع الباب الذى يتوسط كل ضلع من أضلاع الضريح عدا حائط القبلة فى حنية على مستويين يبلغ عمق الأولى ٤٥ سم والثانية ٤٠ سم هذا بالإضافة إلى أن سمك حائط الباب (١ر٠٥) متر فيكون المجموع (١ر٩٠) هو سمك الجدار كما سبق القول . وكل مستوى من مستوى الحنية يوجد على جانبيه عمودان مندمجان ومنهما يبدأ الإطار المعقود الذى يترفع فيحيط بالنوافذ التى تعلو الأبواب . وهذا الإطار المعقود الذى يحيط بالأبواب والنوافذ يحمل ضلعاً من أضلاع المثلث الذى تعلوه قبة الضريح .

وفى أركان الضريح وبين الأطراف المعقودة الأربعة يوجد أربعة مثلثات غريبة فى نوعها ، يمكن وصفها بأنها تحتوى على ثلاث صفوف من الدلايات ترتكز على كابولى (Conso) ويحيط بها مقرنص كبير . وتحمل هذه المثلثات ضلعاً من أضلاع مثنى رقبة القبة الذى يبلغ ارتفاعه (٤٥) متر . وفى كل ضلع من أضلاع الرقبة المثلثة يوجد نافذة يعلوها عقد ذو زاوية فوقه فتحة مستديرة . من داخل الرقبة توجد فى كل ركن من أركان المثنى حنية ضحلة تفصل بين كل نافذتين . أما من الخارج فنجد نوافذ المثنى محاطة بإطار معقود على جانبيه عمودان .

القبة :

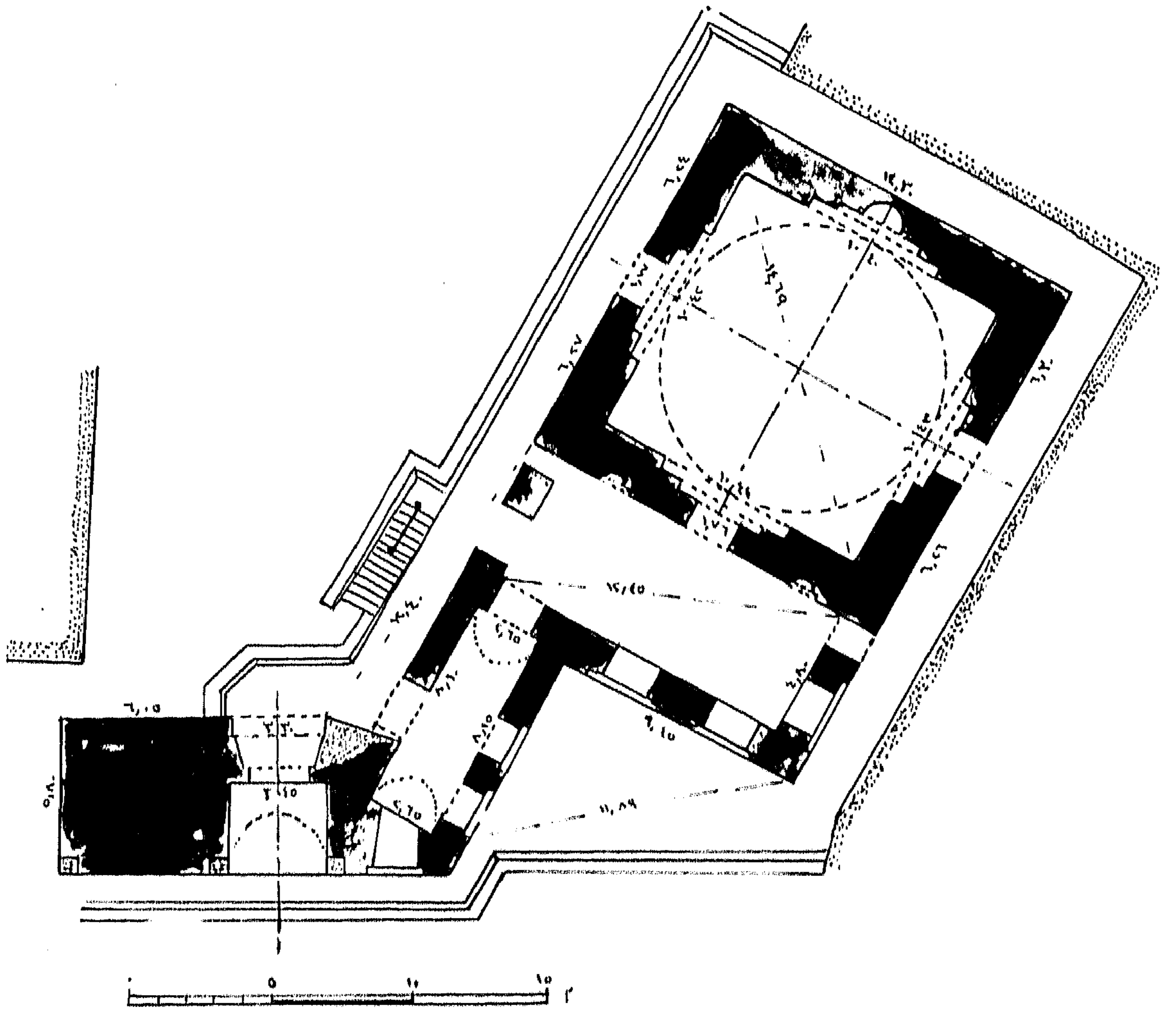
يعلو الرقبة المثلثة قبة لا وجود لها الآن ، ولكن يمكن أن نستنتج شكلها من قبة الأشرف خليل التى تشبه الضريح إلى حد كبير والقريب منه كذلك .

المئذنة :

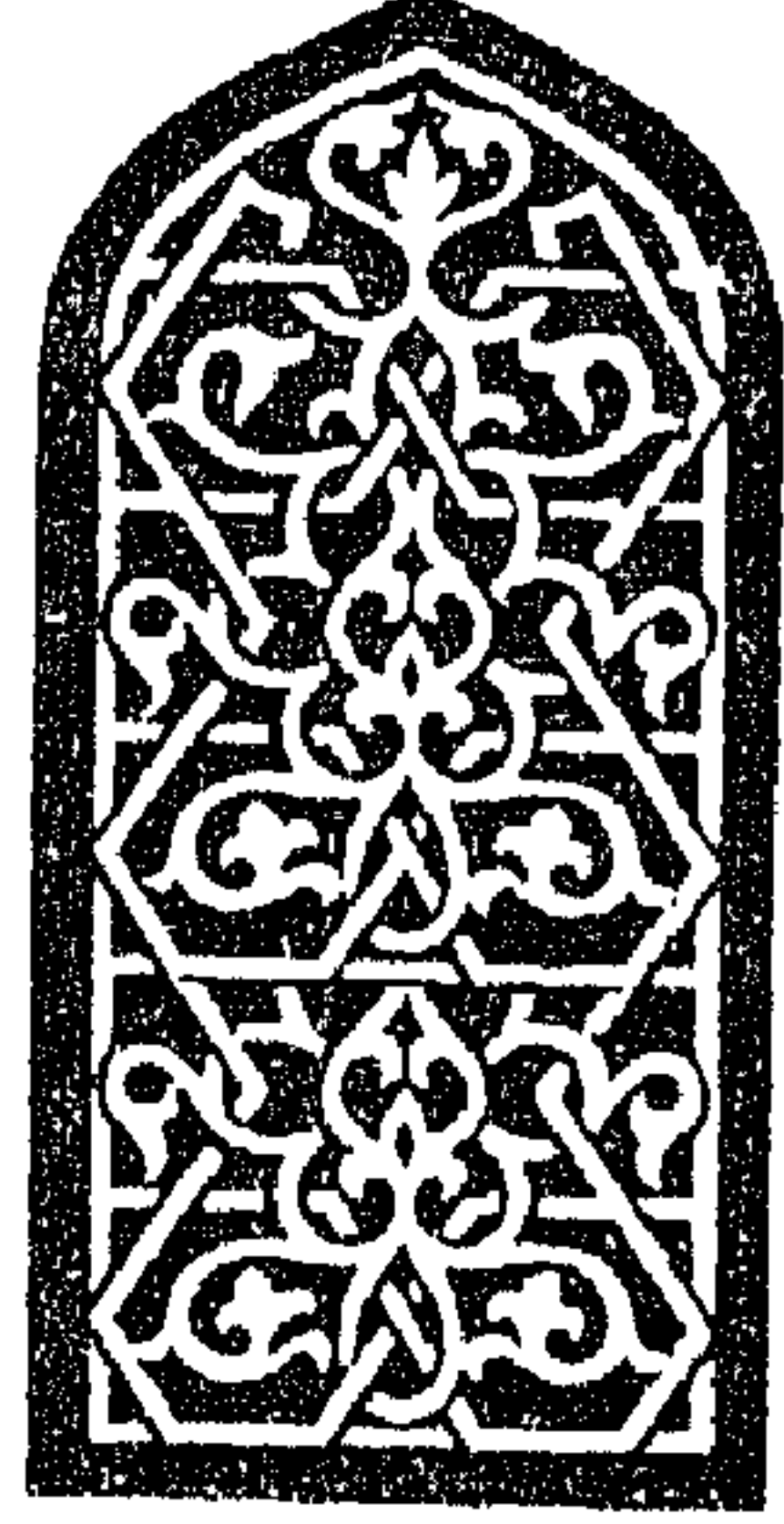
بدن المئذنة مربع تقريباً مساحته (٦٠٥ × ٨٠) أمتار ويستدق كلما ارتفعنا إلى ارتفاع (٢١٢) متراً عن قاعدة المدخل الرئيسى . وقد زخرف نهايته بزخارف قلبية بيضية الشكل (Solid) يعلو شريط مسطح كان المفروض أن تنقش عليه كتابات . والمئذنة مسمطة (Ogee) إلى ارتفاع (٨٦) أمتار حيث يبدأ سلم عدد درجاته ست قلابات يلتف حول عمود مربع ثم ينتهى عند سطح على ارتفاع ١٥٦٣ . ويغطى السلم سقف حجرى مكون من ألواح (Slabs) ترتكز على جانبي الحائط فيما عدا القلبة الثانية والخامسة حيث ترتكزان على كوابيل تشبه تلك الموجودة فى قلعة صلاح الدين والسلم ضعيف الإضاءة حيث يدخل له النور من نافذة صغيرة يعلوها عقد من قطعة واحدة فى الضلع الشمالى الغربى فقط فى مستوى القلبة الثالثة .

وفى الجزء العلوى من المئذنة (الفانوس) نجد فى كل ضلع فتحة على جانبيها عمودان مندمجان تيجانها وقاعدتها على شكل زهرة اللوتس . ومن المرجح أن تكون هذه الفتحات كان يقسم كلا منها عمود حتى يكون الشكل مماثلاً لنوافذ الضريح ويتكون من ثلاث فتحات .

وكما يتولى البقايا المتصقة بالنوافذ . وتحيط بهذه النوافذ التي يبلغ ارتفاعها ٢٣٣ متر ويحيط بها إطار معقود يبلغ ارتفاعه (٣٤٢) أمتار . ويغطي الطابق الثاني (الفانوس) قبة ضحلة من الآجر ترتكز على مثلثات مقعرة كروية . وقد شق الجانب الجنوبي الغربي من القبة فتحة مستطيلة كان من المرجح أن تستعمل بواسطة سلم للوصول إلى الطابق العلوى الذى يعلو الطابق الثانى بمقدار (٥٧هـ) أمتار . ومن المرجح أنه كان يعلو هذا الطابق الأخير مبخرة .



(شكل ٣) فاطمة خاتون



الخانقاه البندقدارية*

زاوية الأبارشاع السيوفية
بقسم الخليفة سنة ١٨٤٤هـ

كان الأمير علاء الدين ايدكين بن عبد الله البندقدارى الصالحى النجمى مملوكا للأمير جمال الدين موسى بن يغمور ، ثم انتقل عنه للملك الصالح نجم الدين أيوب وجعله بندقداره وأمره ثم نكبه ، وأخذ منه مملوكه (الملك الظاهر بيبرس) . ويحدثنا ابن الدهي^(١) عن قصة شراء علاء الدين ايدكين للظاهر بيبرس فيقول : أنه لما قبض على الأمير علاء الدين ايدكين وأحضر إلى حماة واعتقل بجامع قلعته ، اتفق حضور ركن الدين بيبرس مع تاجر ، وكان الملك المنصور صاحب حلب ، إذ ذاك صبيا ، وكان إذا أراد شراء رقيق تبصره والدته ، فلما أحضر بيبرس هذا مع آخر ورأتها الوالدة من وراء الستر أمرت بشراء خشداسه وقالت ، هذا الأسير لا يكون بينك وبينه معاملة فإن في عينيه شرا لاثحا . فطلب علاء الدين ايدكين البندقدارى الغلامين يعنى بيبرس ورفيقه فاشتراهما وهو معتقل ، ثم أفرج عنه فسار بهما إلى مصر .

وقد ظهرت نجابة وبطولة وشجاعة بيبرس فليل لاينبغى أن يكون إلا عند ملك وقد بقى في ملك البندقدارى حتى صادره أستاذة الملك الصالح أيوب وأخذ بيبرس هذا فيما أخذه منه في المصادرة سنة أربع وأربعين وستمائة .

* الرقم (١٤٦)
(١) الدهي : تاريخ الإسلام .

وهكذا أصبح ايدكين البندقدارى من ممالك الصالح نجم الدين البحرية ، وبعد وفاته أصبح من ممالك شجر الدر . ولما تزايدت الوحشة بين الملك المعز أيبك وبين شجر الدر سنة خمس وخمسين وستمائة ، عزم على قتلها . ولذلك فقد بدأ بالقبض على ممالكها من البحرية وسيرهم إلى قلعة العجل حيث اعتقلهم وفيهم ايدكين الصالحى . فلما وصلوا النافذة التى تجلس فيها ، وعلم ايدكين أنها هناك ، وهنا يقول المقرئى (١) ، فخدم (٢) ايدكين برأسه (أى حنى رأسه تحية واجلالا) وقال بالتركى « المملوك ايدكين بشمقدار (أى حامل نعل السلطان) . والله يا خوند ما علمنا ذنبا يوجب مسكنا ، إلا أنه لما ذهب يخطب بنت صاحب الموصل ، ماهان علينا ، لأننا تربية نعمتك ونعمة الشهيد المرحوم ، فلما عاتبناه تغير علينا وفعل ماترين » . فأومأت شجر الدر إليه بالمنديل ، يعنى ، قد سمعت كلامك . فلما نزلوا بهم إلى العجب ، قال ايدكين ، إن كان حبسنا فقد قتلناه .

ولما تولى الظاهر بيبرس سلطنة مصر سنة ثمان وخمسين وستمائة ، كاتب أمراء دمشق يستملهم إليه ويحضهم على منابذة الأمير علم الدين سنجر والقبض عليه ، فأجابوه إلى ذلك وكان فيهم الأمير علاء الدين ايدكين البندقدارى (٣) ، فحاربوه وهزموه حتى اضطروه إلى مغادرة دمشق ، والذهاب إلى بعلبك . ثم دخل الأمير علاء الدين ايدكين دمشق واستولى عليها وحكم فيها نيابة عن الملك الظاهر بيبرس ، ثم جهز عسكريا إلى بعلبك لحصار الحلبى وقد ترددت بين الاثنين المراسلات حتى استقر الأمر على نزول الحلبى عن بعلبك وذهابه إلى الملك الظاهر بمصر .

وقد كافأه السلطان علاء الدين على إخلاصه وحسن بلائه بأن ولاه نيابة السلطنة بحلب كما بعث السلطان مع البندقدارى عسكريا لمحاربة البرنلى فى حماة فخرج منها إلى حران وأقام البندقدارى فى حلب فى شدة من غلاء الأسعار وعدم القوات ثم رحل عنها (٤) . وفى سنة تسع وخمسين وستمائة ملك السلطان الظاهر دمشق وأخرج منها علم الدين سنجر

(١) السلوك : ج ١ ص ٤٠٢

(٢) Quatremère : Histoire des Sultans Mamlouks en Egypt vol. I p. 64.

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ١٠٧

(٤) العيى : عقد الجمان ص ٢١٦

الحلبى وولى نيابتها للأمير علاء الدين ايدكين البندقدارى . وفي سنة اثنين وستين استدعى الملك الظاهر علاء الدين إلى القاهرة فلما وصلها عزله من نيابة حلب^(١) .

ولما فتح الله على السلطان الظاهر بالفتوح الكثيرة والانتصارات الباهرة ، رأى الإينفرد بكل هذه المكاسب لنفسه دون أعوانه ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنفذ وبعزائمهم تستخلص فأصدر أمره العالى أن يملك أمراءه وخواصه مايعين من البلاد والضيايع على ما يشرح ويبين من الأوضاع ، فقد ملك الأمير علاء الدين البندقدارى باقة الشرقية^(٢) بكما لها .

كذلك كان للأمير علاء الدين نصيب يذكر في جهاد الصليبيين فقد حدث أن أغار الفرنج سنة ٦٦٤ هـ على حمص ونزلوا على حصن الأكراد وأخذوا عرقة^(٣) وحلباء^(٤) والقليعات^(٥) ، فلما ورد الخبر بذلك جرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدارى في عدة من العسكر إلى صور أغاروا على الفرنج وغنموا وأسروا كثيرا .

ولما اتفق التتار مع الفرنج ، وأغار التتار على الساجور^(٦) قرب حلب ، جرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدارى في جماعة من العسكر وأمره أن يقيم في أوائل البلاد الشامية على أهبة الاستعداد وبقي هناك حتى انتصر عليهم انتصارا مؤزرا في برج برغوث^(٧) .

ولما توفى الظاهر بيبرس تولى بعده ولده محمد بركة الملقب بالملك السعيد فلم يمكث غير سنتين وخلعه جماعة كثيرة من الأمراء كان من بينهم الأمير علاء الدين ايدكين ، فأذعن لهم السلطان وخلع نفسه وذهب إلى الكرك .

وعاش ايدكين إلى دولة الملك المنصور قلاوون ، وهو من أكابر الأمراء وأعيانهم إلى أن مات في القاهرة في شهر ربيع الأول من سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بتربيته بالقرب

(١) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٢١٣

(٢) السلوك : ج ١ ص ٥٣٣

(٣) ياقوت معجم البلدان : ج ٣ ص ٦٥٣ موقعها شرق طرابلس .

(٤) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ص ١٥١

(٥) المقريزى : السلوك ج ١ ص ٥٤٥ (اسم حصن قرب طرابلس) .

(٦) ياقوت : ج ٣ ص ٨ (ودونهر بجهات مفيح) .

(٧) أبو شامة : كتاب الروضتين (على الطريق بين دمشق وجسر يعقوب) .

من بركة الفيل وقد ناهز السبعين . وذكر المقرئى^(١) تربة البندقدارى باسم الخانقاة البندقدارية وأنها قريبة من الصليبية تجاه المدرسة الفارقانية وكان موضعها يعرف قديماً بدويرة مسعود . أنشأها الأمير علاء الدين ايدكين وجعلها مسجداً لله تعالى و خانقاه ورتب فيها صوفية فقراء فى سنة ٦٨٣ هـ ، ولما مات سنة ٦٨٤ هـ دفن بقبة هذه الخانقاة . وما تزال هذه الخانقاة موجودة بشارع السيوفية بقسم الخليفة وتعرف باسم زاوية الأبار وقد جددتها ديوان الأوقاف سنة ١٣٠٠ هـ . وعلى يسار الداخل من باب الزاوية قبة تشرف على الشارع تحتها قبر علاء الدين الذى يعلوه تابوت خشبى حفر عليه تاريخ الوفاة . وتحتوى الخانقاه على قبة أخرى يرجح أن ايدكين قد أنشأها تربة لزوجته . ومما يلفت النظر فى هذه القبة الشبائيك الجصية والزخارف التى تزخرها رقبة القبة فهى من أدق الزخارف الجصية بمصر .

وقد يكون من المفيد أن نذكر هنا شيئاً عن تاريخ حى بركة الفيل^(٢) التى تقع الخانقاه بالقرب منها . هى بركة كبيرة بظاهر القاهرة تمتد من بستان الحبانىة إلى بستان سيف الإسلام إلى تحت الكبش إلى الجسر الأعظم (ميدان السيدة زينب الآن) الفاصل بينها وبين بركة قارون ومناظر الكبش المطللة عليها . ولما أنشأ جوهر القاهرة كانت البركة تجاهها خارج باب زويلة ولم يكن عليها مبان ثم عمّر الناس حولها بعد سنة ٦٠٠ هـ . ويقول محمد رمزى^(٣) أن بركة الفيل لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة وإنما كانت تطلق على أرض زراعية يغمرها ماء النيل سنوياً وقت الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى (بور سعيد الآن) . وبعد نزول الماء تزرع أصنافاً شتوية ، وكان أشهر محصولاتها القرط المعروف بالبرسيم .

وكانت بركة الفيل معتبرة فى دفاتر المساحة من النواحي المربوط على أراضيها الخراج ولم يحذف اسمها من جداول أسماء النواحي إلا بعد أن تحول معظم أراضيها إلى مساكن

(١) المقرئى : المجلد ٢ ص ٤٢

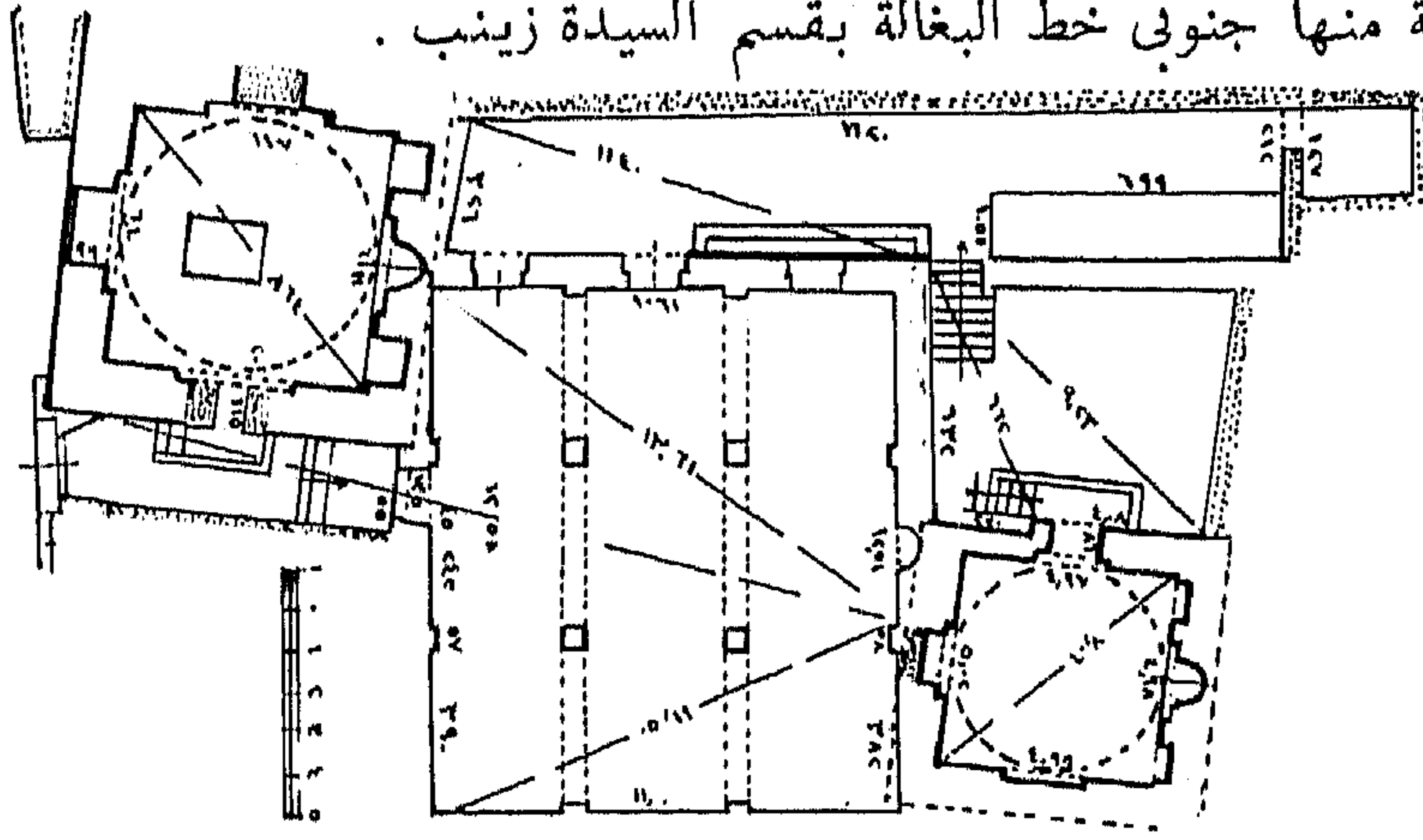
(٢) ابن دقاق : الانتصار ج ٥ ص ٤٥ ، المقرئى : المجلد ٢ ص ١٦١

(٣) هامش النجزم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٦٦

وقد تحولت أراضيها تدريجياً من الزراعة إلى السكن من سنة ٦٢٠ هـ ولم يبق بأرض البركة بغير بناء إلى (سنة ١٢١٥ هـ - سنة ١٨٠٠ م) التي رسمت فيها الحملة الفرنسية خريطة القاهرة إلا قطعة أقيم عليها فيما بعد سراي عباس حلمي الأول المعروفة بسراي الحلمية . وفي سنة ١٨٩٤ م قسمت أراضي حديقة السراي . وفي سنة ١٩٠٢ م هدمت السراي وقسمت أراضيها أيضاً وبيعت وتعرف الآن باسم الحلمية الجديدة .

وأما عن السبب في تسميتها ببركة الفيل فهو لأن الأمير خمارويه بن أحمد بن طواون كان مغرمًا باقتناء الحيوانات من السباع والنمور والفيلة والزرافات وأنشأ لكل نوع منها داراً خاصة له وكانت دار الفيلة واقعة على حافة البركة من الجهة القبليّة الشرقية حيث شارع نور الظلام ، وكان الناس يقصدون البركة للنزهة والفرجة على الفيلة فاشتهرت بينهم ببركة الفيل حتى اليوم . ومن هنا أن الذين قالوا بأن شكلها على هيئة فيل لا أساس له من الصحة وإنما كانت على شكل بيضاوي مفرطح من جهتيه الغربية والشرقية ، وقد وصفها ابن سعيد في كتاب المغرب فقال : أنها كانت دائرة كالبدر والمناظر حولها كالنجوم .

ودار الفيل هذه ، هي غير دار الفيل التي كانت على بركة قارون^(١) واشتراها كافور الأخشيدى أمير مصر وحبس فيها بني مسكين ، فهذه الدار كانت واقعة على سكة المذبح من الجهة الشمالية منها جنوبي خط البغالة بقسم السيدة زينب .



(شكل ٤) مسقط أفقي خانقاه البندارية

(١) هامش النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٦٧ (تعليق محمد رمزي) .

الوصف المعماري

تقع هذه الخانقاه في شارع السيوفية على بعد (٢٠٠) متر إلى الشمال من شارع الصليبية ويتكون من قبتين ، القبة الأولى (A) تطل واجهتها على الشارع والثانية (B) تقع خلف الأولى ويفصل بينهما مساحة جديدة للصلاة . وتتكون الواجهة التي تطل على الشارع من مداينك حجرية يبلغ ارتفاع المداينك (٢٩) سم ، وينتهي حائط الواجهة بشرفات مسننة . ويعلو حائط الواجهة منطقة الانتقال للقبة ، أما القبة فمزخرفة بقنوات يبلغ عددها (١٦) قناة يفصل بينها فصوص بارزة (Fillet) .

وفي وسط الواجهة يوجد مدخل قد سد الآن (وأصبح نافذة) ينتهي بعتب يعلوه عقد عاتق . ولعل من أهم ما يعنينا في هذه الواجهة هو شريط الكتابة الذي يقع تحت الشرفات مباشرة ، فهو يحتوي على (رنك) وطيفي وهو عبارة عن قوسين متواجهين مما يدل على أن صاحبها كان يشغل وظيفة البندقداري .

ويؤدي إلى الخانقاه مدخل معقود عقدة مكوّن من ثلاثة فصوص بنى حديثاً يوصل إلى ممر (D) على جانبه الغربي تقع القبة الأولى وعلى جانبه الشرقي منازل ومنه نصل إلى ساحة الصلاة . وتفتح القبة الأولى على هذا الممر بواسطة باب (E) ينخفض عن الممر بمقدار ثلاث درجات ومبنى من حجر منحوت مثل حجر الواجهة . ومن المرجح أن يكون هذا الباب قد فتح حديثاً .

ويبلغ طول ضلع القبة الأولى (٦) أمتار تقريباً ، والجدران الداخلية تكاد تكون خالية تماماً من الزخارف اللهم إلا المحراب الذي يعلوه عقد ذو راوية وتحيط به الزخارف الجصية الجميلة . وعلى جانبي المحراب توجد حنيتان طويلتان مجوفتان ، ويقوم عقد المحراب وكذا عقود الحنيتين على أعمدة مندمجة زالت الآن . ويوجد للقبة باب ثان في الضلع الشرقي يقابل الباب الذي يفتح على ممر المدخل يبلغ اتساعه (١٦٤) متر.

وقد بنيت القبة وكذا منطقة الانتقال من الآجر وتتكون منطقة الانتقال والقبة الأولى من صفين من المقرنصات يحتوى كل منهما على ثلاث مقرنصات ويفصل بين الأركان نافذة مكونة من ثلاث فتحات ، ويعلو ذلك رقبة القبة التى تحتوى (١٦) نافذة وفوق هذه النوافذ مباشرة يوجد شريط من الكتابة النسخية والكتابة محصورة فى بحور داخل الشريط ويفصل بين البحور جامات مستديرة . وفى وسط القبة توجد جامة بها زخارف ويحيط بها شريط من الكتابة .

وقد زالت الزخارف الجصية المخرمة التى كانت تملأ النوافذ ولم تبق إلا فى نافذتين فى الجهة الشمالية الغربية . وزخارف هذه القبة تشبه زخارف ضريح الخلفاء العباسيين والسلطان الصالح نجم الدين .

أما وصف القبة من الخارج فنلاحظ أن منطقة الانتقال تحتوى على درج واحد والتدرج يتفق مع بداية صفوف المقرنصات فى منطقة الانتقال بالداخل . والقبة مكونة من (١٦) فصا واضحة يفصل بينها ضلوع ذات زوايا .

وفى وسط القبة يوجد تابوت خشبى تبلغ مساحته (١٨٨ × ١٢٠) متر وارتفاعه (١١٥) متر ويحيط به شريط من الكتابة النسخية .

أما القبة الثانية فيمكن الوصول إليها عن طريق صالة الصلاة من الباب (F) ومنه إلى ممر ضيق نجد فى نهايته فى ضلعه الجنوبى بابا يؤدى إلى القبة الثانية . ويدخل إلى هذه القبة عن طريق باب . وهى أصغر قليلا من القبة الأولى إذ يبلغ طول ضلعها حوالى خمسة أمتار . وتحتوى القبة على محراب طويل وضيق وينتهى بعقد منكسر زالت جميع الزخارف الجصية التى كانت دون شك موجودة . وفى الأضلاع الثلاثة الأخرى حنيات ضيقة .

وتتكون منطقة الانتقال من ثلاثة صفوف من المقرنصات ويحتوى كل صف على خمس مقرنصات وهى أول محاولة من هذا النوع . ويفصل بين الأركان نافذة ذات ثلاث فتحات ، وإن كانت من المرجح أن تكون فى الأصل ذات ست فتحات مثل قبة الصالح نجم الدين ولكن الثلاث السفلى قد سدت الآن . وتحتوى رقبة القبة على أربع وعشرين نافذة صغيرة تقوم على شريط مكون من بحور تحتوى على كتابة نسخية . ويملاً فراغ كوشة عقود النوافذ

زخارف جصية على شكل معينات ، ويعلو ذلك مباشرة شريط ضيق من الخط الكوفي يعلوه شريط به بحور تحتوى على كتابات نسخية ويفصل هذه البحور عن بعضها دوائر .

أما وصف القبة الثانية من الخارج فهي تحتوى على درج واحد والتدرج يتفق مع بداية صف المقرنص الأول ، كما هو الحال فى القبة الأولى . وما تزال القبة تحتفظ ببعض الزخارف الجصية التى تحتوى على بحور بها كتابات نسخية وزخارف هندسية على شكل معينات وأشربة ضيقة بها كتابات كوفية يتخللها زخارف نباتية على شكل مراوح نخيلية . ويزخرف القبة أربعة وعشرون فصاً أعمق من فصوص القبة الأولى ويفصل بينها ضلوع . ويظهر أن نهاية القبة قد تحطم .

التاريخ :

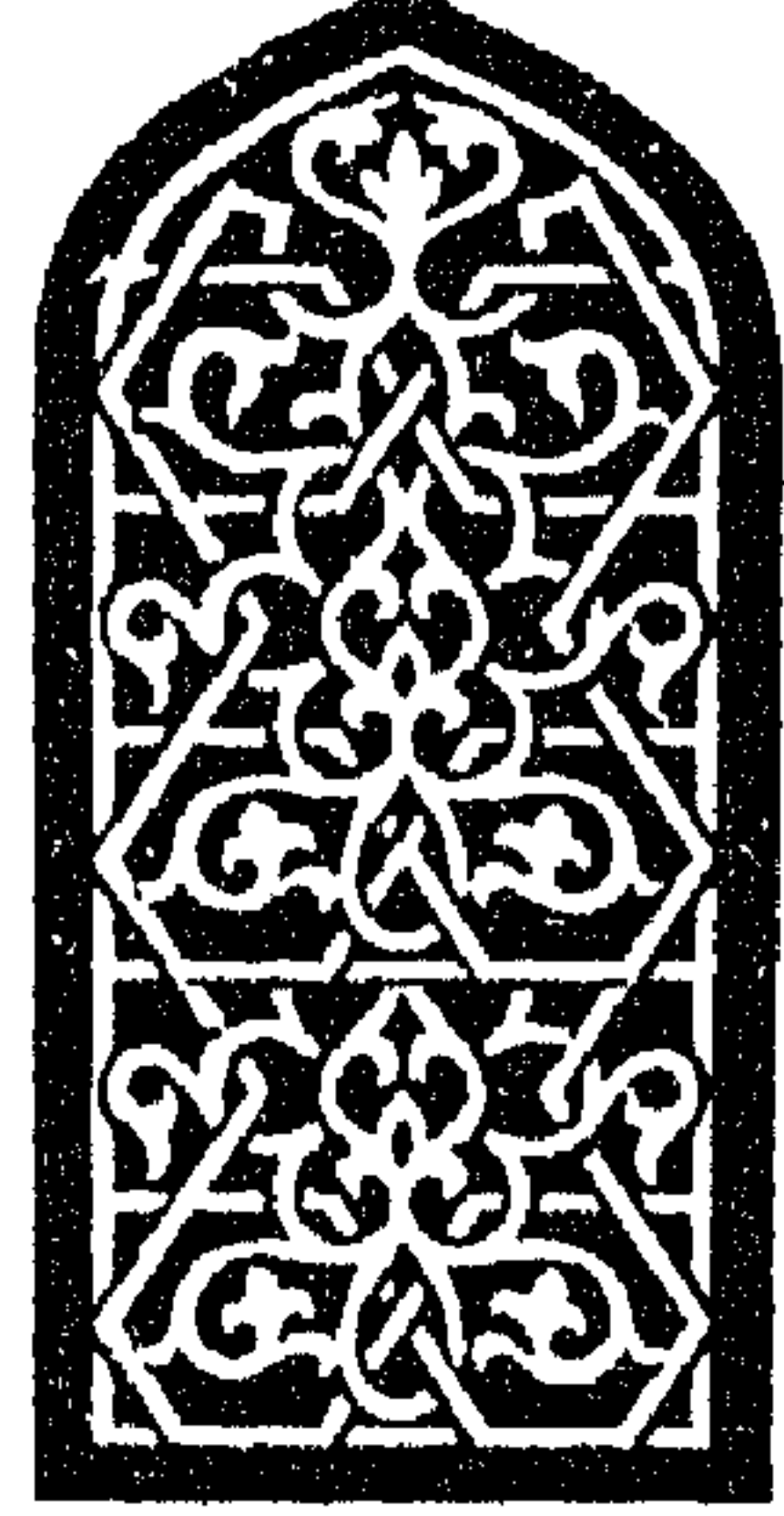
تدل الكتابة التى تحيط بالتأبوت الخشبي فى القبة الأولى على أن المقبرة للأمير علاء الدين البندقدارى ، أحد ممالك الصالح نجم الدين أيوب . ولكن لا توجد كتابة تبين تاريخ القبة وإن كان من المؤكد أن الكتابة التى تحيط بالواجهة من الخارج كانت تحتوى على التاريخ ولكن الجزء الآخر منها قد اختفى . ولكن المقريزي^(١) فى الخطط والسلوك^(٢) وابن تغرى^(٣) بردى فى النجوم الزاهرة وغيرهما توضحون أن الأمير علاء الدين توفى فى ربيع الثانى سنة ٦٨٤ (يونيه ويولية سنة ١٢٨٥ م) وأنه دفن فى الخانقاه التى أنشأها بالقرب من الصليبية . وأنه يوجد فى متحف الميتروبوليتان مشكاة^(٤) لا بد وأن تكون قد أخذت من هذه الخانقاه لأنه قد كتب عليها أنها عملت لضريح الأمير علاء الدين أيديكين البندقدارى ويتخلل الكتابة ثلاثة رنوك للبندقدارية .

أما عن الخانقاه التى ذكرت فى المراجع التاريخية وكذا فى الكتابات الأثرية الموجودة فى الضريح فقد اندثرت وإن مكانها كان مجاوراً للضلع الغربى للقبة الأولى حيث أنه كان مستمراً إلى الغرب عند الركن الشمالى الغربى للقبة وأن باب القبة (٧) الذى سد الآن كان يوصل إليها .

(١) الخطط : ج ٢ ص ٣٩٤ (٢) السلوك : ج ١ ص ٤٠٢ (٣) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٦٧

(٤) Lamm : Mittelalterliche Glaser p. 427 of CXC VII Mayer : Saracenic Heraldry. pp. 83-4. Wiet. Repertoire XIII pp. 50-51

Artin Pach : escription de quatre Campes en verre émaillé, Bull de Inst. Egyptene.



الملك المنصور قلاوون

هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، أبو المعالي الألفي ، الصالح النجمي ، وهو السابع من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، تسلطن بعد خلع الملك العادل سلامش في يوم الأحد ثاني عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وتلقب بالملك المنصور ، وجلس على سرير الملك في اليوم المذكور .

قال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي : « أن المنصور قلاوون اشترى بألف دينار ، ولهذا كان في حال امرته يسمى بالألفي ، وكان من أحسن الناس صورة في صباه ، وأباهم وأهيبهم في رجولته ، كان تام الشكل ، مستدير اللحية قد وخطه الشيب ، على وجهه هيئة الملك وعلى أكتافه حشمة السلطنة ، وعليه سكينه ووقار ، رأيته مرات آخرها منصرفه من فتح طرابلس . وكان من أبناء الستين »^(١) .

أصل المنصور قلاوون من مماليك آق سنقر الكامل ، ثم قدمه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب المدرسة الصالحية فأعنته في أثناء سنة سبع وأربعين وستمائة ثم انتقل إلى خدمة أمراء المماليك البحرية حتى أيام السلطان الظاهر بيبرس .

سارع الملك المنصور قلاوون إلى تعيين ابنه (علي) ولياً للعهد بعد مضي أسبوع واحد على توليه أمر البلاد حتى يتفرغ هو للسفر إلى الشام ومحاربة المغول بها .

لقب المنصور قلاوون ابنه عليا بالملك الصالح وأقام لتنصيبه حفلاً ركب فيه ابنه (علي)

(١) الحافظ أبو عبد الله الذهبي : تاريخ الإسلام .

بشعار السلطنة وشق موكبه القاهرة من باب النصر إلى قلعة الجبل وخطب له على منابر مصر كلها بعد والده وكتب بهذه التولية لبلاد الشام .

أما عن المغول فقد سبق أن التقى بجيشهم الملك (الظاهر بيبرس) وكان جيشهم بقيادة « كتبغا » ودارت موقعة بين الفريقين في موضع بين مدينتي بيسان ونابلس عرف (بعين جالوت) وكان النصر حليف المصريين وكانت هزيمة المغول مريرة إذ أسرقائدهم (كتبغا) وأمر السلطان قطز بقطع رأسه والطواف بها في البلاد .

أثارت تلك الهزيمة حفيظة المغول فصمم قائدهم (هولاكو) على الانتقام من مصر حتى يعيد إلى المغول السمعة التي كانت لهم في الحروب والتي جعلت العالم المعاصر لهم يخشاهم ويرتعد عند ذكرهم لما تركوه في البلاد التي غزوها من الدمار والخراب وتقتيل الناس بلا وازع ولا تفريق .

وما كادت الأخبار ترد على السلطان المنصور قلاوون بما عزم عليه التتار من الزحف على مصر على رأس جيش يقوده (منكوتمر) أخو هولاكو ، وأنهم في تقدمهم وصلوا إلى حلب وملكوا ضياعها ، حتى خرج السلطان قلاوون ومعه أمراؤه على رأس جيش كبير قاصدين الشام فلما وصل الجيش القادم من مصر إلى غزة جاءت الأخبار بأن جيش المغول انسحب لما بلغه مجيء السلطان ... وفي انسحابه أحرق الضياع وقتل الرعية أما السلطان فأنقأ بالرملة وتوقف عن التوجه إلى دمشق لعدم الحاجة إلى ذلك وقصد تخفيف الوطأة عن البلاد وأهلها ، ثم رحل يوم الخميس عاشر شعبان سنة ٦٧٨ هـ من الرملة إلى الديار المصرية فدخلها وأقام بها أقل من أربعة أشهر ثم بدا له التوجه إلى الشام ثانياً ، فتجهز وتجهزت عساكره وخرج بهم من مصر قاصداً الشام وترك ولده الملك الصالح عليا يباشر الأمور عنه بالديار المصرية .

نزل السلطان قلاوون قبالة عكا ، فراسله الفرنج من عكا في تجديد الهدنة التي كانت قد انتهت مدتها فحصل الاتفاق على تجديدها وانعقدت الهدنة ، ثم سار الملك المنصور إلى دمشق فدخلها وتم فيها الصلح بين الملك والمنصور قلاوون وبين سنقر الأشقر الوالي على

دمشق والذي رفض أن يدين بالطاعة للمنصور قلاوون عند توليته حكم مصر ونصب نفسه حاكماً مستقلاً على دمشق وباتمام هذا الصلح توحدت الكلمة وزالت الفرقة واجتمعت عساكر مصر والشام تحت قيادة واحدة .

وبينا السلطان بدمشق ورد إليه نبأ مجيء التتار إلى البلاد الشامية وأنهم على أطراف مدينة حلب ، فخلت المدينة من أهلها وجندھا ونزحوا إلى جهة حماة وحمص ، وتركوا الغلال والحواصل والأمتعة وهاموا على وجوههم . شرعت التتار تتقدم قليلاً قليلاً بخلاف عادتهم ، فلما وصلوا حماه أفسدوا بنواحيها وأحرقوا^(١) بستان الملك المنصور صاحب حماة وجوسقه ومابه من الأبنية . استمر عسكر السلطان بظاهر حمص ، فلما بلغها التتار ركب الملك المنصور بعساكره وتقابل مع العدو وكان عدد التتار على ما قيل ألف فارس أو ما يزيدون وعسكر المسلمون على مقدار النصف من ذلك أو أقل وعظم القتال بين الفريقين وثبت كل منهم .

ووصف الشيخ قطب الدين^(٢) اليونيني تلك الموقعة فقال « وكانت وقعة عظيمة لم يشهد مثلها في هذه الأزمان ولا في سنين كثيرة ، وكان الملتقى فيما بين مشهد خالد بن الوليد رضي الله عنه ، إلى بلدة الرستن والعاصي ، واضطربت ميمنة المسلمين ، وحملت التتار على ميسرة المسلمين فكسروها وانهزم من كان بها ، وكذلك انكسر جناح القلب الأيسر وثبت الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، رحمة الله عليه ، في جمع قليل بالقلب ثباتاً عظيماً ، ووصل جماعة كثيرة من التتار خلف المنكسرين من المسلمين إلى بحيرة حمص ، وأحرق جماعة من التتار بحمص ، وهي مغلقة الأبواب ، وبذلوا نفوسهم وسيوفهم فيمن وجدوه من العوام والسوقة والغلمان والرجال المجاهدين بظاهرها ، فقتلوا منهم جماعة كثيرة وأشرف الإسلام على خطة صعبة ، ثم أن أعيان الأمراء ومشاهيرهم وشجعانهم : مثل سنقر الأشقر السابق ذكره ، وبدر الدين بيسرى ، وعلم الدين سنجر الدويدارى ، وعلاء الدين طيبرس الوزيرى ، وبدر الدين بيليك أمير سلاح ، وسيف الدين ايتمس السعدى ، وحسام الدين لاجين المنصورى ، والأمير

(١) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٠٣

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤

حسام الدين طرنطاي وأمثالهم لما رأوا ثبات السلطان ردّوا على التتار وحملوا عليهم حملات حتى كسروهم كسرة عظيمة ، وجرح منكوتر مقدم التتار وقتلوا منهم مقتلة عظيمة تجاوز الوصف . . . إلخ » .

أما السلطان قلاوون فتوجه عائداً إلى دمشق فخرج الناس إلى ظاهر البلد للمقائه ، فدخل دمشق وبين يديه جماعة من أسرى التتار وبأيديهم رماح عليها رعووس القتلى من التتار فكان يوماً مشهوراً ثم سار السلطان إلى الديار المصرية فخرج أهالى دمشق لوداعه مبتهلين بالدعاء له . أما أهل مصر فاحتفلوا بلقائه أعظم احتفال فزينت الديار المصرية زينة لم يرمثلها من مدة وشق السلطان القاهرة في مروره إلى قلعة الجبل وتضاعف سرور الناس بسلامته وبنصر المسلمين على العدو المخذول .

وقال ابن تغرى^(١) بردى « أنه في مدة حكم الملك قلاوون وفي سنة ٦٨٠ هـ تربت جزيرة جبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق واللوق وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المكس وساحل باب البحر والرملية وبين جزيرة الفيل وهو المار تحت منية السيرج وانسد هذا البحر ونشف بالكلية واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشى ولم يعهد فيما تقدم وحصل لأهل القاهرة مشقة من نقل الماء الحلو لبعده البحر ، فأراد السلطان حفره فنهوه عن ذلك وقالوا له : هذا ينشف إلى الأبد فتأسف السلطان وغيره على ذلك » .

جاء في الجزء الثانى من خطط المقرئى^(٢) عند الكلام على اللوق وعلى بولاق وعلى قنطرة باب البحر وعلى جزيرة الفيل : أن شاطئ النيل الشرقى القديم تجاه القاهرة كان إلى سنة ٦٨٠ هـ بعد أن يمر في مجراه الحال من مصر القديمة إلى قصر النيل وينعطف قليلا إلى الشرق ويمتد في الأمكنة التي تعرف اليوم بشارع رمسيس من أوله عند مصلحة المجارى ثم يسير فيه إلى ميدان باب الحديد فميدان محطة كوبرى الليمون وبعد أن يمر بشارع مخازن محطة مصر ينعطف شمالا فيسير في شارع مهمشة ثم مكان جسر السكة الحديد وعند عزبة الخمايسة يميل إلى الشمال الغربى ماراً تحت سكن منية السيرج ثم يسير شمالا إلى المغرب حتى

(١) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١١٧ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٨٥

يتصل بمجره الحالى عند فم ترعة الإسماعيلية . وفى سنة ٦٨٠ هـ انحسر النيل عن جانب المقس من الجهة الغربية ونقص ماء النيل عن سور مدينة القاهرة الذى كان ينتهى إلى المقس عند ميدان باب الحديد وظهر فى مجرى النيل بجوار الشاطئ القديم جزر من الرمال الفساد وصارت أرض هذا الجزء تتسع وتنضم إلى بعضها حتى أصبحت جزيرة واحدة كبيرة اتصلت من بحريها بجزيرة الفيل ومن قبليها بأرض اللوق ثم طرح عليها البحر فربت وارتفعت أرضها عن منسوب ماء النيل بسبب ما كان يتركه عليها من الطمي سنوياً وأصبحت أطيانها صالحة للزراعة والسكنى .

وفى عهد الملك المنصور قلاوون « كان أول ابتداء سوق^(١) المحمل ، فى الثانى والعشرين من شعبان سنة ٦٨١ هـ طافوا بكسوة البيت العتيق التى عملت برسم الكعبة الشريفة عظمها الله تعالى ، بمصر والقاهرة على العادة ولعبت ممالك السلطان المنصور قلاوون إمام الكسوة بالرماح والسلاح وأضاف ابن تغرى بردى يقول : « وأظن هذا هو أول ابتداء سوق المحمل وأننا لم ننتف فيما مضى على شىء من ذلك مع كثرة التفاتنا إلى هذا المعنى ولهذا غلب على ظنى من يوم ذاك بدءاً السوق المعهود الآن وإنما ازداد بحسب اجتهاد المعلمين ، كما وقع ذلك فى غيره من الفنون والملاعب والعلوم » .

فى سنة ٦٨٧ هـ توفى الملك الصالح على ابن السلطان المنصور قلاوون فحزن عليه والده حزناً شديداً وكتب القاضى محيى^(٢) الدين بن عبد الظاهر كاتب السر الشريف عن لسان أبيه الملك المنصور قلاوون إلى نائب الشام وغيره من النواب مطالبات ضمنها ما جرى على السلطان من فقد ولده : فقال عن لسان والده :

« نحمد الله تعالى على حزن حزنا به بالصبر أجوراً فآخرة ، فكان قصيدنا أن نجعله ملكاً فى الدنيا فاختر الله تعالى أن يكون ملكاً فى الآخرة » .

وفى السنة التالية خرج السلطان نحو البلاد الشامية ، فحاصر طرابلس واستمر فى حصارها أربعة وثلاثين يوماً ففتحها بالسيف ووردت البشائر فى الديار المصرية بفتح مدينة طرابلس

(١) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣١١

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ص ٩٨ ، ٩٩

وجبيل وطررد الفرنج منهما ولما عاد السلطان قلاوون إلى الديار المصرية زيننت له مصر والقاهرة وحملت على رأسه القبة والطير وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً .

ومن أعمال السلطان قلاوون الحربية أنه أرسل حملة بقيادة الأمير أيبك الأفرم لتأديب ملك النوبة الذي هجم على مدينة أسوان ونهب أسواقها وأحرق جرونها وعند وصول الحملة إلى مدينة أسوان هرب ملك النوبة فتبعه الجند إلى آخر بلاده وغنموا منه غنائم كثيرة من عبيد وجوار وخيول وأسلحة .

لم يبق في يد الصليبيين من بلاد الشام سوى مدينة عكا ، لذلك عزم السلطان المنصور قلاوون على تطهير البلاد منهم ، فجرد لذلك حملة عسكر بها في الريدانية حتى تكامل الجند وعند خروجه من القاهرة كان متوعكا ولبث بمعسكره عند مسجد التبن خارج القاهرة - وتزايدت عليه الحمى وثقل عليه المرض وتوفي في السادس من ذي القعدة من سنة تسع وثمانين وستمائة وحمل إلى القلعة وتسلطن من بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل .

ذكر ابن تغرى^(١) بردى أن السلطان قلاوون جمع من المماليك خلقاً عظيماً لم يجمعهم أحد قبله ، فبلغت عدتهم اثني عشر ألفاً ، صار منهم الأمراء الكبار والنواب ومنهم من تسلطن من بعده وأضاف قوله وكان من محاسن الملك المنصور قلاوون أنه لا يميل إلى جنس بعينه بل كان ميله لمن يتخيل فيه النجاة كائناً من كان . وكانت حرمة على مماليكه عظيمة فلا يستطيع الواحد منهم أن ينهر غلامه ولا خادمه خوفاً منه ، ولا يتجاهر أحد منهم بفاحشة ولا يتزوج إلا أن زوجه هو بعض جواريه ومن محاسن أعمال السلطان قلاوون تربية مماليكه وكف شرهم عن الناس وإن لم يكن له إلا هذا لكفاه ذلك عند الله تعالى ، فإنه كان بهم منفعة للمسلمين ومضرة للمشركين وقيامهم في الغزوات معروف ، وشرهم عن الرعية مكفوف .

ذكر^(٢) ابن اياس أن من محاسن السلطان المنصور الغوري أنه غير تلك الملابس الشنيعة التي كانت تلبسها العسكر في الدول القديمة . قيل كانت كلوتاتهم (غطاء الرأس) من الصوف الأزرق الغميص ، وهي مضربة عريضة بغير شاش ، وكانت المماليك تربى لهم ذوائب من

(١) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ص ١٠١

الشعر خلفهم ويجعلونها في أكياس حرير أحمر أو أصفر ، وكانوا يشدون في أوساطهم بنوداً بعلبكية عوضاً عن الحوائص ، وكانت خفافهم برغالي أسود ، وكانوا يشدون فوق قماشهم أبزيم جلد وفيه حلق نحاس وفيها صوالق برغالي أسود ، وهي كبار يسع الصولق الواحد نصف ونبه قمح ، وكان لهم في ذلك الأبزيم معلقة من الخشب كبيرة وسكين كبيرة وكانت لهم مناديل من الخام قدر فوطة كبيرة لمسح أيديهم ، وكانوا يربون لهم شوارب قدر السلفة الكتان . فلما تولى الملك المنصور قلاوون أمر العسكر أن يغيروا هذه الملابس الشنيعة ويدخلوا في الهيئة المطبوعة وكانت خلع المقدمين من العنتابي ، فأمر لهم بالخلع المخمل الأحمر والأخضر بالفرو السمور . وهو أول من أسكن المماليك في أبراج القلعة وسماهم المماليك البرجية

أما ما أبطله المنصور قلاوون في أيامه من المظالم فقد ذكر^(١) ابن إياس أنه توجد من قديم الزمان وظيفة يسمى شاغلها ناظر الزكاة - وهو من يأخذ ممن عنده مال زكاته - فإن مات الرجل صاحب المال أو عدم ماله فيظل القدر المقرر عليه باقياً في الدفاتر يؤخذ من أولاده أو من ورثته أو من أقاربه ولو بقي منهم واحد فأبطل الملك المنصور قلاوون ذلك . ومما أبطله من المظالم أنه كان يؤخذ مال من أهل مصر للمبشرين إذا حضرو يبشرون بفتح حصن أو بنصرة عسكر أو بما أشبه ذلك ، وكان يجبي من أهل مصر على قدر طاقتهم في السعة فأبطل ذلك . وكان يجبي من أهل مصر عند وفاء النيل المبارك ثمن الحلوى والفاكهة والشوى ، برسم السباط الذي يوضع في المقياس يوم الوفاء ، فأبطل الغورى ذلك عن الناس وجعل مصروفه من بيت المال .

ومن آثار السلطان قلاوون أنه عمل بالقاهرة بين القصرين تربة عظيمة ومدرسة كبيرة وبمارستانا للمرضى وقد وصف المقرئى هذه الأماكن^(٢) في خطه فقال : أنها داخل المارستان الكبير المنصوري يخط بين القصرين بالقاهرة . أنشأها الملك المنصور قلاوون ولم يذكر المقرئى تاريخ إنشاء التربة والمدرسة ، ولكنه ذكر فقط تاريخ الشروع في بناء المارستان ويبين من الكتابات المنقوشة على مباني هذه الأماكن الثلاثة أن المارستان بدىء في عمارته

(١) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ص ١٠٠

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٦٠

في شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وانتهت في شوال من تلك السنة وأن القبة بدىء في عمارتها في شوال سنة ٦٨٣ هـ وانتهت في صفر سنة ٦٨٤ هـ وأن المدرسة بدىء في عمارتها في صفر سنة ٦٨٤ هـ وانتهت في جمادى الأولى من السنة المذكورة ويجمع هذه التواريخ الثلاثة تاريخ واحد كتب على الباب الرئيسى لهذه العمارة ذكر فيه تاريخ البدء في البناء وهو شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ وتاريخ الفراغ منه هو شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ كما جدد عمارة قلعة حاب وقلعة كركر على جانب الفرات الغربى .

وهذه الأماكن واقعة بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً) بالقاهرة ووجهتها الشرقية المشرفة على الشارع تتكون من قسمين : البحرى منها وهو الواقع على يمين الداخل من الباب الرئيسى هو وجهة التربة وتعلوها القبة ، والقبلى منها وهو الخارج هو وجهة المدرسة المزخرفة بالحنايا المحمولة على عمد من الرخام يتوسطها شبابيك على أشكال جميلة وبين القبة والمدرسة دهليز طويل فيه أبوابها ، وكان يوصل قديماً إلى المارستان . أما القبة من الداخل فشكلها من أبداع وأجمل القباب المزخرفة بالفسيفساء والخشب المذهب ، يحملها أربعة أعمدة اسطوانية سمكية وطويلة من الجرانيت الأحمر . والجدران مكسوة بالرخام وتحت هذه القبة القبر المدفون به الملك المنصور قلاوون وابنه الملك الناصر محمد .

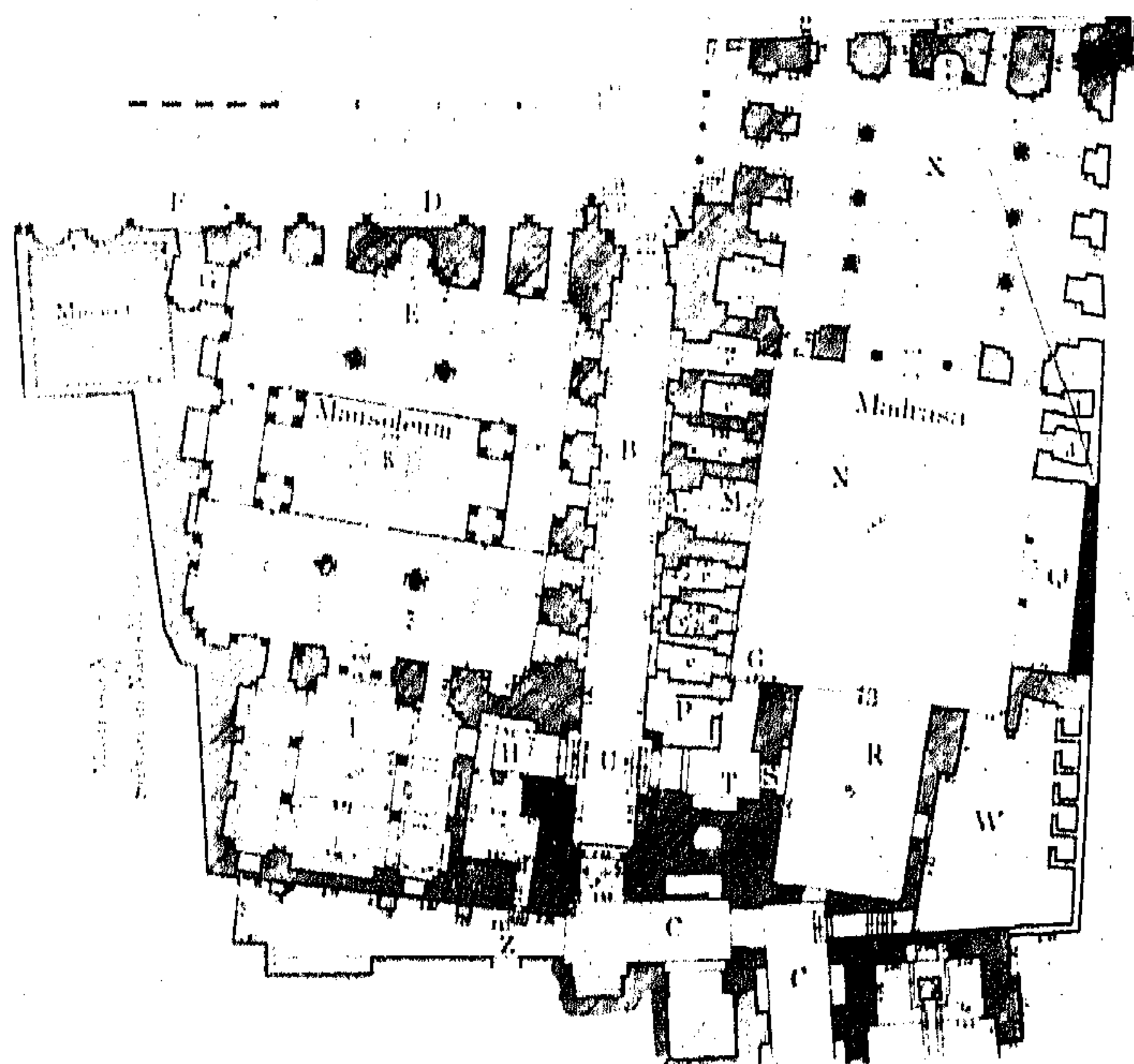
أما المدرسة فيوجد الآن من مبانيها القديمة الإيوان الشرقى وما فيه من الزخارف الجميلة ثم محرابها البديع . أما المارستان . فقد خربت مبانيه القديمة ولم يبق إلا أجزاء من بعض قاعاته . وفي سنة ١٩١٥ م أنشأت وزارة الأوقاف مستشفى للمرمد بباب خاص على جزء كبير من أرض - المارستان المذكور .

ذكر^(١) ابن اياس أن السبب في بناء السلطان قلاوون للبيمارستان أنه أمر مماليكه بأن يضعوا السيف في العوام لأمر أوجب تغير خاطر السلطان عليهم لأنهم خالفوا أمره في شيء بجهلهم فأمر بقتلهم فلعب فيهم السيف ثلاثة أيام ، فقتل في هذه المدة مالا يحصى عدده ، وراح الصالح بالطالح وربما عوقب من لم يعجن ، فلما زاد الأمر عن الحد ، طلع القضاة ومشايخ

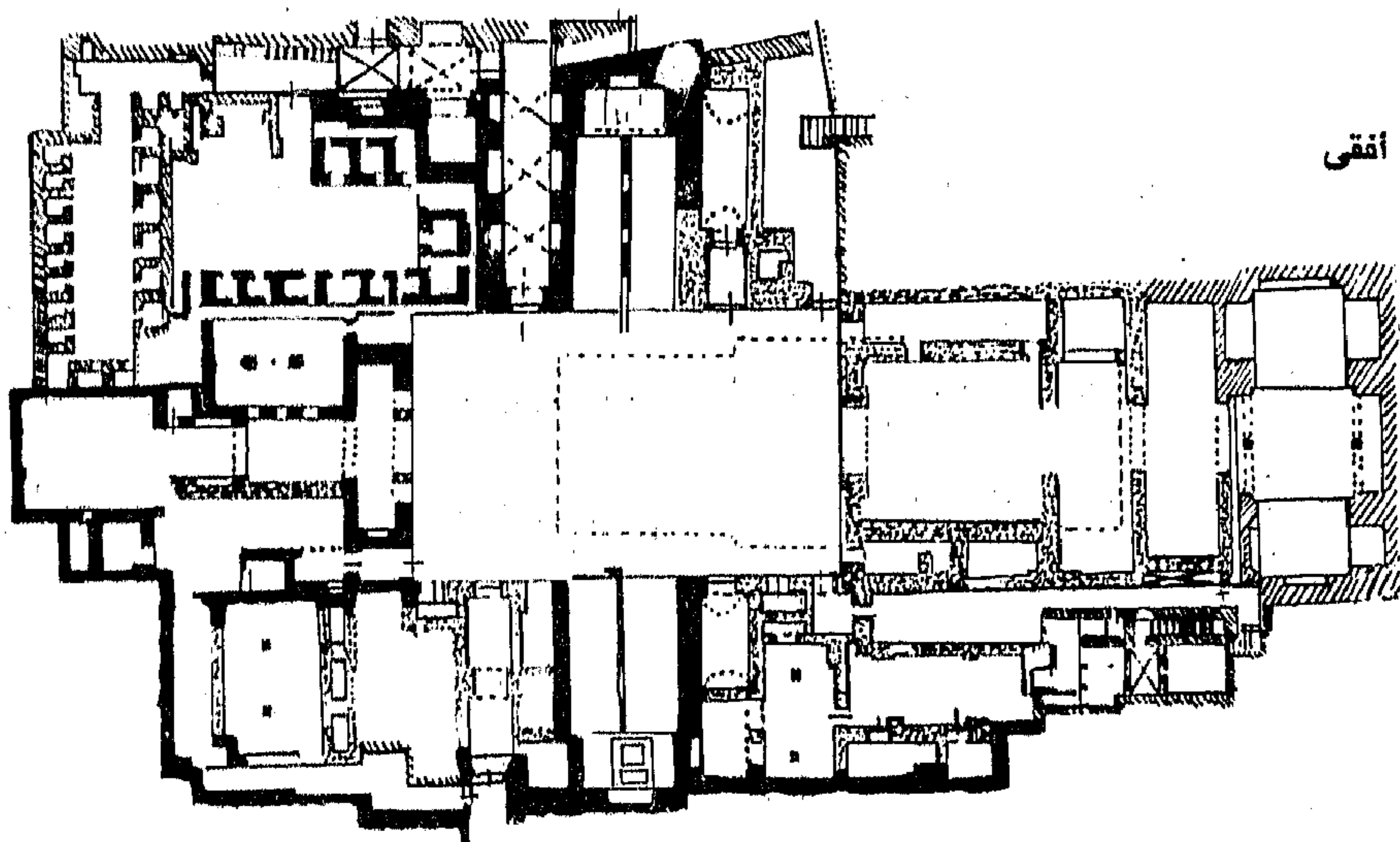
(١) ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ص ٩٦ ، ٩٧

العلم إلى السلطان وشفعوا فيهم ، فعفا عنهم ، وكف عنهم القتل ، فلما جرى ما جرى ، وراق خاطر السلطان ندم على ما فعله ، وبني هذا البيمارستان وجعل له جملة أوقاف على رواتب بر وإحسان وفعل من أنواع الخير مالا يفعلته غيره من الملوك ليكفر الله عنه ما فعله بالناس لعل الحسنات تذهب السيئات كما قال الله تعالى ووقف على البيمارستان أوقافاً كثيرة من ضياع وأملاك وبساتين وغير ذلك من أنواع البر والخير مما لم يسبق لأحد من الملوك من قبله أن يفعله فكان كما قال القائل :

تمشى الملوك على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تنأى وتبتدع



(شكل ٥) مدرسة وضريح
المنصور قلاوون



(شكل ٦) مسقط أفقى
بيمارستان قلاوون

مدرسة المنصور قلاوون

تقع مجموعة قلاوون في شارع المعز لدين الله وتتقدمها واجهة كبيرة ممتدة يتوسطها باب كسى عتبه وجانيا بالرخام الملون وكسيت مصاريعه بالنحاس المخرم والمزخرف بالحفر والتكفيت بالفضية بالذهب برسوم نباتية وحيوانية وهندسية غاية في الدقة والإبداع . كما خلقت سماعتنا الباب على شكل رأس حيوان . ويقع على جانبي هذا الباب مجموعتان من المباني الشمالية منها تشغلها المدرسة والجنوبية القبة وفي الوسط بیمارستان .

ونخرج من باب الواجهة إلى دهليز ممتد بطول المدرسة والقبة ، سقفه خشبي زخرف بنقوش زيتية جميلة وفتحت في جوانبه نوافذ وأبواب متقابلة تخص القبة والمدرسة وينتهي الدهليز بعقد كبير يؤدي إلى بیمارستان .

وتتكون المدرسة من صحن مكشوف مستطيل الشكل تتوسطه فسقية وتحيط به الأروقة من جهاته الأربع . ويتقدم الإيوان الشرق عقد كبير يتوسطه عمودان يقسمانه إلى ثلاثة عقود صغيرة والإيوان كثير العمق ويحتوى على صفين من الأعمدة يحتوى كل صف منهما على ثلاثة أعمدة يقسمان الإيوان إلى ثلاثة أروقة عمودية على حائط القبلة ، الأوسط منها أوسعها . ونلاحظ أن إيوان المدرسة المنصورية فريد في نوعه في مصر ولذلك فإن بعض علماء الآثار يسمون هذه المدرسة المدرسة الجامع ذلك أنها جمعت بين طراز الجوامع باختوائها على أعمدة وأروقة وبين المدرسة باشتغالها على إيوانات متعامدة . وقد حليت واجهات عقود هذا الإيوان بزخارف جصية جميلة كما تدل على ذلك بقاياها ، كما زخرفت واجهة الإيوان

بعقدين كبيرين ، يكتنف كلا منهما فتحتان معقودتان مستطيلتان يعلو ذلك شباك مستدير يكتنفه كتفان بكل منهما ثلاثة شبابيك بعضها فوق بعض .

أما أروقة الإيوان فقد وجدت عند مبدأ العقود من الجهتين الشمالية والجنوبية كوابيل أعلى الأعمدة ، ومن رأى الأستاذ محمود أحمد أن هذه الكوابيل كانت تحمل عقوداً لسقف مقبي ، مما يدل على أن السقف الخشبي الذي يغطي الرواق الأوسط الآن حديث ، أما القديم فقد كان مقبياً ، كما يؤيد هذا الظن هو أن سقوف الأروقة الجانبية مكونة من أقباء متقاطعة وفي صدر الإيوان الشرقي يوجد محراب كبير زخرفت طاقيته (وكوشتي) عقده بزخارف بدیعة . من الفسيفساء المذهبة . وبجوار المحراب يوجد منبر بسيط من صنع الأمير أزيلك^(١) ابن ططخ سنة ٨٩٩ هـ ، أهده للمدرسة عند ترميمها كما أقام قبة خشبية أعلى الفسقية التي تتوسط الصحن .

أما الإيوان الغربي المقابل لإيوان القبلة فقد ضاعت معالمه لكثرة الإصلاحات والتعديلات التي أجريت له . ويتوسط الضلع الشمالي للمدرسة إيوان صغير يكتنفه ثلاث غرف على كل جانب . ويشبه الإيوان الجنوبي الإيوان الشمالي وإن كانت بعض أجزائه قد تهدمت الآن . وقد دون على المحراب وكذا أعتاب نوافذ المدرسة تاريخ الانتهاء منها بما نصه :

أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة السعيدة ، مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحی قسم أمير المؤمنين أدام الله أيامه وحرس أنعامه ونشر في الخافقين ألويته وأعلامه . وكان ابتداء عمارتها في صفر سنة أربع وثمانين وستمائة ، والفراغ منها في جمادى الأول من السنة المذكورة للهجرة المحمدية .

وقد ألحق الناصر محمد بن قلاوون بواجهة المدرسة سبيلاً وكتاباً صدقة على روح والده سنة ٧٢٦ هـ ، على يد الأمير آقوش نائب الكرك . ويعلو السبيل قبة صغيرة كسيت رقبتها ببلاطات من القاشاني عليها كتابات قرآنية غاية في الابداع ، كما فتحت بالرقبة ثمانى نوافذ خشبية بها زخارف نباتية مفرغة غاية في الدقة والجمال .

(١) ابن إياس : ج ٢ ص ٢٨٢

قبة المنصور قلاوون

يدخل إلى القبة عن طريق بابين من الدهليز السابق الإشارة إليه ، الأول منهما يؤدي إلى القبة مباشرة والثاني إلى جزء يتقدمها وملحق بها ، وقد سد عبد الرحمن^(١) كتحذا الباب الأول المؤدى إلى القبة أثناء العمارة التي أجراها سنة ١١٧٤ هـ . ويتكون الجزء الذي يتقدم القبة من مساحة مربعة يتوسطها صحن مربع مكشوف يحيط به من الجهة الشمالية والجنوبية ثلاثة أروقة مربعة وفي الضلع الغربى يوجد إيوان كبير أما الضلع الشرقى فيدخل منه إلى القبة ويتوسط هذا الضلع فتحة كبيرة يصعد إليها بثلاث درجات ويتقدمها مدخل ذو ثلاث عقود يقوم على عمودين من الرخام . ويقال أن الإيوان الغربى كان قد اتخذ مكتبه ومعرضا لفظ ملابس من دفن بها من الملوك والسلاطين . وهو ثالث معرض لمخلفات الملوك ، الأول وجد في مسجد سيدى عقبة بن عامر والثاني معرض شجرة الدر بقبة زوجها الصالح نجم الدين .

أما تصميم القبة فيتكون من قاعدة مربعة يوجد في وسطها ثمانية أعمدة أربعة منها من الجرانيت وهى متقابلة ومذهبة التيجان والأربعة الأخرى دعائم مبنية بأركان كل منها أربعة أعمدة من الرخام . ويجمع الأعمدة الجرانيتية والدعائم من أعلى أفريز رخامى دقيق الصنع فوقه أفريز به نقوش مذهبة ويعلو ذلك كله أفريز ثالث به كتابات قرآنية وتاريخ تجديد القبة وذلك بحروف مذهبة على أرضية زرقاء .

(١) الجبرق ج ٢ ص ٦ ، المخطط التوفيقية ج ٥ ص ١١٠

وقد حليت باطن العقود التي تعلوها العمد والدعائم الثمانية بزخارف جصية كما حليت حافتها بنقوش مذهبة ، كما فتح بأضلاع المثلث العليا نوافذ قنصلية ملئت بالجص والزجاج الملون وزخرفت نهايتها بزخارف جصية مورقة ثم مقرنصات وفوق ذلك تقوم القبة الخشبية . وقد شبه الأستاذ حسن^(١) عبد الوهاب تصميم هذه القبة بقبة الصخرة بببيت المقدس ولكنى أرى أن الفرق بينهما كبير ، فقبة الصخرة تخطيطها الخارجى مثلث وقبة قلاوون مربعة . والقبة التي تعلو قبة الصخرة تقوم على أعمدة تعلوها رقبة مستديرة بينما تعلو قبة ضريح قلاوون رقبة مثمثة .

أما الجزء الأسفل من المثلث فقد أحيط بمقصورة خشبية حليت بنقوش وكتابات أمر بعملها الناصر محمد بن قلاوون وكتب اسمه عليها . وبوسط المثلث قبر عليه بقايا تابوت من الخشب المنقوش وعليه كتابات كوفية ونسخية جاء فيها : « الدنيا والدين قلاوون الصالحى سلطان الإسلام والمسلمين قدس الله روحه ونور ضريحه انتقل إلى رحمة الله تعالى... » وقد دفن بهذا القبر المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد وابنه عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن قلاوون . وقد زخرف جدران القبة المربعة وأرضيتها وفتحات النوافذ والدواليب الحائطية التي تزخر بها الجدران بزخارف متعددة بعضها من الفسيفساء الرخامية ومن الصدف والألستر ومن الخشب المطعم بالصدف والعاج كما زخرف بمجموعة من الكتابات المتعدد الأساليب فقد استعمل فيها الخط الكوفى المربع الذى كتب به اسم (محمد) صلوات الله عليه اثنتى عشر مرة . كما ملئت النوافذ بالجص المخرم والزجاج الملون إلى غير ذلك مما لا نستطيع أن نحيط به الحصر .

وقد غطى ما حول المثلث بسقف خشبي مكون من حقائق سبق استعمالها فى قبة الإمام الشافعى وفى قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب وقد طليت هذه الحقائق وغيرها من الزخارف الخشبية برسوم مذهبة وزيتية متعددة الألوان .

وفى وسط الضلع الشرقى من مربع القبة يوجد أكبر وأجمل محراب فى عمارة مصر - الإسلامية ، يكتنف كلا من جانبيه ثلاثة عمد رخامية ويتجويفه أربعة أشرطة من الزخارف

(١) تاريخ المساجد الأثرية ص ١١٩

المحارية مذهبة محمولة على عمد من القاشاني الترجوازي . وباني المحراب مرصع بالرخام والصدف البديع الصنع .

وقد نقش على باب القبة تاريخ إنشائها بما نصه : أمر بإنشاء هذه القبة الشريفة المعظمة مولانا وسيدنا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى قسيم أمير المؤمنين أدام الله أيامه وحرس أنعامه ونشر في الخافقين الويته وأعلامه ، وكان ابتداء عمارته في شوال سنة ثلاث وثمانين وستمئة والفراغ منها في صفر سنة أربع وثمانين وستمئة للهجرة المحمدية النبوية » .

ويشك الأستاذ حسن عبد الوهاب في إمكان اتمام مثل هذه القبة في خمسة شهور كما هو وارد في النص السابق ويؤيده في رأيه كثير من المؤرخين تذكر منهم ابن الفرات^(١) الذى قال : « وإذا شاهد الرائي هذه العمارة العظيمة واتساع فضائها وعلو أسوارها ومكنة بنيانها ، ثم سمع أنها عمرت في هذه المدة القريبة ، ربما أنكر ذلك » وفي النهاية الشمالية لواجهة عمائر المنصور قلاوون تقع المئذنة المكونة من ثلاثة طوابق ، الأول والثانى منها مربع والطابق الثالث اسطوانى تعلوه خوذة أضيفت حديثاً . وقد كسيت طوابق المنارة بزخارف جصية غاية في الدقة والابداع . وقد كانت لهذه المنارة أهمية خاصة في العصور الوسطى فقد كان قاضى القضاة يعلن رؤيا هلال رمضان من فوقها .

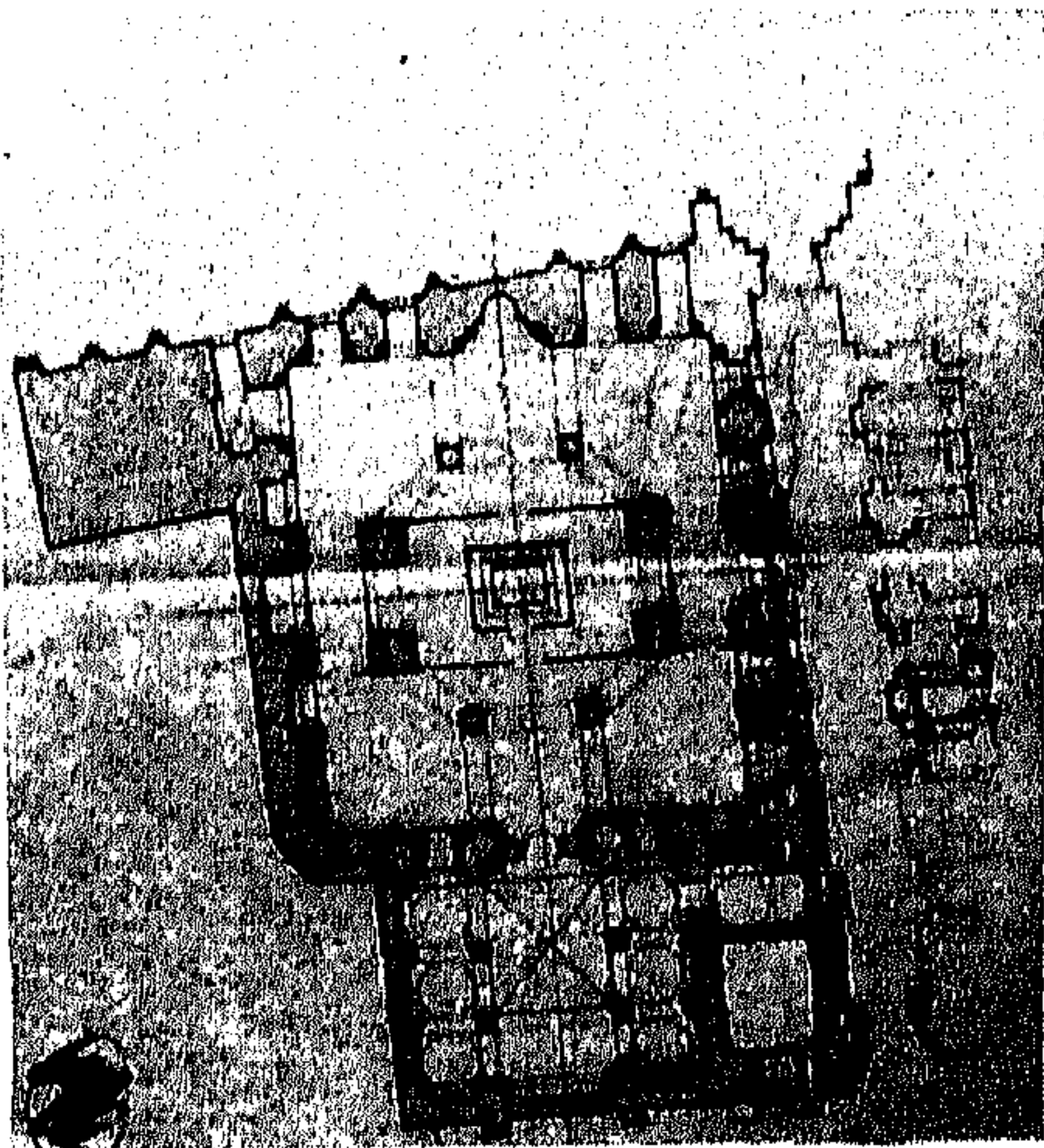
(١) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ج ٨ ص ٩ (طبع بيروت سنة ١٩٣٩) .

وصف البيمارستان

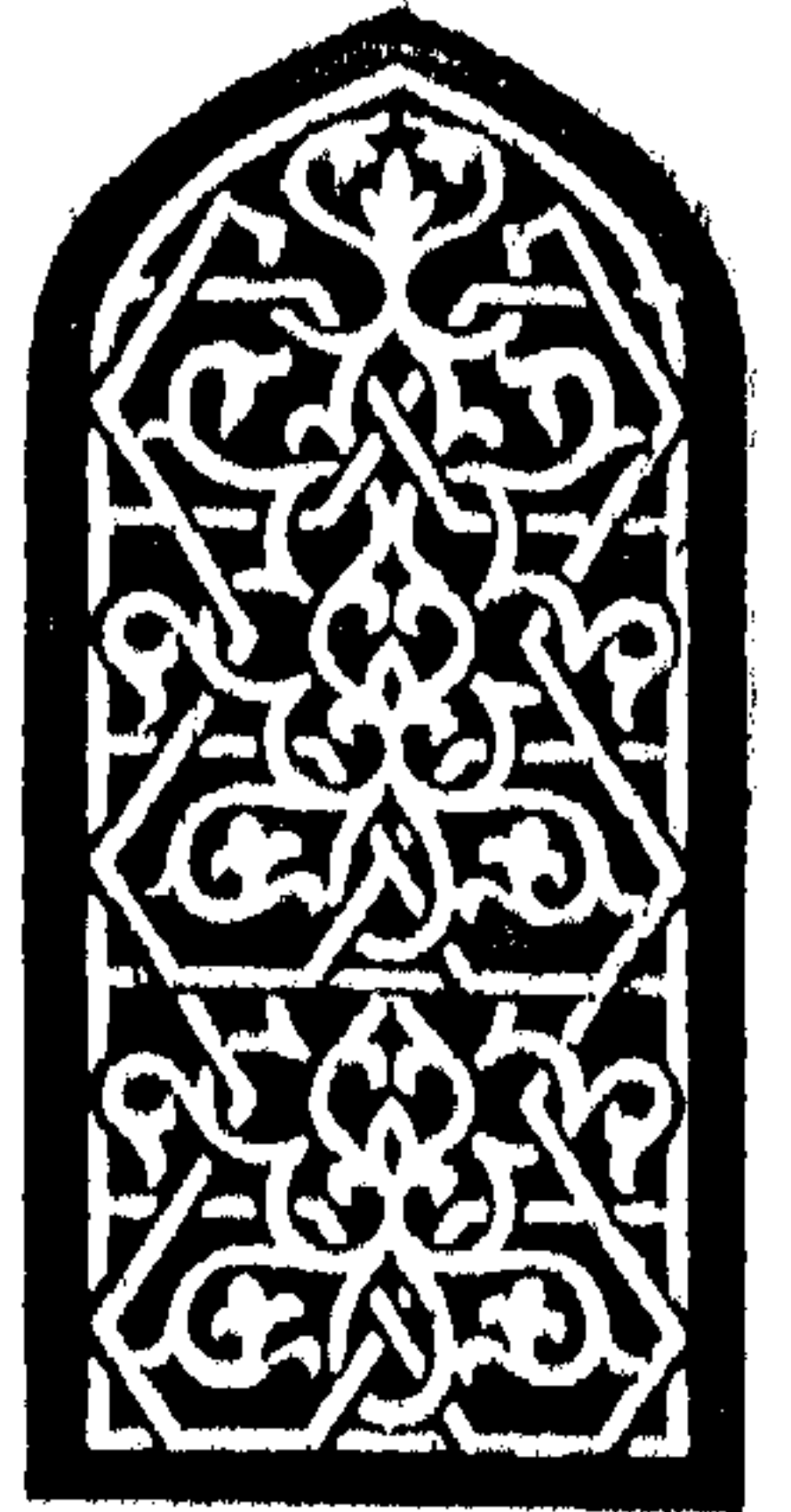
يصف المقرئ البيمارستان الذي قام بعمله علم الدين الشجاعى ، فقال أنه أبقي قاعة ست الملك على حالها وعملها بيمارستانا . وهى ذات إيوانات أربعة بكل إيوان شاذروان - (سلسبيل) ويدور قاعتها فسقية يصير الماء إليها من الشاذروان . ولم يبق من البيمارستان القديم سوى قسم من الإيوان الشرقى به فسقية رخامية تناسب إليها المياه على سلسبيل صغير . كما يوجد نوافذ تحيطها أفاريز بها كتابات كوفية . كذلك توجد بقايا من الإيوان الغربى وبه سلسبيل حليت حافته برسوم حيوانية تنحدر عليها المياه إلى فسقية فمجراه من الرخام تتلاقى مع المجراه المقابلة لها .

وقد بقى البيمارستان يؤدى وظيفته إلى سنة ١٨٥٦ م ، فلم يبق به سوى أصحاب الأمراض العقلية الذين نقلوا منه إلى ورشة الجوخ فى بولاق ، ثم نقلوا إلى العباسية سنة ١٨٨٠ م . وتحول البيمارستان بعد ذلك لمعالجة جميع الأمراض ثم اقتصر على أمراض العيون ويتبع لوزارة الأوقاف منذ سنة ١٩١٥ م .

وقد زار السلطان قلاوون البيمارستان بعد الفراغ من إنشائه وتناول قدحا من شرابه وقال : « قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى وجعلته وقفاً على الملك والمملوك والذكور والآناث والكبير والصغير والحر والعبد والجندي والأمير » .



(شكل ٧) قبة المتصور قلاوون



مدرسة وقبة الأمير حسام الدين طرنتاي المنصوري

سنة ٦٨٩ هـ
بحارة الوزيرية خلف محكمة
الاستئناف الوطنية باب الخلق

هو طرنتاي بن عبد الله المنصوري الذي رباه الملك المنصوري قلاوون صغيراً ورقاه في خدمته حتى تقلد قلاوون كرسى السلطنة جعله نائب السلطنة بالديار المصرية بدلاً من الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى وخلع عليه في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وستائة فباشر أمر نيابة السلطنة مباشرة حسنة وفي سنة ٦٨٥ هـ خرج من القاهرة بالعساكر إلى الكرك وكان فيها الملك المسعود نجم الدين خضر وأخوه بدر الدين سلامس ابنا الملك الظاهر بيبرس ونازل الكرك حتى أخذ المدينة بالأمان وأرسل البشارة بذلك إلى السلطان بقلعة الجبل وعند عودته خرج السلطان إلى لقائه وأكرمه ورفع قدره ثم بعثه إلى أخذ صهيون وربها سنقر الأشقر فسار الأمير حسام الدين إليها بالعساكر من القاهرة ونازلها وحصرها حتى نزل إليه سنقر بالأمان وسلم إليه قلعة صهيون وسار به إلى القاهرة فخرج السلطان إلى لقائه وأكرمه ولم يزل على مكانته إلى أن مات الملك المنصور وقام في السلطنة بعده ابنه الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون فاستتابه أياماً إلى أن رتب أموره ودبره ودبر أحواله فلما رسخت قدم الأشرف في السلطنة أمسكه وكان في نفسه منه مودة من أيام والده إذ كان الأمير حسام الدين يطرح جانبه في أيام أبيه ويغض عنه ويهين نوابه ويؤذى من يخدمه لأنه كان يميل إلى أخيه الملك الصالح علاء الدين على بن قلاوون فلما مات الصالح على وانتقلت ولاية العهد إلى الأشرف خليل بن قلاوون مال إليه غير أن السلطان كان منحرفاً عنه وقد نقل إليه أن الأمير حسام الدين يتحدث سرّاً في افساد نظام المملكة وإخراج الملك

عنه وأنه قصد أن يقتل السلطان وهو راكب في الميدان الأسود الذي تحت قلعة الجبل عندما يقرب من باب الاصطبل فلم يحتمل السلطان ذلك ونزل الأشرف من جواده واستدعى الأمير طرنطاي فمنعه الأمير زين الدين كتبغا المنصوري من الدخول إليه بالاصطبل وحذره منه وقال له لا تدخل عليه إلا في عصابة تعلم أنهم يمنعونك منه إن وقع أمر تكره فلم يعجباً لقوله ظنا منه أن أحداً لا يجسر عليه لمهابته في القلوب ومكانته من الدولة وأن الأشرف لا يبادره بالقبض عليه . فلما وقف على عادته بين يدي السلطان بادر إليه جماعة أعداء السلطان وقبضوا عليه وأوسعوه بالكم من كل جانب والسلطان يعدد ذنوبه^(١) ويذكر له أساءته وسلط عليه العذاب وسلمه الأشرف إلى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى الذى كانت بينه وبين الأمير حسام الدين عداوة على الرتبة وأمره بتعذيبه فأذاقه العذاب ألواناً حتى مات شهيداً وصبر على العذاب صبراً لم يعهد مثله عصر إلى أن هلك وجاء بالنجم الزاهرة : « أنه لما غسلوه وجذوه قد تهرأ لحمه وتزايلت أعضاؤه وأن جوفه كان مشقوقاً كل ذلك ولم يسمع منه كلمة » .

وكانت وفاة الأمير حسام الدين أبو سعيد طرنطاي سنة تسع وثمانين وستمائة وكان مفرط الذكاء غزير العقل مدبراً لأحوال السلطنة مرتباً لأموارها وكان له مواقف مع العدو وغزوات مشهورة وفتوحات وبني مدرسة حسنة بقرب داره بخط البندقيين بالقاهرة وقبة وله أوقاف على الأسرى وغيرها وقد ظل جثمان الأمير حسام الدين مطروحاً بحبس القلعة ثمانية أيام ثم أخرج ولف في حصير وحمل إلى زاوية الشيخ أبي السعود بالقرافة فغسله الشيخ عمر السعوى شيخ الزاوية وكفنه من ماله ودفنه خارج الزاوية ليلاً وبقي هناك إلى سلطنة العادل كتبغا فأنمر بنقل جثته إلى تربته التى أنشأها بمدرسته .

وجاء بالنجوم الزاهرة^(٢) أن تاج الدين بن الشيرازى المحتسب المتوفى سنة ٧١٢ هـ أنه ذكر أنهم وجدوا في خزانة طرنطاي من الذهب العين ألف دينار وأربعمائة ألف دينار وألف حياصة ذهب وألف وسبعمائة كلوته مزر كشة ، ومن الدراهم مالا يحصى .

وجاء في السلوك^(٣) : وأوقع الحوطة على موجوده فوجد له من المذهب العين ألف ألف

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٦

(٢) ابن تغرى بردى : ج ٧ ص ٣٨٩

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٥٨

وستمئة ألف دينار مصرية ومن الفضة سبعة عشرة ألف رطل ومائة رطل بالمصري . ومن العدد والقماش والخيول والمماليك والبغال والجمال والغلال والآلات والأماك والنحاس المكفت^(١) والمطعم^(٢) والزبدخاناه^(٣) والسروج واللجم وقماش الطشتخاناه والركاب خاناه والفراش خاناه والحوائص^(٤) والبضائع والقارضات والودائع والقنود والأعسال مالا يحصر .

وقال غيره : وجد لطرنتاي ألف ألف دينار وستمئة ألف دينار . ثم ذكر أنواع الأقمشة والخيول والجمال والبغال والمتاجر ما يستحي من ذكره كثره . ومات طرنتاي المذكور ولم يبلغ خمسين سنة من العمر^(٥) .

ولما حملت أموال طرنتاي إلى الأشرف قال : « من عاش بعد عدوه يوماً فقد بغ المنى » . وبعد أيام من مقتل طرنتاي سئل ولده الحضور ، فلما وقف بين يدي الأشرف ، إذا هو أعمى فبكى ومد يده كهيئة السائل وقال « شيء لله » وذكر أن لأهه أياماً ما عندهم ماياً كانوا . فرق له (السلطان) وأفرج عن أملاك طرنتاي وقال « تبلغوا بريعتها »^(٦) .

(١) النحاس المكفت هو المطل سطحه كله أو جزء منه فقط بمعدن أخرى يكون ثميناً كالذهب والفضة (: Quatremere op. cit. II p. 144 . غير أن المقریزی (المواعظ والإعتبار ج ٢ ص ١٠٥) يقول في باب سوق الكفتين أن الكفت « هو ما تعلم به أواني النحاس من الذهب والفضة » ، أي أن التكفيت هو التطعيم . وقد ذكر المقریزی أيضاً (نفس المرجع والجزء والصفحة) أنه « كان لهذا الصنف من الأعمال بديان مصر رواج عظيم وللناس في النحاس المكفت رغبة عظيمة ... فلا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ، ولا بد أن يكون في شورة العروس دكة نحاس مكفت والدكة عبارة عن شيء شبه السرير ، يعمل من خشب مطعم بالعاج والأبنوس أو من خشب مدهون ، وفوق الدكة دست (كذا) طاسات من نحاس أصفر مكفت بالفضة ، وعدة الدست سبع قطع بعضها أصفر من بعض ، تبلغ أكبرها ما يسع نحو الأردب من القمح ، وطول الأكفات التي نقشت بنظائرها من الفضة نحو الثلث ذراع في عرض أصبعين ، ومثل ذلك دست أطباق عدتها سبعة بعضها في جوف بعض ، ويفتح أكبرها نحو الذراعين وأكثر ، وغير ذلك من المناير (كذا) والشرح وأحقاق الأشنان ، والطشت والإبريق والمبخرة ، فتبلغ قيمة الدكة من النحاس المكفت زيادة على مائتي دينار ذهباً ، وكانت العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب وأمائل التجار تجهز في شهورتها عند بناء الزوج عليها سبع دك : دكة من فضة ، ودكة من كفت ودكة من نحاس أبيض ، ودكة من خشب مدهون ، ودكة من صيني ، ودكة من بلور ، ودكة مدهني (كذا) ، وهي آلات من ورق مدهون تحمل من الصين » .

(٢) النحاس المطعم هو المنقوش (Incrusté) بخيوط من الذهب أو الفضة ، أو هما معاً (: Quatremere op. cit. II p. 144) ، وقد يعلم الخشب بالأبنوس أو العاج .

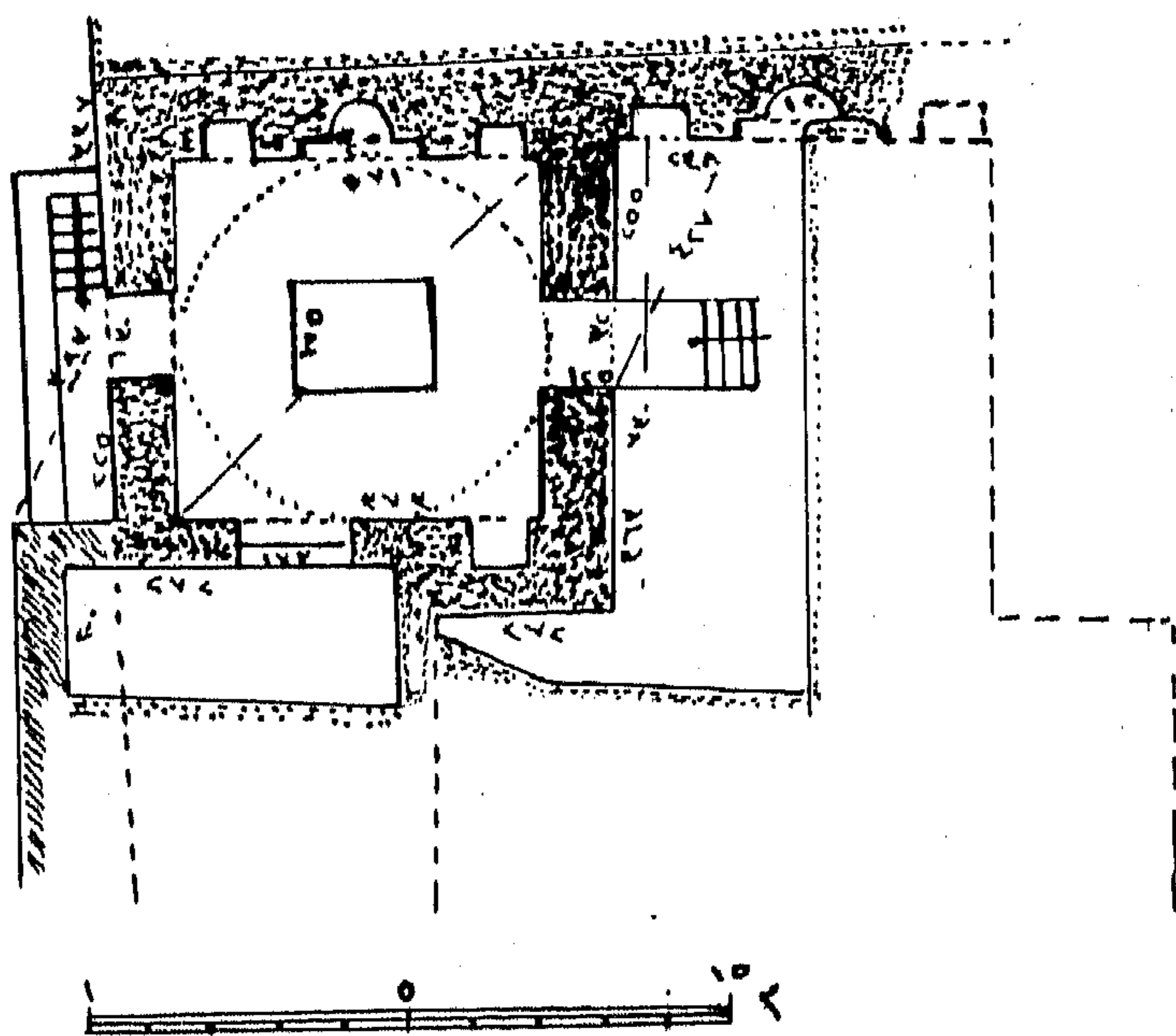
(٣) الزرد : هي السلاسل المعدنية التي تعمل بها الملابس الواقية في الحرب والحان بمعنى المكان .
(٤) الحوائص هي المناطق (الأحزمة) وكان ثمن حوائص الأجناد أربعمئة درهم فضة ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الأمراء الكبار بثلاثمائة دينار وأمراء الطبليخانة مائتي دينار ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين إلى مائة وخمسين ديناراً ، وكانوا يتخذونها من الذهب ومنها ما هو مرصع بالجواهر (المقریزی الخللط ج ٢ ص ٩٩) .

(٦) ابن إياس : ج ١ ص ٣٦٥

(٥) المقریزی : السلوك ج ١ ص ٧٥٧

ومن تولى مشيخة هذه المدرسة قاضى الحنفية فى القرن التاسع برهان الدين إبراهيم
ابن زيد الدين بن إبراهيم بن زين الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الكركى الحنفى كان عالماً
ومن رؤساء الحنفية ، وكان إمام الأشرف قايتباى وولى عدة وظائف سنية فقد ولى قاضى
قضاة الحنفية مرتين .

وقد أقام الأمير طرنطاي كثيراً من المنشآت التجارية فقد أنشأ فندقاً فى خارج البحر
ظاهر المقس (باب الحديد الآن) كان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام وكان فيه
ستة عشر عموداً من الرخام طول كل عمود ستة أذرع (معمارى) وكان يعلو الفندق ربع
كبير ، فلما وقعت حريق القاهرة فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة خسر التجار كمية من
الزيت بلغت قيمة ما أخذ عليها من المكوس عشرين ألف درهم فضة نقره ، هذا بالإضافة إلى
أصناف أخرى بلغت قيمتها تسعين ألف درهم نقره . وقد اندثر هذا الفندق بعد هذا -
الحريق المروع .



(شكل ٨) ضريح حسام الدين طرنطاي

الوصف المعماري

يتكون الضريح كما هو العادة دائماً من مكعب يبلغ طول ضلعه سبعة أمتار تقريباً طولاً وعرضاً ، (٦٢٩ر) أمتار في الارتفاع . ويعلو المكعب منطقة انتقال التي تتكون من ثلاث درجات من الخارج يبلغ إرتفاعها (٢٦٢ر) متر . ثم يتوج هذا المكعب قبة يبلغ إرتفاعها (١١٥) متراً ، أي أن منطقة الارتفاع مع القبة يبلغ إرتفاعهما (١٤) متراً .

ولكى ندخل إلى هذا الضريح الذي انخفض عن مستوى أرض الشارع يجب علينا أن ننزل قالبة من الدرجات حتى نصل إلى المدخل (١) الذي يقع في الجهة الشمالية منه ويبلغ اتساعه (١٣٠ر) متر . ويبلغ طول ضلع الضريح من الداخل (٧٠ر٥) أمتار تقريباً ، أما سعة المحراب المجوف فيبلغ (٢٤١ر) متر يحيط به إطار من الزخارف الجصية يبلغ إرتفاعه (٧١ر٥) أمتار .

ويحيط بالضريح شريطاً من الخشب الأول يبعد عن أرضية الضريح بمقدار (٣٥ر) أمتار ما تزال عليه بقايا كتابات ملونة . ويعلو جدار الضريح وعند نهاية إطار المحراب وبداية منطقة الانتقال يوجد الشريط الخشبي الثاني وهو أضيق من الأول .

وتتكون منطقة الانتقال من الداخل من ثلاثة صفوف كل منها يتكون من خمسة مقرنصات ويعلو ذلك جميعاً صف مكون من أربع وعشرين حنية ثمان منها مفتوحة ، وهذا الصف الأخير يكون بداية القبة في الواقع . وبين مقرنصات منطقة الانتقال توجد أربع نوافذ تتكون كل منها من ست فتحات . ويعلو الصف الرابع من الحنيات شريط عريض تحتوى على كتابات محصورة في ثمانية بحور (round-ended) يتخللها جامات . وفي سمت القبة توجد دائرة كبيرة بها كتابات في وضع دائري .

وفي الجهة الجنوبية وفي مقابل باب المدخل يوجد باب آخر (ب) يؤدي إلى فناء (ج) يشغل ضلعه الجنوبي منزل حديث . وفي الضلع الشرقي لهذا الفناء نجد محراباً عقده ذو زاوية اختبأ جزء منه . كذلك نجد بداية عقد (د) ، وعلى ذلك يمكن القول بأن هذا الفناء كان

يكون جزءاً من إيوان المدرسة التي أشار إليها المقرئى^(١) وقال أن الأمير حسام الدين طرنطاي بناها بجوار ضريحه الذي دفن فيه .

ولابد وأن تكون مساحة هذا الإيوان ٧٥٠ أمتار عمقاً و ٦ م وسعاً وفتحته معقودة وسقفه مسطح . وإذا صعدنا إلى سطح جامع الأفضل الملاصق للحائط الغربى للضريح نجد أن حائط الإيوان يمتد إلى بداية قبة الضريح ، كما نلاحظ رؤوس أوتاد خشبية بارزة وهى التى كانت تستعمل لتثبيت شريط خشبى عليها كما هو الحال فى جامع بيبرس وضريح فاطمة خاتون والأشرف خليل .

وإذا ما عبرنا الركن الجنوبى الغربى متجهين إلى الضلع الغربى نجد حنية بسيطة يعلوها عقد ذو زاوية (Keel) سعته (١٧٠) متر يزخره رسوم جصية دقيقة مكونة من مراوح نخيلية مسننة عند (و) وبقايا أخرى مشابهة عند (ز) .

ويبلغ طول ضلع الصحن الذى يحيط بالقبة (١١٤٠) متراً . والفتحة الموجودة بالضلع الغربى التى تؤدى إلى (ح) ، ليست قديمة وخاصة بشكلها الحالى وذلك لاتساعها الكبير ، كما أن الغرفة (ح) استحدثت فيما بعد عندما بنى المسجد العثمانى المجاور لها ، كما هو واضح فى (التخطيط) . ومن المرجح أن تكون الحجرة (ح) قد حلت محل حجرة سابقة كان تؤدى إلى القبة وإلى الصحن فى نفس الوقت .

ويوجد المدخل الرئيسى للقبة فى الضلع الشمالى (أ) وهو منخفض عن سطح الأرض ولذا فهو يتقدمه سور وقلبه من خمس درجات يصعد بها إلى مستوى الطريق . ويعتقد الأستاذ كرزويل أن هذا المدخل مستحدث وأنه بنى فيما بعد عندما تهدمت القبة والضريح ، ولكنى لا أتفق معه تماماً فى هذا رأى ، لأن هذا المدخل يقابله تماماً فى الضلع الجنوبى للقبة باب آخر يؤدى إلى صحن الضريح (ب) والفتحتان فى الجدران الأصلية للقبة .

التاريخ : (٢)

لقد نقش على التابوت الخشبى النص التالى : هذا قبر الفقير إلى الله الأمير الجليل حسام الدين طرنطاي المالكى المنصورى ، توفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة

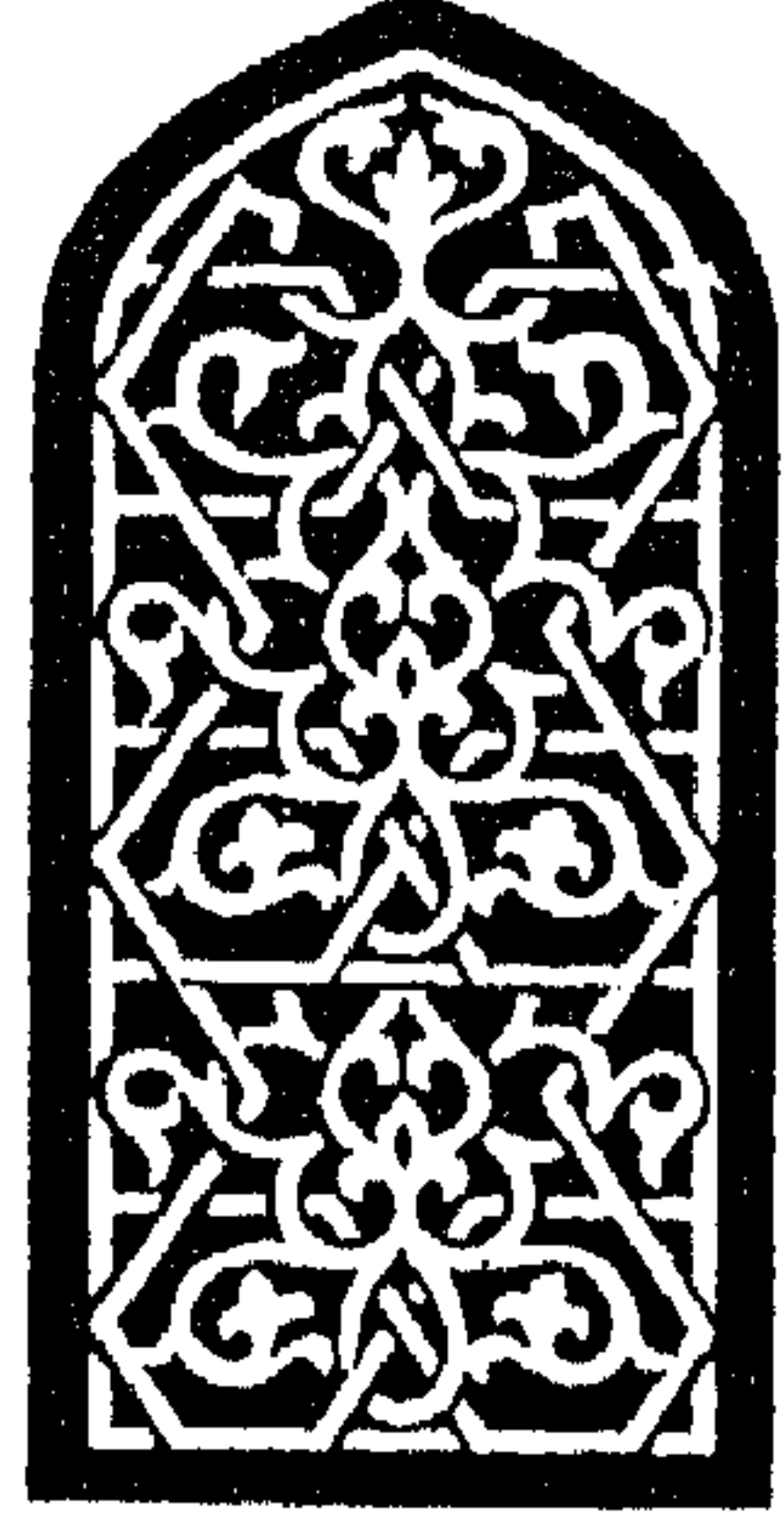
(١) الخطل ج ٢ ص ٣٨٦

(٢)

من سنة ستائة وتسعة وثمانين (نوفمبر سنة ١٢٩٠ م) . وبرغم أن هذا النص يعطينا تاريخ الوفاة إلا أنه لم يذكر في النص إذا كان الضريح قد بنى قبل أو بعد وفاة الأمير . وكما تحدثنا المراجع التاريخية بأن الأمير حسام قد قتل بعد وفاة سيده المنصور قلاوون بثمانية أيام وأن جثمانه قد غسل في زاوية أبي السعود العشائر بالقرافة الصغرى ودفن بالقرب منها . وقد بقيت جثته في مكانها حتى تولى السلطنة العادل كتبغا فأمر بنقل جثمان طرنطاي إلى تربته التي أنشأها بمدرسته الحسامية بمخطط المسطاح بمحارة الوزيرية^(١) . وعلى ذلك فمن المرجح أن يكون الضريح قد بناه طرنطاي في عهد مولاه المنصور قلاوون وقبل وفاته مباشرة في^(٢) سنة ٦٨٩ هـ .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٨ ص ٢٨٤ (محمد رمزي في الهامش) .

(٢)



ضريح الملك الأشرف خليل

سنة ٦٩٠ هـ

بشارع الخليفة بقسم الخليفة

هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى ، جلس على العرش يوم وفاة أبيه فى يوم الأحد سابع - ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . وكان والده قلاوون قد وكل إليه أمر السلطنة فى حياته بعد موت أخيه الملك الصالح على بن قلاوون فى سنة سبع وثمانين وستمائة ، ثم تربع على تخت الملك بعد موت أبيه بعد أن جدد الأمراء والجند الحلف بالولاية له .

طلب الملك الأشرف من القاضى فتح الدين بن الظاهر تقليده^(١) ، فأخرجته إليه مكتوباً بغير علامة الملك المنصور ، وكان ابن عبد الظاهر قد قدمه إلى الملك المنصور ليعلم عليه فلم يرض وتقدم طلب الأشرف وتكرر وابن عبد الظاهر يقدمه إلى الملك المنصور ، والمنصور يمتنع إلى أن قال له : يا فتح الدين ، أنا لا أولى خليلاً على المسلمين ومعنى هذا أن المنصور لا يرتاح لخلق وصفات ولده خليل ومن ثم فقد ندم على توليته العهد بعده ومن ثم فقد رفض التوقيع عليه فلما رأى الأشرف التقليد بلا علامة . قال : يا فتح الدين ، السلطان امتنع أن يعطينى وقد أعطانى الله ! ورعى التقليد من يده وتم أمره ، ورتب أمور الديار المصرية ، وكتب بسلطنته إلى الأقطار وأرسل الخلع إلى النواب بالبلاد الشامية .

والأشرف خليل هو السلطان الثامن من ملوك دولة المماليك البحرية وأولادهم . ولما باشر الأشرف أمور السلطنة خلع على أرباب وظائفه بمصر ومنهم الأمير بيدرا المنصورى نائب

(١) معناه الاصطلاحي ما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم ومعناه هنا العهد .

السلطنة بالديار المصرية ، ووزيره ومدبر مملكته شمس الدين محمد بن السلعوس الدمشقي : وهو في الحجاز الشريف . وعلى بقية أرباب وظائفه وعلى نوابه بالبلاد الشامية فقد كان نائبه بدمشق وما أضيف إليها من الشام ، هو الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ، ونائب السلطنة بالممالك الجلية وما أضيف إليها الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري ، ونائب الفتوحات الساحلية والأعمال الطرابلسية الأمير سيف الدين تلبان السحلمدار المعروف بالطباخي ونائبه بالكرك والشوبك وما أضيف إليها الأمير ركن الدين بيبرس الدادار المنصوري ، صاحب التاريخ المعروف (بتاريخ بيبرس الدوادار) . وصاحب المعره الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد الأيوبي . والمدين هم تحت طاعته من الملوك صاحب مكة المشرفة الشريف نجم الدين الوغى محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسني وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر . وهؤلاء هم الذين أرسل إليهم بالخلع والتقاليد .

وفي عام ٦٩٠ هـ أخذ الملك الأشرف في التجهيز للسفر إلى البلاد الشامية ، وإتمام ما كان قد قصد إليه والده من حصار عكا ، فأرسل إلى البلاد الشامية بعد أن استتب له أمر الملك ، فجمع العساكر وعمل آلات الحصار وجمع الصناع . خرج بعساكره من الديار المصرية وسار حتى نازل عكا في يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ بما اجتمع عنده من جند مصر وجند الشام والعديد من المتطوعين ، ونصب عليها المجانيق الكبار^(١) الفرنجية خمسة عشر منجنيقاً ، منها ما يرمى بقنطار دمشق ، وأكبر ومنها دونه . وأما المجانيق .. الشيطانية وغيرها فكثيرة^(٢) .

ولما ضاق الخناق بأهل عكا استنجدوا بصاحب قبرس ، فقدم إليهم فأشعلوا نيراناً عظيمة فرحاً بمقدمه ، غير أنه لما رأى انحلال أمرهم وعظم ما دهمهم ، عاد إلى بلاده بعد أن لبث فيهم ثلاثة أيام .

(١) صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٧ : المجانيق جمع منجنيق ، وهو آلة من خشب لها ذمتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه كفة المنجنيق التي يحمل فيها الحجر ، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه فإصاب شيئاً إلا أهلكه .

(٢) عيون التواريخ وجواهر السلوك ص ١٦٥ « وأما عكا فإنهم نصبوا عليها اثنين وسبعين منجنيقاً ما بين أفرنجية وشيطانية » . وفي السلوك للمقريزي ج ١ ص ١٢٥ « وعدتها اثنان وتسعون منجنيقاً » .

لم يزل الحصار يطوق مدينة عكا والمسلمون يجدون في الاستيلاء عليها حتى اندحلت عزائم من بالمدينة وضعف أمرهم واختلفت كلمتهم .

فلما كان فجر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ، ركب السلطان والعساكر وزحفوا عليها قبل طلوع الشمس وعند ملاصقة عسكر السلطان لسور المدينة ، هرب الفرنج ، وملكّت المدينة بالسيف ، ولم تمض ثلاث ساعات من النهار المذكور ، إلا وقد استولى المسلمون عليها ودخلوها ؛ فهرب الفرنج قاصدين البحر فتبعتهم العساكر الإسلامية وأسرتهم ولم ينج منهم إلا القليل . غير أن جماعة الديوية والاستبارية عصوا أمر التسليم كما استتر الأرمين في أربعة أبراج عالية في وسط المدينة فحاصروا فيها .

وفي اليوم الثاني لفتح المدينة ، قصد جماعة من الجند وغيرهم الدار والبرج الذي فيه الديوية فطلب من فيهما الأمان فأمنهم السلطان وفي اليوم الثامن والعشرين من جمادى المذكورة أخذ السلطان البرج الذي بقي بعكا وأنزل من فيه بالأمان ، وكان قد أغلق من سائر جهاته ، فعزل السلطان النساء والصبيان ناحية وضرب رقاب الرجال أجمعين . والعجيب^(١) أن الله سبحانه وتعالى قدر فتح عكا في مثل اليوم الذي أخذها الفرنج فيه ، ومثل الساعة التي أخذوها فيها ، فإن الفرنج كانوا قد استولوا على عكا في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة في الساعة الثالثة من النهار وأمنوا من كان بها من المسلمين ثم قتلوهم غدراً . وقدر الله تعالى أن يسترجعها المسلمون منهم في هذه المرة يوم الجمعة في الساعة الثالثة من النهار ، ووافق السابع عشر من جمادى الأولى وأمنهم السلطان ثم قتلهم كما فعل الفرنج بالمسلمين ، فانتقم الله تعالى من عاقبتهم .

جهز السلطان عند منازلته عكا جماعة من الجند جعل مهمتهم حفظ الطرق وتعرف أخبار الفرنج المنهزمين ، فلم يشعر الأمير علم الدين سنجر الصوابي رئيس تلك الحملة ، إلا ومواكب الفرنج المنهزمين من عكا قد قصدت ميناء صور ، فحال بينهم وبين الميناء ، فطلب أهل صوراً أماناً فأمنهم على أنفسهم وأموالهم فسلموه المدينة وقد كانت صور من الموانئ الحصينة حتى أن صلاح الدين الأيوبي لم يستطع فتحها فيما فتح من مدن الساحل ، بل كان صلاح الدين كلما فتح مكاناً وأمن أهله أوصلهم إلى صور لمناعتها . وأخيراً ألقى الله في قلوب أهلها الرعب فسلموها من غير قتال إذ لم يكن أمر الاستيلاء عليها يدور في خلد الملك الأشرف .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٨ ص ٨

رحل الملك الأشرف عن عكا قاصداً دمشق فزينت له المدينة واحتفل بقدمه احتفالاً عظيماً ولما استقر بدمشق شرع في تجهيز حملة لإخضاع بلاد سويس ، غير أن رسل صاحبها أظهروا الطاعة وطلبوا رضاء السلطان عليهم مع استعدادهم لإعطاء السلطان كل ما يطلبه من قلاع أو مال فتم الاتفاق على أن يسلم صاحب سويس لغواب السلطان ثلاث قلاع وهى : بهسنا^(١) ومرعش^(٢) وتل حمدون^(٣) وفرح الناس بذلك لأنها كانت مصدر قلق للمسلمين وخصوصاً بهسنا التى كثيراً ما شن أصحابها الغارات على المسلمين .

عاد السلطان إلى الديار المصرية وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة قصد ومعه وزيره الصاحب شمس الدين بن السلعوس ، نائب سلطنته الأمير بدر الدين بيدرا وجميع الأمراء إلى الصيد ، فلما وصل إلى الطرانة^(٤) فارقه وزيره ابن السلعوس متوجهاً إلى الاسكندرية أما السلطان فإنه نزل بالحمامات للصيد وكلف فائبه أن يأخذ العساكر ويتقدمه غير أن الأخير عاد وضرب السلطان ضربة قطع بها يده ثم تابعه الأمير حسام الدين لاجين وغيره فى الاجهاز عليه .

ولما قتل السلطان ، بايع الأمراء بيدرا بالسلطنة وبينما هو عائد إلى القاهرة إذا بمماليك السلطان الأشرف يتقدمون فى نحو ألف وخمسمائة فارس مطالبين بدم أستاذهم والانتقام من بيدرا ومن معه وكان يتزعّم هؤلاء الأمير زين الدين كتبغا فأحاطوا بيدرا الذى تفرق عنه أصحابه لما عرفوا أن الدائرة ستدور عليه وقد تمكن زين الدين كتبغا من القبض على بيدرا وقتله .

(١) بهسنا : قلعة فى شمال حلب على نحو أربع مراحل منها . قال فى تقويم البلدان لياقوت صبح الأعشى ص ٤٥ هى قلعة حصينة مرتفعة لا ترام حصانها . وهى بلدة واسعة كثيرة الخير والحصب وهى فى الغرب والشمال من عينتاب . وبينها مسيرة يومين . وبينها وبين سويس نحو ستة أيام (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢١) .

(٢) معجم البلدان لياقوت : مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى ، بناء مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار .

(٣) تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل : تل حمدون : قلعة حصينة ببلاد الأرمن لها سور جيد حسن البناء ، وهى على تل عال ولها ريف وبساتين ونهر يجرى عليها ، وهى على القرب من جييجان على بعض مرحلة فى جهة الجنوب عنه ، وبين تل حمدون وبين سويس نحو مرحلتين .

(٤) الطرانة : من البلاد المصرية القديمة . وهى قرية صغيرة واقعة على الشاطئ الغربى لفرع النيل الغربى (فرع رشيد) ضمن قرى مركز كرم حمادة بمحافظة البحيرة ، جنوب محطة كفر داوود وعلى بعد ثلاثة كيلومترات منها .

الوصف المعماري

يشبه ضريح السلطان الأشرف خليل ضريح فاطمة خاتون المجاور له ، إلى حد كبير سواء من حيث المساحة أو الأسلوب المعماري أو الزخارف الجصية والخطية ، ولذلك فإن كزويل^(١) يعتقد أن المعمار الذي قام بالتنفيذ وأحد في الاثنين . ويتكون الضريح من مكعب تقريبا طول ضلعه (١٤) مترا من الخارج . وترتكز الجدران من الخارج على قاعدة (Plinth) مشطوفة ارتفاعها ٣٥ سم وعرضها ١٦ سم ، قد زال كثير من هذه القاعدة ولم يبق منها إلا أجزاء في الضلع الشرقي والضلع الغربي . ويستند الجدران إلى أعلى وعلى ارتفاع (١١ر٢٣) مترا تبدأ الشرفات المدرجة التي تشبه تلك الموجودة في سقيفة الضريح .

وفي وسط كل ضلع من أضلاع الضريح يوجد باب ماعدا جدار القبلة حيث يتوسطه القبلة والأبواب كلها مستطلة إذ يبلغ وسعها (١ر٨٠) متر وارتفاعها (٢ر٩٠) متر ويعلو كل باب عتب خشبي فوقه عقد عاتق . ويعلو كل باب وكذا بروز المحراب نافذة طويلة معقودة يعلوها عقد مدبب ويحيط بها زخارف قالبية (Cavetto) ويعلو الزخارف القالبية في النافذتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية بقايا كتابات كوفية جصية تشبه تلك الموجودة في ضريح فاطمة خاتون .

ويعلو المكعب رقبة مئمنة مبنية من الآجر ارتفاعها حوالي (٦) أمتار وفي كل ضلع من أضلاع المئمن توجد حنية بداخلها نافذة . وترتكز عقود الحنايا على أعمدة مندمجة . وفي كل أركان المربع توجد درجة من الخارج تفصل بين المربع ومنطقة الانتقال إلى مئمن الرقبة

ويشبه الضريح من الداخل كذلك ضريح فاطمة خاتون ، إذ يحيط بالأبواب الثلاثة

وكذا المحراب حنايا مستطيلة إذ يبلغ طولها (٣١٠ر) أمتار ويبلغ عمقها ٤٥ سم وعلى جوانبها أعمدة ، زالت معظمها الآن . وفي الجزء العلوى من حنية توجد النوافذ الى أشرفنا إليها سابقا .

وعلى ارتفاع ٩ أمتار من أرضية الضريح توجد فى أركان المربع ثلاثة صفوف من المقرنصات كل صف يحتوى على خمسة مقرنصات . ويقع الصف الأول من المقرنصات على مستوى نهاية النافذة التى تتوسط كل ضلع من أضلاع المربع . وبين أركان وعلى ارتفاع صفى المقرنصات توجد نافذة ذات ثلاث فتحات . والمقرنص المتوسط فى الصف الثالث قد فتحت على شكل نافذة فى مستوى الفتحة العليا فى النافذة ذات الثلاث فتحات وهى ترى واضحة من الخارج فوق الدرج الذى يفصل بين المربع ومثنى الرقبة . ويعلو صفوف المقرنصات الثلاث شريط جميل من الزخارف جزؤه السفلى يحتوى على كتابات قرآنية بالخط النسخى محصورة فى ثمانية بمحور تفصل بينها دوائر . والجزء العلوى يحتوى على زخارف نباتية محورة يتخللها (٢٤) نافذة مستديرة ملئت كلها بزخارف هندسية من الجص ، وإن كان ثمان منها فقط هى المفتوحة وهى التى تتوسط أضلاع مثنى الرقبة . ويعلو شريط الزخرفة الذى يحتوى على النوافذ المستديرة (Bull's-eye) أفريز من الخشب زالت زخارفه تماما ، ويعلو ذلك مباشرة كوابيل خشبية لعلها كانت حوامل لسلاسل القناديل أو المشكاوات .

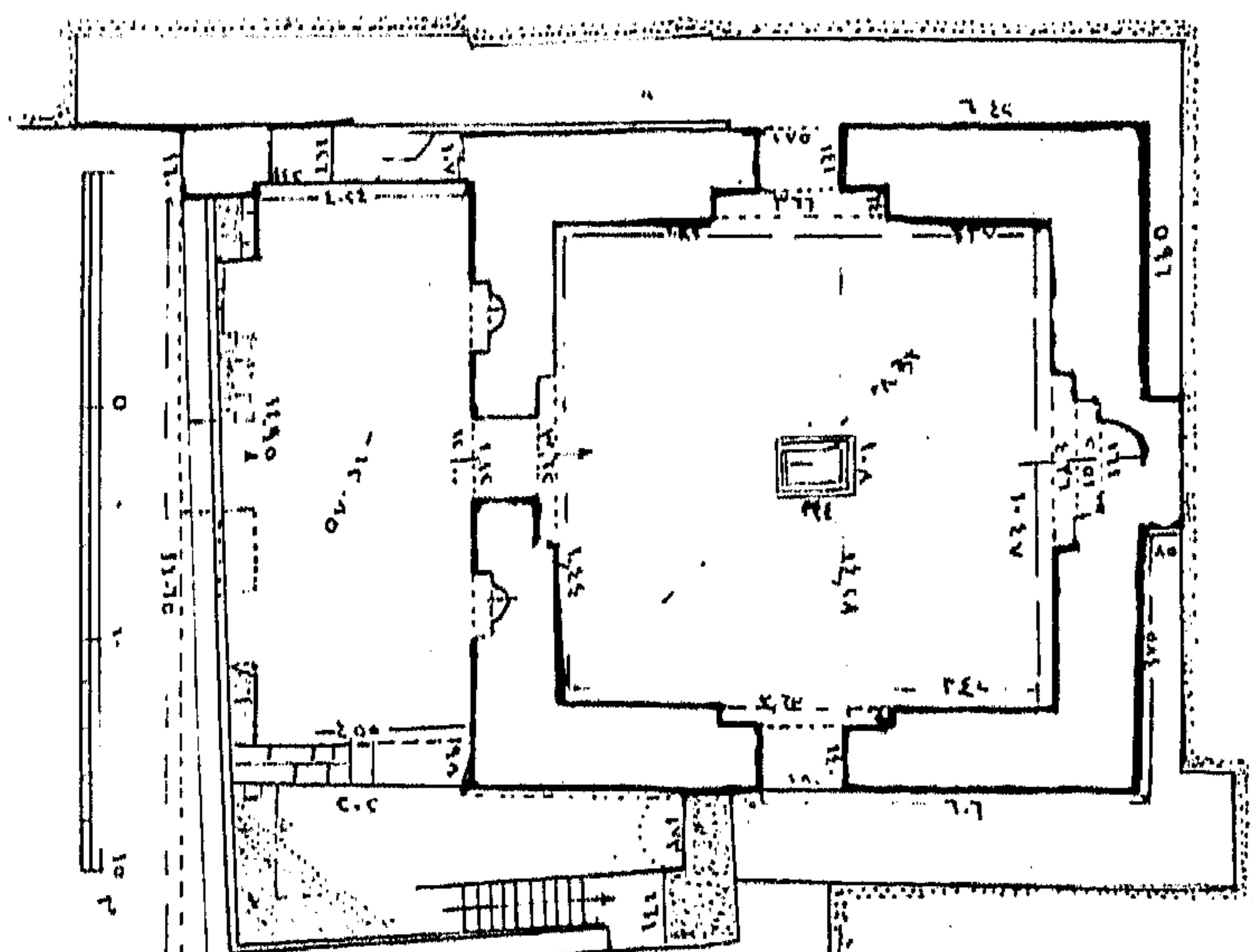
لقد قويت القبة بثمانى دعائم نصف دائرية ، كما فتح فيها عند بدايتها أربع نوافذ . وشكل القبة غير عادى وهى تشبه قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب . وكانت القبة فى الأصل قبل الترميمات التى أجريت لها سنة ١٩١٧ مبنية من صفيين من الآجر مع مونة جيدة للغاية .

ويبدو الضريح من الخارج وكأنه خال من الزخارف فيما عدا الزخارف الجصية فى النوافذ ، وشريط الكتابة والشرفات . أما فى الداخل فقد كانت هناك ألواح رخامية تكسى الجدران إلى ارتفاع تاج الأعمدة المندمجة فى الحنايا أى إلى ارتفاع (٣١٠ر) أمتار وإن كانت قد زال معظمها ولم يبق غير أجزاء صغيرة فى محراب السقيفة التى تتقدم

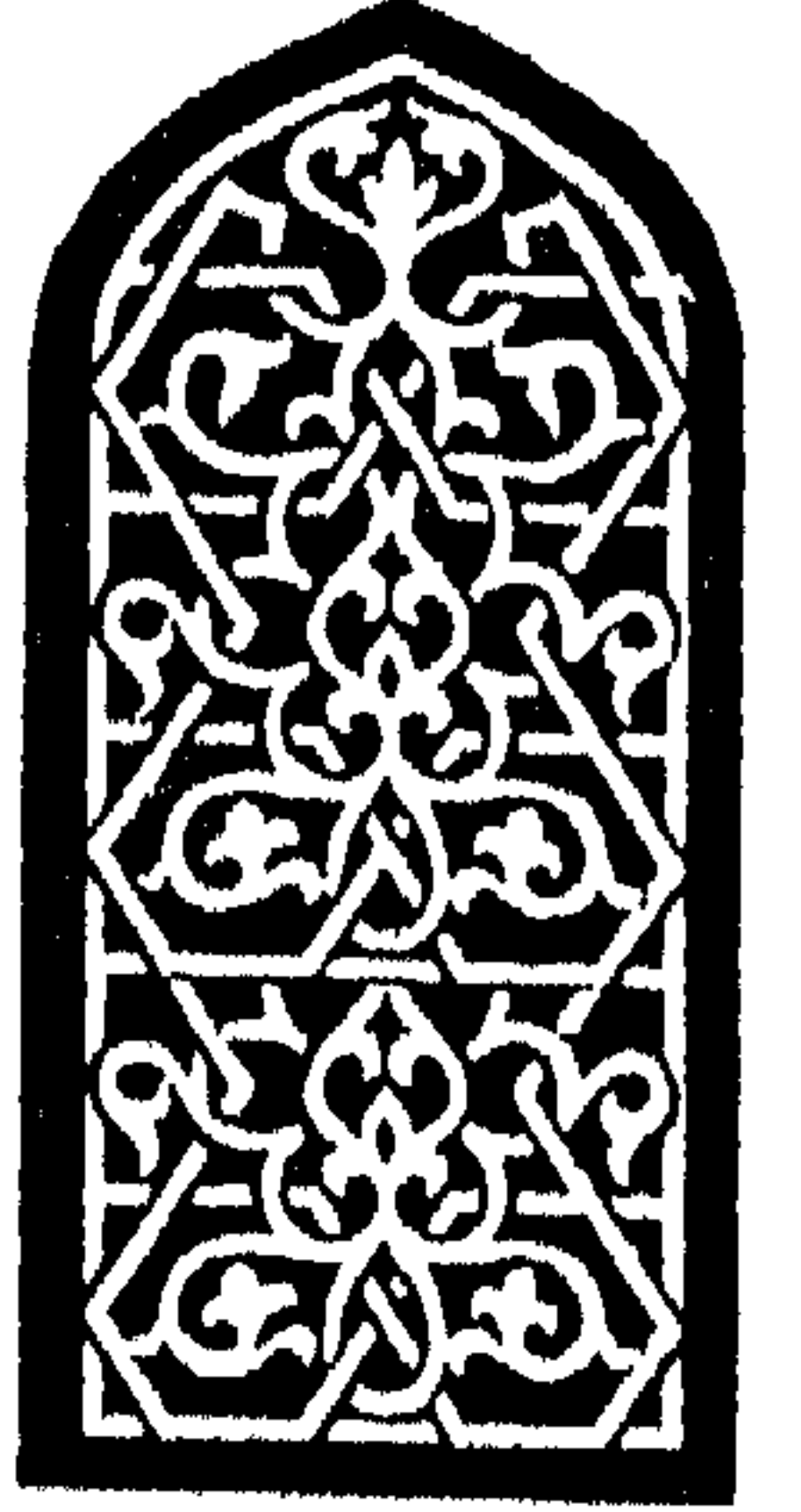
الضريح . كما توجد بقايا للرخام الملون في تجويف المحراب . وهناك أشرطة جصية تفصل الصف الأول من المقرنصات وكذا الشريط الذي يعلو الصف العلوى من المقرنصات الذى سبق وصفه . كما يعلو النوافذ الأربع التى تعلو أبواب الضريح شريط من الزخارف الجصية كما ملئت النوافذ من الداخل والخارج بزخارف جصية مخرمة ومعشقة بالزجاج تشبه تلك الموجودة بضريح الصالح نجم الدين والخلفاء العباسيين .

ويتقدم الضريح سقيفة زال جزؤها الشمالى الشرقى ، ويبلغ ارتفاع جدرانها (٨) أمتار إلى بداية الأشرفات . ويدخل إلى هذه السقيفة من باب يتوسط الضلع الشمالى الغربى على محور مدخل الضريح تماما . وكما يوجد على جانبي باب الضريح يوجد حنيتان زالت أعمدهما المندمجة (nook-shafts) ، كذلك نجسد على جانبي مدخل السقيفة من الداخل حنيتين . وفى الضلع الشمالى الشرقى يوجد باب بجانبه حنية عمقها ٥٠ سم يعلوها نافذة ، كما يبدو أنه كان يوجد باب فى الضلع الجنوبى الغربى يؤدى إلى الملحق . ومن المرجح أنه كان يوجد شريط من الزخرفة الجصية فى نهاية الجدار وقل السقف المسطح ، كما هو الحال فى ضريح فاطمة خاتون ، وكذلك فى مسجد الظاهر بـرس . ولذلك فإن كزويل يعتقد أن هذه السقيفة إضافة متأخرة بالنسبة للضريح .

أما عن تاريخ الضريح فإنه يبدو واضحا فى شريط الكتابة التى تحيط بأعلى جدران الضريح من الخارج ، فقد جاء فيها أن القبة بنيت فى شهور سنة ٦٨٧ هـ ١٢٨٨ م أى أنها بنيت قبل موت السلطان قلاوون الذى توفى سنة ١٢٩٠ . ولذلك فإن برشم (Van Berchem) يقول بأن الضريح بنى قبل أن يصبح الأشرف خليل وليا للعهد وأنه كان ملاصقا للمدرسة أنشأها الأشرف خليل وإن كان لم يبق من تلك المدرسة شئ يدل عليها .



(شكل ٩) ضريح الأشرف
خليل قلاوون



ضريح أحمد بن سليمان الرفاعي

بحارة اهلالية خارج
بَاب زويلة سنة ٩١٠هـ

يقع الضريح في الركن الشرقى لرواق (الرباط) كما يسميه المقرئى^(١) ويتكون من مكعب تتراوح أضلاعه ما بين (٣١٣) إلى (٣٣١) أمتار وارتفاعه (٣٨٥) أمتار وقد كان الضريح والرباط بحالة سيئة حتى قامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميمها سنة ١٩١٠ م. فقد جددت الضلع الشرقى للرباط والقبعة بما في ذلك المحراب المتوسط الكبير في الرباط والمحراب في الطرف الجنوبى للضلع الشرقى الذى يكون التماثل تاما مع محراب القبعة .

القبعة :

ويعلو جدار الضريح أفريز من الخشب عرضه (٤١) سم يحتوى على كتابة مدهونة بالطلاء وفي أركان المربع توجد ثلاثة صفوف من المقرنصات وإن كانت تبدو من الخارج على هيئة صفين فقط ، وكل من الصفين الأول والثانى يتكون من ثلاث مقرنصات أما الصف الثانى فيحتوى على مقرنصين ، فيكون مجموع المقرنصات في كل ركن ثمانية وكل ذات عقود منكسرة وتقع في منطقة الانتقال بالنسبة للقبعة . وبكل وجه من القبعة توجد نافذة ذات ثلاث فتحات عقودها منكسرة . وقد زخرفت القبعة من الداخل وكذا المقرنصات بزخارف جصية غاية في الدقة والابداع لانظير لهما في العمارة الإسلامية اللهم إلا في ضريح زين الدين يوسف .

المحراب : يحتوى الضريح على محراب مجوف يعلوه عقد منكسر يحيط به زخارف جصية يتخللها الكثير من القطع الزجاجية ، المزخرفة برسوم زيتية على أرضية خضراء

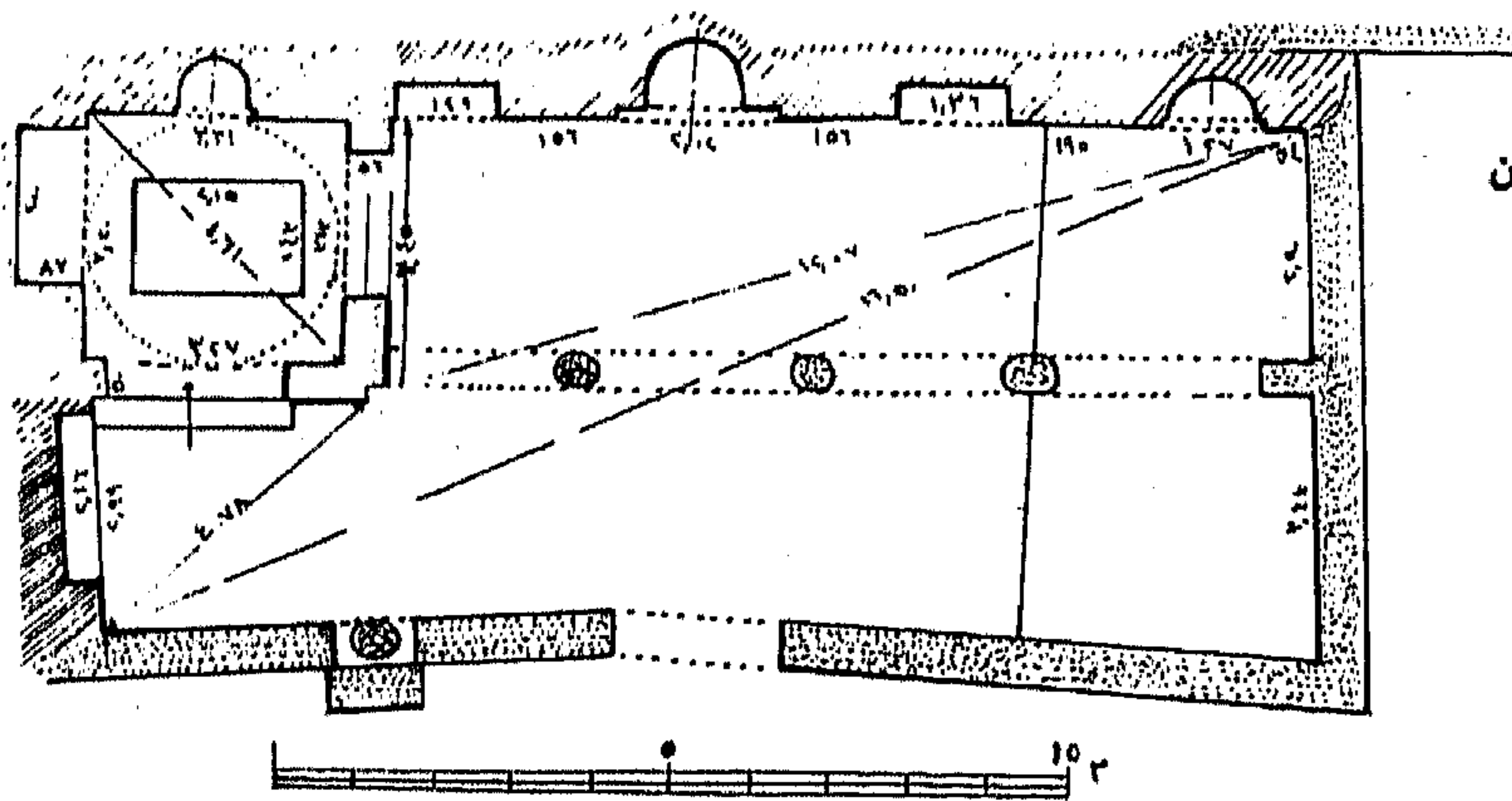
(١) الخطط ج ٢ ص ٤٢٨

وبنى فاتح . على النقوش المحددة باللون الأسود على القطع الزجاجية لاتشبه الزخارف المعاصرة التي نجدها على المشكاوات المموهة بالمينا . ولكنها تشبه رسوم القطع الخزفية التي عثرنا عليها في الفسطاط ويرجع معظمها إلى العصر الفاطمي . ولم يستعمل في لصق القطع الزجاجية مواد غروية بل حفر لها مكان في الجص وثبتت فيه . وتعتبر هذه الزخارف التي استعملت فيها قطع زجاجية مرسومة أول ظاهرة في زخرفة العمائر الإسلامية .

ويوجد في الضلع الغربي باب متسع يؤدي إلى الرواق الثاني بالرباط بواسطة درج واحد ، كما يوجد باب ثان للقبة في الضلع الجنوبي يفتح في الرواق الأول في الرباط . كما يوجد بالقبة في الضلع الشمالي حنية مسطحة تبلغ سعتها مترين وعمقها (٨٦ وسم) .

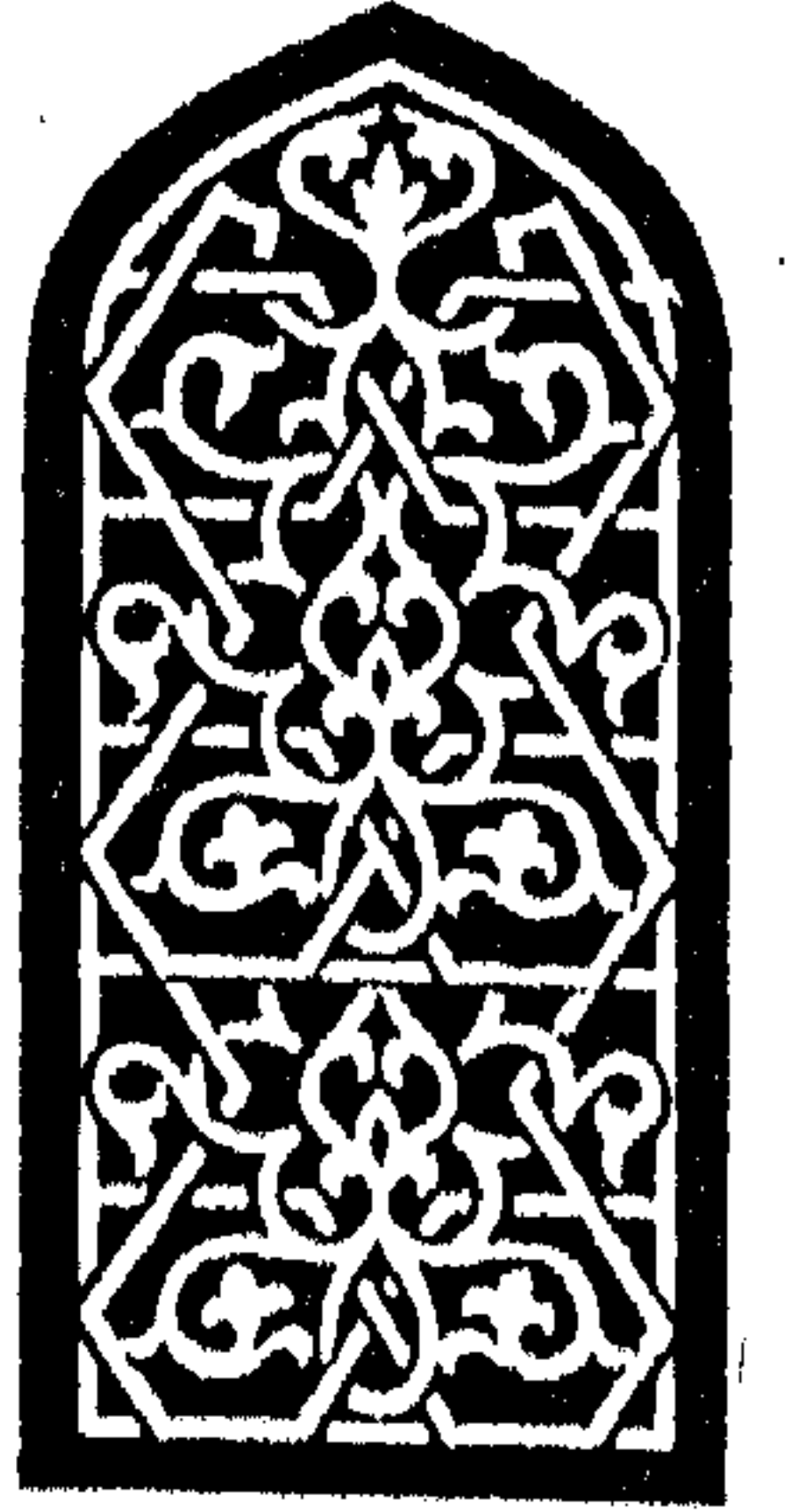
الرباط : يتكون الرباط من شكل مستطيل يبلغ $١٦ر٥٤ \times ٧ر٠٢$ م يتوسط صفها من الدعائم البيضاوية تقسمه إلى رواقين . ويحتوى الضلع الشرقي على ثلاثة محاريب الأوسط أكبرها وحنيتين محرابان في الرواق الأول ، أما المحراب الثالث فداخل القبة . ويقع مدخل الرباط في الجهة الغربية ، ومما يجدر الإشارة إليه أن حائط هذه الجهة لا يقع على خط مستقيم .

ويحتوى المحراب المتوسط للرباط على زخارف كثيرة ، إذ يعلوه طاقية على شكل صدف مفضضة يحيط بها عقد منكسر مشطوف ، حافته الداخلية تحتوى على شريط مزخرف من الخط النسخي والرسوم النباتية . وقد طليت الأضلاع المفضضة للطاقية باللون الأسود والارجواني على التوالي^(١) . ويحيط بعقد المحراب إطار مستطيل يضم تواشيح العقد التي تحتوى على زخارف نباتية جصية ويحيط به شريط به كتابات محصورة في محاور ذات نهايات دائرية ويتخللها دوائر بها زخارف نباتية .



(شكل ١٠) ضريح أحمد بن سليمان الرفاعي

(١) تشبه قبة السيدة رقية .



مشجد الإمام البوصيرى بالاسكندرية

مولای صل وسلم دائماً أبداً على حبیبك خير الخلق کلهم

هو الشيخ الإمام العالم شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صفهاج بن هلال الصنهاجى . كان أحد أبويه من بوصير بالصعيد والثانى من دلاص فركبت النسبة منهما فقليل الدلاصيرى ثم اشتهر بالبوصيرى .

ودلاص قرية مصرية قديمة اسمها المصرى القديم (هاى) والقبلى (تالاى) ومنه جاء اسمها العربى دلاص . ويقول ابن خلدون أن دلاص كانت تقع على النيل قديماً ويؤيد هذا القول الاسم الذى أطلقه عليها البطالمة ، فقد كانت تعرف فى عهدهم باسم (نيلوبوليس) أى مدينة النيل ، ثم تحول عنها النيل إلى الشرق منذ عهد بعيد . وقد وردت فى معاجم البلدان بأنها من مدن مصر بالصعيد الأدنى وهى تشتمل على قرى وولاية واسعة ، وهى معدودة فى كورة البهنسى . ويقول الادريسى : دلاص مدينة صغيرة عامرة جليلة ، وصناعة الحديد بها قائمة الذات ، كثيرة المصنوعات ، وبها تصنع اللجم الدلاصية المنسوبة صناعتها إليها . ويضيف أبو صالح الارمىنى : «إن دلاص كان بها ثلاثمائة حداد يعملون اللجم الدلاصية ، وهى ما يلجم به الخيل ، ولذلك عرفت فى العصور الوسطى باسم دلاص اللجم» . ويقول ابن حوقل أن مدينة دلاص كانت فى أيام القبط (يقصد قدماء المصريين) كثيرة الديار مثبتة فى ذكر الامصار ، إلا أنها الآن ، (أى فى زمن ابن حوقل) ليست بالكبيرة لأن البربر من لواته (أى المغاربة) وشرار العرب تسلطوا عليها ، فأفنوا عمارات أطراف هذه البلاد وأفسدوها فقل لذلك ساكنوها .

ولما كان والد الإمام شرف الدين البوصيرى من دلاص كما جاء فى الخطط التوفيقية وأن نسبه ينتهى إلى صنهاج بن هلال الصنهاجى ببلاد المغرب ، فمن المرجح أن يكون أحد أجداده قد وفد مع بربر المغاربة الذين جاءوا إلى مدينة دلاص وأشار إليهم ابن حوقل . وكانت دلاص تابعة لمركز الواسطى ، ثم التحقت ببني سويف لقربها منها .

أما مدينة أبي صير التى ينتسب إليها شيخنا الإمام شرف الدين التى يقال أنها بلد أمه فهى من القرى المصرية القديمة ، اسمها المصرى القديم (ابدوميهيت) - ومعناها ابيدوس الشمالية لتمييزها عن ابيدوس الجنوبية التى تعرف بالعرابة المدفونة بمركز البلينا . واسمها البطلمى (بوص ايريس) ومعناه محل إقامة الإله اوزوريس ، واسمها القبطى بوصير ومنه اسمها العربى أبو صير . وقد عرفت باسم أبي صير الملق فى القرن التاسع عشر لوقوعها وسط أراضي الملق أى التى تروى بطريقة رى الحياض وقت الفيضان سنوياً . وتتبع أبو صير مركز الواسطى بمحافظة بني سويف . وهكذا نرى أن أبوى الامام شرف الدين من بلدين قريبتين من بعضهما فى محافظة بني سويف بالصعيد الأدنى كما جاء فى ترجمته .

يقول السيوطى فى حسن المحاضرة : شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدلاصى المولد المغربى الأصل البوصيرى المنشأ ، ولد بناحية دلاص سنة ثمان وستمائة وبرع فى النظم وتوفى سنة ست وتسعين وستمائة . وقال الشهاب بن حجر : كان البوصيرى رحمه الله تعالى من عجائب الله فى النظم والنثر ، وإن لم يكن له إلا قصيدته المشهورة بالبردة لكفاه فخورا ، وكذلك قصيدته الهمزية البديعة . وقد ازدادت شهرة البردة إلى أن صار الناس يتدارسونها فى البيوت والمساجد .

وكان البوصيرى فى أول حياته العملية يتولى الكتابة على الجبايات (الضرائب) ببلدة بلبيس بمحافظة الشرقية ، إلا أن عدم أمانة المشتغلين معه فى هذه الوظيفة جعلته يزهد الوظائف الحكومية بل ويزهد متع الحياة الدنيا ويلجأ إلى حياة التصوف والانقطاع للعبادة ، وقد نظم فى ذلك شعرا عن مستوطنى ذلك العهد جاء فيه :

خبرت طوائف المستوظفيننا فلم أجد فيهم رجلا أميننا

وفر من بلبيس إلى الاسكندرية حيث صحب القطب أبا العباس المرسى رضى الله عنه .

ويقول على مبارك في خططه : كان البوصيرى وابن عطاء الله السكندرى تلميذين لأبي العباس فخلع على البوصيرى لسان الشعر وعلى ابن عطاء الله صاحب الحكم لسان النثر . وقد لازم البوصيرى أستاذه وأخذ عنه فظهرت عليه بركته ورزقه الدنيا دينا وعلما وورعا وولاية على يديه . ثم نهج بعد ذلك في شعره منهجا آخر فصار متصوفا مادحا لحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخلص الحب لله ولرسوله وهام بذلك حتى صار لا يبارى .

ويقال إن السبب في نظمه لقصيدته المشهورة بالبردة هو وقوع فالج ألم به أعيا الأطباء علاجه ، ففكر البوصيرى في عمل قصيدة يستشفع بها ولعل الله تعالى في أن يعافيه ، فلما أتمها رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه فمسح بيده الكريمة عليه فعوفى لوقته . ويقول حسن العدوى في كتابه (النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصيرية) : ثم لما خرج البوصيرى من بيته لقيه رجل صالح فطلب منه سماع قصيدته فعجب البوصيرى إذ لم يكن قد أخبر بها أحدا ، فلما سأله أجاب : سمعها الهارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم فأعطاه البوصيرى إياها .

وهنا يقول البوصيرى : « ثم بعد أن أنشدتها للرجل الصالح ودعنى وانصرف » ثم بعد أيام من ذلك استدعاه الصاحب بهاء الدين وزير السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وطلب منه أن ينشد القصيدة التى مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقسم أن لا يسمعها إلا قائما على قدميه مكشوف الرأس ، فأنشدها إياه ، وكتبها له البوصيرى بخطه ويقال أنها لم تزل عنده متبركا بها يقرؤها في المهمات حتى مات وبقيت بعد ذلك عند ولده . وكان الصاحب بهاء الدين بن حنا رجلا ورعا تقيا فهو المذى اشترى الآثار النبوية من بى ابراهيم بمدينة ينبع وبني لها الأثر المطل على النيل في المكان الذى يعرف اليوم باسم أثر النبي نسبة إلى الآثار النبوية .

وقد اشتهرت قصيدة البوصيرى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم باسم البردة ، والأولى أن يقال (البرأة) ذلك أن ناظمها برئ بها من مرض الفالج الذى أبطل نصفه . أما البردة فهي قصيدة كعب بن زهير ، الذى هجا النبي صلوات الله عليه وسلم قبل إسلامه ،

فأهدر النبي دمه ثم حدث أن جاء كعب تائباً إلى مسجد رسول الله وأنشد قصيدته التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متم أثرها لم يفسد مكبول
وقد نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فعفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وخلع عليه برده الشريف ومن هنا عرفت القصيدة بالبردة .

وقد جاء في المطبوعات المتداولة المشتملة عليها (أي البرأة) كما كان يفعل الامام البوصيري فإن شق على القارى فيكتفى بترديده وأنشده هذه القصيدة وأتى إلى قوله (فمبلغ العلم فيه أنه بشر) ولم يستطع تكميل البيت فقال له النبي صلوات الله عليه اقرأ فقال له (إني لم أوفق للمصراع التالى فقال له النبي قل (وأنه خير الخلق كلهم) وعدد أبيات البرأة (١٦٠) بيتاً وقد جمعت في فصولها بين مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وجهاده والتوسل به عليه الصلاة والسلام . وقد ألف كثير من الشعراء قصائد على وزن قصيدة البوصيري منهم أمير الشعراء شوقي إذ ألف قصيدته نهج البردة .

* * *

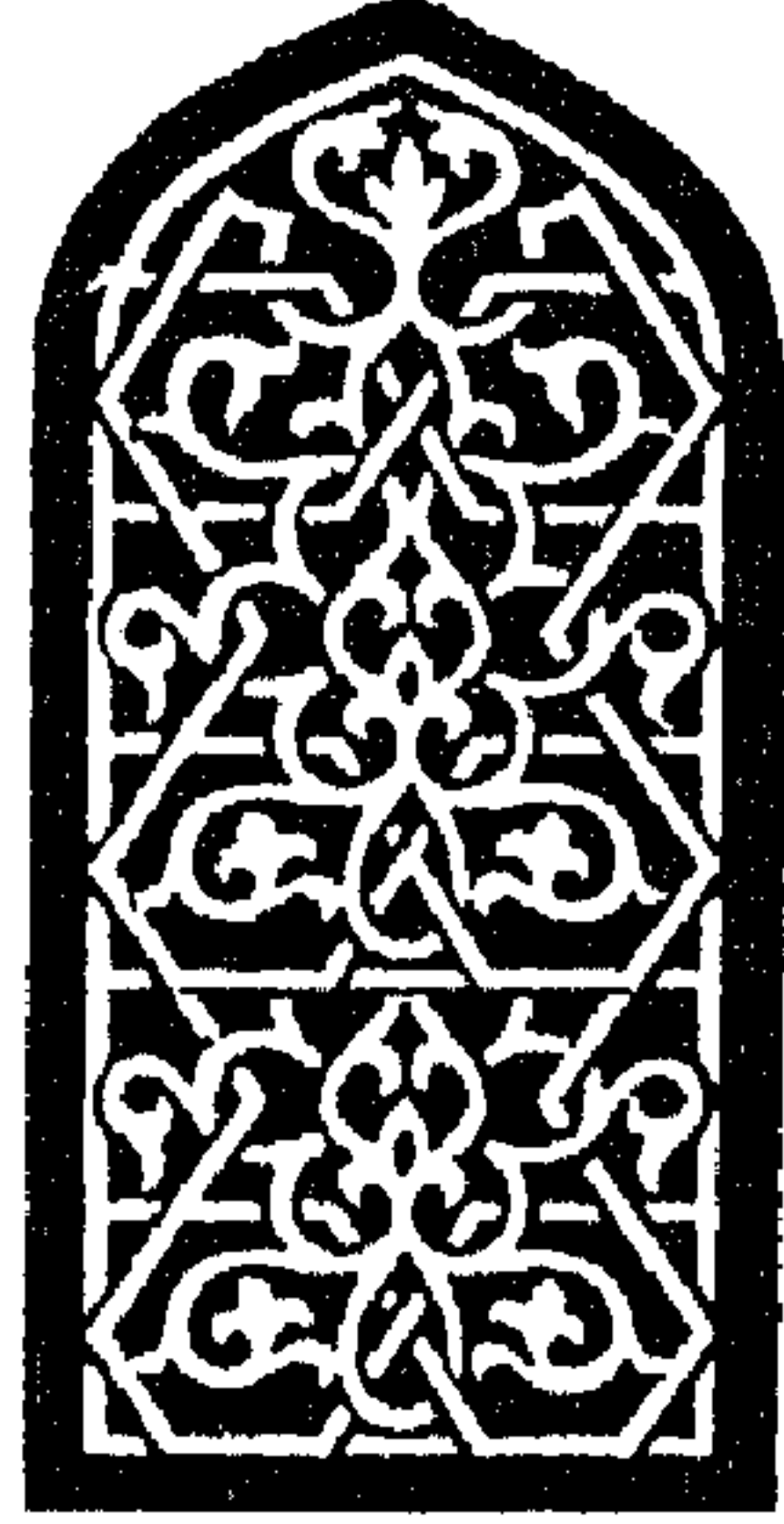
ومسجد الامام البوصيري بمدينة الاسكندرية في مواجهة جامع سيدى أبى العباس المرسى أى أنه جاور أستاذه في حياته وبعد مماته . وقد كان المسجد فى الأصل زاوية صغيرة توالى عليها يد الإصلاح والترميم والزيادة حتى وصلت إلى الشكل الحالى . والمسجد الموجود اليوم يرجع إلى سنة ١٢٧٤ هـ .

ويتكون المسجد من مربعين منفصلين ، الأول يشمل صحن المسجد وتتوسطه نافورة وتحيط به الأروقة من جميع الجهات والمربع الثانى وهو ايوان القبلة وهو مرتفع عن مستوى صحن المسجد إذ يصعد إليه بثلاث درجات . ويتقدم الايوان دهليز مغطى بظلة تؤدى إلى ضريح الامام البوصيري أولاً ثم إلى ايوان القبلة ثانياً . أما الضريح فعبارة عن غرفة مربعة مغطاة بقبة تقوم على مقرنصات فى الأركان والقبة من الصاج وليست من الخشب أو البناء .

ويتوسط ايوان القبلة ستة أعمدة تقوم عليها قبة مرتفعة من الصناج كذلك ، وبه دور ثان مخصص للسيدات يعرف باسم (الصندرة) . وبهذا الايوان يوجد مدخلان رئيسيان أحدهما في الجهة الشرقية والآخر في الجهة الجنوبية ، كما يوجد مدخل ثالث رئيسي في الجهة الغربية من صحن الجامع . وخلف الرواق الشرقى للمسجد توجد ثلاث غرف مغطاة بثلاث قباب كانت في الأصل عبارة عن زاوية ملحقة بالمسجد ، وتحتوى على صف من الدعائم تفصلها إلى رواقين ثم جددت الزاوية سنة ١٣٠٨ وسدت أروقتها فتحوّلت إلى غرف خصصت للمكتبة وللمشرفين على المسجد .

وفي الركن الشمالى الشرقى لايوان القبلة توجد مثناة المسجد وهى على شكل مسلة . والمسجد وكذا المثناة يمثلان الطراز التركى فى القرن التاسع عشر أحسن تمثيل

مسجد سيدى جابر بالاسكندرية



كان لخروج الروم من الاسكندرية سنة ٢٥ هـ أكبر الأثر في أن تفقد المدينة صبغتها الأجنبية وأن تخطو نحو التعريب بخطوات سريعة ، ذلك لأن كثيرا من مشاهير الصحابة وأعيان العرب كانوا يفدون عليها وينزلون بها اما للاستقرار الدائم أو المؤقت فقد نزل فاتح مصر عمرو بن العاص قصرا في موضع مرتفع يوصف بالكوم أو التل ، كما نزل بدار مجاورة له معاوية بن حديج ، كذلك فعل معظم من حضر فتح الاسكندرية من العرب ، إذ يقول المقرئى : فأما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وإنما كانت أخاخذ ، من بنى منزلا نزل فيه وهو وبنو أبيه وأن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا الكوم الذى فيه مسجد عمرو بن العاص ، فقال معاوية بن حديج ننزل ، فنزل عمرو القصر ونزل أبو ذر الغفارى منزلا كان غربى المصلى الذى عند مسجد عمرو مما يلى البحر وقد انهدم . ونزل معاوية بن حديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية . ويقال أن أبا الدرداء كان معه والله أعلم . على أن عمرو بن العاص عندما أحل للعرب الفاتحين النزول ببيوت المدينة حرم عليهم استغلالها أو بيعها أو توريثها وفى ذلك يقول المقرئى : « لا يحل من كرائها شئ ولا بيعها ولا يورث منها شئ إنما كانت لهم يسكنونها فى رباطهم (أى مدة إقامتهم) . ولم يقتصر الأمر على النزول بالبيوت الموجودة بالمدينة بل رأى بعض الصحابة أن يختط له سكنا ، فقد اختط ابن الزبير بن العوام بالاسكندرية دارا كما اختط بالفسطاط ويقال أنه الوحيد الذى اختط بالاسكندرية .

ومن الطبيعى أن يؤسس العرب لهم مسجدا بعد أن فتحوا المدينة ونزلوا بيوتها وقد ورد هذا صراحة في عبارة المقرئى من أن أبا ذر الغفارى نزل منزلا غربى المصلى عند جامع عمرو ، ومعنى ذلك أنه كان يوجد مصلى ، تقام فيها الصلوات الجامعة الكبرى في المواسم والأعياد ، كما تجتمع فيه الحامية للصلاة . وإلى جانب المصلى بنى عمرو جامعاً . ومن المرجح أن يكون عمرو بن العاص قد أقام مسجده في المكان الذى يشغله الآن المسجد العمري العتيق بالقرب من ضريح سيدى أبى الدرداء ويعزز هذا الرأى ما ذكره المقرئى وابن عبد الحكم من أن أبا الدرداء كان ينزل مع عبادة بن الصامت ، الذى كان يصاحب عمرا ومعاوية بن حديج . ولا يخفى من هذا الرأى ما هو معروف من أن أبا الدرداء انتقل بعد ذلك إلى الشام وأنه توفى هناك ، فوجود مقام له يعنى أن ذكرى مجيئه وإقامته في هذا المكان المجاور لمسجد عمرو ماتزال عالقة في أذهان الناس وفي تراثنا الشعبى . كذلك بنى عمرو بن العاص بعد فتح الاسكندرية مباشرة مسجدا آخر عرف باسم مسجد الرحمة ويقال إنه بناه في المكان الذى رفع عمرو السيف عن قتل الروم بعد انتصاره عليهم ، وتخليدا لانتصار العرب وارتفاع السيف عن الروم بنى عمرو مسجدا عرف باسم مسجد الرحمة . من المرجح أن يكون مكانه الآن بحديقة الشلالات مكان الضريح المعروف باسم سيدى عمرو ويعبى .

ويذكر ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر ، أنه كان بمدينة الاسكندرية في النصف الأول من القرن الأول الهجرى بالإضافة إلى مسجد عمرو ، خمسة مساجد أخرى وهى مسجد النبى ومسجد سليمان عليه السلام ومسجد ذى القرنين ومسجد الخضر ومسجد الرحمة ، أما عن أماكن هذه المساجد فلم تحدد بدقة حتى يمكن الاهتداء إليها الآن . وإذا كان هذا هو عدد مساجد الاسكندرية في النصف الأول من القرن الأول للهجرة ، فمما لا شك فيه أنه قد بنى المسلمون الأوائل في النصف الثانى مساجد وأضرحة وزوايا أخرى عندما كثر عدد المسلمين بالاسكندرية أما عن طريق الهجرة إليها أو عن كثرة من اعتنق الإسلام من مسيحييها .

* * *

ومن مساجد الاسكندرية الهامة التى تنسب إلى من وفد من الصحابة إلى مصر مسجد سيدى جابر وضريحه به في المنطقة المعروفة باسمه بالرمل . ولكنى لم أجد لصاحب الضريح

ترجمة في مرجع من المراجع . فكان من العسير التحقق من اسمه وهل كان هو ممن جاءوا إلى مصر من الصحابة ؟ رجعت إلى كتاب السيوطي المعروف باسم (دار الصحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) لعلّي أهنّدي إلى صاحب هذا المقام . فعثرت في كتاب السيوطي على أربعة من الصحابة أتوا مصر يسمون باسم جابر ومن الخير أن أذكر طرفاً من تراجمهم جميعاً . الأول وهو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد ، أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم روى مسلم عنه ، أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة . وعن هشام بن عروة قال : كان لجابر ابن عبد الله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم . وقال ابن عبد الحكم حدثنا عبد الله ابن يوسف حديثاً قال : قدم جابر بن عبد الله على مسلمة بن مخالد وهو أمير على مصر فقال له أرسل إلى عقبة بن عامر الجهني حتى أسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص لم يبق أحد يحدث به عن رسول الله غيره ، أردت أن أسمعه منه قبل أن يموت أو أموت » . ويذكر السيوطي ، ولأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث ، ثم يضيف ، أن آخر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موتاً بالمدينة جابر بعد أن عمى سنة ثمان وسبعين وقيل سبع وقيل سنة أربع وقيل سنة ثلاث وستين وقيل إنه عاش أربعاً وتسعين سنة .

أما الثاني فهو جابر بن ماجه الصديقي ، قال ابن يونس وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر . والثالث هو جابر بن ياسر بن عويض ، قال ابن قتيبة له ذكر في الصحابة ، وقال ابن يونس شهد فتح مصر وهو جد جابر وعياش بن عباس بن جابر ولا يعرف له حديث . أما الرابع فهو جابر بن اسامة الجهني يكنى أبا سعاد نزل مصر ومات بها قاله ابن يونس .

على أننا إذا استبعدنا الأول لأنه مات ودفن بالمدينة كما هو ثابت في الرواية فإننا لانعرف أين مات الثاني والثالث إذ لم يرد شيء عن وفاتهما ، أما الرابع فتنص الرواية على موته بمصر وإن لم تحدد المدينة التي مات ودفن بها .

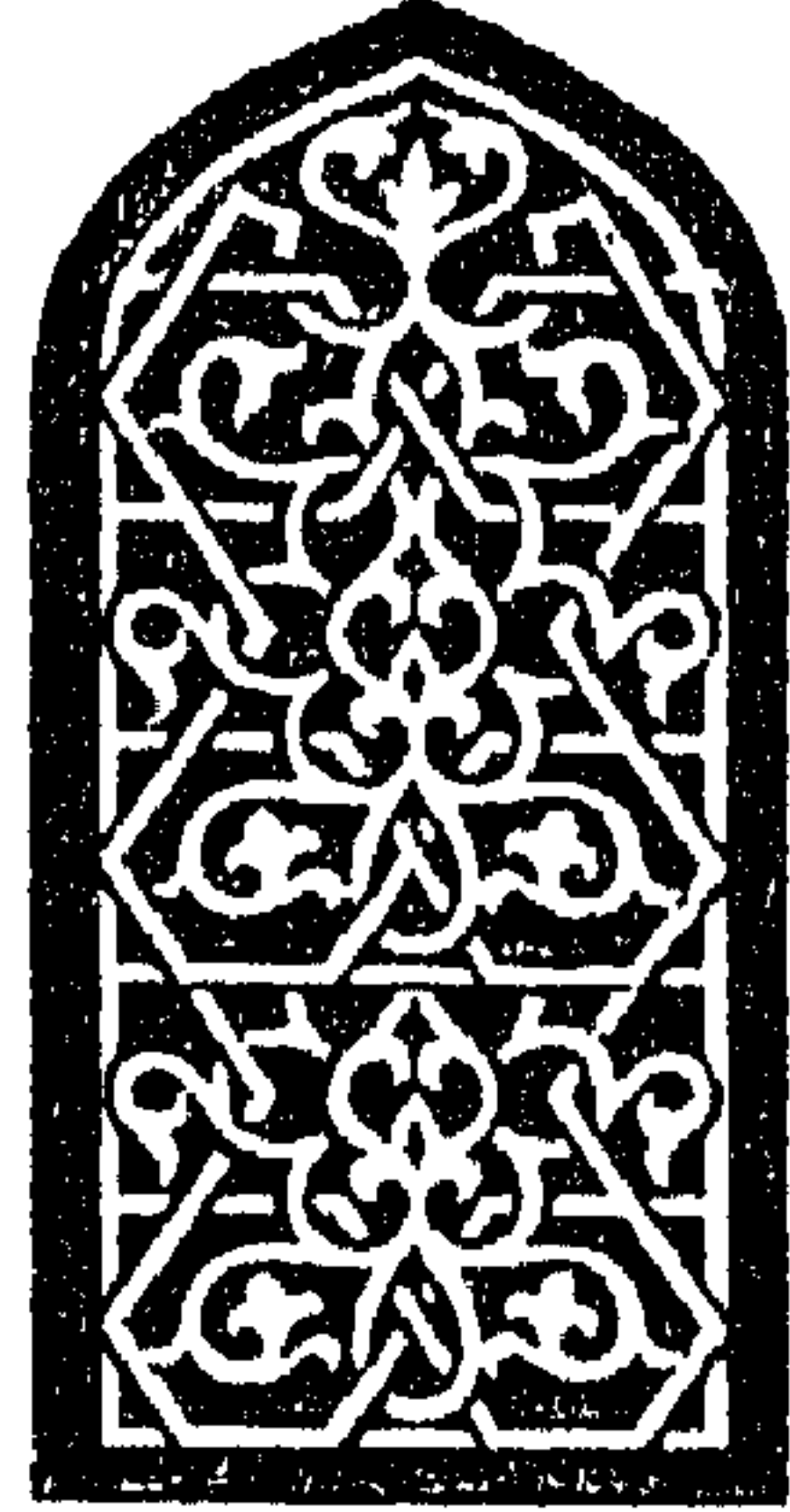
ويقول أحمد زكي باشا أن سيدى جابر الدفين بالاسكندرية هو الرحالة ابن جبير ،

ويعلل تغير الاسم بأن العامة حرقت الاسم فقالوا جابر بدلا من جبير واستثقلوا الكنية فحذفوها على الاطلاق . ويذكر الأستاذ منصور جاب الله رواية أقرب إلى المنطق والصواب ولكنها خالية من السند أو المرجع ، فهو يقول : أنه جابر بن اسحق بن ابراهيم بن أحمد ابن محمد الانصارى ويكنى أبا اسحق ويتصل نسبة من جهة أبيه بسعد بن عبادة سيد الخزرج . ويؤخذ من سيرته أنه نشأ بالأندلس ثم نزع إلى فاس ببلاد المغرب ثم انتقل إلى طرابلس المغرب ومنها وفد إلى القاهرة فاستضافه رجل من بنى عمومته كنيته أبو العباس ولا يعرف اسمه على وجه التحقيق . وكان رجلا يسلك طريق المتصوفة فانضم إليه . ولما مات الشيخ أبو العباس انتقل أبو اسحق جابر إلى الاسكندرية وبني له زاوية في ضاحية الرمل ظل مقيا بها حتى توفي سنة ٦٩٧ هـ متجاوزا التسعين من عمره . وقد بقيت الزاوية على حالتها حتى بنى على أنقاضها في نهاية القرن التاسع عشر مسجد أزيل سنة ١٩٥٥ ليبنى مكانه المسجد الحالى . وكان سيدى جابر شيخا ورعا صالحا كثير الاتباع مهتما باللغة والنحو والصرف إلى جانب اهتمامه بشئون الدين ، خلف ثروة علمية ، وإن كنا قد وجدنا بعض أسماؤها وهى (إيجاد البرهان فى اعجاز القرآن) و (كيفية السياحة فى مجرى البلاغة والفصاحة) . و (الاعراب فى ضبط عوامل الاعراب) .

ويتكون المسجد الحالى من مربع تقريبا يتوسطه صحن مغطى تحيط به الأروقة من جميع الجهات رواقان فى جهة القبلة ورواق واحد فى الجهات الثلاث الأخرى وتوجد فوق الرواق الشمالية طبقة ثانية تعرف باسم (صدره) مخصصة لصلاة السيدات . وقد غطى صحن المسجد بسقف مرتفع عن باقى سقف المسجد وقد فتح فى هذا الارتفاع نوافذ للإضاءة . وللمسجد ثلاثة أبواب واحد فى الجهة الجنوبية يؤدى إلى المسجد كما يؤدى إلى ضريح « سيدى جابر » ، والثانى فى الجهة الشمالية . أما الثالث فيؤدى إلى زيادة ودورة المياه . وفى الجهة الجنوبية من المسجد يوجد الضريح وهو عبارة عن غرفة مربعة تعلوها رقبة مثمثة مقامة على مقرنصات ويعلو الرقبة قبة مدببة .

جامع الديري

بجزيرة الروضة



هو الشيخ عبد العزيز الديري العابد الزاهد القدوة ترجم له في المنهل الصافي وكذا الشعراني في طبقاته^(١) فقال « هو الشيخ الورع ذو الحالات الفاخرة والأحوال الشريفة والكرامات المشهورة والمصنفات الكثيرة في التفسير والفقه واللغة والتصوف وغير ذلك .

ويقول ابن تغري^(٢) بردى : وله نظم كثير شائع ، ومنه منظومته التي ذكر فيها مشايخه الذين أخذ عنهم منها قوله :

وأذكر الآن رجالا	كان نجم يزهبها الزمان
مشايخي الائمة الأبرار	واخسوقي الأحياء الأخيار
فأنهم عاشوا بانس السرب	سرا وذاقوا من شراب الحب
وكل شيخ نلت منه علما	أو أدبا فهو أمانى حتما
مشايخنا صحبتهم زمانا	أو زرتهم تبركا أحيانا
أرجو بذكرهم بقاء الذكر	لهم وفوزى بجزيل الأجر
وهم جلوس في نعيم الحضرة	وجوهم في نضرة من نظره
وكل شيخ زرت له للبركة	فقد وجدت ريح تلك الحركة

إلى أن قال :

لم يبق في الستين والسئنة

في الناس من أشياخنا إلا فئة

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٠٢

(٢) المنهل الصافي ص ٢١٧

وكان الشيخ عبد العزيز موثلاً للعلم والفضل ، صحبه جماعة كثيرة من العلماء وانتفعوا بعلمه وتقواه وصحبته . وقد أمضى معظم حياته متنقلاً في مدن وقرى وسط الدلتا المحصورة بين فرعى رشيد ودمياط وهى التى تعرف عند مؤرخى العرب باسم بلاد الريف ، وفى ذلك يقول الشعرانى : « وكان مقامه ببلاد الريف من أرض مصر وكان الناس يقصدونه للتبرك من سائر الأقطار ويرسلون له من مصر مشكلات المسائل فيجيب عنها بأحسن جواب » .

ومن مشايخ الشيخ عبد العزيز الديرينى الذين أخذ عنهم وتعلموا على أيديهم الشيخ أبو الفتح الواسطى شيخ مشايخ بلاد الغربية بأرض مصر المحروسة كما يقول الشعرانى . ويقص الشيخ عبد العزيز علينا قصته مع شيخه الواسطى فيقول : أشار سيدى أحمد ابن الرفاعى على سيدى الواسطى بالسفر إلى الاسكندرية فسافر إليها حيث أخذ عنه خلائق لا يحصون ، وكنت أنا واحدا منهم . وكان سيدى الواسطى مبتلى بالانكار عليه فقد اجتمع علماء الاسكندرية وفقاؤها وعقدوا له المجالس . فكان يقرعهم بالحجة ويخطئ ويسفه قولهم ويبين سوء رأيهم ويوضح قلة معرفتهم ، وكان خطيب جامع العطارين من أشدهم عليه .

ويروى الشيخ الديرينى عن شيخه وقطبه المعجزة التالية : « إنه بينما كان خطيب جامع العطارين يوما فوق المنبر والأذان بين يديه تذكر أنه جنب ، فمد له الشيخ أبو الفتح الواسطى كفه فوجده زقاقا فدخله فرأى فيه ماء ومطهرة فاغتسل وخرج فجلس على المنبر . فلما ستره الشيخ هذه السترة اعتقده وصار من أجل أصحابه رضى الله عنه » .

وكان الشيخ عبد العزيز الديرينى من معاصرى الشيخ أحمد البدوى ومن مريديه كما كان مصاحبا لسيدى على المليجى همديق الشيخ أحمد البدوى . ويروى لنا الشيخ الشعرانى فى طبقاته الكثير من المعجزات التى تصل فى كثير من الأحيان إلى حد الاسطورة والخيال ولكنى لأجد مانعا فى ذكرها لأسباب عدة .

أولا لأن للصوفية فى هذه الأعمال المخارقة على العادة والمألوف بالنسبة لأولياء الله الصالحين آراء كثيرة

ثانياً لأننى أردت من وراء ذكرها أن أعطى للقراء فكرة عن أسلوب الكتابة عن الصالحين والمتصوفين وأولياء الله الصالحين في العصور الوسطى .

ويحدثنا الشعراني عن زيارة الشيخ عبد العزيز الديريني للشيخ علي المليجي فيقول : وكان (أى الديريني) يزور سيدنا عليا المليجي كثيراً فذبح له سيدى على يوماً فرخاً فأكله وقال لسيدى على : لا بد أن أكافئك ، فاستضافه يوماً فذبح لسيدى على فرخة فتشوشت امرأته عليها فلما حضرت ، قال لها سيدى على المليجي ، هش ، فقامت الفرخة وقال يكفيني المرق ولا تشوشى .

ويضيف ابن تغرى بردى في ترجمة الشيخ الديريني فيقول : طلب جماعة من فقراء الصوفية كرامة من سيدى عبد العزيز ، فقال لهم سيدى عبد العزيز يا أولادى وهل ثم كرامة أعظم من أن الله تعالى يمسك بنا الأرض ولم يخسفها وقد استحققنا الخسف .

وينتسب شيخنا إلى ديرين وهى بلدة بقسم نبروة بمركز طالخا^(١) بمحافظة الدقهلية الآن . وتقع ديرين فى شرق نبروة على بعد نحو ألفين وخمسمائة متر وشمال قسم نشا بنحو ألفين وثمانمائة متر . ويقول على مبارك^(٢) : وبمدينة ديرين ثلاثة مساجد أحدها لسيدى عبد العزيز الديريني ، له منارة وبداخله مقام ظاهر يزار ويعمل له مولد كل سنة . ويصف قرية ديرين فيقول : وبهذه القرية منزل مشيد وجنيحة ودوار لعمدتها وبها بعض نخيل وأبراج حمام وبعض أهلها ينسجون الثياب الصوف ، وإلى هذه القرية ينسب قطب وقته سيدى عبد العزيز رضى الله عنه .

* * *

(١) القاموس الجغرافى لأحمد رمزى ج ٣

(٢) الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٧٢

وصف الجامع

يوجد بجزيرة الروضة جامع الديرينى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ تزعم الناس أنه مدفون به ولكن الصواب أنه مدفون بديرين كما يذكر ذلك الشعرانى فى طبقاته إذ يقول : مات الشيخ عبد العزيز الديرينى سنة سبع وتسعين وستمائة وقبره بديرين ظاهر يزار إلى عصرنا هذا رضى الله عنه . ومعنى هذا أن مسجد الديرينى كان لا يزال موجودا حتى عصر الشعرانى فى القرن العاشر الهجرى - السادس عشر الميلادى .

كذلك ذكر ذلك على مبارك^(١) فى خططه وقال أن قبره ما يزال يزار حتى عصره فى القرن الثالث عشر الهجرى - التاسع عشر الميلادى .

وإذا رجعنا إلى الفترة التاريخية التى عاش فيها الشيخ الديرينى نجد أنه عاصر فى آخر أيامه السلطان الملك المنصور لاجين ، وكان السلطان كما قال صلاح الدين الصفدى^(٢) دينا متقشفا كثير الصوم قليل الأذى ، قطع أكثر المكوس ، وقال إن عشت ماتركت مكسا واحدا . وكان يعجل العلماء ويحترم رجال الدين والمتصوفين منهم خاصة وكان يسعى إليهم ويطلب مودتهم ، ومنهم الشيخ عبد العزيز الديرينى الذى كثيرا ما طلب إليه الحضور إلى مصر للانتفاع بعلمه وتقواه وبركته . وكان الشيخ الديرينى عندما يأتى إلى مصر يكثر من زيارة جزيرة الروضة والصلاة فى مساجدها ، مما دعا السلطان إلى إقامة مسجد بجزيرة الروضة لى يقيم به الشيخ الديرينى عند مجيئه لزيارته فى مصر ، فلما توفى الديرينى عرف باسمه .

ويصف على مبارك وكذا السخاوى^(٣) جامع الديرينى فيقول : هذا الجامع بالروضة بجوار منزل أحمد باشا المنكلى يقال أنه جامع قديم عمرته الآن (أى القرن ١٣ هـ) سعادة

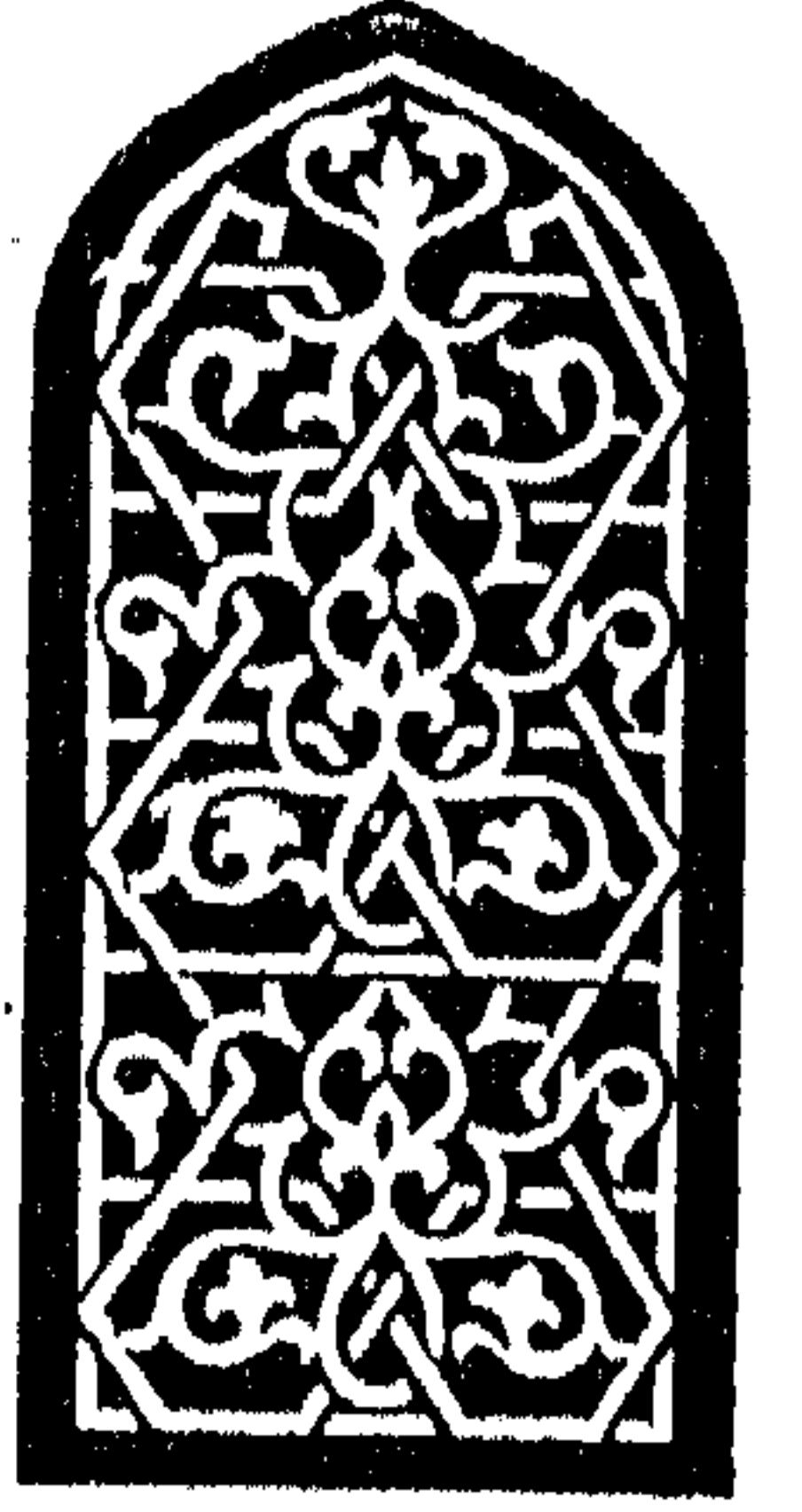
(١) الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٧٢

(٢) التيجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٠٩

(٣) تحفة الأسباب ص ١٥٧ (هامش)

والدة الهوانم كرائم المرحوم ابراهيم باشا الهامى ابن المرحوم عباس باشا والى مصر .
والغريب أن على مبارك الذى ذكر فى خططه عند الحديث عن قرية الديرين ، أن الشيخ
عبد العزيز الديرينى مدفون هناك وأن قبره ظاهر يزار ، يعود هنا عند الحديث عن جامع
الديرينى بجزيرة الروضة فيثبت أن الشيخ عبد العزيز الديرينى مدفون بهذا الجامع ،
إذ يقول : وبالجامع المذكور ضريح الأستاذ عبد العزيز الديرينى وله مولد سنوى يعمل فى
شهر ربيع الأول .

* * *



جامع عمر مكرم

بميدان التحرير

(جامع كريم الدين سابقاً)

يعتبر عمر مكرم أول زعيم شعبي لمصر في عصرها الحديث ورائدا مثاليا من رواد المقاومة الشعبية ، ففيه تمثلت الشخصية المصرية المناضلة ضد الظلم والاستعمار الأجنبي التي افتقدناها منذ أحمرس الذي طرد الهكسوس في العصر الفرعوني . وما أحوجنا في هذه اللحظات الحاسمة من تاريخنا ونحن نخوض معركة حياة أو موت مع الاستعمار الصهيوني الأمريكي اللعين . أن نتبع خطى القدوة الحسنة لتكون لنا نبراسا نسير على هديه في مقاومتنا الشعبية .

لقد ظهر عمر مكرم كشخصية لها وزنها في سير الأحداث السياسية الهامة عندما توسط لحل النزاع الذي احتدم بين والى العثماني وبين المماليك القبليين من جهة أخرى ثم تزعم حركة المقاومة الشعبية ضد الحملة الفرنسية ثم ضد حملة فريزر الانجليزية وانتهى بمقاومة طغيان محمد على وأعماله التعسفية ضد الشعب .

ولد عمر مكرم في مدينة أسيوط من أسرة شريفة تنتسب إلى البيت النبوي الكريم في منتصف القرن الثامن عشر ، ويقول الدكتور عبد العزيز الشناوى أن الجبرتي وهو مؤرخ الفترة التي عاش فيها عمر مكرم ، لم يكتب تاريخ وفاته وذلك لوقوع وفاة الزعيم المذكور عقب وفاة الجبرتي .

وقد أورد الجبرتي الأحداث التي شارك فيها عمر مكرم مشاركة فعالة مما أعطانا فكرة متكاملة عن تاريخ هذا الزعيم .

فقد قام عمر مكرم بدور الوسيط بين ابراهيم بك ومراد بك اللذين كانا يتخذان الصعيد مقرا لنفوذهما وبين أمراء القاهرة، فحمل رسالة إلى كل منهم وهم محمد عزت باشا والى العثمانى ، وعثمان بك طبل ، شيخ البلد والى كبار علماء الأزهر ، وقد نجحت وساطة عمر مكرم وأظهر علماء الأزهر عدم معاداتهم لابراهيم بك ومراد بك كما كتب والى محمد عزت باشا إلى الباب العالى طالبا العفو عنهما والاذن لهما بدخول القاهرة ، غير أن الأميرين المذكورين تمكنا من دخولها قبل وصول الاذن المرتقب .

ولما استقر المقام للأميرين إبراهيم بك ومراد بك بالقاهرة عملا على رد صنيع عمر مكرم فعيناه نقيباً للإشراف خلفا لمحمد البكرى الذى توفى دون وريث ، فذاع اسم عمر مكرم لخطر ذلك المنصب فى ذلك الوقت ولقوه شخصية عمر مكرم وطموحه .

وقد شارك عمر مكرم الشعب مشاركة فعلية أبان الحملة الفرنسية التى قدمت على البلاد عام ١٧٩٨ واستولت على الاسكندرية رغم الكفاح المجيد الذى قام به الشعب بقيادة السيد محمد كريم والى الاسكندرية ، ثم تقدم الفرنسيون نحو دمنهور فلقبهم مراد بك فانهمز الأخير وواصلت الحملة زحفها نحو القاهرة ، عند ذلك ظهرت شخصية عمر مكرم ووطنيته فأخذ يستحث الأهالى على المقاومة والوقوف فى وجه الغاصب المعتدى .

ولما أسفرت معركة إمبابة عن هزيمة جيش مراد بك ، رحل عمر مكرم مع إبراهيم بك وقواته ومعهم كبار المشايخ فقصدوا المطرية ومنها إلى بلبيس فزحف نابليون إليها وكانت قوة المماليك قد غادرتها ، فلحق بهم نابليون عند الصالحية فاضطر المماليك إلى الانسحاب فارتحل عمر مكرم مع إبراهيم بك إلى العريش ثم إلى غزة وعند عودة نابليون إلى القاهرة عزل عمر مكرم من منصب نقيب الاشراف وصادر أمواله وعين مكانه الشيخ خليل البكرى .

شارك عمر مكرم فى ثورة القاهرة الثانية سنة ١٨٠٠ على أثر نقض كليبر لاتفاقية العريش بالجلء عن البلاد وقد امتدت الثورة فشملت جميع أحياء القاهرة واستمرت ثلاثة وثلاثين يوماً .

وعندما ثار الشعب على مظالم أحمد خورشيد والى التركى عام ١٨٠٥ تزعم عمر مكرم

تلك الثورة وذلك على أثر رفض الأخير لمطالب الشعب التي تتلخص في ضرورة إبعاد القوات العسكرية من القاهرة التي عاثت فيها فساداً وعدم السماح لأفرادها بدخولها حاملين سلاحاً ، ثم الامتناع عن فرض أية ضريبة على سكان القاهرة دون موافقة المشايخ والأعيان وإعادة المواصلات بين القاهرة والوجه القبلى ، عند ذلك نادى عمر مكرم بضرورة عزل أحمد خورشيد وتولية محمد على مكانه . وقد توجت ثورة الشعب بزعامة عمر مكرم برحيل خورشيد عن البلاد بعد أن استمر كفاح الشعب أربعة أشهر وبذلك خلا الجو إلى القائد محمد على واستطاع أن يتولى ولاية مصر ، وذلك بمساندة عمر مكرم الذى كان يؤثره بهذا المنصب لما أظهره الأول من عطف مصطنع على الشعب ومناصرته ومواساته له لإبان المحن . غير أنه قد استبان لعمر مكرم خطأ اعتقاده فظهرت مدهانة محمد على ووضح استبداده وظلمه الذى لا يقل عن ظلم أحمد خورشيد .

وفى عام ١٨٠٧ غزت مصر حملة إنجليزية بقيادة فريزر الذى قصد الاسكندرية وقد دافع عنها أهلها دفاعاً مجيداً ، غير أن الخيانة أحبطت جهود الوطنيين وأفسدت دفاعهم ، وكان محمد على فى ذلك الوقت بالصعيد يحارب المماليك ، فهب عمر مكرم وتولى أمر المقاومة الشعبية وتنظيمها فانتصر المصريون فى رشيد انتصاراً ذهب بهيبة الإنجليز ، وبذلك ألقت الزعامة الشعبية زمامها لعمر مكرم فغدا كبير زعماء مصر قاطبة وفى ذلك يقول الجبرتي : « ارتفع شأن السيد عمر مكرم وزاد أمره بمباشرة الوقائع وولاية محمد على باشا وصار بيده الحل والعقد والأمر والنهى ، والمرجع فى الأمور الكلية والجزئية » . إلا أن محمد على عمد بعد أن استقامت له الأمور إلى التخلص من زعامة عمر مكرم وذلك بعد أن تغلب الأول على معظم الأخطار التي كانت تتهدده وقد اشتد حنق محمد على ، على عمر مكرم عندما طلب منه رفع الضرائب التي فرضها على الشعب مؤخراً فما كان من محمد على إلا أن طلب عقد مجلس شرع ليفصل فى الخلاف الذى نشب بينه وبين عمر مكرم ، ولما لم يحضر عمر مكرم جلسة المجلس معتذراً بمرضه طلب محمد على من قاضى القضاة إثبات ذلك وأمر بعزله من نقابة الاشراف وأمر بنفيه فوراً من القاهرة إلى دمياط وعين مكانه الشيخ السادات نقيباً للاشراف - ويصف الجبرتي وداع القاهريين له وحزنهم على فراقه لهم بقوله (وشيعه الكثير

من المتعممين وغيرهم وهم يتباكون حوله حزناً على فراقه وكذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر (القاهرة) لأنه كان ركناً وملجأً ومقصداً للناس ولتعصبه على نصرة الحق) ومنذ ذلك الحين ساءت العلاقة بينه وبين محمد علي حتى انتهى به الأمر كما بينا إلى نفيه إلى دمياط ومنها إلى طنطا حيث توفي سنة ١٨٢٢ .

وقد عرفت ثورتنا المباركة لهذا الزعيم قدره فخلدت ذكراه بإطلاق اسمه على المسجد الذي أُقيم في ميدان التحرير بالقاهرة .

* * *

وصف المسجد

يقوم الجامع المعروف باسم عمر مكرم الآن والذي أنشأته وزارة الأوقاف حديثاً مكان جامع قديم بناه الأمير كريم الدين الكبير الناظر الخاص سنة ٧٢٠ هـ وهو أحد كبار الأمراء في سلطان السلطان الناصر محمد بن قلاوون الثالثة . وقد دفن في هذا الجامع الشيخ العبيط . وقد بحثت في كتب التراجم وطبقات الصوفية الموضوعة حتى نهاية القرن العاشر الهجرى ولكنى وجدت اسمه في خطط^(٢) على مبارك ولذا فمن المرجح أن يكون من شيوخ القرن الحادى عشر أو القرن الثانى عشر أى قبل إنشاء الخديو إسماعيل قصره في تلك الجهة يؤيد هذا ما ذكره أحمد رمزى^(٣) من أن الخديو إسماعيل جدد جامع الشيخ العبيط عندما أنشأ سراى الإسماعيلية سنة ١٢٨٥ هـ .

ويصف على مبارك جامع العبيط فيقول : هو بجزيرة العبيط المعروفة قديماً بجزيرة (أروى) وتعرف جهته اليوم بالإسماعيلية من داخل السور الغربى لسراى الإسماعيلية الغربى قرب قناطر النيل المشاه بالكوبرى « ثم يضيف » وليس للمسجد مطهرة (دورة مياه) وبه ضريح الشيخ العبيط والشيخ زيدان وشعائره مقامة من وقف القصر » .

ونحن لانتفق مع ما ذهب إليه على مبارك من أن جزيرة العبيط التى يقوم عليها المسجد إنما كانت جزيرة كما لا نوافق على أن اسمها القديم هو جزيرة (أروى) للأسباب الآتية : أولاً - أن جامع العبيط هو جامع الأمير كريم الدين الكبير ناظر خاص الناصر محمد ابن قلاوون الذى حدد مكانه ابن تغرى بردى^(٥) فقال خلف الميدان ، أى الميدان الناصرى الذى يطل على النيل بأرض القصر العالى حالياً .

(١) هامش النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٠٠ حاشية أحمد رمزى .

(٢) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ٤٦ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٠٠ (هامش)

(٤) الخطط ج ٥ ص ٤٦ .

(٥) القاهرة القديمة وأحيائها - سعاد ماهر ص ١٠٦ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٢٦ (هامش) .

ثانياً - لم تجر العادة أن تنشأ جوامع أو مساجد على جزر صغيرة في وسط النهر .

ثالثاً - ظهرت في القرن التاسع الهجري جزيرتان منفصلتان في مكان جزيرة الزمالك الحالية وكانت الجزيرة الجنوبية تعرف باسم جزيرة (أروى) كما عرفت باسم الجزيرة الوسطى ولم ينحسر عنها الماء إلا بعد سنة ٧٠٠ هـ . أما الجزيرة الشمالية فقد ظهرت في النيل سنة ٧٤٧ هـ وسمتها العامة باسم جزيرة (حليلة) . وفي عهد الحملة الفرنسية ظهرت جزيرة ثالثة بالقرب من الجزيرتين السابقتين ، ثم اتصلت هذه الجزائر ببعضها وأصبحت جزيرة واحدة عرفت باسم جزيرة بولاق لمواجهتها لقرية بولاق . وفي عهد محمد علي أقام عليها قصرًا وبقربه مجموعة كبيرة من الانحصاص والعشش للماليكة ، فعرفت الجزيرة باسم - (الزمالك) أي العشش أو الخيام المصنوعة من البوص بالتركية .

أما عن تجديد موقع جامع العبيط الذي أقيم عليه جامع عمر مكرم الآن . فقد أوضحه الأستاذ أحمد رمزي توضيحاً كافياً ليس فيه زيادة لمستزيد ، ولذلك فقد رأيت أن أنقله كما هو^(١) .

جاء في النجوم الزاهرة من ضمن الجوامع الكثيرة التي أنشئت في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون والتي تقام فيها الخطبة (خطبة الجمعة) والجماعة التي زادت على ثلاثين جامعاً ، جامع كريم الدين خلف الميدان ، كذلك ذكره المقرئ^(٢) في خطته باسم جامع كريم الدين بخت الزريبة ، كما ذكر إبراهيم مغلطى في تاريخ سلاطين المماليك أن جامع كريم الدين الكبير عند مورد البلاط ، وبدراسة أحمد رمزي لهذا الجامع تبين له مايلي :

أولاً - أن منشئه هو كريم الدين عبد الكريم بن إسحاق بن هبة الله السيد القبطي المعروف بكريم الدين الكبير الناظر الخاص ، أنشأه حول سنة ٧٠٠ هـ .

ثانياً - أن خط الزريبة الذي أشار إليه المقرئ هو خط زريبة قوضون الذي يمتد على النيل من دار الآثار المصرية إلى شارع الشيخ الأربعين بخط قصر الدوبارة بالقاهرة .

(١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٠٠ (هامش) .

(٢) المخطط والآثار ج ٤ ص ٣ .

ثالثاً - أن مورد البلاط الذى ذكره مغلطاي كانت واقعة على شاطئ النيل تجاه قصر الدوبارة وخط القصر العالى .

رابعاً - أن الميدان الذى ذكره ابن تغرى بردى هو الميدان الناصرى الذى كان واقعاً على النيل بأرض القصر العالى .

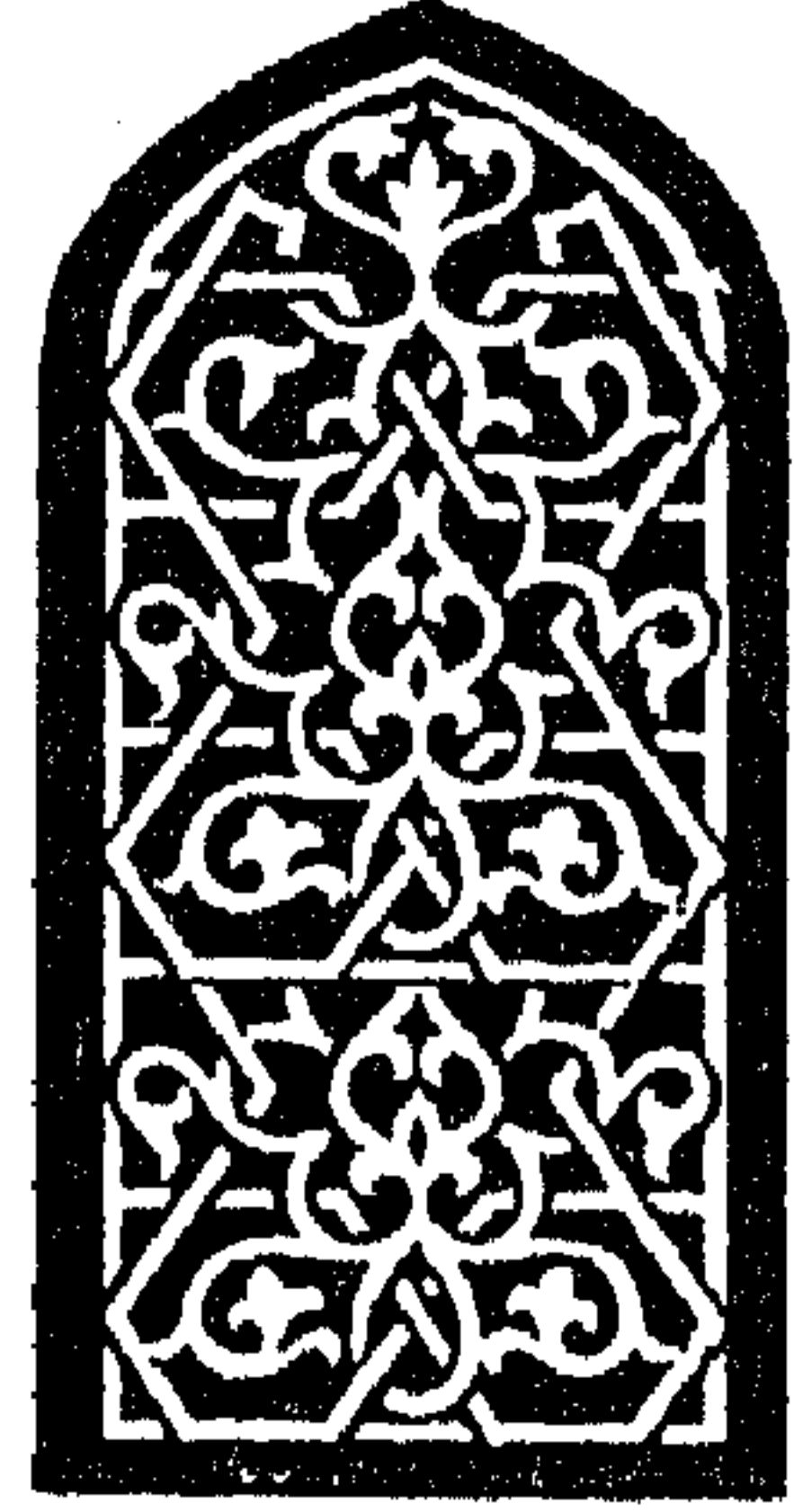
وعلى ضوء تلك البيانات تبين لنا أن مكان جامع كريم اليوم هو جامع الشيخ العبيط الذى جددته الخديو إسماعيل سنة ١٢٨٥ هـ ، وينسب إلى الشيخ محمد العبيط المدفون فيه .

أما عن الجامع الحديث الذى أطلقت عليه وزارة الأوقاف جامع عمر مكرم . ومع تقديرى واحترامى لتخليد ذكرى مجاهد وبطل من أبطال حركتنا الوطنية فى العصر الحديث ، إلا أننى لا اتفق مع وزارة الأوقاف فى إطلاق اسم عمر مكرم على جامع الشيخ محمد العبيط أو الأمير كريم الدين الكبير الذى يرجع تاريخه إلى سنة ٧٢٠ هـ الذى كان ما يزال قائماً حتى هدمته وزارة الأوقاف . وكان الأجدد بوزارة الأوقاف أن تنشئ مسجدًا جامعًا فى أى مكان آخر تخليدًا لذكرى عمر مكرم خاصة وأن وفاة الزعيم الراحل ليست موجودة فى مقبرة الجامع .

ويتكون المسجد الذى أنشأته وزارة الأوقاف من مبنى معلق يرتفع عن مستوى الشارع بسبع درجات ، ويتكون المسجد من جزئين منفصلين ، الجزء الأول عبارة عن مربع له مدخل رئيسى فى الركن الشمالى الشرقى ومدخل آخر فى الجانب الغربى للمسجد وهذا الجزء معد للصلاة وفى وسط جدار القبلة يوجد محراب كبير ويتوسطه صحن صغير تحيط به أربعة إيوانات ، يتقدم كلاً منها دعائم حجرية يغطيها سقف مبطن بالخشب به زخارف منقوشة بالطلاء الزيتى غاية فى الابداع . ويرتفع سقف الصحن عن سقف الإيوانات وتوجد به نوافذ للإضاءة . ويوجد بحوائط المسجد الثلاث البحرية والشرقية والغربية نوافذ مملوكة بزخارف جصية جميلة .

أما الجزء الثانى فعبارة عن مستطيل يتوسطه صحن به فتحات التهوية والإضاءة وقد أعاد هذا الجزء خصيصاً لكى تقام فيه المعزى على المولى .

صريح قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد بالقرافة الكبرى بالقاهرة



هو محمد بن على بن وهب تقى الدين بن دقيق العيد القشيري ، ولد بالبحر الأحمر
تجاه ينبع عندما توجه والده لتأدية فريضة الحج في يوم السبت الخامس عشر من شعبان
سنة ٦٢٥ هـ . فلما دخل الكعبة أخذه والده على يده وطاف به ودعا له أن يجعله الله عالماً
عاملاً . وأمضى تقى الدين طفولته في قوص حيث كان يقوم والده بالتدريس في المدرسة التي
بناها النجيب بن هبة الله سنة ٦٠٧ هـ ، وتعلم على يد والده الذي كان يدرس الفقه على
مذهب الإمام مالك والإمام الشافعي . وكانت أمه من قوص فهي بنت الشيخ المقترح ، وهو
الإمام تقى الدين المظفر بن عبد الله بن على بن الحسين ، فأصله كريمان وأبواه عظامان ،
وجاء في الدرر الكامنة لابن حجر ، أن تقى الدين نشأ في قوص على حالة واحدة من الصمت
والاشتغال بالعلوم ، ولزوم الصيانة والديانة ، والتحرز في أقواله وأفعاله ، والبعد عن المنجاسة
متشددًا في ذلك حتى حكى زوجته أبيه قالت : بنى على والده ، والشيخ تقى الدين ابن عشر
سنين فرأيته ومعه هاون وهو يغسله مرات زمنًا طويلًا ، فقلت لأبيه : ماذا الصغير يفعل ؟
فقال له يا محمد أى شئ تفعل ؟ فقال : أريد أن أركب حبرًا وأنا أغسل هذا الهون .

وابتدأ تقى الدين بقراءة كتاب الله العظيم حتى حصل منه على حظ وافر ثم رحل في طلب
العلم والحديث إلى دمشق والاسكندرية بعد أن تفقه وسمع الحديث من والده وغيره من
فقهاء وعلماء قوص التي كانت تشغل مركز الصدارة في صعيد مصر في ذلك الوقت . وكان
يقول البهاء معلّمى وقرأ العربية على الشيخ شرف الدين محمد بن أبى الفضل المرسى وغيره ،

وقرأ الأصول على والده وحضر عند القاضي شمس الدين لما كان حاكماً بقوص . وكان رحمه الله كثير الاطلاع حتى قيل أنه لا يوجد كتاب في مكتبات المدارس التي درس أو درس بها في القاهرة أو قوص إلا وعليها تأشيراته بخطه . أما تأليفه فيقول حاجي خليفة في كشف الظنون « ولو لم يكن له إلا ما أملاه على (العمدة) لكان عمدة الشهادة بفضلته والحكم بعلمه منزلته في العلم والنبيل فكيف يشرح (الإمام) وما تضمنه من الأحكام وما اشتمل عليه من الفوائد النقلية والقواعد العقلية . والأنواع الأدبية ، والنكت الخلافية والمباحث المنطقية ، واللطائف البيانية ، والمواد اللغوية ، والأبحاث النحوية ، والملح التاريخية والإشارات الصوفية وله كتاب (اقتناص السوانح) أتى فيه بأشياء غريبة ، ومباحث عجيبة ، وله أملاء على (مقدمة) كتاب عبد الحق ، وكتاب في علوم الحديث يعرف (بالاقتراح في معرفة الاصطلاح) وله خطب وتعاليق كثيرة .

ولما قدم إلى القاهرة قام بالتدريس بعدة مدارس بها . كان أولها المدرسة الفاضلية التي أنشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني بجوار المشهد الحسيني ، (وقد حل محلها المسجد الحسيني بعد توسعته) . ثم المدرسة الصلاحية التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي بجوار مشهد الإمام الشافعي ، والمدرسة الكاملية بالنحاسين وبجوارها كان يسكن الشيخ تقي الدين وانتهى بالتدريس بالمدرسة الصلاحية التي أنشأها الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الدولة الأيوبية . وكان قبل مجيئه إلى القاهرة يقوم بالتدريس بدار الحديث ببیت كان قد ورثه عن والده .

تولى القضاء في عهد السلطان (لاجين) بعد امتناع شديد ، كما يذكر الاسنوى في الطبقات ، حتى قالوا له : إن لم تفعل واوا فلانا وفلانا - لرجلين لا يصلحان للقضاء ، فرأى أن القبول واجب عليه حينئذ . وقد عزل نفسه غير مرة ثم يعاد . ويصف السيوطي بعض أحواله عندما ولي القضاء فيقول : وكان القضاء يخلع عليهم الحرير ، فامتنع الشيخ تقي الدين من لبس الخلعة وأمر بتغييرها إلى الصوف ، فاستمرت إلى الآن (أي إلى عهد السيوطي في القرن التاسع الهجري) . ويضيف : أنه حضر مرة عند السلطان (لاجين) فقام إليه السلطان وقبل يده ، فلم يزد على قوله : أرجوها لك بين يدي الله .

وكان الشيخ تقى الدين عزيز النفس مترفعاً في معاملة الأمراء وعلية القوم وفي ذلك يقول الأدفوى في (الطالع السعيد) : أن الشيخ (تقى الدين) رأى الأمير (الجوكندار) أتى إليه فتحرك له تحريكة لطيفة ، وسكت زماناً ، ثم قام إليه وقال : ولعل للأمير حاجة ؟ وكان مرة متكئاً فحضر الكمالى (أمير حاجب) برسالة ، فكشف عن وجهه فسمعها وقال له : هذا ما ينعمل . فوقف الحاجب زماناً ثم قال : ياسيدى ما الجواب ؟ فقال : عجب ما سمعت الجواب !! وغطى وجهه . ولما عزل نفسه ثم طلب ليولى ، قام السلطان الملك المنصور (لاجين) له واقفاً لما أقبل ، فصار يمشى الهويناً وهم يقولون له : السلطان واقف فيقول : أدينى أمشى . وجلس معه على الجوخ حتى لا يجلس دونه ، ثم نزل فغسل ماعليه واغتسل ، وقبل السلطان يده فقال ينتفع بهذا .

وكان الشيخ تقى الدين مع ما اتصف به من حزم وورع وتقوى وترفع في معاملة السلاطين والأمراء ، خفيف الروح لطيفاً ، يميل إلى المرح في حياته الخاصة على نسك وورع ، يقول الأدفوى : أخبرونى بقوص أنه لعب الشطرنج في صباه مع زوج أخته ، فلما حان وقت صلاة العشاء قاما فصليا ، ثم قال الشيخ : نعود ، فقال له صهره : إن عادت العقرب عدنا لها ، فلم يعد يلعبها .

وكان رحمه الله لاپخشى في الله لومة لائم ومع ذلك كان عديم البطش قليل المقابلة على الإساءة وفي ذلك يقول الأدفوى : ومن مشهور حكاياته في ذلك قضية قطب الدين بن الشامية وإنه كلمه بحضرة الناس كلاماً تألم منه . وقام من المجلس وظن الناس إنه سيقابل الإساءة بمثلها فلم يفعل وسأله عن ذلك فقال : خشيت أن يغتر بذلك . ويضيف الأدفوى فيقول : ومات الشيخ تقى الدين وحصل لابن الشامية من الأمير ركن الدين بيبرس ظلم وجور ، فكان كثير من الناس العارفين يقول إن الله قد انتقم للشيخ منه . ومما يروى في هذا المقام ما حكاه الفقيه شرف الدين الأنخمى إذ قال : كنا بين يديه والموقعين وهو بمجلس الحكم بالكاملية وإذا بشخص هجم وقصده ، ومنعه الرسل منعاً عنيفاً ، فرماه بیده وقال بصوت قوى ، من هذا حتى تمنعوني منه ؟ أخليفة هذا ؟ فنظر الشيخ إلى ذلك الشخص لحظة وعمل بيده فأقبل يأتى وفتح أصابعه .

وكان كريماً جواداً سخياً ، كان يعطى في كثير من الأحيان الذهب والفضة ، حكى الشيخ نجم الدين عقيل البالس ، أنه قدم في الجفل ، فحضر عنده وتكلم ، فأرسل إليه مائتي درهم ثم ولاه النيابة بمصر . وبرغم جوده وسخائه إلا أنه كان غالباً في فاقة ، تلزمه الإضافة كما يقول الأدفوى ، فيحتاج إلى الاستدانة ، وقد تقضى به إلى بذل الوجه - المعروف بالصيانة ، ويضيف الأدفوى ، حكى لي شيخنا قاضي القضاة أبو عبد الله بن جماعة ، إنه حضر عنده أمين الحكم بالقاهرة وكان فيه اجتهاد في تحصيل مال الأيتام ، فأحضر عندي مرة ابن دقيق العيد وادعى بدين عليه للأيتام فتوسطت بينهما ، وقررت معه أن تكون جامكية (راتب) المدرسة الكاملية للدين والمدرسة الفاضلية لكلفه ، ثم قلت له : أنا أشح عليك بسبب الاستدانة ، فقال ما يوقعني في ذلك إلا محبة الكتب . ويقول الشيخ تاج الدين الدشناوي حضرت عنده ليلة وهو يطلب شمعة فلم يجد معه ثمنها فقال لأولاده : فيكم من معه درهم ؟ فسكتوا ، فأردت أن أقول معي درهم ، فخشيت أن يذكر علي ، فإنه كان إذ ذاك قاضي القضاة ، فكرر الكلام : فقلت : معي درهم ، فقال : ما سكوتك ؟ .

ويقول السيوطي (في حسن المحاضرة) وكان لابن دقيق العيد نصيب مما ينسب للمصالحين من الكرامات ، وما يعزى إليهم من المكاشفات ، فقد حكى شهاب الدين الزبيرى المحدث قال : كنت عند صاحب زين الدين ، ووالى مصر عنده ، فحضر البريدى وناول والى كتاباً فقال : أطلبوا المقدم ، فقال له صاحب ما بالك ؟ فقال طلب أن يقرأ البخارى بسبب التتار وذكر الجيش ، فقال صاحب المقدم ما يقوم بهذا ، أنا أتكفل لك بهذه القضية وأخرج البخارى في اثني عشر مجلداً ، وذكر الجماعة فواعدنا واجتمعنا وقرأنا البخارى حتى نختمناه يوم الجمعة . فلما كان يوم الجمعة رأينا تقي الدين بن دقيق العيد بالجامع فسلمنا عليه فقال : ما فعلتم ببخاريكم ؟ لقد انفصل الحال من أمس العصر وبات المسلمون منتصرين فقلنا نخبر عنك ؟ فقال نعم ، فجاء الخبر بعد أيام بذلك .

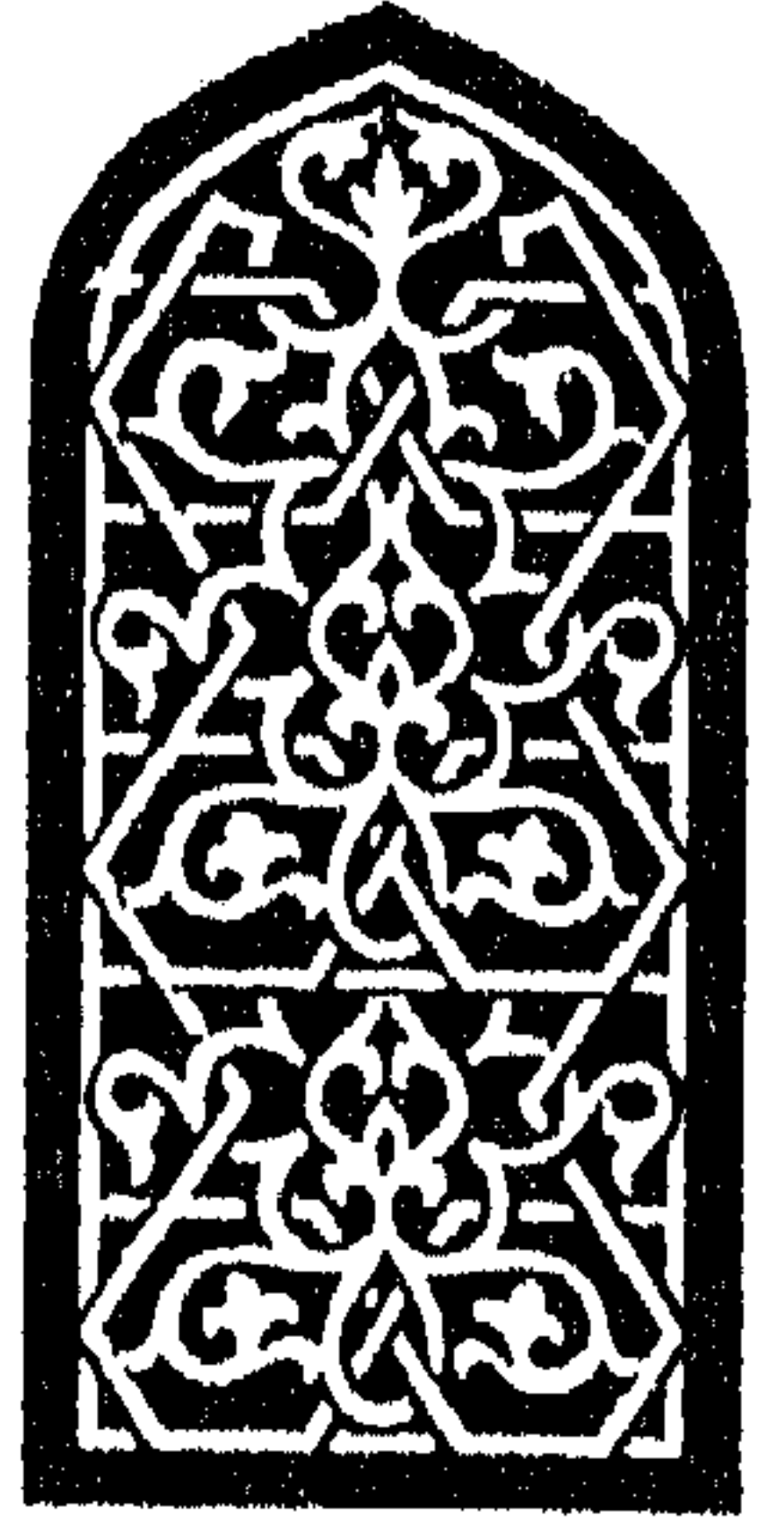
ويقول الأدفوى في سبب تسمية جده (دقيق العيد) إنه كان عليه يوم عيد طيلسان شديد البياض فقال بعضهم ، كأنه دقيق العيد ، فلقب به رحمه الله تعالى .

ولعل خير ما نختم به الحديث عن تقي الدين بن دقيق العيد هو ما جاء في وصفه على

لسان معاصره الأذفوى إذ يقول : هو التقي ذاتا ونعتا ، والسالك الطريق التي لا عوج فيها ولا أمتا . والمحرز من صفات الفضل فنونا مختلفة وأنواعا شتى ، والمتحلى بالحالتين - الحسينيين صمتا وسمتا ، الشيخ الإمام علامة العلماء الأعلام وراويون فنون الجاهلية والإسلام .
توفى رحمه الله يوم الجمعة في الحادى عشر من صفر سنة ٧٠٢ هـ ودفن بسفح المقطم وكان ذلك يوما مشهودا ، سارع الناس إليه ، ووقف جيش ينتظر الصلاة عليه ، ورثاه جماعة من الفضلاء والأدباء بالقاهرة وقوص .

* * *

ويقع الضريح بجبانة التونسي حيث يوجد ضريح العز بن عبد السلام وعطاء الله - السكندرى . ويتكون الضريح من مبنى مربع ، في ضلعة الشرق ثلاثة محاريب أوسطها أكبرها وأعماقها . وفي الحائط الغربى يوجد المدخل وهو عبارة عن باب يتقدمه عقد مفصص محلى بثلاثة صفوف من الدلايات . والضريح مغطى بقبة تقع على خمسة صفوف من المقرنصات فى أركان المربع .



المدرسة الناصرية بالنجاسين

بالجمالية سنة ٧٠٣هـ

هو السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي العلائي الصالحى ، أمه أشلون^(١) خاتون ابنة الأمير سكنای ، ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من مصر ، فلما قتل أخوه الملك الأشرف صلاح الدين خليل بالقرب من تروجه ، وقع التنافس بين أمراء المماليك على الوصول إلى العرش وقتل في هذه الفتنة الأمير « بيدرا » الذى أراد أن يتربع على العرش .

ولما لم يكن بين هؤلاء الأمراء المتنافسين من يتمتع بشخصية قوية ، لذلك استقر رأيهم على اختيار « محمد » سلطانا عليهم وكان كل منهم يضم فى نفسه اغتصاب الملك من الملك الصغير عند سنوح الفرصة .

جلس الناصر محمد على العرش فى السادس عشر من المحرم من سنة ثلاث وتسعين وستمائة بعد الهجرة وكان له من العمر تسع سنوات ، فاختير الأمير « كتبغا » نائبا للسلطنة والأمير سنجر الشجاعى وزيرا ، والأمير بيبرس الجاشنكير استادا ، وحلف الجند على ذلك وأصبح الأمير « كتبغا » هو القائم بجميع أمور الدولة فأرسل إلى نائب الشام كتابا على لسان السلطان خليل يتضمن اختياره (الناصر) وليا لعهدده ويطلب منه أخذ البيعة له وكان هذا الأمر بتدبير الشجاعى^(٢) تلافيا لما قد يحدث بالشام من قلق عندما يبلغهم خبر قتل السلطان خليل .

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٩٣

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٩٥

استمر الحال بالشام مدة ثلاثة أشهر ثم وصل إلى نائب الشام خبر مقتل السلطان خليل واختيار الناصر مكانه وطلب إليه الاقتصار في الخطبة على اسم (الناصر) وحده . وأول عمل حكومة كتبغا هو القبض على المماليك الذين اشتركوا في مقتل السلطان (خليل) فقبض على كثير منهم وساروا بهم بعد أن قطعوا أيديهم وسمروا على الجمال وأيديهم معلقة في أعناقهم ورأس الأمير « بيدرا » محمولة على رمح . استطاع (لاجين) أحد المشتركين في قتل - الأشرف خليل أن يهرب ويقال أن الأمير (كتبغا) نائب السلطنة تستر عليه لما كان بينهما من الصداقة والمحبة .

لم يدم الوفاق بين (كتبغا) و (سنجر الشجاعى) وأوعز كتبغا إلى السلطان الناصر بأن سنجر قد انفرد برأيه في القبض على الأمراء وأنه تعجب محاسبته على فعلته هذا فبعث السلطان يستدعيه فلم يستجب خوفاً على حياته ، عند ذلك حاصر كتبغا القلعة لأن الشجاعى دبر القبض على كتبغا واستمال الأمراء البرجية والمماليك السلطانية وفرق عليهم أموالاً كثيرة وقرر أن من أتاه برأس أمير من الأمراء الذين مع كتبغا فإنه يعطيه^(١) إقطاعه وبلغ كتبغا هذا التدبير فاحترز وقطع الماء عن القلعة بعد أن حاصرها سبعة أيام واندلعت الحرب بين جنود سنجر وجنود كتبغا . فلما اشتد الحصار طلعت^(٢) أم السلطان على سور القلعة ، وسألت الأمراء عن غرضهم فقالوا (مالنا غرض إلا القبض على الشجاعى وإخماد الفتنة ولو بقى فى بيت أستاذنا (أى قلاوون) بنت غمياء كنا ممالكها ولاسيما وولده الملك الناصر حاضر وفيه الكفاية) .

انضم عدد من رجال سنجر إلى رجال كتبغا ، فطلب سنجر الأمان ولكن الأمراء أبوا عليه ذلك ، واحتال حتى دخل على السلطان وسأله السلطان عن مآل النزاع الذى بينه وبين كتبغا فقال : « هذا كله من أجلك يا ابن أستاذنا » فإن أتباع كتبغا قصدوا أن يخلعوك من السلطة ويقبضوا على « فأشار السلطان عليه أن يقعد فى مكان بالقلعة ويرسل الأمراء للسلطان للتوفيق بينهم على أن يعطى سنجر ولاية الشام ولكن سنجر لم يوافق وخرج من القلعة قاصداً داره

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٩٨

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٨٠١

فاعترضه بعض رجال كتبغا وقتلوه وطلع كتبغا ومن معه إلى القلعة ونودي بالأمان وفتحت أبواب القاهرة ورفعت رأس (سنجر) على رمح فوق أسوار القلعة ثم نزلوا بها إلى القاهرة وطاقوا بها .

خرج (لاجين) أحد الأمراء الذين اشتركوا في قتل السلطان السابق خليل بن قلاوون من مخبئه وحصل على عفو من السلطان بشفاعة صديقه كتبغا فاندمج مع باقي الأمراء البارزين في الدولة غير أن علو نجم (لاجين) أغضب ممالك السلطان الراحل الأشرف خليل إذ لم ينسوا له اشتراكه في قتل سيدهم وقد أوغر ذلك صدورهم يضاف إليه سوء معاملة (كتبغا) لهم فقاموا بثورة كبيرة من منازلهم إلى قلعة القاهرة وقصدوا سوق السلاح ونهبوا ما في حوانيته من أسلحة إلا أن الحكومة استطاعت القضاء على هذه الثورة وقبضت على الثوار ونكلت بهم .

ولما استقرت الأمور في البلاد بدأ (لاجين) يسلك طريق الحيلة والدسيسة ليصل إلى العرش فأغرى صديقه (كتبغا) للاستئثار بالملك فتحدث الأخير إلى الخليفة العباسي في عدم أهلية (الناصر) لصغر سنه ، كما تحدث إلى الأمراء وإلى القضاة ذاكرًا لهم أن البلاد في حاجة إلى رجل يخافه الجنود وتخشاه الرعية متخذًا من ثورة المماليك الأشرفية دليلًا على ذلك ، فاقنع الخليفة ووافق الأمراء والقضاة عليها وأقروا جميعًا خلع (الناصر) وتولية كتبغا مكانه وحلفوا له وأصبح سلطانًا على مصر والشام من ١١ من المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة .

في كل تلك الأحداث كان الناصر يقف موقف المتفرج ولا يملك أن يغير في مجراها أو يبدل برأى فيها لصغر سنه . ولما تربع كتبغا على عرش السلطنة أمر بنقل الناصر محمد وأمه من القصر وأسكنه في بعض قاعات القلعة وانتهت بذلك السلطنة الأولى للناصر محمد بعد أن استمرت مدة سنة إلا ثلاثة أيام .

كافأ كتبغا صديقه لاجين - الذي حبيب إليه طريق الاستئثار بالملك ثم رسم له طريق الوصول إلى ذلك - بأن جعله نائبًا له غير أن هذا لم يقتنع به لاجين الذي كان يتطلع إلى السلطنة فانتهاز النكبات التي اقترن بها حكم كتبغا التي منها وفود طائفة من المغول الهاربين من ملكهم غازان وأكرام كتبغا لهم لأنهم من بني جلدته وتقليده لعدد منهم الإمارة الأمر للذي أحفظ عليه المماليك أما الشعب فقد كره هؤلاء المغول لأنهم عبدة الأوثان بالإضافة

إلى اشتداد الغلاء في تلك السنة وتناقص مياه النيل تناقصاً شديداً فارتفعت الأسعار ارتفاعاً فاحشاً وتفشى الوباء بصورة مروعة . حاول لاجين قتل كتبغا غير أنه لم ينجح إذ اختفى كتبغا ونصب الأمراء لاجين سلطاناً وأحب ألا يقاسمه أحد من ذوى النفوذ في سكنى القلعة فأنزل الخليفة منها وأبعد (الناصر محمد) إلى الكرك .

لم يهدأ بال (لاجين) وطاردته جريمة قتل السلطان خليل وأصبح شبح الموت يؤرقه وقد صدق حدسه إذ قتله أحد المقربين إليه وتبعه باقى المتآمرين المتذمرين من استبداد نائبه (منكوتر) الذى قتل بدوره .

أصبح عرش مصر خالياً من سلطانه الشرعى وأجمع الأمراء على استدعاء الناصر من الكرك وحضروا إليه بالكرك يستحثونه للتوجه إلى القاهرة وسار معه نائب الكرم إليها فخرج الأمراء والعساكر إلى لقائه وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر أحد بهما من الناس فرحاً بقدومه^(١) وحضر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد والقضاة وأعيد إلى السلطنة وجلس على تخت الملك وكان ذلك فى جمادى^(٢) الأولى من سنة ٦٩٨ هـ وله من العمر أربع عشرة سنة . وبعد أيام من ولايته ورد الخبر بأن التتار هددت بلاد الشام ، فجهز الملك الناصر جيشاً كان هو على رأسه ومعه الأمير (سار) والأمير (بيبرس) وما كاد المغول يعلمون بقدوم جيش الناصر محمد حتى أشاعوا أنهم لا قبل لهم بجيش الناصر وأنهم عائدون إلى بلادهم ، فانخدع السلطان والأمراء بهذا القول الذى لم يكن إلا مكيذة انقضوا بعدها على جيش الناصر وأنزلوا به هزيمة نكراء عادت بعدها فلول الجيش السلطانى إلى القاهرة تعجز أذيال الهزيمة . لم تكن الهزيمة عزيمة السلطان ورجاله فأعادوا الكرة على التتار والعق الجيش المصرى بالتتار هزيمة منكرة وخرج السلطان إلى دمشق وسط عدد كبير من الفرسان فخرج إليه أهلها مهللين مكبرين شاكرين الله على هذا النصر . وفى مصر كانت الفرصة الكبرى بسلامته وبانتصار جيشه تنتظره فدخلها فى ٢٣ شوال سنة ٦٩٨ هـ دخول المنتصرين الفاتحين^(٣) على أن هذا النصر الذى حالف السلطان الناصر على المغول كان قد سبقه نصر آخر فى الداخل

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٨٧٢

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٨ ص ١١٥

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٨ ص ١٦٥

وهو تخليص البلاد من شرور الاعراب الذين كانوا يعيشون في البلاد ويهددون المدن والقرى بالنهب والسلب والاحتماء بالصحراء والجبال المحيطة بالقرى التي يهاجمونها كما تلاه نصر آخر وهو استيلاء بحريته على جزيرة صغيرة واقعة أمام ساحل مدينة (طرابلس) تعرف بجزيرة (أرواد) كانت معقلاً للصليبيين يهددون منها سواحل بلاد الشام .

ضاق صدر السلطان من تحكم بيبرس الجاشنكير وسلار عليه وغل يده عن التصرف في أى شىء من أمور الدولة ، حتى أنه لا يصل إلى ما تشتهى^(١) نفسه من المأكّل لقلة المرتب له فلولا ما كان يتحصل له من أملاكه وأوقاف أبيه لما وجد سبيلاً لبلوغ بعض أغراضه ، فأظهر أنه يريد الحج بعياله وحدث بيبرس وسلار في ذلك فوافقا عليه وركب في ٢٥ رمضان سنة ٧٠٨ هـ يريد الحج وخرج العامة حوله يدعون له إلى أن نزل بركة الحجاج ثم سار إلى الكرك : وعندما استقر بقلعة الكرك عرّف الأمراء بأنّه رغب عن الحج واختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة وخلع نفسه ليستريح خاطره وكانت مدة سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في هذه المرة الثانية عشر سنين وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً^(٢) .

وفي السنة السادسة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر وهى سنة ثلاث وسبعمائة كملت عمارة المدرسة الناصرية بين القصرين ونقل الملك الناصر محمد رفات أمه من التربة المجاورة للمشهد الحسينى إليها . وموضع المدرسة^(٣) الناصرية كان داراً تعرف بدار سيف الدين بلباى الرشيدى اشتراها الملك العادل زين الدين كتبغا وشرع فى بنائها مدرسة وعمل بوابتها من أنقاض مدينة عكا وهى بوابة كنيسة . ولما خلع كتبغا اشتراها الملك الناصر محمد .

ويعلق الأستاذ محمد رمزى على هذه المدرسة^(٤) فيقول : تكلم المقرئ فى خطه على هذه المدرسة (ص ٣٨٢ ج ٢) فقال أنها بجوار القبة المنصورة من الجهة البحرية . أنشأها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى فابتدأ فى وضع أساسها فى سنة ٦٩٥ هـ ، وبعد أن

(١) النجوم الزاهرة : ج ٨ ص ١٧٥

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٨ ص ١٨١ وفى السلوك (وسبعة عشر يوماً) .

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٨ ص ٢٠٩

(٤) النجوم الزاهرة : ج ٨ هامش صفحة ٢٠٨ فقرة (٢) .

ارتفع بناؤها عن الأرض إلى نحو الطراز المذهب الذى بظاهرها تصادف أن خلع كتبها وعاد الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكة مصر ، فاشترى هذه المدرسة قبل اتمامها وأكملها فى سنة ٧٠٣ هـ وهى من أجمل مباني القاهرة وبوابتها من الرخام الأبيض أصلها على باب كنيسة من كنائس عكا ، وداخل باب هذه المدرسة قبة جميلة مدفون بها والده الناصر وابنه آنوك وأما الملك الناصر محمد بن قلاوون فهو مدفون فى تربة والده المنصور قلاوون المجاورة لهذه المدرسة وأضاف الأستاذ محمد رمزى يقول : ولاتزال المدرسة الناصرية موجودة إلى اليوم بين جامعى قلاوون وبرقوق بشارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً) بالقاهرة وتعرف بجامع الناصر . ومما يلفت النظر فى هذه المدرسة من الواجهة المعمارية الواجهة المزينة بالزخارف والكتابات وطراز بوابتها الجوتيكى من الرخام المضلع والمئذنة القائمة على الباب المغشاة بالزخارف الجصية وهى من أدق وأحسن ما وجد من نوعها . ولم يبق من أووين المدرسة غير الإيوان الشرقى بمحرابه الجصى النادر ، والإيوان الغربى وبه شبك غاية فى الدقة .

عاد الناصر محمد إلى عرشه وتربع عليه للمرة الثالثة وكان عمره خمسة وعشرين عاماً فخرج إلى دمشق من الكرك فتلقيه الأمراء الذين وقفوا إلى جانبه ضد (بيبرس الجاشنكير) بالترحاب وخرجت إليه العامة مهلبة وسار الناصر ومن معه من الأمراء إلى القاهرة فتلقيه الشعب بالبشر والترحاب وانتقم أولاً من بيبرس بقتله ثم استدار إلى سلار الذى استدعاه من منطقة الشوبك الذى طلب من السلطان أن يعينه بها وقبض عليه وأودع سجن القلعة ومنع عنه الطعام والشراب إلى أن مات وصودرت أمواله وكانت شيئاً كثيراً ردت إلى بيت المال فبعث إليه بأكثر من خمسين حملاً من الذهب والفضة والجواهر والدنانير واللحم المفضضة والأقمشة المزركشة .

وكان الناصر محمد فى حياته^(١) الخاصة مثال الزوج الوفى والأب الحكيم ، فعلى الرغم من كثرة مشاغله ، لم ينسه ذلك واجبه نحو زوجاته ونحو أولاده ، ولذلك كان يخرج للنزهة مع زوجاته وبناته وكانت منطقة الجيزة والأهرام أحب البقاع إليه ، فكثيراً ما كان يغشاها للاستجمام وكان يستدعى (الحریم) إليه من القلعة لقضاء بعض الوقت فى النزهة وإذا

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١٧٣ وما بعدها .

خرجن أخليت الطرقات لهن من المارة وغالقت الحوانيت وقت مرور موكبهن . وفي بعض الأحيان كان يدعى إلى هذه النزهة نساء الأمراء المتصلين بالسلطان ليكن في معية نسائه .

وكان عطف السلطان على بنيهِ وبناته مشرباً بالحزم ، فقد كان يعنى بتوفير وسائل الحياة الرغدة لهم ولكنه لم يكن يسمح لهم قط بأن يخرجوا بحكم كونهم أبناء السلطان - عن الطريق سوى أو أن يستغلوا هذه الصلة في انتهاك حرمت الغير .

وكان إذا علم عن أحد منهم ما يشينه أوقع به أقسى العقاب ليردعه ويثنيه عن غيه حتى يشعره أنه مغضوب عليه وعلى سبيل المثال عندما علم أن ابنه الأمير (أحمد) قد أساء السيرة في الكرك بعث يستدعيه إليه ولم يدع أحداً من الأمراء يخرج لاستقباله ولما دخل على والده في القصر وقبل الأرض بين يديه ثم اعتدل من وقفته تركه واقفاً ما يقرب من ساعة وهو متشاغل عنه ولم يسمح له بتقبيل يده فمضى إلى الدور السلطانية حزيناً كاسف البال .

انفرد الناصر محمد بين سلاطين المماليك بطول مدة حكمه ، فقد استمرت أيام سلطنته الثالثة وحدها اثنتين وثلاثين سنة تقريباً والواقع أنه منذ قدوم الناصر من الكرك في سلطنته الثالثة إلى أن مات وهو في حركة تعمير متواصلة إذ ما كان ينتهى من مشروع حتى يبدأ آخر ومن أهم منشآته العامة في مدينة القاهرة الميدان العظيم والقصر الأبلق والإيوان ومسجد القلعة ، وحوش الغنم والميدان الناصري وبستان باب اللوق وقناطر السباع .

أما الميدان^(١) العظيم فقد أنشأه تحت قلعة الجبل بعد جلوسه على العرش في السلطنة الثالثة بأربع سنوات ، وقد وزع العمل فيه على الأمراء فصارت جمالهم تنقل الطين إليه حتى امتلأ ، وحفر فيه الآبار وركبت عليه السواقي ، وغرس فيه النخيل والأشجار المختلفة وأحاطه بسور عظيم من الحجر ، كما بنى خارجه حوض ماء للسبيل وكان يلعب فيه الكرة مع الأمراء ، ولا يزال هذا الميدان موجوداً تحت اسم (قره ميدان) أو الميدان الأسود .

أما القصر^(٢) الأبلق فقد أنشأه فوق الميدان سالف الذكر وجعله من أعظم أبنية عصره واستدعى له من دمشق مهرة البنائين والمزخرفين ليشاركوا مع مهرة صناع مصر في إبداعه

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٣٦ .

وقد كانت واجهته مكونة من أشرطة عريضة متوازية لونها أسود وأصفر على التوالي وتسميته بالقصر الأبلق جاءت من هذه الظاهرة ، ومن أبواب القصر امتدت دهاليز إلى الداخل مفروشة بالرخام ومغطاة بأبسطة جميلة ، أما الجدران من الداخل فقد كانت تزdan بالرخام وبالصدف والألوان الجميلة وكانت السقوف كلها مذهبة وكانت النوافذ تسدها شبابيك من الحديد جميلة الصنع وكانت هناك طاقات تخترق الجدران ومغطاة بالزجاج المختلف الألوان - أما أرضية القصر فقد فرشت كلها بالرخام المنقول من شتى أقطار الأرض . ويشرف القصر على بساتين وساحات آية في الجمال .

وقد كان السلطان يجلس على تخت الملك المنسوب بصدر الإيوان الرئيسى في هذا القصر يستقبل الوفود في سائر أيام الأسبوع . وهذا الإيوان كان موجوداً قبل السلطان الناصر إذ أنشأه والده السلطان قلاوون وجده بعده الملك الأشرف خليل وأعاد الناصر بناءه وأنشأ به قبة عظيمة وأقام فيه عمداً جلبت إليه من معابد الصعيد .

أما المسجد^(١) فقد أقامه إلى جانب القصر والإيوان فكان مسجداً صغيراً هدمه وبني مكانه مسجداً كبيراً أدخل فيه بعض الأبنية المجاورة ليجمعه واسع الأطراف . أرض المسجد مفروشة بالرخام وسقفه محلى بالألوان المذهبة وفي صدره قبة عالية وبه مقصورة تحيط بالأروقة وبها شبابيك الحديد المحكة الصنع ، وله مثلنتان تعتبران من أروع المآذن في مصر لهما مظهر غريب يميزهما عن باقي المآذن المصرية ، وقد كسيتا من أعلى بألواح القاشاني .

أما (حوش الغنم)^(٢) فأنشأه للعناية بتربية الأغنام والأبقار والأوز ، فقد كان في القلعة في بقعة كانت محجراً تقطع فيه الأحجار وأصبح مكانها غوراً عظيماً فأمر بإزالة التراب عنه ، وكلف الأمراء بالعمل في ذلك مع مماليكهم ورجالهم ولما فرغوا من عمله أجريت إليه المياه وأقيمت به الأغنام والأبقار وبنيت فيه بيوت الأوز .

أحدث الناصر محمد بالقاهرة الميدان الكبير الذى عرف بالميدان الناصرى^(٣) نسبة

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٠٠ .

إليه ومكانه الآن منطقة جاردن سیتی يحده من الشمال شارع رستم ومن الشرق القصر العيني ومن الجنوب شارع الوالدة باشا ومن الغرب شارع القصر العالى وقد خصص الناصر هذا الميدان لسباق الخيل .

وقناطر السباع^(١) من المنشآت الى سبقت في وجودها عهد الناصر محمد إذ شيدها الظاهر بيبرس فوق الخليج بين مصر والقاهرة وجعل عليها سباعاً حجرية شعاره أى (رنكه) وعندما أنشأ الناصر محمد الميدان الناصرى وتردد إليه كثيراً كان يمر إليه من قلعة العجل عن طريق قناطر السباع فتضرر من علوها ، فهدمها وأعاد بناءها بعد توسيعها وبجوار قناطر السباع أنشأ الناصر (ميدان المهار) والمهر ولد الفرس وقد كان الدافع إلى إنشائه هو أن يجعل جميع خيوله به . وعند باب اللوق أنشأ السلطان بستاناً عظيماً ، أحضر له سائر - أصناف الزراعة كما استقدم له من بلاد الشام الخولة والمطعمين الذين يجيدون فن تطعيم الأشجار ويقول المقرئى أن المصريين تعلموا فن تطعيم الأشجار منذ إنشاء هذا البستان .

لم يقصر الناصر محمد إصلاحاته على القاهرة - بل اتجه إلى الريف فلقد أمر بحفر^(٢) خليج يمتد من القاهرة إلى مدينة (سرياقوس) واخترق هذا الخليج في امتداده بعض أحياء القاهرة وأقيمت عليه القناطر الكثيرة وقد ترتب على إنشاء هذا الخليج أن عمرت جهات مختلفة من مصر والقاهرة وقامت على جانبيه الدور والقصور والمساجد والأسواق والبساتين وانقلبت أراض كانت تلالا إلى بقاع مسكونة وعرف بالخليج الناصرى .

أنشأ السلطان الناصر محمد بناحية سرياقوس التي مد إليها الخليج الناصرى - داراً للصوفية (خانقاه)^(٣) كانت من أجمل الدور وقد كان فيها مائة خلوة لمائة صوفى يتفرغون فيها للعبادة وقد حرص السلطان على أن يوفر لهم ما هم في حاجة إليه وكل ما يعاون على تفرغهم للعبادة . وقد عمر هذا المكان وصار مع الزمن مدينة عظيمة تحمل اسم (الخانكاه) وهو كما نرى مستمد من اسم الخانقاه .

(١) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ١٤٦ .

(٢) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ١٤٥ .

(٣) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٤٢٣ .

وصف المدرسة

يصف المقرئ هذه المدرسة فيقول : تقع هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من شرقيها كان موقعها حمماً فأمر السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا بإنشاء مدرسة موضعها فابتدىء في عملها ووضع أساسها وارتفع بناؤها عن الأرض إلى نحو الطراز المذهب الذي بظاهرها . فلما خلع وعاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملك مصر ٦٩٣ هـ ، أمر بأكملها فأكملت في سنة ٧٠٣ هـ . وهي من أجمل مباني القاهرة وقد اشترى الناصر محمد هذه المدرسة قبل اتمامها والاشهار بوقفها وولى شراءها وصية قاضي القضاة زين الدين علي - ابن مخلوف المالكي . وأنشأ بجوار هذه المدرسة من داخل بابها قبة جليلة لكنها دون قبة أبيه ولما كملت نقل إليها أمه بنت سكباى بن قراجين ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير على بخط الشرايشيين من القاهرة والربع الذي يعلوها وكان يعرف بالدهيشة . كما وقف عليها حوانيت بخط باب الزهومة^(٢) ودار الطعم خارج مدينة دمشق . فلما مات ابنه أنوك من زوجه الخاتون طغاي سنة ٧٤١ هـ وكان عمره ثمانى عشرة سنة دفنه بهذه القبة وعمل عليها وقفاً يختص بها .

ويصف المقرئ باب هذه المدرسة الذى نقله الأشرف خليل بن قلاوون بعد أن استولى على عكا فيقول : فلما فتح الأشرف خليل عكا سنة ٦٩٠ هـ وجد هذه البوابة على باب كنيسة من الكنائس وهى من الرخام قواعد وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل ببعضه ببعض فحمل الجميع إلى القاهرة وأقام عنده حتى قتل الملك الأشرف . فلما خلع الناصر محمد وتملك كتبغا أخذ دار الأمير سيف الدين بلبانه الرشيدى ليعملها مدرسة فدل على هذه البوابة

(١) الخطط ج ٢ ص ٣٨٢ .

(٢) أحد أبواب الباب الشرق الكبير وقد عرف بالزهومة لرائحته حيث أنه باب المطبخ وقد حل محله الآن إيوان الحنابلة بالمدرسة الصالحية بالصاغة .

فأخذها من ورثة الأمير بيدرا فإنها كانت قد انتقلت إليه وعملها كتبغا على باب هذه المدرسة^(١).

وأول من تولى التدريس بالمدرسة الناصرية قاضى القضاة زين الدين على بن مخاوف المالكي ليدرس فقه المالكية بالإيوان الكبير القبلى وقاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرابى ليدرس فقه الحنفية بالإيوان الشرقى والشيخ صدر الدين محمد بن المرحل المعروف بابن الركيل الشافعى ليدرس فقه الشافعية بالإيوان البحرى . وقرر عند كل مدرس منهم عدة من الطلبة وأجرى عليهم مرتبات ورتب لهم إماماً يؤم الناس فى الصلوات الخمس . وكانت المدرسة تحتوى على خزانة كتب جليلة ويحدثنا المقرئى عن مشاهداته الشخصية بهذه المدرسة فيقول : أدركت هذه المدرسة وهى محترمة للغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية ولا يمكن أن يدخلها غريب . وكان يوزع على الطلبة والقراء وسائر أرباب الوظائف بها السكر فى كل شهر ، ويفرق عليهم كذلك اللحوم فى الأضاحى .

تقع مدرسة الناصر محمد بين مجموعة المنصور قلاوون ومدرسة السلطان برقوق . وهى عبارة عن مستطيل يضم أربعة إيوانات كبيرة فى تخطيط متعامد حول صحن مستطيل مساحته (٢٤ × ٢٣) متراً . وفى الركن الشمالى الشرقى من المدرسة تقع القبة التى تبلغ مساحتها - (٩ × ٩) أمتار^(٢) .

الواجهة :

لقد أثر موقع المدرسة الناصرية بين الأثرين الكبيرين مجموعة المنصور ومدرسة برقوق تأثيراً سيئاً ، كما يقول (Briggs) ، فلم يظهر جمال واجهتها وخاصة بالنسبة لمثلذنة برقوق . ويبلغ طول الواجهة (٢١٫٤٢) متراً وارتفاعها بما فى ذلك الشرفات (١٣٫٢٣) متراً . ويوجد بالواجهة ثلاث حنيات تمتد بارتفاع الواجهة وتنتهى بدليات ويحيط بها إطار قالبى مستطيل الشكل تشبه إلى حد كبير مدرسة زين الدين . وبأسفل كل حنية توجد

(١) المخطط ج ٢ ص ٣٨٢ .

Creswell : Egypt vol. II p. 235

(٢)

Briggs : Muhammadan Architecture. p. 102.

(٣)

نافذة ، اثنان منهما يفتحان بالقبلة والثالثة تفتح بإيوان القبلة . ويعلو هذه النوافذ أعتاب عليها كتاب وفوقها عقود عاتقة بها زخارف نباتية محورة .

وعلى ارتفاع (٧ر٢٥) أمتار من سطح الأرض يزخرف الواجهة شريط من الكتابة على أرضية مزخرفة بزخارف نباتية . ويعلوها هذا الشريط نافدتان ، اليمنى منهما تقع فوق محراب القبة تماماً واليسرى تقع في الإطار الجصى الذى يعلو محراب الإيوان القبلى للمدرسة .

ولعل أهم ما يميز هذه المدرسة الباب الذى جلبه الأشرف خليل من عكا سنة ٦٩٠ هـ بعد أن خلعه من إحدى الكنائس الصليبية ، والذى يمثل الفن القوطى أحسن تمثيل ويبلغ ارتفاع الشرفات المدرجة التى تتوج الواجهة (١ر٤١) متر ، ويبدو خلف الجزء الأيمن منها منطقة انتقال قبة الضريح المثلثة الشكل أما القبة فقد سقطت وفى الوسط وفوق المدخل تماماً توجد القاعدة المربعة لبدن المئذنة .

الداخل :

عندما ندخل من المدخل الرئيسى نجد أنفسنا فى دهليز يمتد (١٣) متراً وعرضه (٣) أمتار . ويفصل هذا الدهليز القبة عن إيوان القبلة ، كما أنه يوجد فى هذا الدهليز بابان متقابلان يؤدى أحدهما إلى المدرسة والآخر إلى الضريح . وقد غطى سقف الدهليز بعروق خشبية تحوى بينها حقايقاً ضيقة وهى بذلك تشبه الدهليز الموجود بمجموعة المنصور قلاوون . وفى نهاية الدهليز يوجد بابان ، الأيمن منهما يؤدى إلى صحن الضريح وقد سد الآن والأيسر يؤدى إلى صحن المدرسة .

ويتوسط المدرسة صحن مستطيل تبلغ مساحته (٢٣ر٢٠ × ١٤ر٤٠) متراً تحيط به أربعة إيوانات ، فى الضلع الشمالى يوجد إيوان الحنفية وتبلغ سعته (٥ر٦٥) أمتار وعمقه (٣٠ر٥) أمتار . ويقابل إيوان الحنفية إيوان الحنابلة فى الضلع الجنوبى وتبلغ سعته (٥ر٥٩) أمتار وعمقه (٦ر٢٥) أمتار . ويشغل الجانب الشرقى لكلا الإيوانين خلاو للطلاب عددها ثلاث وهى مغطاة بأقباء مستديرة أما الجانب الآخر للإيوانين فقد تهدمت الخلاوى وحل محلها الآن مبان أخرى .

ويشغل الضلع الشرقى من الصحن إيوان القبلة الذى تبلغ سعته (٨١٠ ر) أمتار وعمقه (١٣٠٤ ر) متراً وارتفاعه (١٢٨٥ ر) متراً . ومحراب الإيوان كبير جداً وعلى جانبيه عمودان من الرخام الأخضر المجلوب من (وادى الحمامات ^(١)) ، ويعلوه نصف قبة مزخرفة برسوم جصية نباتية متأثرة بالزخارف (الأسبانية المغربية ^(٢)) ويعلو ذلك إطار مستطيل مملوء بالزخارف الجصية ويتوسطه نافذة . ويبلغ سعة المحراب (٢٧٨ ر) متر وارتفاعه عشرة أمتار ، وهو آخر محراب جصى فى العمارة الإسلامية فى مصر ^(٣) . وعلى الجانب الأيمن - للمحراب توجد حنية مفتوحة من أعلى للتهوئة ، كما توجد حنية ثانية فى الضلع الجنوبى للإيوان ومقابلة للباب الموجود بالضلع الشمالى .

وفى الضلع الغربى للصحن يوجد إيوان الشافعية وتبلغ سعته (١٤٦٥ ر) متراً وعمقه (١٢٥٠ ر) متراً . وفى صدر الإيوان توجد حنية كبيرة مسطحة تبلغ سعتها (٣٧٥ ر) أمتار وعمقها (١٧٢ ر) متر وعلى جانبيها حنيتان صغيرتان . وفى الضلعين الشمالى والجنوبى للإيوان الغربى توجد حنيتان مسطحتان قليلتا العمق .

المقبلة :

تتكون من مربع يبلغ طول ضلعه (٩٢٨ ر) أمتار تقريباً يدخل إليه من باب يفتح فى الدهليز السابق الإشارة إليه . كما يضىء القبلة نافذتان تطلان على الطريق وعلى جانبي المحراب . وعلى ارتفاع (٣٧٣ ر) أمتار من الأرض يوجد أفريز خشبى عرضه (٩٨ سم) ومقسوم إلى قسمين ، الأسفل منهما ويبلغ عرضه (٣٧) سم مذهب وعليه رسوم تمثل فروع العنب . أما القسم العلوى من الأفريز فيبدو أنه كان مزخرفاً بحروف من الخط الثلث الكبير . ولم يبق من هذه الزخارف غير الربع أما الباقى فقد نقل إلى متحف الفن الإسلامى ^(٤) . وهناك أفريز آخر على ارتفاع (٩٢٥ ر) أمتار من سطح الأرض وتحت منطقة الانتقال مباشرة

Creswell : Egypt vol. II p. 102.

(١) يشبه ضريح الصالح نجم الدين .

Creswell : Ibid. p. 236.

(٢)

Saladin : Manuel de l'Art Musulman p. 119

(٣)

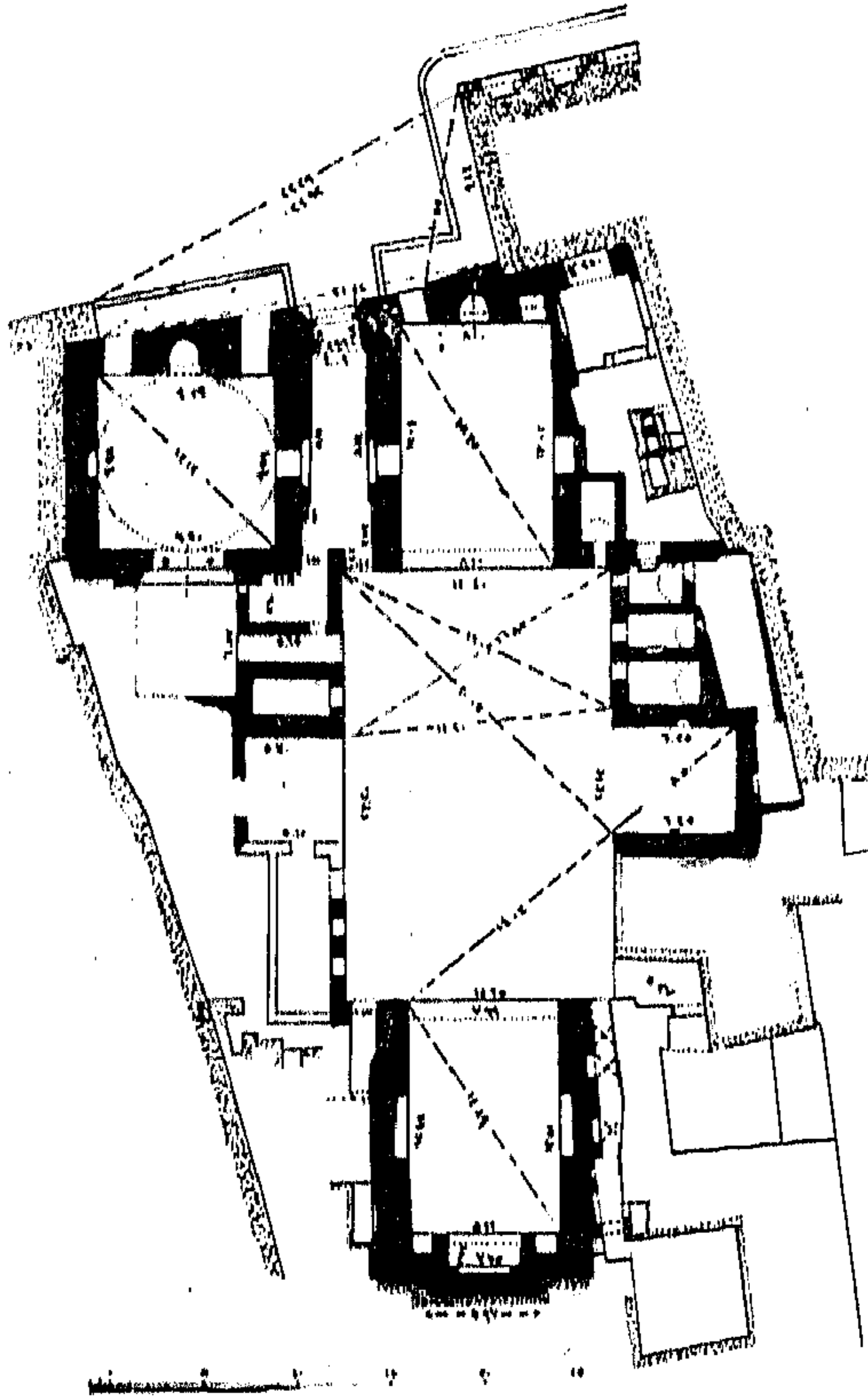
(٤) تبين أن هذه الأفاريز كانت موجودة بالقصر الغربى الفاطمى وأن الناصر محمد قد أعاد استعمالها من الوجه الآخر . .

Herzfeld : Orientalisches Arch. vol. II p. 169.

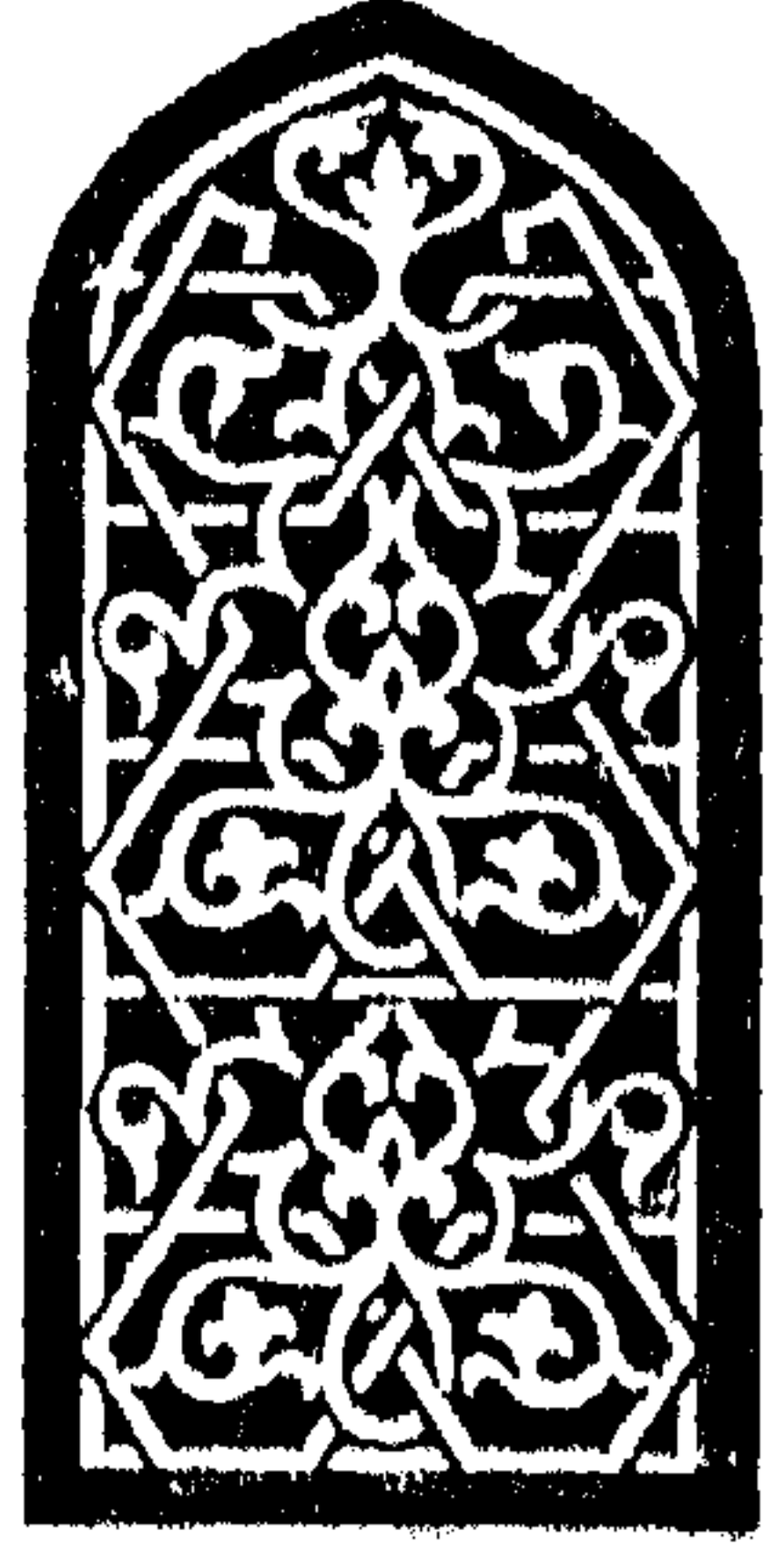
وبه بقايا رسوم كتابات . وتتكون منطقة الانتقال من ثلاثة صفوف من الدلايات يحتوى كل صف على خمس مقرنصات وتحصر الأركان بينها نافذة مكونة من ثلاث فتحات . ويبلغ ارتفاع منطقة الانتقال (٥ر٥) أمتار ، أما القبة فقد سقطت منذ سنة ١٨٧٠ م وحل محلها الآن سقف مسطح وتحتوى حنية محراب القبة على عمودين من الرخام الأخضر مثل محراب المدرسة موجودين على جانبيها . وفي الضلع الغربى للقبة يوجد باب سعتة (٢ر٨٠) متر يؤدي إلى صحن صغير مربع يبلغ ضلعه (٦ر٨٦) أمتار ويحتوى الباب على عمودين يعلوهما عتب ، ولكن الباب قد سد الآن .

المئذنة :

تتكون قاعدة المئذنة التى تعلو المدخل الرئيسى من مربع يبلغ طول ضلعه (٤ر٧٤) مترا وارتفاعه (١١ر٧٤) متراً حتى نهاية حائط إيوان القبلة أو (١٥ر٢٠) متراً حتى نهاية الشرفات التى تعلو الواجهة . ويعلو المربع طابق مشمن الشكل ارتفاعه (٨ر٥) أمتار ، أما الطابق الثالث فيتكون من مشمن دائرى بعض الشيء يبلغ ارتفاعه (٣) أمتار وتحتوى أضلاع الطابق الأول المربع على زخارف نباتية جصية .



(شكل ١١) مدرسة الناصر محمد بن قلاوون



جامع الناصر محمد بالقلعة

أنشأ هذا الجامع بالقلعة الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٨ هـ كما يقول المقرئى^(١) « وكان أولا جامعاً قديماً وبجواره المطبخ السلطاني والحوائجخانه والطشتخانه والفراشخانه ، فهدم الجميع في هذا الجامع وعمره أحسن عمارة وعمل فيه من الرخام الملون شيئاً كثيراً ، وعمر فيه قبة جليلة ، وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة ، وفي صدر الجامع مقصورة من حديد أيضاً برسم صلاة السلطان .

وكان هذا الجامع يعرف باسم الجامع الناصرى أو جامع الخطبة بقلعة الجبل ، الذى حل محل جامع^(٢) قديم بالقلعة يرجع إلى عهد الملك الكامل ، فقد كان يوجد بالقلعة على عهد السلطان بيبرس جامع وهو الجامع الذى خطب فيه الخليفة العباسى الحاكم بأمر الله - ومن المحتمل أن يكون هذا الجامع قائماً منذ عهد الملك الكامل وفى المكان نفسه الذى يقوم عليه الجامع الذى استحدثه الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٨ هـ^(٣) . ويذكر أبو بكر - الداودارى فى حوادث^(٤) سنة ٧٣٥ هـ أن : « فيها برزت المراسيم الشريفة بهدم الجامع الذى أنشأه السلطان عز نصره بالقلعة المحروسة ، وأن يعجدد بناءه ، فهدم جميع ما كان من داخله من الرواقات والمقصورة والمحراب ، وجدد بناءه بما لم تر العيون أحسن منه وأعلى قناطر

(١) المقرئى المخطوط ج ٢ ص ٣٢٥ ، الملوك ج ٢ ص ١٨٤ .

(٢) الدكتورة سماد ماهر : القاهرة القديمة وأحيائها - ص ٤٨ .

(٣) كازانوف تاريخ ووصف قلعة الجبل ص ٩٣ ، ٩٥ .

(٤) أبو بكر الداودارى : كنز الدرر ج ٩ ص ٢٩٣ .

الرواقات اعلاء شاهقاً وكذلك القبة أعلاها حتى عادت في ارتفاع وأحضر لهذا الجامع أعمدة عظيمة كانت منسية بمدينة الأشمونين بالوجه القبلى من أعمال الديار المصرية وكانت هذه الأعمدة في البربا التي بمدينة الأشمونين من عهد الكهنة . وأن نقل هذه الأعمدة من الأشياء التي حارت فيها العقول ، نقلها مولانا السلطان بأسهل ما يكون ، وذلك بأن ندب لهذا الأمر الأمير سيف الدين أروس بغا الناصرى مشدداً بحمل هذه الأعمدة وسير في خدمته المهندسين والعتالين والحجارين ، وكتب للولاة بالوجه القبلى وهم والى أسيوط ومنفلوط ووالى الأشمونين ووالى البهنساوية بجمع الرجال من الأقاليم وقرر على كل وال عدة من هذه الأعمدة ، وجرها إلى ساحل البحر الأعظم وندب لها المراكب الخشنة وحملت في أوائل جريان النيل المبارك ، ولما حضر إلى ساحل مصر ، انتدب لجرها الولاة بمصر والقاهرة الذين جمعوا^(١) آلافاً من الناس وكان لهم همة عظيمة حتى وصلت وأقيمت في هذا الجامع السعيد .

ويضيف الداودارى في وصف قبة الجامع فيقول : وعندما أعاد السلطان بناء القبة جعلها عالية شاهقة ، بعد أن أحضر لها الأعمدة الجرانيتية الكبار من الأشمونين ، وجدد المقصورة على يمين المحراب الذى جدد بناءه أيضاً .

ومن هذه العبارة يتضح أن الناصر محمد كان قد جدد الجامع ثم عاد فأعاد بناء بعض أجزائه وقد ورد هذا واضحاً في شريط الكتابة المنقوش على المدخل الرئيسى بالواجهة الغربية تاريخ البناء سنة ٧١٨ هـ ، بينما نقش على القبة بعد تجديدها أعلى مما كانت «سنة ٧٣٥ هـ» .

ويصف القلقشندى جامع القلعة فيقول : « جامع الخطبة (جامع الناصر محمد بالقلعة) من أعظم الجوامع وأحسنها وأبهجها منظرًا ، وأكثرها زخرفة ، متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مبطن السقف بالذهب ، وفي وسطه قبة يليها مقصورة يصلى فيها السلطان الجمعة ، مستورة هي والرواقات المشتملة عليها بشبابيك من حديد محكمة الصنعة ، يحف بصحنه رداقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة ودور الحريم »^(٢) .

(١) الداودارى : كنز الدرر ج ٩ ص ٣٨٣ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٧٥ .

وكان بجامع الناصر محمد بالقلعة مقصورة متخذة من شباك حديد محكمة الصنعة ،
يصلى فيها السلطان ومن معه من أخصاء خاصكيتته يوم الجمعة^(١) . وكان السلطان يدخل
من باب صغير يقع في حائط القبلة . ويذكر الداودارى في حوادث سنة ٧٣٤ هـ إنه حدث
بينما كان السلطان يصلى الجمعة بالناس ، إذ وثب رجل عجمى وفي يده سكين وقصد
المقصورة السلطانية فمسك من وقته .

ويذكر ابن اياس أن قبة جامع الناصر محمد بالقلعة التى كانت تعرف باسم القبة
الخضراء لأنها كانت مكسوة ببلاطات من القاشانى الأخضر اللون ، أنها سقطت في عصر السلطان
قايتباى سنة ٨٩٣ هـ وأعيد بناؤها ، كما جدد قايتباى منبر الجامع المصنوع من الرخام
الملس .

والذى نرجحه بعد استعراض أقوال المؤرخين في تاريخ جامع الناصر محمد بالقلعة أنه
كان يوجد مكانه جامع قديم ، لعله من بناء السلطان الكامل كما تذكر بعض المصادر ثم
أعاد بناءه الناصر محمد سنتى ٧١٧ ، ٧١٨ هـ . ثم عاد فجدد أجزاء هامة فيه وهى رواق القبلة
سنة ٧٣٥ هـ .

ظل هذا الجامع عامراً بإقامة الشعائر الدينية فيه طوال عصر المماليك البحرية والبرجية
كما كان موضع عناية الحكام السلاطين ، فقد كان بمثابة مسجد القصر الخاص .

وقد ساءت حالة المسجد في العصر العثمانى ، فقد هدمت قبته وفقد منبره وأسبى استعماله
وقضى على الجامع تماماً في عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ م فقد استخدم مخازن للجيش
وسجناً للعاصيين والمتمردين ، فأقيمت الحواجز الخشبية بين الأعمدة وبنيت الجدران .
إلا أن الله قد قيض له (Watson)^(٢) أحد المهندسين من جنود الاحتلال الذى راعه ما آلت
إليه حالة الجامع الذى يعد تحفة فنية رائعة من الناحية المعمارية فقام بإزالة الحواجز
الخشبية ، كما هدم الحوائط التى أقامها جيش الاحتلال .

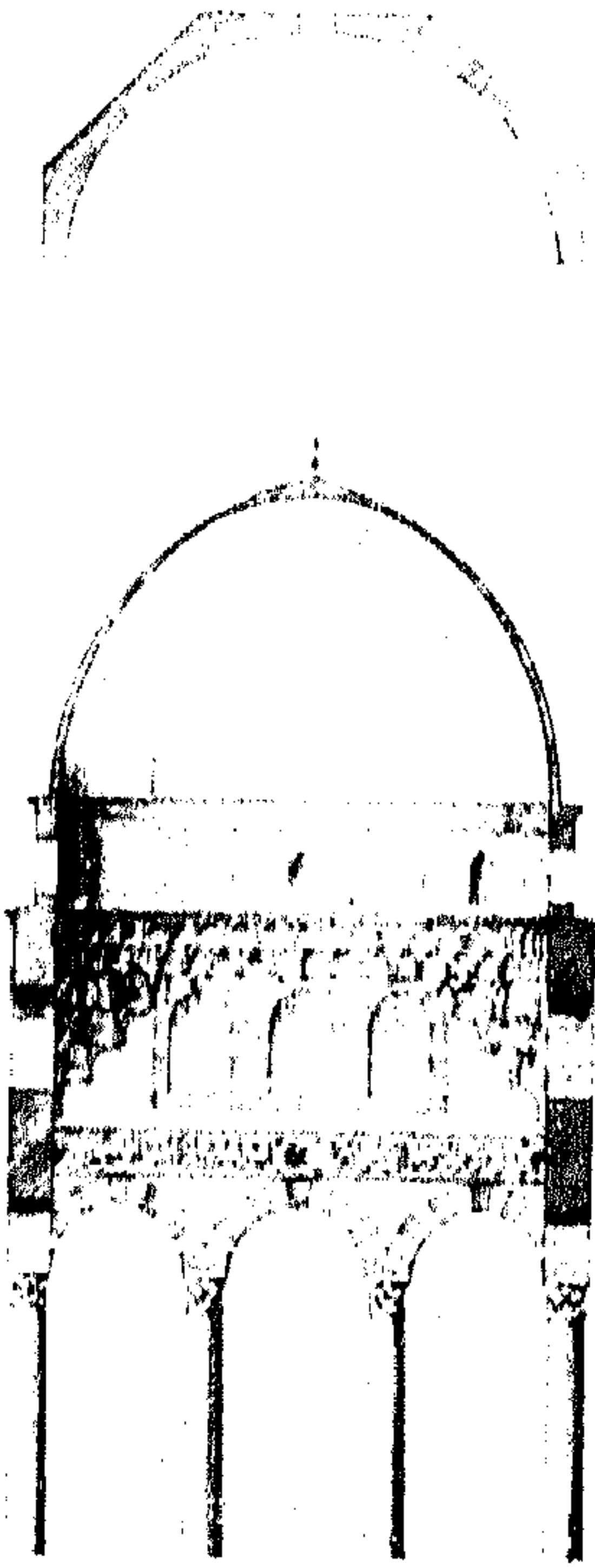
(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٧ .

Stanely Lane Pool : The Story of Cairo. p. 136.

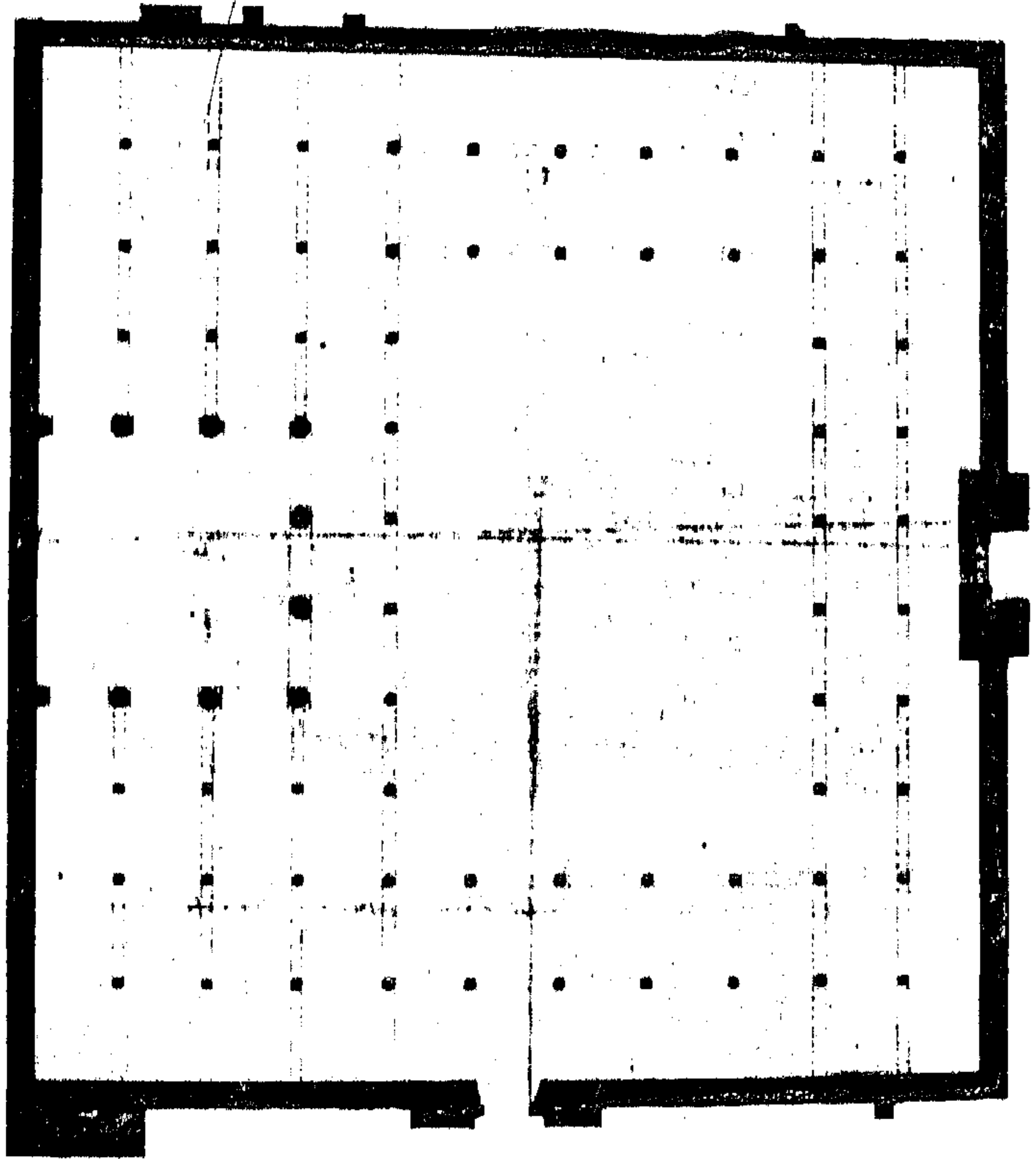
(٢)

Devonshire : Rambles in Cairo. p. 24.

على أن أكبر التجديدات التي أُجريت للمسجد قامت بها لجنة^(١) حفظ الآثار الإسلامية سنة ١٩٤٧ م فقد أعادت ماتهدهم من جدار المحراب وكسته بوزرات رخامية كما جددت المحراب الصغير الذى يقع إلى يساره . كما كست جدار المحراب بالوزرات الرخامية وفرشت أرضية الجامع بالحجر الجيري بدلا من الرخام الذى كان يغطى المسجد كله عند إنشائه^(٢) . كما رمم المدخل الشمالى للجامع وأعيدت اللوحة التأسيسية التى تحتوى تاريخ البناء سنة ٧١٨ هـ على المدخل الغربى وقامت لجنة حفظ الآثار بإعادة بناء القبة الكبيرة أمام المحراب وعملت منبراً خشبياً على غرار منبر مسجد الماردانى وكذا ركبت (٤٠) حشوة جصية مخرومة للنوافذ دون أن تضع لها زجاجاً ملوناً كما ورد فى المراجع التاريخية . كذلك جددت المبخرا الحجرية التى تعلو أركان مربع الصحن واستبدلت الأعمدة التالفة بأعمدة أخرى وكست الجدران بالبلاط من الداخل .



(شكل ١٣) قطاع راسى بالقبة
التي تتقدم المحراب بجامع
الناصر محمد بالقلعة



(شكل ١٢) جامع الناصر محمد بالقلعة

(١) كراسات لجنة حفظ الآثار رقم (٤٠) ص ١١٦ ، ملف الأثر رقم (١٤٣)
(٢) المقرئى : خطط ج ٢ ص ٣١٣ ، قلقشنى : ج ٣ ص ٣٧٥ .

الوصف المعماري

يتكون المسجد الجامع بالقلعة الذي أنشأه الناصر محمد من شكل مربع تقريباً ، إذ يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ٦٣ متراً وعرضه من الشرق إلى المغرب ٥٧ متراً . ويقع المدخل الرئيسي للجامع في الضلع الغربي المواجه لرواق القبلة ، والجدار الغربي الذي يتوسطه المدخل الرئيسي يكاد يكون خلواً من الزخارف وتسوده البساطة التامة اللهم إلا من النوافذ الصغيرة التي تعلو الجدار والتي تكتنف المدخل الرئيسي من جانبيه ويبلغ عددها ثمانى عشرة نافذة ، تسع منها على كل جانب ، كما كان يعلو جدار الواجهة شرفات لايزال بعضها موجوداً بالضلع الجنوبي والشرقي وهي على شكل بيضاوى يبلغ ارتفاع الواحدة منها ١٢٠ متراً وعرضها عند القاعدة ٧٢ سم . وفي اعتقادي أن هذه الشرفات أضيفت في عصر متأخر لعله في عهد الاحتلال البريطاني حيث أن شكلها وحجمها الكبير يسمحان بوضع المدافع كما هو الحال بالشرفات التي أضافتها الحملة الفرنسية على أسوار القاهرة الشمالية بين باب النصر وباب الفتوح كما تشبه الشرفات التي أضافها الاحتلال البريطاني بقلعة الجبل^(١) .

أما المدخل الرئيسي الذي يتوسط الجدار الغربي فهو مدخل تذكاري إذ يبرز عن سمت الجدار بمقدار ١٣٧ متر . ويبلغ اتساع المدخل ١٠٧٠ أمتار تتوسطه فتحة معقودة يبلغ عرضها ٤١٠ أمتار ويعاوها عقد ذو ثلاثة فصوص ملء بصفوف من القرنصات البديعة التكوين ، ويبلغ عمق المدخل ٢٣٥ متر يسمح بوجود مكسنتين على جانبيه ، ويتوسط المدخل باب يعلوه عقد مدبب اتساعه ٧٧٢ أمتار ويعلو الباب اللوحة التذكارية التي نقش عليها تاريخ تأسيس المسجد وتتكون من أربعة سطور^(٢) من الخط النسخ الجميل نصها :
بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السعيد لوجه الله تعالى سيدنا ومولانا
السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد ابن مولانا السلطان الشهيد قلاوون الصالحى

Wiet & Hantecœure : Les mosques du Caire. I. p. 287.

(١)

Watson : J.B. As vol. 18 p. 479.

(٢)

في شهور سنة ثمانية عشر وسبع مائة من الهجرة^(١) النبوية ويعلو شريط الكتابة نافذة مربعة صغيرة مملوءة بخشب الخرط .

ويرتفع المدخل الغربى الرئيسى بارتفاع الجدران الغربى الذى يبلغ ١٥ر٢٠ متراً عن سطح الأرض ثم يعلو جزء من المدخل إحدى مثلثى الجامع ، أما الواجهة الشمالية فيتوسطها مدخل تذكارى أيضاً يبرز عن سمت الجدار بمقدار ١ر٣٠ متر وتتكون كتلة المدخل الشمالى من شبه مربع يبلغ ارتفاعه ١٠ر٢٠ أمتار وعرضه ١٠ر٨٠ أمتار ويعلوها صف من الشرفات المدرجة تشبه تلك التى تحيط بالصحن من الداخل . ويتوسط كتلة المدخل عقد ذو ثلاثة فصوص عمقه ٧٠ سم وسعته ٣ر٩٠ متراً ويتوسطه فتحة الباب المؤدية إلى داخل الجامع ويعلو فتحة الباب شريط من الكتابة محفور بالخط الثلث المملوكى مماثل للنص الكتابى الموجود على الواجهة الغربية غير أن تاريخ التأسيس قد تهشم . وقد فتح فى أعلى الجدار الشمالى تسع عشرة نافذة معقودة مماثلة لنوافذ الواجهة الغربية وقد قوى الجدار من جهة الطرف الغربى منه بدعامة سائدة من المرجح أنها من التجديدات التى حدثت سنة ٧٣٥ هـ حيث أن مدايميكها تشبه تماماً مدايميك الجدار ، وفى الركن الشمالى الشرقى يوجد برج يبرز عن سمت الجدار الشمالى والشرقى بنى لكى يكون قاعدة للمئذنة الثانية للجامع وقد فتح فى الضلع الشمالى لهذا البرج نافذة فى مستوى منخفض عن مستوى نوافذ الجدار يتقدمها ساقطة حجرية (Mashieolli) .

أما الواجهة الجنوبية فهى تشبه الواجهتين الشمالية والغربية من حيث البساطة وقلة الزخرف كما أنها تحتوى على عشرين نافذة معقودة تشبه نوافذ الواجهات الأخرى وقد قويت الواجهة بدعامتين سائدتين وفى نهاية الضلع الجنوبى ومقابل الرواق الثانى لأروقة القبلة يوجد مدخل تذكارى ثالث يبرز بروزاً بسيطاً عن سمت الحائط يبلغ ٧٠ سم ويتوسطه عقد مدبب فى وسطه باب صغير لعله هو الباب الذى كان يدخل منه السلطان إلى المقصورة السابق الإشارة إليها وهو الذى أشار إليه المقرئى بقوله : « باب النحاس الذى كان يعجته » السلطان وهو قادم من الدور السلطانية وعند عودته .

ويتوسط الجامع صحن مستطيل الشكل إذ تبلغ مساحته ٣٥٥ متراً طولاً في ٢٣٥ متراً عرضاً وقد قويت أركان الصحن بأربعة أعمدة من الجرانيت تتميز بضخامتها عن الأعمدة الأخرى المجاورة ويحيط بالصحن البوائك من جميع الجهات المكونة من أعمدة رخامية - تيجانها قديمة ومتعددة الأشكال منها البيزنطى ومنها القبطى وما إليهما . ويعلو الأعمدة عقود على شكل حدوة الفرس المدببة ويجىء فوق تلك العقود صف من الفتحات المعقودة نظمت بحيث أصبحت كل كوشة عقد تعلوها فتحتان . وقد سبق أن رأينا هذا التنظيم العمارى فى الجامع الأموى بدمشق والغرض من ذلك هو إضاءة وتهوية الأروقة ، ثم تخفيف الضغط الطارد على العقود والأعمدة . ويعلو هذا الصف من الفتحات ذات العقود المستديرة شرفات مسننة على غرار ما هو موجود بالجامع الأزهر وبعض العماثر الفاطمية .

ويشتمل رواق القبلة على أربعة صفوف من البوائك تحتوى كل بائكة منها على عشرة أعمدة تحمل أحد عشر عقداً وتسير أروقة القبلة موازية لجدار القبلة .

ويتوسط أروقة القبلة وفوق المحراب مباشرة قبة تشغل ثلاثة أروقة يتكون منها مربع طول ضلعه ١٦ر٧٧ متراً تقوم عليه قبة . وتتكون هذه القبة من مربع من البناء الحجري يعلو الأعمدة ، فتح فى كل جانب من جوانبه الأربعة ثلاث نوافذ ذات عقود مستديرة سعة كل منها ١ر٧٠ متر وكلها مملوءة بالزخارف الجصية المخرمة .

أما داخل هذا المربع فقد ملئت أركانه بثلاث خشبي يحتوى على خمسة صفوف من المقرنصات الصغيرة وبذلك أصبح شكل رقبة القبة من الداخل مشمعة أقام عليها المعمار دائرة القبة .

ويحيط بأسفل القبة إزار خشبي به نقوش كتابية^(١) بالخط الثالث المملوكى المذهب نصها « بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين^(٢) آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » . وفى جانب آخر : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

Watson. P. 481 (J.R. As Society. vol. 18),

Van Bercham : P. 114 (C.I.A. II).

(١)

(٢) سورة الحج . آية (٧٧) .

وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » - فى جانب آخر « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » أمر بإنشائه سيدنا ومولانا السلطان الملك الناصر ابن مولانا السلطان المرحوم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون تغمده الله برحمته وذلك فى مستهل سنة
وتتكون أعمدة القبة من الجرانيت الأحمر الذى سبقت الإشارة إليه والذى ذكر -
الدويدارى إنها جلبت من الأشمونين^(١) . وقد بنيت عقود القبة بحجارة ملونة بيضاء وحمراء
بالأسلوب المعروف باسم الأبلق . وقد كانت القبة وقت إنشائها مكسوة ببلاطات من القاشانى
الأخضر حتى إنها كانت تعرف فى العصر المملوكى بالقبة الخضراء . وقد سقطت هذه القبة
مرتين مرة فى عصر السلطان قايتباى وأخرى فى العصر العثمانى وقد أعادت لجنة حفظ الآثار
بناها سنة ١٩٣٥ .

ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف كبير يكتنفه محرابان صغيران ويكسو المحاريب
الثلاثة فسيفساء رخامية وصدفية بديعة التكوين ، وقد كانت جدران رواق القبلة كله الذى
يبلغ عمقه ٢٠ر١٠ متراً مغشاة بالرخام الملون إلى ارتفاع ٥ر٥ أمتار أى إلى ارتفاع سمت
المحاريب . إلا أن أجزاء كثيرة من هذا الرخام قد سقط الآن ، وإلى يمين المحراب يوجد
مبنى خشبى صنع جانباه (ريشته) بطريقة الحشوات المجمة المطعمة بالعاج والصدف ،
وهذا المنبر من صنع لجنة حفظ الآثار سنة ١٩٤٩ ، وهو يشبه إلى حد كبير منبر جامع
المردانى الذى يرجع إلى ٧٤٠ هـ . وقد غطى سقف رواق القبلة بحقائق خشبية مكسوة بطبقة
جصية مطلية بزخارف ملونة ومذهبة . وقد شاع هذا الأسلوب من التغطية منذ العصر الأيوبي
إذ نجده فى ردهة المدخل الشمالى لقبة الإمام الشافعى ، كما نجده فى ردهة المدخل الرئيسى
للمدرسة الصالحية ثم انتشر على نطاق واسع فى عمائر أسرة قلاوون ، ومن أحسن الأمثلة
لهذا النوع من التغطية قبة المنصور قلاوون .

أما الأروقة الثلاثة الجانبية فتحتوى كل منها على باثنتين تقسمانها إلى رواقين وهذه
الأروقة جميعها موازية للجدران المجاورة لها ، وعمق هذه الأروقة الثلاثة ١٢ متراً . وتحتوى
بوائك الجهة الشمالية والجنوبية على أربعة أعمدة تحمل خمسة عقود مدببة ، أما بوائك

(١) كز الدرر وجامع الفرر ج ٩ ص ٢٨٣ .

الجهة الغربية المقابلة لجهة القبلة فتحتوى على عشرة أعمدة تحمل أحد عشر عقداً مدبباً .
ويحتوى الجامع على مثلنتين ، تقع إحداهما فى الضلع الغربى الموازى لجدار القبلة
إذ هى تعلو المدخل الرئيسى الغربى حيث تشغل قاعدتها المربعة جزءاً من أعلى هذا المدخل .
وتتكون المئذنة من طابقين فوق القاعدة ، ويتكون الطابق الأول من شكل إسطوانى زخرف
بدنه بقنوات متعرجة وينتهى هذا الطابق بشرفة مستديرة مجددة حديثاً تقوم على ثلاثة
صفوف من المقرنصات . والطابق الثانى اسطوانى الشكل أيضاً ومزخرف بقنوات متعرجة
تختلف قليلاً عن زخارف الطابق الأول وينتهى الطابق الثانى أيضاً بشرفة تقوم على ثلاثة
صفوف من المقرنصات . ويعلو الطابق الثانى قمة المئذنة وهى على شكل مخروط ناقص تعلوه
رقبة قبة كسيت ببلاطات القيشانى الأزرق الداكن الذى يحتوى على كتابات باللون الأبيض
ويظهر من بقايا الحروف الموجودة الآن أن شريط الكتابة كان يحتوى على بعض أجزاء
من آية الكرسى . ويعلو هذه الرقبة المستديرة قبة ذات قطاع بصلى الشكل مضلع ومكسو
ببلاطات من القاشانى الأخضر ، وتشبه هذه القبة والرقبة شكل الخوذة . ويصعد إلى هذه
المئذنة عن طريق باب صغير يقع على يسار الداخل من الباب الغربى ، ويؤدى هذا الباب
إلى سلم حازونى يشغل جزءاً من بروز المدخل التذكارى الغربى الذى سبقت الإشارة إليه ويوصل
هذا السلم إلى دكة المبلغ التى تقع فى الرواق الغربى .

أما المئذنة الثانية فتقع فى الركن الشمالى الشرقى للجامع وتبرز قاعدتها عن الواجهة الشمالية
بمقدار ٢٩٠ متر ويبلغ طول ضلعها ٧٨٠ أمتار . ويعلو هذه القاعدة المستطيلة شرفات تماثل
شرفات سور المسجد الخارجى . وعلى ارتفاع سبعة أمتار من هذه القاعدة ، توجد شرفة
صغيرة سبق الإشارة إليها . وتتكون هذه المئذنة من ثلاثة طوابق ، الطابق الأول مربع الشكل
يبدأ بقاعدة هرمية وينتهى بشرفة تقوم على ثلاثة صفوف من المقرنصات . أما الطابق
الثانى فهو اسطوانى الشكل وينتهى بشرفة مستديرة تقوم على صفين من المقرنصات . أما الطابق
الثالث فيتكون من جوسق يحتوى على ثمانية أعمدة يعلوه خوذة مماثلة لخوذة المئذنة الأولى .
وقد كسيت الخوذة ببلاطات من القيشانى الأخضر الذى يحتوى على كتابات باللون الأبيض
مماثلة لكتابات المئذنة الأخرى . ويمكن الصعود لهذه المئذنة عن طريق باب صغير يقع فى
قاعدة المئذنة من داخل رواق القبلة .

خانقاه الأمير سلار وسنجر الجاوي

سنة ٧٠٣ هـ



عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى ملك مصر للمرة الثالثة بعد أن عزل عن الملك وتوجه إلى الكرك ثم عاد وخرج من الكرك إلى الشام مستعيناً بأمرائها في استرداد ملكة بمصر الذي اغتصبه منه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير . وحدث في الوقت الذي خرج فيه الملك الناصر محمد بن قلاوون من دمشق بصحبة نواب البلاد الشامية بتمامهم قاصدين الديار المصرية أن خلع الملك المظفر بيبرس نفسه من ملك مصر وخرج منها إلى الأطفية . وما أن خرج الملك المظفر بيبرس من مصر حتى جلس الأمير سلار بقاعة النيابة من قلعة العجل وجمع من بقي من الأمراء واهتم بحفظ القلعة وأخرج من كان بها من المحابيس الذين كانوا من حواشي الملك الناصر محمد وغيرهم وركب ونادى في الناس : ادعوا لسلطانكم الملك الناصر ، وكتب إلى الملك الناصر بنزول المظفر عن الملك وفراره إلى أطفية فوصله الرسول وهو في غزة فسر الملك الناصر محمد من نزول الملك المظفر عن الملك واستبشر لأن في ذلك حقنا لدماء المسلمين وخموداً للفتنة . ولما تكاملت العساكر ، سار الملك الناصر قاصداً الديار المصرية وسار حتى وصل بركة الحجاج في أواخر رمضان سنة ٧١٠ هـ ، وكان الأمير سلار قد جهز الأمراء والعساكر ، وخرج إلى لقائه ، وصلى السلطان صلاة العيد بالدهليز ببركة الحجاج ، ثم سار السلطان إلى القلعة تحف به المماليك وخرج الناس لمشاهدة موكبه . وبعد انقضاء مجلس السلطان الذي عقده بالقلعة ، قام الأمير سلار النائب يمد من المماليك والخيول والجمال والأقمشة بما قيمته مائتا ألف درهم ، فقبل السلطان شيئاً ورد الباقي ثم سأل السلطان

الاعفاء من الامرة والنيابة وأن ينعم عليه بالشوبك فأجيب إلى ذلك ، بعد أن حلف على أن يلي طلب السلطان عند استدعائه .

خرج سلار من مصر في الثالث من شوال سنة ٧١٠ هـ مسافراً إلى الشوبك وكانت مدة نيابة سلار على مصر إحدى عشرة سنة .

ولكى يتخلص السلطان من المماليك والأمراء القدامى الذين حضروا مرات عزله السابقة من الملك ومنهم سلار قرر السلطان محمد بن قلاوون مع مماليكه القبض على عدة من الأمراء وأن كل عشرة يقبضون على أمير ممن عينهم ، بحيث يكون العشرة عند دخول الأمير ملتفين حوله فلما حضر الأمراء للخدمة على العادة فأحاط بهم المماليك ففهموا القصد وجلسوا على السباط ، فلم يتناول أحد منهم لقمة ، وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار فتقدم إليه وقبض المماليك على الأمراء المعينين وعدتهم اثنان وعشرون أميراً فلم يتحرك أحد منهم وأرسلهم إلى حبس الاسكندرية وكتب بالافراج عن المعتقلين بها .

ولما فرغ السلطان الملك الناصر من الأمراء ومن أمر المظفر بيبرس وأصحابه ، لم يبق عنده ممن يخشاه إلا سلار فكتب إليه كتاباً أرسله له مع الأمير ناصر الدين محمد ابن أمير سلاح بكتاش الفخرى يستدعيه المحضور إلى مصر ، فاعتذر سلار عن الحضور بزعم أنه مريض وأنه سيحضر عند زوال المرض عنه . فأوجس السلطان منه خيفة خشية أن يتوجه إلى التتار وكتب إلى نائب الشام بأن يحول بين سلار وبين اللجوء إلى التتار ، إن سالت له نفسه ذلك كما بعث بالأمير بن بيبرس الداودار وسنجر العجاولي إلى الأمير سلار وأكاد عليهما احضاره معهما .

تخير سلار في أمر عودته إلى مصر واستشار أصحابه في ذلك ، فمنهم من أشار بتلبية رغبة السلطان ، ومنهم من أشار عليه أن يتوجه إلى قطر من الأقطار : إما إلى التتار أو إلى اليمن أو إلى برقة ، فعول على المسير إلى اليمن ثم رجع عن ذلك وقرر الحضور إلى السلطان ، فسافر إلى مصر ومعه أربعمئة وستون فارساً .

فلما قدم على الملك الناصر قبض عليه وحبسه بالبرج من قلعة العجبل . ولما حضر سلار بين يدي الملك الناصر عاتبه عتاباً كثيراً وطلب منه الأموال وأمر الأمير سنجر العجاولي أن

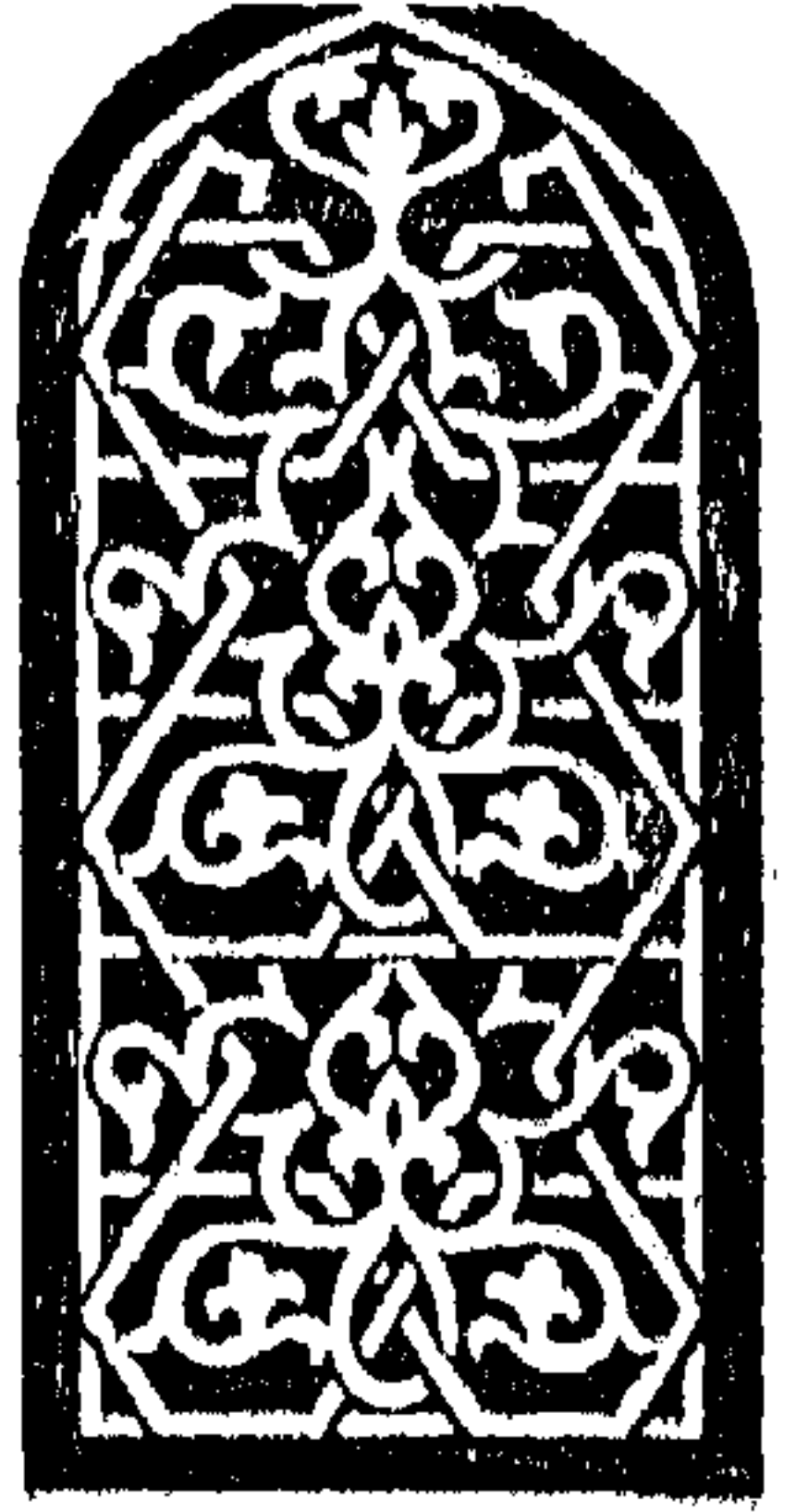
ينزل معه ويتسلم منه ما يعطيه من الأموال ، فنزل معه إلى داره ففتح سلا^(١) سرداباً تحت الأرض فأخرج منه سبائك ذهب وفضة وجرباً في كل جراب عشرة آلاف دينار فحملوا من ذلك السرب أكثر من حمل خمسين بغلاً . ثم طلع سلا^(٢) إلى الطارمة التي كان يجلس عليها فحفروا تحتها فأخرجوا سبعة وعشرين خابية مملوءة ذهباً ثم أخرج من الجواهر شيئاً كثيراً منها حجر بهرمان زنته أربعون مثقالاً وأخرج ألقي حياصية (أحزمة) ذهب محلاة ومرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة وألني قلادة من الذهب قيمة كل واحدة منها مائة دينار . كما وجدوا له لجماً مفضضة فنكتوا الفضة عن السيور ووزنوها فجاء وزنها عشرة قناطير بالشام .

مثل سلا^(٣) أمام السلطان فأمر أن يبني عليه أربع حيطان في مجلسه وأمر ألا يطعم ولا يسقى جزاء رفضه للطعام الذي قدمه إليه السلطان عند حبسه بقلعة العجبل فبقى سلا^(٤) سبعة أيام لا يطعم ولا يسقى وهو يستغيث من الجوع فأرسل إليه السلطان ثلاثة أطباق مغطاة ، فلما أحضروها بين يديه فرح فرحاً عظيماً وظن أن بها أطعمة فكشفوها فإذا في طبق ذهب وفي الآخر فضة وفي الثالث لؤلؤ وجواهر فعلم سلا^(٥) أنه ما أرسل هذه الأطباق إلا ليقابله على ما كان قد فعله معه . فقال سلا^(٦) الحمد لله الذي جعلني من أهل المقابلة في الدنيا . وبقى على هذه الحال اثني عشر يوماً ومات ، فأعلموا الملك الناصر بموته فلما جاءوا إلى سلا^(٧) وجدوه قد أكل ساق خفه . وكان موته في ربيع الآخر سنة ٧١٠ هـ فأخذاه الأمير علم الدين سنجر الجاولي بإذن السلطان وتولى غسله وتجهيزه ودفنه بتربيته التي أنشأها بجانب مدرسته على الكباش خارج القاهرة بالقرب من جامع ابن طاون لصداقة كانت بين الجاولي وسلا^(٨) - قديماً وحديثاً .

وكان سلا^(٩) أسمر اللون أسيل الخد لطيف القد صغير اللحية تركي الجنس وكان أميراً جليلاً شجاعاً مقداماً عاقلاً فيه كرم وحشمة ورياسة . وقيل : إن سلا^(١٠) لما حج المرة الثانية فرّق في أهل الحرمين أموالاً كثيرة وغلالاً وثياباً ، تخرج عن حد الوصف حتى إنه لم يدع بالحرمين فقيراً إلا منحه وأعطاه وبعدها مات ، وكان في شونته يوم مات من الغلال ما يزيد على أربعمئة ألف أردب .

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٨ .

(٢) الطارمة : بيت من خشب النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٧ .



سنجر الجاولى

كان الأمير علم الدين سنجر الجاولى من مماليك جاول أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس ثم اتصل بعده ببیت السلطان المنصور قلاوون وأصبح من مماليكه وترقى إلى أن صار مقدماً بالشام ثم والياً لغزة وصادفته محن انتهت فى سنة ٧٢٨ هـ بتعيينه أميراً مقدماً بمصر . وكان من المشتغلين بالعلم متخصصاً فى الحديث وفى فقه الإمام الشافعى . روى مسند الشافعى وحدث به ورتب مسنده وشرحه فى مجلدات بمعاونة غيره وطالت أيامه فى السعادة وعمّر ، وهو صاحب الجامع بغزة الذى لا يزال قائماً إلى اليوم (أى القرن التاسع) بغزة باسم الجاولية . وجاء فى كتاب^(١) الأنس الجليل فى الكلام على الحرم الخليلي « إنه بظاهر السور السليمانى من جهة الشرق مسجد فى غاية الحسن ، وبين السور السليمانى وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل عليه الأبهة والفخار والذى عمّر هذا الدهليز والمسجد الأمير أبو سعيد سنجر الجاولى ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) ونائب السلطنة فعرف هذا المسجد بالجاولية وهو من العجائب ، قطع فى الجبل » .

ومن جملة العماثر التى أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى أنه عمّر^(٢) الخان العظيم بقافون (قرية فى الشمال الغربى من طول كرم من أعمال فاسطين) والقناطر بغابة أرسوف وخان رسلان فى حمراء بيسان وداراً بالقرب من باب النصر داخل القاهرة .

أما الخانقاه الموجودة بشارع مراسينا والى اقترن اسمها بالأمير سنجر الجاولى والأمير سلار فقد اختلفت الآراء فى نسبتها إلى أى منهما ، أو من هو المؤسس الأصلى لها . لذلك فقد رأيت أن نناقش هذه الآراء حتى نصل إلى رأى السديد .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ هامش صفحة ١١٠ .

(٢) مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلى : الأنس الجليل ج ١ ص ٥٨ فى تاريخ القدس والخليل .

(٣) السخاوى : تحفة الأحياب صفحة ١١٠ .

أولا لقد عرفت الخانقاه من الأمير سنجر الجاولى والشخصية الثانية الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة ، فقد كان مملوكا للمنصور قلاوون وتنقل في عدة وظائف عند أولاده إلى أن عين نائبا للسلطنة في دولة الناصر محمد بن قلاوون وقد كان قليل الظلم كبير العقل شجاعا مهيبا تمكن من شئون الدولة إحدى عشرة سنة ورشح للسلطنة في غيبة الملك الناصر محمد بن قلاوون غير أن بيبرس الجاشنكير هو الذى فاز بها .

عهد الملك الناصر محمد إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولى بأن يتولى جنازة الأمير سيف الدين سلار عند موته - وكان صديقا له - فدفنه بتربيته التى أنشأها بجانب مدرسته بقلعة الكيش^(١) .

لم تفصح النصوص التاريخية المدونة على جدران الخانقاه إلى نسبتها إلى أى من الأئمة فممن المرجح أن يكون منشئها هو الأمير سلار لوجود مشكاة له يقرأ عليها : « مما عمل برسم تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة عفا الله عنه » .

ويذكر السخاوى^(٢) عند الكلام عن هذه الخانقاه أن هذه المدرسة هى المعروفة الآن بجامعة الجاولى بشارع مراسينا وهى من منشآت أوائل القرن الثامن الهجرى - أنشأها الأمير سيف الدين سلار الناصرى فى سنة ٧٠٣ هـ وجدها سنجر الجاولى فنسبت إليه » .

وقد كان الأمير سنجر الجاولى يمتلك دارا تجاه الخان المجاور او كالة قوصون . وقد جعلها وقفا على المدرسة الجاولية بخط الكيش بجوار الجامع الطولونى (التى نحن بصدد الكلام عليها) .

وقد عرفت تلك الدار فى القرن التاسع الهجرى باسم قاعة البغادة نسبة إلى ساكنها عبد الصمد الجوهري البغدادي هو وأولاده ، وقد كانت من أجمل الدور كما يقول المقرئى^(٣) .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١٩ .

(٢) السخاوى : تحفة الأحياب ص ١١١ .

(٣) الخطط ج ٢ ص ٦٥ .

الوصف المعماري

تقع الواجهة الرئيسية في الضلع الغربي للخانقاة وهي عبارة عن جدار بسيط حجري طوله ٢١ر٦٣ م ، يرتفع عن مستوى الطريق ، وبهذا الجدار ست نوافذ ، الوسطى منها أكثر اتساعاً من الجانبيتين ، وكل نافذة من النوافذ الست داخل تجويف ضحل مستطيل يصل ارتفاعه إلى أعلى جدار الواجهة ، وينتهي من أعلى بأربعة صفوف من المقرنصات المتنوعة المتقنة ، ويعلو الفتحات الست عقود عاتقة مزدانة بزخارف نباتية حجرية بارزة . وأعلى الواجهة شريط محفور أعد للكتابة ولم يدون عليه شيء بعد . وعلى ارتفاع ١١ر٦٥ م من مستوى الأرضية أمام المدخل الرئيسي يوجد (كورنيش بسيط) يليه مدامك واحد من الحجارة يرتكز فوقه صف من الشرفات المسننة يصل ارتفاعها بالمبنى الكلي حوالي ١٣ر٣٤ م .

يقع في ركن المبنى الشمالي الغربي ، ويرتفع عن مستوى أرضية الطريق بحوالي ٢ر٧٠ م وهو داخل تجويف ضحل عمقه ٥٣ م ، وارتفاعه بارتفاع الواجهة ، مزدان بثلاثة صفوف من المقرنصات ، وخلف التجويف فتحة باب مستطيلة ، ارتفاعها ٢ر٩٤ م ، وسعتها ١ر٦١ م ، عتبها مزدان بصنم من أحجار مزخرفة^(٢) .

ويعلو هذا العتب لوحة تأسيسية ، نقش عليها سطران بأحرف نسخية بارزة نصها « بسم الله الرحمن الرحيم » إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله^(٣) . عمل هذا المكان في شهور سنة ثلاث وسبعمائة . فوقها نافذة مستطيلة مزدانة عتبتها بزخارف هندسية تشبه زخارف الشباكين الكبيرين بواجهة

(١) المقریزی : الخطط ج ٢ ص ٤٢٠ ، السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٠٦ ، ابن العماد شذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٢ ، ابن حجر : الدرر ج ٢ ص ٦٦ ، السخاوي : تحفة الأجيال ص ١١٠ ، مبارك : الخطط الجديدة ج ٤ ص ٧٤ .

(٢) Hauteceur & Wist : Les mosquées du Calre. P. 13.

(٣) سورة التوبة آية ١٨

الخانقاة وعقد عاتق منقوش بزخارف نباتية بارزة متقنة ، وصنج من أحجار مزررة ، ويفضى هذا الباب إلى دركاه على هيئة مربع طول كل ضلع من أضلاعه ٤٠٠ م ، أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري وسقفها مغطى بقبو متقاطع ، وبالجهة الجنوبية الشرقية للدركاه فتحة باب مستطيلة ، ترتفع عن مستوى أرضية الدركاه ، تفضى إلى حجرة صغيرة سقفها مقبى بالحجر ، وبالجهة الشمالية للدركاه تجويف غائر بعمق ٢١٣ م ، يتقدمه جاستان حجريتان متشابهتان ، وبالجهة الجنوبية فتحة باب يعلوه بعقد منكسر (Kec) سعته ١٤٠ م يتوصل منه إلى الخانقاة عن طريق مرقى سلم به ثلاث وعشرون درجة ، وهذا المرقى بعض سقفه مقبى بالحجر والبعض الآخر مستو يميل قليلا جهة الشمال وبنهاية الدرج بسطة صغيرة مساحتها ٢٠٠ م × ١٩٠ م يعلو سقفها فتحة مستديرة - بأركانها منطقة انتقال من أربعة مثلثات كروية . وبالجهة الشمالية للمجاز فتحة باب يعلوه عقد مدبب سعته ٩٦ م وعمقه ٢٣ م ، يفضى إلى مسكن علوى ومثلثة . ويصدر المجاز فتحة باب مستطيلة سعتها ١٢٠ م ، تفضى إلى صحن الخانقاة .

وللخانقاه مدخل آخر فى الضلع الشرقى جهة قلعة الكبش يتكون من عقد كبير ذى ثلاثة فصوص سعة فتحته ٢٥٠ م وطاقيته مكونة من مقرنصات من ثلاثة صفوف .

ويتكون الصحن من مستطيل طوله ٩٢٩ م ، وعرضه ٨٧٦ م ، مغطى بسقف خشبى حديث مستور ، ويوجد بالجهة الجنوبية الشرقية للصحن أربع فتحات أبواب عقودها مدببة ، تفضى إحداها جهة الشرق إلى المدخل الفرعى للخانقاه ، أما الفتحات الثلاث الباقية فتفضى كل منها إلى حاصيل ويبلغ مساحة الحواصل على التوالى من الشمال للمجنوب ٢٢٠ × ٢٠٠ م ، ٢٥٠ × ٢٣٥ م ، ١٤٠ × ١١٠ م ويوجد بالجهة الشمالية الغربية للصحن بها ثلاث فتحات ، الشرقية مدخل الصحن والوسطى نافذة يعلوها قبو بيضاوى يصل على ممر طويل مقبى يتقدم ضريحى الجاولى وسلار والفتحة الثالثة عبارة عن نافذة تطل على ساحة خربة بها خلوات للصوفية ، وبالجهة الشمالية للصحن إيوان الخانقاه ومساحته ٩٥٠ م × ٧٤٥ م ، وبالجهة الجنوبية ثلاث فتحات معقودة كل منها بعقد مدبب سعة كل من الأولى والثالثة ٩٥ م ، وتفضى كل منها إلى حاصل مستطيل وسقفه مقبى

بالحجر ، أما العقد الأوسط فاتساع فتحته ٢ر٦٥ م ، ويفضى إلى إيوان صغير مستطيل مساحته ٣ر٢٥ م + ٢ر٦٥ م . وأعلى جدار الصحن كورنيش على ارتفاع ٥ر٧٥ م ، فوقه عدد من الفتحات الدقيقة التى تخص مساكن الصوفية ، قد نقشت مصاريعها بزخارف نباتية متقنة يعلوها معالم شريط من الكتابات الجصية النسخية التى طمست معظمها عقب ترميمات حديثة ويتبين منها قوله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً »^(١) .

وبالضلع الشمالى للصحن يوجد إيوان يتكون من مستطيل طوله ٩ر٧٤ م وعرضه ٧ر٣٧ م ، وسقفه خشبي مستو شبيه بسقف الصحن لكنه ينخفض عنه بحوالى المتر ، بالجهة الجنوبية الشرقية للإيوان محراب حجر سعته ١ر٢٠ م وعمقه ٩٠ رم تعلوه طاقية على هيئة عقد نصف دائرى . ويتقدم الإيوان من الجهة الشمالية الغربية إضافة مساحتها ٥ر٦٠ × ٥ر٢٨ م ، سقفها مقبى بالحجر ، وبصدرها النافذة التى تعلو فتحة باب المدخل الرئيسى للخانقاه ، وبجهتها الشمالية ملقف هواء شبيه بملقف المدرسة الكاملية والمدرسة الناصرية^(٢) .

وبالجهة الشمالية الغربية للخانقاه يوجد ممر مقبى يتقدم ضريحى الجاولى وسلار ، وهو عبارة عن مستطيل طوله ١٤ م وعرضه ٣ م ، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى وسقفه مغطى بأقبااء حجرية متقاطعة ، وبالجهة الجنوبية الممر توجد أربعة عقود مدببة اتساع فتحاتها مختلف ، ترتكز على دعائم حجرية ضخمة ، وتطل على ساحة خربة ، والجهة الشمالية بها يوجد بابان وشباك كان تخص الضريحين ، وبنهاية الممر من الجهة الشمالية الغربية يوجد عقد كبير اتساع فتحته ٢ر٦٥ م ، يرتكز أحد جوانبه على كابولى بديع الصنع . وخلف العقد قاعة صغيرة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٤ر٦٢ م ، ذات شباكين - صغيرين مستطيلين يطلان على الساحة الخربة .

(١) سورة الفرقان آية رقم ٦١ .

(٢) Creswell : Muslim Architecture of Egypt II p. 244.

مساكن الصوفية :

وتوجد مساكن الصوفية في الجهة الشرقية للخانقاه ويتوصل إليها عن طريق الباب الجنوبي بالممر ذى القبوات ، وهى عبارة عن ساحة غير منتظمة الأضلاع ، بالجهة الجنوبية الشرقية منها محراب مهدم سعة حنيته ١٢٠ م ، طاقيته على هيئة عقد نصف دائرى ، تعلوه زخارف هندسية جصية وكتابات نسخية بأحرف غليظة يتبين منها قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون^(١) » . ويعلو المحراب رفرف بشرفات خشبية مزخرفة تحته أزار به كتابات نسخية على أرضية نباتية بينها جامات بداخلها زخارف هندسية جصية ، أما نص الكتابة فهو قوله تعالى « كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور^(٢) » .

وخلفية جدار المحراب بقايا طابقين من خلاوى الصوفية اندثرت الآن .

ضريح سلار :

يوجد مدخله بالجهة الشمالية للممر ذى القبوات ويعلو هذا المدخل لوحة تأسيسية نقش عليها كتابة نسخية بأحرف بارزة من ثلاثة أسطر نصها « بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام^(٣) » ، هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة الملكى الناصرى المنصورى المستغفر من ذنبه الراجى عفو ربه رحم الله من دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين ، عمل هذا المكان المبارك فى شهور سنة ثلاث وسبعمائة « ويعجور المدخل شبك مستطيل بعتبه زخارف هندسية متقنة وعقد عاتق منقوش بزخارف نباتية بارزة ويتوصل من باب المدخل إلى الضريح وهو عبارة عن قاعة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٧٦٠ م ، بصدره محراب اتساع حنيته ١١٠ م وعمقها ٨٠ م ، طاقيته على هيئة عقد مذهب ، فقد ازدانت حنيته بفسيفساء رخامية ، ويعلو المحراب أفريزان ، أحدهما من الخشب الملون به زخارف نباتية محورة وبالأخر زخارف

(١) سورة الحج آية ٧٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

(٣) سورة الرحمن آية ٢٦ - ٢٧ .

كتابية نسخية بأحرف بارزة نقش عليه آية الكرسي ، ويكتنف المحراب دولابان في سمك الحائط . وبالجهة الشمالية الغربية للضريح فتحنا بابين مستطيلتان يفضيان إلى ضريح الجاولي اتساع كل منهما ١٢٠ م وعمقه ١٣ م ، بأعتابهما صنع حجيرية وعقود عاتقة مزخرفة بزخارف نباتية ، وبالجهة الشمالية للضريح ثلاث نوافذ تطل على الطريق ، وبالجهة الجنوبية للضريح يوجد مدخله ونافذة تطل على الممر ذى القبوات وخزانة اتساع فتحاتها ١٢٠ م ، ويعلو جدران قبة الضريح شريط من الكتابة النسخية البارزة من قوله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم » « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار^(١) » .

ويتوسط الضريح تابوت مجدد على النظام الأصلي ، تضم جوانبه حشوات دقيقة مربعة ومستطيلة بداخلها زخارف نباتية متقنة ، ومصبغات صغيرة من خشب الخرط . أما منطقة الانتقال فتتكون من ثلاثة صفوف من الدلايات يتكون الأول والثاني من ثلاثة مقرنصات والثالث من أركان المربع توجد أربع نوافذ كل نافذة تتكون من ثلاث فتحات على شكل مثلث ملئت كلها بزخارف جصية وزجاجية معشقة ، ورقبة القبة تحتوي على عشرين نافذة ملئت بزخارف جصية وزجاجية معشقة ، وتعلو الرقبة القبة المدببة ، وقد زخرفت رقبة القبة من الخارج بكتابات جصية نسخية بأحرف بارزة من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن الذين سبقتم لمنا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها وهم في ما اشتبهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون^(٢) » .

ضريح الجاولي :

يقع إلى جانب ضريح سلار ، ويعلو المدخل لوحة تأسيسية نقش عليها ثلاثة أسطر بالخط النسخي نصها « بسم الله الرحمن الرحيم كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال

(١) سورة آل عمران آية ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٣ .

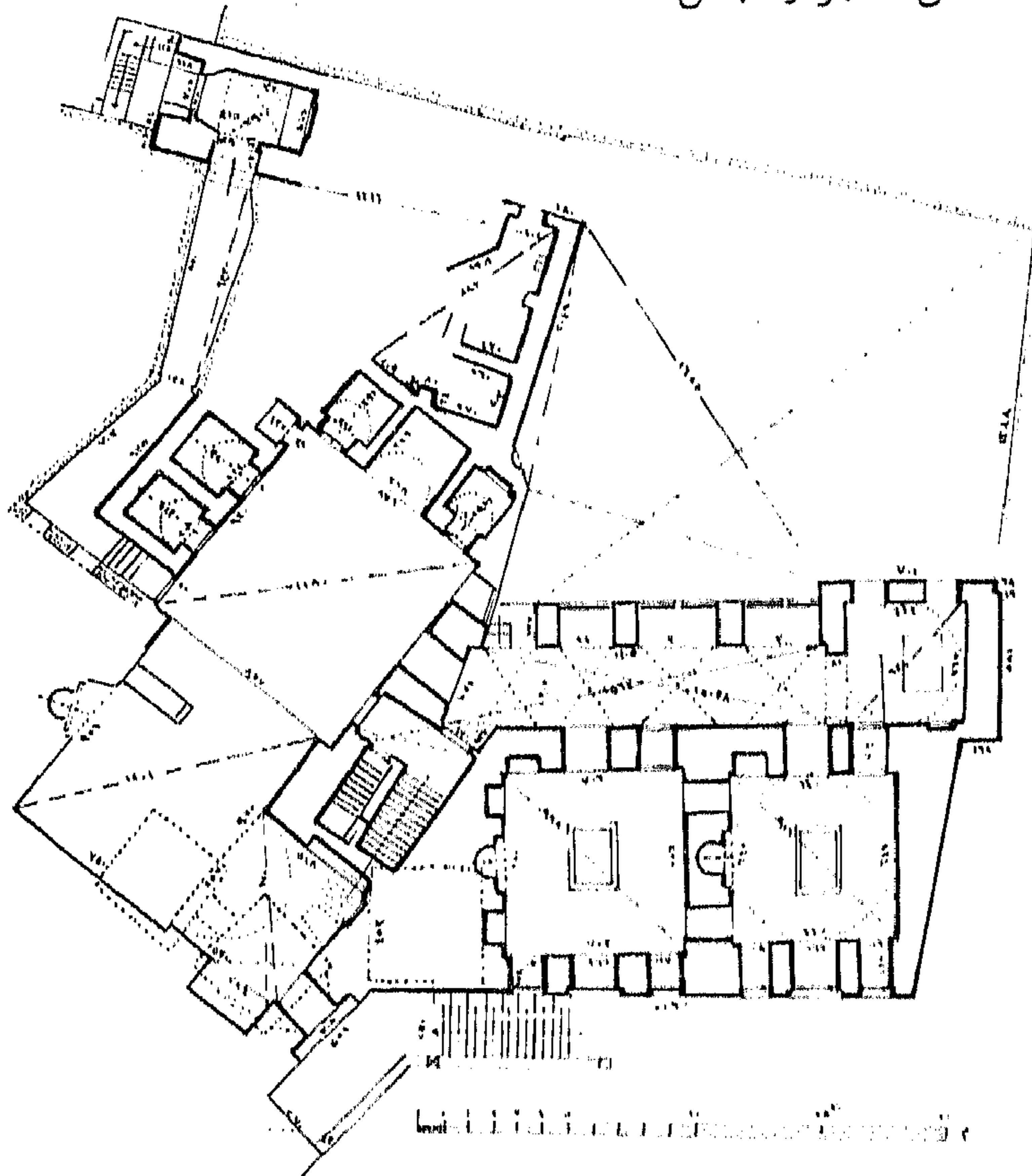
والإكرام» هذه تربة العبد الفقير إلى الله تعالى المستغفر من ذنبه الراجي عفو ربه سنجر الجاولي استادار العالية الملكي الناصري المنصوري رحم الله من دعا له بالرحمة ولجميع المسلمين عمل هذا المكان المبارك في شهور سنة ثلاث وسبعمائة . ويتكون الضريح من قاعة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٦ر٤٧ م وبصدر الضريح محراب اتساع حنيته ١ر٠٠ م وعمقه ٧٠ م وطاقيته مخوصة ترتكز على صف من الدلايات . وبالجبهة الشمالية للضريح توجد ثلاث نوافذ تطل على الطريق تضاهي تلك التي لضريح سلار ، وبالجبهة الجنوبية للضريح ثلاث فتحات هي مدخل الضريح ، وخزانة حائطية ونافذة اتساع فتحتها ١ر٤٠ م ، ويتوسط الضريح تركيبة رخامية بأربعة رعوس رومانية ، وبأعلى أركان مربع الضريح وقبل منطقة الانتقال شريط من الكتابة النسخية الحجرية البارزة من قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين^(١) . ويعلو ذلك منطقة انتقال تتكون من ثلاثة صفوف من المقرنصات تحصر بينها نافذة مكونة من أربع فتحات على شكل مثلث قد ملئت بزخارف جصية وزجاجية معشقة ، وببعضها رسومات على هيئة مشكاوات . ويعلو منطقة الانتقال قبة من الآجر ملساء من الداخل ومضلعة من الخارج قد فتحت رقبتها أربعاً وعشرين نافذة مملوءة بالجص والزجاج الملون ، كما نقش على الرقبة من الخارج زخارف كتابية جصية بالخط النسخي البارز من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين^(٢) » صدق الله العظيم .

(١) من آية ٢٨٤ إلى آية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٥ ، ١٣٦ .

المئذنة :

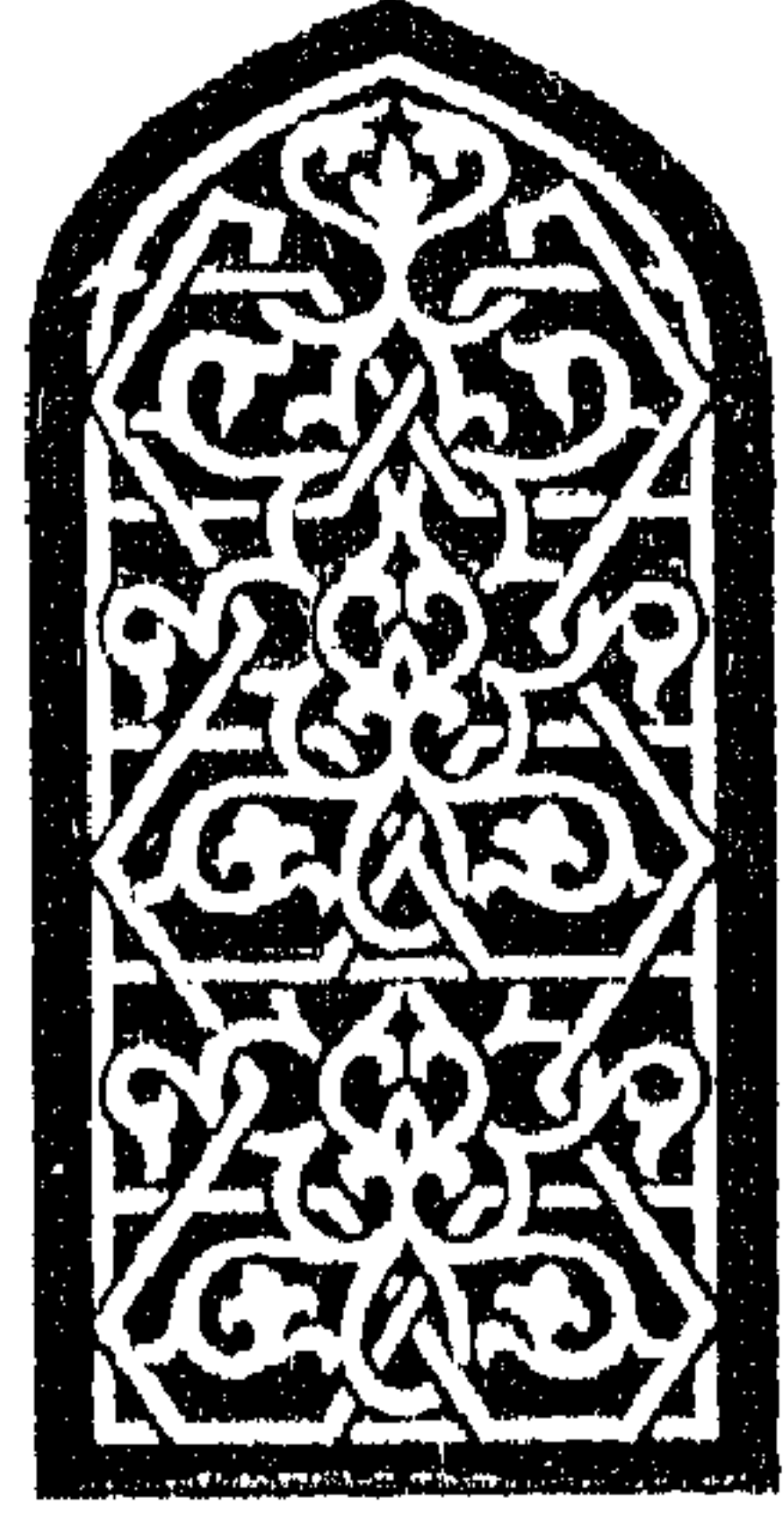
ارتفاعها حوالى ٢٦ر٣٨ م ، قاعدتها مرتفعة حجرية ، يعلوها طابقان ، بالطابق الأول فتحات ويحتوى الطابق العلوى على نرافذ تشبه تلك التى فى مئذنة مدرسة المنصور قلاوون بالنجاسين^(١) . وبأعلى جدار مربع المئذنة شريط من الكتابة النسخية من قوله تعالى : - « بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب^(٢) » ، ويلى الجزء المربع ، طابق مئمن به ثمانية تجاويف ضحلة يعلوها عقد منكسر وبأعلى المئمن جوسق يرتكز على أربعة صفوف من المقرنصات ويتوج المئذنة خوذة رشيقة مضلعة من الآجر والجص .



(شكل ١٤) هانقاه سلار ومسجد الجاولى

(١) Hautecoar & Welt : op. cit. p. 287

(٢) سورة النور آية ٣٦ - ٣٨ .



ضريح الشيخ الشرف الدميّاطي

بمقابر الصوفية
خارج باب النصر

هو شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف . ولد في بلدة تونة ببـحيرة
تنيس (من أعمال دميّاط) سنة ثلاثة عشر وستمائة ، وقد كانت مدينة تونة وتنيس من
أوائل مدن القطر المصري التي خضعت للحكم الإسلامي وسكنتهما قبائل عربية وفدت مع
عمرو بن العاص عند فتح مصر . فقد ذكر البلاذري^(١) : لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط
وجه عمير بن وهب الجمحي إلى تنيس ودميّاط وتونة ودميرة وشطا وبنا وبوصيرة ، فغلب
على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط . ومنذ أن دخل العرب مصر أخذت
بعض القبائل العربية^(٢) تنزح إليها لاستيطانها وكان بعضهم قد قدم مع عمرو بن العاص
وجاء البعض الآخر بعد ذلك وكانت لهم عدة اقطاعيات في جميع الولايات والأعمال فانتقلت
بطون من قريش ومنهم قوم من نصر بن معاوية من هوازن وسكن حول دميّاط وتنيس وتونة
ونزل بنو نصر في وسط الدلتا . ومنذ سنة ٦٤٢ ميلادية بدأت دميّاط وتنيس وتونة تتعرف
إلى العرب المهاجرين إليها من شبه الجزيرة العربية إلى المرابطين من رجال الجيش الفاتح
كما بدأت بناية المساجد بها مما ساعد على سرعة إسلام أهلها وتعلقهم بالدين الإسلامي ونموغ
الكثير من أهلها فيه .

(١) فتوح البلدان : ص ٧٦ .

(٢) المقرئزي البيهقي والإعراب فيمن سكن مصر من الأعراب ص ٦

ولا يزال يوجد بدمياط حتى اليوم جامع يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد عمرو بن العاص هو جامع أبى العاص .

وورد في معجم البلدان^(١) لياقوت ، أن تونة جزيرة في بحيرة المنزلة قرب تنيس ودمياط وكانت من البلاد التي يشتغل أهلها في نسج المنسوجات الصوفية والحريرية وفي صيد الأسماك ويضيف محمد رمزي في قاموسه^(٢) الجغرافي فيقول : ومكان تونة اليوم يعرف بكوم سيدى عبد الله بن سلام الواقع في جزيرة ببخيرة المنزلة ، التي كانت تسمى قديماً ببخيرة تنيس وهذه الجزيرة تقع شرق بلدة المطرية على بعد خمسة كيلو مترات منها .

ولا غرو فقد نشأ الشرف الدمياطى في بيئة إسلامية توطدت أركانها منذ الفتح الإسلامى وتلقى ثقافته الأولى وهو مازال طفلاً صغيراً بمدينة دمياط فدرس بها الفقه وأصوله وقرأ القرآن بالروايات ولما شب عن الطوق وتطلعت همته العالية وطموحه إلى استكمال ثقافته الدينية فرحل إلى مدينة الاسكندرية سنة ٦٣٦ هجرية وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وعشرين سنة . وفي الاسكندرية التحق بالمدرسة السلفية التي كانت من أعظم المدارس في ذلك الوقت وقد زارها ابن جبير^(٣) في أيام ابن أيوب وقال عنها : ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة في الحقيقة إلى سلطانه ، المدارس والمحارس الموضوعة في أهل الطلب والتعبد ، يفقدون من الأقطار النائية يتلقى كل واحد منهم مسكناً يؤوى إليه ومدرساً يعلمه الفن الذى يريد تعلمه وإجراء يقوم بجميع أحواله . ويضيف ابن جبير في وصف أحوال طلبة مدارس الاسكندرية فيقول : واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر تعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدام يأمرؤنهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء .

وبعد أن أتم الشرف الدمياطى تعلم علم الحديث من أصحاب السلفى في مدرسته ، قدم

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ٨٥ .

(٢) القاموس الجغرافى ج ١ ص ٨ .

(٣) رحلة ابن جبير ص ١٠ .

إلى القاهرة حيث التقى بأستاذه الحافظ المنذرى شيخ دار الحديد الكاملية فتتلمذ على يديه وتعرف على الكثير من أصحابه وتلاميذه مثل القاضى عز الدين بن عبد السلام الذى كان يحضر مجلس المنذرى ولا يحدث وكابن خلكان وابن دقيق العيد وقد ظل الشرف الدمياطى ملازماً لأستاذه المنذرى حتى صار معيداً لديه .

ولما بلغ الثلاثين من عمره ، تآقت نفسه لتأدية فريضة الحج ، فرحل إلى الحجاز سنة ٦٤٣ هجرية وسمع بالحرمين مدة عامين ثم ارتحل إلى الشام سنة ٦٤٥ هجرية كما طوف ببلاد العراق والجزيرة حيث سمع جملة كبيرة من المشايخ^(١) يناهزون ألفاً وثلثمائة حتى أصبح كما يقول ابن العماد^(٢) : من كبار حفاظ زمانه ، راسخاً فى الفقه نحويّاً لغويّاً محيطاً بالقراءات وامتاز فى الحديث وأربى فى علم النسب على المتقدمين ، فهو يناقشهم - ويبين أخطاءهم .

واستقر المطاف بالشرف الدمياطى وانتهى به إلى القاهرة حيث ولى مشيخة المدرسة الظاهرية فهو أول من درس الحديث بها . والمدرسة الظاهرية هى المدرسة التى أنشأها الملك السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى وقد وصفها المقرئى^(٣) فقال : هذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط ما بين القصرين كان موضوعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم كما دخل فى هذه المدرسة باب من أبواب القصر يعرف بباب الذهب .

وقد اشترى بعض الخيم هذه الشيخ شمس الدين محمد بن العماد شيخ الحنابلة بالمدرسة الصالحة ثم باعها للسلطان الظاهر بيبرس فأمر بهدمها وبناء موضعها مدرسة عرفت باسمه .

ويحدد المقرئى تاريخ إنشاء المدرسة فيقول : فابتدأ فى عمارتها فى ثانى ربيع الآخر سنة ٦٠ وستمائة وفرغ منها فى سنة ٦٢ وستمائة . فلما فرغ البناء اجتمع أهل العلم بها وحضر القراء وجلس أهل الدروس كل طائفة فى إيوان منها الشافعية بالإيوان القبلى ومدرسهم الشيخ تقى الدين محمد بن الحسن بن رزين الحموى والحنفية بالإيوان البحرى ومدرسهم الشيخ الصدر بن مجد الدين عبد الرحمن بن الصباح ، وأهل الحديث بالإيوان الشرقى

(١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٦٨ الأسيوطى : طبقات الحفاظ ج ٢ ص ٦٥ .

(٢) شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢ .

(٣) الخطط ج ٢ ص ٣٧٨ .

ومدرسة الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي « (صاحب الترجمة) والقراء
بالقراءات السبع بالإيوان الغربي وشيخهم الفقيه كمال محلي . وقرروا كلهم الدروس -
وتناصروا في علومهم ثم مدت الأسمطة لهم ثم خلع السلطان عليهم وكان يوماً مشهوداً .

وقد ظل الشيخ شرف يلقى دروس الحديث بالمدرسة الظاهرية حتى كان عصر السلطان
منصور قلاوون ولما أنشئت المدرسة المنصورية وقع اختيار السلطان عليه في تدريس الحديث
في المدرسة المنصورية^(١) وقد عاش شيخنا موسعاً عليه في الرزق ذا حرمة وجلالة من كل من
عاصره من الملوك والسلاطين والأمراء بمصر والحجاز والعراق والشام وقد كان إماماً بارعاً
وموجوداً حجة ومحدثاً ثقة .

وقد ترك لنا شرف الدين الدمياطي الكثير من المؤلفات في علم الحديث والفقه واللغة
والتاريخ منها في الحديث جزء جمع فيه أحاديث من رواياته^(٢) وجزء فيه أحاديث
صحيح من أماليه وجزء فيه أحاديث جمعها البرازيلي^(٣) رواية عنه . وله كتاب في فعل الخير^(٤)
الذي كان من رواته مؤرخ مصر تقي الدين المقرئ وله كتاب الأربعين المتباينة الاسناد
في حديث أهل بغداد جمع فيها أربعين حديثاً عن أهل بغداد كما له معجم في تاريخ يقع
في أربعة مجلدات جمع فيه تراجم مشايخه ، كما وضع كتاباً في تاريخ قبائل الخزرج ،
كما وضع سيرة مختصرة للرسول الكريم ، أما آخر مؤلفاته فهو كتابه (العقد المسمى) أرخ
فيه لكل من كان اسمه (عبد المؤمن) .

وقد توفي الشرف الدمياطي فجأة في القاهرة بعد أن صلى^(٥) عصر يوم الأحد خامس عشر
ذي القعدة سنة خمس وسبعمائة وقد أربى على التسعين^(٦) من عمره وودعته القاهرة توديعاً
حافلاً وكان أهل دمشق قد صلوا عليه صلاة الغائب ودفن بمقبرة بباب النصر التي تعرف بمقبرة
الصوفية .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ١٢٠ ج ٨ ص ٢١٣ ص ٢١٨ .

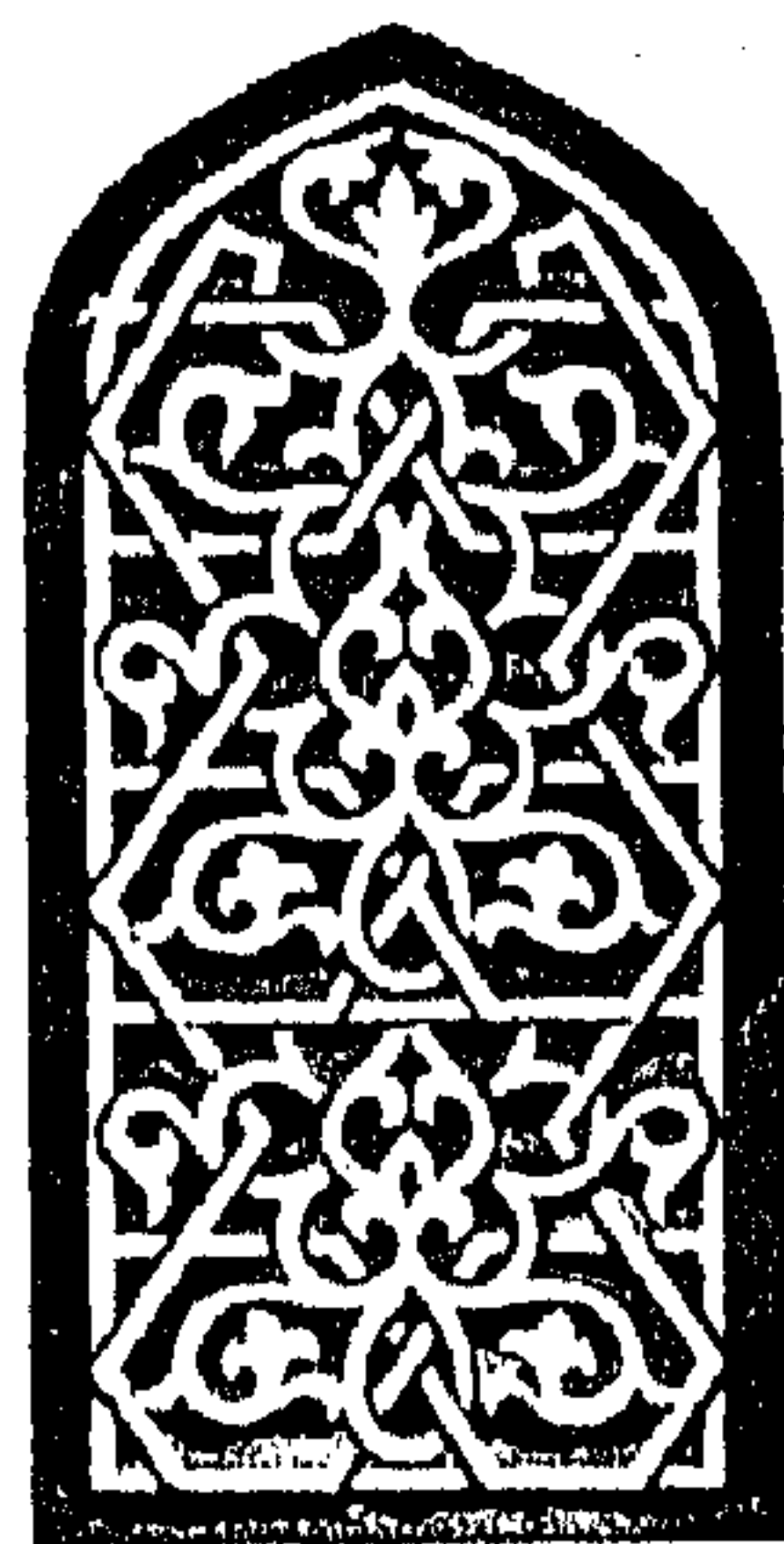
(٢) مخطوطه بدار الكتب رقم ٢٧٢٤ (حديث) .

(٣) مخطوطه بدار الكتب رقم ١٢٦٠ (حديث) .

(٤) مخطوطه بدار الكتب رقم ١٢٦٠ ٢٨٨٧ (فنون حربية) .

(٥) الدرر الكافية ج ٢ ص ٤١٧ لابن حجر الكنافي .

(٦) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٧ تأليف محمد بن شاذان الكندي .



ضريح ابن عطاء الله السكندري

بالقرافة الكبرى

بجبل المقطم سنة ٧٠٩ هـ

هو الشيخ الإمام تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء السكندري الجذامي نسبا المالكي مذهبا الشاذلي طريقة . وهو من أصل عربي فأجداده من الجذاميين من قبيلة كهلان التي ينتهي نسبها إلى بني يعرب بن قحطان من العرب العاربة . ولد ابن عطاء بمدينة الاسكندرية حيث كانت تقيم أسرته وحيث كان جده يشتغل بالتدريس وإذا كانت المراجع لم تذكر تاريخ مولده صراحة إلا أن الدكتور التفتازاني استطاع أن يستنتجه من خلال سرد ترجمة حياته ، إذ يقول إن مولده يقع فيما بين سنتي ٦٥٨ هـ ، ٦٧٩ هـ . وقد تتلمذ ابن عطاء على أشهر فقهاء الاسكندرية في ذلك العصر وهو الفقيه ناصر الدين المنبر الجدوي الجذامي الاسكندري . وكانت الاسكندرية في عصر ابن عطاء مركزاً هاماً من المراكز العلمية بمصر ، إذ كان بها كثير من خيرة العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول وسائر العلوم العربية والإسلامية هذا بالإضافة إلى أنها كانت زاخرة بعدد وفير من شيوخ الصوفية وأولياء الله الصالحين .

وكان والد عطاء الله معاصراً للشيخ أبي الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية فقد ذكر شيخنا في كتابه (لطائف المنن في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي) النص التالي : وأخبرني والدي رحمة الله عليه قال : « دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فسمعتة يقول : والله لقد تسألونني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب ، فأرى الجواب مسطراً في الدواة والحصير والحائط » وكان أفراد الأسرة التي نشأ فيها ابن عطاء مشغولين

بالعلوم الدينية وتدريسها ، لأن جده لوالده كان فقيهاً معروفاً في عصره ولأن عطاء نشأ كجده فقيهاً مشغولاً بالعلوم الشرعية ، وكان يطمع إلى بلوغ منزلته . ويذكر ابن عطاء في كتابه المنن أن جده كان ينكر على الصوفية ، وأن هؤلاء كانوا يصبرون على أذاه ، وقد وضع ذلك في القصة التالية : قال الشيخ أبو العباس المرسى لأصحابه إذا جاء ابن فقيه الاسكندرية (يقصد ابن عطاء الله) فأعلموني به ، فلما أتيت ، وعلم بي قال : جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبتة قريش فسلم عليه ملك الجبال وقال : يا محمد ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فقلت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ، ولكن أرجو أن يخرج من أصلابهم من يوحده ولا يشرك به شيئاً ، فصبر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء من يخرج من أصلابهم ، كذلك صبرنا على جد هذا الفقيه (يقصد جد ابن عطاء الله) لأجل هذا الفقيه .

وتقسم كتب التراجم حياة ابن عطاء الله إلى ثلاثة أطوار ، الأول أمضاه بمدينة الاسكندرية طالباً لعلوم عصره الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول ونحو وبيان وغيرها من خيرة أساتذتها في ذلك الوقت ، وفي هذا الطور من حياته كان متأثراً إلى حد كبير بآراء جده في إنكاره على الصوفية إنكاراً شديداً تعصباً لعلوم الفقهاء ، وقد ذكر ذلك في كتابه المنن إذ يقول : وكنت أنا لأمره (أى لأمر مرسى أبي العباس) من المنكرين وعليه من المعترضين حتى جرت مقابلة بيني وبين أصحابه ، وذلك قبل صحبتي إياه ، وقلت لذلك الرجل : ليس إلا أهل العلم الظاهر ، وهؤلاء القوم (أى المتصوفون) يدعون أموراً عظيمة وظاهر الشرع يابها .

ويبدأ الطور الثاني من حياته سنة ٦٧٤ هـ عند التقائه بأبي العباس المرسى واصطحابه له وينتهي بارتحاله إلى القاهرة . وفي هذا الطور نلاحظ زوال إنكاره للصوفية حين لقي أستاذه المرسى إذ أعجب به إعجاباً كبيراً وأخذ عنه طريق الصوفية . وقد كان السبب في تحوله الواضح من الإنكار الشديد إلى التصوف ، إنه أحس بأزمة نفسية شديدة خشي معها أن يكون منكراً على الشيخ (مرسى أبو العباس) من غير حق ، وفي ذلك يقول : « وكان سبب اجتماعي به (أبي العباس) إن قلت لنفسى بعد أن جرت المخاضمة بيني وبين

ذلك الرجل : دعى أذهب أنظر إلى هذا الرجل ، فصاحب الحق له امارات ولا يخفى شأنه
فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها ، وعلمت أن الرجل إنما يغترف
من فيض إلهي فأذهب الله ما كان عندي .

ومما هو جدير بالذكر أن ابن عطاء الله لم ينقطع عن طلب العلم بسلوكه طريق الصوفية
وإنما ظال يطلب هذه العلوم بتوجيه شيخه له ، فقد ظن في بادئ الأمر أنه لن يستطيع أن
يسلك طريق الصوفية إلا إذا انقطع عن اشتغاله بهذه العلوم وتفرغ بالكلية لصحبة شيخه
ويذكر ابن عطاء كيف كان أبو العباس المرسى يرسم لكل واحد من تلاميذه طريقاً خاصاً
فيقول : ودخلت أنا عليه (مرسى أبي العباس) وفي نفسي ترك الاشتغال بالعلم الظاهر فقال
لي من غير أن أبدى له شيئاً : صحبي بقوص إنسان يقال له ابن ناشيء ، وكان مدرساً بها
ونائب الحاكم فذاق من هذا الطريق شيئاً على أيدينا فقال : يا سيدي أترك ما أنا فيه
وأتفرغ لصحبتك ؟ فقلت له ليس هذا شأننا ، ولكن امكث فيما أقامك الله ، وما قسم لك
على أيدينا هو إليك واصل . ثم قال : وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون عن شيء حتى
يكون الحق هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك المخاطر من قلبي
وكانها كانت ثوباً نزعته ورضيت عن الله فيما أقامني فيه .

والطور الثالث من حياته يبدأ من وقت ارتحاله من الاسكندرية ليقيم بالقاهرة وينتهي
بوفاته سنة ٧٠٩ هـ وهو طور نضوجه واكتماله من الناحيتين الفقهية والصوفية والإفادة
منهما في التدريس . وفي هذه المرحلة من حياته فرق ابن عطاء الله بين العزلة والخلوة وأعطانا
وصفاً مميزاً لكل منهما . ويرى ابن عطاء ضرورة اصطناع العزلة عن الناس والخلوة في مكان
بعيد وفي ذلك يقول الغزالي في (إحياء العلوم) والذين يستندون في هذا المسلك إلى أساس
من اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم وتحنثه في غار حراء قبل نزول الوحي حتى صفت نفسه
وتهيأ لنور النبوة . والعزلة عند ابن عطاء تعني الانقطاع المعنوي لا الحقيقي عن الخلق بحيث
يكون السالك مراقباً نفسه على الدوام ومحاذراً أن يشغل ذهنه بالعالم ، فإذا أحكم الصوفي
عزلته ، وألفت نفسه الوحدة دخل الخلوة . ويعرف الخلوة بأنها وسيلة للوصول إلى سر الحق
فهى تبتل إلى الله وانقطاع عن غيره تعالى . ويصف ابن عطاء البيت الذي يختلئ فيه -

المتصوف فيقول : فأما بيت الخلوة فله هيئة خاصة ، فيكون ارتفاعه قدر قامة الرجل ، وطوله قدر سجوده ، وعرضه قدر جلسته ، ولا يكون فيه ثقب ينفذ الضوء منه إلى الخلوة ، وإن يكون بعيداً عن الأصوات وبابه وثيقاً قصيراً في دار معمورة بالناس .

لقد أصبح ابن عطاء الله بعد وفاة شيخه أبي العباس المرسى سنة ٦٨٦ هـ القائم على طريقته والداعي لها من بعده ، هذا بالإضافة إلى قيامه بالتدريس بمدينة الاسكندرية فلما رحل إلى القاهرة اشتغل بالتدريس والوعظ . فقد تولى ابن عطاء الله التدريس بأكبر الجامعات الإسلامية في ذلك العهد وأعني بها الجامع الأزهر ، وفي ذلك يقول ابن حجر : وكان ابن عطاء يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسى (أى أستاذ بكرسى) بكلام يروح النفس ويمزج كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم ، فكثير أتباعه ، وكانت عليه سيما الخير « وفي هذا يقول أيضاً ابن تغرى بردى : كان (ابن عطاء الله) رجلاً صالحاً يتكلم على كرسى ويحضر ميعاده خلق كثير وكان أوعظه تأثير في القلوب ، وكان له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطرائق » . ومن الأماكن التي قام شيخنا بالتدريس فيها كذلك المدرسة المنصورية ، التي أنشأها السلطان منصور قلاوون بحى الصاغة . كما أنشأ بجوارها بيمارستانا (مستشفى) وقبة لكى يدفن بها . وقد تخرج على يدى ابن عطاء الله عدد كبير من الفقهاء والصوفية من أشهرهم الإمام تقي الدين السبكي والدتاج الدين السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى .

وكان ابن عطاء الله معاصراً للشيخ تقي الدين بن تيمية ، الذى شدد النكير في عصره على الصوفية ، وصنف عدة رسائل في الرد عليهم وبالغ في عداوته لهم في كثير من الأحيان . لهذا كان من الطبيعى أن تقوم خصومة متبادلة بين ابن تيمية وابن عطاء الله ، فالأول خصم لدود للصوفية والآخر يعتبر الممثل الأول للصوفية والمتحدث بلسانها في عصره .

وكما جرت العادة أن ينسب لكل ولى أو صوفى كرامات ، كذلك ذكرت كتب الطبقات بعض الكرامات التي تنسب إلى ابن عطاء الله وعددها دال على منزلته كصوفى كامل واصل إلى الله . وفي هذا المقام يروى ابن حجر العسقلانى القصة التالية : يقال إن ثلاثة قصدوا مجلسه فقال أحدهم لو سلمت من العائلة لتجردت ، وقال آخر : أنا أصلى وأصوم ولا أجد

من الصلاح ذرة ، فقال الثالث : أنا صلاتي ما ترضيني فكيف ترضى ربي ؟ فلما حضروا مجلسه قال في أثناء كلامه : ومن الناس من يقول كذا وكذا وأعاد كلامهم بعينه .

وقد ذكر لنا المناوى في كتابه (الكواكب الدرية) واقعيتين أخريين خارقتين للعادة وعدهما من قبيل الكرامات ، ففي الأولى يقول : إن الشيخ الكمال الهمام زار قبره فقراً عنده سورة هود حتى وصل إلى قوله « فمنهم شقي وسعيد » فأجابه (ابن عطاء الله) من القبر بصوت عال : يا كمال ليس فينا شقي ، فأوصى أن يدفن بجواره . والواقعة الثانية : أن رجلاً من تلاميذ ابن عطاء الله حج فرأى الشيخ (ابن عطاء الله) في المطاف وخلف المقام وفي السعى وفي عرفه ، فلما رجع سأل عن الشيخ هل خرج من البلد في غيبته في البلاد الحجازية ، قالوا لا ، فدخل إليه وسلم عليه فقال له : من رأيت في سفرتك من الرجال ؟ قال يا سيدى رأيتك ، فتبسم وقال الرجل الكبير يملأ الكون لودعى القطب من حجر لأجاب

أما عن إنتاج ابن عطاء الله العلمى فقد ترك لنا عددًا كبيراً من المصنفات بلغت اثنين وعشرين مؤلفاً تختلف من حيث الموضوع والغرض اللذين وضعت من أجلهما وكلها تعكس بوضوح ثقافة صاحبها ، فمنها التصانيف الأدبية ومنها المؤلفات الصوفية التى غالج فيها أدق أحوال النفس الإنسانية فى حال سلوكها إلى الله ومنها ما وضع فى الفقه والنحو والمنطق والفلسفة ، ومنها ما يعكس صورته خطيباً واعظاً يرشد عامة الناس إلى طريق الله بعباراته القوية النافذة .

* * *

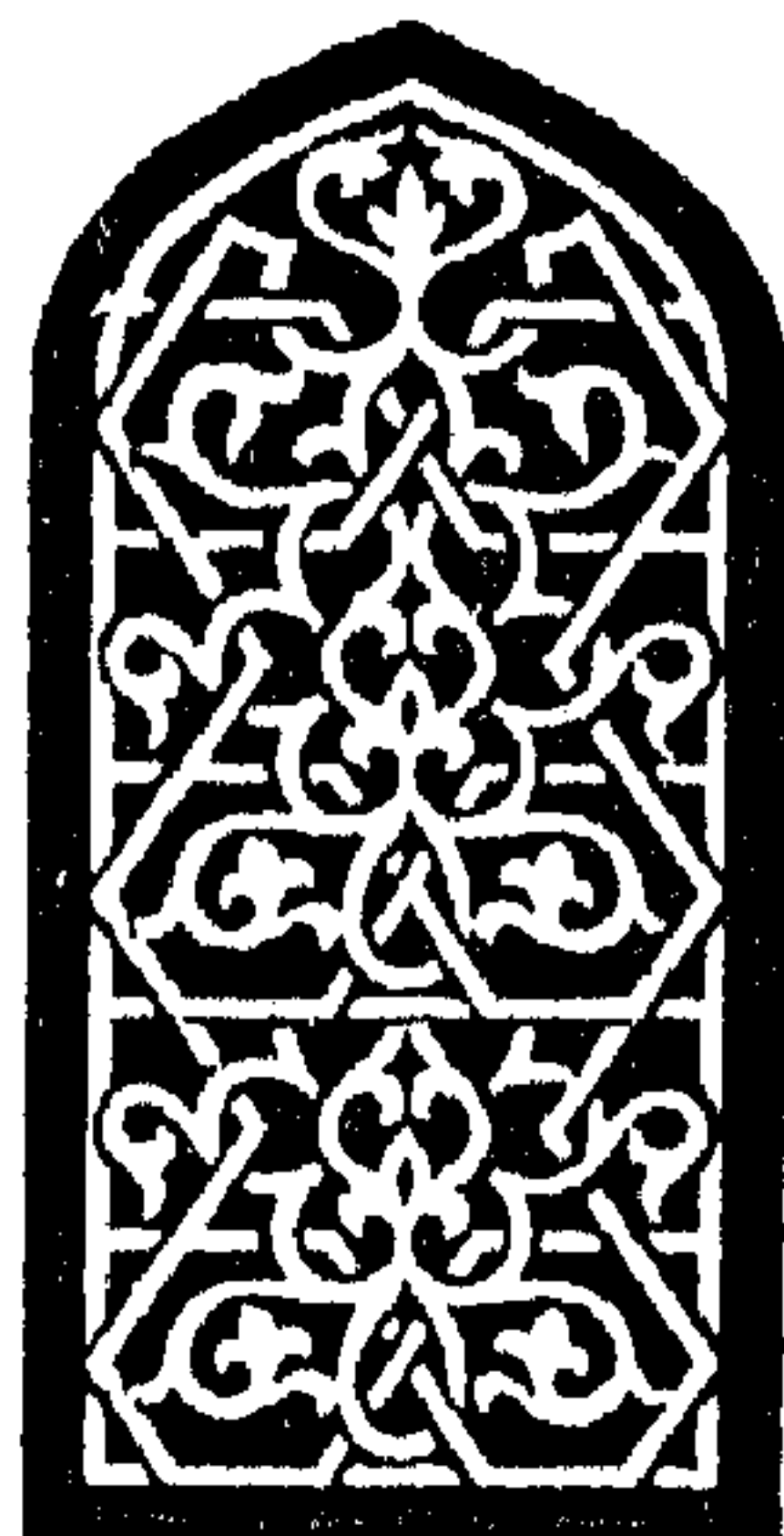
وتوفى ابن عطاء الله السكندرى رحمه الله سنة ٧٠٩ هـ ، وكانت وفاته كما ذكر ابن حجر بالمدرسة المنصورية التى كان يدرس بها . وكانت جنازته حافلة بجمهور كبير من أهل القاهرة الذين شيعوه إلى قبره فى القرافة الكبرى . وقد حدد محمد رمزى موقع قبره فقال : إن قبر ابن عطاء الله لا يزال موجوداً بجبانة سيدى على أبى الوفاء الكائنة تحت جبل المقطم من الجهة الشرقية لجبانة الإمام الليث . وهذا القبر يقع على بعد (٣٠٠) متر فى الجنوب الشرقى لجامع سيدى على أبى الوفاء ، وبجوار القبر من الغرب قبة تحتها كمال الدين محمد ابن عبد الواحد المعروف بالهمام .

ويتكون الضريح من ساحة مستطيلة صغيرة المساحة جدا يتوسطها القبر عليه شاهد
نقش عليه اسمه وتاريخ وفاته بالخط الثلث المملوكي . مما يثبت أنه يرجع إلى تاريخ وفاته
سنة ٧٠٩ هـ . ويحيط بالساحة سور مبنى من الحجر . وفي ضلعه الجنوبي الشرقي محراب صغير
مما يؤيد ما جاء في طبقات الشاذلية من أن ابن عطاء الله دفن بسفح جبل المقطم بزاويته
التي كان يتعبد بها .

وضريح ابن عطاء الله السكندري بحالة سيئة للغاية لا يتناسب مع مكانته العلمية
ولا الدينية خاصة وإنه أحد المتصوفين الأربعة ، ذى النون وعمر بن الفارض وإبراهيم
الدسوقي ، الذين ينتسبون إلى مصر ، فياحبذا لو أولت وزارة الأوقاف عنايتها بأضرحة
الأولياء والشخصيات الإسلامية التي لعبت دوراً ظاهراً في الحضارة الإسلامية في مصر تقديراً
لأصحابها واعترافاً بفضلهم .

مدرسة وخانقاه السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير

سنة ٧٠٩ هـ



السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى الجاشنكير ، أصله من بماليك الملك المنصور قلاوون البرجية ، وكان جركسى الجنس وهو أول من ملك مصر من الجراكسة ، وتأمّر في أيام أستاذه المنصور قلاوون ، وبقي على ذلك إلى أن صار من أكابر الأمراء في دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون . ولما تسلطن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد قتل أخيه الأشرف خليل ، صار بيبرس هذا استاداراً^(١) إلى أن عزله الملك العادل زين الدين كتبغا وقبض عليه وحبسه مدة ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمه ألف بالديار المصرية ، واستمر على ذلك حتى قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين ، فكان بيبرس هذا أحد من أشار بعودة الملك محمد بن قلاوون إلى الملك . فلما عاد الناصر إلى ماكنه صار بيبرس هذا استداراً على عادته وسلار نائباً ، فأقاما على ذلك سنين إلى أن صار هو وسلار كفيلى الممالك الشريفة الناصرية ، والملك الناصر محمد معهما آلة في السلطنة إلى أن ضجر الملك الناصر منهما وخرج إلى الحج فسار إلى الكرك وخلع نفسه من الملك ، فعند ذلك وقع الاتفاق بين الأمراء على سلطنة بيبرس ، فجلس السلطان المظفر على كرسي الملك في يوم السبت الثالث والعشرين من شوال من سنة ثمان وسبعمائة . وهو السلطان الحادى عشر من ملوك

(١) الاستادار والاستادارية : لفظ فارسى معناه وكيل الخرج أو المؤونة ، ومعناه الاصطلاعى في دولتى المماليك وظيفة من وظائف أمر باب السيوف ، وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خازناه والحاشية والغلمان وإليه أمر الجاشنكيريه ، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك للمماليك وغيرهم (القلقشندى صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠) .

الترك والسابع ممن مسهم الرق والأول من الجراكسة . ودقت البشائر وحضر الخليفة أبو الربيع سليمان وفوض إليه تقليد السلطنة ، وكتب له عهداً وشمله بخطه ، وكان من جملة عنوان التقليد : إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم وحلف الأمراء والعساكر على طاعته وكتب بذلك إلى الأقطار .

ولما استتب الأمر إلى الملك المظفر كتب إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون تقليداً بالكرك وأرسله مع الأميرال ملك ومنشورا بما عين له من الاقطاعات في حين أرسل قراسنقر نائب حلب ولده محمداً إلى الملك الناصر محمد بالكرك ومعه كتاب أبيه وكتاب قبجق نائب حماه وكتاب أسند من نائب طرابلس ومضمون كتاب قراسنقر : أنه يلوم الملك الناصر عن نزوله عن الملك ولامه على وقوع ذلك دون استشارته بادية الأمر ، ثم وعد الملك الناصر برجوع ملكه إليه في القريب وأخبره بأنه وقبجق وأسندمر لم يحلفوا على طاعتهم للملك المظفر وانهم مقيمون على إيمانهم له .

وفي السنة الثانية لحكم السلطان المظفر بيبرس تفشى في الناس أمراض حادة وعم الوباء الخلائق وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى . ثم توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى وارتفع سعر القمح وسائر الغلال . ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدير الخطيرى الاستدار ، فإنه تقدم إلى مباشره بأن لا يتركوا عنده سوى مئونة سنة واحدة وباع ما عداه قليلاً قليلاً والخطيرى هذا هو صاحب الجامع الذى بخط^(١) بولاق .

تشاءم الناس بسلطنة الملك المظفر بيبرس وخاف الناس أن يقع بالبلاد غلاء نظير ما حدث في حكم كتبغا ، حتى أن الخطيب نور الدين على بن محمد بن الحسن القسطلاني^(٢) خرج بالناس واستسقى ولم يوف النيل إلى تاسع عشر بابه وذلك بعد اليأس من وفاء النيل فانحط بعد الوفاء أسعار الغلال غير أن الناس تشاءمت بطلعة الملك المظفر بيبرس حتى أن العامة غنت في هذا تقول :

(١) النجوم الزاهرة : ص ٢٤٣ والهاشية رقم (٢) ص ٢٢٣ من الجزء (٨) .

(٢) النجوم الزاهرة : ص ٢٤٣ والسلوك للمقرئى .

سلطاننا ركين ، ونائبنا دقين يعيننا الماء من أين
يجيبوا لنا الأعرج يعجى الماء ويسدحرج^(١)

وقعت الوحشة بين المظفر وبين عامة مصر وأخذت دولة الملك المظفر بيبرس في -
الاضطراب وذلك لكثرة توهمه من الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان هم أمرائه الترقى
إلى أعلى منزلة دون النظر والحرص على صالح الرعية كما اتهموا الأمير سلال نائب السلطان
بمباطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وحذروا الملك المظفر منه ورغبوه في القبض عليه
غير أن بيبرس جبن عن تنفيذ ذلك وما زالوا به حتى بعث أحد أمرائه وهو الأمير مفلطاي
إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك طالباً استرجاع الخيل والمماليك التي عنده وقد
أغلظ المبعوث للملك الناصر محمد في القول ، فغضب الملك الناصر من ذلك غضباً شديداً
وقال له : أنا خلّيت ملك مصر والشام لبيبرس ، ما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس
عندى ومملوك لى ويكرر الطلب ! ارجع إليه وقل له : والله لئن لم يتركنى ، وإلا دخلت بلاد
التتار واعلمهم إنى تركت ملك أبى وأخى وماكى لمملوكى ، وهو يتابعنى ويطلب منى ماأخذته
فجأفاه مفلطاي وخشن له فى القول بحيث اشتد غضب الملك الناصر وصاح : ويلك وصلت
إلى هنا ! وأمر أن يعجز ويرمى من سور قلعة الكرك ، فثار به المماليك يسبونونه ويلعنونه ،
وأخرجوه إلى السور وتشفع له بعض الأمراء لدى الملك الناصر فعفا عنه وحبس ثم أطلق سراحه
عظم ذلك على الملك الناصر فكتب إلى نواب البلاد الشامية بحلب وحماه وطرابلس
وصغد ، ثم إلى مصر ممن يثق بهم ، وذكر ما كان به من ضيق اليد وقلة الحرمة ، وأنه لاجل
ذلك ترك ملك مصر وقنع بالإقامة بالكرك وأن السلطان الملك المظفر فى كل وقت يرسل
يطالبه بالمماليك والخيل التي عنده وطالبهم الناصر محمد بأن يردوه عنه فعاونوه فى -
هذا الأمر .

سار الملك الناصر من الكرك بمن معه يريد دمشق فانضم إليه أمراء دمشق وانفرط الأمر
من وإلى دمشق من قبل الملك المظفر وتسلسل عسكره طائفة بعد أخرى إلى الملك الناصر ، فلما

(١) ورد فى ابن اياس : ج ١ ص ١٥٠ بعد هذا الكلام (وكان الأمير سلال نائب السلطان بيبرس أجرد فى حنكه
بعض شعرات لأنه كان من التتار فسماه العوام دقين ، وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون به بعض عرج فسموه العوام
الأعرج . وكان السلطان بيبرس الجاشنكير لقبه ركن الدين فسماه العوام ركين) .

بلغ الملك المظفر ذلك عظم عليه الأمر خصوصاً وأن عساكره بمصر خرجت على طاعته مفضاة الانضمام إلى الملك الناصر حتى أنه لم يبق لديه بالديار المصرية سوى خواصه من الأمراء والأجناد .

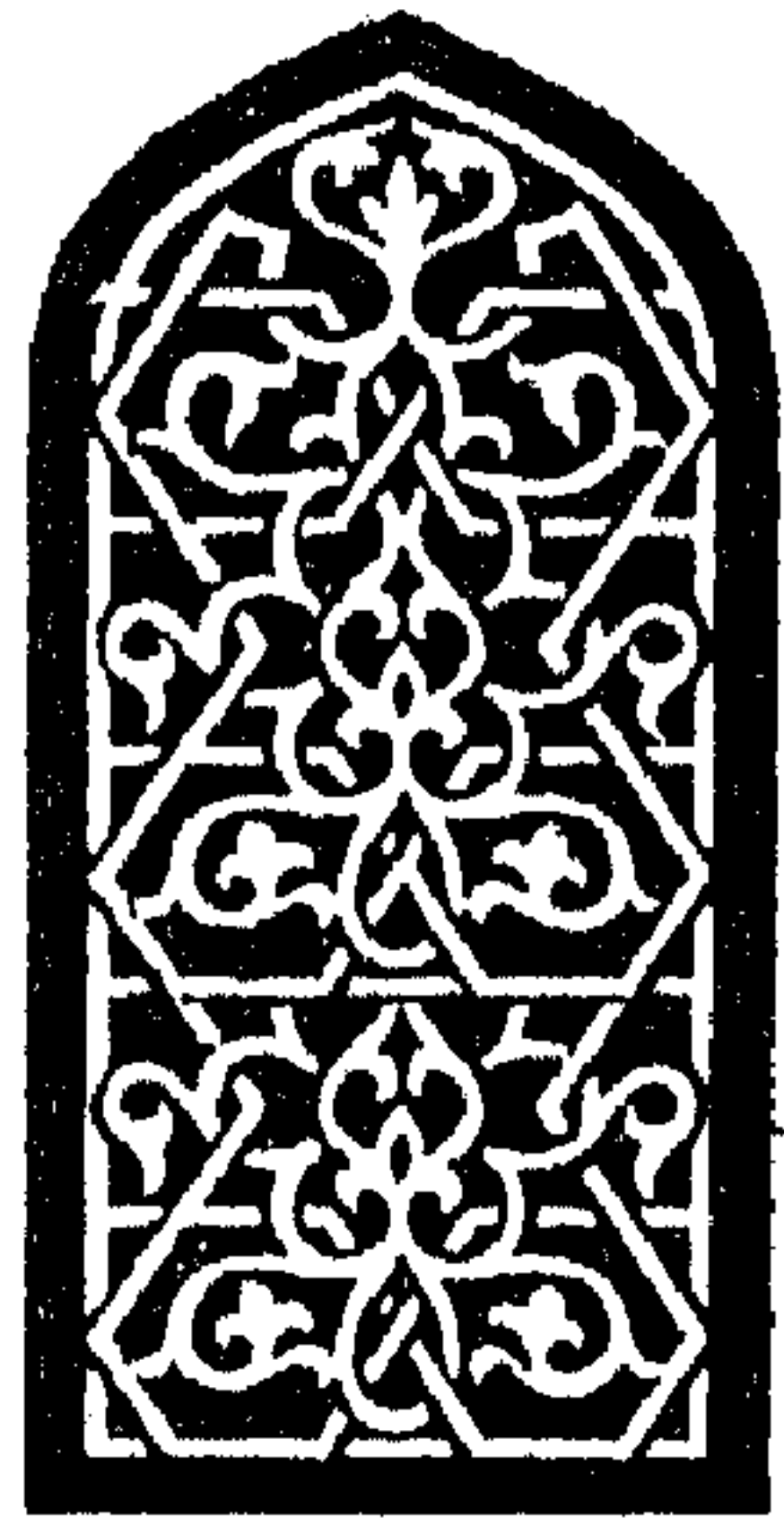
اضطربت أحوال المظفر وأشار عليه الأمراء بنزوله عن الملك والاشهاد عليه بذلك وأن يخرج إلى أطفيح بمن يشق به ويقيم فيها حتى يرد جواب الملك الناصر وقد عمل الملك المظفر بنصيحة أمرائه وكتب إلى الملك الناصر يسأله أن يوليه إحدى ولايات ثلاث : أما الكرك وأعمالها أو حماه وبلادها أو صهيون ومضافاتها .

أخذ المظفر معه في رحيله من المال والخيول ما أحب وخرج في مماليكه وعدتهم سبعمائة مملوك ومعه الأسراء فأقام بأطفيح يومين ثم اتفق رأيهم على السير إلى برقة وقيل إلى اسوان . ولما بلغ ممالك الملك المظفر هذا الرأي عزموا على مفارقتها فما أن وصل إلى أخميم حتى فارقه أكثر من كان معه . وبينما هو في طريقه ، قدم إليه أميران من قبل الملك الناصر يطلبان إليه التوجه إلى صهيون ليكون والياً عليها على شريطه أن يدفع ما أخذه من الخزائن ، فدفع المظفر المال بآجمعه إلى رسل الملك الناصر الذي حمل إليه وهو بقلعة الجبل . وأثناء سير المظفر إلى ولايته الجديدة لحق به أمراء الملك الناصر في غزة وقفلوا به . وبمن معه عائدتين إلى مصر .

ولما مثل المظفر بين يدي السلطان الناصر عنفه بما فعله معه وذكره بما كان منه إليه وعدد ذنوبه ، فلما فرغ السلطان من كلامه قال المظفر يامولانا السلطان ، كل ما قلت فعلته ولم يبق إلا مراحم السلطان . ثم خنق في حضرة الملك الناصر . وكانت أيام المظفر في سلطنة مصر عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً كانت كلها فتناً وقللاً .

وكان الملك المظفر^(١) ملكاً ثابتاً كثير السكون والوقار . جميل الصفات ، ندب إلى المهمات مراراً عديدة ، وتكلم في أمر الدولة مدة سنين ، وحسنت سيرته وكان يرجع إلى دين وخير معروف ، تولى السلطنة على كره منه ، وله أوقاف على وجوه البر والصدقة ، عمر ما هدم من الجامع الحاكمي داخل باب النصر بعد ما خربته الزلازل ، وكان من أعيان الأمراء في دولة المنصور قلاوون أستاذه وكذلك في دولة الأشرف خليل والناصر محمد بن قلاوون

(١) النجوم الزاهرة : ج ٨ ص ٢٧٦ .



خانقاه بيبرس جاشنكير^(*)

٥٧٠٩ - ١٣٠٤ م

تقع الواجهة الرئيسية للخانقاه في الضلع الغربي ويبلغ طولها ٢٩ر٥ متراً . وتتكون من جزعين يبرز الثاني عن الأول بمقدار ٣ر١٢ أمتار . ويضم حنية القسم الأول المدخل الرئيسي وقد كسيت واجهته بالرخام الملون الأبيض المتبادل مع الأسود . أما القسم الثاني فهو واجهة رواق الضريح ، ويضم خمسة تجاويف ضحلة رأسية مستطيلة ترتفع إلى أعلى جدار الواجهة ، ثلاثة منها بالجهة الشمالية الغربية يعلو كلا منها ثلاثة صفوف من الدلايات ، واثنان - جانبيان ، أحدهما جهة الشمال والآخر جهة الجنوب ، يعلوهما ثلاثة صفوف من الدلايات ، وبالتجاويف الخمسة صفان من النوافذ السفلية منها متسعة ويعلوها أعتاب ذات صنجات مزرة فوقها عقود عاتقة . أما العلوية فيسودها البساطة ، وهي أعلى الشريط الكتابي بمدماك واحد ، ويبدأ شريط الكتابة على بعد ٢ر٤٦ م خاف الجانب البارز من المدخل ، ويعتاز حنية المدخل ، ثم يتجاوزها ليحضى إلى الجانب الشمالى الغربى لرواق الضريح .

وشريط الكتابة بالخط النسخي ، جزء منه منقوش في الرخام ، وهو الذى يعلو حنية المدخل ، والآخر منقوش في الحجر ، وهذا نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليعجزهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب^(١) . أمر بإنشاء هذه الخانقاه السعيد ، وقفاً مويداً على جماعة الصوفية من فيض الله تعالى ركن الدين بيبرس المنصورى عبد الله الفقير إليه الراجى رحمته يوم القدوم عليه ضاعف الله ثوابه وزكى

(*) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٤١٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٢٧٦ .

(١) سورة النور آية ٣٦ - ٣٨ .

أعماله ويسر له أسباب ما نشط إليه من المعروف بآماله بمنه وكرمه وأفضاله وصلى الله على سيدنا محمد . ويعلو الواجهة بتمامها حلية فوقها صف من الشرفات المسننة .

يعتبر المدخل الرئيسى للخانقاه من المداخل الفريدة ، إذ يتكون من عقد ذى ثلاثة فصوص بداخله حنيتان ويعلو ذلك عقد مرتفع نصف دائرى ، ذو صنجات معشقة ، وعلى جانبيه نافذة مستديرة بصنجات مزرة حولها بالرخام الأبيض والأسود وعلى جانبي المدخل من الجهة اليمنى واليسرى مصطبة رخامية . ويكتنف الحنية شريط به كتابة بيضاء نسخية بأحرف صغيرة رفيعة على أرضية سوداء من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم^(١) » . ويتوسط المدخل باب مستطيل سعتة ١١٢ م وارتفاعه ٤٢١ م له عتبة سفلية من حجر الجرانيت منقوشة برسومات مصرية قديمة ، ويعلو الباب عتب مكرن من صنجات معشقة من الرخام الملون ، يعلو العتب مباشرة نافذة مستطيلة تسمح بالإضاءة داخل الدركاه ، ويغلق على فتحة الباب مصراعان من الخشب بخلفيتيهما حشوات ما بين مستطيلة ومربعة بداخلها زخارف نباتية بارزة ، أما ظاهراهما فيعلوهما كسوة من البرنز ، وقد نقش على المصراعين شريطان من الكتابة النسخية نصها : « أمر بإنشاء هذه الخانقاة السعيدة من فيض الله وجزيل إحسانه لجماعة الصوفية راجياً بذلك العبد الفقير ركن الدين بيبرس المنصورى عفو مولاه وغفرانه » ويفضى هذا الباب إلى دركاه .

ويتكون الدركاه من مستطيل طوله ٤٢٠ م وعرضه ٣٩٠ م أرضيتها مفروشة بدوائر من الرخام الملون وسقفها مغطى بقبة ضحلة ترتكز على مثلثات كروية مقعرة .

وبالدركاة أربعة أبواب ، اثنان منها بالجهة الشمالية ، اتساع فتحة الشرقية ١٨٥ م وتفضى إلى دهليز الخانقاه واتساع الغربية ١٢٠ م ، وتفضى إلى ضريح المنشئ ، والاثنان الباقيان بالجهة الجنوبية اتساع فتحة الشرقية ٩٠ متر وتفضى إلى حاصِل^(٢) واتساع فتحة

(١) سورة الحجر آية ٤٦ - ٤٨ .

(٢) كان موضع هذا الحاصل ، مرا يفضى إلى رباط بيبرس الجاشنكير .

الغربية ١٠٠ م ، ويتوصل منها إلى مرقى سلم يصعد من فوقه إلى السطح . أما الباب بالجهة الشمالية الشرقية للدركاة فيؤدى إلى دهليز طويل منكسر أرضيته مفروشة بالرخام الملون ، نصل منه إلى صحن الخانقاة .

يتوسط الخانقاة صحن كبير مستطيل الشكل طوله ١٩١٨ م وعرضه ١٦٤٢ م ، تعلوه أسوار بارتفاع ١٥٤٠ م أما أرضيته فمفروشة ببلاطات من الحجر الجيري .

والجهة الشرقية للصحن يوجد بها إيوان القبلة الذى يتقدمه عقد عمقه ١٢١٣ م وسعته ٩٨٧ م ، ويكتنف الإيوان كتفان من كل جانب عرض أحدهما ١٩٠ م والآخر ٤٥ م ، بينهما فتحة باب اتساعها ٩٥ م تفضى إلى خلوة مساحتها ٣٣٠ × ٢٢٠ م .

وبالجهة الغربية للصحن الإيوان الغربى الذى يبلغ عمقه ١٠٤٢ م وسعته ٩٣٥ م ، ويكتنف الإيوان كتفان من كل جانب ، عرض الشمالى ٢٠٠ م والجنوبى ١٨٠ م وكتفان ركنيان عرض كل منهما ٤٠ م ، وبين كل كتف جانبي وركنى فتحة باب اتساع الشمالية ١٧٠ م وتفضى إلى خلوة غير منتظمة الأضلاع مساحتها الكلية ٢٨٩٠ م ، واتساع الجنوبية ١٤٠ م وتفضى إلى دهليز الخانقاة .

ويتوسط الجهة الشمالية للصحن فتحة طويلة ضيقة بارتفاع طابقين تفضى إلى قاعة منخفضة مربعة يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه ٦٣٢ م ، ويكتنف المجلس يئمة ويسرة أربعة أبواب سفلية . الاثنان الجانبيان مدخلان لإضافيان للمجلس ، بينما الأبواب الثلاثة الباقية من كل جانب تفضى كل منها إلى خلوة ، ماعدا الباب بالجانب الشمالى فيفضى إلى مرقى سلم لمر خلف الخلوات بالطابقين العلويين .

والجهة الجنوبية للصحن بها فتحة مماثلة للفتحة الشمالية ، إلا أنها حالياً ليست بحالة مرضية ويتوسط الجهة الجنوبية فتحة مستطيلة ضيقة بارتفاع طابقين ، تفضى إلى قاعة مستطيلة الشكل طولها ٨١٥ م وعرضها ٦٣٢ م ويكتنف مدخل القاعة أربعة أبواب يئمة ويسرة اثنان منها مدخلان لإضافيان والثلاثة الباقية من كل جانب أبواب خلوى ، اندثرت اليمنى منها وتلاشت أجزاء من اليسرى .

ويعلو الأبواب السفلية صفان من النوافذ قد استقرت كلها في تجاويف ضحلة نسبياً ، وذات طواق مقرنصة مختلفة الأنواع ، ويلاحظ أن الفتحتين اللتين تتوسطان كلا من الجانب الجنوبي والشمالي للصحن بالطابق الثاني ، وكذلك الفتحة الوسطى بالطابق الثالث تستخدم في إضاءة القاعتين . ويعلو الفتحات حلية تحيط بالصحن والإيوانين على ارتفاع ١٥٤٠ م .

إيوان القبلة :

يتكون من مستطيل مساحته ١٢١٣ × ٩٨٧ م وجناحين على جانبيه حنيتان مساحة كل منهما ٨٢٠ × ٣٠٧ م وبنهاية كل حنية تجويف مكشوف على هيئة ملقف هواء ، الشمالية مربعة الشكل طول كل ضلع من الأضلاع ٢٧٩ م والجنوبية مستطيلة الشكل طولها ٢٧٩ م وعرضها ٢٣٦ م .

وقد غطى سقف الصحن بقبو مدبب ، بينما يغطي سقف كل من الحنيتين قبر نصف دائرى . ويتوسط إيوان القبلة محراب حجرى نخلو من كل زخرف اللهم إلا بعض الحليات البسيطة وتعلوه طاقية على هيئة عقد مدبب ويكتنفها عمودان مثمنان من الرخام ، لكل منهما تاج بصلى الشكل . وقد زود هذا الإيوان بدواليب حائطية فى كل من الحنيتين .

ويتكون الإيوان الغربى من مستطيل عمقه ١٠٤٢ م وسعته ٩٣٣ م أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى ويتقدمه عقد مدبب يحيط به شريط حجرى مجدول .

ويتوسط الإيوان حنية يعلوها عقد مدبب اتساع فتحته ٣٤٥ م بأعلاها ملقف هواء ولها جلسة حجرية مفروشة بالبلاط .

ويتوسط كلا من الجهتين الشمالية والجنوبية للإيوان حنية يعلوها عقد مدبب ويحتوى على جلسة حجرية ، اتساع فتحته ٣٤٥ م ، ويغلى سقف الإيوان قبو حجرى كبير مدبب .

وتتكون القاعة الشمالية من مربع طول كل ضلع من أضلاعه ٦٣٢ م ، بالجهة الجنوبية الشرقية منه محراب ضيق يعلوه عقد ذو زاوية اتساع حنيته ١١٠ م وعمقها ٨٠ م . ويتوسط الجهة الشمالية حنية مستطيلة اتساع فتحتها ٢٤٠ م ، وعمقها ٥٠ م وبنهايتها ملقف هواء سد اليوم ، ويكتنف هذا الملقف دولا بان حائطيان . وبالجهة الجنوبية للقاعة ثلاثة مداخل متجاورة ، ويغلى سقف المجلس قبو حجرى كبير مدبب .

أما القاعة الجنوبية فمستطيلة الشكل يبلغ طولها ٨١٥ م وعرضها ٦٣٠ م ، أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري . ويتوسط الجهة الشرقية محراب ضيق يعلوه عقد ذو زاوية اتساع حنيته ١٢٥ م وعمقها ٨٠ م . يكتنفه خزانتان في سمك الحائط ، اتساع فتحة كل منهما ١٠٠ م وعمقها ٢٥ م . والجهة الغربية أعيد بناؤها بعقدين مدبيين على هيئة نافذتين اتساع فتحة كل منهما ٢٨٠ م . والجهة الشمالية يتقدمها دعامتان تقسمان فتحة القاعة إلى ثلاثة عقود . وبالجهة الجنوبية تجويف مكشوف على هيئة ملقف اتساع فتحته ٢١٠ م وعمقه ١٣٠ م ويكتنف الملقف خزانتان سعة كل منهما ٨٠ م وعمق الشرقية ٧٠ م والغربية ٣٠ م . وقد فقدت جميع خزائن الكتب بالإيوانين والقاعتين مصاريعها الخشبية اليوم ويغطي سقف المجلس قبو حجري مدبب .

مساكن الصوفية :

وكان عدد خلاوى الخانقاة لا يقل عن مائة مسكن كان معظمها يقع خلف الخانقاة ، بيد أن معظمها قد اندثر وخاصة تلك التي بالأدوار العليا ، فقد تلاشت معظم جدرانها وسقوفها ، ولبعضها فتحات ذات طواق مقرنصة تطل على الصحن .

التبصرة :

هي عبارة عن مربع يتوصل إليه عن طريق باب بالجدار الشمالى للدركاة ومنه يجتاز ممر صغير منكسر بعضه مقبى بالحجر والبعض الآخر مكشوف ، وبنهاية الممر فتحة باب صغيرة جهة الشمال خلفها رواق كبير يتقدم الضريح مساحته ١١٤٥ × ٤٧٣ م أعد خصيصاً لدرس الحديث ، يحضره شيخ ونحو ثلاثين طالباً من طلاب الحديث النبوى^(١) . وبالجهة الجنوبية الشرقية للرواق مدخل الضريح وهو عبارة عن عقد كبير مدبب اتساع فتحته ٤٢٥ م مغطى معظمه بسياج من خشب الخرط ، ويتوسطه باب يعلوه عقد ذو زاوية اتساعه ١٣٥ م ، فوقه حشوة خشبية نقش عليها كتابة نسخية بارزة أربعة أسطر هي قوله تعالى : « البسملة . إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت

(١) وثيقة بدير من الجاشنكير محكمة رقم (٢٣) مخطوطة دولت عبد الكريم : المانقوات .

إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فلنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب إنهم مرتقبون^(١). ويفضى هذا المدخل إلى الضريح وهو عبارة عن قاعة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ١١٣٠ م. أرضيته مفروشة بالرخام الملون.

ويتوسط الجدار الشرقى للضريح محراب ضخم اتساع حنيته ٢٢٠ م ، وعمقه ١٢٠ م طاقيته على هيئة عقد مدبب ، ويكتنفه عمودان مثمنان من الرخام الأخضر المجزع ، وبدن المحراب مزخرف ببائكتين ذاتي أعمدة رخامية ملتصقة ، أحدهما سفلية قرب مستوى الأرضية والأخرى أسفل طاقية المحراب ، ويتوسط البائكتين منطقة من الفسيفساء الرخامية بها رسومات هندسية قوامها خطوط متشابكة ومنكسرة ويحيط بهذه المنطقة إطار به زخارف ويزخرف المحراب شريط من الرخام به كتابة نسخية من قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الدين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون^(٢).

ويتوسط الضلعين الشمالى والجنوبى نافذة مزخرفة جلستها بزخارف هندسية وكذلك عتبة من فسيفساء الرخام . ويكتنف النافذة خزانتان^(٣). ويعلو جدران القبة وزرة رخامية بارتفاع ٣٦٠ م ، بالجهة الجنوبية الشرقية منها حشوتان بداخلهما زخارف هندسية وكتابات نسخية تتضمن عبارة « لا إله إلا الله » وبالجهة الشمالية الغربية حشوتان بالخط الكوفي المربع بداخلهما عبارة « محمد » مكرر ، وبكل من الجهة الشمالية والجنوبية حشوة بداخلها زخرفة هندسية ويعلو الوزرة أفريزان من الخشب بأحدهما زخارف نباتية محورة عن الطبيعة ، وبالأخرى كتابات نسخية بارزة من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل

(١) سورة الدخان آية ٥١ - ٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٩ .

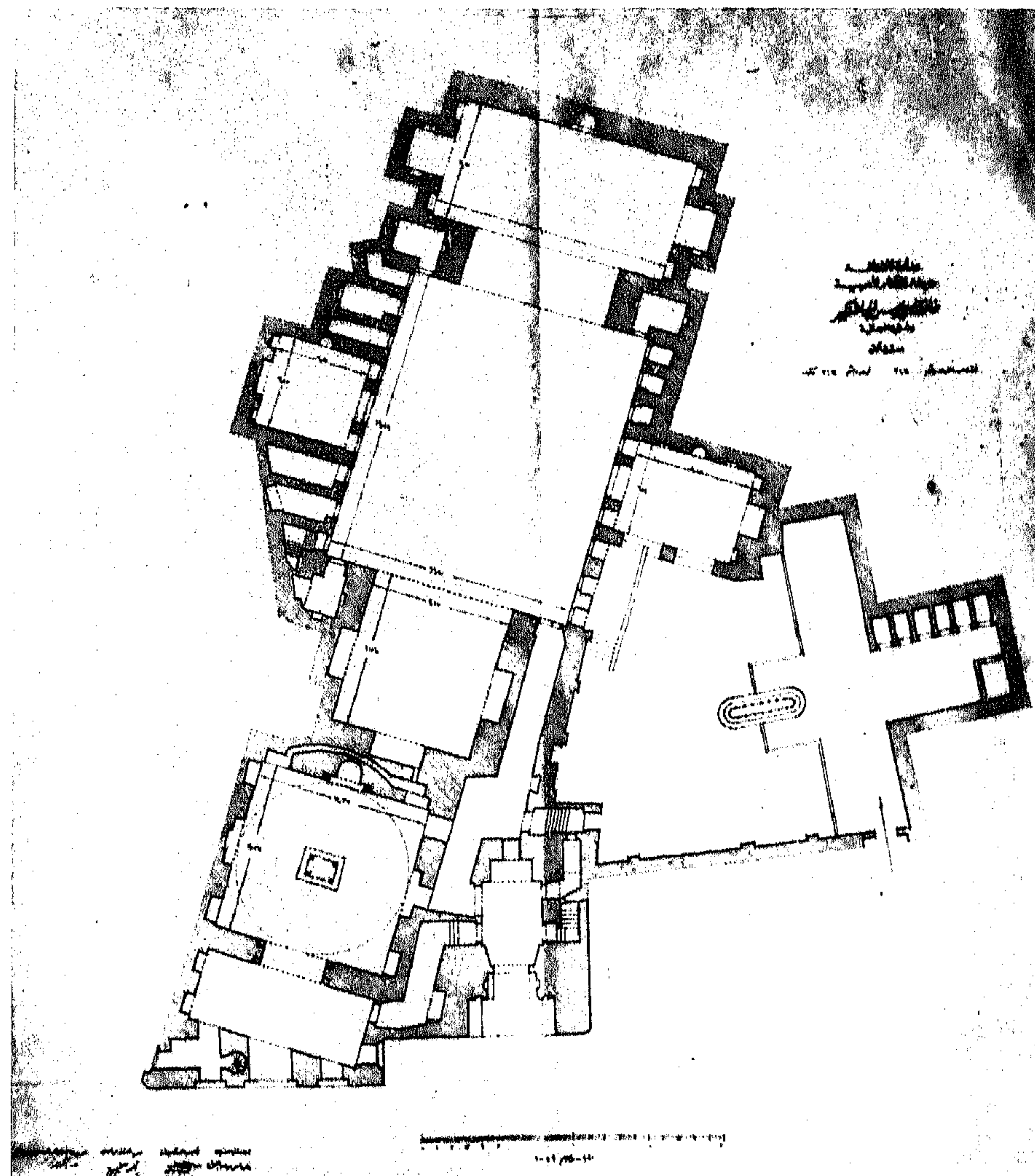
(٣) تحولت الخزانة بالركن الجنوبى الشرقى إلى شبك للتهوية .

ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وللمذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ إن أنتم إلا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير^(١) . ويتوسط القبة تركيبة رخامية بأربعة رؤوس كما يعلو أركان مربع القبة منطقة انتقال تحتوى على أربع حطات تعتبر أول نموذج للحطات الأربع لمنطقة الانتقال بالقباب المصرية فى العمائر الإسلامية . ويتخلل منطقة الانتقال نافذة مكونة من أربع فتحات ، قد ملئت بزخارف جصية وزجاجية ملونة . أما رقبة القبة فقد فتحت فيها ثمانى فتحات مربعة بداخلها زخارف من الجص والزجاج الملون ، ويعلو الرقبة قبة مرتفعة مبنية بالطوب ذات قطاع مدبب .

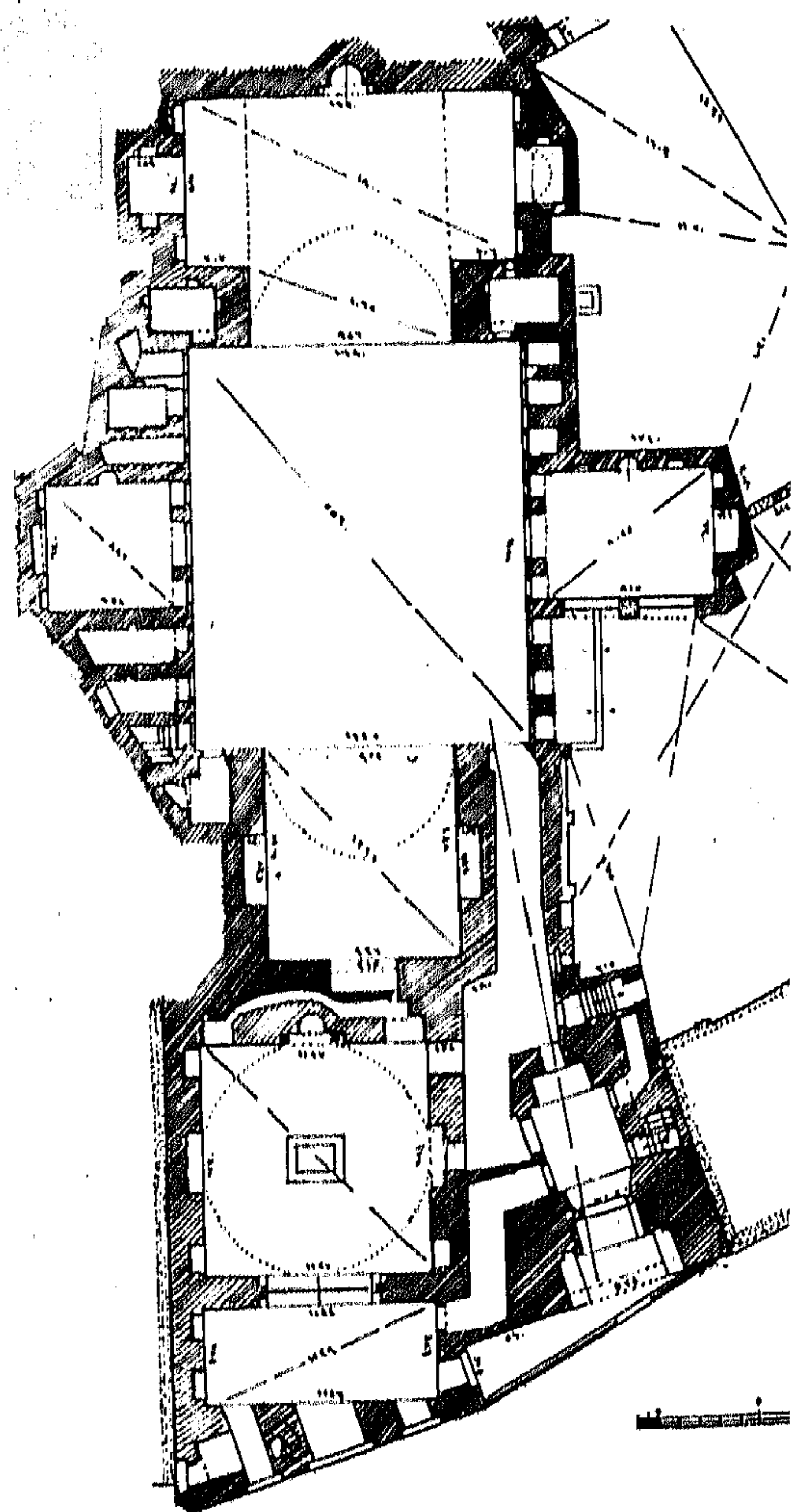
المئذنة :

مبنية بالطوب ، وتتكون من ثلاث دورات ، الطابق الأول عبارة عن مكعب ارتفاعه ١٠ر٠٠ م وطول ضلعه الخارجى ٦ر٣١ م والداخلى ٣ر٥٤ م بداخله سلم ملتف بكل واجهة من واجهات المكعب . وينتهى هذا المكعب بمنطقة انتقال من أربع حطات من الدلايات الدقيقة التكوين يحمل أعلاه مئذنة ، ينتهى أعلاه بشرفة خشبية بدرابزين خشب . أما الطابق الثانى فمستدير قد فتح فى بدنه باب مستطيل للمؤذن ، وبه فتحات ضيقة ، وينتهى - بكورنيش جميل إذ فقد درابزينه . والطابق الثالث عبارة عن جوسق بثمانية أعمدة غليظة وقصيرة فوقها ترس رفيع بمقرنص دقيق من صف واحد ويتوج المئذنة قبة مضلعة ، ويرجع أهمية هذه المبخرة إلى وجود أقدم تغطية للقاشانى فى قمم المئذنة بمصر ، تلتها قمة جامع الناصر محمد بالقلعة ، وهذه البلاطات الباقية عددها ست .

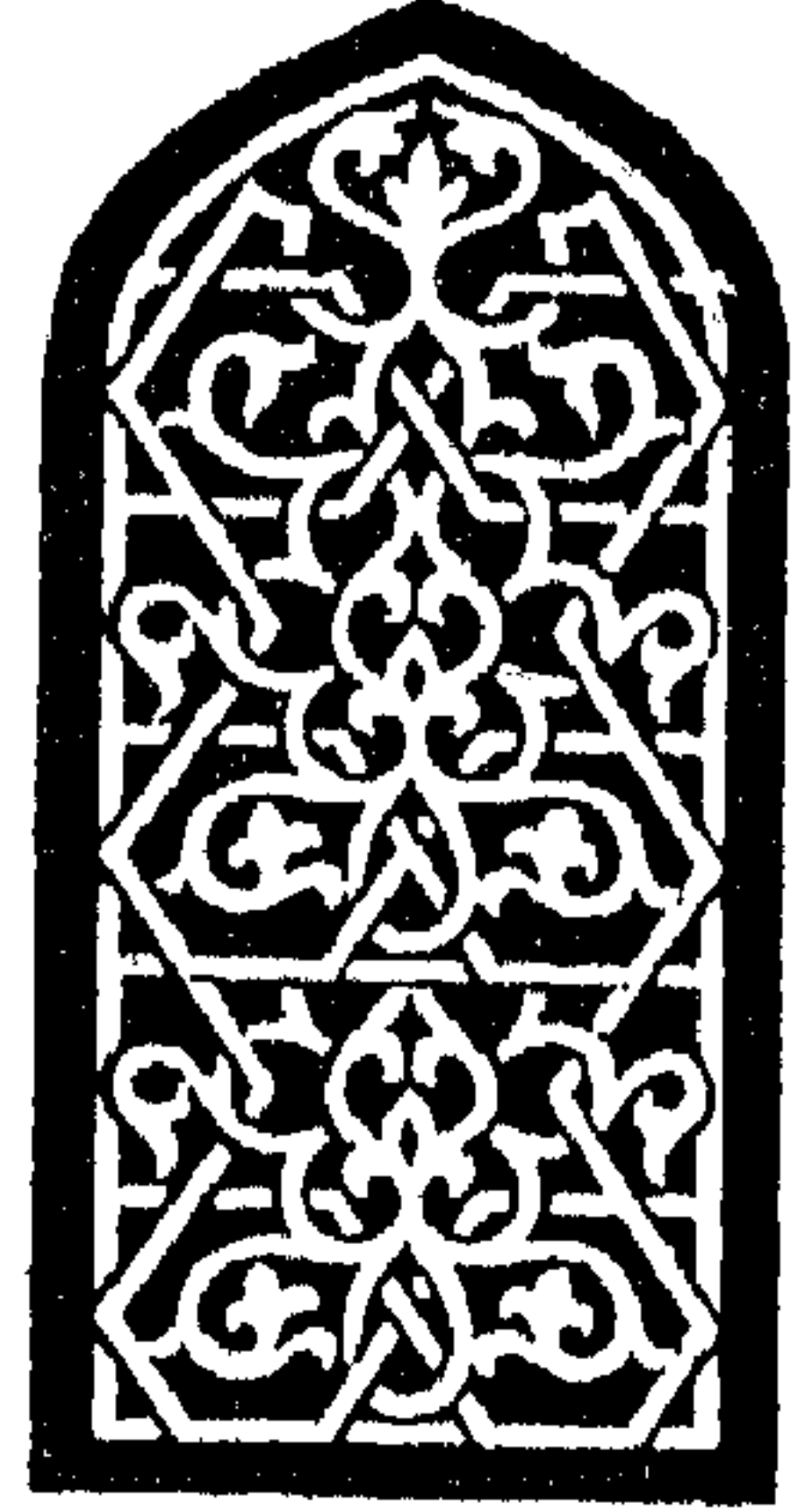
(١) سورة الملك آية ١ - ١٣ .



(شكل ١٦) خانقاه بيبرس الجاشنكير



(شكل ١٥) مدرسة
وضريح جاشنكير



جامع الماس الحاجب

بشارع الحلمية ٧٣٠ هـ

الأمير سيف الدين الماس الحاجب هو أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون ،
رقاه إلى أن صار من أكبر الأمراء . ولما أخرج الأمير أرغون إلى نيابة حلب وبقى منصب
النيابة شاغراً وعظمت منزلة الماس صار في منزلة النيابة إلا أنه لم يسم بالنائب وكان الأمراء
الأكابر والأصاغر في خدمته وكان مجلسه في باب القلة من قلعة العجل في منزله النائب
والحجاب وقوف بين يديه وما برح على ذلك حتى توجه السلطان إلى الحجاز في سنة اثنتين
وثلاثين وسبعمائة فتركه في القلعة هو والأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك والأمير
أقبا عبد الواحد والأمير طشتمر حمص أخضر وبقية الأمراء إما مع السلطان في الحجاز
ولما في إقطاعاتهم وأمرهم أن لا يدخلوا القلعة حتى يحضر من الحجاز ، فلما قدم من الحجاز
نقم على الماس وأمسكه في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان غضب السلطان عليه إنه
كان يرسل الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ويواده ويقال^(١) إنه لما مات الأمير
بكتمر الساقى وجد السلطان في تركته جزدانا فيه جواب الماس إلى بكتمر الساقى جاء فيه
قوله إننى حافظ القلعة إلى أن يرد على منك ما اعتمده ، فلما وقف السلطان على ذلك ، أمر
النشو بن هلال الدولة وشاهد الخزانة بإيقاع الحوطة على موجوده ، فوجد له ستمائة ألف
درهم فضة ومائة ألف درهم فلوساً وأربعة آلاف دينار ذهباً وثلاثين حياصة ذهباً بكتمتياتها
وخلعها وجواهر وتحفاً ، وأقام الماس عند أقبا عبد الواحد ثلاثة أيام وقتل خنقاً بمحبسه

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٠٧ .

في ١٢ صفر سنة ٧٣٤ هـ وحمل من القلعة إلى جامع فدفن فيه وأخذ جميع ما كان في داره من الرخام فقلع منها ، وكان رخاماً فأنجزاً إلى الغاية . دار الماس : تقع هذه الدار بمخطط حوض ابن هنس فيما بينه وبين حدة البقر بجوار جامع الماس أنشأها الأمير الماس الحاجب واعتنى برخامها عناية كبيرة وجلبه من البلاد ، فلما قتل أمر السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون بقلع ما في الدار من الرخام كما أسلفنا ونقل إلى القلعة . وهذه الدار باقية إلى وقت وفاة المقرئ سنة ٨٤٥ هـ^(١) .

(١) المقرئ : المخطوط ٢ ص ٧٤ .

الوصف المعماري

يقع هذا الجامع عند تقاطع أول الحلمية بشارع القلعة (محمد علي) ويحتوى على واجهتين احدهما تقع فى الضلع الشمالى للجامع وهى تكاد تكون خلوا من الزخرف وتسودها البساطة . والواجهة الثانية وتقع فى الضلع الغربى وهى الرئيسية يتوسطها المدخل الرئيسى ، ويكتنفه حنيتان مستطيلتان بكل منهما نافذتان السفلى مستطيلة ومملوءة بمصبغات نحاسية ويعلوها عتب تحتوى على صنجات معشقة يعلوه عقد عاتق يحتوى كذلك على صنجات معشقة . والجزء العلوى من الحنية تشغله نافذة ذات عقدين يرتكزان على ثلاثة أعمدة رخامية ، وقد ملئت هذه النافذة بزخارف خشبية مخرمة حلت محل الزخارف الجصية المعشقة بزجاج ملون . ويعلو النافذة العليا شريط من الكتابة به أدعية منها « اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين الصديق والاخلاص والخشوع والهيبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحفظ والعصمة والنشاط والقوة والبيان والفهم فى القرآن وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا » . ثم يتوج كل حنية ثلاثة صفوف من المقرنصات والدلايات البديعة الترتيب والتنسيق .

ويتوسط الواجهة الغربية المدخل الرئيسى للجامع وهو ينخفض عن مستوى الشارع ولذا ينزل إليه بثلاث درجات ، وهو كثير العمق يتوسطه باب على جانبيه مكسلتان ينتهيان بعمودين يرتد بعدهما الجدار فى زاوية قائمة ، ويعلو الباب عتب يحتوى على صنجات معشقة وفوق العتب عقد عاتق يحتوى كذلك على صنجات معشقة . ويعلو العقد العاتق نافذة يعلوها عقدان يقومان على ثلاثة أعمدة مماثلة لنوافذ حنيات الواجهة . وقد ملئت هذه النافذة على خلاف العادة بخشب مخرم الذى حل محل الزخارف الجصية المخرمة . ويعلو النافذة شريط من الكتابة جاء فيه « أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك الفقير إلى الله الماس أمير حاجب فى شهور سنة تسع وعشرين وسبعمائة وكماله سنة ثلاثين من الهجرة النبوية » .

ولقب أمير حاجب الذى اختص به الماس ، كان من وظائف وألقاب العصر المملوكى التى تمنح عادة للمملوك إذا أثبت جدارة^(١) يجعله السلطان أميراً . وكان التأمير ، أى منح لقب الإمارة من حق السلطان وحده^(٢) . وكان يصحب التأمير مراسيم خاصة وذلك أن يلبسه السلطان زياً خاصاً ، وكان يعين لكل أمير مماليك فى خدمته . ولم يقتصر لقب الأمير على الناحية العسكرية بل كانت تسند إليهم فى بعض الأحيان أهم الوظائف الإدارية . أما وظيفة الحاجب فقد اختلفت اختصاصاتها ودلالاتها باختلاف العصور والدول ، ففي العصر المملوكى كان عظم شأن الحاجب فقد صار كبير الحاجب يسمى بأمير حاجب مما يدل على قوة شوكته . ويلى كبير الحاجب النائب فى الأهمية وكانت المحجوبة فى العصر المملوكى تعتبر ثامن الوظائف العسكرية التى يشغلها أمراء^(٣) .

ويتوج المدخل الرئيسى من جهاته الثلاث وكذا سقف دخوله العميق أربعة صفوف من الدلايات أكسبته شكلاً زخرفياً غاية فى الدقة والابداع . ويحتوى الباب على مصراعين من الخشب المكسى بصفائح معدنية تحتويان على زخارف على شكل الأطباق النجمية زخرفت (كنداتها وفروعها) بزخارف نباتية دقيقة بارزة وغائرة . وينتهى المصراعان من أعلى وأسفل على شريط كتابى جاء فيه « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة » كما جاء فى الشريط الأسفل تاريخ الترميم^(٤) سنة ١٣٣٠ هـ (سنة ١٩١١ م) .

ويوصلنا الباب الخارجى إلى صحن الجامع ، وهو صحن مربع مكشوف يحيط به الأروقة من جهاته الأربع . وتتكون بوائك الأروقة من صفوف من الأعمدة عدد كل منها أربعة يعلوها خمسة عقود مدببة ويحيط بها إطار رفيع من زخارف نباتية دقيقة تنتهى عند سمت العقد بشكل (طرة) ومن الواضح أن أعمدة البوائك قد جابت من أماكن عديدة قديمة فهى مختلفة التيجان وكذا القواعد . وقد فتح فى خواصر عقود البوائك فتحات صغيرة

(١) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٥١ .

(٣) خليل الظاهر : زبدة كشف الممالك ص ١١٥ .

(٤) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية .

يعلوها عقد منكسر ، وقد أحيطت هذه الفتحات كذلك بشريط مماثل للشريط الذى يحيط بعقود البوائك .

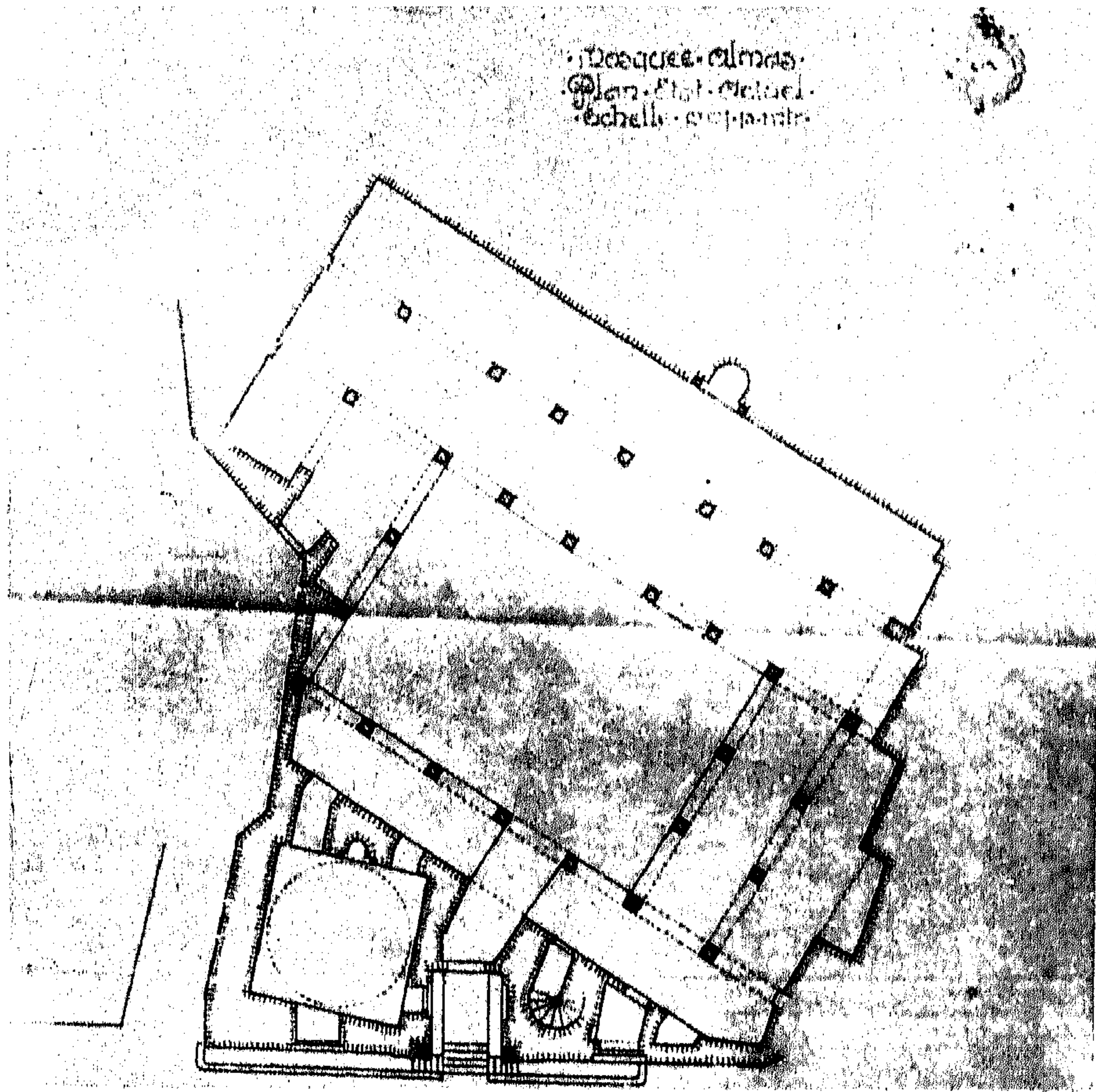
ويعتبر رواق القبلة أكبر الأروقة وهو يشغل الضلع الشرقى للجامع ويحتوى على محراب عميق التجويف مكسو برخام أقل دقة من محراب القبلة . ويعلو المحراب زخارف جصية وبخاريات . ويجاور المحراب منبر خشبي يرجع إلى العصر العثماني . ويحيط بجدار المحراب أفريز رخامى نقشته عليه آيات من سورتي الفتح وتبارك . وقد بقى من هذا الرواق بقايا وزرة رخامية لعلها نتيجة ترميم . ويحتوى الجامع كذلك على بقايا من الرخام المزخرف والمكتوب بالخط الكوفي المربع مثبتة فى الرواق الشمالى . وفى الضلع الشمالى توجد مزيرة حجبت بمقصورة من الخشب الخرط .

القبلة :

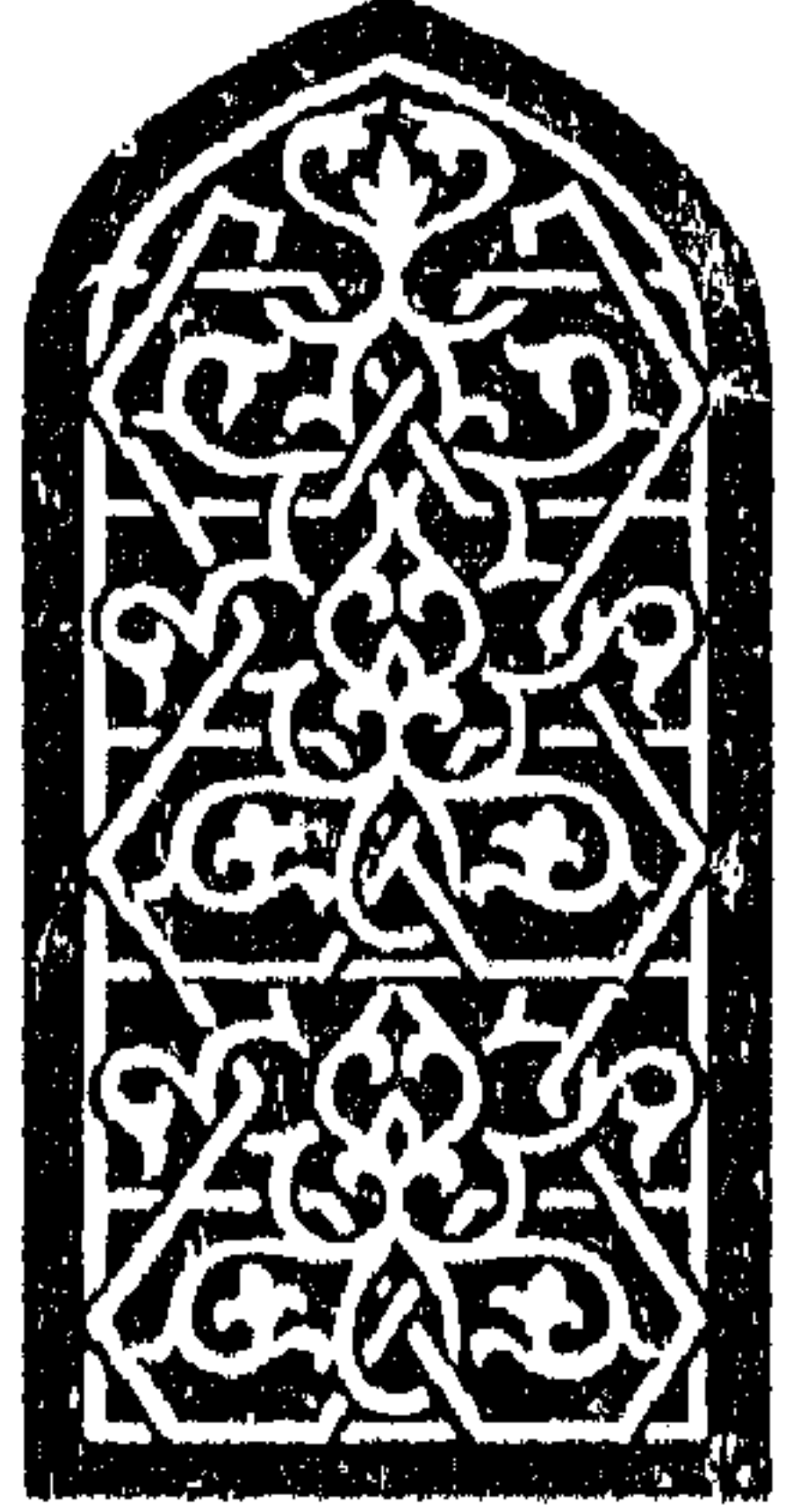
تقع القبلة فى الطرف الشمالى للواجهة الغربية ، وهى عبارة عن مربع تقوم فى أركانه فى منطقة الانتقال خمسة صفوف من الدلايات والمقرنصات تحصر بينها نافذة ذات ثلاث فتحات ، اثنتان منها مستطيلتان يفصل بينهما عمود ويعلوهما عقد ذو زاوية (Keel arch) أما الفتحة الثالثة فتتوسطهما وهى معقودة من أعلى وأسفل بعقد ذو زاوية كذلك . ويحيط بهذه النافذة من الخارج عقد كبير نصف دائرى يعتمد على عمودين ويعلو منطقة الانتقال رقبة قصيرة فتحت فيها اثنتا عشرة نافذة اثنتان فوق كل ركن من أركان المربع وواحدة فى الأضلاع الأربعة الباقية من مثنى منطقة الانتقال . ويعلو القبلة الرقبة وهى ذات قطاع مدبب ، وهى وإن كانت خالية من الزخارف فى الخارج إلا أن داخلها مزخرف بالزخارف الجصية على شكل دوائر بها رسوم نباتية دقيقة . كما أن باب القبلة يحتوى على مصراعين من الخشب المكسى بأشرطة وجامات معدنية زخارفها نباتية وهندسية بعضها مخرم ومثل هذا الأسلوب من المصاريح غير شائع فى مصر . ويتوسط القبلة تراكيب من الرخام فوق قبر المنشئ ، وفى الجهة الشرقية يوجد محراب القبلة تدل بقايا الرخام الموجودة به وكذا العمودان اللذان يكتنفانه مقدار ما كانت تزخر به قبة الأمير الماس من النقوش المتعددة الأشكال ومتعددة المواد .

أما المئذنة فهي تقع في الواجهة الغربية كذلك وهي ليست المئذنة القديمة ، ولكنها ترجع إلى العصر العثماني . وتتكون المئذنة من طابقين ، تقوم الطبقة الأولى على مربع به باب معقود ، وهي مثمثة الشكل خلق في نواصيها ثمانية أعمدة وفتح في أربعة من أضلاعها نوافذ ذات عقود مستديرة ويتقدم كل نافذة شرفة صغيرة تقوم على صفيين من الدلايات . وفي الأضلاع الأربعة الأخرى توجد أربع حنايا أصغر من النوافذ عقودها تشبه عقود النوافذ ويفصل بين الطابق الأول والثاني شرفة خشبية تقوم على أربعة صفوف من الدلايات .

أما الطابق الثاني فاسطواني ، وفي اعتقادي أنه الجزء المجدد ، أما الطابق الأول فيرجع إلى تاريخ الجامع الأصلي . وينتهي الطابق الثاني بأربعة كرائيش من الدلايات تقوم فوقها قبة صغيرة تعلو رقبة رفيعة ممتدة تنتهي بخوذة .



(شكل ١٧) جامع الماس الحاجب



الخانقاه والمدرسة الجمالية

سنة ٧٢٠ هـ

بحسب الجمالية

الأمير علاء الدين بن عبد الجمالي المعروف بخزر (وهي كلمة تركية معناها الديك) اشتراه الملك الناصر محمد بن قلاوون ونقله وهو ما يزال في حدائق السن من الجامعة إلى الامرة على اقطاع الأمير صارم الدين إبراهيم الإبراهيمي نقيب المماليك السلطانية سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصار السلطان ينتدبه في التوجه إلى المهمات الخاصة ويطلعه على سره ثم بعثه في سنة ٧١٨ هـ أمير الركب إلى الحجاز فقبض على الشريف أسد الدين رميته بن أبي نمي صاحب مكة وأحضره إلى قلعة الجبل في ثامن عشر المحرم سنة ٧١٩ هـ مع الركب فأنكر عليه السلطان سرعة دخوله لما أصاب الحاج من المشقة في الإسراع بهم . ثم أنه جعل استاداراً للسلطان لما قبض على القاضي كريم الدين عبد الكريم ناظر الخواص عند وصوله من دمشق بعد سفره إليها لإحضار شمس الدين غبريال ، وعند حضوره خلع عليه السلطان وجعله استاداراً عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر العلاني وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ثم أضاف إليه الوزارة وخلع عليه عوضاً عن صاحب أمين الملك عبد الله ابن الغنام بعد ما استعفى من الوزارة واعتذر بأنه رجل غنمي فلم يعفه السلطان وقال له بأنه سيجعل من يباشر معه الأمور ويعرفه ما يعمل وطلب شمس الدين غبريال ناظر دمشق منها وجعله ناظر الدولة رفيقاً للوزير الجمالي ، فرفعت قضية إلى السلطان وهو في القصر من القلعة فيها الحط على السلطان بسبب تولية الجمالي الوزارة والحجاجة للماس وأنه بسبب ذلك السلطان أضاع المملكة وأهانها وفرط في أموال المسلمين والجيش وأن هذا لم يفعله أحد من الملوك قبله إذ ولي الحجابة لمن لا يعرف يحكم ولا يتكلم بالعربي ولا يعرف الأحكام الشرعية

وولى الوزارة والاستادارية لشاب لا يعرف يكتب اسمه ولا يعرف ما يقال له ، وأنه لا يحسن التصرف فى أمور المملكة ولا فى الأموال الديوانية إلا أرباب الأقلام فإنهم يأكلون المال ويحيلون^(١) على الوزير . فلما وقف السلطان على هذه القضية أطلع عليها القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله المعروف بالفخر ناظر الجيش فقال هذه ورقة الكتاب ممن انقطع رزقه وكسر حسده وقرر مع السلطان أن يلزم الوزير ناظر الدولة وناظر الخواص الأوراق التى تشتمل على أصل الحاصل وما حمل فى ذلك اليوم من البلاد والجهات وما صرف وأنه لا يصرف لأحد شىء البتة إلا بأمر السلطان وعلمه .

ولما كانت الفتنة بثغر الاسكندرية بين أهلها وبين الفرنج ، بعث السلطان بالجمالى إليها ، فسار من القاهرة سنة ٧٢٧ هـ فى سبعمائة رجل ودخل إليها واستدعى وجود المدينة وقبض على كثير من العامة ووسط بعضهم وقطع أيدي جماعة وأرجلهم وصادر أرباب الأموال حتى لم يدع أحداً له ثروة حتى ألزمه بمال كثير وعاد إلى القاهرة بعد عشرين يوماً وقد سفك دماء كثيرة وأخذ منها مائتى ألف دينار . وفى سنة ٨٢٨ هـ صرف عن الوزارة وبقي على وظيفة الاستدارية ، ثم سافر الجمالى إلى الحجاز فلما عاد توفى بسطح عقبة^(٢) أيلة فى يوم الأحد سابع عشر المحرم سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة فُصِّبَ وحمل إلى القاهرة ودفن بها فى خانقائه المعروفة بالمدرسة الجمالية .

أنشأها الجمالى بعجوار درب راشد من القاهرة على باب الزقاق المعروف قديماً بدرب سيف الدولة نادر ، وجعلها منشئها مدرسة للحنفية وخانقاة للصوفية وولى تدريسها ومشيخة التصوف بها الشيخ علاء الدين على بن عثمان التركمانى الحنفى وتداولها ابنه قاضى القضاة جمال الدين عبد الله التركمانى الحنفى . وكان شأن هذه المدرسة كبيراً يسكنها أكابر فقهاء الحنفية وتعد من أجمل مدارس القاهرة ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية . وقد تلاشى^(٣) أمر هذه المدرسة لسوء ولادة أمرها وتخریبهم أوقافها وتعطل منها حضور الدرس والتصوف وصارت منزلاً يسكنه أخلاط ممن ينسب إلى اسم الفقه وقرب الخراب منها وكان بناؤها فى سنة ثلاثين وسبعمائة .

(١) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٢) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣٩٣ .

(٣) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣٩٢ .

الوصف المعماري

تقع الواجهة الرئيسية في الضلع الشمالي للخانقاه ويبلغ طولها ٢٠ر٥ م وتضم حنية المدخل الرئيسي وتجويفين ضحلين مستطيلين يرتفعان إلى أعلى جدار الواجهة ، يعلو كلا منهما حطة واحدة من الدلايات وبالتجويفين أربع من الفتحات اثنتان بالجزء الأسفل وهما مستطيلتان ويعلوهما عتب إحداهما زخارفها نباتية مقتبسة من زهرة الزنبق والأخرى زخارفها على هيئة قلب ويحتوي الجزء العاوي على قمريتين كل منهما عبارة عن فتحتين فوقهما طاقة ، ويتوسط الفتحات السفلية والعلوية طراز كتابي غير متكامل يتبين منه (بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب^(٢) . أمر بإنشاء هذه الخانقاه المباركة السعيدة من فواضل انعام الله وجزيل عطائه المقر الكريم العالي المولوى الأميرى الأجلى الكبيرى المخدومى الاسفهلولى العلاتى عمدة الملوك والسلاطين مغلطاي الجمالى استادار الدات العالى الملكى الناصرى وكان الفراغ فى شهر ربيع (الأول سنة ثلاثين وسبعمائة) . ويعلو الواجهة شرفتان مسننتان .

ويقع المدخل الرئيسى فى الطرف الشمالى الغربى من الواجهة وهو منخفض عن مستوى أرضية الطريق بحوالى ٢ م ، وواجهته مدببة من حجر تبلغ اتساع حنيته ٢ر١٠ م وعمقها ٦٠ر٦ م ويعلوه طاقة على هيئة عقد ذى ثلاثة فصوص مزدانة بخارجها بزخارف حجرية وخلف الحنية توجد فتحة باب وهى مستطيلة وارتفاعها ٢ر٤٨ م تفضى إلى دهليز

(١) تقع هذه الخانقاه بين حارة الفراخه وشارع قصر الشوق .

(٢) سورة النور آية ٣٦ - ٣٨ .

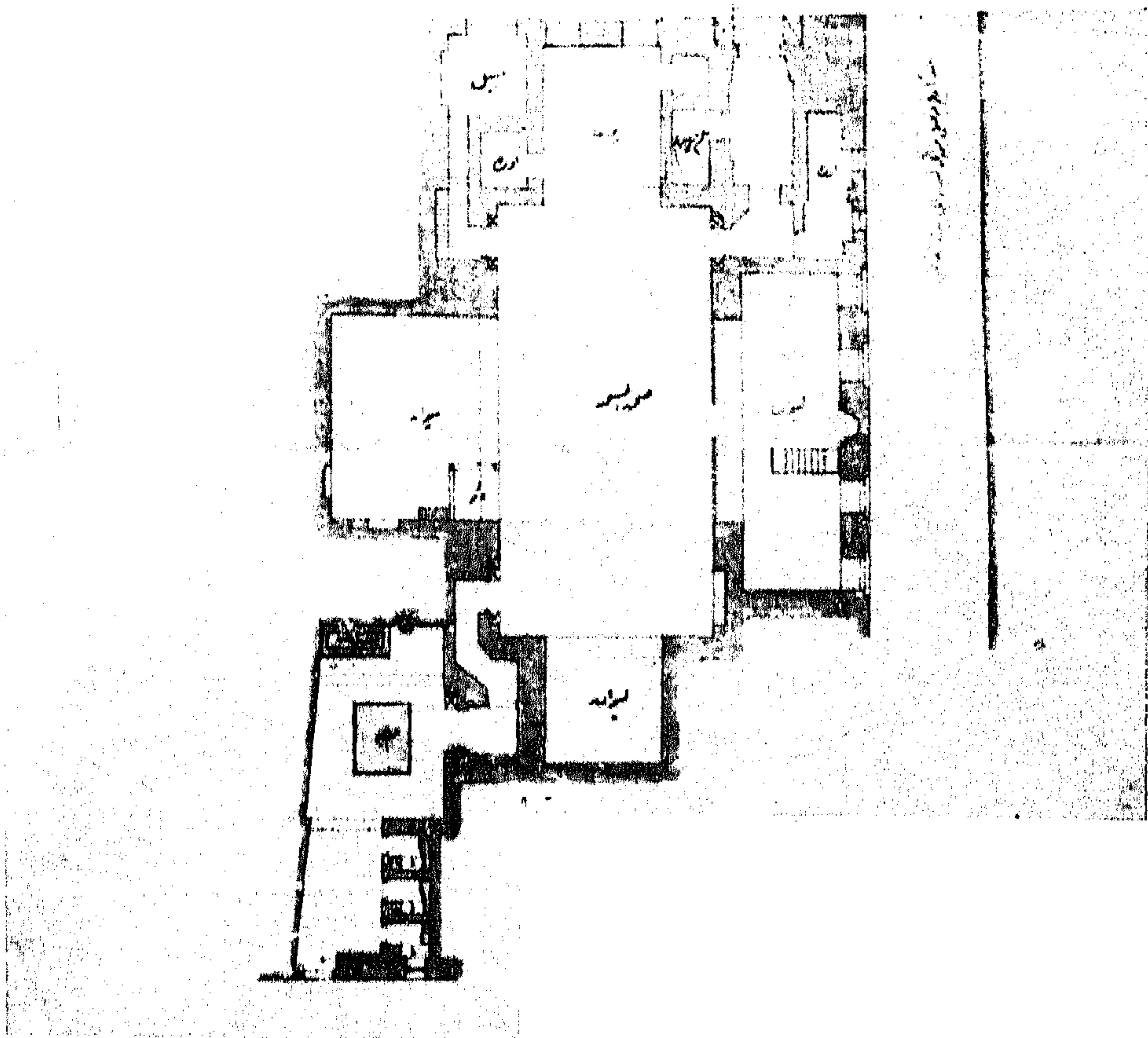
ويؤدي هذا الدهليز إلى صحن مربع تقريبا إذ يبلغ طول ضلعه (١٤ر٥) مترا تقريبا يحتوى ضلعه الشمالى على مئذنة وحاصلين مساحة أحدهما ٢٦٠ × ٢٣٠ م والآخر مساحته ٢٧٠ × ٢ م وبالجبهة الجنوبية بقايا مسكن شيخ الخانقاه وهذه البقايا أصبحت فى يومنا هذا أشبه بحواصل ثلاثة سقوفها مقببة بالطوب يبلغ مساحة أحدها ٢٢٥ × ٢ م ومساحة كل من الآخرين متساوية فكل منهما على هيئة مربع طول كل ضلع من أضلاعه ٢٢٥ مترا . وفى الضلع الشرقى للصحن يوجد ايوان القبلة للخانقاه وهو عبارة عن مستطيل طوله ٧ر٩٠ م وعرضه ٧ م ، بصدرة محراب اتساع حنيته ١٤٠ م وعمقها ٦٠ رم طاقيته على هيئة عقد نصف دائرى ويكتنف المحراب عمودان مستديران وخزانتان للمكتب اتساع كل منهما ١٤٠ م .

وبالواجهة الشمالية للايوان نافذة مستطيلة تطل على الضريح اتساع فتحتها ١٣٠ متر وعمقها ١٠ م وكان بالجانب الجنوبى للايوان فتحة باب تفضى إلى مسكن شيخ الخانقاه سدت كلية بالبناء وسقف الايوان مستو تغطيه ألواح وعروق حديثة .

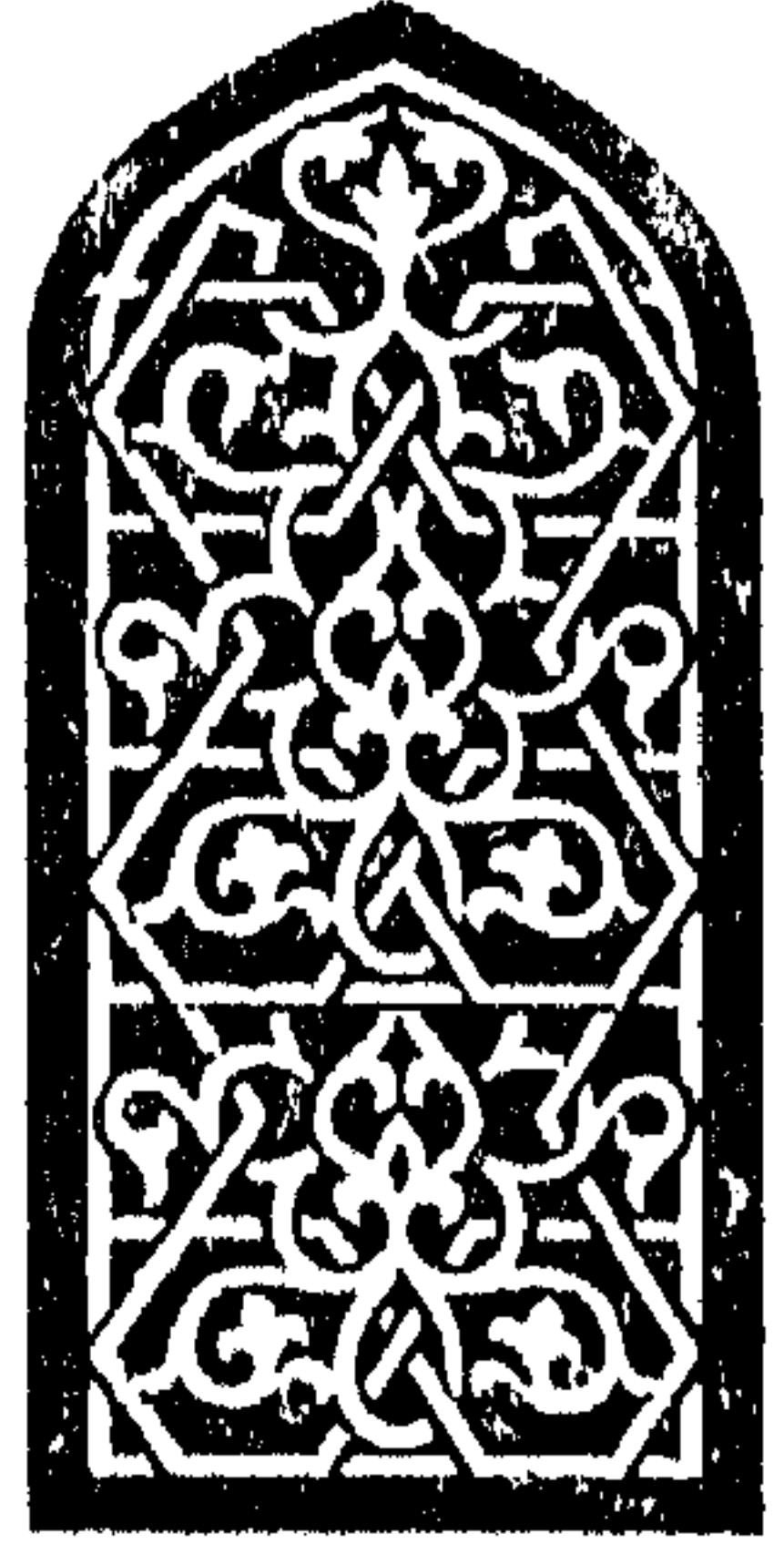
وكانت مساكن صوفية الخانقاه البالغ عددها عشرين من طلبة الحنفية ، وقد اندثرت تلك المساكن وكان موضعها خاف جدار ايوان القبلة ، وقد شغل بمنزل حديث مجاور .

القبلة :

وفى الضلع الشرقى للصحن وإلى يسار إيوان القبلة توجد القبلة وهى عبارة عن مربع طول كل ضلع من أضلاعه ٤٣٠ م بصدرة محراب مبنى بالطوب وخلو من كل زخرف ، واتساع حنيته حوالى ١ م عمقها ٥٠ رم طاقيته على هيئة عقد مدبب ، ويكتنفه عمودان مثمنان من الرخام . وبالجبهة الشمالية للضريح نافذة من نوفد الواجهة اتساع فتحتها ١٣٠ م وعمقها ١٣٠ م يعلوها قمرية مستطيلة بعقد مدبب مملوءة بزخارف جصية وزجاجية ملونة . ويتوسط القبلة تركيبة رخام بأربعة رموس ويعلو الجدران المربعة منطقة انتقال مكونة من ثلاث حطات فوقها قبة ملساء من الداخل والخارج بيضاوية الشكل فتحت فى رقبتها ست عشرة نافذة عقودها مدببة .



(شكل ١٨) مدرسة جمال الدين الاستادان



الخانقاه المهندارية^(*)

٥٧٢٥ - ١٣٢٤ م

تقع هذه الواجهة الرئيسية في الضلع الشرقى للخانقاه ويبلغ طولها ٢١٧٠ م تضم حنية المدخل الرئيسى ، وخمسة تجاويف ضحلة رأسية مستطيلة ترتفع إلى أعلى جدار الواجهة ثلاثة منها شمال حنية المدخل ، والرابع جنوبه ، يعلو كلا منها دلايات متنوعة متقنة ، وبالتجاويف الأربعة صفان من الفتحات ، وتحتوى السفلية التى تعلو مستوى أرضية الطريق بمدماكين ، باتساعها واستطالتها وموجود على أعتاب وعقود عاتقة ، وقد سد اثنان من تلك الفتحات جزئيا ، أما الصف العلوى منها فيعلو الشريط الكتابى من نوافذ قنديلية تتكون كل منها من فتحة مزدوجة بينها عمود رخام صغير وقد كسيت واجهات تلك الفتحات بالرخام الأبيض المتبادل مع الأسود . أما شريط الكتابة من الجانب الشمالى للواجهة يتجاوزها ليمضى إلى الواجهة ليجتاز حنية المدخل والجانب الجنوبى الشرقى من الواجهة ، والكتابة بالخط النسخى ونصه « بسم الله الرحمن الرحيم آية الكرسي . أمر بإنشاء هذه التربة والمسجد المبارك من خالص ماله مما أفاء الله عليه وطيبه لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة والرغبة فى عمارة بيوت الله وأداء فرضه وتلاوة كتابه ومداومة ذكره العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد المهندار نقيب نقباء الجيوش المنصورية الناصرية إذ يقول تقدس وتعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو

(*) تقع بشارع التبانة بين جامع الماردانى وحارة اليانسية . أنشأها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى المهندار لتكون مدرسة خانقاه .

المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٩٨ - ٤١٧ .

والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب^(١) ، وذلك في شهر المحرم سنة خمس وعشرين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله . ويعلو الواجهة صف من الدلايات فوقها صف من الشرفات الحجرية المزخرفة .

وفي الطرف الجنوبي للواجهة الشرقية يوجد المدخل الرئيسى الذى يعتبر من المداخل الرائعة لاحتوائه على مجموعة من الزخارف المتنوعة المتقنة ، وقد كسيت واجهة المدخل بالحجر والرخام الملون ، ويتقدم المدخل جلستان صغيرتان باعلاهما شريط من الكتابة النسخية نصها : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين^(٢) » ، واتساع المدخل ٢٧٠ م خلفه فتحة باب اتساعها ١٣٠ م وارتفاعها ٢٨٧ م يعلوها عتب تحتوى على صنج مزررة مزخرفة بالرخام الأبيض الملبس بالأسود ، ويعلو العتب عقد عاتق ونافذة مستديرة مغطاة بخشب الخرط ، ويحيط بها اطار بداخله زخارف هندسية قوامها عقود صغيرة متماسة ، ودوائر صغيرة على مسافات متساوية ، ويعلو النافذة المستديرة والشريط الكتابى ، نافذتان مستطيلتان يغطيها خشب الخرط .

وتفضى فتحة باب المدخل إلى مجاز مستطيل أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى وسقفه خشبى مزدان بزخارف هندسية ونباتية محورة . وينتهى المجاز بفتحة مستطيلة اتساعها ١٥٠ م وعمقها ٩٠ م تفضى إلى داخل الخانقاه . وبالجهة الجنوبية للمجاز توجد فتحة ثانية تفضى إلى الباب الثانى للخانقاه الذى يطل على حارة اليانسية .

الصحن :

يتوسط الصحن الخانقاه وهو عبارة عن مستطيل طوله ٧٥٠ م وعرضه ٦ م ، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيرى بالجهة الجنوبية الشرقية ايوان القبلة ومساحته

(١) سورة النور آية ٣٦ - ٣٨ .

(٢) سورة التوبة آية ١٨ .

٨ × ٥ م بالجهة الغربية ايوان الخانقاه الغربى ومساحته ٣٦٠ × ٣١٥ م ، ويكتنفه بابان اتساع فتحة كل منهما ١٠ م يفضى الأيمن إلى مرقى سلم والآخر إلى مرافق الخانقاه وبكل من الجهة الشمالية والجنوبية للصحن ايوان صغير مساحته ٦ × ٣٦٥ م ويغشى الصحن سقف خشبي حديث يتوسطه مربع مكشوف للاضاءة .

ايوان القبلة :

وهو عبارة عن ايوان مستطيل الشكل طوله ٨ م وعرضه ٥ م ، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري . بصدره محراب اتساع حنيته ١٠ م ، وعمقها ٥٠ م ، طاقيتها على هيئة عقد نصف دائرى ويكتنف المحراب عمودان مستديران من الرخام الأبيض لكل منهما تاج بصلى الشكل ، كما يكتنف المحراب نافذتان مستطيلتان بأعلى كل منهما عقد مدبب ، ويبلغ اتساع فتحته ٣٠ م ولكل نافذة مصراعان من الخشب يعلوهما زخارف هندسية قوامها طبق نجمى بعشرة رءوس . ويعلو عقود النافذتين والمحراب ثلاث قمريات مجددة الوسطى مستديرة والجانبيتان مستطيلتان وقد ملئت كلها بزخارف جصية وزجاجية ملونة ومجددة . أما الجهة الشمالية الغربية للايوان التى تطل على الصحن فيتقدمها عمودان من الرخام الأبيض يقسمانها إلى ثلاثة أقسام الجانبيان منها يعلوهما عقدان ذوا زاوية ، اتساع فتحة كل منهما ٦٠ م . أما العقد المتوسط ففتحته مستطيلة اتساعها ٣٣٠ م . وبالجهة الشمالية للايوان باب يفضى إلى ضريح المنشئ ويغشى الايوان سقف خشبي مستو تحته إزار به كتابات نسخية مطموسة .

ويتقدم الايوان الشمالى والجنوبى السابق الإشارة إليهما عمودان من الرخام يعلوهما عقدان (ذوا زاوية) .

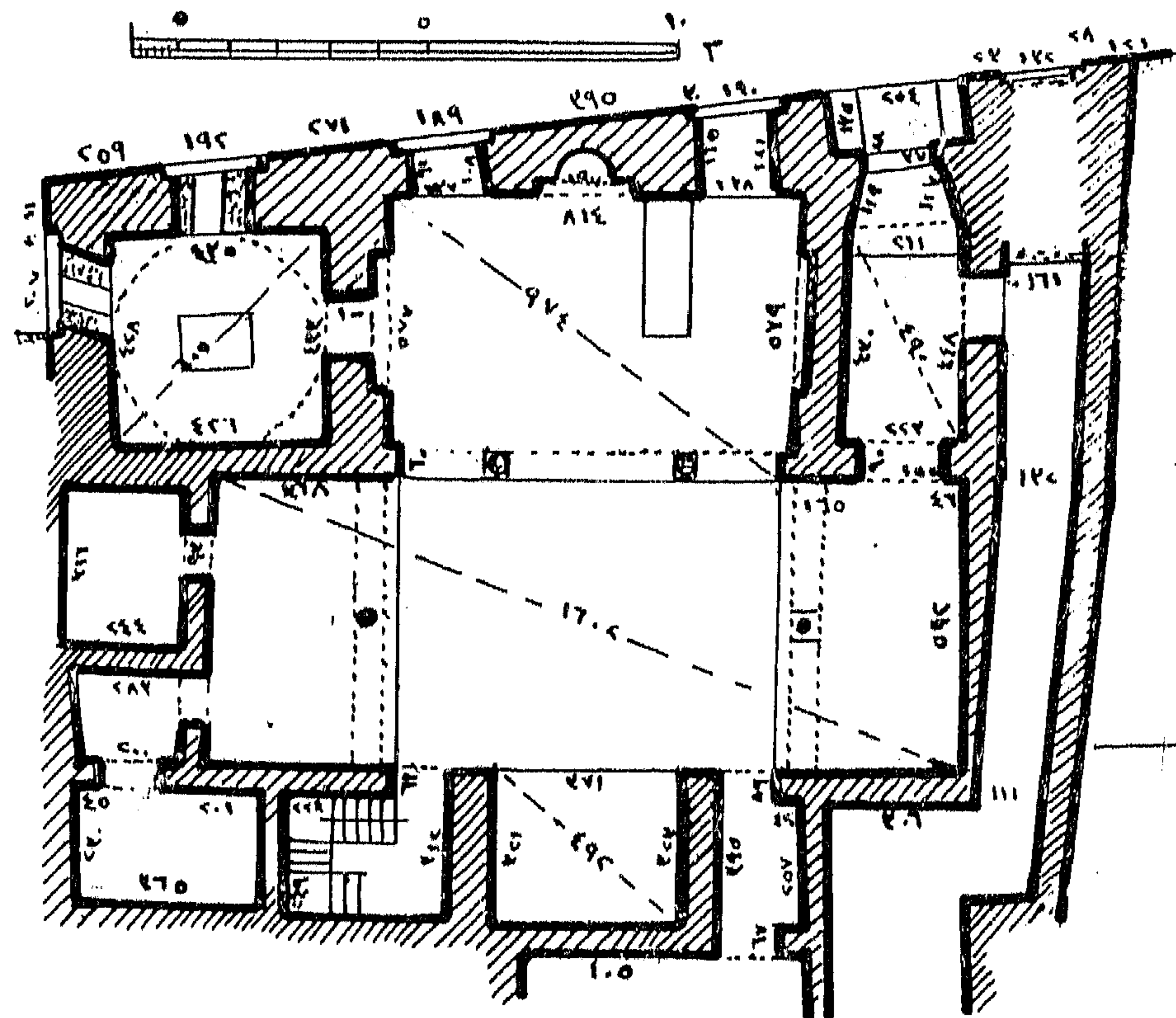
بصدر الايوان الشمالى فتحنا بابين مستطيلتان ، اتساع كل منهما ١٠ م ، تفضى الشرقية إلى حاصل مساحته ٣٢٥ × ٢٥٠ م والغربية إلى حاصلين متداخلين بينهما فتحة باب مشتركة اتساعها ١ م ، ويغشى سقف الايوان والحاصلين ألواح خشبية مستوية حديثة .

أما الايوان الغربى وهو أصغر الإيوانين إذ يبلغ مساحته ٣٦٠ × ٣١٥ م فتوجد على

جانبية فتحتان الشمالية تؤدي إلى الدور العلوى والجنوبية توصل إلى الخلاوى التي اندثر معظمها .

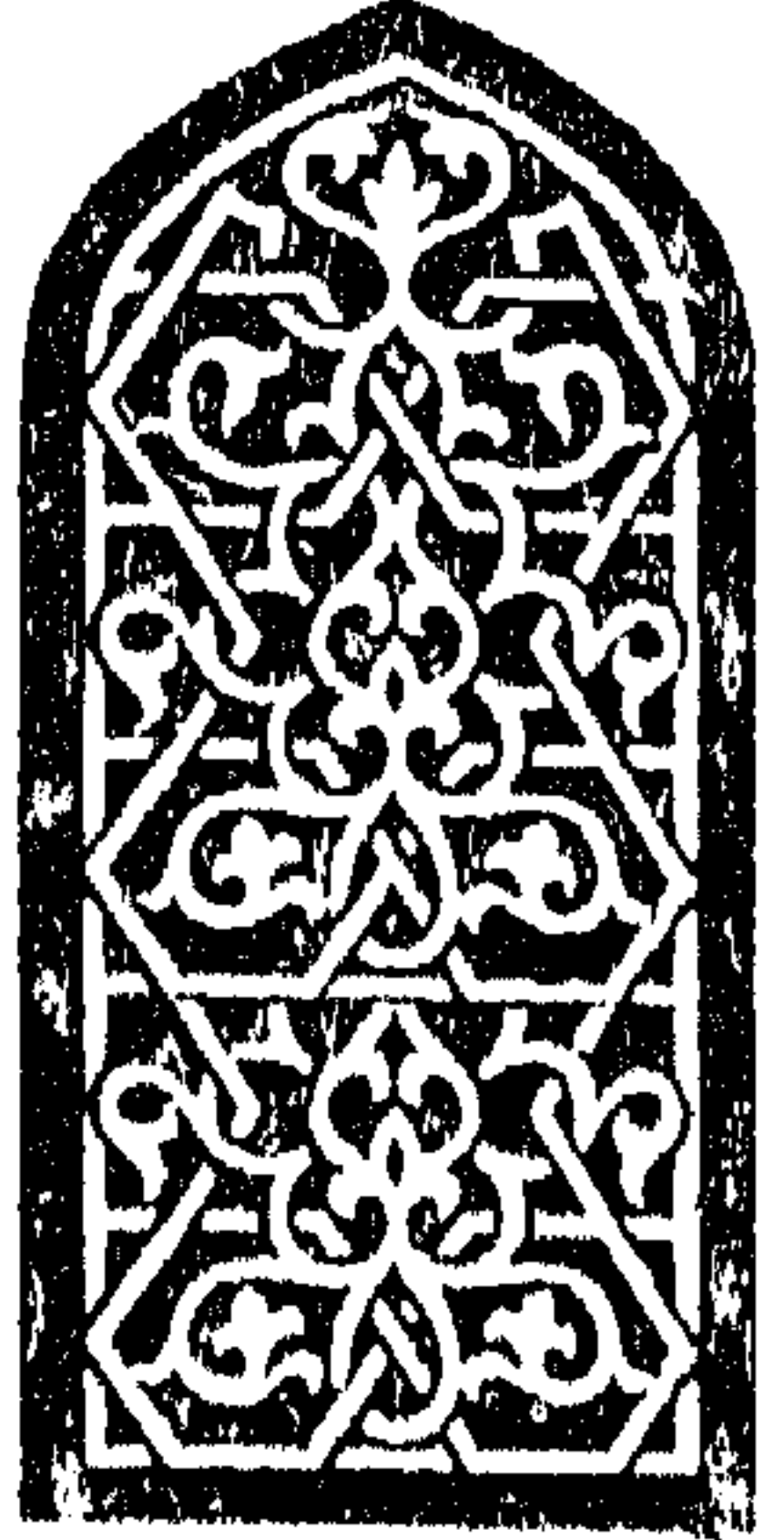
القصة :

يتوصل إليها من فتحة باب الجدار الشمالى لايوان القبلة ، وهى مربعة الشكل طول كل ضلع من أضلاعها ٤٣٠ م ، بكل من الجهة الجنوبية الشرقية والشمالية نافذة مسدودة جزئيا بالبناء تعلوها قمرية شكلها الداخلى يغاير الخارجى ، ومائت بزخارف جصية وزجاجية ملونة ويتوسط القبة تركيبة رخامية بأربعة رعوس تحتوى على زخارف نباتية وكتابات نسخية بأخرف بارزة نصها « بسم الله الرحمن الرحيم . آية الكرسي . كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور^(١) هذا ما أعد فى حياته العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد أمير مهمندار وأمير نقباء الجيوش المنصورة الناصرى وله الجناب المهمندار تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته » . ويعلو أركان مربع القبة فى منطقة انتقال مكونة من ثلاث حطات بينها أربع مجموعات من الفتحات ويعلو منطقة الانتقال قبة مضلعة الشكل من الخارج وفتحت فى رقبته ست عشرة نافذة عقودها ذات زاوية .



(شكل ١٩) مدرسة الأمير
أحمد المهدي

(۱) سورة آل عمران آية ۱۸۵ .



جامع قوصون^{٧٣٠} سنة بشارع القلعة

قوصون الأمير الكبير سيف الدين الناصري حضر من بلاد بركد^(١) إلى مصر صحبة خوند ابنة أذربك زوج الملك الناصر محمد بن قلاوون في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٧٢٠ هـ ومعه قليل عصي وطسم ونحو ذلك مما قيمته خمسمائة^(٢) درهم ليتجر فيه فطاف بذلك في أسواق القاهرة ليبيع ماله واتفق في بعض الأيام أن دخل إلى الاصطبل السلطاني ليبيع ماله فأحبه بعض الاوشاقية فصار يتردد عليهم إلى أن رآه السلطان فوقع منه بموقع فسأل عنه وأمر باحضاره إليه وابتاع منه نفسه ليصير من جملة المماليك السلطانية ونال الحظوة عنده ورقاه في جملة وظائف : من أمير عشرة إلى أمرة طبلخانة ثم أمير مائة : فمقدم ألف . وأحضر أفراد أسرته إلى مصر . وعظم مركزه عند السلطان فتزوج أخته وزوجه ابنته في سنة ٧٢٧ هـ واحتفل بزواجه احتفالا عظيما تبارى الأمراء في تقديم الهدايا فيه حتى بولغ في تقدير قيمتها^(٣) .

ولما احتضر السلطان جعله وصيا على أولاده وعهد لابنه أبي بكر فأقيم في الملك من بعده وأخذ قوصون في أسباب السلطنة ونخلع أبا بكر المنصور بعد شهرين وأخرجه إلى مدينة قوص ببلاد الصعيد ثم قتله وأقام كجك ابن السلطان وله من العمر خمس سنين وأقبه بالملك الأشرف وتقلد نيابة السلطنة بديار مصر ، فأمر من حاشيته وأقاربه ستين أميرا

(١) بركد : من قرى بخارى (معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤٩) .

(٢) المقریزی : الخطط : ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٣) المقریزی : ج ٢ ص ٧٢ ، ٣٠٧ - المنهل الصافي ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٥٧ .

وأكثر من العطاء وبذل الأموال والأنعام فصار أمر الدولة كله بيده . هذا وأحمد ابن السلطان الملك الناصر مقيم بمدينة الكرك ، فخافه قوصون وأخذ في التدبير عليه ، فلم يتم له ما أراد من ذلك وحرك على نفسه ما كان ساكناً فطلب أحمد الملك لنفسه وكاتب الأمراء والنواب بالمملكة الشامية والمصرية فاذعنوا له وكان بمصر من الأمراء الأمير أيديغمش والأمير آل ملك وقارى والماردانى وغيرهم فتخيل قوصون منهم وأخذ في أسباب القبض عليهم ، فعلموا بذلك فركبوا لحربه وحصروه بقلعة الجبل حتى قبضوا عليه في ليلة الأربعاء آخر شهر رجب سنة ٧٤٢ هـ ونهبت داره وسائر دور حواشيه وحمل إلى الاسكندرية صحبة الأمير قبلاى فقتل بها .

هذا الجامع (بشارع القلعة) خارج باب زويلة ، ابتداء عمارته الأمير قوصون في سنة ثلاثين وسبعمائة وكان موضعه دارا بجوار حارة المصامدة^(١) من جانبها الغربى تعرف بدار أقوش نيله ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين قتال السبع الموصلى فأخذها من ولده وهدمها وتولى بناءه شاد العمائر واستعمل فيه الأسرى . وأول خطبة أقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٧٣٠ هـ^(٢) وخطب يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى بحضور السلطان .

وعقب فتح شارع محمد على وضع المغفور له على باشا مبارك تصميماً لتجديده شرعت وزارة الأوقاف فى تنفيذه ولم تتم عمارته إلا فى عصر الخديو عباس حلمى الثانى سنة ١٨٩٣ م . والمسجد مبنى بالحجر من الداخل والخارج ويتكون من أربعة أيوانات يتوسطها صحن مغطى بقبة من الخشب منقوشة كما يعلو المحراب قبة .

أما المحراب فمزخرف بالبوية الملونة ، يجاوره مبنى من الخشب المجمع بأشكال هندسية وفى الأيوان الغربى دكة المبلغ وهى من الرخام . غير أن تصميمه وتفصيله المعمارية لا تمت من الناحية الفنية بأية صلة إلى الجامع القديم .

لم يبق من المسجد القديم إلا الباب البحرى ، وهو مع ضخامته تسوده البساطة

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٠٧ .

تجاوره بقايا الزخارف والشبابيك الجصية التي تلاصق المسجد الجديد من بحريه ، ولعلها جزء من الايوان الشرقى للجامع القديم . وتدل هذه الزخارف على أن الزخارف الجصية كانت شائعة في المسجد القديم . كما أن الافريز الزخرفى الذى كان يحيط بجدران الجامع أسفل الشبابيك لانظير له . وقد تنوعت أشكال الشبابيك كما تنوعت زخارفها ، وعقودها المدببة مرتكزة على عمد رشيقة ، وبتواشيحها زخارف موزقة ، كما أحيط بعضها بكتابات . كذلك بقى أحد أبواب المسجد وهذا الباب بشارع السروجية يتوصل منه إلى حارة خلف المسجد الجديد ، توصل إلى شارع محمد على ، تعرف بعطفة المحكمة . وهو من الأبواب الفخمة ، مبنى بالحجر وأعتابه مكسوّة بالرخام الملون ، وينتهى أعلاه بمقرنصات ذات دلايات ظريفة ، ومكتوب على جانبيه مانصه : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك بكرم الله تعالى الفقير إلى الله تعالى قوصون الساقى الملكى الناصرى فى أيام مولانا السلطان الملك الناصر أعز الله أنصاره وذلك فى سنة ثلاثين وسبعمائة » .

وعلى الكتف الأيسر للباب مزولة عليها بالخط الكوفى « عمل أحمد الحريرى عام خمسة وثمانين وسبعمائة » .

وكان مركبا على هذا الباب مصراعان مغشيان بالنحاس أودعا دار الآثار العربية ، كما كان يعلوه احدى منارتى الجامع .

ونشر (فان برشم) كتابة تاريخية أخرى نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله - الآية - أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى السيوفى قوصون الملكى الناصرى فى أيام السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون وذلك فى شهور سنة ثلاثين وسبعمائة من الهجرة » .

هذه هى المخلقات القديمة من جامع قوصون وهى لاتلقى ضوءا جديدا عليه بل تزيد أمره تعقيدا ، فإن المسافة بين هذا الباب وبين البقايا الزخرفية بحرى الجامع الجديد كبيرة جدا . ولا شك أن الجامع كان كبيرا كما وصفه ابن حجر العسقلانى وعلى ذلك يكون هذا الباب موصلا إلى ملحقات حول المسجد ، مما يرجح أن الأمير قوصون لم ينشئ

الجامع في هذه المنطقة فقط بل أنشأ حوله منشآت أخرى داخلة في حدوده لم يتعرض
لذكرها واشتماله على منارتين يعزز أنه كان مسجدا كبيرا . فقد ألفنا أن نرى المساجد
ذات المنارتين كبيرة جدا مثل مساجد الحاكم والسلطان حسن والسلطان برقوق بالصحرَاء
والمؤيد .

ويقول المقرئزي : إن المعمارى الذى قام ببناء منارتى الجامع فارسى^(١) قدم من مدينة
تبريز فبنى المئذنتين على مثال المئذنة التى عملها خوجا على شاه وزير السلطان أبى سعيد
في جامعهم بمدينة توريز من بلاد فارس .

وقد ذكر الجبرتي^(٢) أنه في آخر شعبان سنة ١٢١٥ هـ ١٨٠١ م سقطت منارة جامع
قوصون ، سقط نصفها الأعلى فهدم جانبها من بوائك الجامع ونصفها الأسفل مال على
الأمكان المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الاغوات ويرجح الجبرتي أن السبب في سقوط
هذه المئذنة يرجع إلى مدافع الفرنسيين عندما قصفوا مدينة القاهرة في ثورة القاهرة الأولى
ويكمل على مبارك^(٣) قصة المنارة فيقول أن بقية المنارة قد اندثر عند فتح شارع محمد على
سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣) م .

ومن أعظم منشآت قوصون القصر الذى يقع بجوار مدرسة السلطان حسن وله بابان ،
باب من الشارع بجوار حجرة البقر وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذى يتوصل منه إلى
الاصطبل السلطاني وقلعة الجبل ، أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجمقदार فأخذه منه
الأمير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال فزاد فيه قوصون اصطبل الأمير
سنقر الطويل وأمره الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الاصطبل فبنى فيه كثيرا
وأدخل فيه عدة عمائر ما بين دور اصطبلات فجاء قصرا^(٤) عظيمًا إلى الغاية وسكنه الأمير
قوصون مدة حياة الملك الناصر . فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه الملك المنصور أبوبكر
عمل عليه قوصون وخلعه وأقام بعده الملك الأشرف كجك ابن الملك الناصر محمد .

(١) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) الجبرتي : ج ٣ ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٣) الخطط الجديدة ج ٥ ص ٨٨ .

(٤) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٧٢ .

وفي سنة ٧٤٢ هـ قامت فتنة بين الأمير قوصون وبين الأمراء وكبيرهم ايدغمش فنأدى ايدغمش^(١) في العامة « يا كسابه عليكم باصطبل قوصون انهيه » هذا بينما كان قوصون محصورا بقلعة الجبل فأقبلت العامة والغلمان والعجند وانتهبوا ما كان بالاصطبل وحواصله وكسروا باب القصر بالفشوس وصعدوا إليه بعد أن تسلقوا إلى القصر من خارجه فأثت النهاية على جميع ما في الاصطبل من الخيل والسروج وحواصل المال وما كان بالقصر من الأواني الذهبية والفضية على مالا يحصى ولا يعد كثره^(٢) .

ومن منشآت قوصون الهامة كذلك جامع آخر بالقرافة وقد ذكره المقرئزي^(٣) في خططه فقال أنه داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون أنشأه الأمير سيف الدين قوصون وعمّر بجانبه حماما فعمرت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخانقاه والجامع ويحدد محمد رمزي مكان الجامع والخانقاه فيقول أن هذا الجامع يقع خارج باب القرافة تجاه خانقاه قوصون وليس داخل باب القرافة كما ذكر المقرئزي ، وبما أن هذا الجامع يقع تجاه خانقاه قوصون وأن هذه الخانقاه لاتزال بعض آثارها قائمة ، ويقع تجاهها الآن الجامع المعروف بجامع المسيحية ، لذلك فمن المرجح أن جامع المسيحية هو بذاته جامع قوصون الذي جده مسيح باشا والى مصر سنة ٩٨٤ هـ فنسب إليه . كما يعرف أيضا بجامع القرافي نسبة إلى الشيخ نور الدين على القرافي المدفون فيه ، وهو خارج باب القرافة بقسم الخليفة .

وتقع الخانقاه التي ذكرها المقرئزي^(٤) في شمال القرافة مما يلي القلعة تجاه جامع قوصون السابق ذكره ، أنشأها الأمير سيف الدين قوصون الساقى وكملت عمارتها سنة ٧٣٦ هـ وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية ورتب لهم الطعام والخبز والصابون والزيت وسائر ما يحتاج إليه وجعل مشيختها للشيخ شمس الدين أبى الثناء محمود بن أبى القاسم أحمد الاصفهاني ورتب له معلوما سنويا من الدراهم وسائر ما يحتاج إليه حتى جامكية غلام بغلته واستقر ذلك الوقف من بعده لكل من ولى المشيخة وما زالت على ذلك إلى أن كانت المحن في سنة

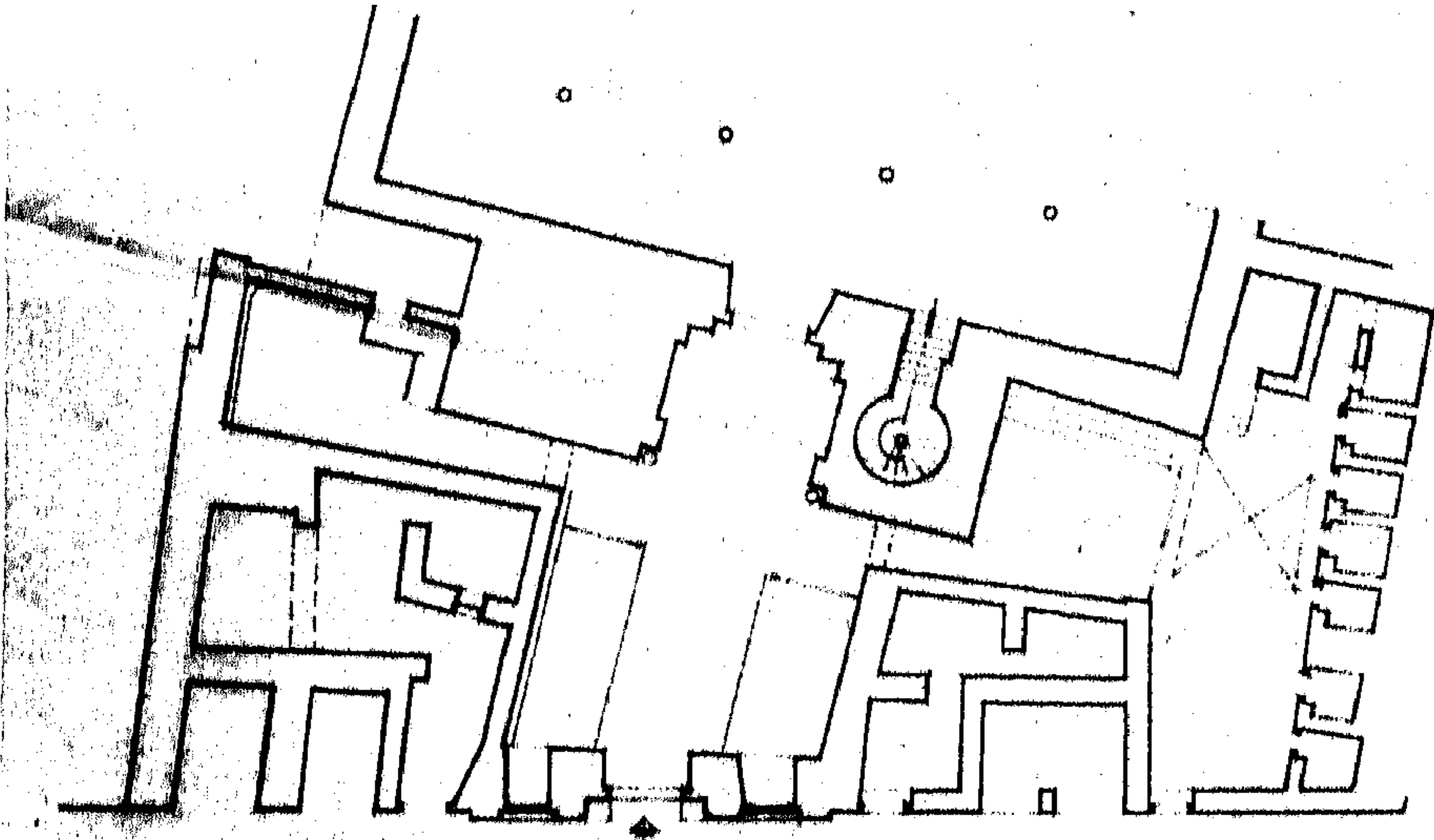
(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٤١ .

(٢) المقرئزي : الخطط ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) الخطط ج ٣ ص ٣٢٥ .

(٤) الخطط : ج ٢ ص ٤٢٥ .

ست وثمانمائة فبطل الطعام والخبز وصار يصرف لمستحقيهما مال من نقد مصر وتلاشى أمرها بعد ما كانت من أعظم جهات البر وأكثرها نفعا وخيرا . ويحدد موقعها محمد رمزي^(١) الآن فيقول : أن هذه الخانقاة قد خربت ولم يبق منها إلا القبة والمنارة المعروفة بالمنارة الكبيرة أو الوسطى الواقعة غربى مقام الشيخ جلال الدين السيوطى بشارع جلال الدين السيوطى خارج باب القرافة بقسم الخليفة . ومن آثاره الباقية أيضا وكالة بشارع باب النصر كان ينزل بها التجار الشوام الذين يبيعون النقل فى شهر رمضان .



(شكل ٢٠) جامع الأمير بشتناك (فاضل باشا خاليا)

(١) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٠٧ حاشية .

الوصف المعماري

يقع هذا الجامع بشارع القلعة (محمد علي سابقا) ، وقد حل محل دار الأمير آقوش نيلة التي عرفت فيما بعد باسم دار الأمير جمال الدين قتال السباع الموصلى ، فأخذها الأمير قوصون وهدمها وأنشأ مكانها جامع هذا .

ويتكون الجامع من مربع^(١) كبير يتوسطه صحن تحيط به الأروقة من جميع الجهات كما يقول (دافين) وقد اندثرت جميع الأروقة ولم يبق منها غير ايوان القبلة . وقد كانت بوائك ايوان القبلة من أعمدة رخامية تحمل عقودا مدببة ممتدة (Stilted) ويتصدر ايوان القبلة محراب زخرف بفسيفساء رخامية (خردة) وتعلوه قبة جميلة التصميم فقد ملئت منطقة الانتقال بها بثلاث حطات من الدلايات الجميلة المنظر والدقيقة الصنع .

وفي أعلى جدار الايوان فتحت مجموعة من النوافذ ملئت بالزخارف الجصية الجميلة المعشقة بالزجاج الملون . وإلى جانب المحراب كان يوجد منبر من الخشب الجيد ، صنعت جوانبه (ريشته) بطريقة الحشوات المجمع على هيئة (أطباق نجمية) مطعمة بالعاج والصدف والابنوس . ويذكر حسن عبد الوهاب أن زخارف المنبر تشبه إلى حد كبير منبر جامع الصالح طلائع بقوص . كما كان الجامع يحتوى على كرسيين للقرآن وكذا مقصورة من الخشب الخراط الكبير .

وكان المسجد يضاء بمجموعة كبيرة من القناديل والتنانير المعدنية وكذا المشكيات الزجاجية الموهة بالمينا . وما يزال متحف الفن الإسلامى يحتفظ بتنور من جامع قوصون مصنوع من النحاس الأصفر المخرم ومكون من شكل متعدد الأضلاع تبلغ اثني عشر ضلعا ويحتوى على أربع طبقات تحمل أربعة صفوف من المسارج والشموع . وقد زخرف التنور

Prisse d'Avennues : L'Art Arabe dans les monument du Kaire (Paris 1873).

(١)

برسوم هندسية قوامها الطبق النجمي ، صنعه بدر بن أبي يعلا الذي يقال إنه أتمه في مدة أربعة عشر يوما .

وقد اندثر معظم أجزاء جامع قوصون ولم يبق منه إلى اليوم إلا الأجزاء الآتية : -
بوابته الشرقية التي تقع في شارع السروجية وقد نقش عليها اسم المنشئ وكذا تاريخ الانشاء سنة ٧٣٠ هـ . كذلك لاتزال بقايا الباب الذي يقع في الضلع الشمالى الذى يقع في درب الاغوات . كما يحتفظ الجدار الشمالى بنوافذ ملئت بزخارف جصية جميلة أما باقى مباني الجامع الحالى فكلها جديدة .

ويذكر محمد رمزى أن الجامع الحالى يشغل مكان الجامع القديم بحدوده بعد أن أخذ منه عند فتح شارع محمد على ، وأن بوابته الشرقية التى بشارع السروجية لم تكن واقعة ضمن حوائط الجامع الأصيلى . بل كانت بعيدة عنه بمسافة ثمانين مترا ، كما هى الآن وكان الغرض من انشائها هو تقريب طريق الجامع لسكان الشارع الأعظم وتسهيل وصولهم إليه أوقات الصلاة ، وكانت هذه البوابة على رأس دهليز يوصل إلى الجامع ، وهذا الدهليز مكانه اليوم عطفة المحكمة الموصلة بين شارع السروجية وشارع القلعة (محمد على) .



جامع الفخر (قايتباي)

بمنيل الروضة

يقع هذا الجامع في شالي قرية كفر^(١) قايتباي بجزيرة الروضة ، وتعرف الآن هذه باسم منيل الروضة بجزيرة الروضة . وكان الجامع يعرف قبل ذلك باسم جامع الفخر نسبة إلى منشئه الأول الأمير فخر الدين محمد بن فضل .

ويترجم المقرئ للمؤرخ فخر فيقول : للمؤرخ فخر الدين ثلاثة جوامع في ثلاثة مواضع في بولاق خارج القاهرة وفي الروضة تجاه مدينة مصر وفي جزيرة الفيل على النيل ما بين بولاق ومنية السيرج (شبرا الآن) .

ويتحدث عن الفخر فيقول : والفخر هذا هو محمد بن فضل الله القاضي فخر الدين ناظر الجيوش المعروف بالفخر . وكان الفخر نصرانيا متعصبا يصل به تعصبه هذا إلى حد التآله . ثم أكره على الإسلام فامتنع وَهَمَّ بقتل نفسه وتغيب مدة عن الناس ، ثم ظهر وأعلن إسلامه . ويضيف المقرئ فيقول : وقد حسن إسلامه وابتعد عن النصارى ، ولم يقرب أحدا منهم وحج غير مرة .

ويتحدث المقرئ عن كرمه وفضله في آخر أيام حياته ويسهب في وصف مظاهر بلخه فيقول : وتصدق في آخر عمره فكان يتصدق في كل شهر بثلاثة آلاف درهم (نقرة) وقد بنى عدة مساجد بديار مصر وأنشأ عدة أحواض ماء للسبيل في الطرقات وبني مارستانا

(١) تحفة الأسياب ص ١٥٦

(مستشفى) بمدينة الرملة ومارستانا بمدينة بلبيس وفعل أنواعا من الخير . وكان إذا خدمه أحد سرة واحدة صار صاحبه طول عمره . وكان كثير الاحسان لا يزال في قضاء حوائج الناس مع عصبية شديدة لأصحابه وانتفع به خلق كثير لوجهته عند السلطان واقدامه عليه بحيث لم يكن لأحد من أمراء الدولة عند الملك الناصر محمد بن قلاوون ماله من الاقدام .

ومما يذكر عن حرصه على أموال الدولة هذه القصة التي يرويها ابن اياس^(١) إذ يقول : قال السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، مرة لعجندى طلب منه اقطاعا : ولا يمكن أن تطول شيئا ، والله لو أنك ابن قلاوون ما أعطاك القاضي فخر الدين حيزا يغل أكثر من ثلاثة آلاف درهم .

ويقص علينا المقرئى الكثير من القصص التي تدل على سرعة بديته وحبه الفكاهة والنكتة المستملحة فيقول على سبيل المثال : قال له السلطان في يوم من الأيام وهو بدار العدل يا فخر الدين تلك القضية طلعت فاشوش ، فقال له الفخر : ما قلت لك أنها عجوز نحس . تعريضا ببنت كوكاي زوجة السلطان ، التي ادعت أنها حبلى .

وكان فخر الدين في أول عهده في سلك الوظائف السلطانية ، كاتب الممالك السلطانية ثم ارتقى من الكتابة إلى نظارة الجيش ، ونال من الواجهة والعضوة لدى السلطان ما لم ينله غيره في زمانه ، وقد جرت عليه محبة السلطان له وخطوته لديه كثيرا من المصائب كما أدت إلى غيرة وحسد وكراهة الكثيرين له وعلى رأسهم نائب السلطنة الأمير أرغون ، الذى وصل في كرهه له أنه إذا جلس للحكم يعرض عنه ويدير كتفه إلى وجه الفخر لذلك فقد أخذ الفخر في تدبير الحيل للتخلص من أرغون قبل أن يقضى هو عليه ، ولذلك نجد أن الفخر انتهاز فرصة سفر أرغون للحج وانفرد بالسلطان فقال له : يا خوند ما يقتل الملوك إلا النواب فمثلا بيدرا قتل أخاك الملك الأشرف خليل ولاجين قتل بسبب نائبه منكوتر . وهنا يعلق المقرئى على هذه الرواية فيقول : ونحيل للسلطان أن الدور سيأتى عليه ويغتاله نائبه الأمير أرغون ، ولذلك أمر بمسير الأمير أرغون من طريق الحجاز إلى

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور .

نيابة حاب . وقد حسن الفخر للسلطان ألا يستوزر أحدًا بعد الأمير الجمالى ، فلم يول أحدًا بعده الوزارة وصارت المملكة كلها من أحوال الجيوش وأمور الأموال وغيرها متعلقة بالفخر . على أن دوام الحال من المحال فسرعان ما قلب له السلطان ظهر المجن وغضب عليه ونكبه وصادر أمواله التى بلغت أربعمائة ألف درهم نقرة (جيدة) وولى بدله الشيخ قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ، ثم عاد فرضى عنه السلطان وأمر بإعادة ما أخذ منه من المال ولكن الفخر رفض وامتنع من أخذ المال ، وقال : أنا خرجت عنها السلطان فليبن بها جامعًا وفعلا بنى السلطان بأموال الأمير فخر الدين الجامع الناصرى الذى كان يعرف فى القرن الخامس عشر الميلادى باسم الجامع الجديد خارج مدينة مصر بموردة الخلفاء .

أما عن حياة الفخر الخاصة ، فيقول المقرئى أنه كان ورعًا تقيًا متعصبًا للإسلام كما كان للنصرانية قبل إسلامه ، وكان حنفى المذهب زار القدس عدة مرات وأحرم مرة من القدس بالحج وسار إلى مكة محرما . ويقول ابن اياس : أنه زار مرة القدس وعبر كنيسة القيامة فسمع وهو يقول عندما رأى الضوء بها « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » وقد باشر الفخر أعماله فى آخر أيامه كما يقول المقرئى بغير معلوم (راتب) وكان لا يأخذ من ديوان السلطان معلومًا سوى (كساجه) ويقول أتبرك بها .

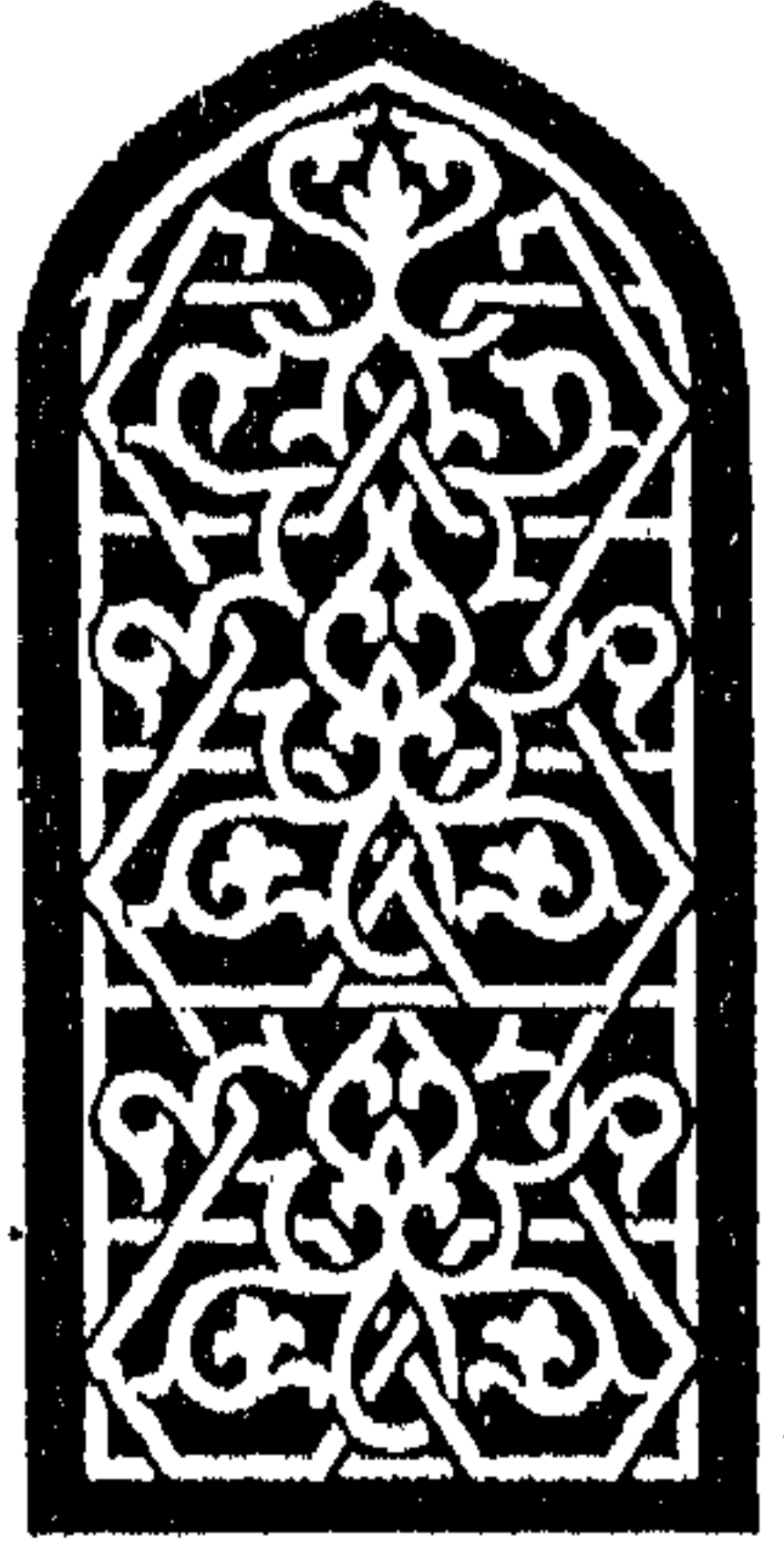
ولم تقتصر أعمال الفخر على المنشآت الدينية والخيرية فحسب بل تعداها إلى المنشآت المدنية فإليه تنسب قنطرة الفخر التى هى فم الخليج الناصرى المجاور لميدان السلطان بمورده الحبس وقنطرة الفخر الثانية على الخليج المجاور للخليج الناصرى

وتوفى الفخر فى الرابع عشر من رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وله من العمر ما ينيف على سبعين سنة ، ويضيف المقرئى فيقول : وترك موجودًا عظيمًا للغاية حتى أن السلطان قال : لعنه الله خمس عشرة سنة ما يدعى أعمل ما أريد ، وأوصى السلطان بمبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة فقط ، فأجد تركته فى النهاية أكثر من ألف ألف درهم نقرة . ويعقب المقرئى بعد ذلك فيقول : وأدركت ولده فقيرًا يتكفف الناس بعد مال لا يحد كثره . وقد أجمع المؤرخون أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعد موت الفخر تسلط على الناس وأخذ أموالهم بعد أن كانوا يعيشون فى أمن وعدل واطمئنان فى عهد الفخر .

وصف الجامع

لما تخرب جامع الفخر في أوائل القرن التاسع الهجري جده الشيخ شمس الدين المقسي ولازم الجلوس فيه ولما توفي دفن به فعرف منذ ذلك الحين باسم الجامع المقسي وفي أواخر القرن التاسع عشر كانت حالة الجامع سيئة فأمر بتجديده السلطان الملك الأشرف قايتباي والذي عرفت المنطقة باسمه (قرية كفر قايتباي) وكان ذلك سنة ٨٨٦ واستمرت عملية التجديد حتى سنة ٨٩١ ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الجامع يعرف باسم جامع قايتباي .

ويحدثنا الجبرتي أنه قد حدث حريق كبير في هذا الجامع وذلك سنة ١٢١٦ هـ .



جامع الطبّاخ

بشارع الصنافيرى بعابدين

يقع جامع الطبّاخ بشارع الصنافيرى بقسم عابدين ، وقد عرف الشارع بهذا الاسم نسبة لوجود ضريح الشيخ إسماعيل الصنافيرى والوكالة الموقوفة عليه به . وكان شارع الصنافيرى يعرف قبل دفن الشيخ إسماعيل باسم شارع باب اللوق لأنّه كان يبدأ من ميدان باب اللوق ، ويقول المقريزى أن هذا الميدان كان بستاناً يعرف ببستان الشريف بن تلعب ، فاشتراه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بثلاثة آلاف دينار مصرية سنة ٦٤٣ هـ وجعله ميداناً وأنشأ فيه مناظر جليلة تشرف على النيل . وصار السلطان يركب إليه ويلعب فيه بالكرة وقد أنشئت على الخليج الذى يقع شرق ميدان باب اللوق قنطرة عرفت باسم قنطرة الخرق للعبور عليها إلى الميدان ، وكان موضعها قبل إنشائها مورد سقائى القاهرة . وما برح هذا الميدان تلعب فيه الملوك بالكرة بعد الملك الصالح إلى أن انحسر ماء النيل من تجاهه وبعد عنه ، فأنشأ الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ميداناً بطرف أراضى اللوق من جهتها الغربية ويشرف على النيل ، ويقول المقريزى ، وموضعه قنطرة قدادار (مكانها الآن مبنى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .

ويقول المقريزى « جامع الطبّاخ مسجد قديم أنشأه الأمير جمال الدين آقوش وجدده الحاج على الطبّاخ ، وكان الأمير جمال الدين آقوش يتولى نيابة الكرك فى عهد السلطان الناصر محمد ، وكان السلطان يثق به ويطمئن إليه ولذلك فإنه عندما فكر فى ترك السلطنة لبيبرس جاشنكير لم يجد غير الكرك للاعتكاف بها ومن هناك أرسل خطاب تخليه عن كرسى

السلطنة ولما عاد الناصر محمد إلى السلطنة للمرة الثانية ندب الأمير جمال الدين آقوش لبيع تركة بيبرس وإحضار نصف ما يتحصل للسلطان ، ودفع النصف الآخر لابنة بيبرس فإنه لم يترك سواها . وفي سنة ٧١١ هـ عين الأمير جمال الدين آقوش في نيابة دمشق وخلع عليه في مستهل جمادى الآخرة ، فقدمها في رابع عشر ، وفي سنة ٧١٥ هـ أنعم عليه باقطاع الأمير حسام الدين لاجين استادارا بعد موته .

ولما استقر الأمير جمال الدين آقوش بمصر أقام مجموعة من العماثر ، منها قاعة - بالمارستان (المستشفى) المنصوري (بحى الصاغة) كما نحت جدران المارستان والمدرسة المنصورية من الداخل والخارج وجدد الزخارف المذهبة في مباني المنصور قلاوون كلها . ويضيف المقرئ فيقول : وعمل آقوش خيمة يزيد طولها على مائة ذراع وركبها لتستر على مقاعد الأقباص (التى توضع عليها الحلى والمجوهرات) وتستر أهلها من الحر (أى أهل حى الصاغة) . كما أقام مسجداً في ميدان اللوق (الذى عرف فيما بعد بالطباخ) وكان مصروف ذلك كله من ماله . دون مال الوقف . وقد ذكر لنا المقرئ في كتابه السلوك بعض ما قام به الأمير آقوش من أعمال مما يعطينا فكرة عن مدى ثرائه ، وعن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والمادية في عصره ، فيقول : « جمع آقوش القضاة والفقهاء بسبب عمل منبر بالمدرسة الصالحية (التى حلت محل جزء من الضلع الغربى للمقصر الفاطمى الشرقى الكبير) بين القصرين بالقاهرة لإقامة الجمعة بها ، فأفتوه بجواز ذلك . فرتب خطيباً قرر له في كل شهر خمسين درهما ، ورتب ستة نفر مؤذنين لكل واحد عشرة دراهم في كل شهر ولقارئ القرآن مبلغاً سماه . وجعل آقوش المعالم المذكورة من عقار وقفه على ذلك » ويضيف - المقرئ ، « وفي هذا الشهر تصدق الأمير المذكور بنحو ثلاثة آلاف أردب من الغلال » .

وقد ساءت العلاقة بين السلطان وبين الأمير جمال الدين آقوش في آخر أيامه وذلك نتيجة للوشايات والوقيعات التى كان يدس بها حساده مما أوغر صدر السلطان عليه وأمر بزجه في سجن الاسكندرية حيث توفى سنة ٧٣٦ هـ .

ولما تهدم مسجد الأمير آقوش جدد بناءه الحاج على الطباخ الذى كان يعمل طبائخاً لدى قصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وقد نشأ على الطباخ بمصر وخدم الملك الناصر

محمد مدة عزله عن السلطنة في مدينة الكرك ، فلما قدم إلى مصر جاءه خوان سلار (أى المشرف على مائدة السلطان) وسلمه المطبخ السلطاني ، فكثر ماله لطول مدته وكثرة تمكنه ولم يتفق لأحد من نظرائه ما اتفق له من السعادة الطائلة . ويعمل المقريزي السبب في ثراء الطباخ بالأسباب التالية « وذلك أن الأفراح وما كان يصنع من المهمات (الولائم) والأعراس ونحوها مما كان يعمل في الدور السلطانية وعند الأمراء والمماليك ، مع كثرة ذلك في طول تلك الأعوام كانت كلها إنما يتولى أمرها هو بمفرده .

ويقص علينا المقريزي في كتابه المخطط والآثار قصة طريفة تبين لنا مقدار ما كان يحصل عليه الطباخ من الأتعاب العينية وكيف يتصرف فيها ويفعل بها فيقول : « فمما اتفق له في عمل عرس ابن بكتمر الساقى على ابنة الأمير تنكز نائب الشام ، أن السلطان الملك الناصر استدعاه آخر النهار الذى كان يعمل فيه في العرس المذكور وقال له : يا حاج على اعمل لى الساعة لونا من طعام الفلاحين وهو خروف رميس يكون ملهوجا . فولى الحاج على ووجهه معبس فصاح به السلطان ويلك مالك معبس الوجه فقال : كيف ما أعبس وقد حرمتنى الساعة عشرين ألف درهم نقرة (أى فضة جيدة) . فسأله السلطان : كيف حرمتك ، قال : قد تجمع عندي رؤوس غنم وبقر وأكارع وكروش وأعضاء وسقط دجاج وأوز وغير ذلك مما سرقت من العرس وأريد أن أقعد أبيعه ، وقد قلت لى أطبخ ، وقبل أن أفرغ من الطبخ يتلف الجميع . فتبسم السلطان وقال له : رح اطبخ وضمان الذى ذكر على ، وأمر باحضار والى القاهرة ووالى مصر فلما حضرا ألزمهما بطلب أرباب الزفر إلى القلعة وتفرقة ما ناب الطباخ من العرس عليهم واستخراج ثمنه . ويستمر المقريزي في سرد تفاصيل القصة حتى ينتهى إلى الثمن الذى بيع به ما أخذه الطباخ من العرس فيقول : « فللحال حضر المذكورون وبيع عليهم ذلك بمبلغ ثلاثة وعشرين ألف درهم نقرة » ويعقب المقريزي على ذلك فيقول : وهذا عرس واحد من ألوف (الأعراس) مع الذى كان له من المعاليم والجرايات ومنافع المطبخ .»

أما عن راتبه في قصر السلطان فيذكر ابن اياس فيقول : « يقال أن الحاج على الطباخ كان يتحصل له من المطبخ السلطاني في كل يوم على الدوام والاستمرار مبلغ خمسمائة درهم نقرة ولولده أحمد مبلغ ثلثمائة درهم نقرة » . وقد أوغرت هذه المبالغ الطائلة التى وصلت

إلى ٢٤ ألف درهم شهرياً له وأولده . هذا بخلاف ما يحصل عليه من الأشياء العينية ، صدور
بأى موظفى القصر ، وعلى رأسهم الأمير شرف الدين ، استاداراً (أى المشرف على البيوت
السلطانية) المعروف (بالنشو) فأخذ على حد قول ابن حجر « يخرج عليه تخاريج وأغرى
به السلطان فلم يسمع فيه كلاماً مما يدل أنه كانت له حظوة كبيرة عند السلطان الملك الناصر
محمد .

واستمر على الطباخ فى خدمة أولاد الناصر محمد بعد وفاته ، فخدم المنصور أباً بكر
والملك الأشرف كجك والملك الناصر أحمد والملك الصالح إسماعيل . أما الملك الكامل شعبان
فقد نقم عليه وعلى ولده أحمد لكثرة الوشاية بهما فصادر أملاكه فى سنة ست وأربعين
وسبعمائة وأخذ منه مالا كثيراً وهنا يقول المقرئى : « وما وجد له خمس وعشرون داراً
مشرفة على النيل وغيره ، فغرقت حواشى (أى حاشية) الملك الكامل أملاكه فأخذت أم
السلطان ملكه الذى كان على البحر (أى النيل) وكانت داراً عظيمة جداً . وأخذت انقاض
داره التى بالمحمودية من القاهرة ، وأقيم بدلا منه طباخ آخر بالمطبخ السلطانى وضرب
ابنه أحمد » .

* * *

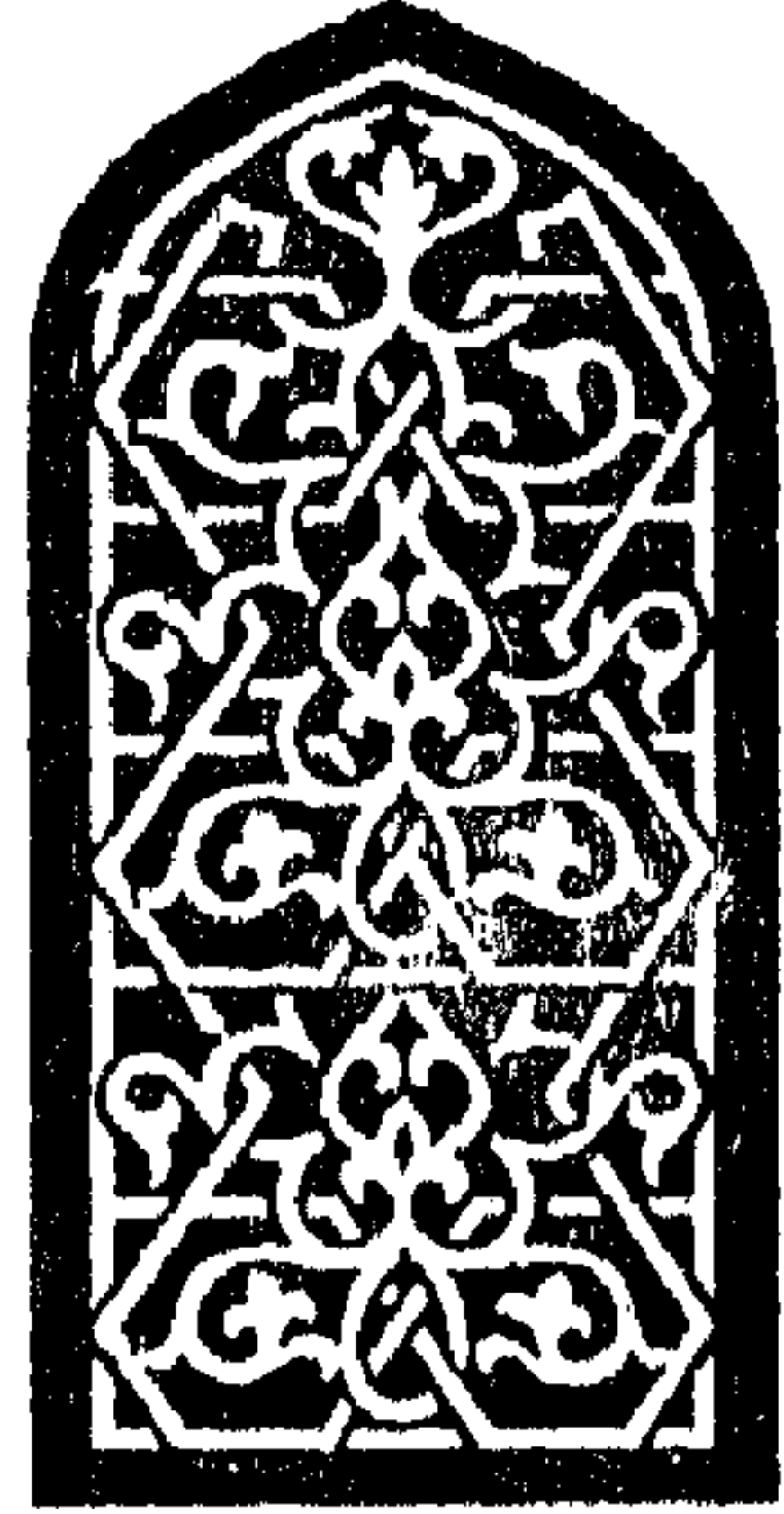
ويعتبر جامع الطباخ الذى أقامه الأمير جمال الدين آقوش وجدده الحاج على الطباخ
من أقدم المساجد المملوكية ، وقد جاء فى المقرئى أن عليا الطباخ ، جدد جامع آقوش إذ لم
يكن له وقف ، فقام بمصالحه من ماله . ثم وقف عليه أوقافاً كثيرة صودرت مع باقى أملاكه .
ويضيف على مبارك فى وصف الجامع القديم فيقول : « وبه منبر وخطبة وله منارة وشعائر
مقامة إلى الغاية من جهة الديوان (أى ديوان الأوقاف) .

والجامع الموجود حالياً بشارع الصنافيرى قد أقيم مكان الجامع القديم ، فقد أزالته
وزارة الأوقاف الجامع القديم سنة ١٣٥٠ هـ وأنشأت مكانه مسجداً جديداً . ويتكون المسجد
الحالى من شكل غير منتظم الأضلاع يتوسطه أربع دعائم كبيرة يقوم عليها السقف الخشبي

المنقوش بالزخارف الزيتية الجميلة . ويعلو الدعائم الأربع رقبة مثمرة بها ثمانى نوافذ يعلوها
قبة ضحلة .

وأضلاع المسجد المتعددة تحتوى على فتحات مملوءة بالزجاج المعشق ، وهذه الفتحات
تكون كل ثلاث منها نافذة قنديلية الشكل . وبالمسجد منبر خشبي جميل مصنوع بطريقة
الحشوات المجمعمة ومطعم بالصدف والعاج ، وبه دكة المبلغ وأخرى للقارئ من الخشب
الخرط الجميل .

جامع الأمير بشتاك ٧٣٧هـ
فاضل باشا حاليًا
بشارع بورسعيد



الأمير بشتاك الناصري من أمراء الناصر محمد بن قلاوون ، اشتراه الناصر بستة (١) آلاف درهم وكانت له الحظوة عند الناصر . وكان سبب قربه من أستاذه الملك الناصر أن الملك الناصر قال يومًا في مبدأ أمره لمجد (٢) الدين السلامي التاجر الخاص بالرقيق : أريد أن أشتري لي مملوكًا يشبه بو سعيد بن خربندا ملك التتار ، فقال مجد الدين : دع ذلك فهذا بشتاك يشبهه لافرق بينهما فحظي عنده لذلك . ولما مات بكتمر الساقى ورثه بشتاك في جميع أمواله (٣) وفي داره واسطبله وتزوج بامرأته أم أحمد بن بكتمر الساقى واشتري جاريته خوي بستة آلاف دينار ، وكان معها من القماش ما قيمته عشرة آلاف دينار وأخذ ابن بكتمر عنده وكان إقليم الشرقية تحمي لبكتمر الساقى فحماها من بعده . فعظم ذلك على قوصون ولم يسعه إلا السكوت لميل السلطان إليه .

ولما ندبه السلطان للتوجه إلى الشام للقبض على بكتمر والحوطة على ماله ، طمع في أمر دمشق غير أنه لم يعجز على مفاتحة السلطان في ذلك . وبقي في نفسه منها حزازة ، فلما مرض السلطان وأشرف على الموت ، ألبس بشتاك مماليكه عدة الحرب لما بلغه عن قوصون أنه فعل ذلك ثم انتهى الخلاف بينهما لما علما بأن السلطان جعل ولاية العهد من بعده لابنه أبى بكر .

(١) الدرر الكامنة : ج ١ ص ٤٧٧

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١٩

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١٨

فلما وقع ذلك لم يوافق عليه بشتك مفضلا عليه سيده أحمد ابن الملك الناصر الذى بالكرك . وعند وفاة السلطان قام قوصون وذكر بشتك بأصله وإن كليهما لا يصح أن يكون سلطاناً لأن الناس يعرفون أصلهما وأضاف يقول بأن أستاذهما هو الذى أوصى لمن هو أخير به من أولاده وهذا فى ذمته ولا يسعنا إلا النزول على رأيه حياً أو ميتاً . عند ذلك نزلا على إرادة سيدهما وتصافحا .

بدا لبشتك أن يلي نيابة الشام فعاكسه قوصون فثارت الضغائن القديمة بينهما وحرّض قوصون الملك المنصور أبا بكر عليه ناسباً إليه أنه يريد الوثوب على السلطان خصوصاً بعد ما قام بتوزيع أمواله على الأمراء والملتفين حول السلطان وكثرت القالة فيه بأنّه يريد إفساد الدولة فوافق السلطان على القبض عليه فقبض عليه فى الثامن من المحرم سنة ٧٤٢ هـ واعتقل بالاسكندرية إلى أن قتل فى محبسه بها بعد أيام من سلطنة الملك الأشرف كجك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٢ هـ ، وبشتك أول من أمسك^(١) من أمراء الدولة الناصرية . وكان كريماً مهاباً ، وله عدة منشآت معمارية هامة منها قصره العظيم والحمام بسوق السلاح والجامع بخط قبو الكرمانى على بركة الفيل والخانقاة تجاه -
جامعه المذكور .

قصر بشتك :

هذا القصر هو الآن^(٢) تجاه الدار البيسرية وهو من جملة القصر الكبير الشرقى الذى كان مسكناً للخلفاء الفاطميين ويسلك إليه من الباب الذى كان يعرف فى أيام عمارة القصر الكبير فى زمن الخلفاء بباب البحر ويعرف اليوم بباب قصر بشتك تجاه المدرسة الكاملية وما زال إلى أن اشتراه الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بأمير سلاح وأنشأ دوراً واصطبلات ومساكن له ولحراشيه وصار ينزل إليه هو والأمير بدر الدين بيسرى عند انصرافهما من الخدمة السلطانية بقلعة الجبل فى موكب عظيم زائد الحشمة ويدخل كل منهما إلى داره وكان موضع هذا القصر عدة مساجد ، أحب الأمير بشتك أن يكون له أيضاً دار بالقاهرة

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٢٠

(٢) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٧٠

وذلك أن قوصون وبشتاك كانا يتناظران في الأمور ويتضادان في سائر الأحوال ويقصد كل منهما أن يسامى الآخر ويزيد عليه في التجميل ، فأخذ بشتاك يعمل في الاستيلاء على قصر أمير السلاح حتى اشتراه من ورثته وأخذ من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال وهدم داراً كانت قد أنشئت هناك عرفت بدار قطوان الساقى وهدم أحد عشر مسجداً وأربعة معابد كانت من آثار الخلفاء يسكنها جماعة من الفقراء وأدخل ذلك كله في البناء إلا مسجداً منها عمره يعرف اليوم بمسجد العجل ، فجاء هذا القصر من أعظم مباني القاهرة فإن ارتفاعه في الهواء أربعون ذراعاً ونزول أساسه في الأرض مثل ذلك والماء يجري بأعلاه وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة وينظر من أعلاه عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين وهو مشرق جليل مع حسن بنائه وتأنق زخرفته والمبالغة في تزويقه وترخيمه وأنشأ أيضاً في أسفله حوانيت وكان الشارع الذى يقع في القصر يسمى قديماً شارع بين القصرين لأنه كان به القصر الكبير الشرقى الذى قصر بشتاك من جملته وتجاهه القصر الغربى الذى الخرشتف من جملته فصار قصر بشتاك وقصر بيسرى وما بينهما من الشارع يقال له بين القصرين .

ويلق الأستاذ محمد^(١) رمزى على ما ذكره المقرئى في خطه^(٢) عن قصر بشتاك بقوله : « أنه مع مضي أكثر من ستة قرون على هذا القصر فإنه لا يزال قائماً يشرف على شارع المعز لدين الله (شارع بين القصرين سابقاً) بالقاهرة . وكان بابيه القديم مكان باب البحر أحد أبواب القصر الكبير الشرقى . وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضي تجاه جامع الملك الكامل بشارع المعز لدين الله . أما الباب الحالى للقصر فهو على يمين الداخل بدرب قرمز وما يلفت النظر في هذا القصر ارتفاعه والقاعة الكبيرة التى في الدور الأول فوق زاوية بين القصرين والدكاكين لها وهى من أكبر وأفخم القاعات القديمة في القاهرة .

جامع بشتاك :

ذكر المقرئى^(٣) في خطه جامع بشتاك فقال أن هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ هامش (٣) صفحة ١٤٩

(٢) المقرئى : ج ٢ ص ٧٠

(٣) المخطط ج ٢ ص ٣٠٩

الكرمانى على بركة الفيل ، عمره الأمير بشتاك فكمل في شعبان سنة ٧٣٦ هـ . ويعلق الأستاذ محمد^(١) رمزى على ذلك فيقول : أنه يستفاد من التاريخ المنقوش على باب المئذنة المشرف على سطح هذا المسجد أن عمارته تمت في رجب سنة ٧٢٧ هـ . وذكر ابن اياس في تاريخه - (ص ١٦٦ ج ١) ما يفيد أن الذى أنشأ هذا الجامع هو الأمير بشتاك العمرى . والصواب أن الذى أنشأه هو الأمير بشتاك الناصرى ، كان من أقرب كبار الأمراء المقربين للملك الناصر محمد بن قلاوون . وتوفى بالاسكندرية في سنة ٧٤٢ هـ . أما الأمير بشتاك العمرى فكان زوج بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين وتوفى سنة ٧٧٢ هـ كما ورد في المنهل الصافى . وأضاف الأستاذ محمد رمزى يقول : وفي سنة ١٢٧٧ هـ ، أمرت الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل أخى الخديوى إسماعيل بتجديد هذا الجامع وعهدت إلى وكيلها نيازى بك بهذا العمل ، فأعاد بناء المسجد جميعه في سنة ١٢٧٨ هـ ماعدا بابه العالى القديم والمئذنة وأنشأ له وجهة جديدة بسيطة هى التى فيها بابه العالى المشرف على شارع درب الجماميز وبين البابين القديم والجديد رحبة يرى الواقف فيها فى مواجهته الباب الأسمى القديم للجامع بتجويفه العلوى المحلى بمقرنصات مركبة ذات دوال ، وعلى يسار هذا الباب الأثرى مئذنة الجامع وهى من أعلى مآذن القاهرة وأفخمها . ورد فى الخطط التوفيقية^(٢) عند الكلام على هذا الجامع أن المئذنة الحالية تجددت مع الجامع فى سنة ١٢٧٨ هـ وهذا غير صحيح لأن المئذنة الموجودة هى بذاتها المئذنة القديمة كما يدل على ذلك شكلها والكتابات التى عليها ولا يزال هذا الجامع قائماً بشارع درب الجماميز بالقاهرة وعامراً بإقامة الشعائر الدينية ويعرف بجامع مصطفى باشا فاضل من وقت أن جددته الأميرة والدته ، وعلى الأخص لأنه يجاور سراى مصطفى باشا المذكور التى فيها الآن المدرسة الخديوية .

خانقاه بشتاك :

ذكرها^(٣) المقرئى فى خططه باسم خانقاة بشتاك فقال انها خارج القاهرة على جانب

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٢٠٨ هامش

(٢) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٦٥

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤١٨

الخليج من البر الشرقى تجاه جامع بشتاك أنشأها سيف الدين بشتاك الناصرى هى والجامع ونصب بينهما سابطا يتوصل به من أحدهما الآخر وكان فتحها أول يوم من ذى الحجة سنة ٧٣٦ هـ وتقرر فيها عدد من الصوفية ويضيف الأستاذ محمد^(١) رمزى ويقول : أن هذه الخانقا قد اندثرت . ومكانها اليوم سبيل الأميرة ألفت هانم قادن والدة مصطفى باشا فاضل أنشأته فى سنة ١٢٨٠ هـ بشارع درب الجمايز بالقاهرة تجاه جامع بشتاك .

حمام بشتاك :

جاء فى النجوم الزاهرة أن الأمير سيف الدين بشتاك هو صاحب القصر بين القصرين والحمام^(٢) بالقرب من سويقة العزى .

وعلق الأستاذ محمد رمزى بقوله أن المقريزى لم يذكر حمام الأمير بشتاك الناصرى فى خططه وهو لا يزال قائماً بشارع سوق السلاح الذى كان يسمى سويقة العزى على رأس عطنة حمام بشتاك بالقاهرة وهو من الحمامات الكبيرة ووجهته مكسوة برخام ملون جميل وعليها اسمه .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ هامش ٢ صفحة ٢٠٨

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٧٥

الوصف المعماري

يقع هذا الجامع على الشاطئ الشرقي للخليج المصري الذي حل محله شارع بور سعيد الآن ، إذ يذكر المقریزی أن الأمير بشتاك أنشأ مسجداً أمام الخازنقة وأنشأ بينهما سباطا (أى قنطرة) يصل أحدهما بالآخر ، وأن هذه المنشآت كانت تشرف على بركة الفيل من جهتها الغربية .

وتقع بركة الفيل^(١) هذه فيما بين القاهرة والقطائع وكانت مساحتها كبيرة جداً ولم يخط بها مبان . فلما أنشأ جوهر الصقلي مدينة القاهرة واختط بعد ذلك خارج باب زويلة حارة السودان (أى حى) وحارة اليانسية أصبح لايفصل هاتين الحارتين عن البركة غير فضاء بسيط وفى سنة ٦٠٠ هـ^(٢) عمرت البركة وكثرت مبانيها وصارت مساكنها من أجمل مساكن مصر كلها فقد أعجب بها ابن سعيد^(٣) وقال : « أعجبت فى ظاهرها (أى القاهرة) ببركة للفيل لأنها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، وتسرح أصحاب المناظر على قدر همهم وقدرتهم فيكون بذلك منظر عجيب وفيها أقول :

أنظر إلى بركة الفيل التى اكتنفت
بها المناظر كالأهداب للبصر
كانها هى والأبصار ترمقها
كواكب قد أداروها على القصر

ويضيف ابن سعيد فيقول وقد قابلتها الشمس بالغد و فقلت :

أنظر إلى بركة الفيل التى نحرت
لها الغزالة نحرا من مطالعها
ونخل طرفك مخفوفاً ببهجتها
تيم وجسداً وحياً فى بدائعها

(١) المقریزی : ج ٢ ص ٢٦٢

(٢) القلاشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥٨

(٣) ابن سعيد : المغرب فى حل المغرب ص ٢٦٥

وكان ماء النيل يدخل بركة الفيال من الموضع الذى كان يعرف باسم الجسر العظيم أو قنطرة السباع (نسبة لوجود رنك السلطان الظاهر بيبرس الذى على شكل سبع) وقد حل محله الآن ميدان السيدة زينب رضوان الله عليها . كما كان يأتى لها الماء من الخليج الكبير من قنطرة كانت تعرف قديماً باسم المجنونة . وقد ظلت البركة عامرة بساكنيها طوال العصر المملوكى والعصر العثمانى حتى ردمت فى أوائل القرن العشرين^(١) .

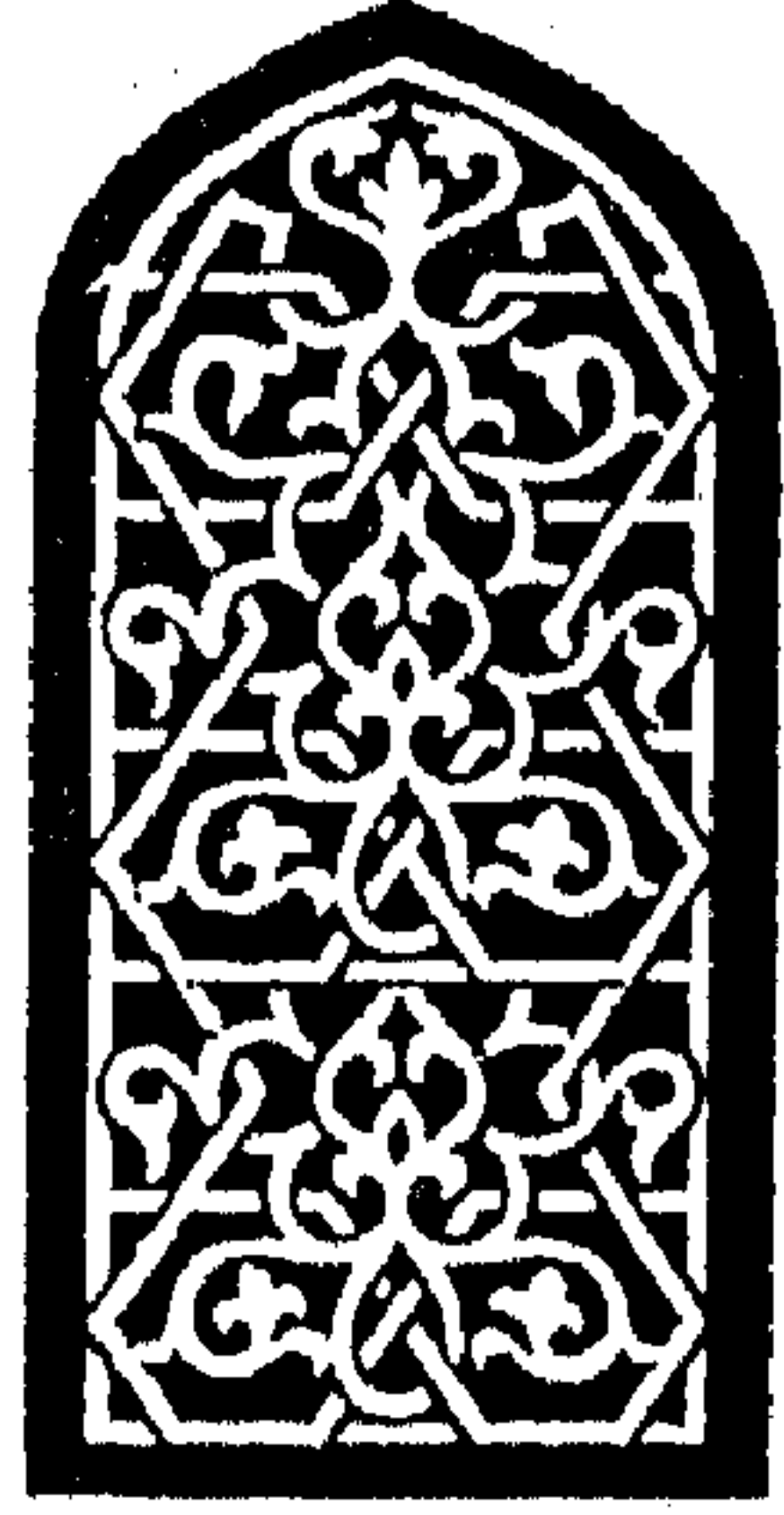
وتقع الواجهة الرئيسية للجامع فى الضلع الغربى ، وهى واجهة بسيطة أقامها مجدد المسجد والده (مصطفى باشا فاضل) أخى إسماعيل باشا (سنة ١٢٧٨ هـ - ١٨٦١ م) وذلك بمناسبة إنشاء دارهما المجاورة له وعهد إلى نيازى بك لهذا العمل الخيرى . فقام نيازى بك بتجديد بناء الجامع من الداخل مع الاحتفاظ بالمدخل الرئيسى القديم وكذا المئذنة ولكنه أنشأ واجهة جديدة تتقدمه . يقابل باب الواجهة الجديدة باب المدخل الرئيسى القديم ، وهو عبارة عن مدخل مبنى من الحجر كثير العمق يكتنف نواصيه عمودان . وقد زخرف جانبا هذا الدخول بحنيات مستطيلة يعلوها ثلاثة صفوف من الدلايات . ويتوسط المدخل القديم باب يعلوه عتب ضيق يجرى فوقه لوح رخامى به تاريخ التجديد . وقد توج الأضلاع الثلاثة للمدخل العميق خمسة صفوف من الدلايات يتوسطها طاقية بها إشعاعات محارية . ويحيط بأعلى المدخل مستطيل يشغل ضلعه العلوى شريط من الكتابة جاء به « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله .. إلخ » . ويؤدى الباب القديم إلى داخل المسجد وهو مجدد ويحتوى على ستة أروقة يتوسطها منور . وفى وسط الضلع الشرقى محراب من الرخام كتب فوقه : « هو العلى الأعلى » « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب » .

وفى الضلع الجنوبى للمسجد توجد حجرة تضم عدداً من رفات أسرة مصطفى باشا فاضل فهناك مقبرة المرحوم أحمد رشدى بك المتوفى (سنة ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩ م) وهو نجل مصطفى باشا ، كما نقل إلى الحجرة جثمان مصطفى باشا المتوفى (سنة ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٦ م) .

(١) الخطة التوفيقية ج ٢ ص ١٣٠

وفي مؤخر الجامع يوجد باب يوصل إلى سلم حلزوني قديم يؤدي إلى السطح حيث توجد
المئذنة التي تعد من مفاخر العمارة الإسلامية في مصر . فقد امتازت هذه المئذنة باحتوائها على
كثير من النقوش والزخارف والكتابات المحفورة على الحجر . كما تمتاز بأنه يمكن اعتبارها
وحدة معمارية قائمة بذاتها ، فقد احتوت قاعدتها المربعة على مدخل كثير العمق توجد على
جانبيه مكسلتان ويزخرف جوانب هذا الدخول حنايا مستطيلة يعلوها صفان من الدلايات .
ويتوسط هذا المدخل باب يعلوه عتب يحتوى على صنجات معشقة يأتى فوقه عقد عاتق يشتمل
كذلك على صنجات معشقة . ويتوج المدخل من جوانبه الثلاثة أربعة صفوف من الدلايات
مماثلة إلى حد كبير للمدخل الرئيسى القديم للجامع وفوق ذلك يأتى شريط عريض به كتابة
جاء فيها : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما مهده لنفسه المقر الأشرف بشتاك المالكى الناصرى
والابتداء في مستهل شهر رمضان المعظم سنة ست وثلاثين وسبعمائة و فرغ آخر شهر رجب
الفرد سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . أما الطابق الثانى من المئذنة فمئمن الشكل زخرفت
جوانبه بحنايا مستطيلة تنتهى بعقود ذات زاوية تحتوى على ثلاثة صفوف من الدلايات .
وقد فتح في أربع منها نوافذ ترتكز على شرفات صغيرة تقوم على ثلاثة صفوف من -
الدلايات . ويفصل بين الطابق الأول والثانى شرفة وتتكون من (١٦) ضلعاً تنوعت
النقوش المفرغة بها وبقوائمها . أما الطابق الثانى فمكون من شكل يميل إلى المئمن زخرفت
واجهاته الثمانى بحنايا مستطيلة تنتهى بعقود ذات زوايا . ويفصل بين الطابق الثانى والثالث
شرفة ذات (١٦) ضلعاً مماثلة للشرفة الأولى وتقوم على أربعة صفوف من الدلايات مثل
الشرفة الأولى كذلك . أما الطابق الثالث فهو اسطوانى ويدل على أنه حديث لاختلافه البين
مع الطابقين الآخرين ، ويعلو شرفة بسيطة تأتى بعدها قبة صغيرة ممتدة .

وقد أقامت والدة فاضل باشا على جزء من أرض الخانقاه التى اندثرت تماماً سبيلاً وكتاباً
فى (سنة ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٣ م) كسيت واجهتهما بالرخام وزخرفت بالكتابات وهو ما يزال قائماً
تجاه الباب الخارجى للجامع .



جامع الطنبغا المارداني

٧٤٠ هـ

هو الطنبغا بن عبد الله المارداني الساقى الأمير علاء الدين ، أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون . كان الناصر كثير العناية به فعينه ساقيا ثم أمير طبلخانة في مدة يسيرة ، ثم عينه أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية وزوجه ابنته . وبعد وفاة الناصر محمد تولى السلطنة ابنه السلطان الملك المنصور رسييف الدين أبو بكر والمنصور هو الثالث عشر من دولة المماليك البحرية وعند تولية المنصور اتفق الأمراء على إقامة الأمير سيف الدين قطز دمر الحموى حمى الملك المنصور هذا في نيابة السلطنة ويكون الأمير قوصون الناصرى مدبر المملكة ورأس المشورة وشاركه فى رأى الأمير بشتك الناصرى .

عكف، الملك المنصور على اللهو وشرب الخمر وسماع الملاحى فشق ذلك على الأمير قوصون^(١) وغيره لأنه لم يعهد من ملك قبله شرب الخمر فيما روى ، فحملوا الأمير طقز دمر النائب على محادثته فى ذلك وكفه عنه فزاده لومه اغراء وأفحش فى التجاوز باللهو حتى استنكر منه هذا العمل الفاضح جميع الأمراء وزادوا فى القول ، فأخذ جلساء الملك المنصور فى الواقعة فى قوصون والتحدث فى القبض عليه وعلى الأمير طقز دمر النائب وآخرين ، فتم عليهم الأمير يلبغا اليحياوى لقوصون ، وكان قد استماله قوصون ، بكثرة العطاء كما استمال غيره من المماليك السلطانية وعرفه الأمير يلبغا اليحياوى قوصون أن الاتفاق قد تقرر بالقبض عليه فى يوم الجمعة وقت الصلاة ، فانقطع قوصون عن الصلاة وتحيل حتى خلع

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ١٢

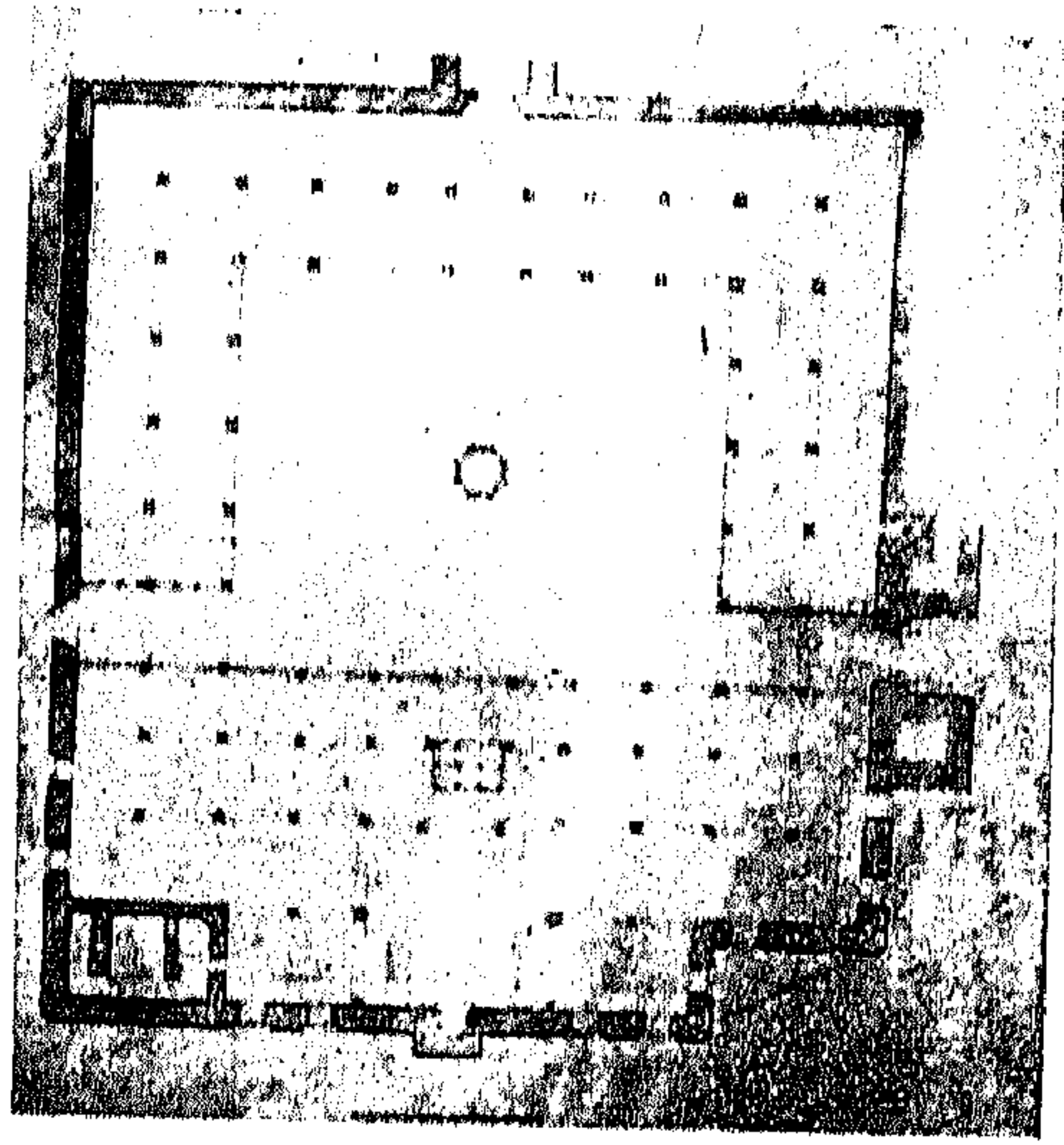
السلطان وقتله بقوص ثم جلس على تخت الملك الأشرف علاء الدين كجك^(١) (وكجك
لفظ أعجمي معناه بالعربي صغير ، فإن والده لحظ فيه حال التسمية أنه سيلي بعده الملك
وهو صغير) وكان جلوسه باتفاق الأمراء بعد خلع أخيه أبي بكر بن الملك الناصر محمد ،
ولقب بالملك الأشرف ورشح الأمراء ايدغمش أمير آخور لنيابة السلطنة فامتنع ايدغمش
ووقع الاختيار على الأمير قوصون الناصري فقبل ثم اتفق الأمراء على اخراج الأمير
الطنبغا المارداني من الحبس فافرج عنه . ولما قبض ايدغمش على قوصون وخلع الملك
الأشرف كجك من السلطنة وولى الناصر أحمد كان الأمير الطنبغا المارداني من الأمراء
الذين قاموا بهذا التغيير إذ اتفق^(٢) مع الأمير ايدغمش أمير آخور على أن يقبض على قوصون
وطلع إلى قوصون بالقلعة وشاغله وخلده عن الحركة طول الليل والأمراء الكبار المشايخ
عنده وما زال يساهره حتى نام وكان من قيام الأمراء وركوبهم عليه ما كان إلى أن أمسك
وأخرج إلى الاسكندرية . ولما قدم الطنبغا نائب الشام وأقام ، تقدم المارداني وقبض على
سيف قوصون ولم يجسر غيره على ذلك ، فقويت بهذه الحركات نفسه وصار يقف فوق
الأمير التمرتاشي ويتقدمه في كل الأمور فشق ذلك على التمرتاشي وكنم ذلك في نفسه
إلى أن ملك الصالح اسماعيل فتمكن حينئذ التمرتاشي^(٣) وصار الأمر له فانتقم من المارداني
فلم يشعر الأخير بنفسه إلا وقد أخرج على خمسة رؤوس من خيل البريد إلى نيابة حماة
في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة فسار إليها وبقي فيها نحو شهرين إلى أن
مات ايدغمش نائب الشام ونقل طقز دمر من نيابة حلب إلى نيابة دمشق فنقل المارداني
من نيابة حماة إلى نيابة حلب وسار إليها في أول رجب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ،
وجاء الأمير يلبغا اليحياوي إلى نيابة حماة ، فأقام المارداني فترة قصيرة في حلب ومرض
ومات في مستهل صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان شابا طويلا رقيقا حلو الصورة
لطيفا كريما صائب الحس عاقلا .

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ هامش ٢١ فقرة (١) .

(٢) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣٠٨

(٣) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣٠٨

ومن طريف ما يحكى عن شغف السلطان^(١) محمد بمملوكه الطنبغا الماردانى هذا أن تولى تمريضه بنفسه إلى أن عوفى فأحب الطنبغا أن ينشئ له جامعا تجاه ربع الأمير طنجى خارج باب زويلة ويعلق الأستاذ محمد رمزى^(٢) على موقع الجامع فيقول : ذكر المؤلف (ابن تغرى بردى) أن هذا الجامع تجاه ربع الأمير طنجى خارج باب زويلة والصواب أنه لم يكن أمام هذا الربع الذى كان مكانه بشارع الحلمية ، بل أنه يقع فى شارع التبانة بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة خارج باب زويلة كما ذكر المقرئى . وفى سنة ٧٣٨ هـ اشترى الماردانى عدة دور من أربابها بغير رضاء أصحابها وندب^(٣) السلطان النشو لعمارة الجامع المذكور ، فطلب النشو أرباب الأملاك وقال لهم : الأرض للسلطان ولكم قيمة البناء ، وما زال ٣٣ حتى ابتاعها منهم بنصف ما فى مكاتبهم من الثمن ، وكانوا قد أنفقوا فى عمارتها بعد مشتراها أموالا طائلة ، فلم يعتد لهم النشو منها بشئ . ثم تولى النشو عمارة جامع الماردانى حتى أتمه فى أحسن صورة وجاء مصر وفه^(٤) ثلثمائة ألف درهم ونيف ، سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب والرخام وغيره .



(شكل ٢١) جامع الماردانى

-
- (١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١١٢
 (٢) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١١٢ هامش (٣)
 (٣) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١١٢
 (٤) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١١٢

وصف الجامع

يتكون الجامع من شكل مربع تقريبا إذ يبلغ عرضه (٢٠) م وطوله (٢٢ر٥) مترا يتوسطه صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات . وبوسط الصحن توجد فسقية من الرخام مشمعة الشكل^(١) للوضوء يعاوها قبة خشبية نقلت إليه من السلطان حسن سنة ١٣١٧ هـ . سنة ١٨٩٩ م وللجامع ثلاثة أبواب ، الغربى منها يتوسط الجدار وهو مدخل تذكارى قليل البروز ويتقدمه قبة من الدرجات ويؤدى إلى مجاز يقطع الأروقة الغربية إلى نصفين ويسير حتى الصحن . أما البابان الشمالى والجنوبى فهما متقابلان ويؤدى كل منهما إلى مجاز يسير حتى الصحن ، ويفصل الأروقة الشمالية والجنوبية عن أروقة ايوان القبلة .

الواجهة الرئيسية :

تقع الواجهة الرئيسية للجامع فى الضلع الشمالى حيث يوجد المدخل الرئيسى للجامع الذى يبرز عن سمت الحائط بمقدار (٢ر٥ م) ، وهو من الأمثلة القليلة فى عمارة مصر الإسلامية التى تعرف باسم المداخل التذكارية ، فقد ظهر أول مثال لها فى مصر فى جامع الحاكم ثم فى جامع الظاهر ببيرس . ويتوسط هذا المدخل العميق باب يكتنفه مكسلتان ، عند طرفيهما الخارجى يوجد عمودان مشمعان تيجانهما على شكل (رمانة) وبعد سبع مدايمك من الحجر الأبلق الذى بنيت به الواجهة يوجد عمودان مماثلان يكادان يصلان إلى نهاية الواجهة . ويعلو فتحة الباب عتب يحتوى على صنجات معشقة ملبسة بزخارف خزفية زرقاء غاية فى الدقة والابداع ، وهى نادرة المثال . ويلتف هذا العتب شريط عرضه (٢٥) سم يحتوى على زخارف نباتية ، تشبه تلك التى عثرنا عليها فى ضريح السادات الثعالبة ثم فى المدرسة الصالحية والتى استمرت تقريبا طوال العصر الأيوبي وحتى عصر المماليك البحرية . ويعلو هذا الشريط عقد عاتق يحتوى على صنجات معشقة باللونين الأبيض والأحمر . ويعلو العقد نافذة مربعة تقريبا ملئت بمصبغات

(١) مل مبارك : ج ٦ ص ١١٧

معدنية ، ويكتنفها زخارف نباتية بالطوب الارابيسك وهى ملبسة بالرخام . ويعلو النافذة أربعة صفوف من المقرنصات الصغيرة والدلايات المنتظمة فى أشكال هندسية بديعة ويأتى بعد ذلك الإطار المستطيل الذى يحيط بالمدخل كله . ويحتوى هذا المدخل على كتابة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » وكان الفراغ من هذا الجامع المبارك فى شهر رمضان المعظم سنة أربعين وسبعمائة .

ويتوسط الواجهة الغربية الباب الغربى وهو من الأبواب العظيمة حلى بمقرنصات ودلايات جميلة التنظيم تختلف عن تلك التى وجدت فى المدخل الرئيسى وقد كتب على هذا الباب النص التالى : بسم الله الرحمن الرحيم « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً » أنشأ هذا الجامع المبارك من فضل الله وكرمه العبد الفقير إلى الله تعالى أطنبغا الملكى الناصرى وذلك فى شهور سنة تسع وثلاثين وسبعمائة للهجرة النبوية عليه السلام .

أما الباب الجنوبى فهو أبسطها ، وقد حليت الأبواب الثلاثة من الداخل بالرخام وبزخارف حجرية نباتية كانت فى الأصل ملونة . ويعلو كل باب منها نافذة من القاشانى المرسوم باللونين الأزرق والأسود على أرضية بيضاء تحت الطلاء . وكانت مصاريع هذه الأبواب من الخشب ومصفحة بالمعدن ذى الزخارف الهندسية على شكل الأطباق النجمية المكفتة بالفضة الذهب . وقد نقلت إلى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة الآن ، عندما قامت لجنة لحفظ الآثار العربية بإصلاح الجامع وترميمه (سنة ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م) .

وتتكون الأروقة الثلاثة الشمالية والجنوبية وكذا الغربية من صفين من البوائك التى تقوم على أعمدة اسطوانية وأخرى ثمانية ، الأولى تيجانها عبارة عن ثلاثة صفوف من الدلايات والمثمنة تيجانها رمانية الشكل . ويعلو هذه الأعمدة عقود شبه مدببة ممتدة (Stilted) وهى مبنية من الحجر الأبلق . وقد فتح فى خواصر (Spenderels) العقود عقود صغيرة للإضاءة وتخفيف الضغط الطارد على الأعمدة ويتوج واجهات الإيوانات شرافات مسننة محلاة بزخارف ، كسى أعلاها بقطع مفرغة من الخزف ، وعلى أبعاد مختلفة أقيم فوق بعض الشرافات حوذ مخصوصة انتهت بالحلية الخزفية ، تشبه تلك الموجودة

بجامع الناصر محمد بالقلعة . كما حليت واجهات العقود بزخارف هندسية مستديرة ونجمية وعقود محارية تشبه تلك الموجودة بالجامع الطولوني وجامع الأزهر .

أما الرواق الشرقى وهو رواق القبلة فهو أكبرها إذ يحتوى على أربع بوائك تحتوى كل بائكة على عشرة عمد تحمل أحد عشر عقدا فيما عدا البائكة المجاورة لحائط القبلة إذ تحتوى على أربعة أعمدة فقط فقد شغل الركن الجنوبى الشرقى حجرة لها باب يفتح فى الرواق الأول أما الركن الشمالى الشرقى فقد ترك واقتطع من مساحة الجامع . والرواق الشرقى غنى بزخارفه المتعددة ، فقد أقيمت عقود على عمد من الرخام والجرانيت الأحمر الوردى . وقد زخرفت الحوائط التى تعلو هذه العقود وكذا السقوف بزخارف زيتية مذهبة . كما كسيت الجدران إلى ارتفاع ثلاثة أمتار بفسيفساء رخامية وصدفية وبرسوم هندسية بديعة كما احتوت على كتابات بالخط الكوفى المربع بالرخام الأخضر جاء فيها : لا إله إلا الله محمد رسول الله « واسم «محمد» مكرر ، ويتوسط بعضها دوائر كتب حولها «بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ثم ينتهى بافريز رخامى على شكل شرافات .

ويعد محراب جامع الماردانى من أروع الأمثلة الموجودة بالقاهرة فقد زخرف تجويفه بمجموعة كبيرة من زخارف الفسيفساء الرخامية والصدفية الدقيقة الجميلة التنسيق والترتيب . كما يتوجه طاقية زخرفت كذلك بالرخام الأسود والأحمر والفيروزى . ويجاور المحراب منبر خشبى مكون من حشوات مجمعة على أطباق نجمية مطعمة بالعاج والصدف . وقد حدث أن سرق نحو من أربعين حشوة من حشواته ونقلت إلى أوروبا ثم أعيدت إلى مصر لبيعها فاشتريتها لجنة^(١) حفظ الآثار العربية (سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م) وأعادت إلى منبرها الأصلى .

ويتقدم المحراب قبة كبيرة تمتد إلى رواقين وتقوم على ثمانية أعمدة من الجرانيت الأحمر تيجانها عبارة عن زهرة اللوتس المفتوحة ، وتقوم القبة على مقرنصات خشبية

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ص ١٥١

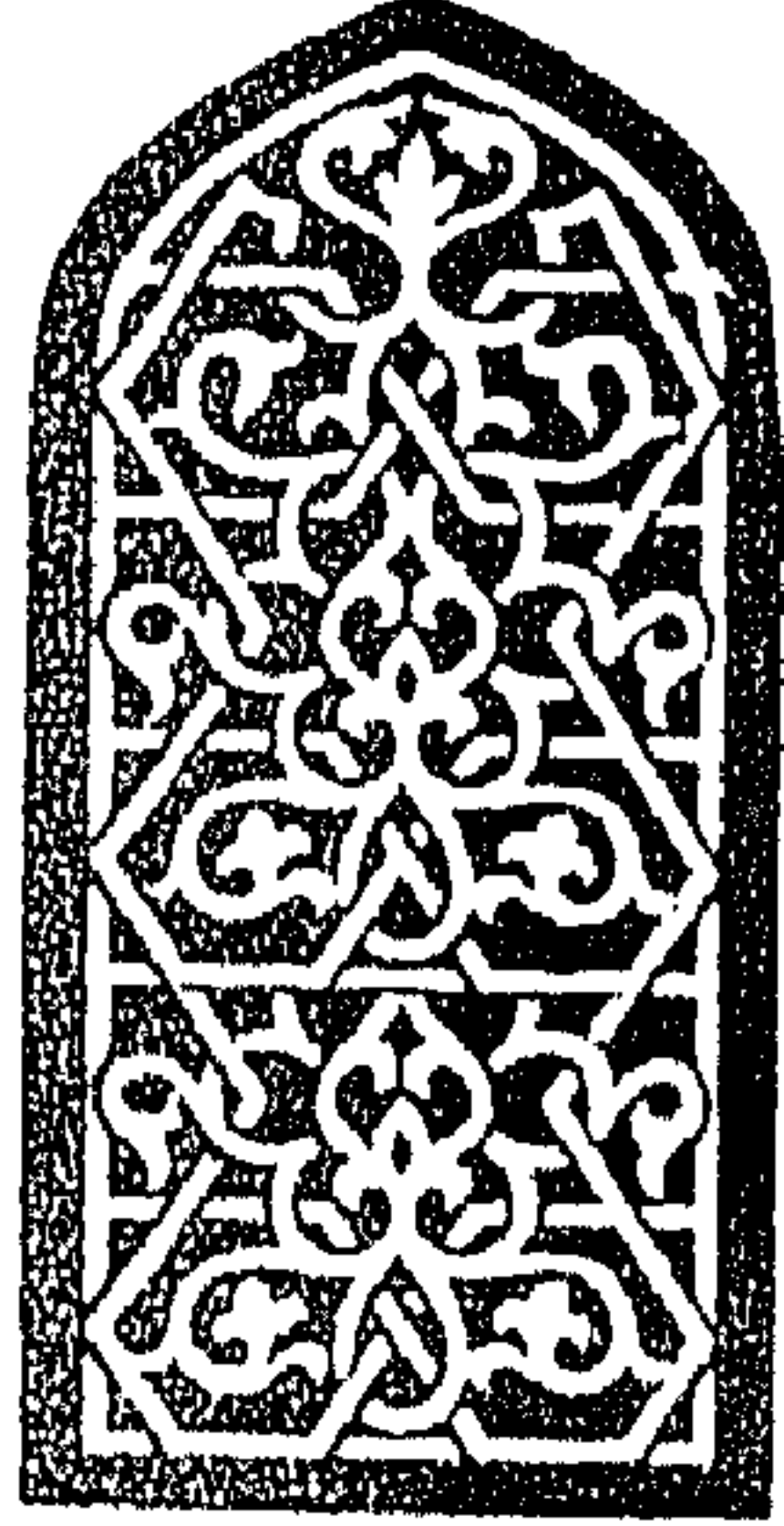
مطلية بزخارف مذهبة ، ويحيط بمربعها افريز خشبي عليه كتابات مذهبة . وقد انحصر بين أركان القبة نوافذ ملئت بزخارف جصية معشقة بالزجاج المتعدد الألوان .

كما يوجد برواق القبلة دكة للمبلغ من الرخام تقوم على اثني عشر عمودا من الرخام . ويحيط بجدار هذا الرواق نوافذ طليت حوافها بطلاء مذهب وملئت بمصبغات معدنية ، ويعلو هذه النوافذ المعدنية أخرى من الجص المعشق بالزجاج الملون . ويحتوى هذا الرواق على ثلاثة نصوص كتابية تشمل اسم المنشئ وتاريخ الانشاء ، لعل أهمها الشريط الذى يقع على يمين المنبر ، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى الراجى عفو ربه الطنبغا الساقى الملكى الناصرى وذلك فى شهر سنة أربعين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله » ، ويفصل هذا الرواق عن الصحن مقصورة من الخشب الخرط يعلوه شريط عريض حفرت فيه زخارف نباتية جميلة يتخللها آيات قرآنية من سورتي الفتح والنجم .

وتقع مئذنة الجامع فى الضلع الشمالى له بجوار المدخل الرئيسى من جهته اليمنى وهى تتكون من ثلاثة طوابق حفلت أبدانها بزخارف متعددة محفورة فى الحجر . وتقوم المئذنة على قاعدة مربعة فوق سطح الجامع ثم يأتى الطابق الأول وهى مئذنة يحتوى كل ضلع منها على حنية معقودة فتح فى أربع منها نوافذ تتقدمها ساقطات . أما الطابق الثانى فهو مئذنة ولكنه خال من الحنيات والفتحات ، أما الطابق الثالث فهو عبارة عن جوسق يقوم على ثمانية عمد يعلوها خوذة . ويفصل بين الطابق الأول والثانى والثالث شرفة ذات ستة عشر ضلعا من الحجر المخرم ويرتكز على ثلاثة صفوف من الدلايات .

ويحدثنا المقرئى^(١) عن المهندس الذى كان له الفضل فى إنشاء هذا الجامع الذى يعتبر من الدرر التى أنشئت فى عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فيقول : كان ابن السيوفى كبير مهندسى دولة الناصر محمد ، فهو مهندس المدرسة الاقبيقاوية بالأزهر

وهى التى تقع على يسار الداخل إلى الأزهر من بابه الكبير المعروف باسم باب المزينين .
وهى الآن مقر الخزانة الأزهرية . وقد وصفها المقرئى فقال : وجعل بجوارها قبة ومنارة
من حجارة منحوتة ، وهى أول مثذنة بديار مصر من الحجر بعد المنصورية ، وإنما كانت
قبل ذلك تبني بالآجر ، بناها هى والمدرسة المعلم ابن السيوف رئيس المهندسين فى الأيام
الناصرية ، وهو الذى تولى بناء الجامع الماردىنى خارج باب زويلة وبني مثذنته أيضا .



مسجد الست مسكة بحى الحنفى بالسيدة زينب

كانت الست مسكة من جوارى السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، كما يقول المقرئى ولكنها استطاعت رغم قلة شأنها الاجتماعى أن تلعب دورا هاما فى حياته الخاصة وحياته العامة ، فقد كانت هى الجندى الذى يشد من أزره فى كل النوائب والشدائد التى توالى عليه من خلع وتشريد المرة تلو الأخرى ، فكانت هى التى تجلسه على كرسى السلطنة فى كل مرة ولكن من وراء ستار .

لقد تزوج السلطان منصور قلاوون بعد توليه الحكم بستنتين بزوجة ثانية تسمى (أشلون خوندا) وهى أميرة مغولية كانت تعيش مع والدها الذى وفد إلى مصر فرارا من غضب سلطان المغول عليه ، وعند مجيئه إلى مصر أحضر معه جميع أفراد أسرته من النساء والأطفال بصفة خاصة ومن بينهم فتاة فائقة الحسن والجمال تقرب من سن ابنته الأميرة (أشلون) تدعى (جلاشانة) وهى التى عرفت فيما بعد باسم الست مسكة . ولعل هذا الاسم مأخوذ من اسمها القديم إذ أنه بعض معناه ، لأن لفظ (جلاشاه) فارسى مكون من كلمتين جل بمعنى الورد وشأن مثل أى مثل الورد .

وعاشت (أشلون خاتون) مع زوجها قلاوون فى قلعة الجبل عيشة سعيدة هانئة فى قصر غاية فى الابهة والعظمة يتناسب مع عظمة عمائر قلاوون حتى سمي بحق المعمارى الأكبر . فقد كانت سقوف القصر مذهبة وجدرانه منمقة بالألوان الزيتية والفسيفساء الزجاجية وأرضيته مرخمة بأجود أنواع الرخام ونوافذه مغطاة بالزجاج (المعشق) المتعدد

الألوان ونافورات قاعاته تفيض بالماء فتضفي على المكان سحرا وجمالا . وفي هذا القصر وفي منتصف المحرم من سنة أربع وثمانين وستمائة بعد الهجرة (١٢٨٥ م) ولد للسلطان قلاوون ولده الناصر محمد ، وكان من الطبيعي أن تختار الملكة (أشلون) مربية أمينة تثق بها لكي تضع بين يديها وليدها وفلذة كبدها فلم تجد خيرا من قريبتها مسكة . وهكذا نرى أن الست مسكة تولت رعاية الناصر محمد منذ أن كان طفلا رضيعا في لفائفه . وقد أظهرت مسكة حزما وعناية خاصة في تربية الناصر محمد فلما توفي أخوه السلطان خليل ، لم تكن شخصية الناصر محمد قد تكونت بعد ، فهو لا يزال صغيرا في التاسعة من عمره ، فلم يكن له على الأمراء نفوذ ، ولكن الست مسكة استطاعت بفضل ذكائها وقوة شخصيتها وحنكها السياسية أن تأخذ البيعة من الأمراء لابن قريبتها ، وأصبح سلطانا على مصر . وقد ظهر اخلاص الست مسكة ووفاءها للناصر محمد في كفاحها وسعيها المستميت في المرات الثلاث التي خلعت فيها لإعادته إلى عرش السلطنة .

ولما تقدمت السن بالست مسكة صارت قهرمانة لقصر السلطان يقتدى برأيها في عمل الاعراس السلطانية والمهمات الجليلة التي تعمل في الأعياد والمواسم وترتيب شئون حريم السلطان وقد امتد بها العمر واستطاعت أن تجمع ثروة كبيرة من الأموال والهدايا التي كان يغدقها عليها السلطان وحاشيته طمعا في التقرب من السلطان أو رغبة في قضاء حاجياتهم عنده . وكانت الست مسكة كريمة خيرة فقد حبست كثيرا من الأموال الجارية على الفقراء ، كما قامت بكثير من أعمال البر والصدقة .

وجاء في السلوك للمقريزي في أحداث اثنتين وعشرين وسبعمائة «أهل المحرم ووصل أوائل الحجاج ، وفي اليوم الحادي عشر وصل القاضي كريم الدين الكبير والأمير فجليس صحبه خاتون طغاي (زوجة السلطان) وخرج السلطان إلى لقائها ببركة الحاج ومد سماطا عظيما ، وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف القهرمانات ، مثل الست حديق المعروفة بالست مسكة ونساء الأمراء ودخل الجميع إلى منازلهم فكان يوما مشهودا » . وجاء في الدرر الكامنة لابن حجر «حديق القهرمانية الناصرية ، كان الناصر محمد جعل

إليها أمور نسائه فتحكمت في داره تحكما عظيما حتى صار لا يقال لها ، إلا الست حديق ، وحجت مرة فضرِبَ المثل بما فعلته من الخيرات وعمرت جامعا ظاهرا بالقاهرة ، وكان يقال لها ست مسكة ، فربما قيل للجامع ست مسكة « ومن النصوص السابقة يتبين لنا أن حديق ومسكة اسمان لشخصية واحدة هي مربية السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

ويذكر المقرئ في خطه عند كلامه عن الاحكار « أن الست حديق كان لها حكر يعرف اليوم (أى في القرن الخامس عشر) بالمريس وكان بساتين من بعضها بستان الخشاب (وهو الحي المعروف الآن بالمنيرة وجاردن سيتي) فعرف بالست حديق من أجل أنها أنشأت هناك جامعا كان موضعه منظره السكره فبنى الناس حوله وأكثر من كان يسكن هناك السودان ، وصار به عدة مساكن وسوق كبير يحتاج محتسب القاهرة أن يقيم به نائبا عنه للكشف عما يباع من المعاش . »

ثم يتكلم بعد ذلك عن حكر الست مسكة فيقول « هذا الحكر بسويقة السباعين بقرب جوار حكر الست حديق عرف بالست مسكة لأنها أنشأت به جامعا وهذا الحكر كان من جملة بستان الزهرى ثم أفرد وصار بستانا تنقل إلى جماعة كثيرة وحل محله الآن حي جنينة قاميش وجنينة لاظ بالسيدة زينب ، فلما عمرت الست مسكة في هذا الحكر الجامع بنى الناس حوله حتى صار متصلا بالعمارة من سائر جهاته وسكنه الأمراء والأعيان وأنشأوا به الحمامات والأسواق وغير ذلك » ثم يضيف المقرئ ، « وكانت حديق ومسكة من جوارى السلطان الناصر محمد بن قلاوون نشأتا في داره . » من هذا يتبين لنا أن حديق ومسكة اسمان لسيدتين وليسا لسيدة واحدة .

إلا أن المقرئ يعود مرة أخرى فيذكر في كتابه السلوك في حوادث سنة ٧٤١ هـ « أنشأ السلطان الناصر محمد الميدان الكبير على النيل ، وخرّب ميدان اللوق الذي أنشأه الظاهر بيبرس وعمله بستانا حملت إليه الأشجار من دمشق وغيرها (ميدان الأزهار الآن) . واقتدى به الأمراء في العمارة فحكروا الأراضي وعمروها للناس ليسكنوا فيها . وأخذ بقية الأمراء جميع ما كان من البساتين والجنينات ظاهرا بالقاهرة وحكروها ، وحكرت الدادة حديق ،

وهي المعروفة باسم الست مسكة القهرمانية حكيرين عرفا بها فجاءا من أحسن الأحكار ، وأنشأت لكل واحد منهما جامعاً تقام به الجمعة . يتضح لنا الآن بعد هذه الروايات المتضاربة أن حديق ومسكة اسمان لشخص واحد وإذا افترضنا جدلاً أنهما شخصان فإنهما متماثلتان تماماً في كل شيء وأن ما يقال عن إحداهما ينطبق على ما يقال عن الأخرى .

وكانت الست مسكة عالماً من أعلام عصر الناصر محمد وأبنائه من بعده ، لذلك فقد عمد المؤرخون على ذكر اسمها في كل الأحداث التي تتعلق بحياة السلطان الخاصة أو بقصره ، فقد جاء في السلوك مثلاً عند الكلام عن مرض السلطان « فلما عوفي (السلطان) زينت القاهرة ومصر وتفانح الناس في الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها ، وأقامت أسبوعاً تفنن أهل البلد فيه بأنواع الترف ، ونزلت ست مسكة في عدة من الخدام والجواري حتى رأت الزينة ، وقد اجتمع أرباب الملاهي في عدة أماكن بجميع آلات المغنى » .

وكانت لست مسكة حظوة ومكانة جليلة عند السلطان ، ومن ثم فقد كان الناس يسعون إليها للتوسط لهم لدى السلطان . فقد حدث أن توسط جماعة من الأمراء الأكابر في حق جماعة من التجار فلم يسمع السلطان لأحد منهم قولاً . وتوسطت ست مسكة وأم آتوك ابن السلطان في رفع الظلم عن تاجر الزمه الأمير شرف الدين استادار القصر السلطاني بألفي دينار فطلب السلطان الاستادار وأنكر عليه ذلك وتجهم له ، فانصرف على غير رضى .

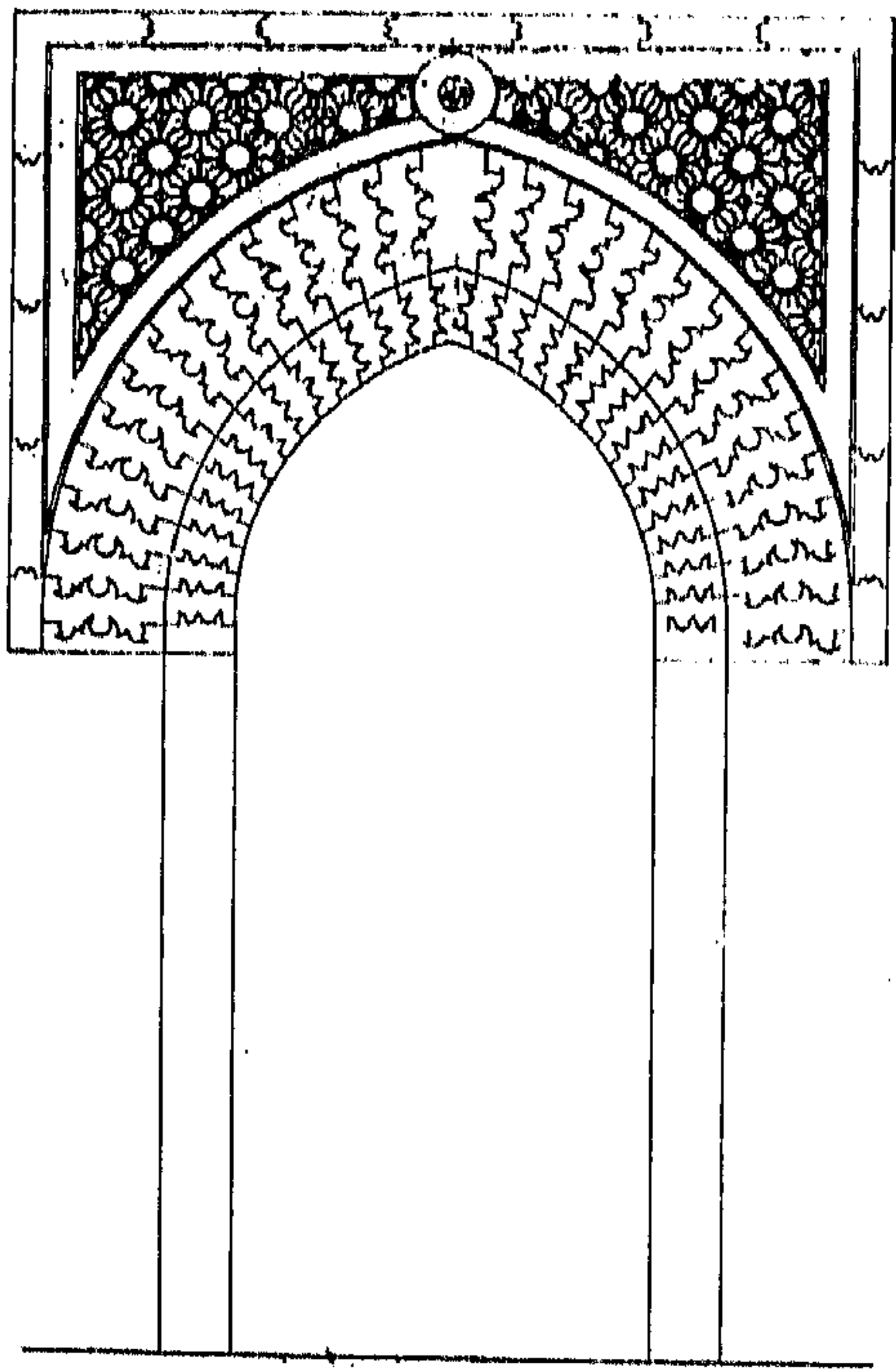
وكما تفانت الست مسكة في خدمة السلطان الناصر محمد ، كذلك حفظت له الود في أبنائه أحفاد قريبتها (الملكة أشلون) . فقد حدث عندما أراد المماليك خلع السلطان الناصر حسن ، أن أرسلوا إليه الأمير صرغتمش (أحد خواصه) ليأخذه ويعبسه ، وهنا يقول المقرئ « فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق ودخلوا إلى الناصر حسن وأخذوه من بين حريمه ، فصرخ النساء صراخاً عظيماً ، وصاحت الست مسكة على صرغتمش صياحاً منكراً وسبته وقالت « هذا جزاؤه منك » فأخرجه صرغتمش وقد غطى وجهه إلى الرحبة ، ووكل به من يحفظه » وقد أصرت ست مسكة على ملازمته وخدمته في سجنه فرتب لها في كل يوم مائة درهم تصرفه على خدامه من خزانته الخاصة .

ولعل خير ما نهتم به ترجمة حياة هذه الست الفاضلة وسيرتها العطرة ، موقفها الأخير

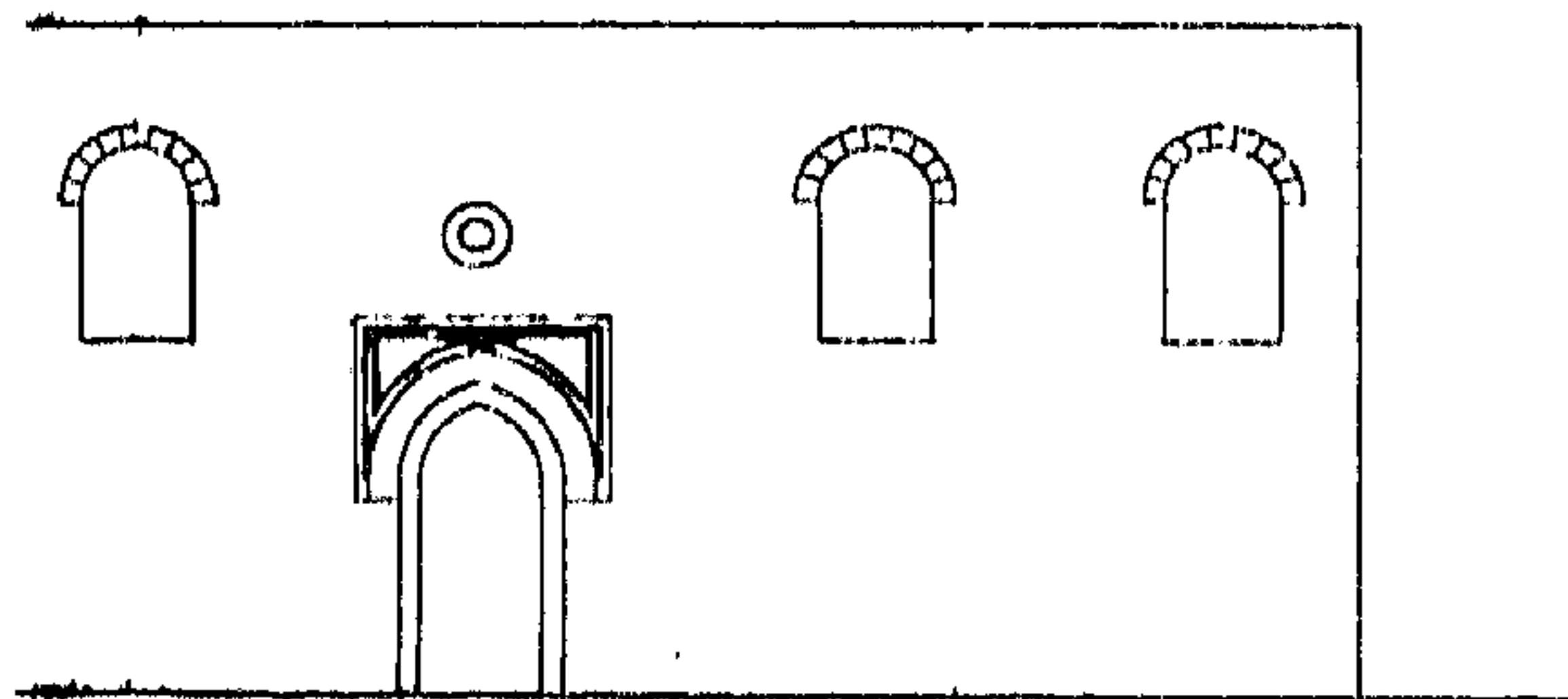
من السلطان حسن الذى عبر أصدق تعبير عن حنان فياض ووفاء منقطع النظير خاصة في العصر المملوكى . وذلك عندما ضيق أمراء المماليك على الناصر حسن فى سجنه ، فسدت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدث من يريد ، وكما يقول المقرئى « احتفظ به احتفاظاً زائداً » ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل ذهبوا إلى ست مسكة (أكبر وأقوى أنصاره) وخيروها إما أن تتركه فى سجنه وترحل أو تلتزم بأن لاتجتمع أو ترى أحداً . ولكنها بطبيعة الحال فضلت الأمر الثانى على أن تتركه بمفرده ، وانتهى بها الأمر أن توفيت فى السجن معه .

* * *

وزارة التربية والتعليم
مصلحة الآثار
مسجد مسكة
بهاج سوق مسكة
شواله ١٣٥١



(شكل ٢٣)



(شكل ٢٢)

الواجهة من الداخل

مسجد أنيق
شواله ١٣٥١

وصف الجامع

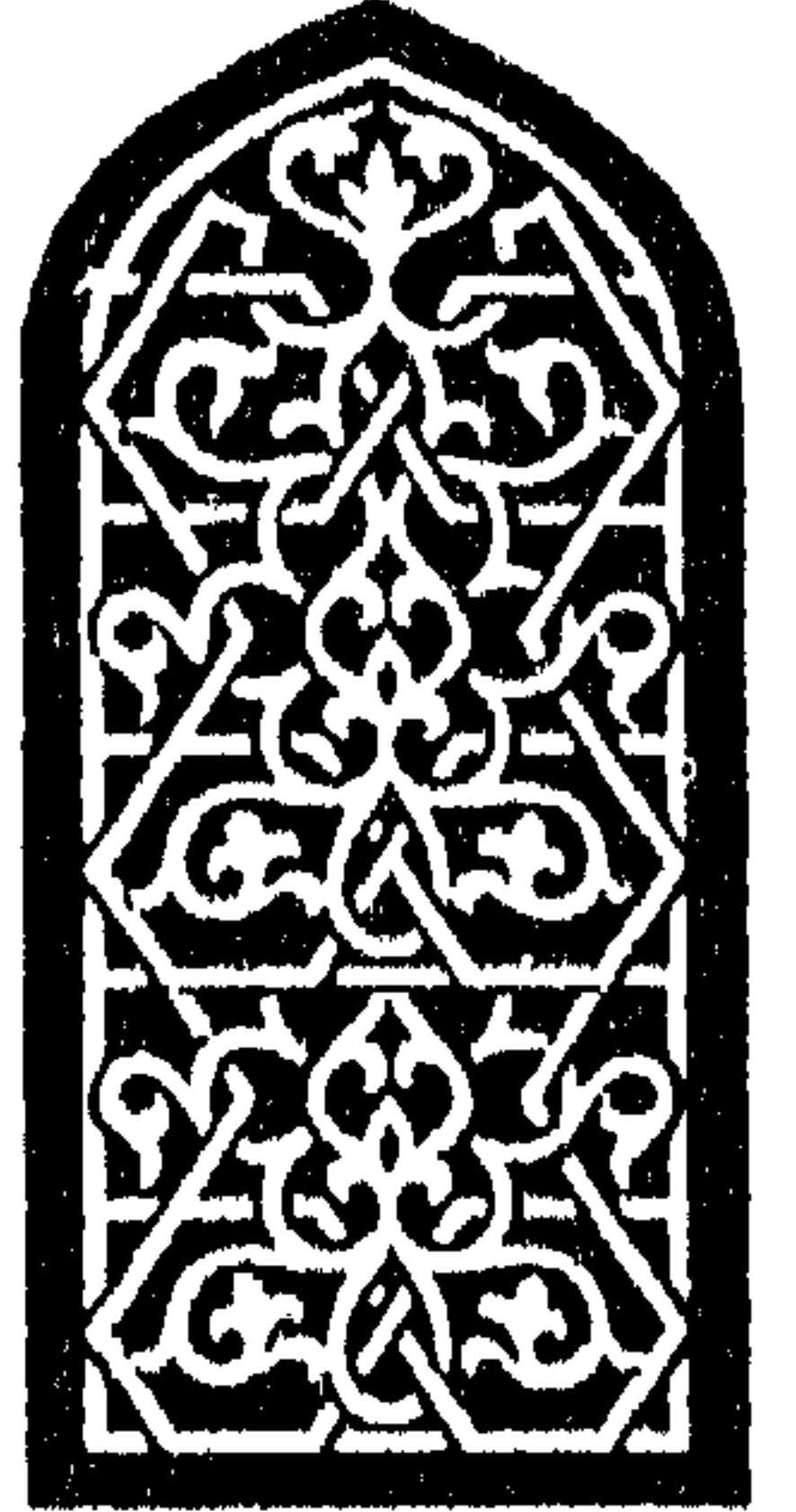
يقع جامع الست مسكة كما يقول المقریزی بالقرب من قنطرة آق سنقر التي على الخليج الكبير ومكان هذه القنطرة الآن في شارع بور سعيد (الخليج سابقاً) محطة ترام سنقر التي تصل بين شارع بور سعيد والحلمية من جهة وبين حي الحنفى في السيدة زينب من جهة أخرى ، ومنشئ القنطرة هو الأمير شمس الدين آقسنقر (شاد العمائر) أكبر مهندسى السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

وجاء في الخطط التوفيقية أن جامع الست مسكة بسوق مسكة قرب جامع الشيخ صالح أبى حديد بخط الحنفى . ويتكون الجامع من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف وتحيط به الأروقة من جميع الجهات . ويحتوى إيوان القبلة على ثلاث من البوائك تقسمه إلى ثلاثة أروقة ، وتتكون البوائك الداخلية من أعمدة رخامية تعلوها عقود نصف دائرية ، أما البوائك التي تحيط بالصحن من جميع جهاته فتتكون من دعائم مبنية من الحجر تعلوها عقود نصف دائرية وقد فتحت في خواصر العقود (كوشة العقد) نوافذ عقودها ذات زوايا ، القصد منها إضاءة الإيوانات الأربعة إلى جانب الزخرفة . وفي الجدار الشمالى والجنوبى لإيوان القبلة توجد فتحات قنديلية الشكل مغطاة بالزجاج الملون ، سقط معظمه الآن . كما يوجد في الجدار الشمالى باباً حجريين سدتا الآن .

ومنبر الجامع من خشب الساج الهندى والأبنوس ومطعم بالصدف والعاج ومصنوع بطريقة الحشوات المجمععة على الأطباق النجمية ومكتوب على بابه « إنما يعمر مساجد الله . . . إلى آخر الآية » وكان الفراغ من الجامع المبارك سنة ست وأربعين وسبعمائة وقد زخرفت حنية قبلته بالفسيفساء الزجاجية والرخامية وفصوص من الذهب الخالص . وأذكر بهذه المناسبة أن مجلة أسبوعية أشارت منذ بضع سنين إلى وجود فصوص ذهبية في قبلة الجامع ، فكانت النتيجة خلع اللصوص لمعظم هذه الفصوص الذهبية .

وسقف الجامع من الخشب المنقوش برسوم زيتية غاية في الابداع إلا أنها بحالة سيئة للغاية الآن . ودكة المبلغ محمولة على ثمانية أعمدة رخامية ، ويحيط بجدران المسجد من الداخل أزار خشبي نقشت عليه بالخط الثلث المملوكي أبيات من نهج البردة ، ولكن للأسف فقد اختفى معظم هذا الأزار .

وبالركن الشمالى الغربى يوجد ضريح الست مسكة وأحد أتباعها ، وهو عبارة عن غرفة مربعة تعلوها قبة تشبه قبة الإمام الشافعى وقبة الصالح نجم الدين أيوب ، وفوق المقبرة مقصورة خشبية ، وللجامع بابان أحدهما بالجهة الغربية وهو المدخل الرئيسى والثانى بالجهة الجنوبية وما يزال يحتفظ بالكتابات التى نقشت عليه منذ إنشائها ونصها كما يلى : « بسم الله الرحمن الرحيم أمرت بإنشاء هذا الجامع المبارك الفقيرة إلى الله تعالى الحاجة إلى بيت الله الزائرة قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام الست الرفيعة مسكة سنة ست وأربعين وسبعمائة » ويحيط بالجامع من الخارج شريط حجري منقوش فيه بالخط الثلث المملوكي سورة يس .



الجامع الإسماعيلي

بالناصرية بالقاهرة

أنشأ هذا الجامع الأمير أرغون شاه الإسماعيلي الكاملى نائب مدينة حلب ودمشق . وكان أرغون أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون فلما توفى الناصر محمد وزعت ممالكه على أبنائه الذين بلغ عددهم أحد عشر ولدا تولى السلطنة بعده ثمانية منهم . وكان أرغون من نصيب ابنه الملك الصالح إسماعيل ، الذى كان ترتيبه الرابع فى تولى عرش السلطنة بين أبناء الناصر محمد بن قلاوون . وكان أرغون حسن الخلقة والخلق ذكياً شجاعاً مقدماً فتبناه الملك الصالح إسماعيل وزوجه أنخته من أمه ، وهى الأميرة خوند العلائلى ابنة الأمير أرغون العلائلى وكان ذلك فى سنة ٧٤٥ هـ . وقد عرف أرغون منذ زواجه باسم أرغون الصغير للتفرقة بينه وبين حميه أرغون العلائلى ، فلما تولى نيابة حلب ودمشق حذف اسم الصغير وأصبح يطلق عليه اسم أرغون شاه . وبرغم وفاة السلطان الصالح إسماعيل ، فإن الأمير أرغون بقى محافظاً على مكانته لدى السلاطين الأربعة اخوة الصالح إسماعيل الذين تولوا بعده .

وقد يكون من المفيد أن نذكر الوصف الدقيق الذى أورده المقرئزى فى كتابه الخطط والآثار للوظائف التى تقلدها أرغون الإسماعيلي حتى نعطي فكرة واضحة عن بعض وظائف الدولة وماهيتها فى مصر فى العصر الوسيط .

يقول المقرئزى : لما مات الملك الصالح إسماعيل وقام من بعده أخوه الملك الكامل شعبان أعطى أرغون « امرة مائة (مملوك) وتقدمه بألف (مملوك) » ونهى أن يدعى أرغون

الصغير وتسمى أرغون الكامل . وفي عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون تولى أرغون نيابة حلب فقام بالنيابة على أحسن ما يكون من الحرمة والمهابة ، وهابه التركمان والعرب ومشت الأحوال به ثم جرت له فتنة مع أمراء حلب فخرج منها . وهنا يؤكد - المقریزی ما كان يتمتع به الأمير أرغون من حظوة لدى السلطان فيقول « لما وصل أرغون مصر سنة ٧٥٢ هـ بعد فتنة أمراء حلب ، أنعم عليه السلطان ، وأعادته معززاً مكرماً مع جند السلطان إلى حاب مرة ثانية فأقام بها حتى نقل منها إلى نيابة دمشق وأقام بها فلم يصف له بها عيش فاستعفى فلم يجب لفرط ثقة السلطان فيه . وما زال بدمشق حتى ثار (يلبغا) على السلطان وخرج بجيش واستولى على دمشق فخرج أرغون إلى (اللد) فذهب السلطان بنفسه على رأس عساكره والتقى بأرغون فأخذه معه إلى دمشق فاضطر (يلبغا) إلى الفرار وبذلك قضى السلطان الملك الصالح على الفتنة التي أحدثها (يلبغا) . وفي هذه المرة استجاب لرغبة أرغون وأعفاه من العمل في نيابة دمشق وأعادته للمرة الثالثة إلى نيابة حلب وكان ذلك سنة ٧٥٤ هـ .

وقد وقف الأمير أرغون مواقف إنسانية كثيرة في النزاع الذي كثيراً ما يحدث بين السلاطين ومماليكهم ومن ذلك ما نشأ بين السلطان الكامل شعبان وبين أخويه الأمير حاجي والأمير حسين فقد ورد في ابن اياس في حوادث سنة ٧٤٧ هـ : أن السلطان طلب أخويه الأمير حاجيا والأمير حسينا ، فأرسل إليهما الساق سرور الزيني فقال لهما أمضيا ، كلما السلطان . فقالا نحن اليوم ضعاف وقد شربنا الدواء . ولكن السلطان أعاد الكرة وأرسل رسولا آخر وألح في طلب حضورهما ، ولكنهما رفضا بحجة المرض وكان عدم حضورهما للسلطان سبباً في غضبه غضباً شديداً . وأرسل إليهما الأمير أرغون العلائلي زوج أم السلطان ، فأخرجهما غضباً وهما يتباكيان ، فلما حضرا بين يدي السلطان قبلا له الأرض وقال له (يا مولانا السلطان لاتؤاخذنا فإننا كنا شربنا الدواء » فقال لهما السلطان كذبتما ما أنتما إلا مخامران على » فأخرج الأمير حاجي ختمة كانت معه وحلف عليها أنه ما امتنع عن الحضور إلا لكونه ضعيفاً وشرب الدواء ، فلم يصدقه السلطان في ذلك ، ثم جاءت أماهما وحلفتا للسلطان وكشفتا رموشا مؤيدتين رواية الأميرين ، فلم يقبل السلطان منهما ذلك ، ثم أمر بإدخال أخويه في موضع الدهيشة (بالقلعة) وأمر أن يبني عليهما بالحجر والعجير والجبس

ويجعل ذلك المكان قبراً لهما . فلما سمع بذلك الأمير أرغون عقد العزم هو وجماعة من أمراء المماليك على منع السلطان من القيام بهذه الفعلة الشنعاء مع أخويه البريئين ، استعداداً - لمحاصرته في قصره ومنعوه من إتمام فعلته وكانت النتيجة ، خلعه من العرش وتولية أخيه حاجي مكانه .

وقد اشتهر أرغون شاه بين زملائه بالوفاء بالعهد وكرم الأخلاق إلى جانب ما اتصف به منذ نعومة أظفاره بالورع والتقوى ومع ذلك فإن أرغون لم ينج من المؤامرات التي كانت تحاك حوله والتي كان آخرها المؤامرة التي أودت بحياته والتي جاء وصفها في ابن اياس في أحداث سنة ٧٥٨ هـ إذ يقول : فيها جاءت الأخبار بأن أرغون شاه نائب الشام قتل تحت الليل وسبب ذلك أن الأمير نائب طرابلس دخل دمشق في جماعة كثيرة من عسكر طرابلس . وكان أرغون شاه نائب الشام مقيماً بالقصر الأبلق بدمشق ، فدخل عليه نائب طرابلس وهو نائم بين عياله فقبض عليه وقيده وسجنه بقلعة دمشق ، فلما أصبح الصباح ، طلب نائب طرابلس القضاة والأمراء بدمشق وأخرج لهم مرسوم السلطان بالقبض على أرغون شاه نائب الشام فعند ذلك سكن ما كان بين الناس من اضطراب ، وظنوا أن ذلك صحيح . ولم يمض أرغون يومين في السجن حتى وجدوه مذبوحاً ، فأحضر نائب طرابلس القضاة وكتب محضراً في شأن ذبح أرغون شاه بأنه وجد في السجن مذبوحاً ولا يعلم من فعل ذلك « ولما علم أمراء دمشق أن السلطان لم يكن له علم بكل ما حدث للأمير أرغون بعثوا إليه رسولاً يحيطه علماً بما جرى لنائبه في دمشق فأرسل أمراً إلى عسكر دمشق بمحاربة نائب طرابلس وجاء في مراسيم السلطان التي جاءت إلى دمشق ، إذا ظفرتهم به فاشنقوه على باب دمشق ، فلما ظفروا به شنقوه وعلقوه على باب قلعة دمشق كما رسم السلطان » . وهكذا انتهت حياة الأمير أرغون شاه هذه النهاية الأليمة .

ويختلف المقرئ مع ابن اياس في ذكر المؤامرة التي أودت بحياة الأمير أرغون فيقول : فلما خلع الملك الصالح وتولى أخوه الملك الناصر حسن للمرة الثانية سنة ٧٥٥ هـ ، وطلب الأمير أرغون من حلب فحضر إلى مصر وعمل (أمير مائة ومقدم ألف) حتى سنة ٧٥٦ هـ عندما كاد له بعض حساده لدى السلطان ، فأمسك وحمل إلى الاسكندرية ومعه زوجته ،

ثم نقل من الاسكندرية إلى القدس فأقام بها بطالا ، وبنى هناك تربة ومات بها سنة ٧٥٨ هـ .
ومع اختلاف روايتي ابن اياس والمقريزى فى كيفية موت الأمير أرغون ، إلا أنهما اتفقا على أنه مات ودفن بدمشق وليس بمصر .

ويقول المقريزى أن الأمير أرغون كانت له دار بالجسر الأعظم على بركة الفيل أنشأها سنة ٧٤٧ هـ وأدخل فيها من أرض بركة النيل عشرين ذراعاً . . ويضيف على مبارك فى خططه فى تعيين مكان الدار فيقول : ومحلها الآن الحوش المقابل لجامع الجاولى المعروف بحوش إبراهيم شركس وما جاورها إلى الحوض المرصود . ومن منشآت الأمير أرغون الإسماعيلية الهامة فى القاهرة جامعته المعروف باسم (الجامع الإسماعيلية) الذى أنشأه على بركة الناصرية فى شعبان سنة ٧٤٨ هـ ، والذى يعرف الآن بحى الناصرية .

أما عن تاريخ حى الناصرية فيقول المقريزى : كان هذا الحى من جملة أراضي بستان الخشاب الذى يقع بين المدينة ومصر (أى الفسطاط والعسكر والقطائع) وكان هذا الموضع قبل ذلك مغموراً بمياه النيل . وفى سنة ٧١٤ هـ أنشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون ميداناً فى هذا المكان عرف بالميدان الناصرى . وغرست فيه الأشجار وأحيط بالبساتين والمتنزهات وكان من أجمل الميادين لأنه يطل على النيل ، وكان السلطان يركب إليه من القلعة دائماً كل يوم سبت فى الأيام الشديدة الحرارة بعد وفاء النيل ، ويستمر ترده على هذا الميدان مدة شهرين من كل عام . وكان خروجه إلى هذا الميدان فى موكب رسمى يعتبر بناء على وصف المقريزى له ، استعراضاً لقوات السلطان وجنده : إذ كانت تخرج معه فرق الخيالة من الأمراء ، واستجد (استحدث) ركوب الأوجاقية بكوافى (جمع كوفية) الزركش على صفة الكاسات فوق رءوسهم فيركب منهم اثنان بثوبى حرير أطلس أصفر وعلى رأس كل منهما كوفية ذهب وتحت كل واحد فرس أبيض بحلية ذهب ويسيران معا بين يدي السلطان .

وفى سنة ٧٢٠ هـ أراد الناصر محمد بناء زريبة (حديقة) بجانب الجامع الطيبرسى فاحتاج فى بنائها إلى طين ، فركب إلى مكان قريب من الميدان الناصرى ، فى مكان كان يعرف فى ذلك الوقت باسم جنان الزهرى ، ثم خربت وصار موضعها كوم تراب ، وعين مكان الحفر . فلما تم الحفر هناك ظهرت بركة عرفت بالبركة الناصرية ، ونقل ماخرج

منها من الطين إلى الزريبة ثم أجرى الماء إلى البركة من قناطر السباع (ميدان السيدة زينب
الآن) فلما امتلأت بالماء صارت مساحتها سبعة أفدنة ، فحكر الناس حولها وبنوا عليها
الدور العظيمة وما برح خط (حى) البركة الناصرية عامراً إلى أن كانت حوادث انخفاض
مياه النيل وحدوث مجاعة عظمى سنة ٨٠٦ هـ ، فشرع الناس فى هدم ما كان عليها من الدور
فهدم كثير مما كان هناك وردمت البركة ، ولكن سرعان ما عادت الحياة إلى الحى مرة
أخرى وعمر مرة أخرى بالدور والمساكن .

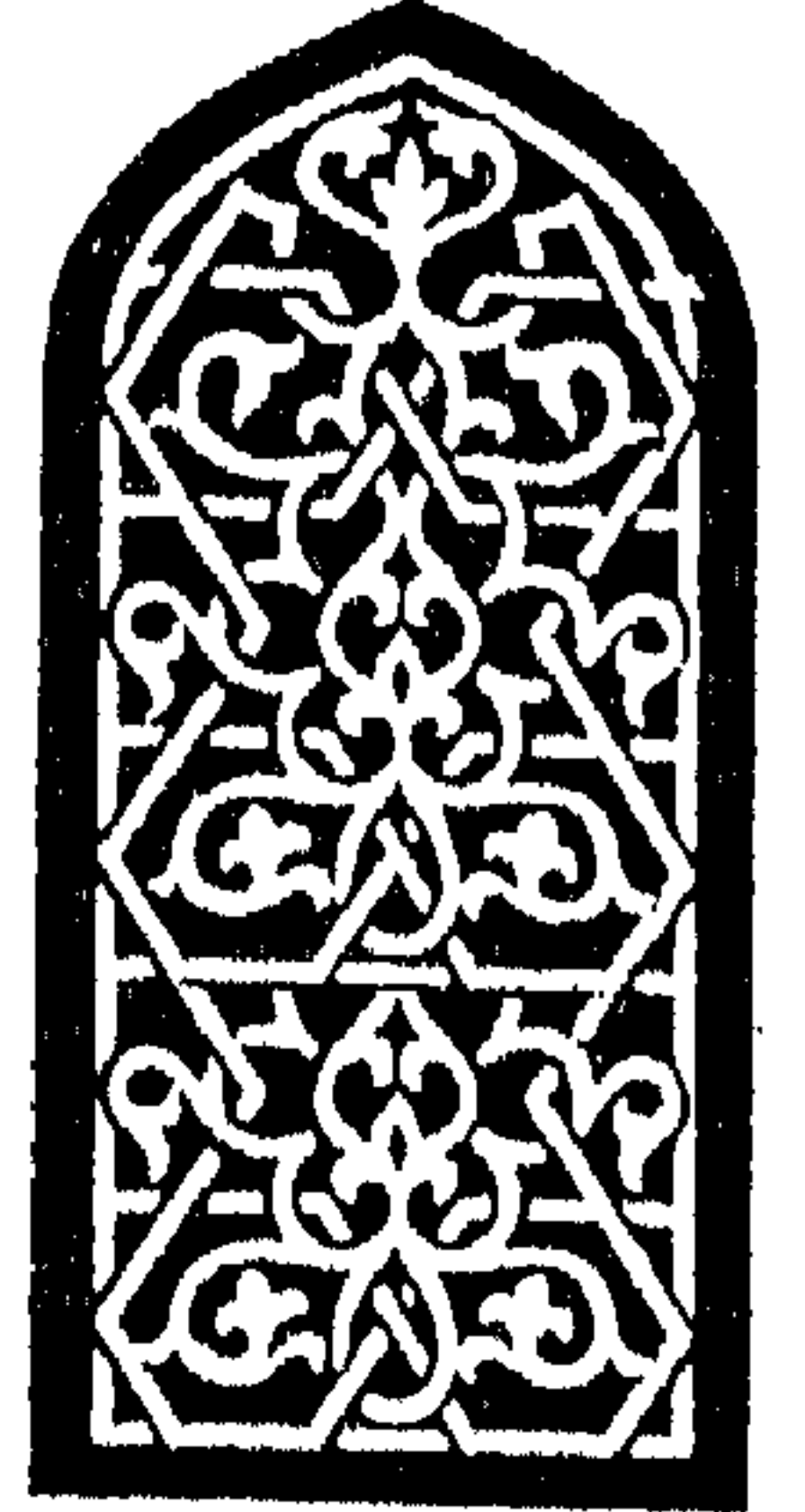
* * *

وصف الجامع

يقع جامع أرغون الإسماعيلي في شارع الجامع الإسماعيلي ، ويقول على مبارك أن طوله يبلغ ثلثمائة وأربعين متراً يبتدىء من شارع الدواوين وينتهي عند شارع عماد الدين . والجامع تجاه درب القرودى ويتكون من مستطيل به صف واحد من الدعائم تقسم المسجد إلى رواقين موازيين لحائط القبلة ، والجزء المستعمل الآن للصلاة نصف الجامع القديم والنصف الثانى تشغله الميضاة ودورات المياه . وقد سقطت المئذنة القديمة وأقيم مكانها مئذنة أخرى فى العصر العثمانى على شكل المسلة أو (رأس القلم الرصاص) . والشعائر الدينية مقامة فى المسجد من إيراد الأوقاف الكثيرة المحبوسة عليه . وبالمسجد منبر خشبى كتب على بابه : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . . الآية » وكان الفراغ فى شهر شعبان المكرم سنة ١٧٤٨ هـ

ويحتوى المسجد على بابين فى الجهة الجنوبية الشرقية فى جدار القبلة ، نقش على الجنوبي منهما النص التالى : « أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك الفقير إلى الله تعالى أرغون الإسماعيلي وكان الفراغ من ذلك فى شهر شعبان سنة ١٧٤٨ . والمسجد بحالة سيئة لا تتفق وماله من أوقاف محبوسة عليه لذا أرجو أن تعيره وزارة الأوقاف شيئاً من اهتمامها خاصة وهى المتصرفه فى أوقافه .

* * *



جامع آق سنقر (جامع النور)

سنة ١٧٤٨ هـ

بشارع باب الوزير

الأمير آق سنقر الناصري أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون عينه في عدة وظائف من أمير مائة إلى مقدم ألف وأمير شكار . شكار كلمة فارسية بمعنى صيد ، وأمير شكار إذن هو أمير الصيد^(١) ، وهي وظيفة عرفت في العصر العباسي وشاعت عند السلاجقة وانتقلت إلى المغول والمماليك .

وكانت هذه الوظيفة من الوظائف التي يشغلها عسكريون في عصر المماليك ، وكانت عند القلقشندي الثانية والعشرين بين الوظائف العسكرية بحضرة السلطان ، وكان يشغلها في عصره أمير عشرة^(٢) ويبدو أن قيمتها ارتفعت بعد ذلك وصار يشغلها أمراء طبلخانات . ومهمة أمير شكار هي الإشراف على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر الصيد السلطانية وأحواش الطيور ، وتنظيم جميع أمور الصيد . ولم يقتصر استخدام هذه الوظيفة على السلطان بل كان لبعض الأمراء في عصر المماليك أيضا أمير شكار .

تقلب آق سنقر في عدة وظائف ، فكان من جملة الأوشاقية في أول أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وكانت مهمة الأوشاق في عصر المماليك العناية بالخيل وركوبها للتسيير والرياضة وقد ذكر القلقشندي أن الأوجاقية تركب وراء سلطان المماليك في أسفاره مع

(١) السبكي : معيد النعم ص ٣٧ حاشية القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٨ - الضوء اللامع ص ٢٥٧

حمل السلاح . ثم أصبح آق سنقر بعد ذلك أمير أخور^(١) وكان هذا الاسم يطلق على القائم على أمر الدواب من خيل وبغال وابل وغيرها في الاصطبلات السلطانية ونقله الملك الناصر محمد بن قلاوون من تلك الوظيفة إلى وظيفة شاد العمائر السلطانية وبقي بها مدة فأثرى ثراءً كبيراً .

وشاد العمائر السلطانية إحدى الوظائف التي كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان المملوكي ، وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثاً على العمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداها أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار والمساجد وغير ذلك وكان يشغل هذه الوظيفة أمير عشرة في أول^(٢) الأمر ثم صار يشغلها قوم بغير أمره وكان يعاون شاد العمائر موظف آخر يسمى ناظر العمارة عند إنشاء الأماكن المهمة وكان لهذا الأخير الأمر على المهندسين والحجارين وصناع العمائر ونحوهم .

أنشأ آق سنقر جامعته الذي يقع بسوق السباعين على البركة الناصرية وإليه تنسب قنطرة آق سنقر التي على الخليج الكبير بخطط قبو الكرمانى قبالة الحجازية وأنشأ أيضاً داراً جليلاً وحمامين بخطط البركة الناصرية^(٣) .

ولى آق سنقر أيضاً ولاية غزة بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون وفي دولة الكامل شعبان تلاماً نجمه وعمل على انتقال الملك إلى المظفر حاجى بن الناصر محمد ، حتى صار نافذ الكلمة ولعب دوراً كبيراً في سياسة الدولة^(٤) . وكان الناصر محمد قد زوجه إحدى بناته ، فقد كان عفيفاً عن أموال الرعية وكان حسن الحظ محبوباً من الجميع . وقد شرع آق سنقر في ١٦ رمضان سنة ٧٤٧هـ^(٥) في بناء جامعته بشارع باب الوزير الذي نحن بصدد الحديث عنه وأنشأ بجواره مكتباً وسبيلاً ومكاناً ليدفن فيه ونقل إليه ابنه . وقد غنى بعمارته عناية كبيرة حتى أنه كان يشرف عليه بنفسه ويشجع العمال . وقد عين له المدرسين وافتتحه للصلاة في ربيع الأول سنة ٧٤٨هـ^(٦) ووقف عليه ضيعة من قرى حلب للصرف عليه وتعميره .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢

(١) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ٣٠٩

(٣) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ٣٠٩

(٤) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ٣٠٩ ، النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٣٢٢

(٥) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٩٤

(٦) ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ص ٢٢٦

وصف الجامع

يقع هذا الجامع بشارع باب الوزير ، وهو مربع الشكل تقريباً تقع واجهته الرئيسية في الجهة الغربية يتوسطه المدخل الرئيسى الذى يدخل عن سمت جدران الواجهة بنحو مترين ، ويعلوه عقد محمول على كوابيل . ويتوسط المدخل باب يعلوه عتب يحتوى على صنجات معشقة من رخام أخضر وأبيض . وعلى يمين الباب يوجد صف من النوافذ حليت أعتابها بصنجات معشقة من الرخام الأبيض والأخضر كذلك ويحيط بها من أعلى حنية كبيرة مقعرة . وإلى يسار الباب نجد صفاً آخر من النوافذ مماثلة للنوافذ السابقة وهى بقبة علاء الدين كجك .

ويؤدى باب المدخل إلى استطراق نجد عن يساره قبة ، قد أنشئت قبل إنشاء الجامع ليدفن فيها السلطان الملك الأشرف علاء الدين كجك ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون المتوفى فى جمادى الأولى سنة ٧٤٦ هـ . وهى قبة مربعة فتحت فيها مجموعة من النوافذ ذات صنجات من الرخام الأبيض والأخضر تعلوها فتحات مستديرة يحيط بها إطار من الرخام الأبيض والأخضر كذلك . ويحيط بمربع القبة أفريز جصى مكتوب عليه آية الكرسى واسم المتوفى وألقابه . أما منطقة الانتقال فتحتوى على صف واحد من المقرنصات . وبالقبة لوحة من الرخام كتب عليها « بسم الله الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت ، هذه القبة المباركة عمرت لدفن الفقير إلى الله تعالى مولانا السلطان السعيد الشهيد الملك الأشرف علاء الدين كجك وكانت وفاته فى شهر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبعمائة .

وللجامع واجهة جنوبية يتوسطها باب كتب عليه النص التالى : بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بإنشاء هذا الجامع العبد الفقير إلى الله تعالى آقسنقر الناصرى تغمده الله برحمته وكان ابتداء عمارته سادس رمضان المعظم سنة سبع وأربعين وسبعمائة وكانت الصلاة فيه يوم الجمعة ثالث ربيع الأول سنة ثمان وأربعين

وسبعمائة وتوفى إلى رحمة الله تعالى تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .
ويجاور الباب الجنوبي مربع بسيط من البناء بداخله قبر تسوده البساطة به لوحة كتب
عليها « هذا قبر المرحوم آق سنقر الناصري المعروف بجامع النور وكان ابتداءه سادس عشر
رمضان سنة ٧٤٧ هـ والفراغ في سنة ٧٤٨ هـ » .

يعلق حسن عبد الوهاب^(١) على هذه المقبرة فيقول : ومن المؤكد أن هذه المقبرة حديثة ،
لأن المعلوم أن آق سنقر أعد لنفسه مقبرة بجوار الجامع حلت محلها الآن الأبنية التي تحجب
باقى الواجهة الجنوبية على ما أرجح . والتربة في وضعها الحالى هي وتربة إبراهيم أغا يشغلان
جزءاً كبيراً من الإيوان الجنوبي ، ولم يسبق إقامة قباب أو قبور في مثل هذا الموضع في
المساجد ، فهي من عمل إبراهيم أغا الذى بخل على المنشئ الأصلي بمقبرة تناسب عمله
الخيرى العظيم وفى سنتى ١٠٦١ هـ - ١٠٦٢ م أحدث إبراهيم أغا مستحفظان عمارة كبيرة
بهذا الجامع عندما كان ناظراً عليه ، فغير فى عقود السقف التي كانت من الحجر واستبدل
ما اختل منها بسقوف من الخشب وكسا الحائط الشرقى الذى فيه المحراب إلى السقف -
بالقاشانى الأزرق الجميل .

ويوجد على يمين الداخل بمؤخر الإيوان الجنوبي حجرة أنشأها إبراهيم أغا ، وكسا جدرانها
بالقاشانى حتى السقف ويتوسطها قبر من الرخام أنشأه فى حياته سنة ١٠٦٤ هـ ، ثم دفن فيه
بعد موته ، لذلك عرف هذا الجامع باسم إبراهيم أغا مستحفظان من ذلك الوقت ويعرف
على السنة العامة بالجامع الأزرق نسبة إلى مجموعة القاشانى العظيمة ذات اللون الأزرق الموجودة
فيه . وكتب عليه « أنشأ هذا المكان الراجى عفو ربه ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه هو الغفور
الرحيم إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ شهر شعبان المبارك فى سنة ١٠٦٤ هـ » .

ومثبت فوق نافذة المدفن من الخارج لوحة رخامية بتاريخ عمارته للمسجد جاء فيها :
« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله »
عمر وجدد هذا الجامع الشريف المبارك إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ سنة إحدى وستين

(١) تاريخ المساجد الأثرية ص ١٥٤

وألف من الهجرة النبوية » . كما توجد لوحة أخرى على الواجهة الشمالية للمدفن نصها : « أنشأ هذا المدفن المبارك من فضل الله تعالى في زمن عبد الرحمن باشا حاكم مصر المحروسة إبراهيم أغا مستحفظان حالا بتاريخ سنة ١٠٦٢ هـ » .

ويتكون المسجد من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات ، أكبرها رواق القبلة الشرقى الذى يحتوى على ثلاث بوائك مكونة من دعائم حجرية مثمثة الشكل باللون الأبيض والأحمر ويعلو البوائك عقود مدببة تحيط بها صنجات باللونين الأبيض والأحمر . وهذه البوائك تقسم إيوان القبلة إلى ثلاثة أروقة ، تعلوها قباب ضخمة ، - أما الجوانب الثلاثة الأخرى فتحتوى كل منها على رواق واحد . ويتوصل إلى صحن الجامع عن طريق ثلاثة أبواب فى واجهاته الثلاث الغربية والشمالية والجنوبية والأخيران غير متعامدين إذ أن الباب الشمالى منحرف إلى الجهة الغربية .

وقد أقام فى وسط الصحن سنة ٨١٥ هـ الأمير طوغان الدوادر فسقية للوضوء وأقام فوقها مظلة تقوم على عمد . ولم تكن هذه الفسقية موجودة فى الأصل ، كما أنها زالت الآن وربما يكون محلها الحديقة الموجودة الآن بوسط الصحن .

ويعتبر الإيوان الشرقى السابق الإشارة إليه أكبر الإيوانات وأهمها كما أنه ما يزال يحتفظ بمبانيه القديمة لم يتغير اللهم إلا الرواق الثانى المشرف على الصحن فإن عقوده قد استبدل بها سقف من الخشب وبقي طرفاه على أصلهما ، واستبدلت دعائمه بعمد رخامية وأكتاف حجرية مربعة . كذلك حدثت تغييرات جوهرية فى الرواقين الشمالى والجنوبى ، أما الرواق الغربى الذى يلى الواجهة الرئيسية والمدخل الرئيسى مباشرة فإنه ما يزال يحتفظ بالكثير من تفاصيله القديمة .

ويحتوى إيوان القبلة على مجموعة كبيرة من القاشانى الملون الجميل التى عملت خصيصاً لهذا الجامع ولذلك فإننا نجد أطرافها كاملة ونية وشها متائلة فبعضها يمثل محراباً يعلوه قنديل كتب فيه « يا الله محمد » ويكتنفه عموداً سرو وبداخله زهرية تفرعت منها فروع نباتية تحمل زهوراً . كما يوجد بالرواق الشرقى منبر من الرخام الملون زخرفت جوانبه برسوم بارزة من عناقيد العنب والأزهار المورقة وهو أقدم منبر رخامى باق فى مصر حتى الآن . ويتصدر الإيوان

الشرقي محراب مكسى بأشرطة دقيقة من الرخام والصدف ويتخلله محاريب صغيرة محمولة على عمد . ويعلو المحراب طاقية مكسية بفسيفساء رخامية . وقد ثبت على يسار المحراب لوح من الرخام جاء فيه : « روى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المحراب المبارك في ليلة السبت تاسع شهر ذى القعدة الحرام سنة ثمان وستين وثمانمائة وهو قائم يصلى عمر هذا الجامع الشريف إبراهيم أغا مستحفظان حالا في تاريخ سنة ١٠٦٢ هـ » .

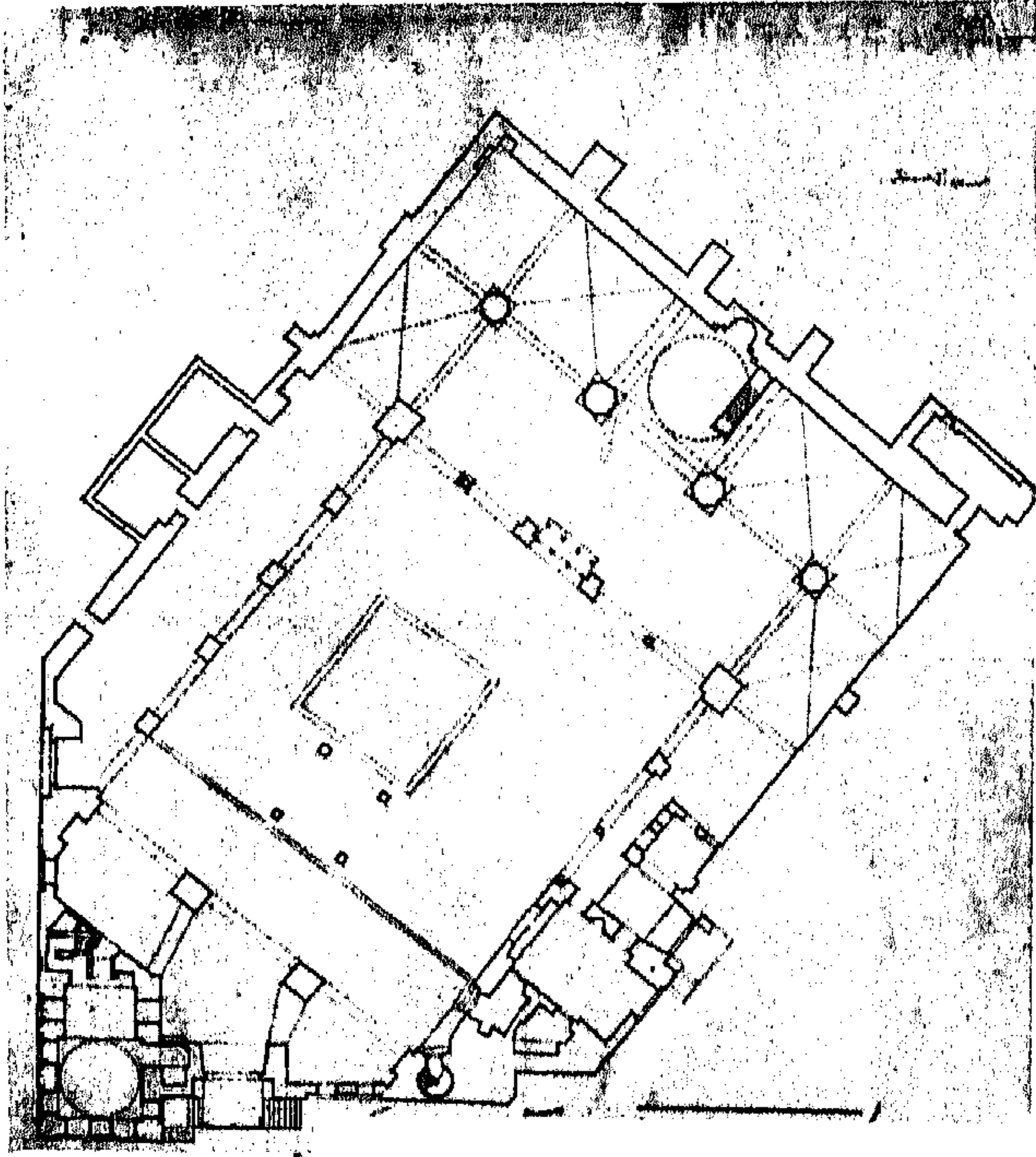
ويتقدم المحراب قبة كبيرة تقوم على مقرنص واحد في منطقة الانتقال . ومما يسترعى النظر في هذه القبة أن منطقة الانتقال تحتوى على مقرنص واحد ، وقد اختفت هذه الظاهرة منذ أوائل العصر الفاطمي ، وإن كانت قد تكرر وجودها في مساجد ومدارس معاصره لجامع آق سنقر مثل قبة تنكر بغا ومسجد أم السلطان شعبان . كما يوجد في هذا الايوان دكة للمبلغ وهى من الرخام كذلك .

وتوجد مئذنة الجامع في الواجهة الغربية وهى مئذنة رشيقة مبنية من الحجر وتتكون من ثلاثة طوابق ، الطابق الأول اسطوانى يقوم على نافذة مربعة وهو خلو من الزخرف ويفصل بينه وبين الطابق الثانى شرفة ذات (١٦) ضلعا من الحجر المخرم وتقوم على مثلثات من الدلايات الجميلة التنسيق . ويتكون الطابق الثانى من ستة عشر فصا مستطيلا يمتد بارتفاع الطابق ويفصل بين الطابق الثانى والثالث شرفة مماثلة لشرفة الدور الأول . أما الطابق الثالث فيتكون من ستة أعمدة تعلوها خوذة خشبية مغلقة بالرصاص وذلك لتخفيف الضغط الطارد على الأعمدة .

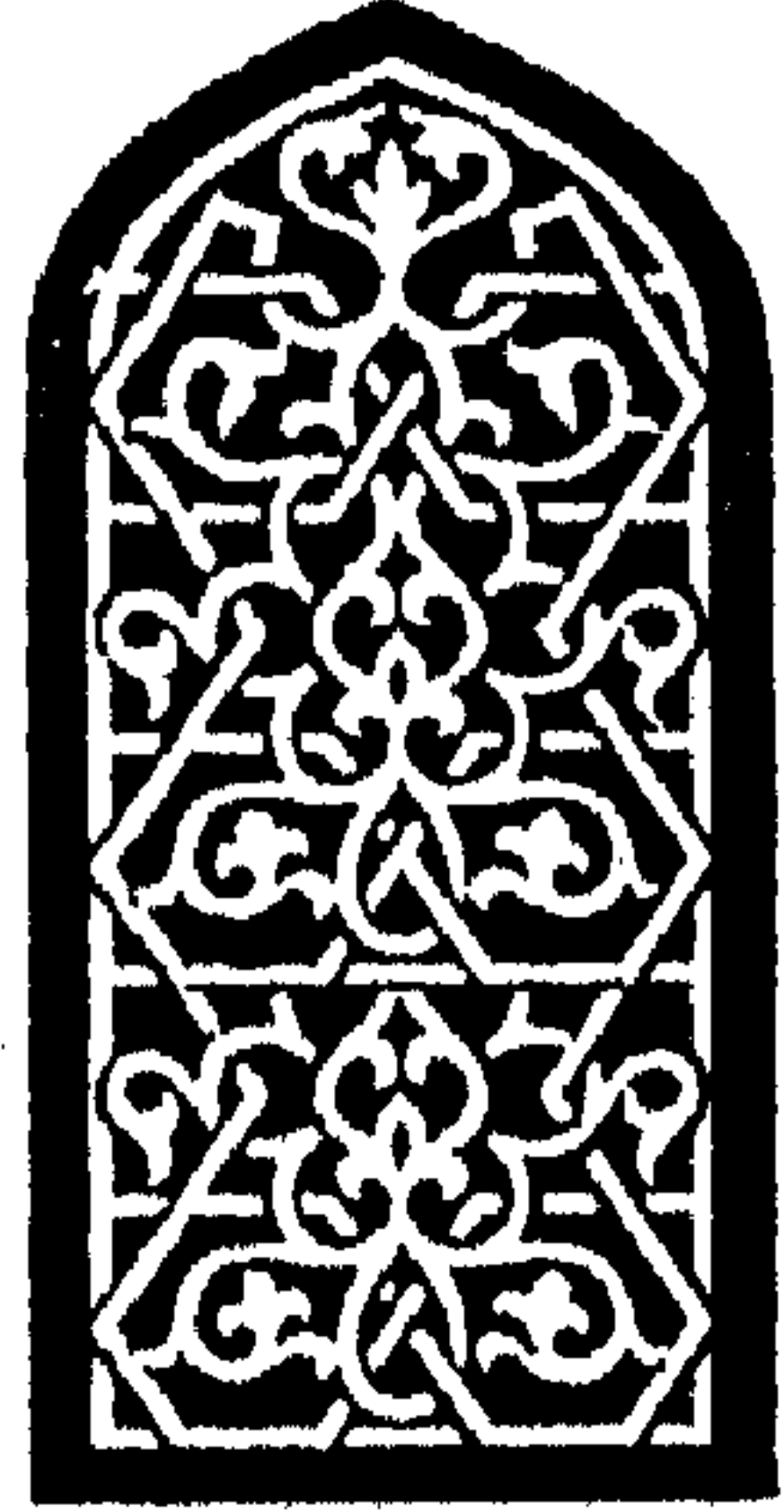
ويعلق محمد^(١) رمزى على الخلط الذى حدث بالنسبة لتاريخ هذا الجامع فيقول : لقد لاحظت بعض أخطاء تاريخية فى كتاب المخطط للمقريزى خاصة بهذا الجامع ، أهمها ، أن المقريزى لما أراد الترجمة لمنشئه آق سنقر السلارى المتوفى سنة ٧٤٤ هـ فى حين أن منشئ الجامع هو آق سنقر الناصرى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . ولما تكلم على مبارك فى خطته عن هذا الجامع ، ذكر أن البدء فى عمارته كان فى سنة ٧٢٧ هـ والفراغ منه سنة ٧٢٨ هـ^(٢) ، وصواب التاريخين هو سنة ٧٤٧ ، ٧٤٨ هـ .

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ١٧٩ (الهامش) .

(٢) المخطط التوفيقية ج ٤ ص ٤٤



(شكل ٢٤) جامع آق سنقر



خاتقاه خوند طغاي ٧٤٩هـ

أنشأت هذه الخاتقاه طغاي الخونده الكبرى زوجة السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون وأم ابنه الأمير أنوك ، كانت من^(١) جملة إماءه فأعتقها وتزوجها ويقال إنها أخت الأمير اقبغا عبد الواحد وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال ، رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء المماليك ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها وصارت خونده .

وخوند لفظ فارسي وأصله (خداوند) ومعناه السيد أو الأمير ويخاطب به الذكور والإناث^(٢) وقد انتشر استعمال هذا اللقب عند المسلمين بمعنى السيدة أو الأميرة وفي هذه الحالة تضاف إليه تاء التأنيث^(٣) . وقد استعمل هذا اللقب في عصر المماليك كلقب من ألقاب النساء التي تتفرع على الأصول المؤنثة تأنيثاً حقيقياً . وكان هذا اللقب يطلق أيضاً على زوج السلطان^(٤)

وقد كانت خوند طغاي أكبر نساء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى من ابنه الأمير تنكز . وحج بها القاضي كريم الدين الكبير واحتفل بأمرها وحمل لها البقول في محاريطين على ظهور الجمال ، وأخذ لها الأبقار الحلابة فسارت معها

(١) المقریزی : الخطط ج ٢ ص ٤٢٥

(٢) قاموس محيط المحيط ، المقریزی السلوك ج ١ ص ٢٢٤ (حاشية) .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٦ ص ٧٨

(٤) خليل الظاهري : زبدة كشف المالك ص ٢٧

طول الطريق لأجل اللبن الطرى وعمل الجبن وكان يقلى لها الجبن فى الغداء والعشاء .
وكان القاضى كريم الدين والأمير مجلس وعدد من الأمراء يترجلون عند النزول
ويمشون بين يدى محفتها ، ويقبارن الأرض لها كما يفعلون بالسلطان ، ثم حج
بها الأمير بشتاك فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وكان الأمير تنكز إذا جهز من دمشق
تقدمة إلى السلطان لابد أن يكون لخوند طغاي منها جزء وافر ، فلما مات السلطان
الملك الناصر استمرت عظمتها من بعده إلى أن ماتت فى شهر شوال سنة تسع وأربعين
وسبعمائة أيام الوباء عن ألف جارية وثمانين خادماً نخصيا وأموال كثيرة جداً وكانت
عفيفة طاهرة كثيرة الخير والصدقات والمعروف جهزت سائر جوارها وجعلت على قبر
ابنها بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين قراء ووقفت على ذلك وقفاً وجعلت من
جملته خبزاً يفرق على الفقراء ودفنت^(١) بهذه الخانقاه .

(١) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٤٢٦

الوصف المعماري

لا توجد لهذه الخانقاه^(١) واجهة فقد اندثر معظمها ولم يبق بها إلا الضلع الشرقي الذي يبلغ طوله ٢٦٧ م ، يضم هذا الضلع تجويفين وحنية ضحلة رأسية مستطيلة ، يعلو كلا منها ثلاثة صفوف من المقرنصات ، وبالتجويفين صفان من الفتحات ، تتميز السفلية التي تعلو عن مستوى أرضية الطريق بحوالي متر باتساعها ووجود أعتاب ذات صنجات مزرة وعقود عاتقة ، أما العلوية التي أسفل الشريط الكتابي فعبارة عن فتحات قنديلية صغيرة يتكون كل منها من فتحتين بعقدين صغيرين ترتكز أرجلهما على أعمدة صغيرة مستديرة . ونص الكتابة قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر ونحشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم إنا نحن نحى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين^(٢) » .

ويتوسط الجدار الشرقي للخانقاه ايوان القبلة وهو عبارة عن مستطيل طوله ١٠ م وعرضه ٨ م ٥٠ بصدرة محراب اتساع حنيته ١٦ م وعمقها ١١ م طاقيته على هيئة عقد مدبب ، بداخلها زخارف نباتية جصية بارزة متقنة قوامها سعف نخيلية

(١) المقریزی : الخطط ج ٢ ص ٤٢٤

(٢) سورة يس آية ١ - ١٧

وفروع متشابكة يحيط بها إطار مستطيل بداخله زخارف نباتية متقنة بارزة . ويمتد أعلى جدران الايوان شريط به كتابة نسخية بارزة على أرضية مزهرة نصها قوله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم إلى قوله تعالى . . . البلاغ المبين^(١) » . كما يزدان جدران الايوان بجوامت كبيرة على شكل جامات بداخلها زخارف نباتية وكتابية جصية متقنة وهى تشبه الدوائر الحجرية على واجهة الأقمر . ويكتنف المحراب فتحتا نافذتين سدتا حاليا بالبناء .

ويتقدم الايوان عقد كبير مدبب يطل على المساحة الخربة اتساع فتحته بعرض الايوان قد نقش خارجه بزخارف كتابية جصية بأحرف نسخية بارزة تتضمن آيات من سورة يس .

وبالجهة الشمالية للايوان يوجد باب معقود بعقد مدبب سعته ٣٠ ر ٤ م يفضى إلى قبة مربعة طول ضلعها ٤ م يحتمل أنه موضع مرقى سلم لشدنة^(٢) يعلوه منطقة انتقال مقرنصة . ويغشى الايوان قبو كبير مدبب .

مساكن الصوفية :

اندثرت معالمها ، بيد أننا عثرنا على خلوتين بالجانب الجنوبي للمساحة الخربة لعلهما كانتا للصوفية .

القبة :

تقع إلى يمين الايوان ، ويدخل إليها من باب يقع في الضلع الغربى لها ويبلغ اتساع حنية مدخلها ٢٥٠ ر ٢ م بأعلاها زخارف من المقرنصات الدقيقة من حطتين ، ويكتنف المدخل جستان صغيرتان يعلوهما شريط من الكتابات النسخية البارزة نصها قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم « إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق^(٣) متقابلين » وخلف الحنية فتحة باب مستطيلة اتساعها ٢٣٠ ر ٢ م وارتفاعها

(١) سورة يس آية ١ - ١٧

(٢) هدم الفرنسيون المئذنة عند دخولهم القاهرة .

الجبرى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ج ٤ ص ١٦٢

(٣) سورة الدخان آية ٥١ - ٥٢

٢٤٠ م تفضى إلى قاعة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٧ م بصدرها محراب اتساع حنيته ١ م وعمقها ٨٠ م . طاقيته على هيئة عقد مدبب قد ازدانت بأشكال الصنوج المزرة . ويكتنف المحراب نافذتان مستطيلتان لكل منهما عقد مدبب اتساع كل منهما ١٤ م وعمقها ٨ م . وبالجهة الشمالية الضريح نافذة مستطيلة اتساعها ١٦ م وعمقها ٨ م تطل على ايوان الخانقاه . وبالجهة الجنوبية نافذة ثالثة اتساعها ١٦ م وعمقها ٢ م تطل على الطريق . ويعلو أركان مربع الضريح منطقة انتقال مكونة من ثلاثة صفوف من الدلايات تضم بين حناياها أربع مجموعات من الفتحات ، كل على هيئة مثلث تتميز العلوية بشكلها السداسى وباقيها خماسية الأضلاع ، ويعلو منطقة الانتقال قبة مضلعة من الخارج قد ازدانت رقبته بشريط كتابي بأحرف نسخية بيضاء على أرضية خزفية زرقاء تتضمن البسمة وآية الكرسي .

ويشبه هذا الخزف الزجاج الملون كل قطعة مقطوعة على لوح ملون بلون واحد تتبع ماحولها من الرسومات ، وقد انتشرت التغطية بالخزف فى رقاب القباب المصرية فى أمثلة سابقة تجدها فى ضريح طشتمر ٧٣٥ هـ . ١٣٣٤ م ومسجد أصلم البهائى ٧٤٥ هـ . ١٣٤٥ م .

الأمير شيخون

الأمير شيخون هو شيخون العمرى الناصرى ، أحضره إلى مصر الخواجا عمر ؛ فاشتراه الناصر محمد بن قلاوون ، حظى عند الملك المظفر حاجى^(١) بن محمد بن قلاوون وزادت وجاهته حتى شفع في الأمراء وأخرجهم من سجن الاسكندرية . ثم أصبح في أول دولة الملك الناصر حسن أحد أمراء المشورة وفي أيام الخدمة صارت القصص تقرأ عليه بحضوره السلطان وصار زمام الدولة بيده فساسها أحسن سياسة وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر .

وفي سنة ٧٥١ هـ عين نائبا لطرابلس . ولما وصل إلى دمشق في طريقه إليها صدرت الأوامر بإقامته بها ، ولم يلبث أن قبض عليه وأحضر إلى الاسكندرية وسجن بها . وظل الأمير شيخون معتقلا بسجن الاسكندرية إلى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن وتولى أخوه الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون فافرج عنه . ولما ورد الرسول إلى شيخون مبشرا باطلاق سراحه ، خرج من الاسكندرية وهو ضعيف وركب الحراقة وفرح أهل الاسكندرية^(٢) بخلاصه وسافر فوافاه كتاب الأمير صدغتمش بأنه إذا أتاك ايدمر بنيابة حماة ، لاترجع وأقبل إلى القاهرة فأنا والأمير طاز معك فلما قرأ شيخون الكتاب تغير وجهه وعلم أنه قد حدث في أمره شيء . ولم يمض إلا وقت قليل حتى

(١) المقرئى : ج ٢ ص ٣١٤

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٢٥٩ وما بعدها .

لاحت له حراقة أيدير ، فمرّ شيخون وهو مقلع وأيدير منحدر إلى أن تجاوزه والأخير يشير إليه بتنديله فلا يلتفتون إليه وتراجع أيدير للحاق بشيخون فلم يلحقه إلا صباح اليوم التالي . وفي اللحظة التي قرأ فيها شيخون المرسوم الذي مع أيدير بتولية شيخون نيابة حماه ، إذ بالخيّل يتبع بعضها بعضا والمراكب قد ملأت وجه الماء مستبشرة بعودة شيخون للقاهرة ، فسار حتى رسا بساحل بولاق بعد أن مشّت إليه الناس إلى منية السيرج وكانت المراكب التي غصت بها صفحة النيل يهلل راكبوها فرحا بمقدمه وركب الأمراء إلى لقائه وزينت الصليبة وأشعلت الشموع وخرجت مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه ، فسار في موكب مهيب حتى طلع القلعة وقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الصالح ، فأقبل عليه السلطان وخلع عنه^(١) ثياب السجن وألبسه تشريفا جليلا وخرج شيخون إلى منزله والتهاني تتلقاه .

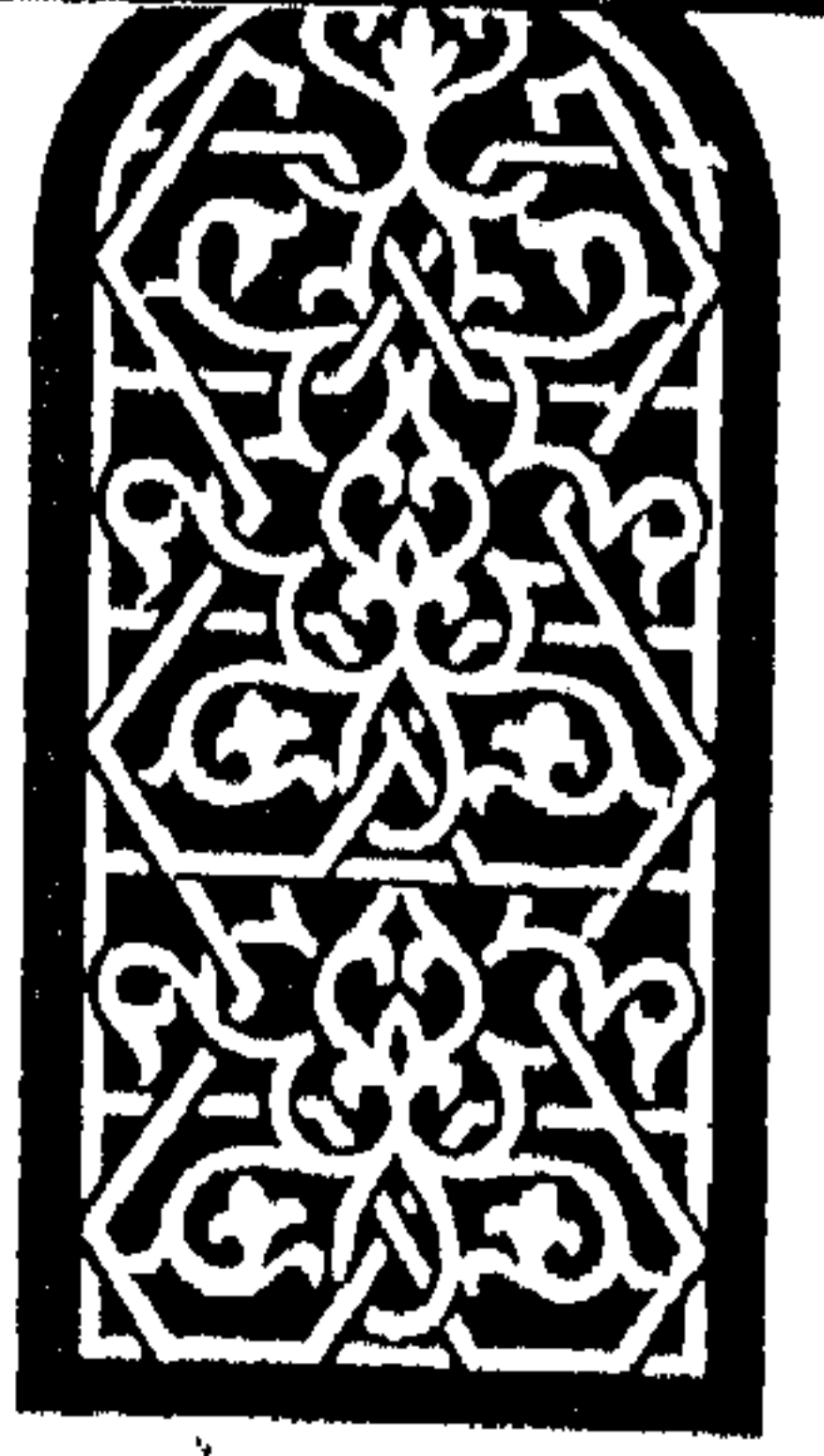
اشترك شيخون مع الملك الصالح والأمير طاز وارغون الكامل في قتال الأمير يلبغاروس والتوجه خلفه إلى حلب ولم يعد إلى القاهرة حتى أمسك بيلبغاروس ومن معه من الأمراء وحز رؤوسهم ثم أنه خرج بنفسه في طلب الأحذب الذي خرج بالصعيد وتجاوز في سفره قوص وأمسك عدة كثيرة منهم ووسطهم حتى سكنت الفتنة بأرض مصر وذلك في سنة أربع وخمسين وسبعمائة وأول سنة خمس وخمسين .

اشترك الأمير شيخون في خلع الملك الصالح وأقام بدله الملك الناصر حسن كما أخرج الأمير طاز من مصر إلى حلب نائبا بها ومعه إخوته ، وصارت الأمور كلها راجعة إليه وزادت عظمته وكثرت أمواله وأملاكه حتى قيل له قارون زمانه وعزيز مصر .

وفي الثامن من شهر شعبان سنة ٧٥٨ هـ خرج عليه شخص من المماليك السلطانية المرتجعة عن الأمير منجك الوزير يقال له باي ووئب عليه وهو جالس في دار العدل بالقلعة وضربه بالسيف في يده وفي وجهه ، فحمل إلى بيته فأقام بها عيلا نحو ثلاثة أشهر عادة فيها السلطان غير مرة وقبض على المعتدى وقتل وفي ليلة الجمعة ٢٦ ذى القعدة سنة ٧٥٨ هـ توفي الأمير شيخون متأثرا بجراحه ودفن بالخانقاه الشيخونية .

(١) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٨٤٩

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣١٤



جامع الأمير شيخون

(سنة ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م)

يقع هذا الجامع تجاه الخانقاه الشيخونية بسوقة منعم فيما بين الصليبة والرميلة ويفصل بينهما شارع شيخون . . . هذا الجامع أول منشآت الأمير شيخون في هذه المنطقة . والواقع أن تاريخ البدء في هذا الجامع غير معلوم ولم يذكره أحد من المؤرخين ولا يوجد به نص تاريخي يفيد تاريخ البدء فيه بينما وجد تاريخ الفراغ من بنائه في شهر رمضان سنة ٧٥٠ هـ - ١٣٤٩ م . ولكن إذا رجعنا إلى ترجمة المنشئ نجد أن الأمير شيخون بدأ يفكر في إنشاء جامع يخلد اسمه في أوائل دولة السلطان الملك الناصر حسن ، أي أن بدء تاريخ الانشاء كان سنة ٧٤٩ هـ^(١) .

أما تاريخ الانتهاء من تلك العمارة فهو مؤكد بعام ٧٥٠ هـ . كما دلت على ذلك الكتابة التاريخية التي على المدخل ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . . . الآية .. وكان الفراغ من ذلك الجامع في شهر رمضان المعظم سنة خمسين وسبعمائة » .

وقد كان الأمير شيخون سهلاً مع عمال البناء فاعطاهم أجورهم بزيادة الثلث عما جرت به العادة في زمنه^(٢) وجعل فيه دروساً للحنفية وعين بالجامع في سنة ٧٥٣ هـ العلامة أكمل الدين محمد الرومي الحنفي وجعل بالجامع درساً للمالكية أيضاً وولى تدريسه نور الدين السخاوي المالكي وقرر له « ثلثمائة درهم كل شهر ورتب به قراء ومؤذنين وغير ذلك من أرباب الوظائف وقرر لهم معاليم بلغت في الشهر ثلاثة آلاف درهم وكل ذلك

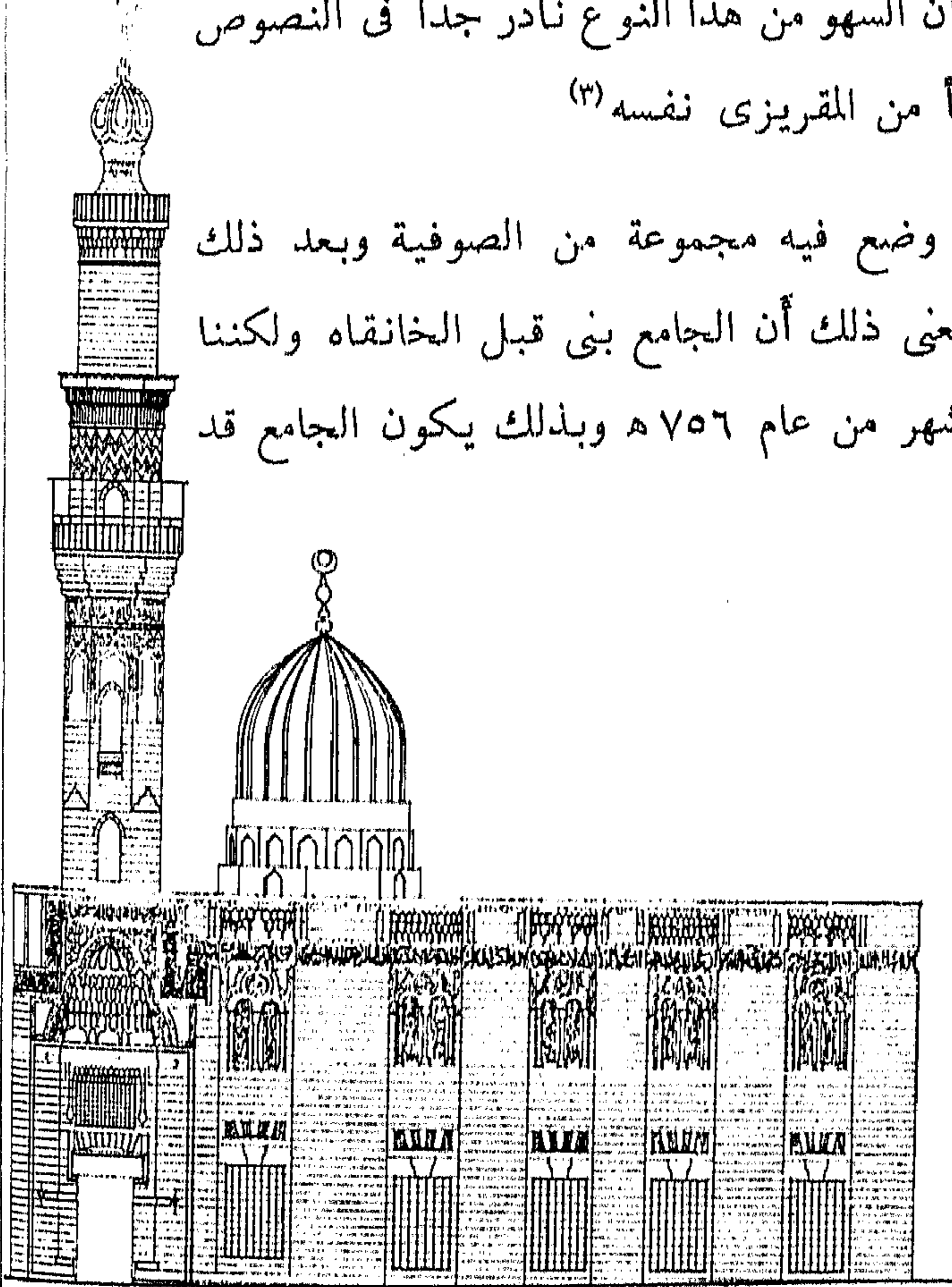
(١) تاريخ المساجد الأثرية حسن عبد الوهاب - ج ١ ص ١٥٦ الذي يرجع تاريخ البدء ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م ، في أواخر دولة الملك المظفر حاجي وذلك اعتماداً على ما عثر عليه من معادن مكفحة بالجامع سنة ١٩٣١ عليها اسم (الملك المظفر) منقوشاً .

(٢) مخطوط قطف الأزهار في الخلط والآثار - محمد بن أبي السرور البكري (بدار الكتب رقم ٤٥٧ جغرافيا)

قبل أن تبنى الخانقاه تجاه الجامع المذكور^(١). ويقول المقرئى « إن هذا الجامع يقع فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل أنشأه الأمير الكبير سيف الدين شيخون الناصرى - رأس نوبة الأمراء فى سنة ٧٥٦ هـ وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا ثم لما عمل الخانقاه تجاه الجامع نقل الصوفية إليها وزاد عدتهم^(٢) » .

ويبدو أمامنا خطأ قد وقع فيه المقرئى حين ذكر تاريخ الجامع فى سنة ٧٥٦ هـ.... ذلك أن الكتابة التاريخية على الجامع توضح بطريقة لا تقبل الشك أنه بنى سنة ٧٥٠ هـ. وإذا كان المقرئى على حق فى تاريخه فلا بد أن الحفار الذى نقش التاريخ على الجامع قد ترك العدد ٦ سهوا أثناء كتابته للنص.... ولكن ليس هناك فراغ على الحجارة نفسها مما يجعلنا نؤكد أن الحفار قد أخطأ سهوا بل أن السهو من هذا النوع نادر جدا فى النصوص مما يجعلنا على العكس من ذلك نرجح أنه خطأ من المقرئى نفسه^(٣)

كما أن الأمير شيخون بعد بناء الجامع وضع فيه مجموعة من الصوفية وبعد ذلك نقلهم إلى الخانقاه التى بناها أمام الجامع ... معنى ذلك أن الجامع بنى قبل الخانقاه ولكننا نرى أن الأعمال فى الخانقاه بدأت فى أول شهر من عام ٧٥٦ هـ وبذلك يكون الجامع قد بنى قبل هذا التاريخ أى سنة ٧٥٠ هـ .



(شكل ٢٥) واجهة
جامع الأمير شيخو

- (١) النجوم الزاهرة - ابن تفرى بردى ج ١٠ ص ٢٦٩
(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقرئى ج ٢ ص ٣١٣
(٣) سعاد حسين : أعمال الأمير شيخون المعمارية بالقاهرة (مخطوطة رسالة ماجستير من كلية الآثار سنة ١٩٧٥)

الوصف المعماري

وهو جامع تطل واجهته الجنوبية - وهي الواجهة الرئيسية - على شارع شيخون بقسم الخليفة ويبلغ طولها ٤٣٨٠ مترا وقد كانت هذه الواجهة مماثلة لواجهة الخانقاه في الطول كما كانت مماثلة لها في كثير من التفاصيل المعمارية

وتنقسم الواجهة المبنية من الحجر المصقول إلى قسمين ، الأسفل وهو القسم الذي تشغله النوافذ وطوله ٢٣٧٠ مترا وبهذا الجزء خمس حنيات ترتفع بارتفاع جدران الواجهة وهي ١٣٥٠ متر وعرض كل دخلة منها ٢٢٠ متر وعمقها ٢٠ متر ... وهذه الدخلات يوجد بجزئها الأسفل شبابيك ملئت بمصبغات حديدية ويعلو فتحة الشباك عتب حجري معشق وعقد عاتق مكون من صنجات مزررة وبينهما طبله عقد خالية من الزخرفة .

أما الجزء العلوي من الحنيات فبكل حنية توجد نافذة قنديلية مكونة من نافذتين مستطيلتين لها عقود نصف دائرية ترتكز على ثلاثة أعمدة صغيرة بعضها دائري البدن والآخر مثنى لها تيجان وقواعد رومانية الشكل وتعلو تلك النافذتين الصغيرتين قمرية دائرية بالوسط وقد زخرفت هذه النوافذ بزخارف جصية مفرغة وزجاج معشق وزخارفها الجصية على هيئة خطوط متشابكة ومتداخلة مكونة أشكالا هندسية ومن أطباق نجمية . وفوق هذه النوافذ يمتد شريط كتابي بالخط النسخي على طول الواجهة وهو من آيات قرآنية . . . وتنتهي هذه الحنيات بثلاثة صفوف من المقرنصات بعضها مقرنصات مضلعة ذات زوايا والبعض الآخر من مقرنصات مقعرة ذات دلايات وذلك بالتبادل ثم تأتي الشرفات المسننة التي اندثر معظمها الآن .

ويقع المدخل الرئيسي في القسم الثاني من الواجهة ويبلغ طول هذا الجزء حوالي ٨١٠ أمتار ويبرز عن القسم الأول من الواجهة بمقدار ٢٠ متر . ويقع المدخل الرئيسي داخل حنية

عرضها ٣٦٠ أمتار ويكتنفها من الجانبين مكسلتان حجريتان طول كل منهما ٢١٠ متر وعرضها ٥٥ متر وارتفاعها عن الأرض بحوالى ٦٥ متر وتنتهى هذه الحنية بعقد ثلاثى الفصوص وقد ملئ هذا العقد بزخارف من مقرنصات مقعرة ذات دلايات . وزخرفت المقرنصات من الداخل بزخارف نباتية مورقة وهندسية محفورة بالبارز ومطلية بالألوان مما زاد المدخل بهاء .

ويقع الباب بصدر هذه الحنية وعرضه ٢١٥ متر وبه ضلعتان خشبيتان عرض كل منهما ١ متر وهما خلو من الزخرفة إلا من شريطين من النحاس الخالى من الكتابة وإن كانت مزخرفة من الأطراف بأوراق ثلاثية الفصوص .

ويعلو الباب عتب حجرى من أسفل من الحجر أيضا وقد جلب هذا الحجر من مدينة منف وأكمل به الأمير شيخون أعماله المعمارية بالقاهرة ولكنه خال تماما من الزخارف أو النقوش .

ويعلو هذا العتب وإطاره عاتق مكون من صنجات مزررة من الرخام الملون بألوان الأحمر والأبيض والأزرق بالتبادل وفوق هذا العقد العاتق نافذة كبيرة مستطيلة مزخرفة .

وعلى جانبي هذا الشباك عمودان حجريان ذوا بدن مستدير يرتكز على كابولى حجرى من أسفل يحمل كورنيشا مكونا من صفين من المقرنصات المضلعة ذات الزوايا الصغيرة والمشعة . . . وعلى جانبي تلك الأعمدة الصغيرة زخرف العائط بثلاثة أشرطة من الرخام الملون باللونين الأزرق والأبيض بالتبادل ... وعلى جانبي حنية المدخل بارتفاع ٢٥٥ متر يوجد شريط غائر عرضه ٣٠ متر ينتهى من الجانبين بزخرفة على شكل ورقة ثلاثية .. وبه كتابة بارزة بالخط النسخ زالت معظم معالمها كما يعلو شريط آخر من الكتابة النسخية المحفورة بالبارز ويمتد فوق صف الكرانيش من المقرنصات فوق المدخل وعلى جانبيه وقد كتب به « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله . . . الآية وكان الفراغ من ذلك الجامع فى شهر رمضان المعظم سنة خمس وخمسين وسبعمائة » .

وفوق هذه الزخارف وحولها من الجانبين يوجد إطار زخرفى بارز يلتف حول هذا الجزء ولكنه أسفل مقرنصات عقد حنية المدخل ويصل فى التفافه إلى أسفل عند المكاسل الحجرية وهو ما نجده فى الخانقاه من زخرفة المدخل الرئيسى .

ثم يأتى شريط كتابى نسخى وينكسر عدة انكسارات لبدو محيطا بالعقد الثلاثى ذى المقرنصات ويمتد على طول الواجهة إلى نهايتها من الناحية الشرقية . ونأتى إلى نهاية الواجهة حيث المثانة التى تعلو المدخل وقد كانت الواجهة تمتد حوالى ١٢ مترا حتى حارة درب الشيخ خليل حيث تشغل هذه المساحة ثلاثة حوانيت^(١) وقد أشارت إدارة حفظ الآثار العربية فى قرار لها بتاريخ : ١٠ ر ١٩٥٠ بأن المنزل رقم ١ بدرب الشيخ خليل التابع لوقف شيخو الخيرى الذى يقع إلى يسار المدخل الرئيسى للجامع يعتبر جزءا من جامع شيخو الاثرى^(٢) وقد حول هذا المنزل الآن إلى ثلاثة حوانيت بالجهة الجنوبية وثلاثة حوانيت بالجهة الغربية .

وتؤدى فتحة المدخل الرئيسى إلى دركاه طولها ٣٦٠ أمتار وعرضها ٢٥٠ متر بنيت جدرانها من الأحجار وغطى سقفها بكتل خشبية مدهونة بطلاءات متعددة الألوان .

القبّة :

وتؤدى الدركاه إلى ردهة غير منتظمة الأضلاع بها باب تدخل منه إلى القبّة وهى حجرة مربعة طول ضلعها ٩٠ ر ٤ أمتار يعلوها قبة تقوم على مقرنصات من صفين بالصف الأول ثلاث حطات والصف الثانى فوقه ثلاث حطات أيضا وتحصر هذه المقرنصات نافذة بوسط كل ضلع من الأضلاع الأربعة . وهى من ثلاث فتحات ذات عقود منكسرة ويعلو هذه المنطقة بمقرنصاتها وشبابيكها ست عشرة حنية من الحنايا ذات العقود ذات الزوايا فتحت حنية وأغلقت أخرى بالتبادل . وهذه الحنايا تبدو من الخارج كرقبة القبّة . ثم تأتى القبّة فوق هذا الجزء وهى من الداخل خالية من الزخارف تماما . أما من الخارج فهى مضلعة ومبنية من الآجر ومغطاة بطبقة جصية سميكة .

(١) سعاد حسين : أعمال الأمير شيخون الممارية بالقاهرة ص ١٣٩

(٢) ملف جامع شيخون البحرى رقم ١٤٧ بمصلحة الآثار رقم القرار ٣٥٧٢

وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار من أرضية الحجرة يوجد شريط كتابي بالخط النسخ يحيط بجدران الحجرة الأربعة وهو شريط جصي بارز تبدأ كتاباته بالبسملة في الضلع الشرق ثم جزء من سورة «يس» الكريمة . وليس بهذا الشريط اسم شخص معين أو تاريخ محدد وإنما بنيت هذه القبة لتكون مدفناً للمنشئ ولكنه عندما بنى الخانقاه تجاهلها ونقل إليها الصوفية وبنى ضريحه بداخل تلك الخانقاه مع شيوخ الصوفية تبركا وتيمنا . وفي وسط كل من الضلعين الشرقى والشمالى من تلك الجدران يوجد شبك له دخلة عميقة وهى سمك الحوائط حوالى ٠٩٥ متر . وسقف هذه الدخلة من الخشب المدهون بالألوان زال معظمها .

ويطل الشباك الشرقى على الرواق الأول من ايوان القبلة أما النافذة الشمالية فتطل على الرواق الجنوبى المثل على صحن المسجد (اللوحة رقم ٧١) أما الجدار الغربى للقبلة فيوجد به الباب يفتح فى الردهة وبالجدار الجنوبى توجد النافذة التى تطل على الواجهة الرئيسية .

أما أرضية القبة فمغطاة ببلاطات حجرية متوسطة الحجم ولا يوجد بها أى تركيبات حجرية أو رخامية . وفى أعلى جدران الضلع الشمالى والضلع الجنوبى ومنتصف كل منهما توجد نافذة مستطيلة لها عقد نصف مستديرة ومزخرفة بستائر جصية مخرمة قوامها رسوم نباتية وهندسية وكتابات نسخية نصها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وقد جددت مصلحة الآثار هذه النوافذ .

صحن المسجد :

ونصل من الدركاه إلى الصحن وهو مستطيل الشكل طوله ١٦٥٥ مترا وعرضه ١٠٥٥ أمتار يحيط به أربعة إيوانات أعماقهم الإيوان الشرقى والغربى وبوسط الصحن فسقية للوضوء وهى عبارة عن مئمن مبنى من الآجر ومغشى بالأواح رقيقة من الرخام الأبيض والأزرق طول كل ضلع من أضلاعه الثمانية ٠٦٥ متر وارتفاعه ١ متر . وبكل ضلع من أضلاع المئمن فتحة تنساب مياه الحوض عبر هذه الفتحات لوضوء المصلين .

وأرضية الصحن مفروشة بالرخام الملون بزخارف هندسية عبارة عن مربعات أو مستطيلات بداخل أحد المربعات أجزاء رخامية مثمانية تحصر فيما بينها شكل نجمة صغيرة باللون الأحمر والأزرق ويحيط بالجميع إطار من الرخام الأزرق . وتحيط بأعلى جدران هذا الصحن أى أعلى جدران عقود الاواوين الأربعة شرفات مسننة .

وفي الجهة الشرقية يوجد ايوان القبلة وهو عبارة عن مستطيل عرضه ٢٠ر٤٠ مترا وعمقه ١٠ر١٤ مترا يرتفع عن أرضية الصحن بمقدار ٢٠ر٠ متر ويقسمه إلى رواقين صفيين من البائثكات كل بائكة مكونة من ثلاثة عقود نصف مستديرة ترتكز عقودها على عمودين . .

ويتصدر الايوان محراب كبير مجوف وعلى يمينه المنبر الحجري ويعلو المحراب قمرية مستديرة مغطاة بالجص المخرم والزجاج المعشق . وعلى جانبي المحراب يوجد باب خشبي إلى اليمين وآخر إلى اليسار عرض كل منهما ٩٥ر٠ متر وطوله ٢٠ر٢ متر استعمل كدولاب حائطي صغير « كتبية » يحفظ فيها متطلبات شيوخ الصوفية أو الكتب الدينية فقد أوقف على الجامع مجموعة من الكتب الأمير الصالح أحمد جاويش ارناؤدباش اختيار المتوفى سنة ١٢٠١ هـ - ١٧٨٦ م .

وبالركن الجنوبي الغربي من الايوان الشرق نجد فتحة الشباك الذي بالجدار الشرق من جدران القبة ويبلغ اتساعه ١٥ر١ متر والذي سبقت الإشارة إليه .

ويتوسط جدار القبلة المحراب وهو عبارة عن حنية نصف مستديرة عمقها ٤٠ر١ متر ذات عقد نصف دائري وعرضها ٨٥ر٢ متر يكتنفه من الجانبين عمود في كل جهة وهو عمود رخامي ذو لون أصفر معرق باللونين البنّي والأحمر وهو مثمان البدن وله تاج كورنثي الشكل .

أما طاقية المحراب فمزخرفة بعدة قطاعات من الزخارف المشعة باللون الأحمر والأبيض والأزرق وبوسط منطقة الاشعاع كلمة « الله » وحافة دخلة المحراب مكونة من صنجات معشقة وأسفل طاقية المحراب شريط كتابي بالخط النسخ من آيات قرآنية .

أما الحنية نفسها فمزخرفة بعدة شرائط من الرخام والفسيفساء الرخامية الملونة فنجد أنه مكون من إطار أول من أسفل ارتفاعه ٨٠ ر. متر ومزخرف ببلاطات صغيرة طول ضلعها ١٠ ر. متر خزفية ملونة بالألوان الأسود والأزرق والأبيض والأصفر وهى عبارة عن أطباق نجمية كاملة وبينها خطوط حلزونية ومشبكة فى شكل هندسى جميل .

وسقف هذا الإيوان من الخشب على هيئة حقائق خشبية (اللوحة ٦٨ - ٧٧٢) فى وضع أفقى ورأسى تحصر بينها مربعات غائرة وكلها مطلية بالألوان المختلفة وزخارفه نباتية وهندسية كما يحيط بهذا الزخارف كتابات قرآنية بالخط النسخ (بسم الله الرحمن الرحيم الله نور السموات والأرض.... الآية) . كما توجد روابط خشبية بين الأعمدة لتعليق المشكاوات .

أما الإيوان الغربى فيتكون من مستطيل عرضه ٨٠ ر. ١٥ مترا وعمقه ٥٥ ر. ١١ يحتوى على رواقين وصفين من البوائك وبكل بائكة ثلاثة عقود مدببة محمولة على عمودين . ويحيط بإطارها إطار بارز ومزخرفة باللونين البنى والأبيض والأعمدة الرخامية ذات قواعد مربعة رخامية أيضا وذات أبدان مستديرة وتيجانها كورنثية .

أما البائكة الثانية فهى مكونة من خمسة عقود مدببة محمولة على عمودين فى الوسط ودعامتين فى كلا الجانبين . واتساع فتحة العقد الأوسط من الإيوان أكبر من العقود الجانبية إذ يبلغ اتساعها ٤٥ ر. ٥ أمتار بينما فتحات العقود الجانبية كل منها ٦٥ ر. ٤ أمتار .

وأرضية هذا الإيوان مرتفعة عن أرضية الصحن بمقدار ٢٠ ر. متر ماعدا الجزء الأوسط من الإيوان فهو غير مرتفع وإنما يمتد داخل الإيوان عبر البلاطة الوسطى فى مستوى سطح أرضية الصحن .

ويبلغ طول الإيوان الشمالى ٢٥ ر. ٩ أمتار وعمقه ٢٠ ر. ٢ متر ويطل على الصحن ببائكة مكونة من عقدتين نصف مستديرين وتبلغ فتحة العقد ٨٠ ر. ٤ أمتار (اللوحة رقم ٦٣) .

ويتكون سقف هذا الإيوان من كتل خشبية مزخرفة بالألوان المختلفة والرسوم المختلفة من هندسية وكتابية ونباتية . ويوجد بابان عرض كل منهما ١٥ ر. ١ متر .

الباب الشرقى منهما يؤدى إلى استطراق طوله ٥ أمتار يقع خلف ذلك الإيوان الشمالى وجزء من الإيوان الشرقى ولها سقف خشبي .

والباب الغربى يؤدى إلى باب آخر يصل إلى دورة المياه وبين البابين يوجد استطراق طوله ٣ر٨٥ أمتار سماوى مكشوف ، بجدارها الشرقى نافذتان مستطيلتان تطلان على الغرفة التى بالبلاطة الثانية من الإيوان الشرقى .

وبأعلى الجدران بهذا الإيوان نافذتان مستطيلتان ذواتا عقود نصف مستديرة بها زخارف جصية وزجاج ملون .

أما الإيوان الجنوبى وهو المقابل له فعمقه ٢ر١٥ متر وطوله ٧ر٢٠ أمتار ويطل هذا الإيوان على الصحن ببائكة واحدة مكونة من عقدين نصف مستديرين محمولين على عمودين ذوى ابدان مستديرة وتيجان كورنثية وقواعد مربعة رخامية ولكن فتحات العقود غير متساوية وتشبه مثلثة الجامع مثلثة الخانقاة فهى تتكون من ثلاث دورات : الدورة الأولى تقوم على قاعدة مربعة عرض ضلعها ٤ر٣٠ أمتار وارتفاعه حوالى ٢ر٢٥ متر بضلع الجنوبى باب فتحته ٠ر٨٠ متر ذو عقد مدبب ويحيط بالعقد المدبب إطار من صنجات حجرية .

وتقوم فوق هذه القاعدة الدورة الأولى وهى عبارة عن جزء مثنى الأضلاع وهذه الدورة بها زخرفة مكررة فى الأضلاع الثمانية عبارة عن منطقة غائرة مربعة من أسفل ومستطيلة من أعلى ينتهى هذا المستطيل بعقد مدبب أما الدورة الثانية والثالثة فمستديرتان . وتنتهى المثلثة بطاقية على شكل قبة .

ويوجد بإيوان القبلة دكة المبالغ وهى من الحجر أيضا عبارة عن مستطيل طوله ٤ر٥٠ أمتار وعرضه ٢ر١٥ متر وترتفع على أربعة جدران تحملها سمك كل جدار منها ٠ر٣٠ متر وبكل جدار من الناحية الشرقية والغربية التصق به عمودان يفصل بينهما شريط بارز من الحجر غير المزخرف وبين اثنين من الجدران الجنوبية سدت الجوانب كلها إلا بابا واحدا من الناحية الشرقية عرضه ٠ر٢٣ متر وبه عمود أوسط التف حوله سلم حلزوني من عشر درجات . صغيرة تؤدى إلى سطح الدكة . ويلتف حولها شريط كتابى بالخط النسخ هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً » .

وبالجدار الشمالى للدكة كتب :

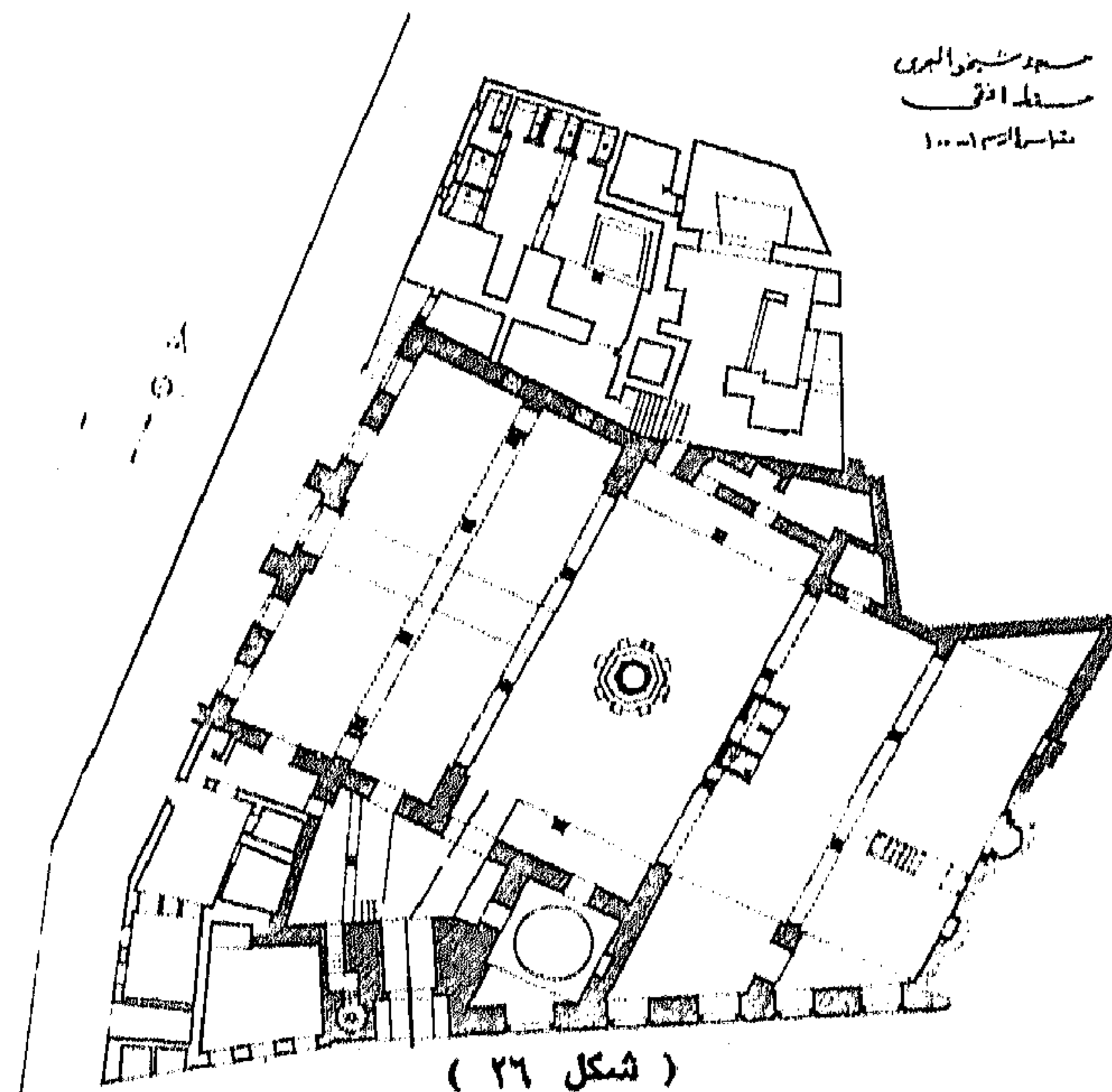
(هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم والله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً ويعذب المنافقين) .

وكتب بالجدار الشرقى للدكة :

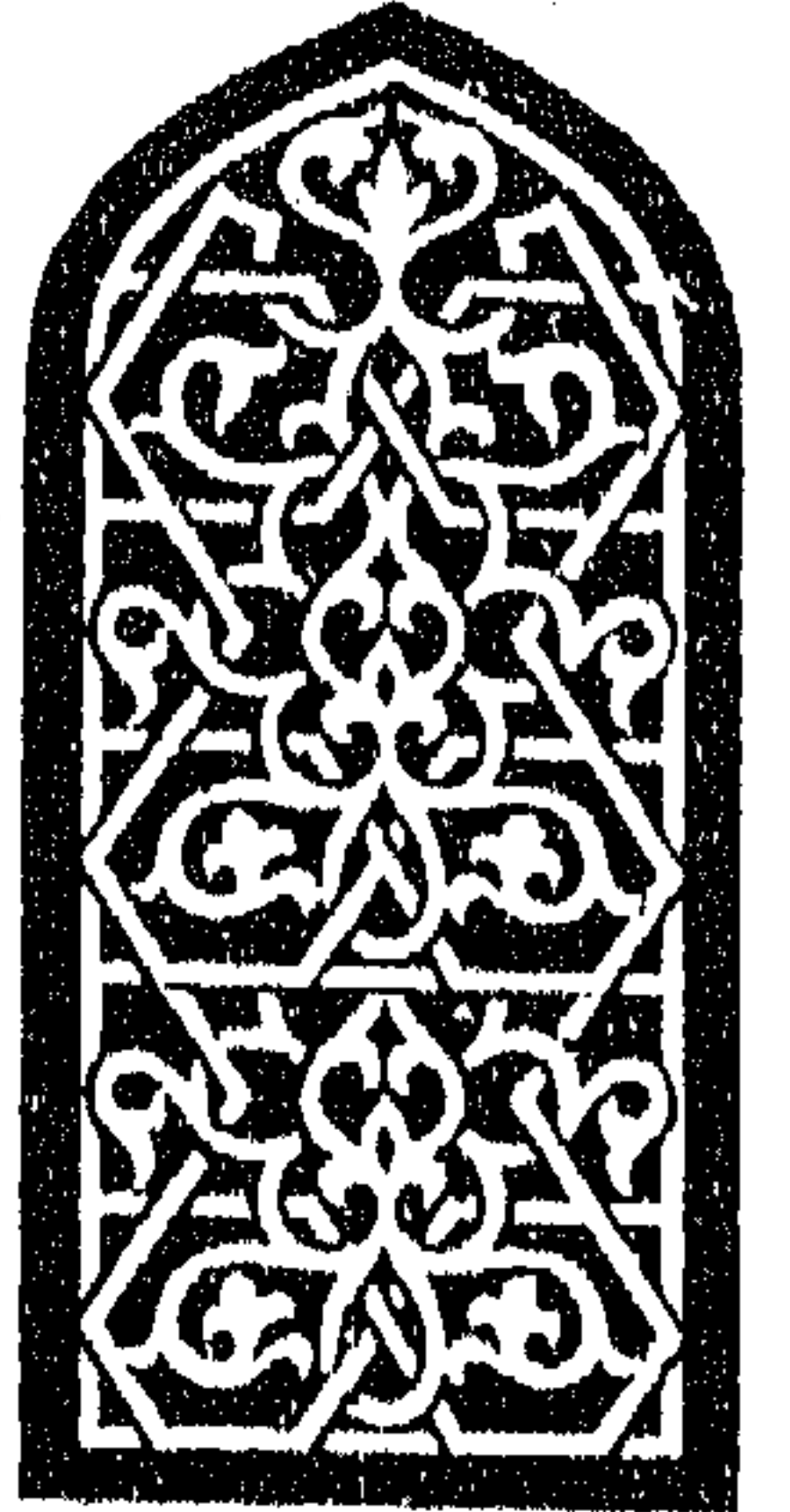
(والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساعت مصيراً والله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) .

أما الجدار الجنوبى للدكة فقد كتب عليه :

(أنشأ هذه الدكة المباركة الحج شعبان بن محمد بن سعيد النقلي غفر الله لهم وللمسلمين وكان الفراغ من ذلك فى شهر صفر سنة إحدى وستين وتسعمائة) .



(شكل ٢٦)
جامع الأمير سيفو



خانقاه شيخون (٨٧٥٦-١٣٥٥م)

أنشأ الأمير شيخون خانقاه في خط الصليبية خارج القاهرة تجاه جامعہ ، في سنة ست وخمسين وسبعمائة كان موضعها من جملة قطائع أحمد بن طولون وآخر ما عرف عنها أنها كانت مساكن للناس ، فاشتراها الأمير شيخون من أربابها وهدمها ، وكانت مساحة أرضها أكثر من فدان فاخطط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة ، ورتب بها دروساً عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة هم الشافعية والحنفية ، والمالكية والحنابلة ودرساً للحديث النبوى ودرساً لإقراء القرآن بالروايات السبع وجعل لكل درس مدرساً وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدروس وحضور وظيفة التصوف ورتب لكل من الطلبة في اليوم الطعام واللحم والخبز وفي الشهر الحلوى والزيت والصابون ، ووقف عليها الأوقاف الجليلة ، فعظم قدرها واشتهر في الأقطار ذكرها ، وتخرج فيها كثير من أهل العلم ، وأربت عمارتها على كل وقف بديار مصر إلى أن مات شيخها الشيخ أكمل الدين في سنة ٧٨٦ هـ فوليتها من بعده جماعة ، ولما حدثت المحن كان بها مبلغ كبير من المال الذى فاض من مصروفها فأخذته الملك الناصر فرج وأخذت أحوالها^(١) تتناقص .

ومن أهم منشآت شيخون جامعہ الذى يقع بسويقة منعم فيما بين الصليبية والرميلة تحت قلعة الجبل أنشأه الأمير الكبير سيف الدين شيخون الناصرى رأس نوبة الأمراء في سنة^(٢) ست

(١) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٤٢١

(٢) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣١٣

وخمسين وسبعمائة ورفق بالناس في العمل فيه وأعطاهم أجورهم ، وجعل فيه خطبة وعشرين صوفياً وأقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الرومي الحنفي شيخهم ، ثم لما عمّر الخانقاه تجاه الجامع نقل حضور الأكمل والصوفية إليها وزاد عدتهم . وهذا الجامع من أجل جوامع ديار مصر .

ويعلق الأستاذ محمد رمزي على ما ذكره المقرئ فيقول^(١) : إن ما ذكره المقرئ من أن هذا الجامع أنشئ في سنة ٧٥٦ هـ لا يتفق مع الواقع ، فإن هذا التاريخ هو تاريخ بناء خانقاه شيخون الواقعة تجاه هذا الجامع ، وقول المقرئ : عن الجامع إنه من أجل جوامع ديار مصر ينطبق كذلك على الخانقاه وليس على الجامع المذكور .

أما هذا الجامع فإنه أنشئ في سنة ٧٥٠ هـ يؤيد ذلك أنه يوجد في نهاية طراز الواجهة العمومية للمسجد كتابة مذكور فيها : وكان الفراغ من هذا الجامع في شهر رمضان المعظم سنة خمسين وسبعمائة .

وهذا الجامع لا يزال باقياً إلى اليوم تقام فيه الشعائر الدينية ويعرف بجامع شيخون البحري لوقوعه تجاه الخانقاه التي تعرف اليوم بجامع شيخون القبلي ويفصل بينهما شارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ هامش ٢٦٩

الوصف المعماري

تقع الواجهة الرئيسية في الضلع الغربي للخانقاه ويبلغ طولها ٧٧ر٨٠ مترًا وتتكون من جزئين ، أحدهما طوله ٦٨ م ، والآخر طوله ٩ر٨٠ م ويبرز الثاني عن الأول بمقدار ٣ر٥٠ م ويضم القسم الأول من الواجهة حنية المدخل الرئيسي . كما يضم ثمانية تجاويف رأسية مستطيلة ضحلة ترتفع إلى أعلى جدار الواجهة يعلو كلا منها ثلاثة صفوف من المقرنصات .

وتحتوي التجاويف على صفين من النوافذ السفلية منها تعلو عن مستوى أرضية الطريق بحوالي نصف متر ، يعلوها أعتاب من صنج رخامية مزررة وعقود عاتقة ، أما العلوية فهي عبارة عن فتحات قنديلية ترتكز أرجلها على أعمدة رخامية دقيقة ويعلو كلا منها طاقة صغيرة ، وقد غطيت الفتحات القنديلية من الخارج بمصبغات مكونة زخارف هندسية .

والقسم الثاني من الواجهة يضم ثلاثة تجاويف رأسية مستطيلة ضحلة ، اثنان بالوسط والثالث بالجهة الشمالية الغربية ، ويتخلل التجاويف صفان من الفتحات كذلك .

والواجهة مبنية بالحجر الأبلق الأبيض المتعاقب مع الأحمر ، ويعلو الواجهة شريط من الكتابة النسخية بحروف بارزة ونصها من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم آية الكرسي ثم . » لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » « لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها

ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين^(١)». «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم^(٢)». ويتوج الواجهة صف من مشرفات مسننة.

ويوجد بالركن الجنوبي الغربي المدخل الرئيسي وهو عبارة عن عقد كبير ذي ثلاثة فصوص تبلغ اتساع فتحته ٣٦٠ م وسماك باطنه ٢٥٠ م ملئت طاقيته بدلايات متقنة ، وواجهة المدخل مغطاة بالرخام الأبيض المتعاقب مع الأسود ، ويكتنف العقد جليستان طويلتان علوهما طراز به كتابة نسخية بارزة من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في جنات وعيون أدخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم^(٣) » صدق الله العظيم وخلف حنية المدخل فتحة باب مستطيلة سعتها ٢٦٠ م وارتفاعها ٣٨٢ م فوقها لوحة تأسيسية من الرخام الأبيض مساحتها ٢١٠ م × ٧٠ م ، بها ستة أسطر من الكتابة النسخية البارزة بأحرف قصيرة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا المكان المبارك والموطن الذي ساهم فيه النية وشارك العبد الفقير إلى ربه جل وعلا المغترف من بحر نواله المغترف من أفضاله بكل لطف تدارك الأمير شيخو العمرى الناصري عمر الله ببقائه ونصره وضاعف أسباب ثوابه وأجره وعوضه بقصور الجنة بعد امتداد عمره وتقبل أعماله الصالحة في سر القول وجهره وجعله خالصاً لوجهه الكريم جائزاً به على الصراط المستقيم يوم معاده وحشره وتقرب به إلى ربه احتساباً وإيماناً وابتغى به فوزاً عند ربه وغفراناً وأوى به كل أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره فأولاه إحساناً وجمع به قومًا كفاهم هم المشونة فكفاهم الله شر

(١) أواخر سورة البقرة .

(٢) سورة النور آية ٢٥

(٣) سورة الحجر آية ٤٦ - ٤٩

يوم الفزع الأكبر ولقاه اماناً يواصلون العمل بالعلم ويقطعون الله تسبيحاً وقرآناً تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وكان ابتداء الشروع فيه في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة والفراغ مما حواه في شهر شوال من السنة المذكورة ، ويعلو اللوحة التأسيسية فتحة نافذة مستطيلة يكتنفها عمودان غليظان قصيران ، ويغلق على فتحة الباب مصراعان من الخشب .

ويؤدي باب المدخل الرئيسي إلى دركاة مستطيلة الشكل طولها ٤١٥ م وعرضها ٣٧٠ م ، أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري وسقفها مغلى بقبو حجري متقاطع ، وبصدر الدركاة عقد كبير مدبب اتساع فتحته ٣٢٠ م ، بداخله مصطبة مساحة قاعدتها ٣٢٠ × ٦٠ م أرضيتها مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري ، ويكتنفها كتفان وبالدركاة فتحة من جهة الشرق باب يعلوه عقد مدبب اتساع فتحته ١٧٥ م ، ويؤدي إلى دهليز الخانقاه .

وهذا الدهليز غير منتظم الأضلاع ، أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري ، بعض سقفه مغلى بألواح خشبية مستوية والبعض الآخر مكشوف . وبالجهة الجنوبية الشرقية للدهليز يوجد بابان معقودان يؤدي الأول إلى صحن الخانقاه ، واتساع الجنوبي ١٤٠ م وسمك باطنه ٣٠ م ويفضى الثانى إلى مرقى سلم حجري . وبالجهة الغربية للدهليز قليلاً جهة الجنوب يوجد ثلاثة أبواب معقودة ويفضى الأول إلى ممر منكسر بنهايته قاعة أرضية مستطيلة مساحتها ٧٥ × ٧ م ، والأوسط يفضى إلى مرقى سلم ، والثالث يفضى إلى حمام الصوفية ، وبالجهة الشمالية للدهليز فتحة باب مستطيلة اتساعها ٣٧٠ م تؤدي إلى قاعة أرضية على شكل شبه منحرف سقفها مغلى بألواح خشبية مستوية وبها نافذة من نوافذ الواجهة ، وبالجهة الجنوبية للدهليز فتحة مستطيلة اتساعها ٢١٠ م تفضى إلى مساكن الصوفية .

الصحن :

مربع الشكل تقريباً طوله ٢٠١٥ متراً وعرضه ١٩٦٥ متراً ، ويتوسطه فسقية ماء لها دوائر حجر مثمثة الشكل ويحيط بها ثمانية أعمدة مستديرة من الرخام ، ويعلوها ثمانية عقود

خشبية بينها روابط خشبية . وكان يعلو الفسقية قبة من عمل الأمير نوروز الحافظي^(١) ، ويغطيها حالياً سقف خشبي مسطح بنهايته شرفات خشبية مزخرفة . والجهة الجنوبية الشرقية للصحن طولها ١٩ر٦٥ م خلفها رواق الخانقاة ومساحته ٤٣ر٥٠ × ٢٠ م ، وبالجهة الشمالية الغربية ست فتحات أبواب عقودها مدببة لخمس خلاو . أما السادسة فهي تخص الممر الصغير المقي الذي يصل دهليز الخانقاة بصحنها ، والجهة الشمالية للصحن طولها ٢٠ر١٥ م يتوسطها إيوان صغير كانت تشغله مزيرة ، ويغطي سقفه ألواح وعروق خشبية مستوية . وقد ثبت بالجدار الجنوبي للإيوان لوحة خشبية من أربعة أسطر بها كتابات نسخية من قوله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً^(٢) » . ويجاور المزيرة من الجهة الجنوبية فتحتا بابين معقودتان تفضي كل منهما إلى خلوة أرضية على شكل شبه منحرف . أما الجهة الجنوبية للصحن فتحتوى على سبعة أبواب معقودة ، وتفضي كل منها إلى خلوة ماعدا الباب الجنوبي الشرقى فيفضي إلى ممر طويل مقي مساحته ١٩ر٣ × ٧٢٠ م ويعلو فتحات الأبواب بالصحن طابقان يخصصان مساكن الصوفية .

رواق القبلة :

مستطيل الشكل طوله ٤٧ر٥٠ م وعرضه ٢٠ م أرضيته مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري وهو في الواقع مسجد ذو ثلاثة أروقة ومن ثم فإننا نستطيع القول بأن خانقاه شيخون تمثل طراز الخانقاه للمسجد .

والرواق ينقسم إلى ثلاثة أقسام بواسطة بائكتين موازيتين لجدار القبلة ، وتحتوى كل بائكة على ستة أعمدة رخامية مابين مثمثة ومستديرة ، تعلو كلا منهما سبعة عقود حجرية مدببة اتساع فتحاتها يتراوح بين ٥٣٠ ، ٥٨٠ م ويفتح الرواق على الصحن بواسطة مدخل يحتوى على عمودين يقسمانه إلى ثلاثة عقود الأوسط منها أوسعها .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢١

(٢) سورة الإنسان آية ٥ - ١٠

وبصدر الرواق محراب اتساع حنيته ١٥٠ م وعمقها ١١٠ م ، طاقيته على هيئة عقد مدبب بقاعدتها نصف دائرة تنبثق منها خطوط اشعاعية بارزة ، ويكتنف المحراب عمودان مشمنان من الرخام يعلوهما زخارف نباتية بارزة ، وبجانب المحراب يوجد منبر مضاف ، جانباه مكونان من الحشوات الخشبية المجمعتهما بهما زخارف هندسية قوامها أطباق نجمية وقطع خشب خرط ، ويعلو المنبر جوسق وقبة خشبية . وبأعلى جدار المحراب توجد سبع قمريات ، الوسطى منها مستديرة أما الباقى فمستطيل وذو عقود مدببة قد ملئت بزخارف جصية وزجاجية ملونة . ويتوسط الرواق الأوسط دكة من الخشب الخرط . وبالجهة الشمالية للرواق ضريح المنشئ ومساحته ٩٦٠ × ٦ م ، تعلوه قبة خشبية مجددة ، وإلى يمين القبة حجرة شبه منحرفة لها فتحات تطل على الطريق والجهة الجنوبية للرواق يتوسطها ثلاث فتحات مستطيلة ، تفضى الفتحة الوسطى إلى قاعة مكونة من إيوانين متقابلين بينهما در قاعة .

مسكن الصوفية :

توجد ثلاث وحدات سكنية بالجهة الجنوبية الخلفية للخانقاه ، تتكون كل منها من ثلاثة طوابق :

والوحدة الأولى بأقصى الحد الجنوبي وهى فردية ، وهى عبارة عن ثلاث خلأو متجاورة كل على شكل شبه منحرف .

والوحدة الثانية مزدوجة وهى تضم خمس خلأو متجاورة حبيس ، كل على هيئة مستطيل طوله ٤ م وعرضه يتراوح بين ٢٨٠ م ، ٢٥٠ م .

والوحدة الثالثة مزدوجة ، يطل القسم الشمالى على الصحن ويتكون من ثلاثة طوابق ، الطابق الأرضى يتكون من خمس خلأو حبيس مستطيلة ، وأعلى مدخل كل منها فتحة ضيقة كالسهم وسقفها مقبية . والقسم الجنوبى يتكون من خمس خلأو مستطيلة وسقفها مقبية ، ويعلو تلك الوحدة السكنية الثالثة طابقان يحتفظان ببعض معالمهما ، بكل طابق عشر غرف متقابلة ، بينها ممر طويل مسقوف .

وهناك مساكن تطل على صحن الخانقاه بكل من الجهة الشمالية الغربية والشمالية . فبالشمالية خلوتان وبالشمالية الغربية أربع خلأو مستطيلة .

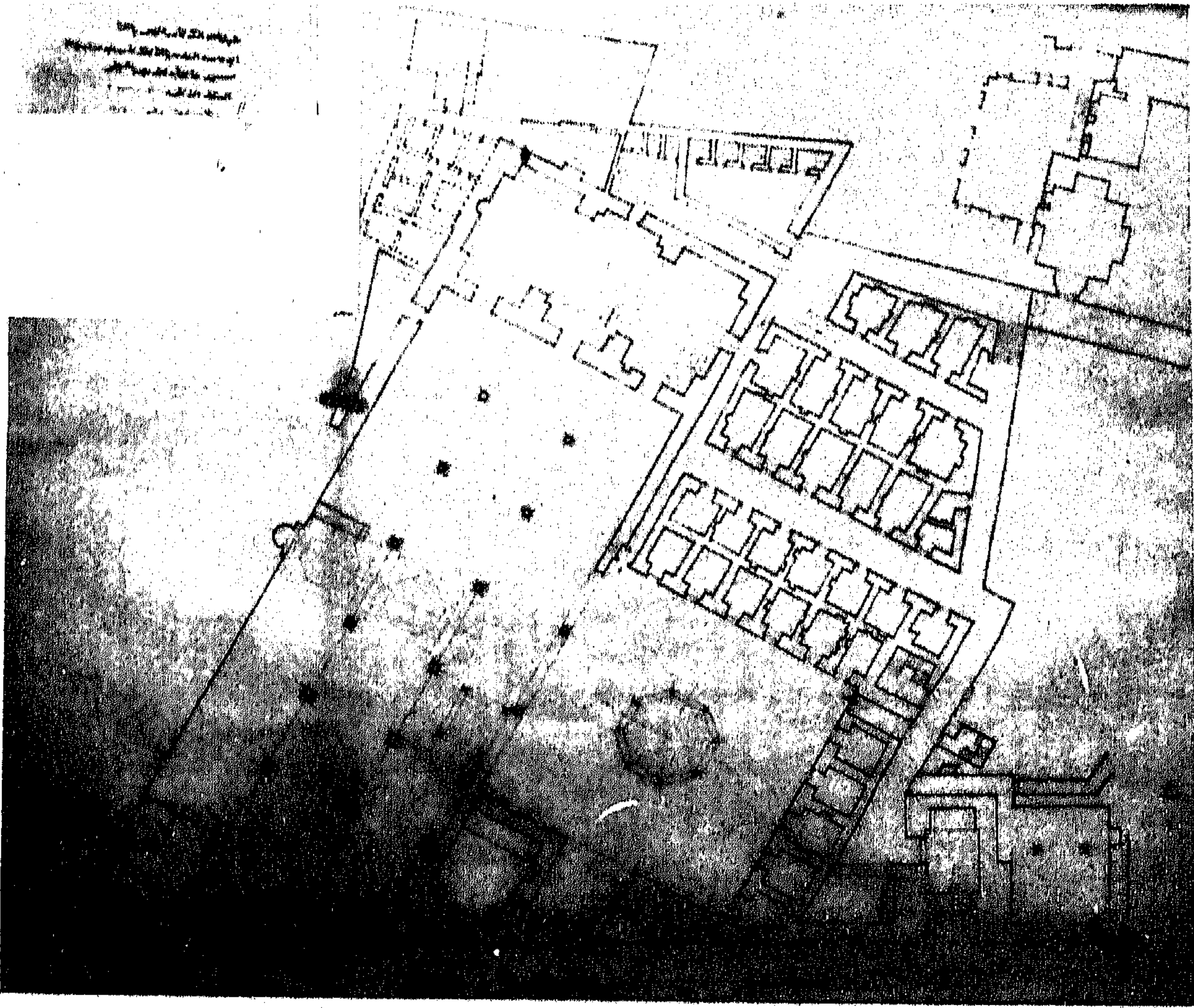
المشذنة :

توجد خلف المدخل الرئيسي للخزانقاه ويبلغ ارتفاعها حوالى ٢٠ م ، وتتكون من ثلاثة طوابق ، الطابق الأول مئمن الشكل ويوجد بارتفاعه طاقات صماء تنتهى بعقود مدببة (زاوية) .

أما الطابق الثانى فيزداد بأشكال دالية ، ويتقدم كلا من الطابقين شرفة خشبية ترتكز على أفاريز متدرجة على شكل مدرج .

ويعلو الطابقين جوسق بأعمدة حجرية تنتهى بمنطقة مربعة ، ترتكز عليها نخوذة بصلية متطورة : من النوع المشاهد فى أواخر عصر دولة المماليك البحرية .

ومما يجدر ملاحظته أن مشذنة الشيخونية مبنية كلها بالحجر على غير المألوف فى مآذن دولة المماليك البحرية السابقة ، ولعل ذلك من التأثيرات السورية .



(شكل ٢٧) خانقاه الأمير شيخو

مدرسة صرغتمش

بشارع الخضيرى ٧٥٧هـ

الأمير صرغتمش هو سيف الدين صرغتمش الناصرى رأس نوبة حلبة الخواجا الصواف في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فاشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بمائتي ألف درهم فضة ثمنها يومئذ نحو أربعة آلاف مثقال ذهب وخلع على الخواجا تشريقاً كاملاً بخصاصة ذهب . كان صرغتمش حامل الذكر إذ عينه الملك الناصر جمداً^(١) إلى أن كانت أيام المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون فبدأ نجمه يتلأأ وترقى في الخدمة وتمكن عند المظفر . وفي مدة حكم الملك الصالح بن محمد بن قلاوون توجه في خدمته إلى دمشق في نوبة يلبغاروس وصار السلطان يرجع إلى رأيه ولما عاد من دمشق أمسك^(٢) الوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بغير أمر السلطان وأخذ أمواله ومن وقتها عظم أمره واستقر رأس نوبة كبيراً في رتبة الأمير شيخون باختيار شيخون ، وجعل إليه التصرف في أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم ، ماعدا مال الخاص فجعل يتحدث فيه الأمير شيخون ، فقصد الناس صرغتمش لقضاء أشغالهم^(٣) وكثرت مهابته وعارض الأمراء في جميع أفعالهم وأراد ألا يعمل شيء إلا من بابه وبإشارته ، فإن تحدث غيره غضب وأبطل ما تحدث فيه ، فأجمع الأمراء باستبداد السلطان بالتصرف وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش واستطال وعظم ترفعه على الناس فتكرت له الأمراء وكثرت الأراجيف بوقوع فتنة .

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٠٤ (وكلمة جام دار) مركب من كلمتين : جام أى مرآة ودار أى حامل . فهو الذى يحمل المرآة أمام الملك ويتولى خدمته .

(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٠٥ (٣) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٢٦٨

ولما عاد السلطان حسن بن محمد بن قلاوون إلى الملك بعد خلعه أخيه الملك الصالح ورأى تدخل صرغتمش وعظم نفوذه وتصرفه في شئون الدولة قبض عليه في ٢٠ رمضان سنة ٧٥٩ هـ وحبسه بالاسكندرية حيث مات في محبسه بعد شهرين واثني عشر يوماً ثم نقلت جثته إلى قبة مدرسته^(١).

وكان صرغتمش مليح الصورة^(٢)، جميل الهيئة يقرأ القرآن الكريم ويشارك في الفقه على مذهب الحنفية ويبالغ في التعصب لمذهبه ويقرب العجم ويكرمهم وكانت أخلاقه شرسة ونفسه قوية، فإذا بحث في الفقه أو اللغة اشتط وإذا تحدث في الأوقاف وفي البريد خاف الناس منه واشتد في أمر الأوقاف فعمرت في مباشرته ولما قبض عليه السلطان أخذ أمواله وكانت شيئاً كثيراً يجعل عن الوصف.

وتقع هذه المدرسة الصرغتمشية خارج القاهرة بجوار جامع الأمير أبي العباس أحمد ابن طولون فيما بينه وبين قلعة الجبل كان موضعها^(٣) قديماً جملة قطائع ابن طولون ثم صار عدة مساكن فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري رأس نوبة النوب وهدمها وابتدأ في بناء المدرسة يوم الخميس من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وانتهت في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين. وقد جاءت من أبداع المباني وأجلها وأحسنها قالباً وأبهجها منظراً، فركب الأمير صرغتمش في يوم الثلاثاء تاسعة وحضر إليه الأمير سيف الدين شيخون العمري مدير الدولة والأمير طاشتمر القاسمي صاحب الحجاب والأمير توقتاي الدوادار وعامة أمراء الدولة وقضاة القضاة الأربعة ومشايخ العلم، ورتب مدرس الفقه بها قوام الدين أمير كاتب ابن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي الاتقاني، فألقى القوام الدرس ثم مد سباط جليل بالهمة الملوكية وملئت البركة التي بها سكر قد أذيب بالماء فأكل الناس وشربوا وأبيع ما بقي من ذلك للعامة فانتهبوه.. وجعل الأمير صرغتمش هذه المدرسة وقفاً على الفقهاء الحنفية الآفاقية ورتب بها درساً للحديث النبوي وأجرى لهم جميعاً المعاليم من وقف رتب لهم.

(١) الملوك : ج ٣ ص ٣٦ .

(٢) المقریزی : المخطوط ج ٢ ص ٤٠٥

(٣) المقریزی : المخطوط ج ٢ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤

دار صرغتمش :

هذه الدار بخط بشر^(١) الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع أحمد ابن طولون من شارع الصليبية ، كان موضعها مساكن فاشتراها الأمير صرغتمش وبنها قصرًا واصطبلا في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وحمل إليه الوزراء والكتاب والأعيان من الرخام وغيره شيئًا كثيرًا وهذه الدار عامرة إلى زمن المقریزی يسكنها الأمراء وفي سنة ٨٢٧ هـ وقع الهدم في القصر خاصة .

ويعلق الأستاذ محمد^(٢) رمزي على ذلك فيقول : من هذا الوصف يتضح أن هذه الدار كانت بخط بشر الوطاويط ومشرفة على شارع الصليبية بالقرب من المدرسة الصرغتمشية . وبما أن الشارع المذكور لا يزال محتفظًا باسمه والمدرسة الصرغتمشية لا تزال قائمة وخط بشر الوطاويط لا يزال معروفًا بهذا الاسم ، ويدل عليه شارع بشر الوطاويط ، فقد بحثت في تلك المنطقة على دار صرغتمش واصطبله فتبين لي أن هذه الدار قد اندثرت ، ومكانها اليوم دار راشد باشا حسنى المعروف بأبى شنب فضة رقم ٩ بشارع الصليبية بالقاهرة وقد آلت هذه الدار إلى ولده أحمد بك احسان وهى بالقرب من جامع صرغتمش ويشغلها اليوم كلية الشريعة الاسلامية أحد أقسام الجامعة الأزهرية .

وأضاف الأستاذ محمد رمزي قوله : إن المقریزی^(٣) تكلم في خطه على بشر^(٤) الوطاويط فقال : إن هذه البشر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزاية ، لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التي أنشأها بخط الحمراء وحبسها لجميع المسلمين ، فلما طال الأمر وخربت السقايات التي كانت بخط السبع سقايات ، بنى فوق البشر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببشر الوطاويط ، ولما أكثر الناس من بناء الأماكن حول مكان هذه البشر عرفت الخطة إلى اليوم بخط بشر الوطاويط ثم قال المقریزی : وهو خط عامر .

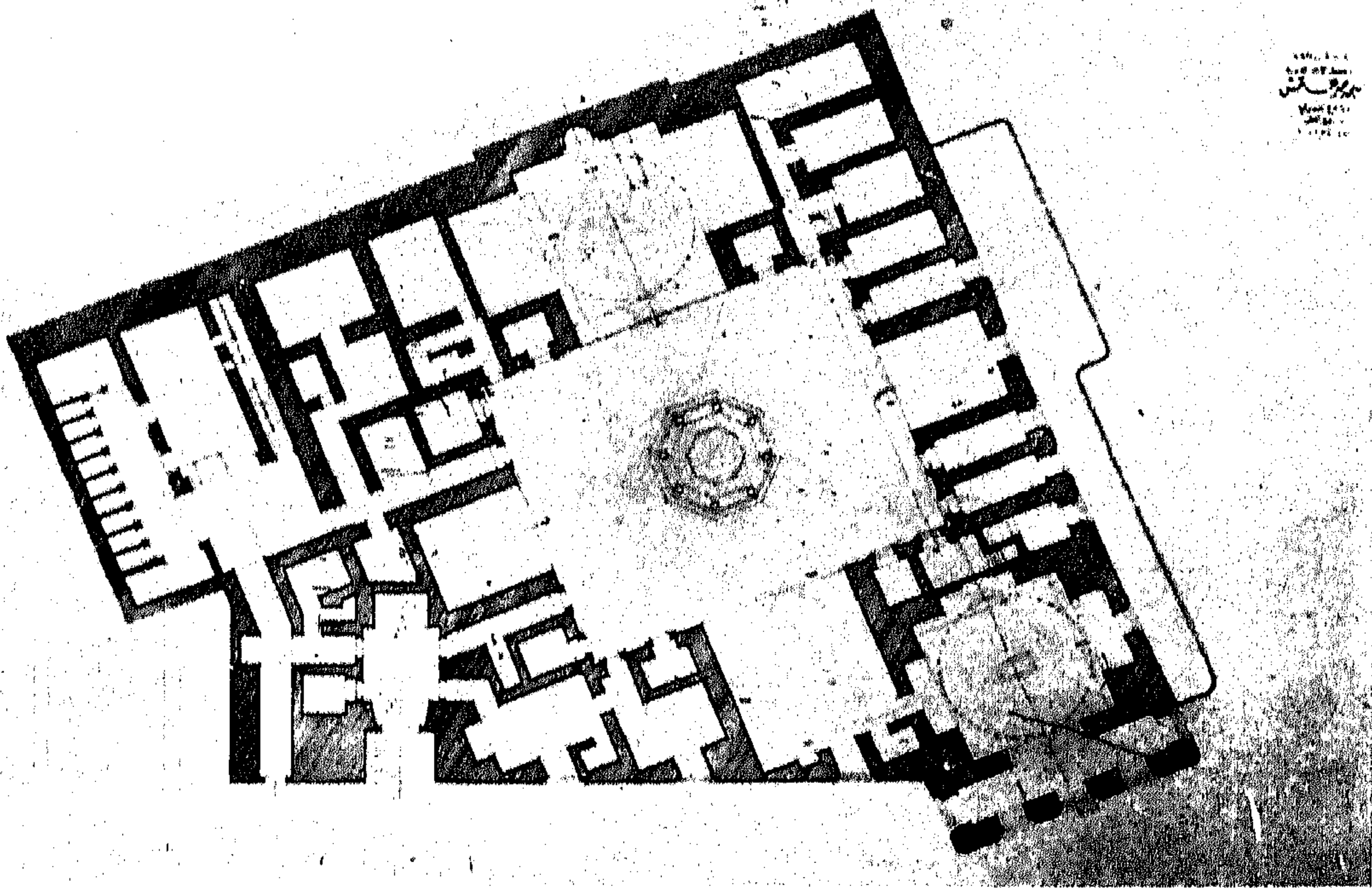
(١) المقریزی : الخطط ج ٢ ص ٧٤

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٩ هامش صفحة ٢٦٧

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٩ هامش صفحة ٢٦٧ فقرة (٢)

(٤) المقریزی : الخطط ج ٢ ص ١٣٥

وقال الأستاذ محمد رمزي إن بحثه قد دل على أن هذا الخط كان يشمل المنطقة التي يحدها اليوم من الغرب جامع أحمد بن طولون ومن الجنوب درب البزابيز ومن الشرق حارة الأربعين ومن الجنوب شارع الصليبية . وكانت هذه المنطقة يخترقها شارع بئر الوطاويط من الشمال إلى الجنوب . ولأن المباني التي كانت واقعة بين هذا الشارع وبين جامع ابن طولون كانت مزاحمة ومشوهة لواجهة الجامع فأزالها مصلحة التنظيم في سنة ١٩٢٥ م وأقامت في مكانها متنزهاً عاماً أصبح فاصلاً بين الجامع وبين طريق شارع بئر الوطاويط وأطلق عليه ميدان أحمد بن طولون .



(شكل ٢٨) مدرسة حرثتمش

الوصف المعماري

تشغل المدرسة مساحة من الأرض تكاد تكون مربعة تقريباً ، تقوم على مبان قديمة اتخذها المعمار قاعدة وأساساً للمدرسة بعد أن سدت فتحاتها وأبوابها كما يظهر ذلك واضحاً من الواجهة الجنوبية . وللمدرسة واجهتان جنوبية وغربية ، الجنوبية منها يتوسطها باب يؤدي إلى دركاة مغطاة بأقبااء متقاطعة وإلى يسارها يوجد استطاراق يسير بحذاء الإيوان الجنوبي ويصل بنا إلى صحن المدرسة ، ويشغل الواجهة الجنوبية مجموعة من الحوانيت أمامها سلم بعرض (٤٦) متر يصعد منه إلى الرحبة أمام الضلع الغربي لجامع أحمد بن طولون . ويعلو مجموعة الحوانيت مجموعة من النوافذ على عدة صفوف تقابل طوابق المدرسة الثلاثة .

وتقع الواجهة الرئيسية للمدرسة في الجهة الغربية حيث يوجد بها المدخل الرئيسي الذي يبرز قليلاً عن سمك الحائط . ويتوسط المدخل باب يعلوه عتب مزخرف بنقوش نباتية وجاء فوق العتب عقد عاتق به صنجات معشقة ملونة بالأبيض والأحمر على التوالي ، ويعلو العقد نافذة صغيرة يكتنفها زخارف نباتية محفورة في الحجر . ويحيط بالباب وما عليه وما يكتنفه من زخارف ونقوش عقد كبير ذو ثلاثة فصوص ومملوء بمجموعة من الدلايات ومقرنصات جميلة التنسيق . وعلى جانبي الباب يوجد شريط به كتابة جاء فيه « أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة المقر الأشرف العالي المولوى العالى العادلى الفاضلى السيفى صرغتمش رأس نوبة الملكى الناصرى (مربى العلماء) مقوى الضعفاء باني المدارس والمساجد في ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وسبعمائة » .

ووظيفة رأس نوبة التي كان يشغلها الأمير صرغتمش تعتبر الوظيفة الثالثة من حيث القدر والأهمية بالنسبة للوظائف العسكرية بحضرة السلطان في عصر المماليك البالغ عددها خمسا وعشرين وظيفة^(١) . وقد كان يختار لهذه الوظيفة عادة أمراء الخاصكية نظراً لأهميتها.

(١) صبح الأعشى : ج ٤ ص ١٨

وكان عددهم في أول الأمر أربعة^(١) ثم زادوا إلى أكثر من عشرة^(٢). وكان كبير رؤس النواب يسمى رأس نوبة .

ويؤدي باب المدخل الرئيسي إلى دركاة على يسارها توجد ميضأة ، وعلى اليمين باب يؤدي إلى حجرة كبيرة تطل على الواجهة بنافة كبيرة . كما يوجد باب ثالث يؤدي إلى صحن المدرسة ، ولما كانت المدرسة مرتفعة عن المدخل الرئيسي لذلك فإننا نجد قلبة بها خمس درجات يصعد عليها لنصل إلى الصحن .

وتقع القبة في الطرف الجنوبي الغربي للمدرسة وهي بارزة قليلا عن سمت الواجهة الرئيسية فتح في ضلعها الغربي صفيان من الفتحات الصف السفلى يتكون من نوافذ مستطيلة الشكل ملئت بمصبغات نحاسية والصف العلوى يتكون من نوافذ معقودة ملئت بزخارف جصية جميلة التكوين . وينتهى أعلى جدار القبة وكذا الواجهة الرئيسية بشرفات مدرجة ويعلو مربع القبة رقبة ممتدة يحيط بها أفريز يحتوى على بحور بها كتابات تتخللها زخارف نباتية وقد فتح في الرقبة من الخارج ثمانى نوافذ ملئت بزخارف جصية معشقة بالزجاج المتعدد الألوان أما منطقة الانتقال فقد ملئت بخمسة صفوف من المقرنصات .

وتمتاز قبة مدرسة صرغتمش بظاهرة يندر وجودها في عمائر القاهرة وهي احتواؤها على قبة مزدوجة البناء ، قبة داخلية قطاعها شبه دائرى وتقوم على رقبة متوسطة الارتفاع وقبة خارجية ذات قطاع مدبب وتقوم على رقبة ممتدة الارتفاع بحيث أنها تبدأ في منتصف النوافذ السابق الإشارة إليها .

ويتوسط القبة تركيبة رخامية نادرة المثال كذلك، دفن تحتها الأمير صرغتمش وابنه الأمير إبراهيم^(٣) المتوفى سنة ٧٧٠ هـ . وتحتوى القبة على إيوان يقع في الضلع الغربى منها سقف مكون من أقباء متقاطعة ، سد مدخله بمقصورة من الخشب الخرط يعلوه أفريز عريض يحتوى على زخارف نباتية وبحور تحتوى على كتابات قرآنية .

(١) السخاوى : الضوء اللامع ص ٣٤٦

(٢) الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١١٥

(٣) المقرئى : الملوك ج ١ قسم (٣) ص ٦٨

وفي الركن الجنوبي للقبة توجد المئذنة التي يبلغ ارتفاعها عن أرض الشارع (٤٠) م وترفع فوق سطح المدرسة بمقدار (٢٤ر٦٠) م وهي مبنية من الحجر ورشيقة التكوين . وتشتمل المئذنة على ثلاثة طوابق ، الطابق الأول مثنى الشكل ويقوم على قاعدة مربعة مرتفعة بها باب معقود . وقد زخرف هذا الطابق باستعمال مداميك حجرية ملونة بالأبيض والأحمر وعلى ارتفاع عشرة مداميك زخرف كل ضلع من أضلاع المثنى بحنية ضحلة معقودة ملئت برسم زهرة كبيرة ذات ثلاث بتلات ثم يأتي بعد ذلك خمسة مداميك وينتهي الطابق الأول الذي يفصل بينه وبين الطابق الثاني شرفة ذات (١٦) ضلعاً ملئت كلها بزخارف هندسية ونباتية مخرمة . وتقوم هذه الشرفة على مجموعة من الدلايات والمقرنصات الجسيمة الترتيب والتكوين . ويتكون الطابق الثاني من شكل ثمانى مبنى من مداميك أبيض وأحمر بعضها متعرج ، وينتهي بشرفة ذات (١٦) ضلعاً مماثلة للشرفة الأولى . أما الطابق الثالث فمكون من ثمانية عمد تحمل جوسقا تعلوه خوذة .

ويتكون صحن المدرسة من مربع مكشوف تحيط به الإيوانات من أربع جهات ويتوسطه فسقية للوضوء على شكل مثنى يقوم على كل ركن من أركانه عمود رخامى ويعلو الأعمدة سقف مسطح ومن الواضح أنه قد حدث ترميم وتغيير في هذه الفسقية^(١) .

ويعتبر الإيوان الشرقى أكبر الإيوانات لاحتوائه على القبلة التي تتوسط الضلع الشرقى منه . ويتكون محراب القبلة من تجويف كثير العمق مزخرف بفسيفساء رخامية ملونة يحتوى بعضها على زخارف نباتية دقيقة . ويكتنف تجويف المحراب عمودان من الرخام الأخضر المجزع ، ويعلوه طاقية منقرشة ومكتوب عليها آية الكرسي . ويجاور المحراب منبر خشبي مكون من حشوات خشبية مجمعة على شكل أطباق نجمية . ويدل أسلوب - الحشوات المجمعة وكذا الزخارف التي يحتويها وكذلك الكتابة على أنه أحدث من المدرسة ، فقد جاء في الكتابة في بابه « أنشأ هذا المنبر من فضل الله تعالى قبو مجنى أحمد كتخدای عزبان عمره الله سنة ١١١٨ هـ » . ويتقدم الإيوان الشرقى عقد مدبب أبلق يكتنفه أربعة أبواب ، اثنان منها يوصلان إلى المدارس واثنان إلى خلوات . وقد قسم الإيوان إلى ثلاثة

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ص ١٦١

أجزاء المتوسط منها أوسعها وتقوم عليه قبة تتقدم المحراب تقوم على دعائم . وقد شغلت منطقة انتقال القبة بمقرنصات خشبية ، ويعلو منطقة الانتقال رقبة مرتفعة فتحت فيها ثمانى نوافذ معقودة يحيط بها من الخارج إطار مستطيل . وقد ملئت هذه النوافذ بزخارف جصية معشقة بزخارف متعددة الألوان معظمه مجدد .

ويحتوى كل قسم من القسمين الجانبيين للإيوان الشرقى على حنية مستطيلة عميقة تشبه تلك الموجودة بخانقاه بيبرس جاشنكير . وقد امتاز الإيوان الشرقى عامة باحتوائه على زخارف ونقوش متعددة ، إذ نرى على جانبي المحراب بقايا وزرة مكونة من ألواح رخامية يتخللها جامات بها (رنكة) شارة صرغتمش وهى (جمدار) أى المرأة . وقد أحيطت الوزرة بزخارف نباتية مكتوب بها : مما عمل برسم المقر العالى السيفى الملكى الناصرى صرغتمش أسبغ الله عليه ظلاله » كما وجدت رسوم تحتوى على شكل قناديل وعناقيد عنب وأوراق عنب . كذلك وجد فى هذا الإيوان دائرة رخامية بها زخارف نباتية ملهبة ومحفورة حفراً بارزاً حولها أربعة تواشيح من الرخام الملون .

ويقابل الإيوان الغربى إيوان القبلة وهو مماثل له من حيث الاتساع إلا أنه أقل عمقاً . إذ يتقدم الإيوان عقد مدبب مكون من صنجات أبيض وأحمر ويكتنفه أربع خلوات . وإلى الشمال من الإيوان الغربى توجد حجرة مستطيلة يغطيها سقف خشبي حافل بالنقوش الزيتية المتعددة الزخارف والألوان .

أما الإيوان الشمالى والإيوان الجنوبى فمتماثلان يتقدمهما عقد مدبب يحتوى على صنجات مبنية بطريقة الأبلق كباقي الإيوانات الأربع . ويكتنف الإيوان الجنوبى أربع خلوات أما الإيوان الشمالى فيكتنفه أربعة أبواب اثنان يؤديان إلى المدارس الجانبية واثنان أبواب خلوات . ويحيط بجدران الإيوانات الأربع وكذا الصحن أزار خشبي ، كما يحتفظ السقف الخشبي للإيوان الجنوبى على بقايا زخارف زيتية متعددة الألوان تعطى فكرة واضحة عما كانت عليه بقية سقوف المدرسة ، كما حليت أعتاب الألوان (والدواليب) الحائطية التى تزخر بها الإيوانات بالعديد من الزخارف المحفورة وكذا رنك المنشئ .

ويصف لنا المقرئى الاحتفال بافتتاح المدرسة^(١) فيقول : إن صرغتمش احتفل بافتتاحها بحضور الأمراء وقضاة القضاة الأربعة والعلماء وعين أستاذ الفقه بها قوام الدين أمير كاتب الاتقانى ورتب بها درساً للحديث النبوى ورصد عليها أوقافاً^(٢) منها منية^(٣) حلفا . وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة فى شهر ربيع الآخر^(٤) سنة ٧٥٧ هـ (سنة ١٣٥٦ م) وهى من المدارس الجليلة التى أعدت لتدريس فقه السادة الحنفية ، على خلاف المدارس الأيوبية والمملوكية التى كانت دائماً تخصص لتدريس المذهب الشافعى أو المالكى . فقد خصصت مدرسة صرغتمش لعلماء المذهب الحنفى وخاصة الفرس منهم فى القرنين الثامن والتاسع الهجرى . فقد تولى التدريس منهم محمد بن قطلو شاه أرشد الدين المتوفى سنة ٧٧٥ هـ ومحمد ابن التلمسانى المتوفى سنة ٧٨١ هـ ومولانا زادة أحمد بن أبى يزيد المتوفى سنة ٧٩١ هـ وجلال الدين التيزقى المتوفى سنة ٧٩٣ هـ وعبد الرحمن التفهنى المتوفى سنة ٨٣٥ هـ . ولما توفى الشيخ العلامة قوام الدين الاتقانى فقيه المذهب الشافعى دفن بالإيوان الغربى للمدرسة .

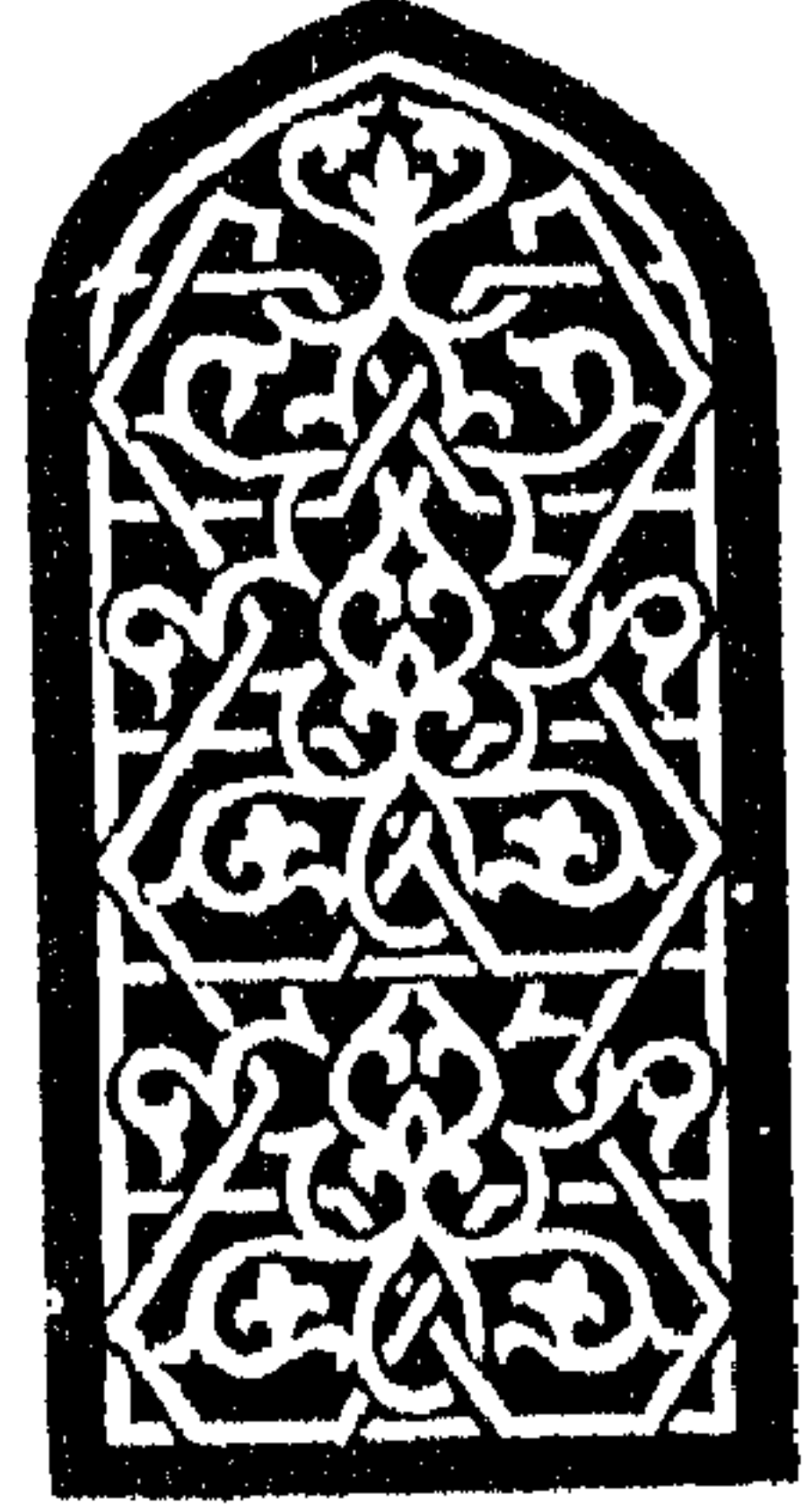
(١) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٤٠٤

(٢) ابن دقاق ج ٥ ص ٤٧

(٣) منية حلفا : قرية بمديرية القليوبية من مركز قليوب على الشاطئ الشرقى لآب المنجا ، شمال منية نما . وهى تقع على بعد أربعة آلاف متر شرق قليوب وبها جامع له مثذنة مرتفعة . ويتكسب أهلها من الزراعة .

المرجع - المخطوط التوفيقي ج ١٦ ص ٦٢

(٤) المقرئى : الملوك ج ٣ قسم (١) ص ٣٦



مدرسة السلطان الملك الناصر حسن

سنة ٧٦٠ هـ

هو السلطان الملك الناصر حسن ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون ، ولد في سنة ٧٣٥ هـ وأمه أم ولد ماتت عنه وهو صغير فتولى تربيته خوند أردو ، وكان أولاً يدعى قمارى . ولى الملك في ١٤ رمضان من سنة ٧٤٨ هـ وعمره ثلاث^(١) عشرة سنة . ولما جلس على تخت الملك لقبوه بالملك الناصر سيف الدين قمارى غير أنه لم يرض بهذا اللقب وقال إنما اسمى حسن ، فاستألفه الناس لصغر سنه ولذكائه فصاحت الحجاب في الحال باسمه وشهرته وتم أمره وحلف له الأمراء وهو السلطان التاسع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والسابع من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون^(٢) .

وكان أمر المشورة في الدولة والتدبير لتسعة أمراء هم : بيغا أرس القاسمى والجينبغا المظفرى وشيخون العمرى وطاز الناصرى وأحمد شاد الشراب خاناه وأرغون الاسماعيلى وثلاثة آخر ، فاستقر الأمير شيخون رأس قوبة كبيراً وشارك في تدبير المملكة .

وفي السنة الثانية لحكم السلطان حسن ظهر الوباء والفساد بمصر والشام من كثرة قطع الطريق وارتباك الأمور لانفراد الأمير منجك وأخيه بيغا أرس بتدبير المملكة وفرضهما

(١) المقرئى : ج ٢ ص ٣١٧ وجاء في النجوم الزاهرة أن عمره وقت ولاية الملك إحدى عشرة سنة - النجوم الزاهرة :

ج ٩ ص ١٨٧

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١٨٧

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١٩٥

الأتاوات على الرعية ، أضف إلى ذلك ظهور الوباء الذى لم يقع مثله ، فما أهل المحرم من سنة تسع وأربعين حتى اشتد بديار مصر فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس فى كل يوم ، وعملت الناس التوابيت والدكك لتغسيل الموتى حسبة لوجه الله بغير أجر وحفرت الحفائر والقيت فيها الموتى ، فكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر واتصل الوباء (الطاعون) ببلاد الشرق جميعها .

وفى سنة ٧٥١ هـ أثبت القضاة أن السلطان قد بلغ سن الرشد . فتولى تدبير أمور الملك بنفسه وعند ذلك قبض على الأميرين منجك وبيغاروس مما دعا الأمراء إلى التآمر عليه وإقصائه عن الملك ، وتفصيل ذلك أن السلطان لزم الفراش أياماً لوعكة أصابته فبلغ الأمير طاز ومغلطاي ومنكلى بغا أنه أراد باظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا إليه وأنه قد اتفق مع قشتمر والطنبغا الزامر وملكتمر الماردينى وتنكربغا^(١) على ذلك ، وأن ينعم عليهم - باقطاعاتهم .

تواعد الأمراء المتآمرون عند قبة النصر ولبسوا ملابس القتال فبعث السلطان يسألهم عن سبب ركوبهم فقالوا له : « أنت اتفقت مع ممالكك على القبض علينا ولا بد من إرسالهم إلينا فبعثهم السلطان إليهم فقبضوا عليهم وسجنوهم ثم دخلوا على السلطان الناصر حسن بالقصر الأبلق وأخذوه من بين حرمة ووكل به من يحفظه بعد أن تنازل عن السلطنة وكان ذلك سنة اثنين وخمسين وسبعمائة . وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، منها مدة الحجر عليه ثلاث سنين ومدة انفراده بالملك تسعة أشهر . وكانت أيامه شديدة الوطأة مع الرعية إذ كثرت فيها المغارم بالنواحي وخربت عدة أملاك على النيل واحتترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر وخرجت عربان^(٢) العايد وثعلبة وعشير الشام وعرب الصعيد عن الطاعة ، واشتد فسادهم وكثر قطعهم الطرقات ثم كان الفناء العظيم (وباء الطاعون) الذى استشرى فى البلاد بما لم تعهد البلاد مثله ، وقيام ابن واصل الأحمد ببلاد الصعيد والعجز عنه .

(١) السلوك : ج ٢ ص ٨٤١

(٢) المقرئى : السلوك ج ٢ ص ٨٤٣

أما الملك الناصر حسن فكان في نفسه مفرط الذكاء عاقلاً وفيه رفق بالرعية متديناً شهماً
لو وجد ناصراً أو معيناً ، لكان أجلاً^(١) الملوك كما تبين ذلك في سلطنته الثانية .

وفي سنة ٧٥٥ هـ اتفق صرغتمش مع الأمير شيخون على خلع الملك الصالح صالح ابن
الملك الناصر محمد الذي حل في الملك مكان أخيه الملك الناصر -- عن الملك وسلطنة الملك
الناصر ثانية ، فأبرموا ذلك ثم دخلوا إلى القلعة وأرسلوا في طلب الملك الصالح ، فلما توجه
إليهم أخذ من الطريق وحبس وقالوا بأنه خلع نفسه من السلطنة ثم طلبوا الملك الناصر
حسن من محبسه بالقلعة وكلموه في العودة على شروط قبلها وبايعوه ثانية بالسلطنة وأقبل
عليه الأمراء مظهرين الولاء والطاعة .

دام السلطان حسن في السلطنة ولم يحرك ساكناً إلى سنة ٧٥٨ هـ التي ضرب فيها شيخون
وهو بحضرة السلطان في دار العدل والأمراء جلوس في الخدمة والقضاء إذ وثب مملوك يدعى
قطلو خجا السلاح دار على الأمير شيخون وضربه بالسيف ثلاث ضربات أصابت وجهه
ورأسه وذراعه ، فوقع شيخون مغشياً عليه ونقل إلى داره وعاده في الصباح السلطان الملك
الناصر حسن وحلف له أن الذي وقع لم يكن بتدبيره ولا علم له به وكان الظن السائد أن السلطان
هو الذي سلط الجاني لارتكاب فعلته ثم تحقق الناس من براءة السلطان إذ قرر الجاني أن
السبب الذي دعاه إلى الاعتداء على الأمير شيخون أنه طلب منه خبزاً فمنعه منه وأعطاه
لغيره وقد اقتص السلطان منه بأن أمر بتسميره فسُـمِرَ ثم^(٢) وُسِطَ .

لزم شيخون الفراش من جراحه إلى أن مات سنة ٧٥٥ هـ بعد ثلاثة أشهر من إصابته
وبموت شيخون خفت عن السلطان أشياء كثيرة ، لأنه كان ثقیل الوطأة على السلطان إلى الغاية
بحيث أن السلطان كان لا يفعل شيئاً حتى يشاوره في حقير الأمور وجليها ، فلما مات التفت
السلطان حسن إلى إنشاء مماليكه ، فأمر منهم جماعة كثيرة .

انفرد صرغتمش بتدبير المملكة بعد موت شيخون وعظم أمره واستطال في الدولة ،
وأخذ وأعطى وزادت حرمة وأثرى وكثرت أمواله ، ولما صفا له الوقت بغير منازع لم يقنع

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٢٣٣

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٣٠٥

بذلك بل رغب في الوثوب على الملك الناصر حسن وانتزاع الملك منه ، فبلغ الناصر ذلك ، فاتفق مع جماعة من الأمراء على مسكه عند دخوله على السلطان ، فلما كان وقت دخوله وقفوا له في مكان رتبهم السلطان فيه ، فلما دخل صرغتمش احتاطوا به وقبضوا عليه ، فلما بلغ مماليكه خبر القبض عليه ركبوا بالسلاح وطلعوا إلى الرميطة ، فنزل إليهم المماليك - السلطانية من القلعة وقتلوههم إلى أن كان النصر لمماليك السلطان إذ أخذتهم السيوف السلطانية ثم نهبت دار صرغتمش كما نهبت دكاكين الصليبية وقبض على جماعة من الأعجام من صوفية المدرسة الصرغتمشية لأنهم ساعدوا الصرغتمشية وحموهم عند انكسارهم ثم سكنت الفتنة وأخرج صرغتمش ورفاقه في القيود إلى الاسكندرية ، فسجن بها حتى مات ، فأصبح الملك الناصر حسن هو سلطان مصر بلا منازع وصفا له الجو فقرب من اختار وأبعد من أبعد ورقى مماليكه وأنعم عليهم ، وكان يميل إلى التقرب من أولاد الناس غير المماليك وترقيتهم إلى الرتب السنية ، لا لحبه لهم ، بل كان يقول : هؤلاء مأمونو العاقبة وهم في طي علمي وحيث وجهتهم إليه توجهوا ومتى أحببت عزلهم أمكنني ذلك بسهولة وكان يفصلهم لرفقهم بالرعية ومعرفتهم بالأحكام .

وقال المقرئزي^(١) : أمر السلطان حسن لأول مرة في تاريخ الدولة التركية أولاد الناس ليستعيض بهم عن الجند التركي ولكنه عوجل قبل ذلك ولم يأت بعده من أحيا تلك الفكرة إلا ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين فإنه اتخذ من المصريين أمراء المماليك ، ولكنه عوجل كعنه ونحمت الفكرة بموتها .

وفي سنة اثنين وستين وسبعمائة بلغ الملك الناصر حسن أن مملوكه يلبغا العمري ينتقد أعماله فأراد القبض عليه وكان ذلك بناحية الجيزة عند خروج السلطان للصيد ومعه غالب أمرائه ومنهم يلبغا ، فم بعض خدم السلطان بذلك إلى يلبغا ، فاستعد الأمر ، ولما قارب السلطان لمخيم يلبغا للقبض عليه خرج إليه يلبغا بمن معه وقتله ، فلم يثبت السلطان لقلعة من كان معه من مماليكه وانكسر وهرب وانتقل إلى البر الشرقى من النيل وطلع إلى قلعة العجبل ليلا وتبعه يلبغا ومن معه إلى القلعة . ولما لم يجد السلطان حسن قوة كافية بالقلعة يلاقى

(١) الخطط : ج ٢ ص ٣١٨ والنهل الصافي : ج ٢ ص ٣٥ ، ابن إياس : ج ١ ص ٢٣٥

بها يلبغا تخفى هو وايدمر الدوادارى فى زى الأعراب وعزما على الحرب للشام ، فنزلا من القلعة عند الفجر فلقيهما بعض المماليك فأمسكوهما فى الحال وأحضر وهما إلى بيت الأمير شرف الدين الأزكشى فحملهما إلى يلبغا حال صعود يلبغا إلى القلعة فقتلهما^(١) .

وكان عمر السلطان يوم قتله نيما وثلاثين سنة وكانت مدة ملكه فى سلطنته الثانية هذه ست سنين وسبعة أشهر وكان قتله وزوال ملكه على يد أقرب الناس إليه من مماليكه وخواصه .

وأهم عمائر السلطان حسن مدرسته المعروفة به تيجاد قلعة الجبل ، التى لم يبن فى الإسلام نظيرها ولا حكاها معمار فى حسن عملها . وتقع مكان دار الطنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى بالرميلة التى هدمها^(٢) السلطان فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة هجرية وأضاف إليها دوراً واسطبلات أخر . ولما شرع فى عمارتها جعل عليها مشدين ومهندسين واجتهد فى عملها .. أما مصروفها وما اجتمع بها من الصناع والمعلمين فكثير جداً لا يدخل تحت حصر .

وذكر المقرئى^(٣) فى خطه أن السلطان حسن ابتداء فى عمارة مدرسته سنة ٧٥٧ هـ واستمر العمل بها ثلاث سنوات بدون انقطاع ثم أضاف المقرئى قوله أن بهذا الجامع عجائب من البنيان منها أن ذراع إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعاً فى مثلها ، ويقال أنه أكبر من إيوان كسرى الذى بالمداين فى العراق . ومنها القبة العظيمة التى لامثيل لها فى البلاد الإسلامية ومنها المنبر الرخام الذى لانظير له . ومنها البوابة العظيمة والمدارس الأربع بدور قاعة الجامع .

وأضاف الأستاذ^(٤) محمد رمزى قوله : هذا الجامع لا يزال موجوداً بميدان محمد على تجاه باب العزب من قلعة الجبل وهو أضخم مساجد مصر عمارة وأعلاها بنياناً وأكثرها فخامة وأحسنها شكلاً وأجمعها لمحاسن العمارة وأدلى على عظم الهمة وغاية العناية التى بذلت فى إنشائه طوله ١٥٠ متراً وعرضه ٦٨ متراً ومساحته ٧٩٠٦ أمتار مربعة وارتفاعه عند بابه ٣٧٧٠ متراً . وعلى جوانب صحن الجامع أربعة إيوانات معدة لإقامة الشعائر الدينية .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٣١٣ - السلوك ج ٣ ، ٤ ص ٣٥

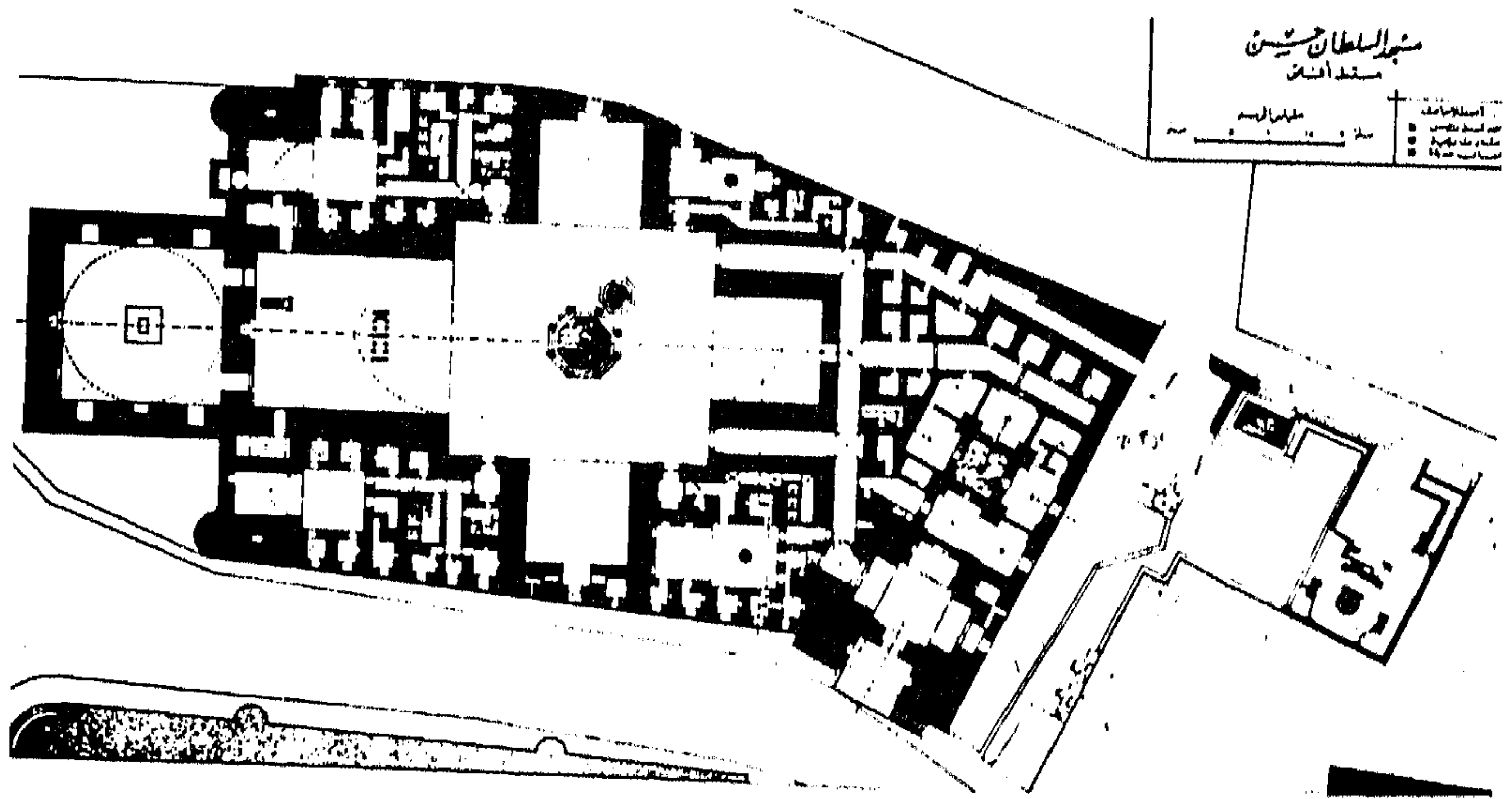
(٢) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٣٠٦

(٣) المقرئى : الخط ج ٢ ص ٣١٦

(٤) النجوم الزاهرة : ج ٩ هاشم صفحة ١٢٣

وفي كل زاوية من زوايا باب يوصل إلى إحدى المدارس الأربع التي شيدها منشئ الجامع ليدرس في كل مدرسة منها مذهب من المذاهب الأربعة . وإيوانه الشرقي من أكبر الإيوانات سقفه معقود عقداً ستينياً فوق نصف الدائرة وهو أكبر عقد بني على إيوان في مصر . والثلاثة إيوانات الأخرى سقف كل واحد منها على شكل نصف اسطوانة من الحجر ، ومساحتها متقاربة ، وفي وسط الإيوان الشرقي محراب جميل ، وعلى يمينه منبر من الرخام الأبيض ، وبجانب القبة التي في الواجهة الشرقية بابان يوصلان إلى القبة العظيمة ومساحتها ٧٥١ متراً مربعاً ، وارتفاع جدرانها ٣٠ر٢٠ متراً إلى مبدأ القبة التي تبلغ وزرتها ٤٨ متراً وبالجانب القبلي الشرقي المنارتان العظيمتان التي يبلغ ارتفاع كبراهما ٨١ر٦٠ متراً .

وبالجملة فإن هذا الجامع من أحسن الآثار العربية ، فإن جميع الزخارف وآثار الصناعة التي في داخل المسجد وخارجه تسترعى النظر ، وخاصة باب الدخول العام والواجهة القبليّة الشرقية التي تعلوها المنارتان والرفرف الكبير المركب من ستة مداميك مقرنصات والعلو الشامخ في سائر الواجهات مع مافيه من النوافذ على ثمانى طبقات . وهو من أهم الجوامع التي يحرص على زيارتها السائحون .



(شكل ٢٩) مدرسة السلطان حسن

الوصف المعماري

إذا كان لمصر الفرعونية أن تفخر بأهراماتها فإن لمصر الإسلامية أن تتباهى بمعجزة مدرسة السلطان التي لا يضاهيها أي أثر إسلامي آخر ، فقد حوت كل غريب وجديد وفريد كما تمثلت فيها كل مقومات المدرسة الإسلامية من الناحية الدينية والمعمارية على السواء . تقع هذه المدرسة في نهاية شارع القلعة (محمد علي) في مواجهة جامع الرفاعي ، كما تطل واجهتها الشرقية على ميدان صلاح الدين (الرماحة) .

وتشغل المدرسة مساحة كبيرة من الأرض فهي ما يقرب من فدانين ، إذ تبلغ مساحتها (٧٩٠٦) أمتار مربعة . وهي على شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع : وهي خالية من جميع الجهات ولذلك فهي تحتوى على أربع واجهات .

وتقع الواجهة الرئيسية للمدرسة في الضلع الشمالى ويبلغ طوله (١٤٥) متراً ، وقد زخرفت هذه الواجهة باثنتى عشرة حنية تمتد بارتفاع الواجهة الذى يبلغ ٣٧ر٨٠ متراً . ولما كانت المدرسة تحتوى على أربعة طوابق ولذلك فإن كل طابق يفتح فيه صفان من النوافذ صف نوافذه مستطيلة والصف الثانى صغير ومربع الشكل . وقد حصرت كل النوافذ بحيث أصبحت - داخل الحنايا وعلى ذلك فقد أصبحت كل حنية من الحنايا تحتوى على ثمانى نوافذ ومعنى هذا أن الواجهة تحتوى على (٩٦) نافذة . وقد وزعت هذه الحنايا بحيث أصبحت واجهة المدرسة الشافعية تحتوى على ست حنايا ، أما إيوان المالكية الذى يطل على هذه الواجهة فتتوسطه حنية بها ثمانى نوافذ كذلك . كذلك تحتوى واجهة المدرسة المالكية على خمس حنايا . ويتوج هذه الحنايا ثلاثة صفوف من الدلايات الدقيقة ، كما تنتهى الواجهة بستة صفوف من الدلايات تمتد بطول الواجهة كلها .

ويوجد المدخل الرئيسى للمدرسة في الطرف الغربى للواجهة الشمالية ، التى يبلغ ارتفاعها (٣٧ر٧٠) متراً وعرضها (٢٠) متراً تقريباً . وينقسم المدخل إلى ثلاثة أقسام الأوسط منها

وهو الذى يوجد فيه فتحة الباب إذ يبلغ اتساعه (١٢) متراً ، أما الجانبان فيبلغ اتساع كل قسم (٧) أمتار تقريباً وقد زخرفت هذه الأقسام الجانبية للمدخل الرئيسى بزخارف منقوشة فى الحجر على شكل مربعات ومستطيلات فى ترتيب هندسى جميل . أما فتحة باب المدخل فتوجد فى تجويف عميق تعلوه طاقية تنتهى بنصف كرة وملئت منطقة الانتقال من المربع إلى الدائرة بصفوف من الدلايات بلغ عددها عشرون صفّاً ، وقد جمعت بعض هذه الصفوف على هيئة مثلثات مما أكسبها منظرًا جميلاً خلافاً لأمثيل له فى الواجهات المصرية وإن كان يشبه إلى حد كبير زخارف الواجهات فى العمارة السلجوقية . ويكتنف هذا المدخل حنيتان يعلوهما دلايات رصعت بالرخام الأخضر بأشكال هندسية جميلة وكتب أعلاهما بالخط الكوفى المزدهر قوله تعالى « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله » يعلوهما تربيعتان كتب على أحدهما بالخط المربع « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وعلى الثانية اسم الخلفاء الراشدين الأربعة « أبو بكر عمر عثمان علي » . وقد كان لباب المدخل مصراعان من الخشب المصنوع بالنحاس المكفّت بالفضة والذهب نقلهما السلطان المؤيد شيخ إلى مسجده بالغورية سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) بعد أن دفع ثمناً لهما مبلغ (٥٠٠) دينار وأوقف على مدرسة السلطان حسن مدينة قها . ويتوج المدخل الرئيسى ستة صفوف من الدلايات تبرز عن سمت الواجهة بمقدار (١٥) متر .

أما الواجهة الجنوبية فيبلغ طولها (١٥٠) متراً وتحتوى على نوافذ المدرسة الحنفية ومدرسة الحنابلة التى ترتفع إلى أربعة طوابق (٣٥) متراً وكذا إيوان الحنفية الذى يطل على الواجهة الجنوبية يتوسطه نافذة كبيرة . أما الضلع الغربى للمدرسة فيطل على حديقة وساقية توصل المياه للمدرسة كما تطل على مغسل بناه الأمير يشبك بن مهدي عندما انتشر وباء الطاعون بالبلاد سنة ٨٨٤ هـ . أما الواجهة الشرقية التى تحوى القبلة فيبلغ طولها (٦٨) متراً ويقع خلفها القبة ومئذنتان يبلغ ارتفاعهما (٨١٦٠) متراً عن سطح الصحن ، وقد سقطت الشمالية منهما سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) وجدها إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ^(١) .

ويؤدى الباب الرئيسى إلى مدخل ربع تحيط به ثلاثة إيوانات يعلوها مقرنصات ، ويتوسط سقف المدخل قبة مكسية بحجر أحمر . وبصدر المدخل مصطبة حليت بالرخام

(١) على مبارك : ج ٤ ص ٨٣ - ٨٧

الملون . وبالجبهة الشرقية لهذا المدخل توجد قبة من خمس درجات تؤدي إلى دهليز معقود يثنى إلى اليسار وينتهى إلى صحن المدرسة . ويتكون الصحن من مربع كبير تقريباً إذ يبلغ طوله (٣٤ر٦٠) متراً وعرضه (٣٢ر٥) متراً ، وهو مفروش بالرخام ويتوسطه فسقية للوضوء تعلوها قبة خشبية تقوم على ثمانية أعمدة . وقد كتب بدائر قبة الفسقية آية الكرسي وتاريخ الفراغ منها .

ويحيط بالصحن من جهاته الأربع إيوانات المدرسة ، أكبرها إيوان القبلة إذ تبلغ سعته (١٩ر٢٠) متراً وعمقه (٢٨) متراً . ويحيط به أفريز من الجص نقش عليه كتابات بالخط الكوفي على أرضية موزقة نصها « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً إلى قوله فوزاً عظيماً » . ويتوسط الإيوان دكة المبلغ وهي من الرخام . وفي الصدر يوجد المحراب وهو من المحاريب الكبيرة الكثيرة العمق زخرف بالرخام الملون . وعلى جانبي المحراب لوحتان نقش عليهما « جدد هذا المكان المبارك حسن أغا خزیندار الوزير إبراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ١٠٨٢ هـ » . ويكتنف المحراب بابان يوصلان إلى القبة التي تقع خلفه ويحتويان على مصراعين مصفحين بالنحاس ومكفتين بالذهب والفضة على غرار باب المدخل الرئيسي ، إلا أن الباب الشمالي منهما فقد الآن .

وقد صممت إيوانات المدرسة الأربعة على شكل متعامد ، فيقابل إيوان القبلة وعلى نفس محوره الإيوان الغربي (الحنابلة) وهو مساو له من السعة إلا أنه أقل منه عمقاً . كذلك يقابل الإيوان الشمالي (المالكية) الإيوان الجنوبي (الحنفية) وعلى نفس محوره والإيوانان متماثلان من حيث السعة والعمق . ويقع بجوار كل إيوان من الأواوين الأربعة المدارس المذهبية الأربع والتي تكون كل واحدة منها وحدة معمارية متكاملة ومستقلة عن غيرها من المباني ، إذ تتكون كل مدرسة من صحن يتوسطه فسقية كما تحتوى على إيوان . وتحتوى كل مدرسة على ثلاثة طوابق تشتمل على غرف الطلبة والدرس ويطل بعضها على صحن المدرسة والبعض الآخر على الواجهات الخارجية . وتعتبر المدرسة الحنفية أكبر المدارس إذ تبلغ مساحتها (٨٩٨) متراً . وتحتوى بعض الإيوانات على شريط من الكتابة يحيط بصحنها جاء فيه « بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا

بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ، اللهم أكثر الخير واتبع العطا نسألك وأنت خير مشلول دوام دولة من أسس هذا الخير وأصله مولانا السلطان الأعظم الما... والمساكين... في عقبه » - كما كتب في المدرسة الحنفية النص التالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين فى جنات وعيون أَدْخَلُوها بِسَلام آمَنِينَ ونَزَعْنَا ما فى صُدُورِهِمْ إلى قولِهِ ، وما هم منها بمُخرجِينَ . اللهم يا دائِم لا يَفْنى يا من نَعَمه لا تَحْصى أَدَم العز والتمكين والنصر والفتح المبين ببقاء من أيدت به الإسلام والمسلمين وأحييت... حسن ابن مولانا السلطان ال... عنه على ما وليته وخلده فى ذريته كتبه حامى دولته وشاد عمارته محمد بن بيليك المحسنى^(١) .

ولما كان السلطان قد قتل (سنة ٧٦٢ هـ - ١٣٦١ م) قبل أن يتم بناء المدرسة ، فقد قام الطواشى بشير الجمدار بأعمال تكميلية كثيرة منها أعمال الرخام الملون الأرضيات وللوزرات وكذا تكسية أبواب المدارس بالرخام الملون ، وقد سجل هذا على أبواب المدارس جميعها وفيما يلى النص : بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهير الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهير المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاون وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

وتقع القبة خلف جدار القبلة ، وهى مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها (٢١) متراً وارتفاعها إلى نهاية القبة (٤٨) متراً . وقد زخرف مربع القبة وعلى ارتفاع ثمانية أمتار شريط من الكتابة مدهون على خشب نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم حتى نهاية آية الكرسي » . كما جاء فى الشريط الكتابى تاريخ الانتهاء من بناء القبة « وكان الفراغ من هذه القبة المباركة فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة وصلى الله على محمد » . ويأتى بعد الشريط الكتابى منطقة الانتقال التى ملأت الأركان بالمقرنصات الخشبية المحلاة بزخارف مدهونة بطلاء ذهبي كما طليت كذلك النوافذ التى تفتح بها أركان - المقرنصات بطلاءات متعددة الألوان يغلب عليها اللونان الذهبي والأزرق الداكن . وقد كانت القبة الأصلية خشبية ومغطاة من الخارج بطبقة من الرصاص على غرار قبة الإمام الشافعى

(١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ص ١٧٣ (أول من قرأ اسم المهندس هو حسن عبد الوهاب) .

وجامع بيبرس بالظاهر وقبة قلاوون . وقد سقطت هذه القبة (سنة ١٠٧١ هـ - ١٦٦١ م) وحلت محلها قبة ذات قطاع مدبب ويحيط بها من الخارج دعائم اسطوانية الشكل ، وباطنها حامل بالزخارف والرسوم الزيتية وكانت أكثر ارتفاعا مما هي عليه الآن ، ثم نقص ارتفاعها عندما جددتها إبراهيم باشا سنة ١٠٨٢ هـ - ١٦٧١ م) .

ويتوسط القبة تركيبة من الرخام نقش عليها تاريخ إنشائها فقد جاء فيها : أنشئت (سنة ٨٧٦ هـ - ١٣٨٤ م) برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حسن وذريته . ولكن من المعروف أن السلطان حسن لم يدفن فيها ، كما سبق أن ذكرنا في ترجمته ، ولكن دفن فيها ابنه الشهاب^(١) أحمد المتوفى (سنة ٧٨٨ هـ - ١٣٨٦ م) . وفي الضلع الشرقى من القبة يوجد محراب مجوف كسب بالرخام الملون الدقيق الصنع ، كما وجد بالقبة كرسي مصحف من الخشب المصنوع بطريق الحشوات المجمععة والمطعم بالصدف والعاج .

وكانت مدرسة السلطان حسن تحتوى على الكثير من المشكاوات والتنانير المعدنية كما يدل على ذلك السلاسل التى ما تزال تتدلى من أقباء الإيوانات الأربعة وقد فقد معظمها ولم يبق منها غير (٣٤) مشكاة من الزجاج المموه بالمينا . التى تعتبر من روائع الفن الإسلامى بالنسبة للتحف الزجاجية ، كمابقى تنوران من النحاس المخرم الدقيق الصنع حفظا فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة .

وقد ظلت مدرسة السلطان حسن فترة طويلة من الزمن مغلقة لا تؤدى فيها وظيفة التدريس ولا شعيرة الصلاة وذلك لأن المماليك قد اتخذوا منها حصنا يدافعون به أنفسهم ضد أعدائهم بالقلعة . فقد حدث سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م)^(٢) فى عهد السلطان برقوق أن نصب المماليك أعلى المدرسة المكاحل (المدافع) ورموا بها على باب السلسلة بالقلعة . فلما تكررت مثل هذه

(١) على بن داود الخطيب الجوهري : نزهة النفوس والأبدان ج ١ ص ٧١

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٧٨

الحوادث أمر السلطان برقوق سنة ٧٩٣ هـ بهدم السلم الموصل إلى سطح المدرسة وسد ما وراء الباب النحاسي^(١) الكبير ، ثم فتح نافذة من نوافذ المدرسة كمدخل لها .

ولما تولى السلطان المؤيد شيخ صرح (سنة ٨٢٥ هـ - ١٤٢٢ م) بالأذان وأعيد بناء السلم وربك باب بدل الذي أخذته لجامعه الملاصق لباب زويلة ، السابق الإشارة إليه . فلما عاد المماليك إلى مهاجمة القلعة من مئذنة المدرسة سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) أمر السلطان^(٢) جقمق بهدم السلاالم الموصلة إلى المئذنة . وفي عهد السلطان أبي النصر إينال رفعت القبة (سنة ٨٥٨ هـ - ١٤٥٤ م) لتصدعها^(٣) من كثرة إصابتها بالمكاحل أثر الحروب المتكررة ، وبقيت المدرسة بدون قبة . وفي موقعة اقبردى (سنة ٩٠٢ هـ - ١٤٩٧ م) حاصر المماليك القلعة من أعلى المدرسة وضربوها بالمكاحل ، فقبول الاعتداء بالمثل فصوبت المكاحل على المدرسة^(٤) ، فأصيب شباك المدرسة ونهبت بسط المدرسة وقناديلها ورنخامها . ثم جدد الأمير طومانباى الدودار الثانى سنة ٩٠٣ هـ جدران المدرسة وأصلح ماتلف منها وأعاد لها الخطبة وإقامة الشعائر^(٥) . وقد حاول الأشرف جنبلات^(٦) هدم جزء بسيط خلف محراب القبة لكنه أوقف العمل لصعوبته . ولما تولى السلطان الملك العادل طومانباى ملك مصر أمر بترميم مدرسة السلطان حسن .

وقد ظلت مدرسة السلطان حسن قرابة واحد وخمسين^(٧) عاماً مغلقة فى العصر العثمانى حتى (سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م) حيث أصلحها سليم أغا وفتح بابها وأزال الحوانيت التى أنشئت بأسفلها وبني لها سلاالم ومصطبة جديدة^(٨) .

أما عن نظام التدريس بالمدارس فيحدثنا عنها على مبارك^(٩) فيقول : لقد رتب السلطان

(١) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٣١٦

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٤ ص

(٣) ابن تفرى بردى : حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور قسم (٢) ص ٢١٩ (كاليفورنيا) .

(٤) ابن إياس : ج ٢ ص ٣٢٦

(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤١

(٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٣٨١

(٧) المخطوط التوفيقية ج ٤ ص ٨٦

(٨) الجبرقى : ج ٢ ص ١٠٧

(٩) المخطوط الجديدة ج ٤ ص ٨٤

حسن في وقفيتيه كل ما يخص المدرسة من الطلبة والمدرسين والخدم فجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخاً ومائة طالب من كل فرقة خمسة وعشرون متقدمون وثلاثة معيدون . ورتب لكل شيخ ثلاثمائة درهم نقرة^(١) في الشهر ولكل معيد مائة درهم نقرة وخصص الطلبة كل مذهب من المذاهب الأربعة أربعة آلاف درهم ومائتين وخمسين درهما نقرة شهرياً . ويزاد لطالب من كل فرقة فوق راتبه الشهري عشرون درهما نقرة برسم كونه نقيباً عليهم . ويزاد لطالب شاق عشرة دراهم برسم كونه داعياً للسلطان عقب كل قراءة (أى قراءة القرآن) . كذلك عني السلطان حسن أن يسجل في وقفيتيه تخصص المدرسين فرتب مدرسا لكتاب وتفسيره يصرف له في الشهر ثلاثمائة درهم ورتب معه ثلاثين طالباً يصرف لكل منهم عشرة دراهم نقرة على أن يعطى واحد منهم زيادة عن معلومه عشرة دراهم برسم كاتب الغيبة (أى ملاحظ يدون الغياب والحضور) وطالب آخر يصرف له عشرة دراهم ليكون داعياً . ورتب مدرسا للحديث النبوي وجعل له ثلاثمائة درهم أيضاً ورتب له قارئاً بكونه أهلاً لقراء الحديث الشريف ورتب لقاضي القضاة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب الزخزرجي السبكي الشافعي الحاكم بدمشق المحروسة مدة حياته في كل شهر ثلاثمائة درهم نقرة ثم من بعد وفاته تكون لقاضي القضاة الشافعي بالشام وهكذا ينتقل ذلك من قاض إلى قاض .

كما خصص للإيوان القبلي وهو إيوان الشافعية مواعيد معينة يحضر شيخ الشافعية ورتب

(١) النقرة : السكة ، أى المعدن المسكوك . وأول من ضرب الدراهم النقرة هو الملك الكامل ابن الملك العادل الأيوبي بعد أن أبطل الدرهم الناصري ، وهى التى ضربها صلاح الدين وكانت من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوى . أما الكامل فقد أمر في ذى القعدة سنة ٦٢٢ هـ . بضرب دراهم مستديرة ، وجعل الدرهم الكامل ثلاثة أثلاث ، ثلثاه من فضة وثلثه من نحاس ، فاستمر ذلك بمصر والشام مدة ملوك بني أيوب . فلما جاءت دولة المماليك البحرية اقتدوا بالدولة الأيوبية في جميع أحوالهم وأبقوا سائر شعائره ، وأقروا نقدهم على حاله . فلما ولي السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى ، ضرب دراهم ظاهرية جعلها كل مائة درهم من سبعمين درهماً فضة خالصة ، وثلاثين نحاساً ، وجعل رنكه على الدرهم وهو صورة سبع . ولم تزل الدراهم الظاهرية والكاملية بديار مصر والشام إلى أن فسدت في سنة ٧٨١ هـ .

المقريزي : كتاب النقود القديمة والإسلامية ص ١٥

ويعرف الأب أنستاس مارى الكرملى الدراهم النقرة في كتابه (النقود العربية وعلم النميات ص ١١٣) ويبين قيمتها من الدينار أى العملة الذهبية فيقول : الدرهم النقر من الدينار نصفه وخمسه وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم . وجاء في صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣ : الدراهم النقرة يكون ثلاثها من فضة وثلثها من نحاس وتطبع بدور السكة السلطانية ، ويكون كل خروبتين ثمن درهم وهى أربع حباب من حب البر المعتدل .

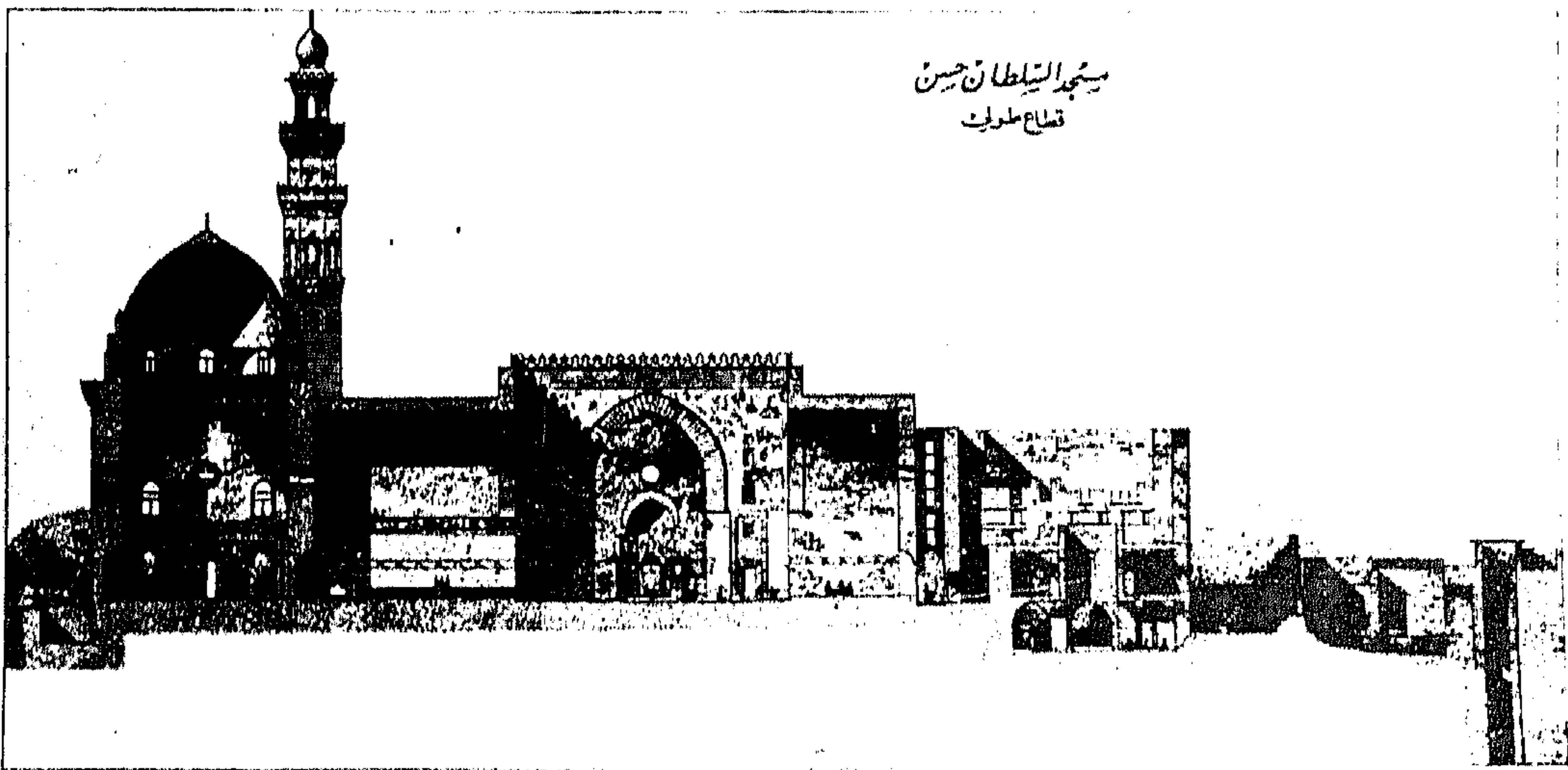
معه قارئاً يحضران أربعة أيام من كل أسبوع منها يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة ، فيقرأ القارئ ما تيسر من القرآن ومن الحديث النبوى الشريف . كما رتب مادحاً يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من القراءة ثم يدعو للسلطان الواقف ولوالديه ولذريته ولجميع المسلمين . كما رتب لعالم القراءات السبع أن يجلس كل يوم مابين صلاة الصبح والزوال بالإيوان القبلى كذلك . ورتب لحافظ لكتاب الله العظيم لتحفيظ الناس القرآن فى الإيوان القبلى ، كما رتب إماماً بهذا الإيوان ومؤذنين من أصحاب الأصوات الحسنة ومؤقتين عالمين بالمواقيت . كما رتب أربعة أئمة بالمدارس الأربعة .

أما القبة فقد حظيت باهتمام كبير من الواقف على اعتبار أنه سيدفن بها ، فقد رتب بها ستين من القراء يتناوبون القراءة ليلاً ونهاراً . وكان بالقبة مصحف شريف صنع له كرسي خاص كما رتب له رجلاً لحمله ووضعها على الكرسي القراءة كل يوم بعد صلاة الصبح وقبل صلاة الجمعة ويعيده إلى موضعه بعد فراغ القراءة . كما رتب خازناً للمكتبة ورجلين لخدمة المزملة (المزيرة) وحفظ أوانيها وتنظيفها وملء الكيزان وسقى من يرد إليها .

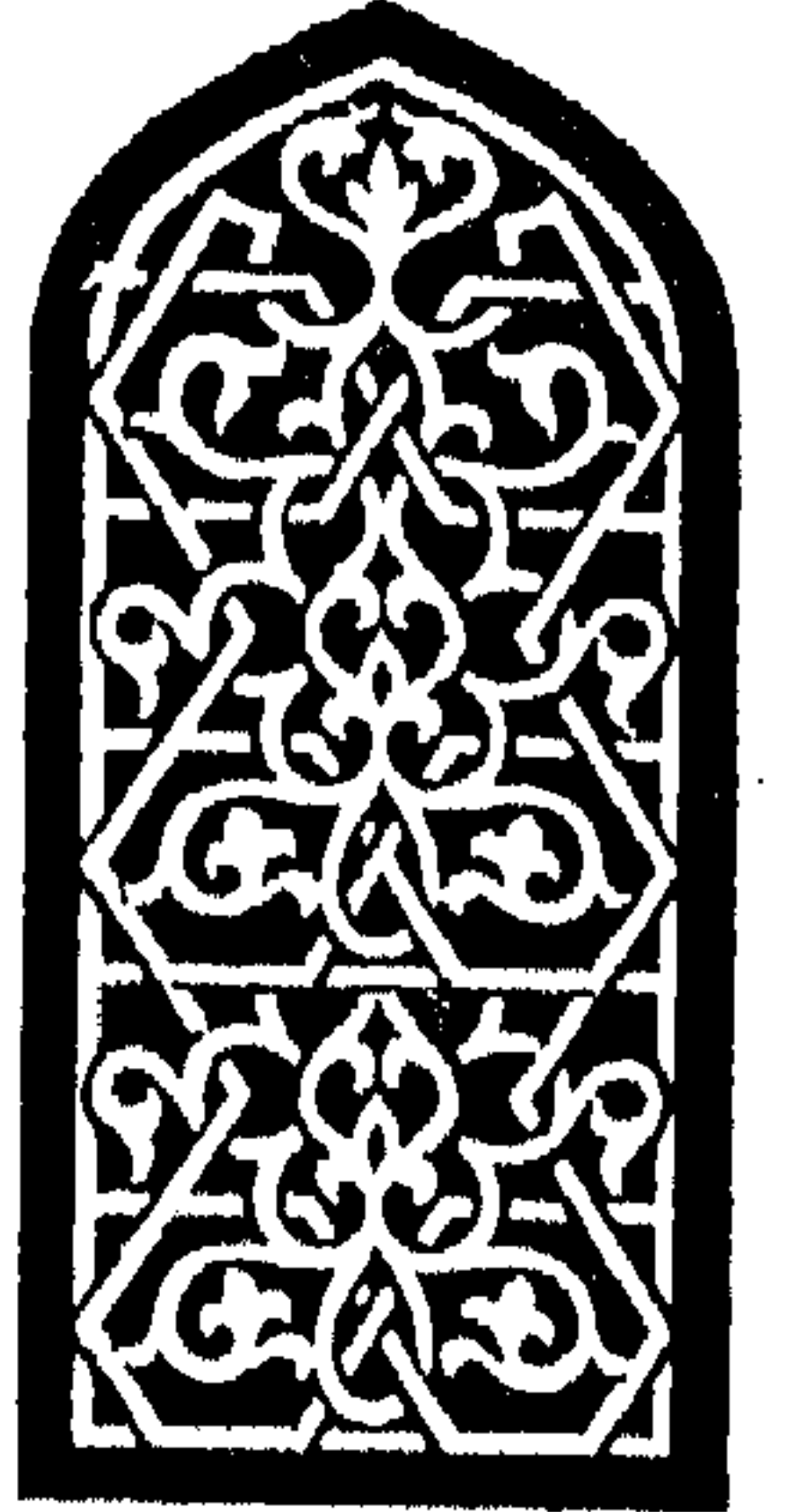
وخصص عشرين فراشاً كل عشرة فى يوم وستة بوابين للحفظ وغلق الأبواب وفتحها . كما عمل على محو أمية الأطفال اليتامى ، فجعل فى المدرسة مكتبين بمؤدبين وعريفين ومائة يتيم يتعلمون القرآن والخط وقرر للأيتام ثلاثة آلاف درهم نفقة الأيتام وكسوتهم ، وإذا أتم اليتيم حفظ القرآن يعطى خمسين درهماً ويعطى مؤدبه خمسين أيضاً . ويشترى للأطفال مايلزم من الحصر والألواح والمداد والمحابر والأقلام مع نقل مايلزم من الماء لشربهم وغسل وجوههم ، وشرط أن من بلغ من الأيتام يستبدل بغيره .

كما عنى الواقف عناية خاصة بالناحية الصحية لأهل المدرسة فرتب حكمين مسلمين أحدهما خبيراً بمعالجة الأبدان والآخر عارف بصناعة الكحل (خاص بالعيون) يحضر كل منهما كل يوم ليداوى من يحتاج إليهما من أرباب الوظائف والطلبة وغيرهم ، كما عين مع الطبيبين جراحاً . كما عنى بذكر أدوات الإضاءة فقرر شراء أربع موكبيات من الشمع الأبيض المشغول على القطن المفتول كل موكبة عشرة أرطال مصرية ، اثنتان لمحراب القبلة ، كذا فرش المسجد بالحصر والبسط والقناديل وزيت الوقود . كما قرر فى كل ليلة جمعة

صرف خمسة قناطير من اللحم الضاني وثمان عشرين قنطارا من الخبز والقرصة غير الأرز
والعسل والحبوب وحب الرمان والأدهان والخطب وأجرة من يتولى طبخ ذلك وغرفته .
ويصرف نصف ما صنع لأرباب الوظائف ونصفه يفرق على الفقراء والمساكين . هذا وهناك
مقررات خاصة بالمواسم والأعياد عنى الواقف على ذكرها موضحاً مقدار كل صنف من -
الأصناف وأوجه البهر التي تصرف فيه ، كما قرر أن يصرف كل سنة قيمة ألف قميص
وألف طاقية وألف مداس تفرق على الطلبة وأرباب الوظائف والفقراء .



(شكل ٣٠) قطاع راسي



ضريح ابن هشام النحوي الأنصاري بقرافة الصوفية خارج باب النصر

ومن يصطبر للعالم يظفر بنيـاله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلا يسيراً يعيش دهرًا طويلًا أخا ذل

هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري^(١) ، وكان معاصروه يعرفونه بلقبه (جمال الدين^(٢)) الذي ظل يعرف به عند جميع الدارسين ، مما جعله يسجله على أكثر مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة . أما بالنسبة لجمهور النحاة فإنه كان يعرف باسم ابن هشام .

ويقول السيوطي^(٣) ، ابن هشام جماعة كثيرة أشهرهم ثمانية ، ومنهم شيخنا ابن هشام^(٤) كذلك نسب ابن هشام إلى الأنصار فعرف بها عمن اشتهروا باسم ابن هشام . ويضيف يوسف البان سر كيس كلمة الخزر جي .

ولد ابن هشام في ذي القعدة سنة ٧٠٨ هـ بمدينة القاهرة ، ونشأ بها وتلقى بها دراسته الأولى ، فقد التحق بالمكاتب الملاحقة بالمدارس والخانقاوات ، حيث تعلم العلوم الدينية حفظ القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية وقواعدها . وبعد أن أتم هذه المرحلة التمهيدية

(١) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٥ (الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦ القاهرة) .

(٢) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٣٣ ، ٢٦٦

(٣) بنية الوعاة ج ٢ ص ٣٩٠ (أبو الفضل إبراهيم) .

(٤) معجم المطبوعات العربية والمعربة ج ١ ص ٢٧٣

التحق بالمدارس التي تطور فيها تعليمه ، فدرس أصول الدين كالفقه والحديث والتفسير وكذا علوم اللغة كالنحو والصرف والبيان فضلاً عن الدراسات العقلية كالفلسفة والمنطق .

وكانت حياة ابن هشام العلمية حافلة بألوان من النشاط الفكري ، إذ لم يقصر جهده على التدريس بمصر فحسب ، بل رحل إلى مكة وجاور بها وقرأ ودرس كتاب سيبويه عدة مرات^(١) ، وقد أقام بمكة سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، وفي تلك الرحلة ألف كتاباً في الأعراب فقداه في رحيله إلى مصر . ورحل ابن هشام مرة ثانية عام ستة وخمسين وسبعمائة إلى مكة وجاور بها وفي هذه المرة ألف كتابه المغني .

وقد تزوج ابن هشام من مصر وأنجب ولدين أكبرهما محمد الملقب (بمحب الدين) قرأ العربية على أبيه وغيره كما درس غيرها من العلوم وتصدى لاقراء النحو سنين وانتفع بعلمه جماعات غير قليلة من الطلبة ، وذكره السيوطي فقال : كان أوحد عصره في تحقيق النحو ، وكان خيراً ديناً . توفي في رجب سنة ٧٩٩ هـ عن نحو خمسين سنة .

أما ولده الثاني عبد الرحمن الملقب (بتقي الدين) فقد أنجب ولدين الصغير منهما أحمد ولقبه (شهاب الدين) ويعرف كذلك بابن هشام ، ذكره السخاوي فقال أنه كتب شرحاً على التسهيل ووصفه بأنه غاية في الذكاء ، وأنه فاق في العربية وغيرها ، مع أنه اشتغل بالعلم كبيراً . ووصفه عز الدين بن بدر الدين بن جماعة وكان قد تتلمذ عليه ، فقال : كان لذكائه مجيداً للعب الشطرنج ، بل كان غالبه فيه مع حسن الشكالة ومزيد الكرم والحدة المفرطة ، وقد سكن شهاب الدين في آخر أيامه دمشق وتوفي بها سنة ٨٣٥ هـ عن نحو - أربعين سنة .

وشقيقه الكبير محمد ولقبه « ولي الدين » ويعرف كأخيه بابن هشام ، ولد في القاهرة سنة ٧٨٦ هـ فحفظ القرآن والعمدة والمنهاج ، واشتغل قليلاً في النحو على عمه محب الدين وغيره ، إلا أنه فضل الاشتغال بالتجارة وارتحل بسببها إلى بلاد كثيرة فقد سافر إلى الاسكندرية والصعيد بل غادر القطر إلى الشام وغيرها من المدن والبلاد . وعرف ولي الدين بالتقوى والورع والثقة والأمانة ، وتحري الدقة في معاملاته التجارية والمالية وتوفي سنة ٨٦٦ هـ

(١) أعيان العصر : للصفدي ج ٣ ص ٢٥٩

واشتهر كثير من أحفاد ابن هشام بالعلم والفقه والأدب ، فقد تتلمذ على يديهم كثير من علماء وفقهاء وشيوخ عصرهم وفي ذلك يقول صاحب جعفر : وهكذا ظلت غرسة العلم التي استنبتها ابن هشام بكده وكدحه ، في أسرته يتوالى على العناية بها من بعده أبناؤه وأحفاده إلى زمن غير قصير ويستظل بها طلاب العلم والمعرفة في أكثر من جيل .

ومن أساتذة ابن هشام الذين لازمهم مدة دراسته المتقدمة الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف ابن المرحل ، وعلى بن السراج ، وسمع من أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى ولكنه لم يلازمه ولا قرأ عليه . كذلك حضر دروس الشيخ تاج الدين البربري وقرأ على الشيخ تاج الدين الفاكهاني (شرح الإشارة) كما حديث (بالشاطبية) عن ابن جماعة^(١) .

وقد أخذ ابن هشام من شيوخه السابق ذكرهم الشيء الكثير ، فقد انتفع بما لديهم من علوم العصر وفنونه ، وكان خير عدة وذخيرة انتفع بها في حياته العلمية والدينية على حد سواء ، فأثبت جدارة في مهمة التدريس والتأليف في مختلف العلوم الدينية والمغوية .

لقد درس ابن هشام العربية على ابن المرحل الذي كان إماماً في النحو مدققاً فيه ، عارفاً باللغة وعلم البيان والقراءات ، وعلى الشيخ تاج الدين الفاكهاني الحديث والفقه والأصول العربية والأدب وسمع من الشيخ شمس الدين بن السراج ، الذي وصفه ابن الجزري بأنه كان ينقل القراءات نقلاً جيداً وإليه انتهت الرياسة في تجديد الكتابة (المخط) وإسناد القراءات بالديار المصرية .

وكذلك تفقه في الحديث على يد قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الذي كان محدثاً فقيهاً ، كما حضر دروس الشيخ تاج الدين التبريزي ، الذي يقول عنه الاسنوي أنه كان متضلعا بغالب الفنون من المعقولات والفقه والنحو والجساب والفرائض .

أما عن مذهب ابن هشام الديني فيحدثنا ابن إياس^(٢) فيقول ، أنه كان شافعي المذهب فقد نشأ عليه ودرس الفقه الشافعي عندما كان يقرأ « الحاوي الصغير » كذلك كان يُدرّس

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٥

(٢) بدائع الزهور ص ١٩٩

التفسير في القبة المنصورية^(١)» على المذهب الشافعي . غير أنه انتقل إلى المذهب الحنبلي قبل وفاته بخمس سنوات وحضر مدارس الحنابلة ، وحفظ « مختصر الخرقى » .

على أن ابن هشام لم يكن الفقيه الوحيد الذي تنقل من مذهب إلى آخر ، فهناك الشيخ أبو حيان المالكي الذي تحول إلى المذهب الشافعي فلما سئل عن السبب في ذلك فأجاب : « بحسب البلدة^(٢) » وغيره كثير من العلماء والفقهاء مثل الشيخ ابن مالك المالكي الذي تحول إلى المذهب الشافعي وابن الدهان البغدادي الذي تفقه على مذهب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل إلى مذهب الشافعي لما تولى تدريس النحو بالمدرسة النظامية ببغداد ، التي ينص واقفها على أن يكون واجباً على من يتولى تدريس النحو بها أن يكون شافعيًا .

ويذكر ابن تغري بردي أن ابن هشام انتقل إلى المذهب الحنفي ، عندما وضع كتاباً في الفقه شرح به « الجامع الصغير » في الفروع ، لمحمد بن الحسن الشيباني الحنفي صاحب أبي حنيفة ، وأخيراً تحول إلى المذهب الحنبلي الذي استقر عليه هو وأبناؤه وأحفاده - من بعده^(٣) .

وقد كان ابن هشام موضع تقدير و إعجاب معاصريه من العلماء والفقهاء والمؤرخين فقد قال عنه معاصره التاج السبكي : أنه نحوى هذا الوقت كما لقبه الصلاح الصفدى (بشيخ النحو^(٤)) وترجم له ابن مفلح المقدسى فقال : إن ذكره سار في الآفاق وانتهت إليه مشيخة النحو في الديار المصرية ، وأنه كان فرداً في هذا الفن^(٥) .

وتحدث عنه ابن تغري بردي^(٦) فقال : وأما العربية فكان من المشار إليه فيها والمعمول على كلامه وهو فارسها ومالك زمامها ، وله فيها التصانيف المفيدة الجيدة . ويضيف ابن

(١) قبة المنصور قلاوون بالصاغة .

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١ ص ٣٣٦

(٣) صاحب جعفر أبو جناح : أوضح المسالك لابن هشام الأنصارى (رسالة ماجستير سنة ٦٨) .

(٤) طبقات الشافعية للسبكي ج ٦ ص ٣٣

(٥) المقصد الأرشد ص ١٤٢

(٦) النهل الصافي : ج ٢ ص ٢٧٧ ، النجوم الزاهرة : جزء ١٠ ص ٣٣٦

حجر^(١) فيقول : أنه انفرد بالفوائد الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البالغ - والاطلاع المفرط والاقتدار على التصرف في الكلام .

ولم يقتصر الاعجاب بابن هشام على معاصريه من المصريين فحسب ، بل طبقت شهرته الآفاق حتى أن شيخ مؤرخى المغرب ، ابن خلدون ذكره في مقدمته فقال : « مازانا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » ويضيف عند حديثه عن كتاب (مغنى اللبيب) لابن هشام فيقول : فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته فيها .

مما تقدم نخلص إلى أن شخصية ابن هشام العلمية كانت موضع احترام وتقدير من كل من تحدث عنه أو ترجم له هذا بالإضافة إلى صفاته وأخلاقه التي وصفها ابن حجر فقال أنه كان فاضلاً متواضعاً ، برّاً مع دماثة في الخلق ورقة في القلب وشفقة وأنه كثير الديانة والعبادة ولعل ما كان عليه من علم وما اتصف به من مكارم الأخلاق مع الورع والتقوى هو الذى جعل أحداً لم يعرض له بنقد شخصى أو تعريض كما عرضوا لغيره بالذم والانتقاد توفي ابن هشام^(٢) في الخامس من ذى القعدة سنة ٧٦١ هـ بعد حياة دامت بضعا وخمسين سنة ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر بالقاهرة بعد صلاة الجمعة وقد رثاه ابن نباته المصرى بقوله :

سقى ابن هشام فى الثرى نوء رحمة يجر على مثواه ذيل غمام
سأروى له من سيرة المدح سيرة فما زلت أروى سيرة ابن هشام

(١) الدرر الكامنة : ج ٢ ص ٤١٦

(٢) المقرئى : ج ٤ ص ٣٤٨ ، النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٣٣٦

وصف الضريح

يذكر المقرئى^(١) فى خطته المقابر التى تقع خارج باب النصر (أحد أبواب أسوار القاهرة الفاطمية وهو ما يزال قائماً بالضلع الشمالى للصور بحى باب الشعرية الآن) .

« وتتابع دفن الناس موتاهم فى الجهة التى هى اليوم بحرى مصلى الأموات إلى نحو الريدانية ، وكان ما فى شرق هذه المقبرة براحاً واسعاً يعرف بميدان القبق وميدان العيد والميدان الأسود ، وهو ما بين قلعة الجبل إلى قبة النصر تحت العجل الأحمر . فلما كان بعد سنة ٧٢٠ هـ ترك الملك الناصر محمد بن قلاوون النزول إلى هذا الميدان وهجره » ويضيف المقرئى فيقول وأول من ابتدأ فيه بالعمارة الأمير شمس الدين قرا سنقر فاخطت تربته التى تتجاوز اليوم تربة الصوفية ، وبني حوض ماء للسبيل وجعل فوقه مسجداً وهذا الحوض بجوار تربة الصوفية .»

ولما كانت المراجع التاريخية السابق ذكرها قد أجمعت على أن ابن هشام الأنصارى النحوى قد دفن بمقابر الصوفية ، لذلك فقد رجعنا إلى تعليق أحمد رمزى فى حاشية كتاب النجوم الزاهرة^(٢) حيث يقول : « ودلنى البحث على أن مقابر الصوفية مكانها اليوم المقابر المعروفة الآن بجبانة باب النصر فى المنطقة الواقعة على جانبي القسم الجنوبى من شارع نجم الدين الموصل من باب النصر إلى العباسية » .

ويذكر السخاوى^(٣) فى حديثه عن تاريخ جبانة باب النصر ما يلى : « يجد السالك هناك قبرين متقابلين لبعضهما أحدهما عن يمينه تجاه شارع نجم الدين والآخر عن يساره على ناصية الطريق حيث شارع القضاة المسلمين السلوك منه إلى الحسينية وباب الفتوح . فالقبر الأول فيه الشيخ عبد الغنى السعدى ، أحد فقراء السعدية ، متأخر الوفاة ، والقبر الثانى

(١) المقرئى : ج ٤ ص ٣٤٨

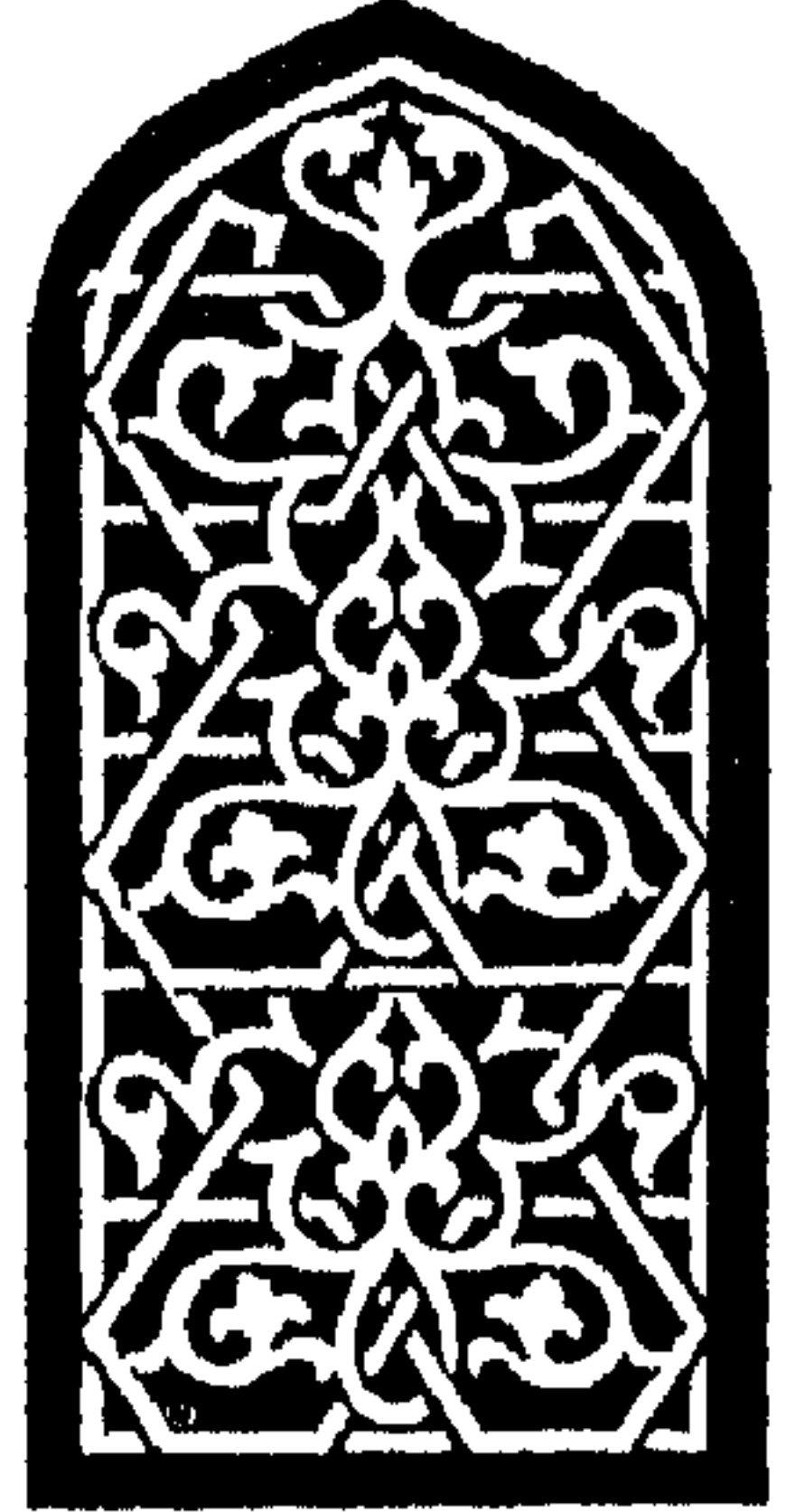
(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٣٣٦

(٣) تحفة الأجيال وبغية الطلاب ص ٤٢ (حاشية) .

فيه الإمام ابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف المصرى أحد أئمة النحو المشهورين المتوفى سنة ٧٦١ هـ . وَيَصِفُ السخاوى هذه المنطقة فيقول : « وكانت هذه المنطقة وماقبلها طريقاً مطروقا للقوافل يمرون بها عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس (المطرية) ولم يكن بها من المواضع التى تستحق الذكر إلا البستان الكافورى (وهو المنطقة الواقع بها الآن جزء من ظاهر باب الفتوح وشارع البنهاوى ويمتد إلى شارع الشعرانى الجوانى حيث المدرسة - الباسطية) .

ثم يتحدث السخاوى عن قبر ابن هشام فيقول : « كان قبر ابن هشام النحوى هذا دارساً فأظهره رجل معروف بالبر والإحسان كان ساكناً بقرب من هذه الجهة .

وبالبحث والتحري عن مقبرة ابن هشام النحوى المصرى ، عثرت على مقبرة فى مواجهة باب النصر خارج سور القاهرة القديم وعلى بعد مائة متر تقريباً ، تعرف باسم مقبرة الشيخ ابن هشام ، ويقوم فوق المقبرة تركيبة حجرية ويحيط بها مقصورة خشبية مساحتها ٣٥×٣ أمتار ويعلموها قبة خشبية أيضاً . وقد غطيت تركيبة القبر بغطاء قبر أخضر كتب عليه بطريقة النسيخ المضاف (طريقة الخيم) اسم ابن هشام الأنصارى فلما رفعت الغطاء وجدت على أحد شاهدى القبر كتابة منقوشة بطلاء زيتى به اسم ابن هشام الأنصارى وتاريخ وفاته سنة ٧٦١ هـ وليس من المستبعد أن يكون هذا الضريح هو قبر شيخنا ابن هشام . .



مدرسة أم السلطان شعبان

سنة ٧٧٠هـ

بشارع باب الوزير

السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر^(١) زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون . تسلطن باتفاق الأمير يلبغا العمرى وطيبغا الطويل مع الأمراء على سلطنته بعد خلع ابن عمه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجى وهو السلطان الثانى والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية .

ولما اتفق الأمراء على سلطنته أحضر الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد والقضاة الأربعة وأفيض عليه الخلعة الخليفية السوداء بالسلطنة وجلس على تخت الملك وعمره عشر سنين فى يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة من غير هرج فى المملكة ولا اضطراب فى الرعية ، بل فى أقل من قليل وقع خلع المنصور وسلطنة الأشرف وانتهى أمرهما ونزل الخليفة إلى داره وعليه التشريف ولم يعرف الناس ما وقع إلا بدق البشائر والمناداة باسمه وزينت القاهرة وتم أمره على أحسن حال .

ومولد الأشرف فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة بقلعة الجبل^(٢) . وفى سنة سبع وستين وسبعمائة أخذ الفرنج مدينة اسكندرية فى يوم الجمعة ٢٣ المحرم ونهب^(٣) ذلك أنه لما كان يوم الجمعة المذكور طرق الفرنج مدينة الاسكندرية على حين غفلة فى سبعين قطعة

(١) فى السلوك للمقرئى : (ج ٣ ص ٤٠) : أبو المعلى

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٢٤

(٣) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٢٩ وما بعدها .

ومعهم صاحب قبرس وعدة الفرنج تزيد على ثلاثين ألفاً وخرجوا من البحر المالح إلى بر الاسكندرية فخرج أهلها إليهم فتقاتلوا فقتل من المسلمين نحو أربعة آلاف نفس واقتحم الفرنج الاسكندرية وأخذوها بالسيف واستمروا بها أربعة أيام وهم يقتلون وينهبون ويأسرون وجاء الخبر بذلك إلى الأتابك يلبغا وكان السلطان بسرياقوس ، فقام من وقته ورجع إلى القلعة ورسم للعساكر بالسفر إلى الاسكندرية ومعهم السلطان والأتابك يلبغا وعدوا النيل وجدوا في السير حتى وصلوا إلى الطرانة (إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة) ، فلما وصل إليها أرسل مقدمة من جيشه بقيادة بعض الأمراء وهم قطلوبغا المنصورى وكوندك وخليل بن قوصون وجماعة من الطبلخانات والعشرات وغيرهم وجدوا في السير ، وبينما هم في ذلك ، جاء الخبر بأن العدو انسحب من الاسكندرية لما علم بقدوم السلطان ، ففرح الناس بذلك وقرر السلطان عمارة مآتهم منها وإصلاح أسوارها وأخلى السلطان على الشريف بكتمر بنياية الاسكندرية وأعطاه أمره مائة وتقدمه ألف وبكتمر هذا هو^(١) أول نائب ولى نيابة الاسكندرية من النواب ، وما كانت أولا إلا ولاية ، فمن يومئذ عظم قدر نوابها وصار نائبها يسمى ملك الأمراء ثم أمر يلبغا فنودى بمصر والقاهرة بأن البحارة والنقاطة كلهم يحضرون إلى بيت الأتابك يلبغا للعرض والنفقة ليسافروا في المراكب التى تنشأ ، وبدأ يلبغا في عمارة المراكب وبعث مراسيم إلى البلاد الشامية والحلبية بإخراج جميع النجارين إلى جبل شغلان^(٢) وهو جبل عظيم فيه أشجار كثيرة من الصنوبر والقرو ونحو ذلك وهذا الجبل بالقرب من مدينة انطاكية ، وأنهم يقطعون الألواح وينشرون الأخشاب للمراكب ويحملونها إلى الديار المصرية .

أراد الأمير يلبغا أن يستبد بتصرف شؤون البلاد دون طيغا الطويل فأخذ يحبك له المؤامرات ليعبده عن الخدمة السلطانية التى كانا يتوليانها سويا وقد أحس العامة بذلك وصاروا يقولون : ياطويل حسك من هذا القصير . فكان طيغا يلتفت إلى يلبغا ويقول وهو يضحك : ما يقول هؤلاء ! فيقول يلبغا : هذا شأن العامة يثيرون الفتن .

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٣٠

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٣٠ وما بعدها .

تحين يلبغا فرصة خروج طيغنا الطويل إلى الصيد جهة العباسية ، فأرسل إليه مع بعض الأمراء تشريفا له بنيابة دمشق . فلما علم طيغنا ذلك غضب وأبى قبول الخلعة وأيده في ذلك بعض الأمراء . فلما بلغ يلبغا ذلك ركب إليه ومعه السلطان الملك الأشرف شعبان ومزودين بالجنود، فساروا حتى قدموا عليه وساقوه من العباسية حتى نزل بقبة النصر، وذكر المقرئى^(١) في الجزء الثانى من خطه عند الكلام على قبة النصر : أن هذه القبة كانت زاوية يسكنها فقراء العجم وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت العجيل الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الداودار الظاهرى . ويضيف الأستاذ محمد رمزى^(٢) ويقول أن هذه القبة كانت واقعة فى الفضاء الكائن شرق خانقاة السلطان برقوق وقبة الأمير يونس الداودار بينهما وبين العجيل الأحمر وقد اندثرت هذه القبة .

وعند قبة النصر اقتتل عساكر يلبغا مع جند طيغنا الطويل وانهمز طيغنا الطويل وألقى القبض عليه وعلى أتباعه وأرسلوا إلى سجن الاسكندرية وأخذ يلبغا اقطاع ولدى طيغنا الطويل ثم أفرج السلطان عن طيغنا الطويل وقبل شفاعة الأمراء فيه وذلك فى سنة ٧٦٧ هـ وأبعد إلى القدس .

وفى سنة ٧٦٨ هـ أمر السلطان أن يكون الأمراء على الشوانى التى أنجز عملها كاهلى العدد والسلاح والرجال على هيئة القتال ليشاهد السلطان والناس ماتم انجازه تجاه تجديد الأسطول فامتلأ الأمراء للمرسوم السلطانى وشحنوا المراكب بالعدد والسلاح والرجال الملبسة وضربوا الطبلخانة بها وصارت فى أبهى^(٣) زى ولعبوا بها فى البحر أمام السلطان والأتابك يلبغا وخرج الناس للتفرج من كل فج وكان يوم من الأيام المشهودة لم ير مثله فى سالف الأعصار .

ويقول ابن ممتى^(٤) المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى كتابه قوانين الدواوين فى وصف الأسطول المصرى : ومن أسماء مراكبه الطريدة والحمامة والشينى... إلخ . وفسر الطريدة بأنها مركب

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤٣٣

(٢) النجوم الزاهرة : ج ٧ ص ٤١ هامش (١) .

(٣) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٣٦

(٤) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٣٥ هامش ٤

برسم حمل الخيل وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرساً ، كما فسر الشينى وسماه الغراب أيضاً بأنه يجذف بمائة وأربعين مجدافاً . وفيه المقاتلة والمجدافون .

سار السلطان والأتابك يلبغا بالجند من بر الجزيرة قاصدين البحرين وعند قرية الطرانة (من قرى كوم حمادة) التى باتوا بها ، عزم ممالكك يلبغا على قتله فى تلك الليلة لنفور قلوبهم منه لكثرة ظلمه وعسفه وتنوعه فى العذاب الذى كان ينزله بهم لأدنى جرم ، غير أنه ما كاد يشعر بدنوهم إلى خيمته حتى هرب بخواصمه وعدى النيل إلى القاهرة ومنع المراكب من أن تعدى أحداً . أما ممالكك يلبغا فقد نجحوا فى استمالة الملك الأشرف إلى ناحيتهم فى قتال يلبغا وكان قد تردد أولاً ثم وافق لما فى نفسه من حرج يلبغا عليه وحجبه عن تصريف الأمور فى المملكة . وما كاد يلبغا بذلك حتى ثارت حفيظته فأنزل من قلعة الجبل آنوك ابن الملك الأمجد حسين أخى الملك الأشرف شعبان وسلطنه ولقبه بالملك المنصور وذلك بمخيمة بجزيرة آروى^(١) المعروفة بالجزيرة الوسطانية تجاه بولاق التكرورى فسمته العوام سلطان الجزيرة والمملك الأشرف بممالكك يلبغا بالبر الشرقى ، ثم اتفق عساكر الملك الأشرف على تعدية الملك الأشرف من الوراق وهى بلد واقعة على الشاطئ الغربى للنيل بمركز إهبابية تجاه ساحل روض الفرج إلى جزيرة الفيل ويقول الأستاذ محمد^(٢) رمزى أن مكانها اليوم الأرض التى عليها مساكن قسمى شبرا وروض الفرج . فلما علم بذلك يلبغا وبلغه هروب الأمراء الذين كانوا معه ورجوعهم إلى الملك الأشرف ، رجع إلى القاهرة ووقف بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ونزل عن فرسه وصلى العصر ونزع سيفه وأعطاه الأمير طيغنا الحاجب وقصد بيته بالكبش فرجمه العوام بالحجارة وفى اليوم التالى أخذه بعض الأمراء إلى القلعة فسجن بها إلى ما بعد العشار ثم أخذه بعض الأمراء وأنزلوه من القلعة وهو يستعد لركوب فرس أحضره له .

وفى مدة حكم السلطان الأشرف قصد الفرنج مدينة طرابلس الشام سنة ٧٦٩ هـ فى ١٣٠ مركباً من الشوانى والقراقير والغربان والطرائد وصحبهم صاحب قبرس ، وكان نائبها

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٣٧ هامش (٣) تعرف اليوم بالجزيرة الكبرى أو جزيرة بولاق الواقعة وسط النيل تجاه بولاق القاهرة يتوصل إليها بكوبرى قصر النيل وبواسطة كوبرى بولاق .

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٣٨

وأكثر عسكرها غائبين . فاستنمت الفرنج الفرصة وخرجوا من مراكزهم إلى الساحل واقتتلوا مع من وجد من عساكر المسلمين الذين تقهقروا لقلة عددهم فدخل المدينة طائفة من الفرنج ونهبوا بعض الأسواق وقد جدد المسلمون الكرة على الفرنج وألقى الله الرعب في قلوب الفرنج فرجعوا^(١) خائبين بعد أن قتل منهم نحو الألف .

قوى أمر الملك الأشرف في السلطنة وصار هو المرجع الأول والأخير في تدبير شؤونها يعزل ويولى دون مشورة الأمراء وصار هو الملك من غير منازع ولا معاند وحسنت سيرته وأحبته الرعية .

وفي سنة ٧٦٩ هـ حجت خوند بركة والددة السلطان الملك الأشرف وكان أمير الحاج في هذه السنة بهادر الجمالى ، فخرجت بتجميل زائد ورخت عظيم وبرك هائل ويعاق الأستاذ محمد^(٢) رمزى على لفظى البرك والرخت فيقول : « هما لفظان فارسيان معناهما المتاع الخاص من ثياب وقماش الأمراء وسلاطين المماليك » وخرج في خدمة والددة السلطان من الأمراء الألواف بشتك العمرى وبهادر الجمالى أمير الحاج ومائة مملوك من المماليك السلطانية الخاصة وكان من جملة ما معها بدرب الحجاز كوسات وعصائب سلطانية وعدة محفات بأغطية زركش وعدة محابر ويفسر الأستاذ محمد^(٣) رمزى لفظ محابر فيقول : « هو جمع محاورة وهي مرادفة للمحففة ، صندوقان يشدان إلى جانب الرحل كالهوادج مكان للمحابر سوق خاص بالقاهرة : اسمه سوق المحابريين اشتهر تجاره بتحديد أثمان بضائعهم بغير مساومة ومكانه قرب الجامع الأقمر واستحدث آخر قرب الجامع الطواوئى على عهد المقرئى . وكان مع والددة السلطان عند ذهابها للحج : قطر جمال عليها مزروع نخضر وغير ذلك وحجت وغادت إلى الديار المصرية بعد أن احتفل جميع الأمراء ونحفوا إلى ملاقاتها .

ومما عمله الملك الأشرف أنه قرر في سنة ٦٧٣ هـ أن الأشراف بالديار المصرية والبلاد الشامية يسمون عمائمهم بعلامة خضراء بارزة يميزهم بها الخاصة والعامة ويولونهم الاجلال

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٥٣

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٥٤ هامش (٢) .

(٣) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٥٥ هامش (١) .

والتعظيم ويقابلون بالقبول والاقبال ويمتازون عن غيرهم من المسلمين وقد تم ذلك ولبس
الإشراف العلائم الخضراء ، التي هي إلى الآن مستمرة على^(١) رءوسهم .

مرضت والددة السلطان ثم توفيت في ذى الحجة سنة أربع وسبعين وستمائة وهي في عصمة
الجاي اليوسفي وصلى عليها الملك الأشرف ودفنت بمدرستها التي عمرتها بخطط التبانة خارج
القاهرة بالقرب من باب الوزير ، وحزن عليها ولدها الملك الأشرف حزناً شديداً لأنها كانت
من خيار نساء عصرها ديناً وخيراً وصدقة ومعروفاً^(٢) .

ويصف المقريزي^(٣) هذه المدرسة فيقول : هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة
الجبيل يعرف خطها بالتبانة وموضعها كان قديماً مقبرة لأهل القاهرة أنشأها الست الجليلة
الكبرى بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة ٧٧١ هـ وعملت بها درساً
للشافعية ودرساً للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهي من المدارس الجليلة وقبرها موجود
بقبة المدرسة التي دفن فيها ابنها الملك الأشرف شعبان بعد قتله .

وهذه المدرسة لاتزال قائمة إلى اليوم باسم جامع أم السلطان بشارع باب الوزير الذي أصله
من خط التباية . وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية . وبوابة المدرسة مرتفعة ذات حجر كبير
مربع ، بها مكسلتان وعقد الإيوان من أجمل العقود المكونة من المقرنصات المتنوعة ذات
الدوالي ، وكانت مطلية بالنقوش المذهبة . ويستفاد من الكتابة المنقوشة في الحجر أن الذي
أمر بإنشاء المدرسة والسبيل لوالدته هو الملك الأشرف شعبان في سنة ٧٧٠ هـ . والظاهر أنه
بدأ في العمارة سنة ٧٧٠ هـ وأقيمت الشعائر سنة ٧٧١ هـ ، كما يذكر المقريزي ، لأن المدرسة
كبيرة ولا بد أن عمارتها استغرقت شهوراً من السنتين المذكورتين .

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٥٦

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٥٩

(٣) المجلد ج ٢ ص ٣٩٩

الوصف المعماري

تقع الواجهة الرئيسية للمدرسة في الضلع الشرقى وهى حافلة بمجموعة من العماثر الملحقه بالمدرسة . ففي الطرف الشمالى الشرقى يوجد حوض لشرب الدواب يكاد يكون منفصلا عن الواجهة فهو يكون وحدة بنائية قائمة بذاتها حيث يعلو الحوض كتاب لتحفيظ الأطفال اليتامى القرآن والخط العربى . وفي الطرف الآخر للمدرسة أى الجنوب الشرقى يوجد سبيل وفي الركن توجد المئذنة المكونة من ثلاثة طوابق ، سقط الطابق الثالث منها الآن .

ويتوسط الواجهة الشرقية المدخل الرئيسى للمدرسة ، إذ نجد باباً يعتبر تحفة فنية رائعة بما يحويه من زخارف محفورة فى الحجر . ويبلغ سعة الباب (١ر٥) متر وارتفاعه (٢ر٥) متر يعلوه عتب نقشته فيه زخارف نباتية ذات طراز متأثر إلى حد كبير بالأسلوب الصينى . ويحيط بهذا العتب إطار عرضه (٢٠ سم) يلتف حوله حتى بداية فتحة الباب وقد بدأنا نرى هذه الظاهرة منذ ضريح السادات الشعابية . ويعلو العتب عقد عاتق طرفه العلوى مسطح يحتوى على اثنتى عشرة صنجة معشقة من اللونين الأبيض والأحمر . ويأتى فوق العقد العاتق نافذة قنديلية مكونة من فتحتين تعلوهما دائرة ، وقد أحاط بالنافذة عقد نصف دائرى . تأتى بعد ذلك منطقة الانتقال التى تأتى دخول المدخل العميق الذى يكون نصف مربع ، وتحتوى على صفين من المقرنصات . ويعلو ذلك قبة هرمية الشكل مكونة من دلايات نظمت فى مثلثات صغيرة فى وضع هندسى بديع التكوين .

وفى تجويف المدخل الذى يبلغ عمقه (١ر٧٥) متر يكتنف الباب مكسلتان يعلوهما حنيتان يعلوهما عقدان مفصصان ، وقد زخرف طاقية العقد إشعاعات تنتهى بفصوص العقد ويحيط بالباب شريط من الكتابة الكوفية على أرضية موزقة ، نصها « بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم إلى نهاية آية الكرسى . كما كتب على جانبي الباب : بسم الله الرحمن الرحيم الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة » حتى نهاية الآية . أمر بإنشاء هذه

المدرسة المباركة لوالدته مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان ابن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين مظهر الحق بالبراهين حامى حوزة الدين عز نصره . ويعلو هذا الشريط شريط آخر يحيط بالحنايا والعمود الجانبية مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا السلطان المالك الأشرف شعبان ابن المرحوم حسين سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل في العالمين مظهر الحق بالبراهين حامى حوزة الدين سيد الملوك والسلاطين قسم أمير المؤمنين قاهر الخوارج والمتمردين كنز الغزاة والمجاهدين منصف المظلومين من الظالمين ذخر الأرامل والمحتاجين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والحصون الإسماعيلية والثغور السكندرية والقلاع الساحلية والأقطار الحجازية والأعمال الفراتية ناصر الملة المحمدية أعز الله أنصاره وذلك في شهور سنة سبعين وسبعمائة للهجرة النبوية وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

كذلك نجد اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء على الحجاب الخشبى الموجود أمام السبيل السابق الإشارة إليه وهو مكون من خشب مخرم زخارفه على شكل الأطباق النجمية نقش عليه : « أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك لوالدته مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عز نصره في شهور سنة سبعين وسبعمائة » .

ويؤدى المدخل العام للمدرسة إلى طرقة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٨ أمتار مغطاة بقبة ضحلة زخرفت أركانها بمقرنصات بديعة مذهبة ، ويتصدر الطرقة صفة وبها لوحة من الرخام مثمثة الشكل كتب عليها « الحمد لله أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الملك الأشرف أعز أنصاره لوالدته تقبل الله منهما فمن أبطل شيئاً منها أو من أوقفها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة » فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم .

ولإلى يسار الطرقة يوجد باب يوصل إلى دهليز مستطيل . ويعلو هذا الباب صفان من -
الدلائل فوقهما شريط من الكتابة جاء فيه : أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته سيدنا

ومولانا ومالك رقنا السلطان المالك الملك الأشرف شعبان بن حسين أعز أنصاره بمحمد وآله وسلم» .

وإلى اليمين من الدهليز يوجد باب يوصل إلى الطابق العلوى ، وفى نهاية الدهليز يوجد باب آخر يؤدى إلى صحن المدرسة . ويتكون الصحن من مربع كبير يبلغ طول ضلعه (١٨) متراً وهو مكشوف وتحيط به من جهاته الأربع إيوانات متعامدة وبجانب كل إيوان مدرسة المذهب المخصص لها . وقد زخرفت أعتاب المدارس المذهبية وعقودها العاتقة بزخارف نباتية وهندسية بديعة مذهبة كما نقش على جوانب تلك الأبواب الكتابة الآتية : أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة لوالدته مولانا وسيدنا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عز نصره» .

ويعتبر الإيوان الشرقى أهم الإيوانات وأكبرها إذ تبلغ سعته (١٥) م وعمقه (٢٠) م ويتصدره محراب كسى بالرخام الملون كما يكتنفه عمودان مثمنا البدن ، أما تيجانها فقد حفرت فيهما زخارف نباتية غاية فى الدقة والابداع . ويكتنف المحراب نافذتان زخرفت خواصرهما بنقوش مماثلة لزخارف تيجان الأعمدة والمحراب . وإلى جانب المحراب يوجد منبر خشبي بسيط أمر بعمله الأمير على أحد أمراء المماليك الجراكسة .

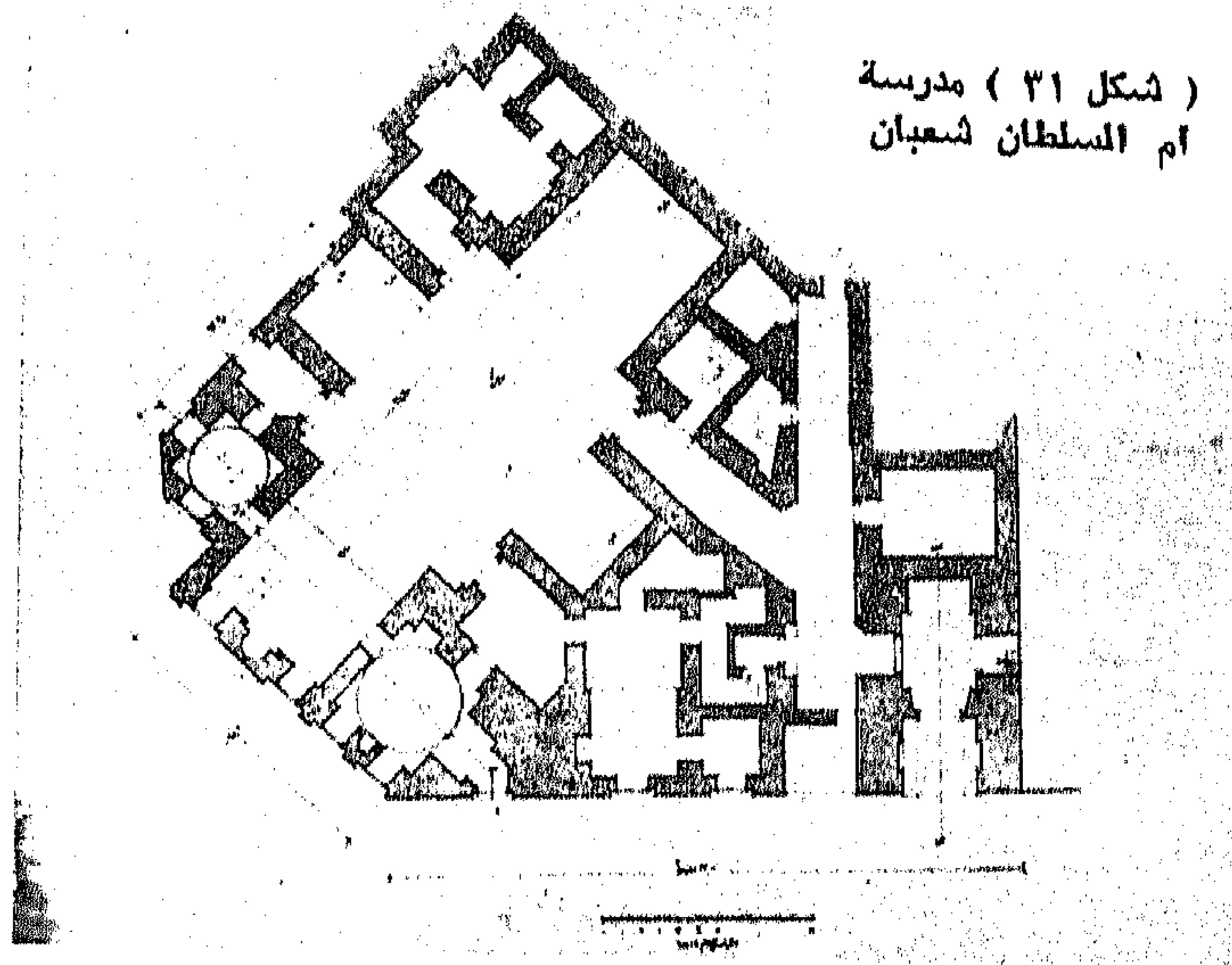
وفى طرفى الضلع الشرقى من الداخل توجد قبتان ، خصصت الجنوبية منهما لدفن السلطان شعبان كما دفن^(١) فيها كذلك ابنه الملك المنصور حاجى المتوفى سنة ٨١٤ هـ وهى قبة صغيرة بنيت من الحجر وتبلغ منطقة الانتقال فيها من مقرنص كبير على شكل نصف دائرة كامالة التكوير وبين هذه الأركان توجد نوافذ قنديلية تتكون من فتحتين معقودتين يعلوهما دائرة . ويعلو منطقة الانتقال رقبة القبة التى تحتوى على ستة عشر عقداً فتح منها ثمانية أما الثمانية الأخرى فمصمتة . أما القبة فهى ذات قطاع مدبب ممتد ، وهى مضلعة من الخارج .

أما القبة الشمالية فقد أعدت لدفن خوند بركة وقد دفنت معها ابنتها خوند زهرة كما هو ثابت من الكتابة التى تحيط بالقبر الذى يتوسط القبة فقد جاء فيه : هذا ضريح ريحانة الجنة الست المرحومة الدرة المكنونة ست الستات زين الخواتين الست زهرة ابنة

(١) ابن إياس : ج ١ ص ٢٩٠

المقام المرحوم الأئمة سيدى حسين ولد المقام الشهيد المرحوم الملك الناصر كريمة سيدنا ومولانا المقام الشريف المالك الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين شعبان بن حسين توفيت في يوم الاثنين ثامن عشرين جماد الآخر سنة إحدى وسبعين وسبع مائة . ومما يجدر الإشارة إليه في النص السابق أنه قد ورد فيه عن السيدة خوند زهرة أنها ابنة السلطان حسين وفي نفس الوقت ذكرت أنها كريمة السلطان شعبان . ولعل المقصود هنا بكلمة كريمة هو أخت فقد سبق أن استعمل في مقبرة السيدة نثر الحجازية حسين فقد نقش عليها أنها ابنة الناصر محمد وكريمة السلطان . حسن والقبعة الشاهية أكبر وأكثر ارتفاعاً من القبعة الجنوبية ولكن تشبهها من حيث التصميم الخارجى والداخلى ، إلا أن الأخيرة تحتوى على محراب يكتنفه عمودان مثمنان حليت تيجانها بزخارف مذهبة . وتطل القبعتان على إيوان القبلة الشرقى عن طريق نافذتين يحتويان على مصاريع خشبية مكونة من حشوات مجمعة على شكل (أطباق نجمية) طعمت بالعاج والصدف .

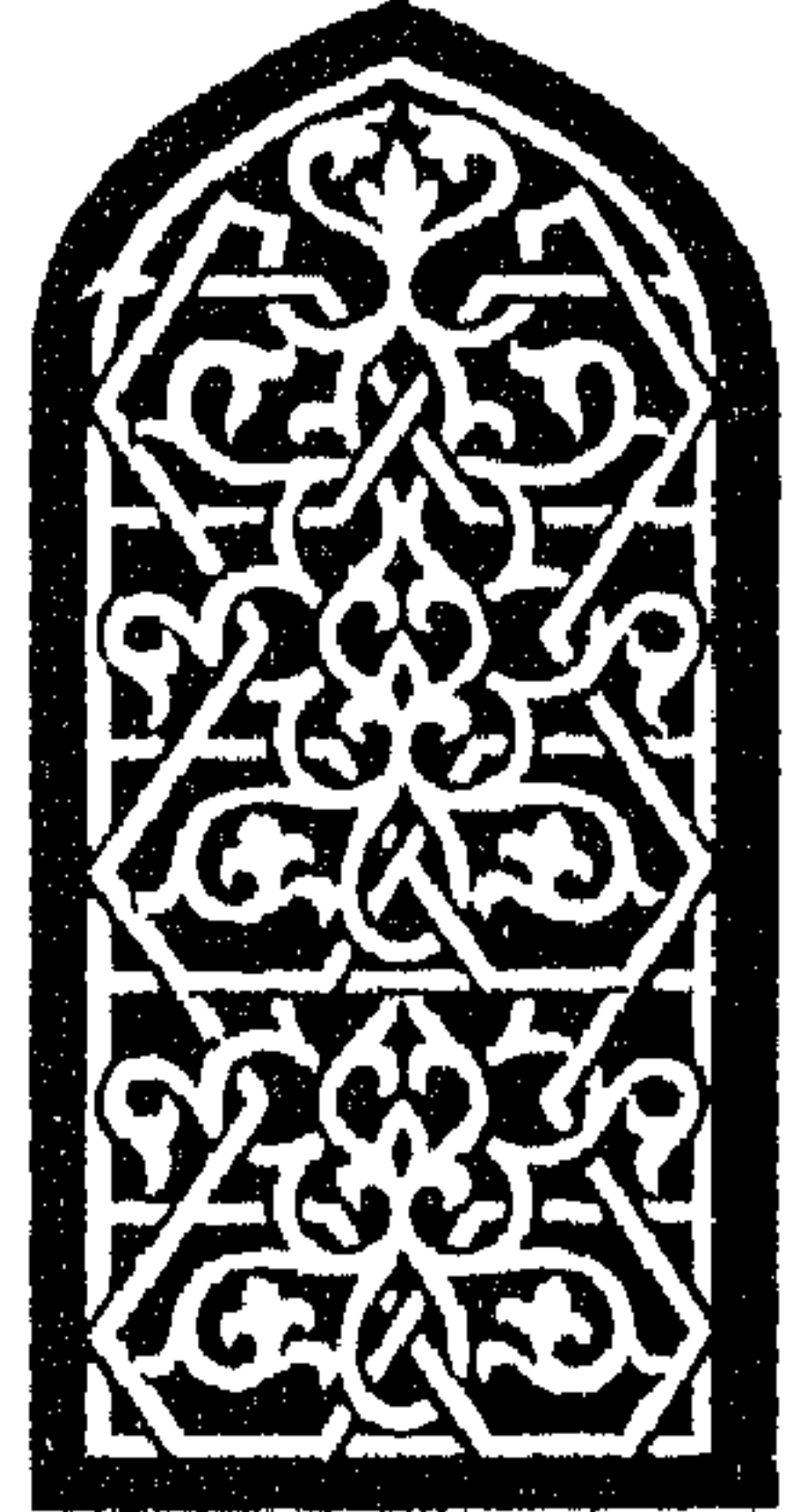
وقد كانت هذه المدرسة تحتوى على مجموعة من المشكايات الزجاجية الموهة بالمينا وكذا كرسى عشاء مسدس الشكل مطعم بالعاج والأبنوس ، نقلت كلها إلى متحف الفن الإسلامى .



(١) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ج ١ ص ٤٧٤ ، حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد

الأثرية ج ١ ص ١٨٦

رباط المشتهى (أوزاوية الكازروني) بجزيرة الروضة



يجدر بنا قبل أن نتناول رباط المشتهى بالبحث والدراسة أن نذكر شيئاً عن صفة جزيرة الروضة في العصر الإسلامي . يقول السيوطي^(١) : هي من أحسن المواضع هواءً ومنظراً وماء النيل يضرب فيها من جميع الجوانب ، وبسبب استحكامها وقربها من التخت (مركز الحكم) تقلبت بين أمرين فتارة كانت تجعل حصناً للمدافعة وتارة تجعل منتزها .

ويحدثنا المقرئزي^(٢) عن جزيرة الروضة ابان فتح عمرو بن العاص لمصر فيقول : إن الروم تحصنت بها لما فتح عمرو بن العاص مصر وأقاموا بها مدة طويلة وبعد ذلك تركوها فخرّب عمرو بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة ، ويعلق على ذلك المقرئزي فيقول : « ومن ذلك يعلم أنها كانت من النقط الحصينة وكان بينها وبين الضفة الشرقية للنيل وفي مقابل الحصن (أي حصن بابليون) جسر أي قنطرة مفعولة من المراكب .

ويصف الجزيرة ابن عبد الحكم^(٣) في العصر الأموي فيقول : كانت في زمن عبد العزيز ابن مروان أمير مصر عامرة بالدور الشرفة على النيل من كل جهة وكان بها خمسمائة فاعل مخصصة بحصول حريق أو هدم يقع في البلاد .

وقد أنشئت في جزيرة الروضة أول ترسانة في مصر الإسلامية ، إذ يقول المقرئزي :

(١) كوكب الروضة ص ٨٥

(٢) الخطط والآثار : ج ٣ ص ٣١٩

(٣) فتوح مصر : ص ٢٢٣

هذه الصناعة (أى صناعة السفن) كانت بجزيرة مصر التى تعرف اليوم بالروضة وهى أول صناعة عملت بفسطاط مصر . بنيت فى سنة أربع وخمسين من الهجرة . ثم اعتنى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بإنشاء المراكب الحربية فى هذه الصناعة (أى المصانع) ولم تزل هذه الصناعة إلى أيام الملك الأمير أبى بكر محمد بن طغج الأخشيد الذى أنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع هذه الصناعة البستان المختار . كما بنى بها ابن طولون حصناً منيعاً فى سنة ثلاثة وستين ومائتين وجعله معقلاً لما ليه وحريمه وذخائره . واهتم ابن طولون فى بنائه بنفسه وصرف عليه ثمانين ألف دينار .

ولما تحولت صناعة السفن إلى ساحل الفسطاط وحل محلها البستان المختار فى عصر الدولة الأخشيدية بقى هذا البستان حتى مجيء الدولة الفاطمية وأصبحت جزيرة الروضة متنزه الخليفين المعز والعزیز . وفى عهد الخليفة المستنصر أنشأ وزيره الأفضل شاهنشاه ابن أمشير الجيوش بدر الجمالى فى شمال الجزيرة مكاناً للنزهة سماه الروضة وتردد إليها كثيراً ومنذ ذلك الوقت أصبحت الجزيرة كلها تعرف باسم الروضة . ولم تزل الجزيرة متنزه الملوك والسلاطين إلى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، فأنشأ القلعة بالروضة فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة والقلعة الصالحية ، ووصل بين الجزيرة والفسطاط جسر ما يزال حتى الآن يعرف باسم (كوبرى الملك الصالح) . ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب وقد تربي فيها المماليك الذين عرفوا بالبحرية نسبة إلى المياه التى تحيط بالجزيرة من جميع الجهات . فلما ملك السلطان عز الدين أيبك التركمانى أول ملوك دولة المماليك سنة ٦٤٩ هـ أمر بهدمها .

وما تزال تحتفظ جزيرة الروضة على أثر يعتبر من أقدم الآثار الإسلامية التى ما تزال باقية حتى الآن ونعنى به مقياس الروضة الذى أنشأه أحمد بن محمد الحاسب بأمر الخليفة المتوكل على الله . وهو ما يزال يحتفظ بأقدم كتابة محفورة على الحجر فى أثر إسلامى ونص الكتابة (بسم الله الرحمن الرحيم الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا

نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظَلوم كفار) « بسم الله الرحمن الرحيم مقياس يمن وسعادة ونعمة وسلامة أمر ببنائه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده على يد أحمد بن محمد الحاسب سنة سبع وأربعين ومائتين » .

أما عن الشيخ الكازرونى الذى نسبت إليه الزوية فهو كما يقول السيوطى والمقرئزى فهو الصوفى محمد بن عبد الله الكازرونى قدم مصر فأخذ عن أحمد الحريرى خادم ياقوت العرش خادم أبى العباس المرسى وزوج ابنته عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى وصحبه زمانا » .

ويقول ابن حجر العسقلانى^(٢) محمد بن عبد الله الكازرونى قدم مصر وصحب الشيخ أحمد الحريرى صاحب الشيخ ياقوت العرش تلميذ الشيخ أبى العباس المرسى ، وانقطع بعده فى المشتبهى من الروضة وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه » .

ويضيف ابن حجر فيقول : وكان الشيخ أكمل الدين شيخ خانقاة الشيخونية (بالصليبة بحى طالون) كثير التعظيم له وانقطع إليه البدر البشتكى وكتب له أشياء كثيرة من تصانيف الشيخ محيى الدين بن العربى وكان يكثُر الثناء عليه .

ويذكر المقرئزى تاريخ وفاته فيقول : وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة أربع وسبعين وسبعمائة ودفن بزاويته المشتبهى .

ويسمى المقرئزى الزاوية باسم الرباط مما يدل على أنها كانت بناء كبيراً يشتمل على مجموعة من الغرف لإقامة المريدين والمنقطعين العبادة من الصوفية المتعلمة على يدى شيخنا الصوفى الكازرونى ، إذ يقول المقرئزى فى وصفها : هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به الشيخ السالك الكازرونى . ولله در شيخنا العارف بالله شهاب الدين أحمد الشاطر الدمنهورى حيث يقول^(٣) :

بروضة المقياس صوفية	هم منية الخاطر والمشتهى
لهم على البحر اriad علمت	وشيخهم ذاك لسه المنتهى

(١) كوكب الروضة ص ١٩٣ ، السلوك ج ٢ ص ٢٢٢

(٢) أنباء الغمر بأبناء العمر ص ٣٣٥

(٣) الخطط ج ٣ ص ٣٢٠

وقال الإمام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى :

يا ليلة مرت بنا حلوة إن رمت تشبيهاً لها عتبتها
لا يبلغ الواصف في وصفها حسداً ولا يلقى لسه منتهى
بت مع المعشوق في روضة ونلت من خسرط...ومسه المشتوى

ويكمل على مبارك^(١) تاريخ هذا الرباط فيقول : وفى زماننا هذا يعنى سنة إحدى وتسعين ومائتين وألفا فإن الرباط المذكور مشهور بزاوية الشيخ الكازرونى ، وموضعها غربى سراى الخديو إسماعيل بنتها (لعله يعنى جدتها) سعادة والدته باشا والدته الخديو المذكور .

ويضيف على مبارك فيقول : وأقام بها الشيخ على القشلاق أحد المشاهير من رجال الطريقة القدرية ومعه سبعة دراويش . ورتبت بها مولداً سنوياً وفى كل شهر ثلثمائة قرش ديوانية . ورتبت لها من الشمع والبن والفسح والزيت مايلزم لها يومياً .

(١) المخطط التوفيقية ج ١٨ ص ١٤

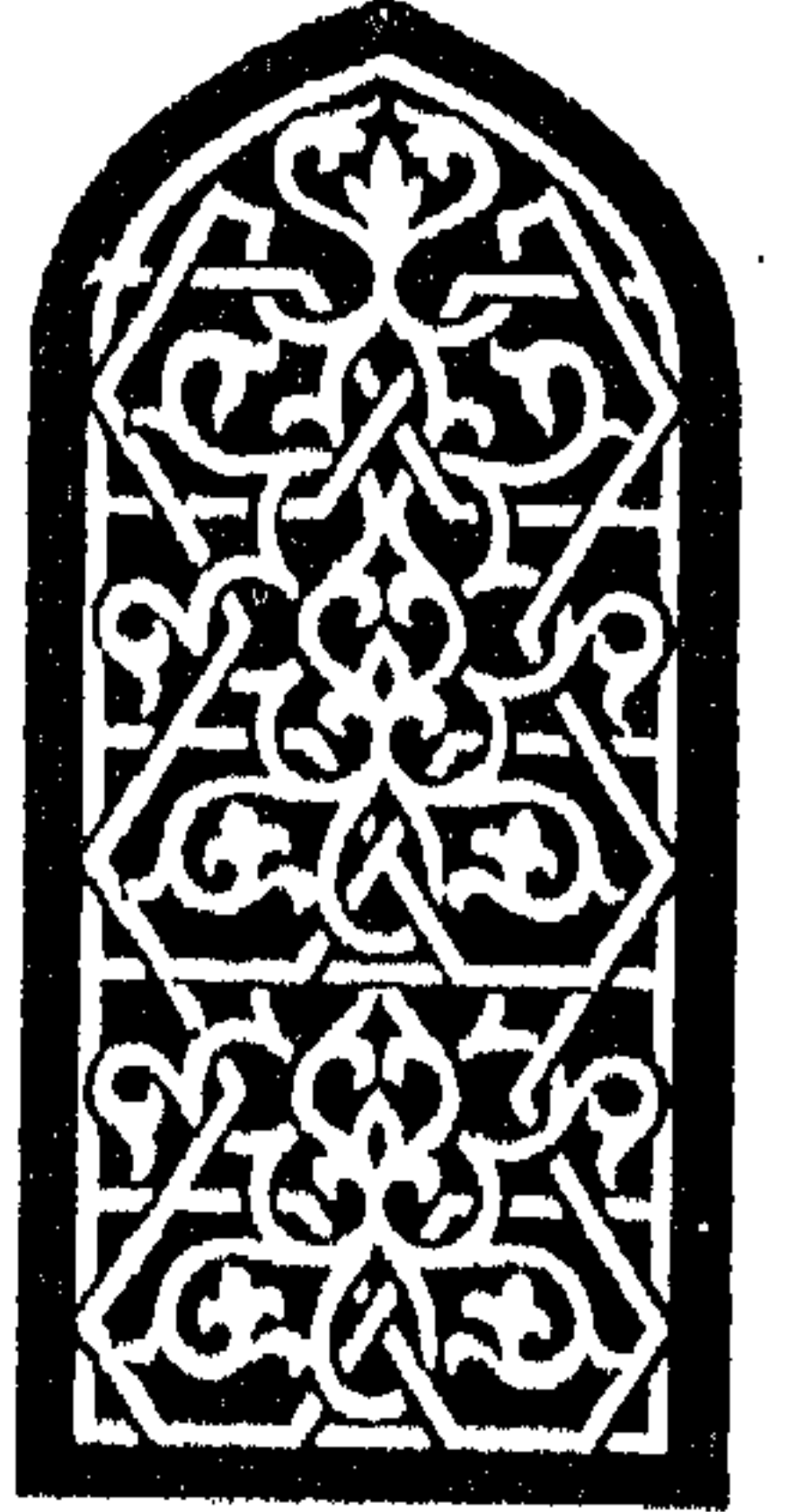
وصف الرباط

كذلك وصف على مبارك الرباط^(١) في عصره فقال : زرنا هذا الرباط بجزيرة الروضة بلصق السور الغربى لقصر الخديو إسماعيل : ووجدنا الشيخ الكازرونى مدفوناً تحت قبعة الحائط الجنوبي للزاوية . وعلى قبره تابوت من الخشب مغطى بستر أخضر من عمل أم الأمير حسين بن الخديو إسماعيل .

وللأسف فقد أزيل الرباط وأقيم مكانه مدرسة تقع فى شارع قايتباى بمنيل الروضة وتعرف المدرسة باسم مدرسة الأشراف .

وقد نقل التابوت وكذا المقصورة الموجودة فوق التابوت إلى جامع قايتباى المجاور له .

(١) الخطة التوفيقية ج ٦ ص ٥٣



مدرسة الجاى اليوسفى

بشارع سوق السلاح

هو الجاى بن عبد الله اليوسفى الأمير سيف الدين ، انتقل فى الخدم حتى صار من جملة الأمراء بديار مصر فلما قام الأمير أسندمر الناصرى بأمر الدولة بعد قتل الأمير يلبغا الخاصكى العمرى فى شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة تعاضم على المماليك والناس ، فاتندق^(١) جماعة من الأمراء العزية مع طغيتمر النظائى وأقبغا حلب على القبض على أسندمر ودبروا عليه إلى أن كانت ليلة الأحد سابع شهر شوال من سنة ثمان وستين المذكورة . ركبوا نصف الليل وضربوا الكوسات وأنزلوا الملك الأشرف شعبان إلى الاسطبل السلطانى وقصدوا مسك أسندمر الناصرى وبعض ممالك يلبغا العمرى الأشرار وبلغ ذلك أسندمر فمكث فى بيته إلى طلوع الشمس ثم ركب من بيته بالكبش وتوجه بمن معه إلى قبة النصر ومنها إلى القرافة إلى باب الدرفيل من وراء القلعة ، ويعلق الأستاذ^(٢) محمد رمزى على باب الدرفيل فيقول : يقصد بذلك قرافة المماليك المعروفة الآن بجهانة أبى سبعة الواقعة من الجهة الجنوبية من قلعة الجبل وأما باب الدرفيل فهو أحد أبواب القلعة فى سورها الشرقى المشرف على جبل المقطم ذكره المقرئى فى خطه (ص ٢٠٥ ج ٢) فقال : أن هذا الباب بجانب خندق القلعة ويعرف أيضاً بالباب المدرج (وهو غير باب المدرج الغربى الأصيل) ثم قال : وكان يعرف قديماً بباب سارية ويتوصل إليه من تحت دار الضيافة وينتهى منه إلى القرافة وهو فيما بين سور القلعة والجبل .

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٤٢

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ هامش ص ٤٣

ثم قال وباب الدرفيل هذا ينسب إلى الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل
وكان دوادار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى . ومات سنة ٦٧٢ هـ .

فوجىء الأمراء بأسندمر الناصرى وهو تحت الطبليخانة السلطانية من القلعة فهجم عليهم
من الصوة ويقول الأستاذ^(١) محمد رمزى : « أن الصوة اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة
من الجهة الشمالية البحرية من قلعة القاهرة فيما بين القلعة وجامع الرفاعى ويتوسطها الطريق
المعروف بسكة المحجر ودرب المارستان بخط القلعة » - فهرب أكثر الأمراء وانتصر أسندمر
عليهم وهربوا جميعاً إلا الجاى^(٢) اليوسفى وأرغون ططر فإنهما ثبتا وقاتلا أسندمر وليس
معهما غير سبعين فارساً ، ولما لم يرجع إليهما أحد من أصحابهما هزما وانتصر عليهم أسندمر
الناصرى الذى ذهب عند ذاك إلى القلعة وقبل الأرض بين يدى الملك الأشرف شعبان الذى
أمر استمراره أتابكا ومدبر المماليك كما كان يبلغا الخاصكى .

قبض أسندمر على جماعة من الأمراء المتآمرين عليه وقيدهم وأرسلهم إلى ثغر الاسكندرية
فحبسوا بها ومنهم : الجاى اليوسفى فسجنوا إلى عاشر صفر سنة تسع وستين وسبعمائة فأفرج
الملك^(٣) الأشرف شعبان بن حسين عن الجاى اليوسفى وأعطاه أمره مائة وتقدمه ألف وجعله
أمير سلاح برانى ثم جعله أمير سلاح أتابك العساكر وناظر المارستان المنصورى عوضاً عن
الأمير منكلى بغا الشمس . وفى سنة أربع وسبعين وسبعمائة تزوج بخوند بركة أم السلطان
الملك الأشرف فعظم قدره واشتهر ذكره وتحكم فى الدولة .

مرضت خوند بركة والدة السلطان الملك الأشرف فنزل بها السلطان وهى ممرضة إلى
الروضة تجاه مصر القديمة فى السادس عشر من ذى القعدة سنة أربع وسبعين وسبعمائة وأنزلها
بنظرة الأمير طشتمر الدوادار ، فأقام فيها يومين وصحبته جميع الأمراء ، وعاد فى اليوم
الثالث إلى القلعة واستمرت أم السلطان ممرضة إلى أن ماتت فى ذى الحجة وهى فى عصمة
الجاى اليوسفى . ومن الاتفاق العجيب أن نظم الأديب شهاب الدين السعدى بيتين من الشعر
تفاعلا هما على الجاى اليوسفى وهما :

(١) النجوم الزاهرة : ج ١٠ هامش ص ٤٣

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ ص ٤٤

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٩٩

في مستهل العشر من ذي الحجة كانت صبيحة موت أم الأشرف

فالله يرحمها ويعظم أجره ويكون في عاشور موت اليوسفي

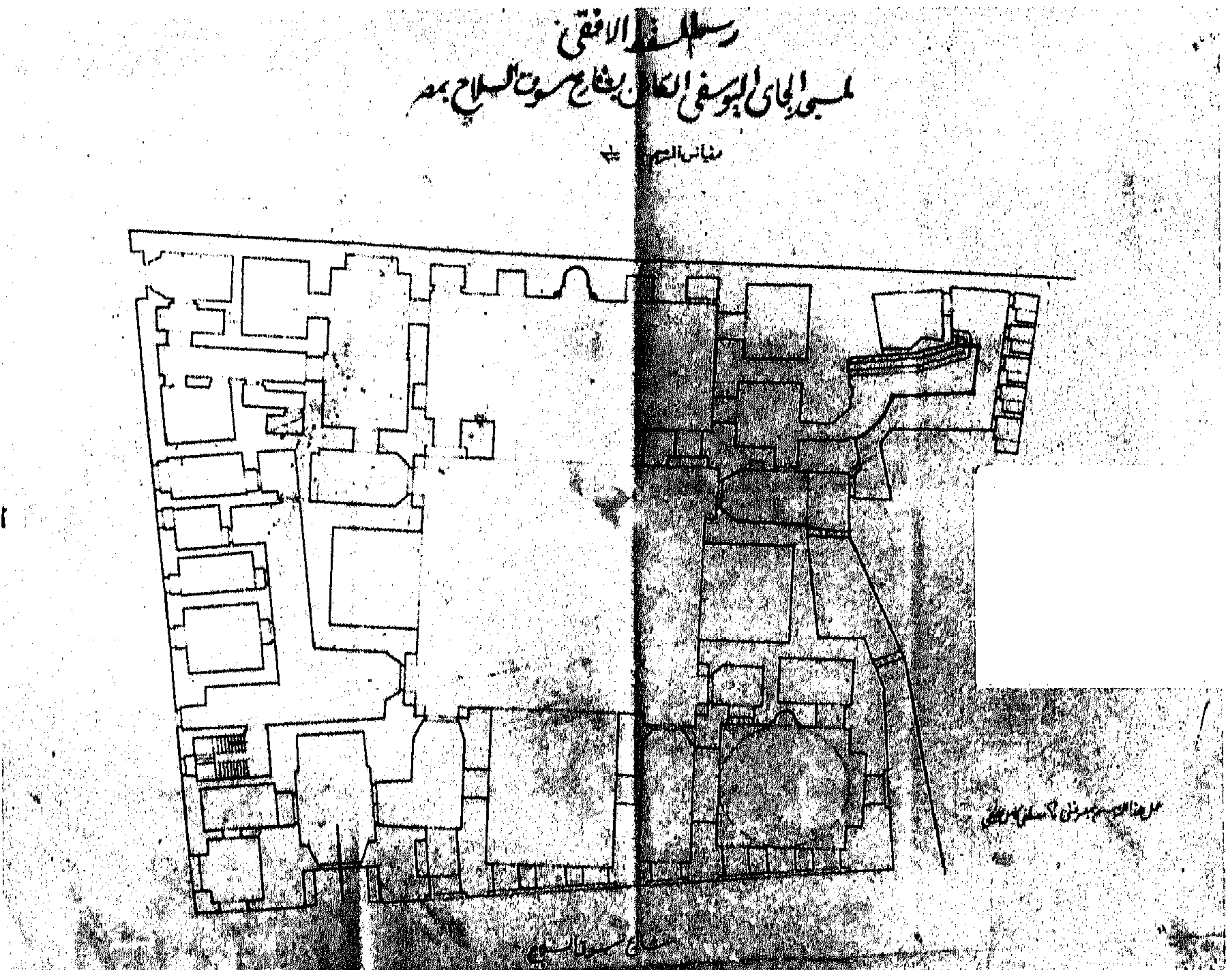
فكان الأمر على ما ذكر الشاعر وهذا من الاتفاق الغريب وهو أنه لما ماتت خوند بركة وقع بين الملك الأشرف وبين زوج أمه الجاي اليوسفي كلام من أجل التركة الخاصة بخوند بركة المذكورة وكثر الكلام بين السلطان والجاي اليوسفي حتى غضب الجاي وخرج عن طاعة الملك الأشرف ولبس هو ومماليكه آلة الحرب وتبعهم مماليك السلطان فتقاتل الملك الأشرف ورجاله والأتابك الجاي اليوسفي ومماليكه وعظم القتال بينهما حتى دارت الدائرة في النهاية على الجاي اليوسفي الذي انهزم إلى بركة الحبش ثم تراجع وعاد بمن معه عن طريق الجبل الأحمر إلى قبة النصر ، فطلبه السلطان الملك الأشرف فأبى فأرسل إليه خلعه بنبابة حماء فقال : بأنه يشترط أن يأخذ كل ما يملكه معه وكذلك جميع مماليكه ، فأبى السلطان ذلك . وفي المساء هرب جماعة من مماليك الجاي اليوسفي منه وانضموا إلى الملك الأشرف .

أرسل السلطان إلى قبة النصر بعض مماليكه ومماليك أولاده وبعض المماليك السلطانية والأمراء حيث يعسكر الجاي اليوسفي ، فلما رأهم الأخير هرب فاقتفوا أثره إلى الخرقانية ويقول الأستاذ محمد رمزي أنها من القرى القديمة وهي الآن إحدى قرى مركز قليوب بمحافظة القليوبية بمصر . وجاء في نزهة المشتاق للأديسي : (الخرقانية) بين بيسوس (باسوس) وشلقان ، قال : « وهي قرية عامرة لها مزارع وضياع وبساتين كثيرة للملك » . ولما رأى الجاي أنه مدرك رمى نفسه وفرسه إلى البحر ، ظناً منه أنه يعدى به إلى البر ، وكان الجاي عوَّاماً ، فثقل عليه لبسه وقماشه فغرق^(١) في النيل وخرج فرسه وبلغ السلطان الخبر فشق عليه موته وتأسف عليه ، ثم أمر بإخراجه من النيل فنزل الغواصون وأخرجوه وأحضروه إلى القلعة في يوم الجمعة تاسع المحرم ، ثم دفن في القبة التي أنشأها بمدرسته برأس سويقة المعزى خارج القاهرة . ويقول الأستاذ^(٢) محمد رمزي : هذه السويقة تعرف الآن بشارع سوق السلاح وكان الجاي من أجل الأمراء وأحسنهم سيرة .

(١) النجوم الزاهرق : ج ١٠ ص ٦١

(٢) النجوم الزاهرة : ج ١٠ هامش ٣ ص ٦١

قبض السلطان بعد موت الجاي على مماليكه ونودى بالمدينة إن كل من لقي أحدا منهم يحضره إلى السلطان ويأخذ جائزة نظير ذلك . ثم أخذ السلطان أولاد الجاي وهم أخوة السلطان لأمه ورتب لهم ما يكفئهم واحتاط على سائر موجود الجاي وأخذ جميع مماليكه وصنف عنهم وجعلهم في خدمة ولديه : أمير على وأمير حاج ثم قبض السلطان على جماعة من الأمراء ممن كانوا يلوذون بالأمير الجاي .



(شكل ٣٢) مدرسة الجاي اليوسفي

وصف المدرسة

تعد مدرسة الحاي اليوسفي من المدارس الكبيرة نسبياً فهي تشغل مساحة مقدارها - (٣٤٠٠) متر مربع تقريباً . وهي على شكل مربع وتقع الواجهة الرئيسية لها في الضلع الغربي منها ويبلغ طولها (٦٠) م تقريباً وتحتوي على تسع حنايا مستطيلة تمتد بارتفاع المبنى التي تحتوي على ثلاثة طوابق . وقد فتحت في كل حنية ثلاث نوافذ تقابل كل نافذة طابقاً من الطوابق الثلاثة ، الصف الأول منها مستطيل الشكل يعلو عتبته صفان من الدلايات والصف الثاني معقود أما الصف العلوي من النوافذ فهو قنديلي الشكل . وقد نظمت هذه الحنايا بحيث أصبحت القبة التي تقع في الطرف الجنوبي الغربي تحتوي على ثلاث منها ثم واحدة في الاستطراق الذي يفصل بين القبة والإيوان الغربي ثم ثلاث في الإيوان الغربي ثم واحدة في الدهليز التي يفصل بين الإيوان والمدخل الرئيسي وواحدة في السبيل في الطرف الشمالي الغربي للمدرسة . ويعلو الحنايا أربعة صفوف من الدلايات ثم تنتهي الواجهة بشرفات على شكل الزخارف النباتية ، التي حلت محل الشرفات المسننة .

ويتوسط الواجهة الغربية المدخل الرئيسي للمدرسة وهو متسع إذ تبلغ سعته (٦) أمتار وكثير العمق يصعد إليه عن طريق قالبة من الدرجات يبلغ عددها أربعاً ويتوسط المدخل باب قد كسى بالرخام الملون كما رسم عليه رنك (شارة) المنشئ وكتب على جانبيه : بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة المقر الأشرف العالي المولوى الأميرى السيفى الحاي أتابك العساكر المنصورى الملكى الأشرفى عز الله نصره بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

كما يعلو الباب لوح رخامى نقش فيه « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع

والمدرسة المباركة المقر^(١) الأشرف العالى المولوى الأميرى السيفى الجاى أتابك^(٢) العساكر المنصورة الملكى الأشرفى عز الله نصره بتاريخ شهر رجب سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

ويؤدى الباب إلى طريقة مستطيلة فى صدرها مصطبة وتغطيها أقباء متقاطعة عواجت بطريقة هندسية غاية فى الابداع ، وتفتح من الجهة اليسرى على السبيل ومن الجهة اليمنى على دهليز مثنى على شكل (ـ) يؤدى إلى صحن المدرسة . ويتوسط المدرسة صحن مكشوف مربع الشكل يبلغ طول ضلعه عشرين متراً ، ويحيط به الأروقة من جميع الجهات .

ويعتبر إيوان القبلة أكبر الإيوانات إذ يبلغ سعة فتحته المعقودة (١٣/٥) م يكتنفها كتفان فتحت فيهما نافذتان . أما عرض الإيوان بعد مدخله فيبلغ (٢٠) م وعمقه (١٦) متراً وفى صدر الإيوان محراب حجرى بسيط خواصره مملوءة بالزخارف الجميلة ويكتنفه حنيتان من كل جانب ، كما توجد حنيتان فى الضلع الشمالى للإيوان وبابان فى الضلع الجنوبى يؤديان

(١) المقر : هو من الألقاب الأصول فى عصر المماليك وكان يلى فى المرتبة تنازلياً لقب المقام « ولذلك فإنه يستعمل للسلطان . وقد ظل اللقب من اختصاص السلطان حتى أواخر القرن السابع فقد أطلق لقب « المقر العالى » على السلطان منصور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ . وكان ذلك من إنشاء القاضى محى الدين بن عبد الظاهر . على أن لقب « المقر » لم ينفرد به السلطان وحده فى بداية عصر المماليك بل استعمل كذلك لكبار الأمراء ، فقد أطلق لقب « المقر العالى » سنة ٦٧٥ هـ . على سيف الدين ساطلمش فى نص إنشاء فى سبيله بدمشق .

وفى القرن الثامن الهجرى كان اللقب يختص بكبار الأمراء وأعيان الوزراء من العسكريين ، وكان يستعمل لهم فى المكاتبات الرسمية ، وقد أضافت هذه المراجع أنه كان يستعمل للمدنيين من الوزراء والكتاب فى المكاتبات غير الرسمية . أما فى القرن التاسع فقد أجاز استعمال اللقب لأصحاب الوظائف الدينية ومشايخ الصوفية وأهل الصلاح فى المكاتبات غير الرسمية . بالإضافة إلى استعماله السابقة .

القلقشندي ج ٥ ص ٤٩٤ ، ج ٦ ص ١٥٤ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ج ٣ ص ٤٩٠ .

(٢) أتابك : كلمة تركية تتكون من « أطا » بمعنى أب « بك » أى أمير ، ومعناها الولد الأمير أو أمير أب أو الأب الأمير (القلقشندي ج ٦ ص ٦ ، ج ١١ ص ١٦٧) وقد قلبت الطاء تاء فى الاستعمال ، وقد استعمل هذا اللفظ فى العصر ، المملوكى كاسم وظيفة للدلالة على « أتابك العساكر » ، كما يذكر ابن فضل الله العمري ، أن اللفظ استعمل كذلك من أعلى الألقاب الفخرية المضافة إلى لفظة الجيوش ، وجعله ضمن ألقاب النائب الكافل . وكانت وظيفة أتابك من أرقى الوظائف العسكرية بحضرة السلطان فى عصر المماليك ومتوليا أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل وربما وليها النائب الكافل نفسه كما سبق القول . وربما أسند إلى أتابك العساكر فى عصر المماليك الوصاية على ولى العهد أو السلطان القاصر .

(المراجع القلقشندي ج ٤ ص ١٨ ، ج ٦ ص ٦) ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ١٤٦ ، حسن الباشا الألقاب المملوكية ص ١٢٢ ، النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١٢١ (حاشية) ، فليبي حتى : العرب ص ٦٢٣ ، الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١١٢ .

إلى غرفتين الشرقية منهما خالية من الفتحات أما الغربية فيوجد بها باب يؤدي إلى الطريقة التي تفصل بينها وبين الإيوان الجنوبي . وإلى جانب المحراب يوجد منبر خشبي مصنوع بطريقة الحشوات المجمعمة ومطعم بالعاج والصدف كما يعلو (ريشته) إطار عريض من الخشب الخرط . وقد كتب على بابه « بسم الله الرحمن الرحيم في بيوت إذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال وكان الفراغ في شهور سنة أربع وسبعين وسبعمائة » .

ويقابل الإيوان الشرق الإيوان الغربى وهو يماثله إلا أنه أقل منه من حيث المساحة ، كما أن الأخير يحتوى على ثلاث نوافذ تطل على الواجهة ونافذة في الضلع الجنوبي تطل على طريقة القبلة ونافذة في الضلع الشمالى تطل على دهليز المدخل . كما يكتنف الإيوان الغربى بابان ، أحدهما يؤدي إلى القبلة والثانى إلى دهليز المدخل ، وتقابل هذه الأبواب نوافذ الإيوان الشرقى . والإيوان الشمالى والجنوبى متماثلان ويكتنف كلا منهما بابان يؤديان إلى المدارس والغرف الجانبية والعليا وكذا القبلة والسبيل والمئذنة . وقد غطيت النوافذ العليا فى الزوايا الأربع للصحن بمقرنصات ذات دلايات بديعة التنظيم . أما عن سقوف الأواوين فإن سقف الإيوانين الشرقى والغربى قد طرأ عليهما تغير ولم يبق إلا سقف الإيوانين الشمالى والجنوبى .

القبلة :

ويشغل الطرف الجنوبى الغربى من الواجهة قبة شاهقة الارتفاع ، يوجد بابها فى صحن المدرسة وهو يؤدي إلى طريقة صغيرة غطى سقفها بحقائق خشبية مثمنة ويحيط بمربع القبلة أزار يحتوى على كتابة مرسومة بقى منها مايلى : « تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً » . . أتأبى العساكر المنصورة الأشرى ختم الله بالصالحات أعماله . ويعلو المربع منطقة الانتقال التي يشغلها خمسة صفوف من المقرنصات البديعة ، وتحصر أركان المربع بينها نافذة كبيرة تحتوى على ثلاث فتحات معقودة ملئت بالجص . ويعلوها ثلاث دوائر فى وضع هرمى . ويعلو منطقة الانتقال بها (٣٢) عقداً ذات زاوية فتح منها (١٦) نافذة ، وتأتى فوقها قبة مدببة القطاع مضلعة من الخارج تضليعاً حلزونياً ، وهى بذلك تعتبر النموذج الأول ويأتى بعدها قبة ايتمس البجاسى .

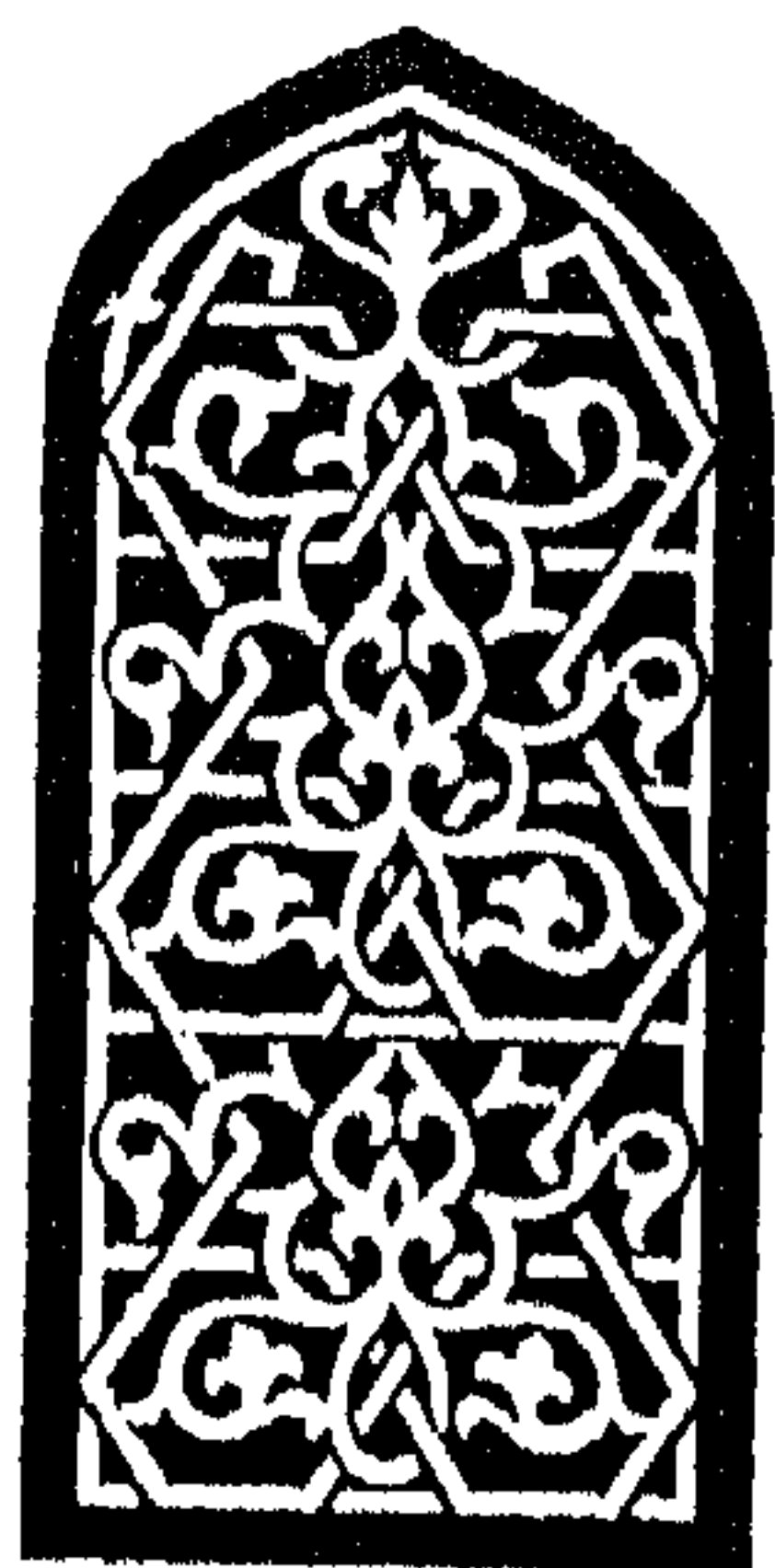
وتقوم المئذنة على يمين المدخل الرئيسى للمدرسة وهى مبنية من الحجر وتتكون من ثلاثة طوابق ، الأول مئذنة والثانى اسطوانى والثالث على شكل جوسق يقوم على ثمانية أعمدة وقد استعمل فى هذه المئذنة الرشيقة تلبيس الحجر المألون الأصفر فى الأبيض أو الأحمر . كما أن طابقها الثالث عمدها رخامية وتحمل خوذة ، كما استبدلت (الدرابزين) حول قاعدة الخوذة شرفات صغيرة وقامت رأس الخوذة على ترس تحته صف مقرنص .

وعلى يسار المدخل سبيل ناصيته قائمة على عمودين أحدهما فوق الآخر وسقفه مغطى بحقائق خشبية طعمت بالصدف يقوم على صف من الدلايات ومكتوب على السبيل نوحه تذكارية جاء فيها : جدده الأمير محمد أغا سنة ست وأربعين وألف . وكان مصراعاً الباب مغشيين بالانحاس المزخرف برسوم هندسية قوامها الأطباق النجمية .

مدرسة سابق الدين مثقال

سنة ٧٧٦ هـ

بدر بقرمز بالجمالية



هو الطواشي سابق الدين مثقال خادم السيدة تذكاري باي خاتون بنت الملك الظاهر بيبرس . وهو الذي أقام لها مسجدها المعروف باسم^(١) جامع بنت الملك الظاهر بالجزيرة قبالة الخور . فقد ذكر المقرئ^(٢) أن الذي أنشأه هو الطواشي مثقال خادم السيدة تذكاري ابنة الملك الظاهر بيبرس بالجزيرة الوسطى وهو عامر (أي في عصر المقرئ) ويبدو كما يعلق محمد رمزي^(٣) ، أن الذي أنشأ الجامع الذي نسب إلى ابنة الظاهر بيبرس هو الطواشي مثقال من ماله الخاص ، لأن المقرئ عندما تكلم عن حكر العلائي^(٤) قال أن بعضه كان وقف تذكاري باي خاتون ابنة الملك الظاهر وقفته في سنة ٧٣٤ هـ على ما أنشأته من الأماكن الخيرية ثم عدد المقرئ أسماء تلك الأماكن ولم يكن من بينها هذا الجامع .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٢٠٦

(٢) المخطط : ج ٢ ص ٣٢٥

(٣) هامش النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٢٠٦

(٤) حكر العلائي (المقرئ : ج ٢ ص ١٢٠) هذا الحكر يجاور حكر تكان من بئرته وكان بستاناً جليل القدر ثم حكر وصار بعضه وقف تذكاري باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس وقفته في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة على نفسها ثم من بعدها على الرباط الذي أنشأته داخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس وهو الرباط المعروف برواق البغدادية وعلى المسجد الذي بحكر سيف الإسلام خارج باب زويلة وعلى تربتها التي بجوار جامع ابن عبد الظاهر بالقرافة وصار بعض هذا الحكر وقف الأمير سيف الدين بهادر العلائي متولى الهندسة وكان وقفه في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة فعرف بالحكر العلائي المذكور وقال المقرئ أنه أدرك هذا الحكر وهو من أمر الأحكار وفيه درب الأمير عز الدين أيمن الرزاق أمين جندار ووالى القاهرة وداره العظيمة ومساكنه الكثيرة فلما حدثت الحن في سنة ست وثمانمائة خرب هذا الحكر وأخذت أنقاضه وبقيت دار الرزاق إلى سنة سبع عشرة وثمانماية قشرع في الهدم فيها لأجل أنقاضها الجلييلة .

ويقع هذا الجامع الذى أنشأه مئقال ونسب إلى ابنة الملك الظاهر بيبرس بالجزيرة الوسطى وهى المعروفة بالوسطانية أنشأه مئقال سنة ٧٢٠ هـ ومكانه اليوم جامع الجزيرة الحالى ، وقد تجدد عدة مرات آخرها تجديد الخاصة الملكية بأمر الخديو إسماعيل سنة ١٢٨٨ هـ وهو عام بإقامة الشعائر الدينية وواقع على النيل فى حديقة النهر بأرض الجزيرة الكبيرة بالقاهرة^(١) .

والجزيرة الوسطانية أو الوسطى هى بلداتها جزيرة أروى^(٢) التى وصفها المقرئى وحدد موقعها فقال أنها واقعة فى وسط النيل بين بولاق وبر القاهرة وجزيرة الروضة وبر العجيزة . انحسر عنها الماء حول سنة ٧٠٠ هـ وبني فيها الناس الدور العجيلة والأسواق والجوامع ، والطواحين والأفران وغرسوا فيها البساتين ، وحفروا الآبار وصارت من أحسن متنزهات القاهرة يحف بها الماء من جميع جهاتها ثم تلاشى منها أغلب ما كان بها فى شراقى سنة ٨٠٦ هـ وأضاف المقرئى قوله : وفيها إلى اليوم بقايا حسنة » .

ويضيف الأستاذ محمد رمزى^(٣) أنه تبين له بالبحث أن جزيرة أروى (بسكون الراء وألف مقصورة فى آخرها) أو الجزيرة الوسطى أو الجزيرة الوسطانية هى المبينة فى خريطة القاهرة رسم سنة ١٨٠٠ م باسم جزيرة بولاق ، وعرفت بهذا الاسم لوقوعها تجاه بولاق ، وتعرف اليوم باسم الجزيرة أو الجزيرة الكبيرة أو جزيرة الزمالك أو جزيرة المعرض أو جزيرة السباق ، وهى الآن من أحسن المواقع للسكنى ومن أجمل متنزهات القاهرة ، ويشمل القسم البحرى منها المعروف بخط الزمالك قصوراً وعمارات فاخرة ذات بساتين زاهرة ، ويشمل القسم المتوسط منها ميدان السباق وحديقة النهر وحديقة مورو . ويقع فى القسم الجنوبى منها سراى المعارض ودار الجمعية الزراعية والجزيرة الصغيرة . وبلا جدال فهى من أكبر وأحسن الأماكن المعدة للرياضة والنزهة فى مصر . ولمناسبة ذكر اسم الزمالك أقول : أن الزمالك كلمة تركية معناها العشش التى تنصب من القش أو البوص لإقامة العسكر بدلا من الخيام ، ويمثلها فى الوقت الحاضر العشش التى تقام سنوياً للمصيفين برأس البر بمصر .

(١) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ٢٠٦ (الهامش) .

(٢) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ١٨٦

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٩ ص ١٢٦ هامش .

ومن ألقاب سابق الدين مثقال الطواشي . والطواشي لقب عام للخصيان^(١) من الغلمان^(٢) أما في عصر المماليك فكان لقب (الطواشي) يطلق على جند الأمراء في المكاتبات إليهم بتوقيع أو نحوه^(٣) مع ملاحظة أن الجند لم يكونوا يكتبون عن الأبواب السلطانية^(٤) .

وكان الأمير الطواشي الأمير سابق الدين مثقال الأنوكي ، يشغل وظيفة مقدم المماليك السلطانية الأشرفية . وقد أطلق لقب المقدم على كثير من الوظائف في الدولة المماليك : فعرف المقدم كقلب لكبار جند الحلقة . وقد جاء في مسالك الأبصار للعمري أنه كان لكل أربعين نفساً من جند الحلقة مقدم منهم ليس له عليهم سلطان إلا إذا خرجت العسكر كانت مواقفهم معه . وترتيبهم في مواقفهم إليه .

وكان اقطاع مقدم الحلقة يصل أحياناً إلى ألف وخمسمائة دينار ، وربما أعطى بعض مقدمي الحلقة فرساً عوضاً عما مات له^(٥) ؛ وكان يكتب لمقدمي الحلقة مربعات من ديوان الجيش إلى ديوان الإنشاء لتخريج المنشورات على نظيرها لقطاعهم . وكان رسم المكاتبية إليهم « مجلس الأمير » أسموه أمراء العشرات ثم صار يكتب لهم (المجلس السامي) وكان يسند إليهم في بعض الأحيان بعض الوظائف .

حدث بعد موت السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن ساءت أحوال أجناد الحلقة فكان

(١) جورجى زيدان : التمدن الإسلامى ج ٥ ص ٢٦ : ولما شاع الحجاب بين المسلمين إبان سلطانهم واستخدموا الخصيان في دورهم ، عمد تجار الرقيق وأكثرهم من اليهود إلى خصماء بعض الأرقاء وبيعهم بأثمان غالية فراجت تلك البضاعة وكثر المشتغلون بها وأنشأوا (لاصطناع) الخصيان معامل عديدة أشهرها (معمل) الخصيان في فردون بمقاطعة اللورين في فرنسا . كانوا يخضون أولئك المساكين وهم أطفال فيموت كثير من منهم على أثر العملية فن بقي حياً أرسلوه لم إلى أسبانيا فيشتريه الكبراء بثمان كبير . وأصبحوا يتوالى الأزمان يتهادون الخصيان كما يتهادون الخيل أو الأثاث والآنية فكان ملوك الأفرنج إذا أرادوا التقرب من خليفة المسلمين في الأندلس أو غيرها أهدوه التحف ومن جملتها الخصيان كما فعل ملكا برشلونة وطركونة لما طلبا تجديد الصلح من المستنصر خليفة الأندلس فإنهما أهدياه ٢٠ خصياً من الصبيان و ٢٠ قنطاراً من صوف السمور ... الخ . فتكاثر الخصيان في بلاط الخلفاء حتى تألفت منهم فرق لحراسة الخاصة كما تألفت الفرق من سائر المماليك والمبيد . فإذا احتفل الخليفة ببيعة أو نحوها كان المماليك والخصيان زينة ذلك الاحتفال .

(٢) أبو شامة : الروضتان ج ١ ص ١٣

(٣) ابن فضل الله العمري : التعريف ص ٧٤

(٤) القلقشندي : الضوء ص ٢٧٦

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٤

بعضهم ينزل عن اقطاعه لآخر نظير مال أو مقايضة حتى كثر الدخيل من الأجناد واشترى الباعة وأصحاب الصنائع الاقطاعات .

وقد أطلق لقب (المقدم) على قائد الجيش الذى كان يرسل إلى جهة من الجهات فقد جاء فى بعض المصادر الأدبية أن الجيش الذى كان يرسل إلى جهة من الجهات كان يقام له مقدم . كما أطلق لقب (المقدمون) على الأمراء الذين كانوا يتوجهون من الأبواب – السلطانية لكشف الجسور والمساحة وقبض الغلال إذ كان يقال لهم : (الأمراء المقدمون^(١)) . وعرف أيضاً بالمقدم رجل كان يقوم بباب الوالى يراقب ويفحص فى أمرهم ويكشف عن الخلق شرهم وكان يشترط فيه أن يجانب الهوى والميل ؛ وكان يسمى أيضاً بالبواب ويطلق عليه أهل الشام اسم المعرف^(٢) .

ولقب المقدم كان يطلق أيضاً على رؤساء طوائف الجند مثل مقدم التركمان ، ومقدم الأكراد ، ومقدم العرب ومقدم العجبية ومقدم القداوية . وكان هؤلاء يعتبرون من العسكريين وأطلق لقب المقدم فى عصر المماليك أيضاً على بعض قواد السفن الحربية .

ومن الأحداث الهامة التى تعرض لها الأمير الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكى مقدم المماليك السلطانية هو أن الأتابك يلبغا الخاصكى القائم بدولة الملك الأشرف شعبان ألقى القبض عليه وضربه داخل القصر بقلعة الجبل ستمائة عصاه ونفاه^(٣) إلى اسوان ، وسببه ظهوره كذلة له ، وولى مكانه مختار الدمنهورى المعروف بشاذروان ، وكان مقدم الأوجاقية بباب السلسلة ، كل ذلك والعمل فى المراكب مستمر إلى أن كملت عمارة المراكب من الغربان والطرائد لحمل الغزاة والخيول وكانوا نحو مائة غراب وطريدة ، عمرت فى أقل من سنة مع عدم الانخساب يوم ذاك .

ولما قتل الأمير يلبغا استدعى الأشرف^(٤) ، سابق الدين من قوص ، وصرف ظهير الدين

(١) القبة شندى : صبح الأعشى ج ٨ ص ٢٣٠

(٢) السبكى : معيد النعم ص ٤٦

(٣) النجوم الزاهرة : ج ١١ ص ٣٥

(٤) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ٣٩٤

مختار المعروف بشاذوران عن التقديم وأعادها إليها فاستمر إلى أن مات سنة ست وسبعين
وسبعمائة .

ويستبين من قصة الأتابك يلغا مع سابق الدين مثقال السابق الإشارة إليها أن سابق
الدين مثقال كان يشغل وظيفة قائد السفن الحربية وجاء في النجوم^(١) الزاهرة تأييداً لذلك
أن السلطان الأشرف توجه إلى سرحة الأهرام بالجيزة وعند عودته إلى قلعة الجبل أخلع على
الطواشي سابق الدين مثقال مقدم المماليك السلطانية قباء حرير أزرق صافيا بطرز زركش
عريضا أسوة بالأمراء الخاصكية وهذا شيء لم يلبسه مقدم قبله . وأفراد الخاصكية هم
من ينضمون إلى خدمة السلطان وهم صغار ، وكان السلطان هو الذي يتولى تربيتهم وعتقهم
وبذلك كانوا أقرب إليه من سائر مماليكه . وكان الخاصكية يلازمون السلطان في خلواته
وفراغه وينالون من ذلك مالا يناله أكابر المقدمين ، ويحضرون طرفي كل نهار في خدمة
القصر والاسطبل ، ويركبون لركوب الملك ليلاً ونهاراً ولا يتخلفون في قرب ولا بعد ، ويدخلون
عليه في خلوته بغير إذن وكانوا يقفون عن يمين السلطان ويساره إذا جلس بدار العدل
لخلاص الحقوق وإزالة المظالم . ويلاحظ أن الخاصكية كانت من المؤهلات للوظائف -
الكبرى بل وللسلطنة في بعض الأحيان^(٢) .

المدرسة السابقة : تقع هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جملة القصر
الكبير الشرقى الذى كان داخل دار الخلافة ويتوصل إلى هذه المدرسة الآن من تعجاء حمام^(٣)
البيسرى بخط بين القصرين . وكان يتوصل إليها أيضاً من باب القصر المعروف بباب
الريح من خط الركن المخلق وموضعه الآن قيسارية الأمير جمال الدين يوسف الاستادار .
بنى هذه المدرسة الطواشى الأمير سابق الدين مثقال الأنوكى مقدم المماليك السلطانية
الأشرفية وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية قرر في تدريسه شيخ الشيوخ سراج الدين عمر
ابن على الأنصارى المعروف بابن الملقن الشافعى وجعل فيها خزانة كتب وكتاباً يقرأ فيه
أيتام المسلمين وبني بينها وبين داره التى تعرف بقصر سابق الدين ، حوض ماء للسبيل هذه
الأمير جمال الدين يوسف الاستادار لما بنى داره المجاورة لهذه المدرسة .

(١) النجوم الزاهرة : ج ١١ ص ٥٨

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٤ ، السخاوى : الضوء اللامع ص ٢٥٤

(٣) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ٣٩٣

الوصف المعماري

تشغل المدرسة السابقة قطعة من الأرض مربعة تقريباً ، إذ يبلغ طولها ٢١ متراً في ٢٠ متراً . ويقع المدخل الرئيسي للمسجد في الضلع الشمالي منه ، وهي من المدارس المعلقة إذ يصعد إليها بواسطة سبع درجات نصف دائرية . ويكتنف المدخل الرئيسي نافلتان ، إحداهما تفتح في الإيوان الشرقي والثانية تفتح في الدهليز الذي يقع خلف الإيوان الشمالي ، كما توجد في هذه الواجهة الشمالية نافلتان أخريتان توجدان إلى الغرب من المدخل وتفتحان على الإيوان الغربي .

ويبلغ عرض المدخل الرئيسي ثلاثة أمتار وعمقه متراً . أما باب المدرسة الذي يبلغ سعة فتحته (١٥) متر في ارتفاع (٢٥) متر . فيؤدي إلى درقاعة مربعة الشكل إذ يبلغ طول ضلعها (٢٥) متر مفتوحة من جهاتها الأربع . فهي تؤدي من جهتها الشرقية إلى إيوان القبلة ومن جهتها الغربية إلى دهليز يقع خلف الإيوان الشمالي به سلم يصعد منه إلى المئذنة والفتحة الشمالية هي التي تقع خلف المدخل الرئيسي ، أما الفتحة الجنوبية فتؤدي إلى صحن الجامع .

الصحن :

يتوسط المدرسة صحن مربع الشكل إذ يبلغ طول ضلعه (٧٥) أمتار وتحيط به الأواوين من جهاته الأربع .

ايوان القبلة :

يشغل إيوان القبلة معظم الواجهة الشرقية للمسجد إذ تبلغ مساحته (١٥ متر × ٥٥ أمتار) تتقدمه فتحة معقودة تفتح على صحن الجامع تبلغ سعتها ٦٥ أمتار . وينقسم إيوان القبلة إلى قسمين كبيرين ، تبلغ مساحة الجزء الأكبر منه ١٠٢٥ أمتار عرضاً في عمق ٢٥ أمتار

ويشغل الضلع الشرقى من هذا الجزء محراب كبير العمق إذ يبلغ عمقه ١٥ متر وسعته ٢٥ ر٢١
يكتنفه عامودان من الرخام مثنى الشكل . وعلى جانبي المحراب توجد حنيتان مستطيلتان
اليمنى منهما كثيرة العمق إذ يبلغ عمقها ١٧٥ متر أما اليسرى فصغيرة إذ يبلغ عمقها
نصف متر .

ويفتح الضلع الجنوبى من إيوان القبلة على حجرتين خاليتين من النوافذ ، الغربية
منهما مربعة الشكل ، إذ يبلغ طول ضلعها مترين وبضلعها الجنوبى والشرقى حنيتان . -
أما الحجرة الشرقى فتبلغ مساحتها (٢ × ٢٥ متر) وبضلعها الجنوبى حنية صغيرة تفتح من
جهتها الشرقى كلية على حجرة أخرى غير منتظمة الأضلاع تكاد تكون مماثلة فى مساحتها
للغرفة الشرقى ، تحتوى على حنية مربعة كثيرة العمق تبلغ مساحتها ١ × ١ متر .

أما الجزء الثانى من إيوان القبلة وهو الذى يقع فى الجهة الشمالية منه فتبلغ مساحته
٤ × ٥٥ أمتار ، توجد فى الجهة الشرقى منه حنية مربعة . أما الضلع الشمالى فتوجد به نافذتان
تطلان على الواجهة الرئيسية سدت الشرقى منهما أما النافذة الثانية فهى التى تكتنف المدخل
الرئيسى السابق الإشارة إليه .

الإيوان الغربى :

تبلغ مساحته ١٢٥ × ٣٥ أمتار ، تتقدمه فتحة معقودة تطل على ضحن المسجد تبلغ
سعتها ٦٥ أمتار ويتصدر الإيوان الغربى حنية كبيرة تبلغ سعتها ٢٥ متر فى عمق (٤٠) سم .
وينتهى الإيوان الغربى من جهته الجنوبية بشبه حجرة مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها مترين
بها حنيتان مستطيلتان فى الضلع الشرقى والغربى . وينتهى الإيوان من جهته الشمالية بشبه
حجرة مماثلة للجنوبية ، بها نافذة كبيرة تفتح على الواجهة الرئيسية للمدرسة سبق الإشارة
إليها . وفى الضلع الغربى للإيوان وإلى الجهة اليمنى من الحنية التى تتصدره توجد فتحة
تؤدى إلى دهليز على شكل حرف (ل) ينتهى بنافذة تطل على الواجهة الرئيسية للمدرسة .

الإيوان الجنوبى :

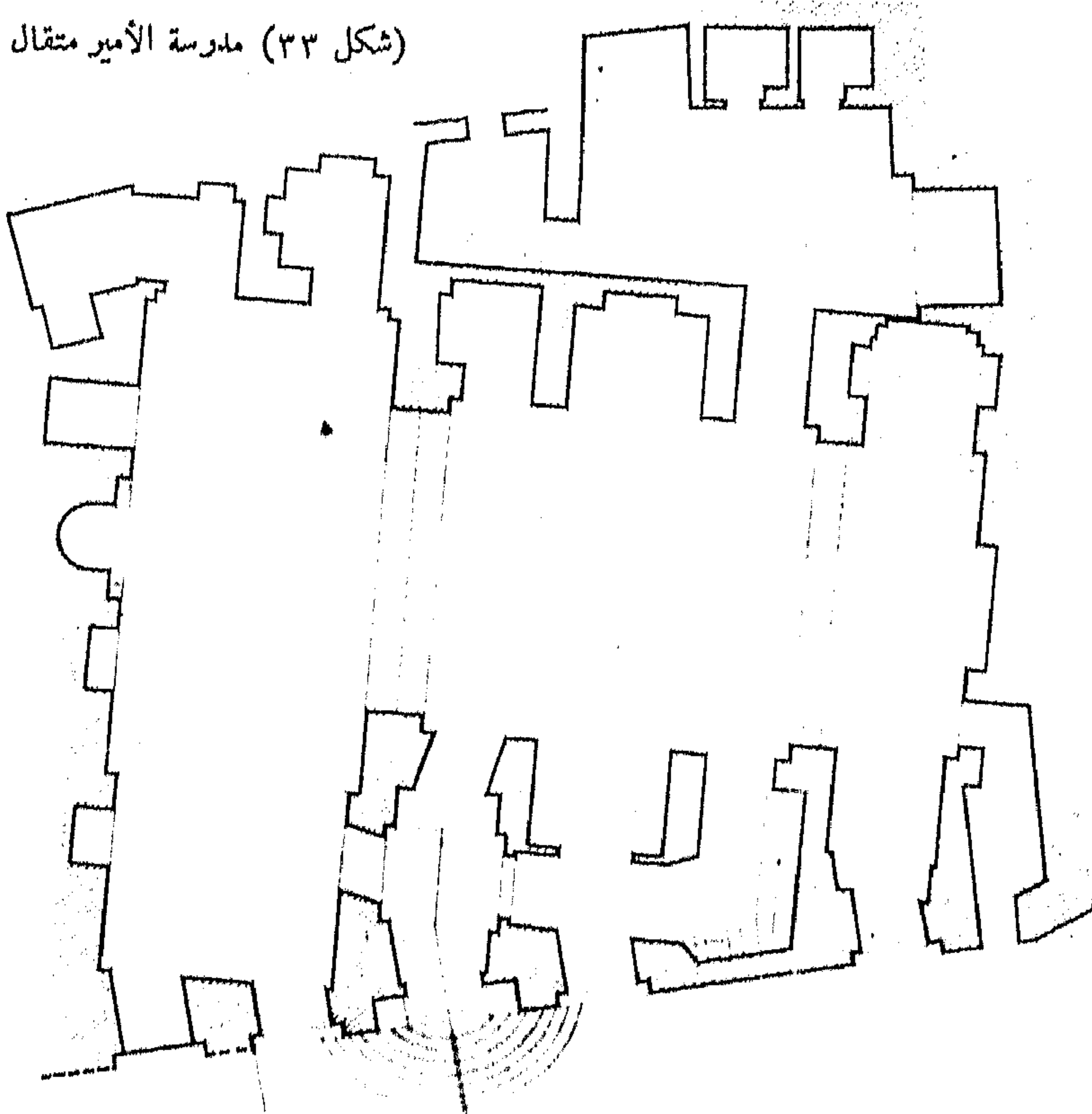
تبلغ سعة الإيوان الجنوبى ٣ أمتار وعمقه ٢٥ متر) تتصدره حنية مستطيلة . وإلى الشرق
من هذا الإيوان توجد غرفة مربعة يبلغ طول ضلعها مترين . وإلى الغرب منه توجد فتحة

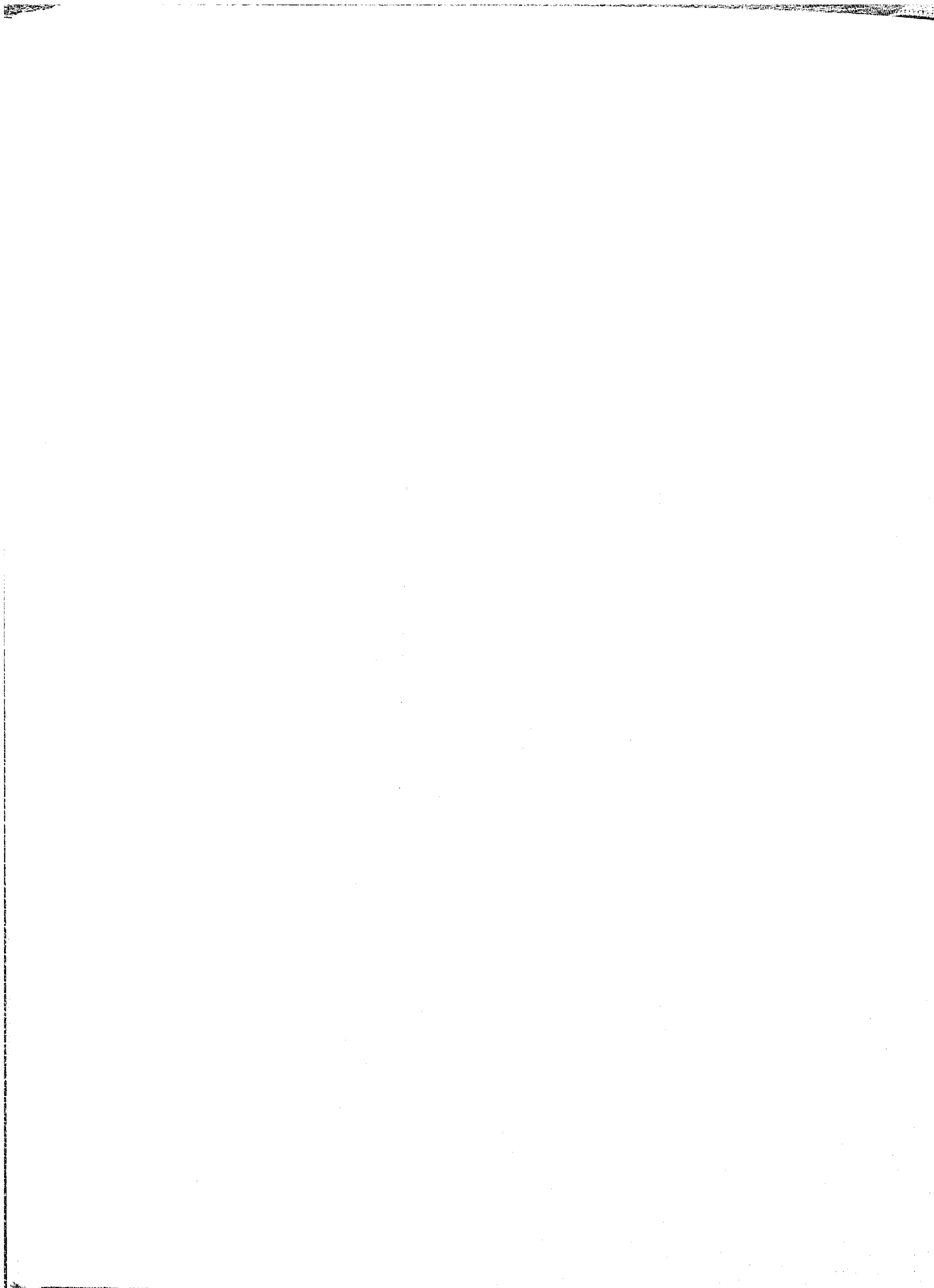
سعتها ١٥ متر تؤدي إلى صحن كبير يحتوى فى جهتيه الشرقيه والغربيه على إيوانين وفى جهته الجنوبيه على خلوتين .

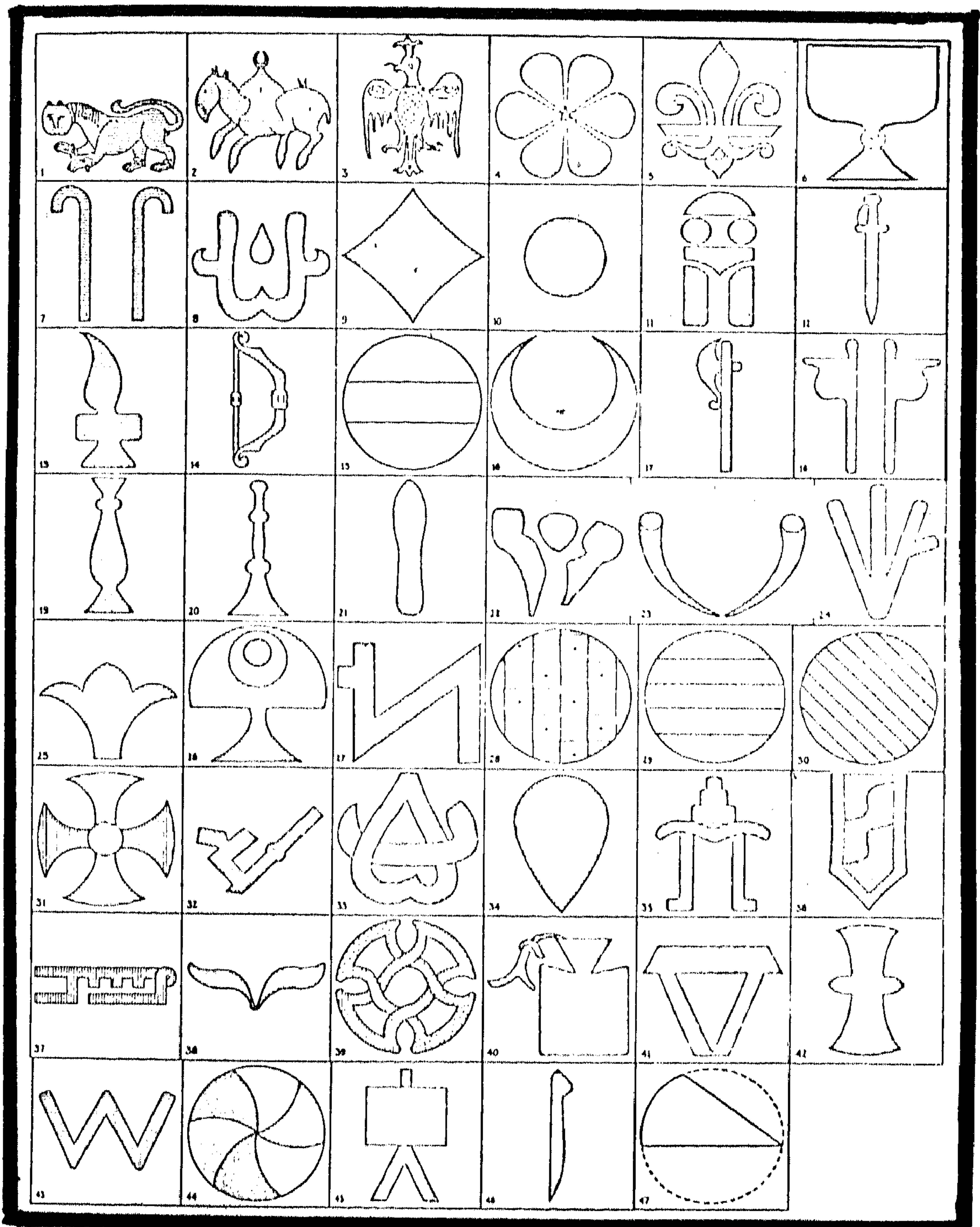
الإيوان الشمالى :

وهو مماثل فى مساحته للإيوان الجنوبي ويكتنفه من جهتيه الشرقيه والغربيه فتحتان تؤدي الشرقيه منهما إلى در قاعة المدخل الرئيسى ، وتؤدي الغربيه منهما إلى دهليز على شكل حرف (L) يقع خلف الإيوان ، وبضلعه الشمالى توجد نافذة تكتنف المدخل الرئيسى السابق الإشارة إليه . ولهذا الدهليز سلم من قلبتين يؤدي إلى سطح المدرسه حيث تقوم المئذنه .

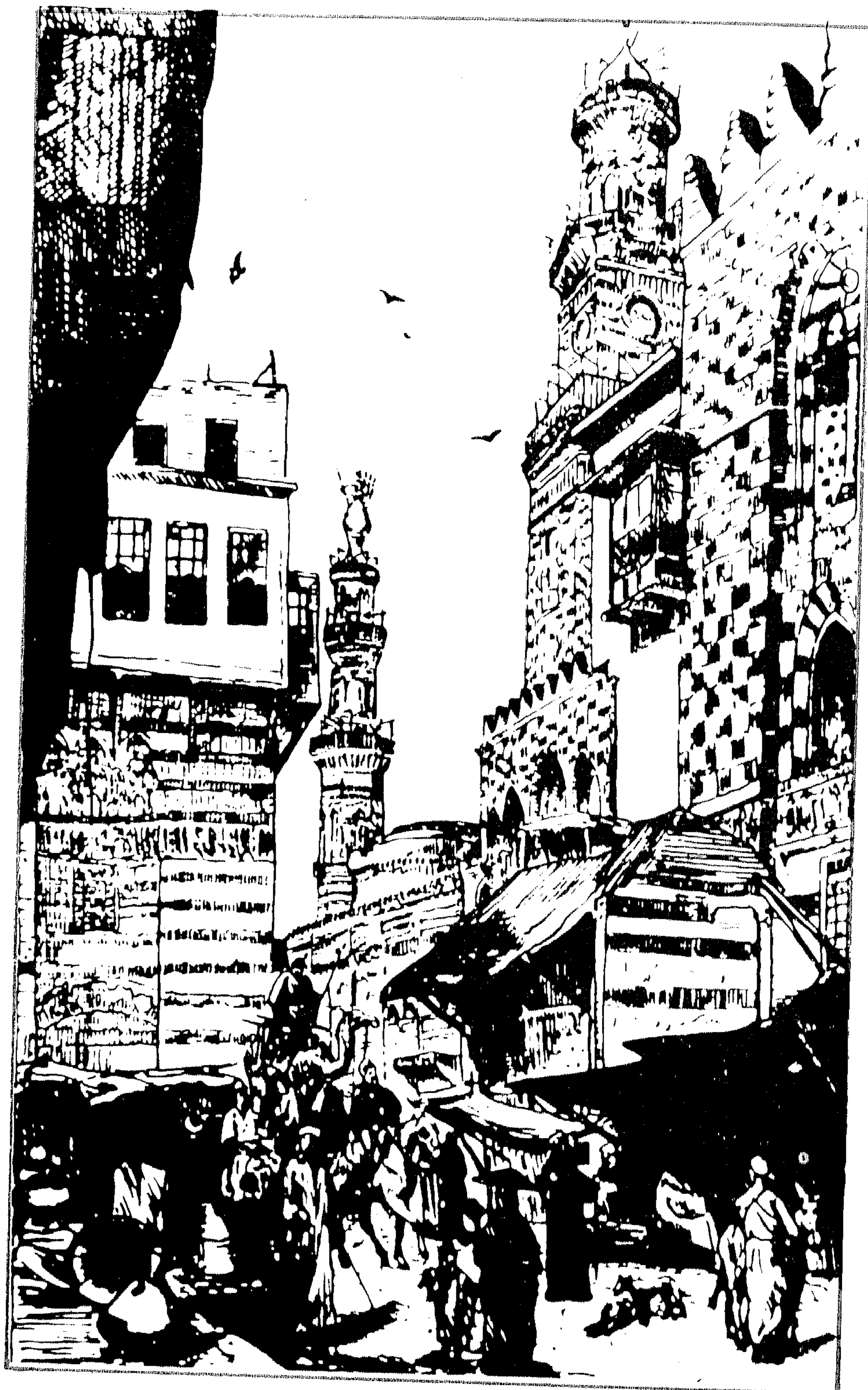
(شكل ٣٣) مدرسة الأمير متقال



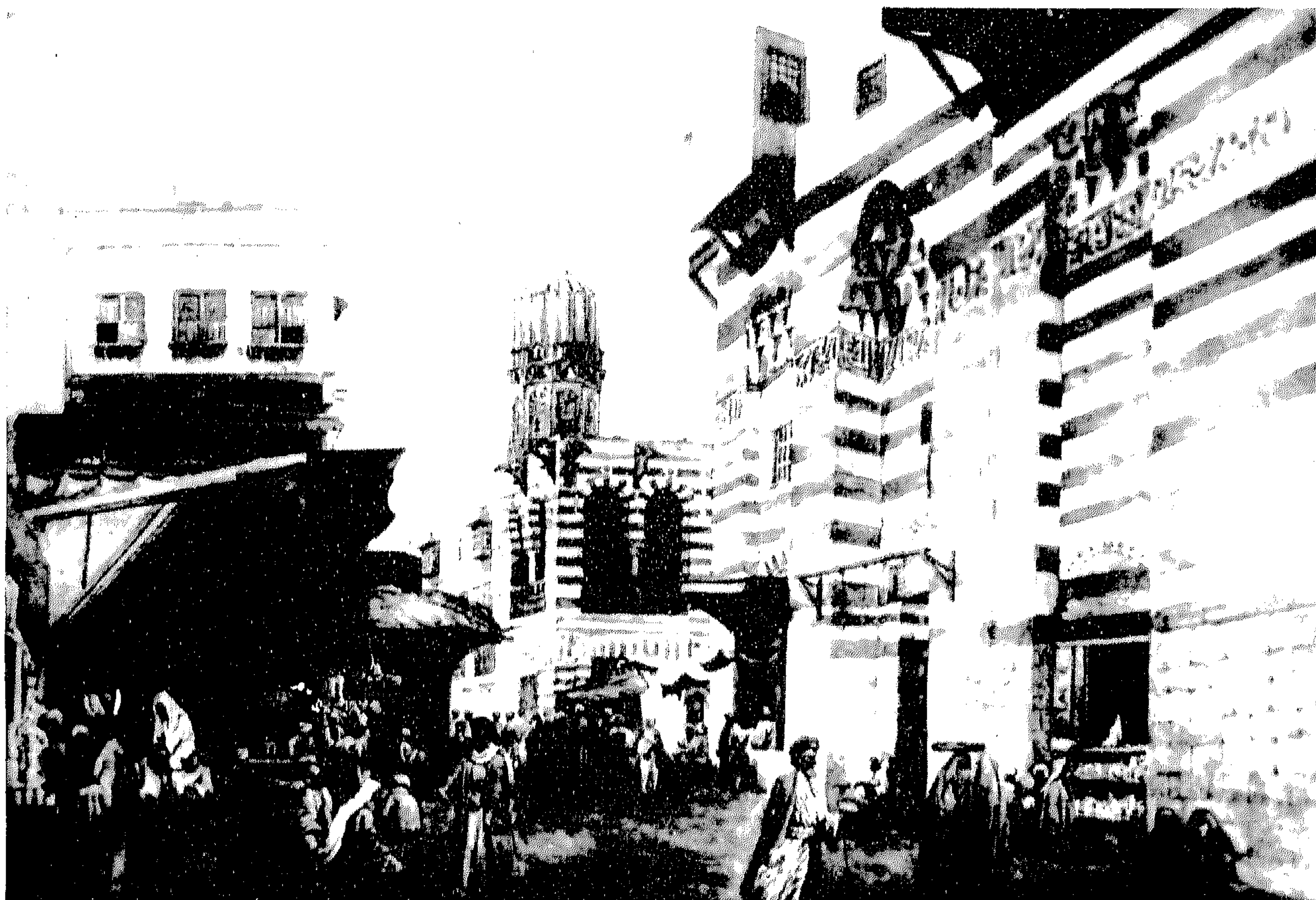




لوحة ١ - تبيين مختلف الشارات (الرنوك) المملوكية



لوحة ٢- شارع النحاسين

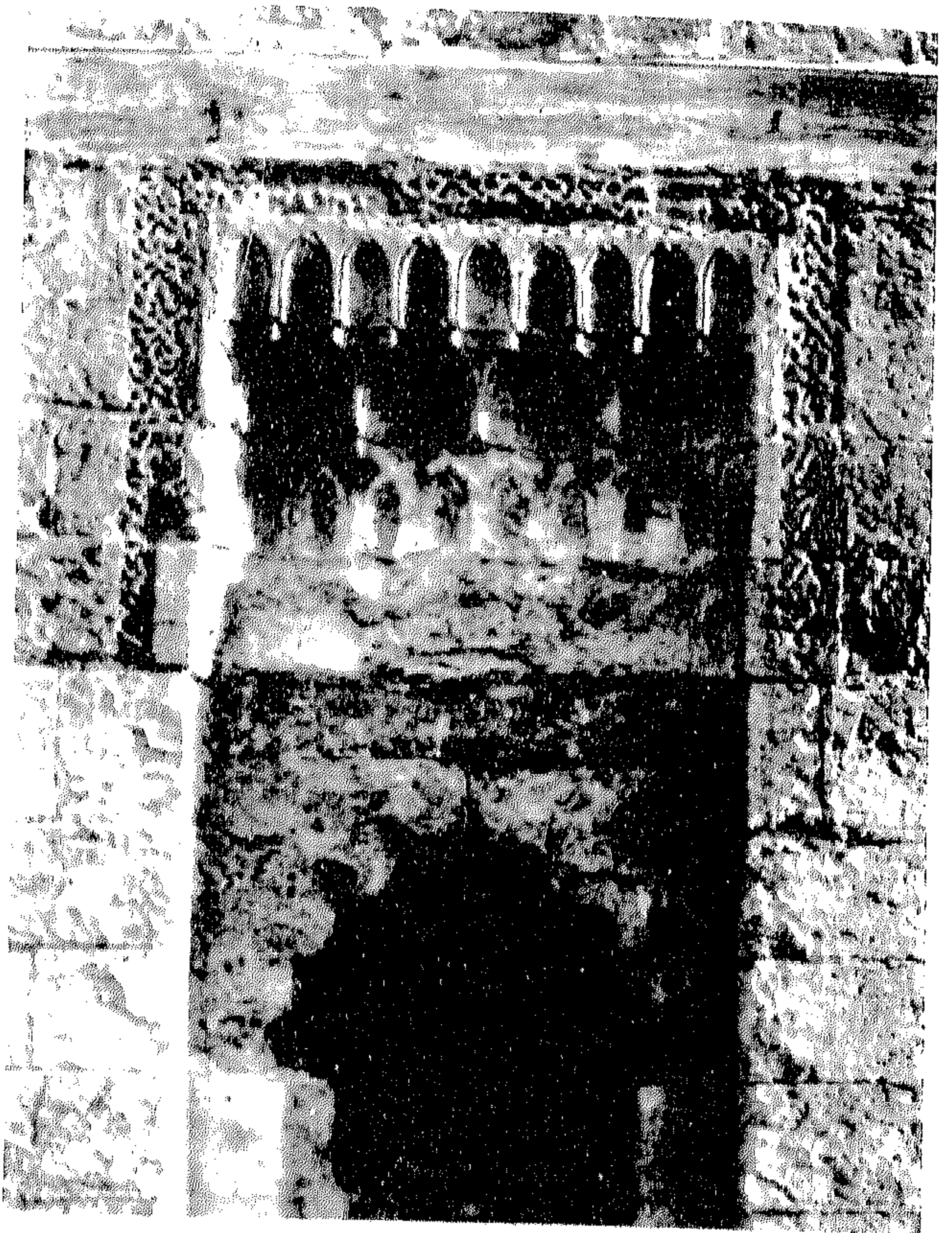


لوحة ٣ - مدرسة الظاهر بيبرس بالنحاسين

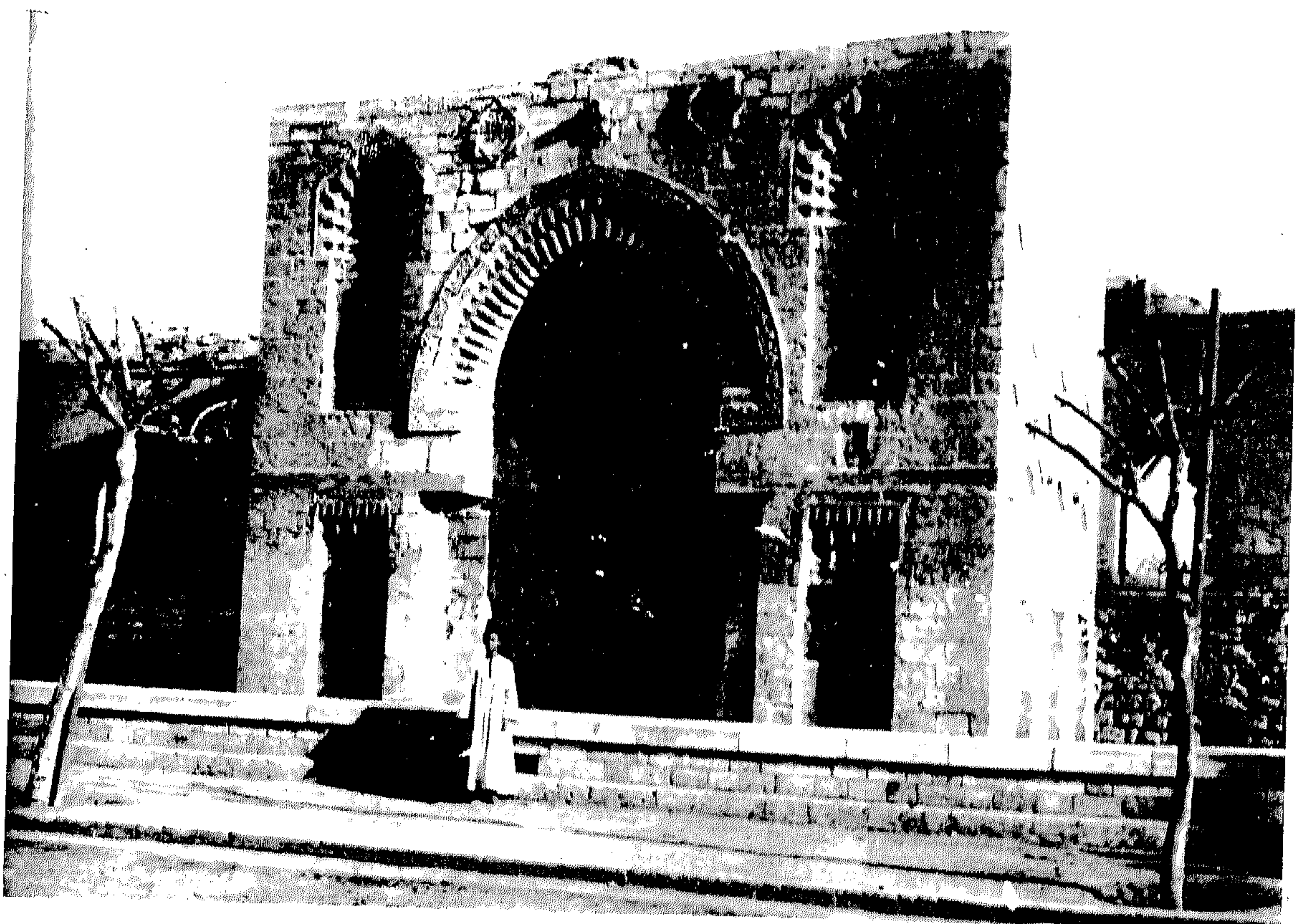
لوحة ٤ - جامع الظاهر بيبرس بالظاهر

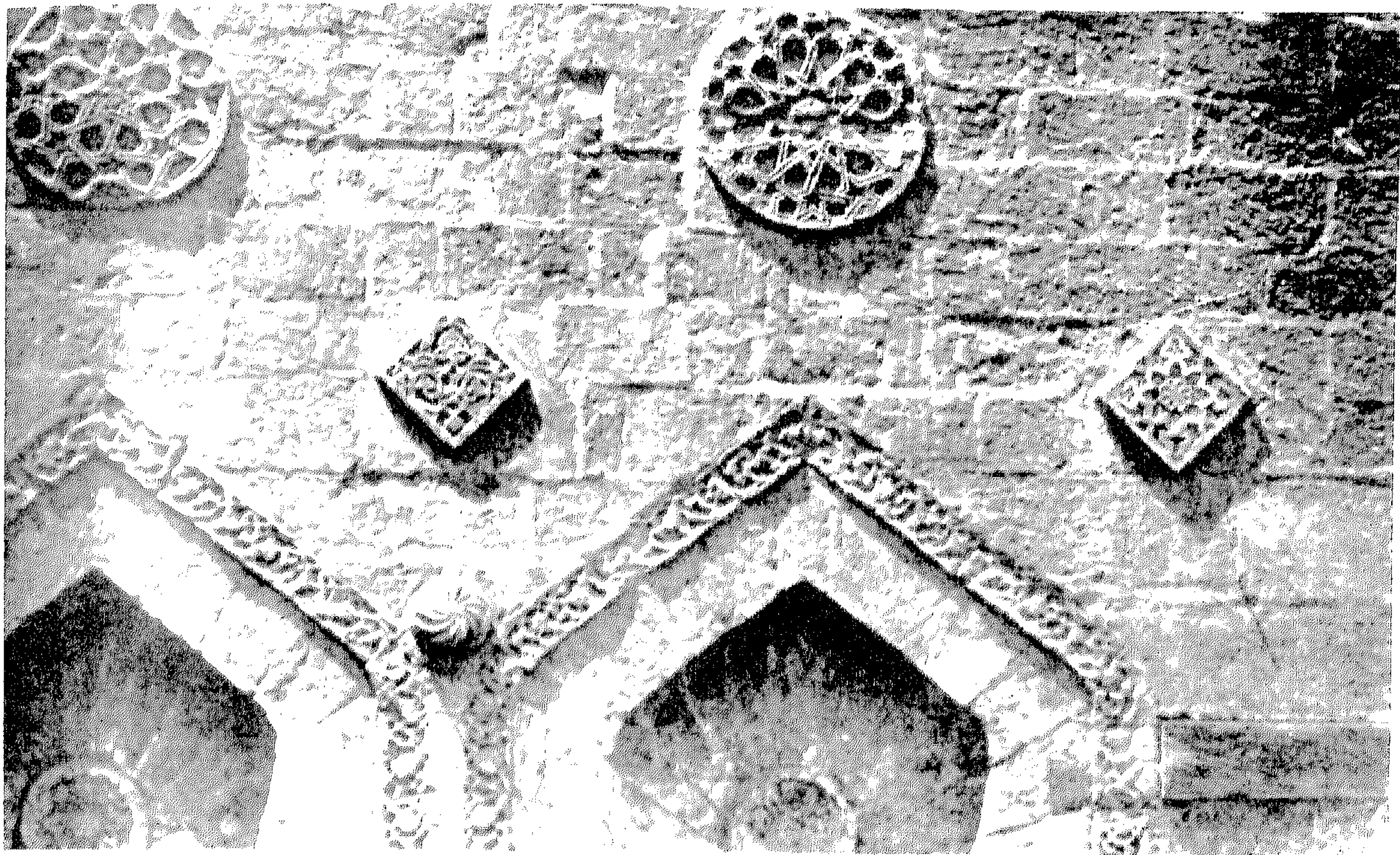


لوحة ٥ - حنية بالواجهة الرئيسية لجامع
الظاهر ببيبرس في الجهة الغربية

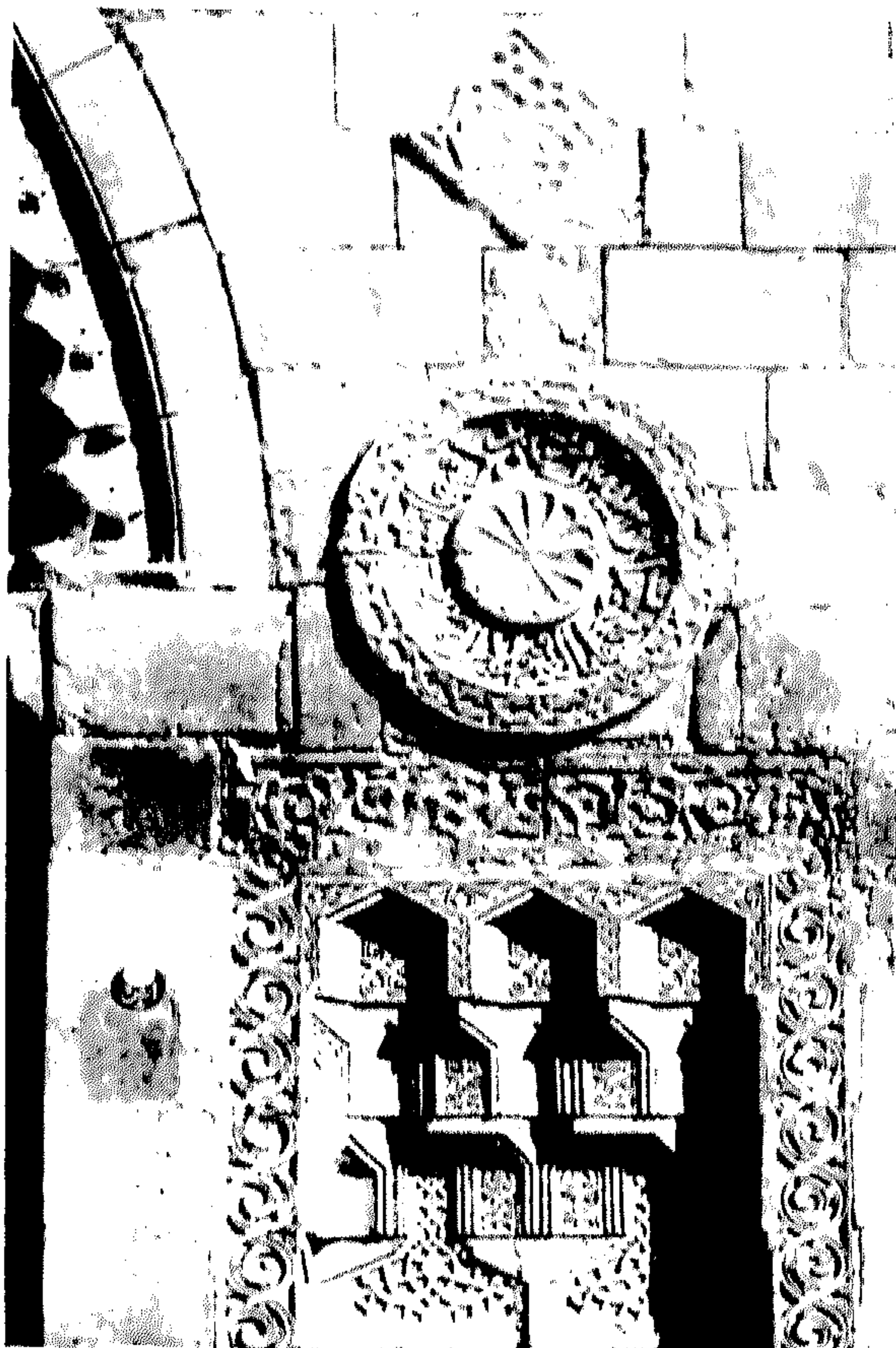


لوحة ٦ - المدخل التذكارى الذى
يتقدم الواجهة الرئيسية





▲ لوحة ٧ - تفصيل المدخل التذكاري في الضلع الغربي

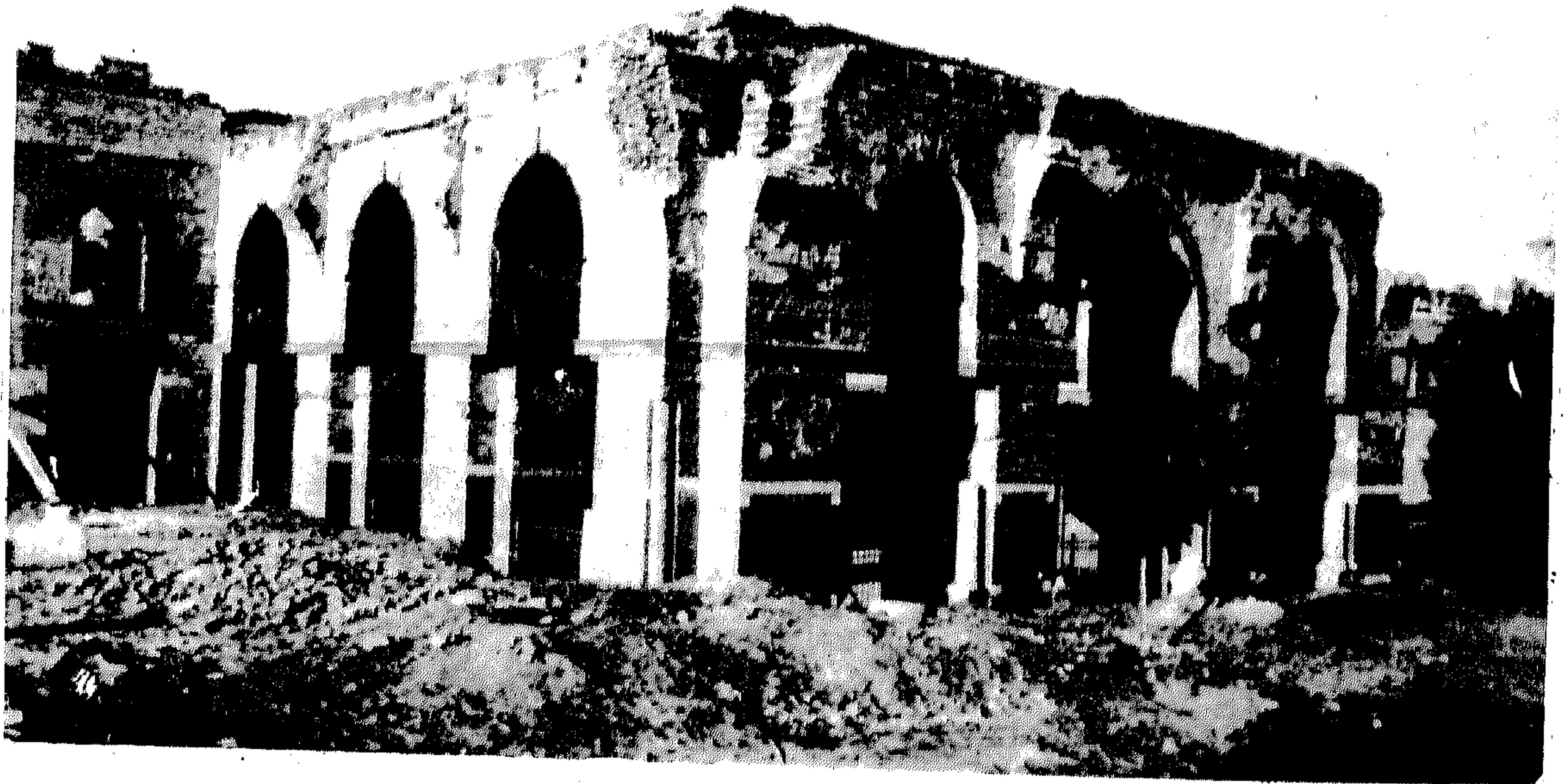


◀ لوحة ٨ - المدخل التذكاري في الضلع الشمالي

لوحة ٩ - قبة المدخل الرئيسي لجامع الظاهر بيبرس



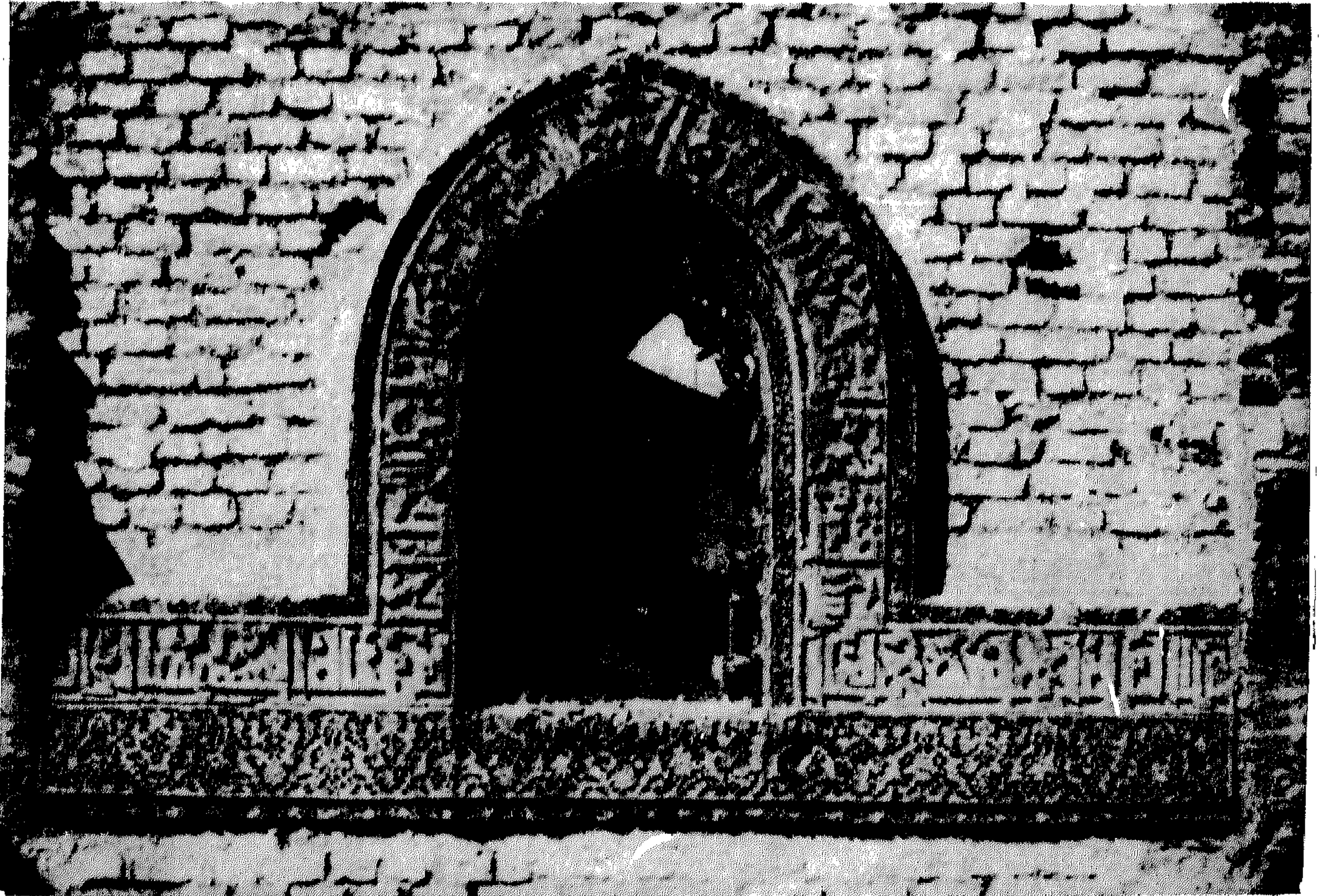
لوحة ١٠ - جامع الظاهر بيبرس



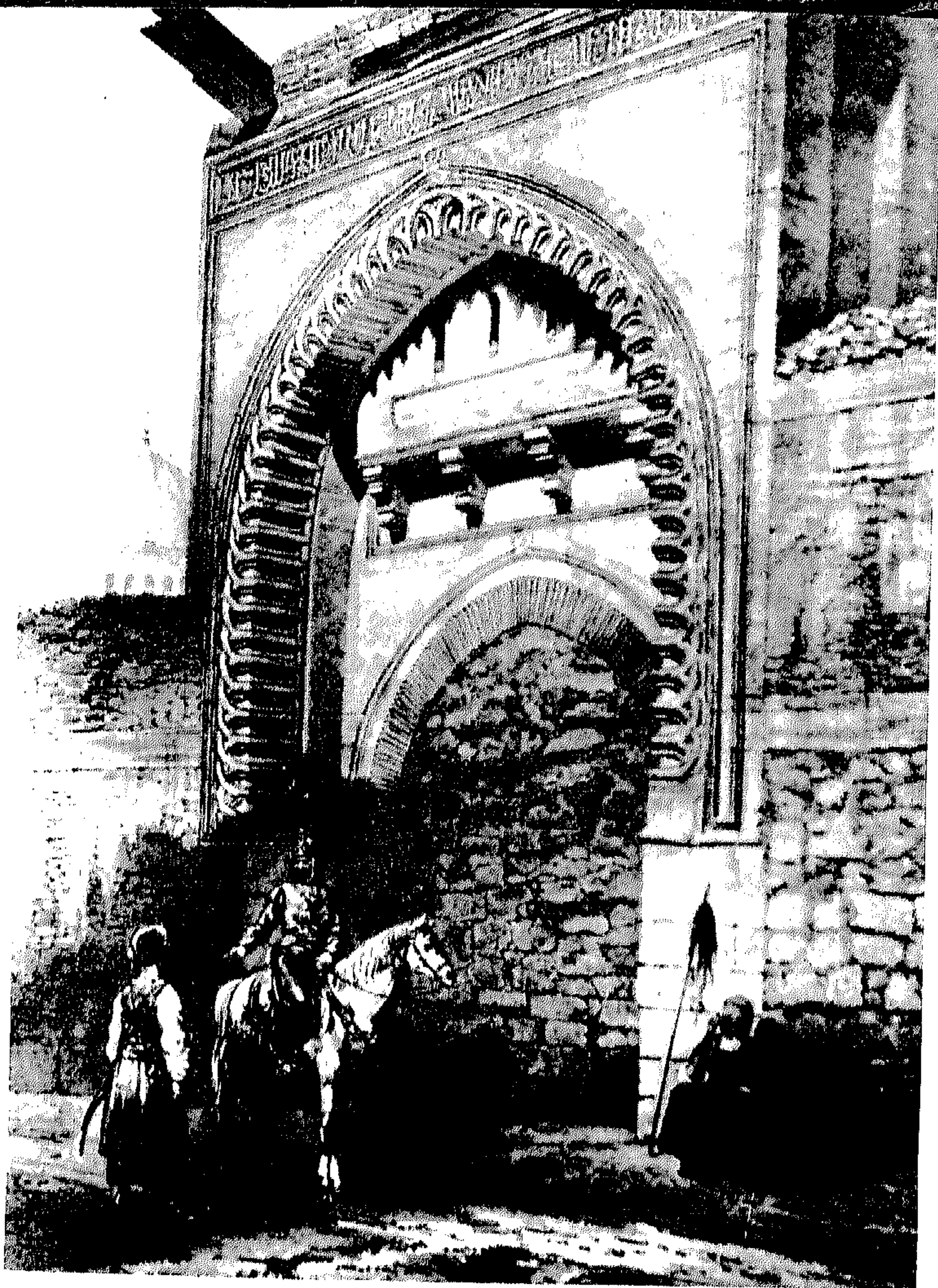
لوحة ١١ - الزخارف الجصية النباتية والكتابية
التي تملأ نوافذ جامع الظاهر ببيرس



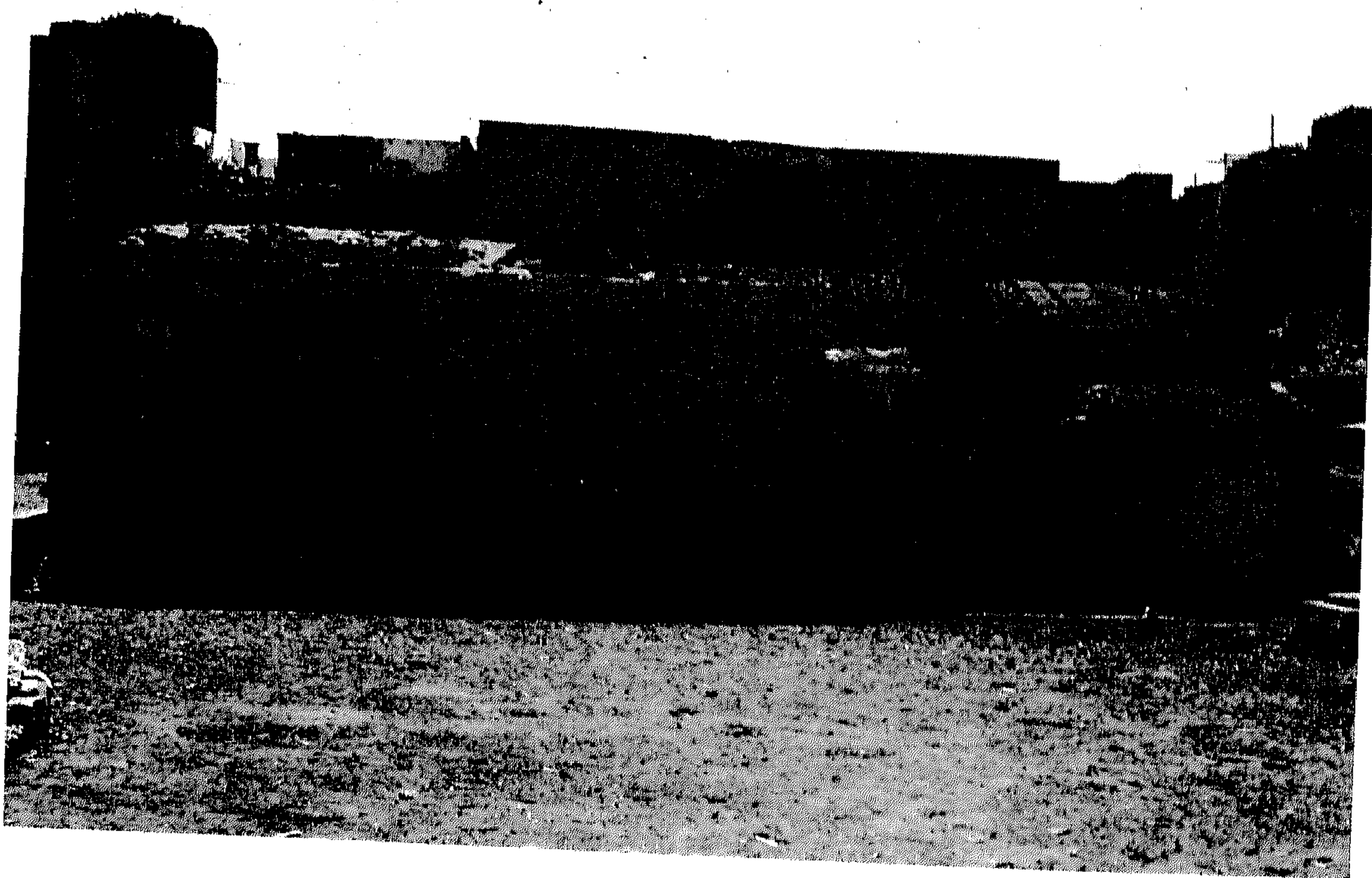
لوحة ١٢ - الزخارف النباتية والكتابية التي تملأ نوافذ جامع الظاهر ببيرس

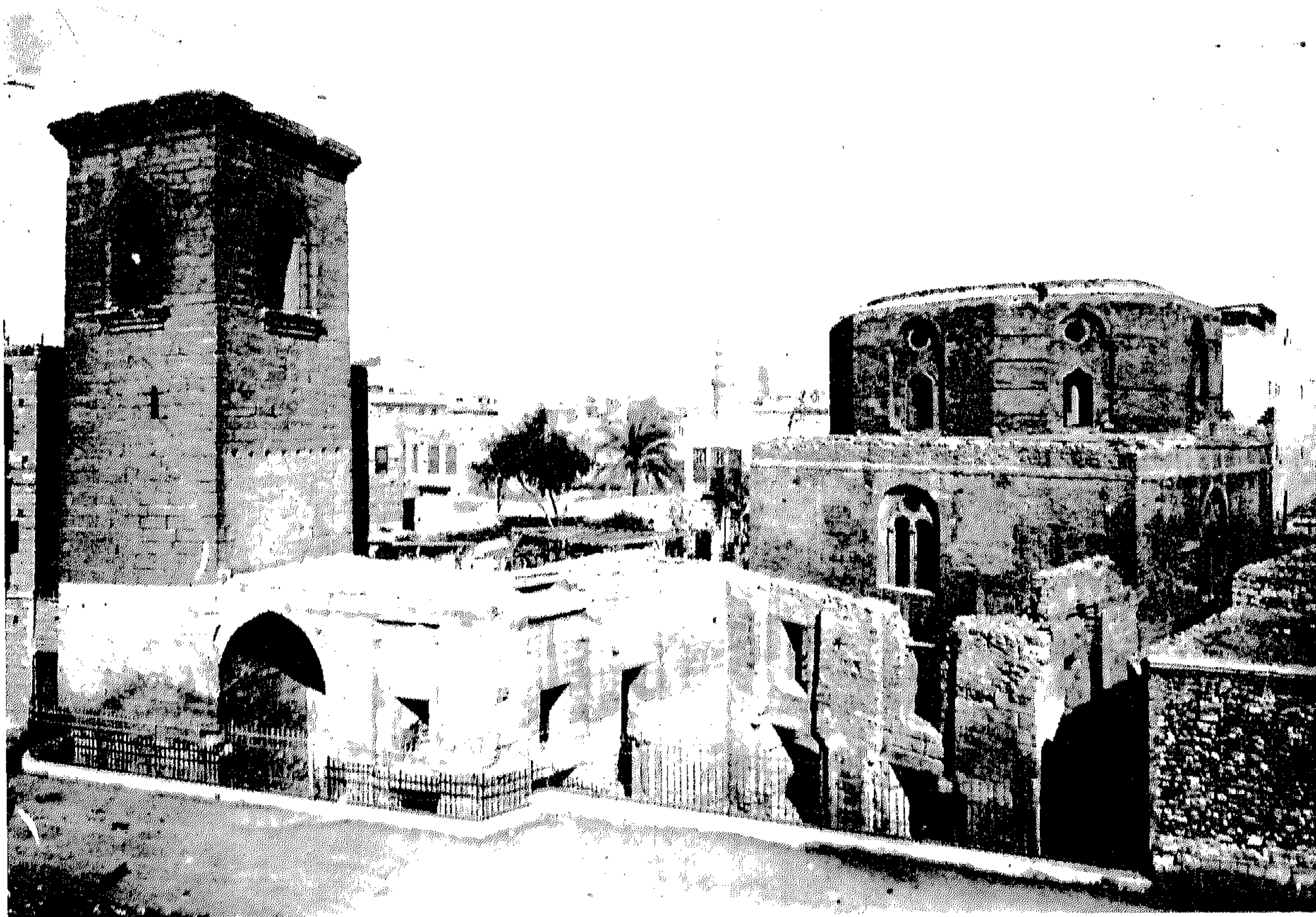


لوحة ١٣ - باب قصر السلطان بيبرس
من القرن الثالث عشر



لوحة ١٤ - ضريح مصطفى باشا





لوحة ١٥ — ضريح فاطمة خاتون ▲

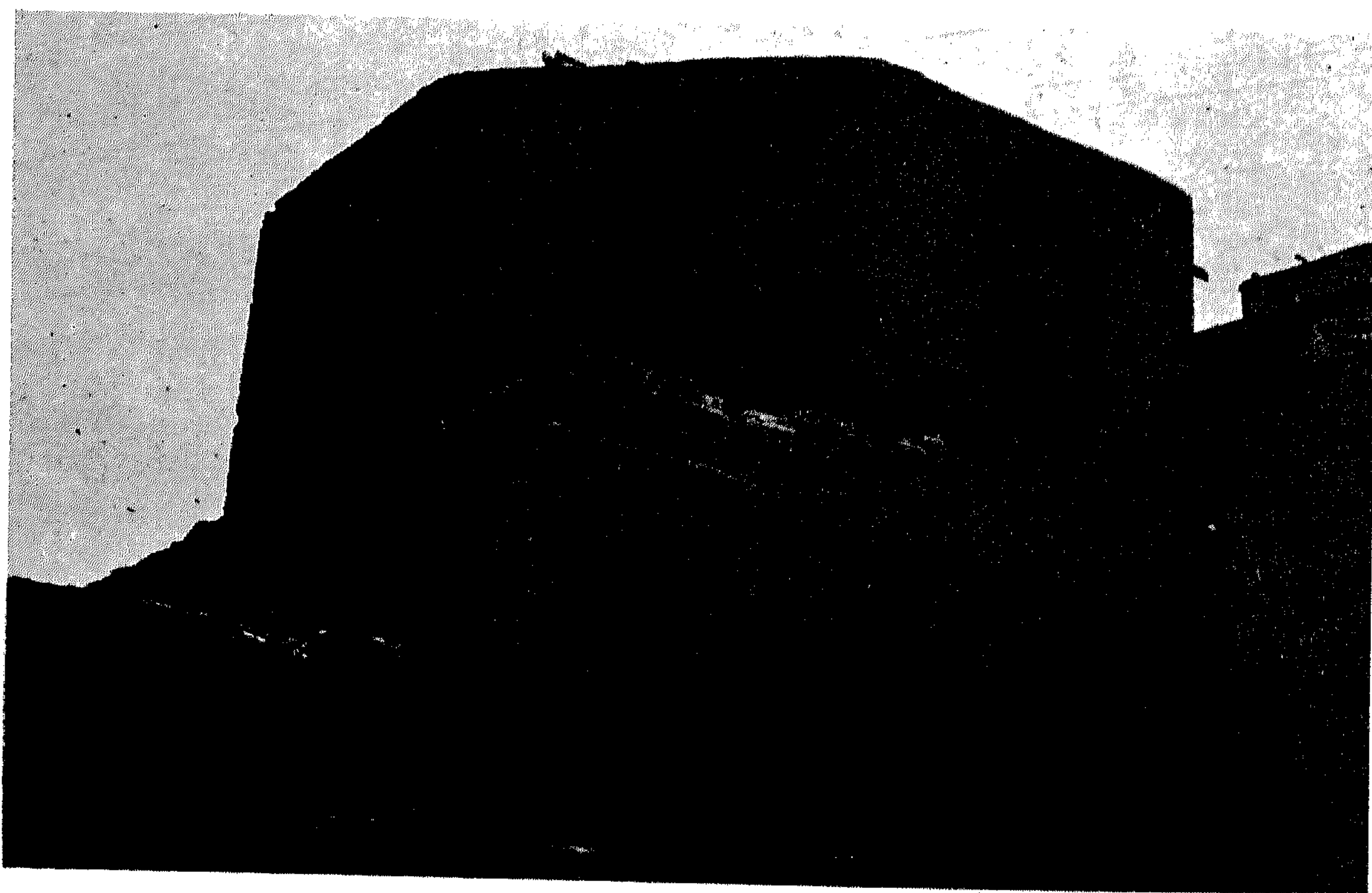


لوحة ١٦ — داخل قبة فاطمة خاتون ◀

لوحة ١٧ - ضريح فاطمة خاتون المنارة



لوحة ١٨ - رقبّة قبة فاطمة خاتون

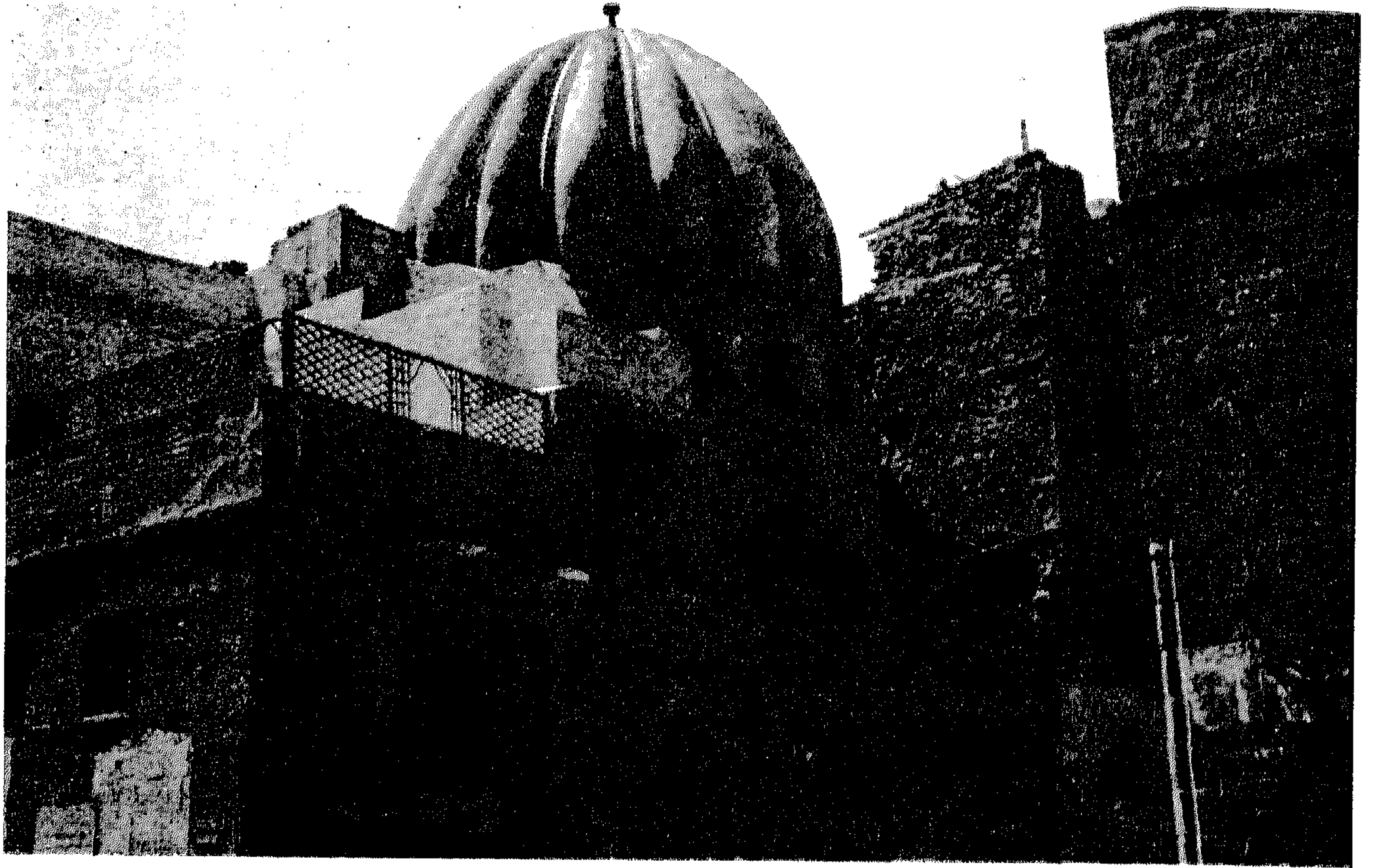




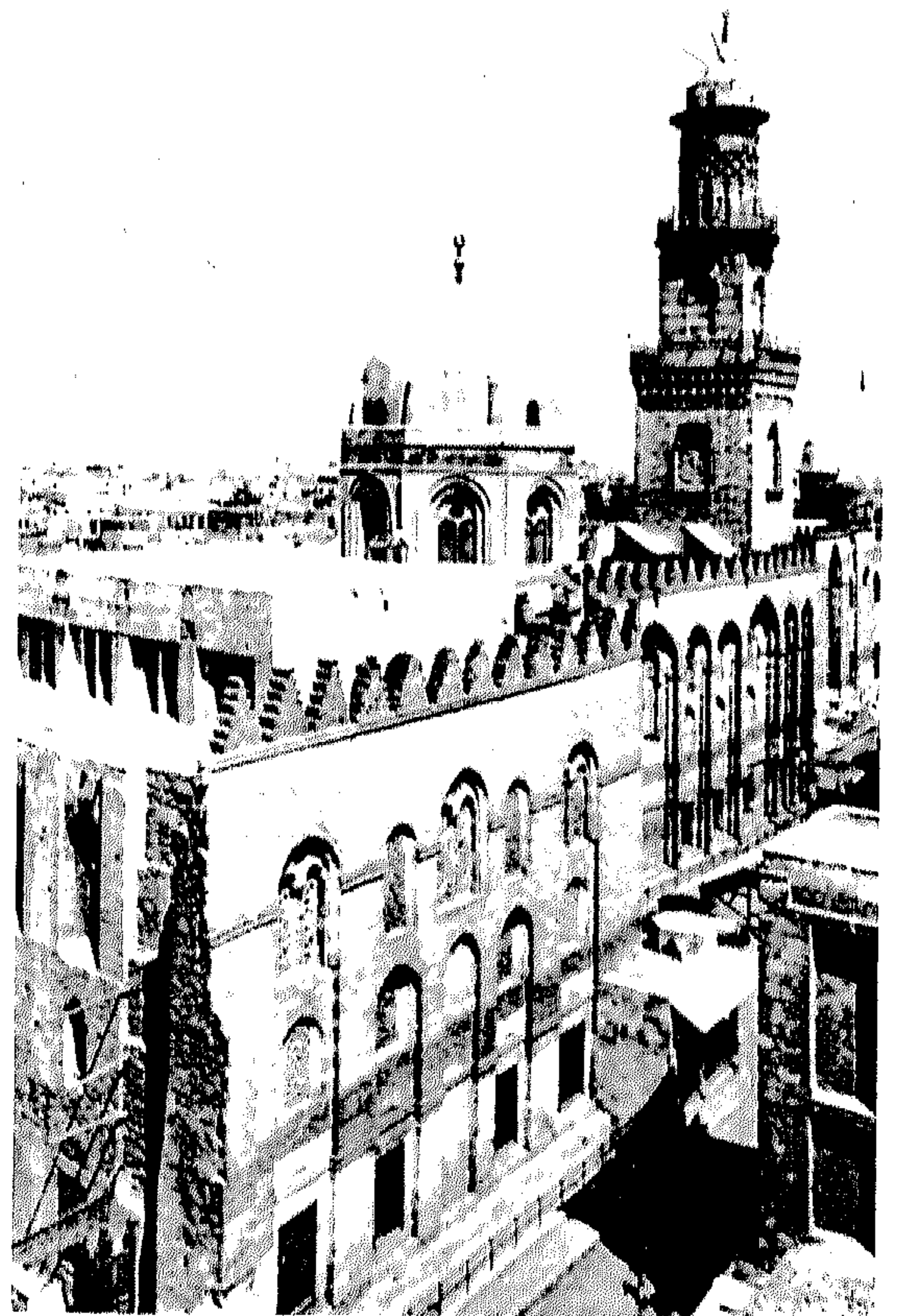
لوحة ١٩ - واجهة خزانة البندقارية المطللة على الشارع . وقد ظهر شريط الكتابة الذي يملو الجدار يتخلله (رنك) شارة البندقار .



لوحة ٢٠ - خزانة البندقارية

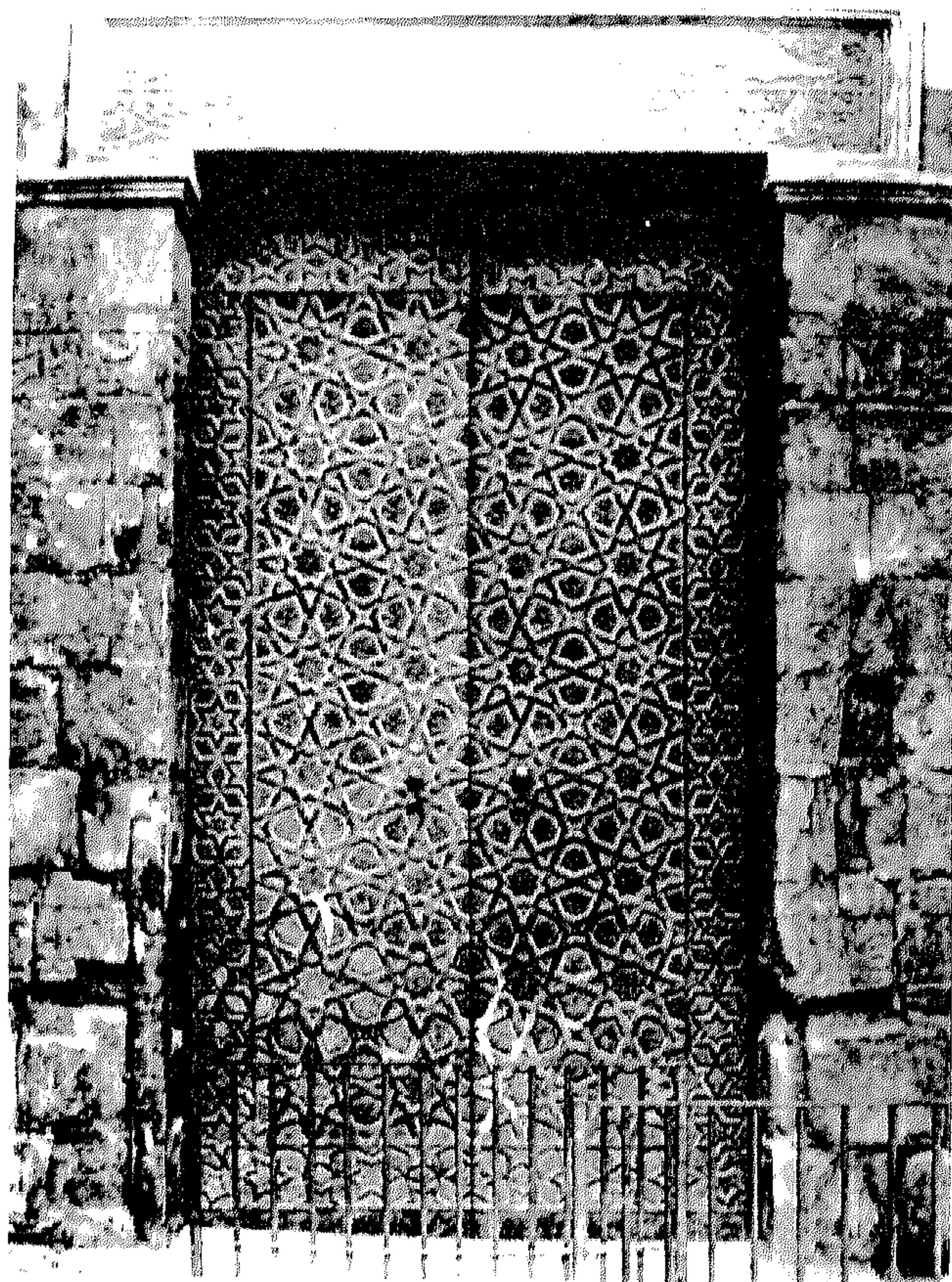
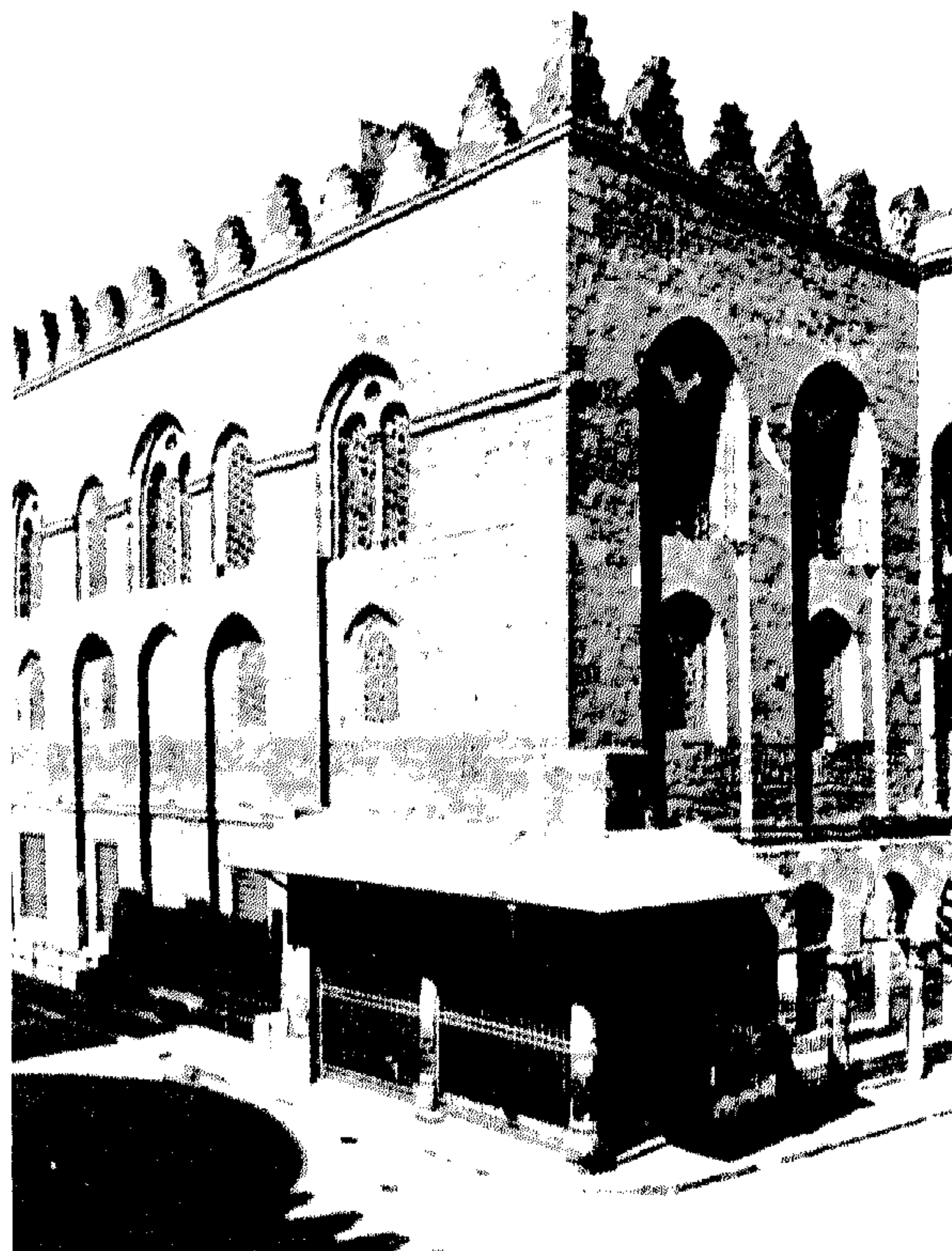


لوحة ٢١ - خانقاه البندقدارية



لوحة ٢٢ - الواجهة الشرقية لإيوان القبلة
لمدرسة المنصور قلاوون

لوحة ٢٣ - الواجهة الشرقية والشمالية لمدرسة قلاوون



لوحة ٢٤ - المدخل الرئيسي لمجموعة قلاوون

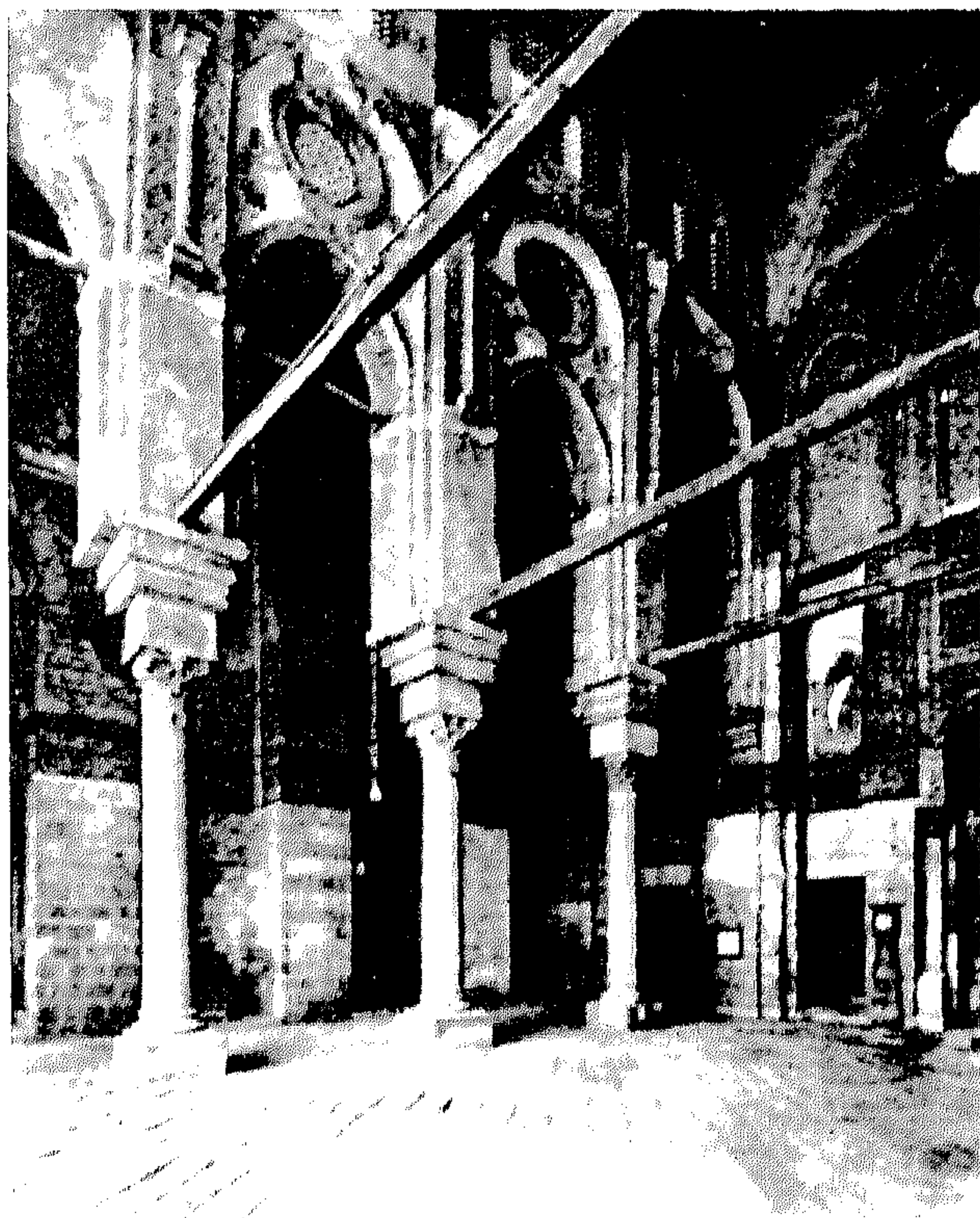


لوحة ٢٥ - سقف الدهليز الذي يفصل بين
مدرسة وقبة قلاوون .



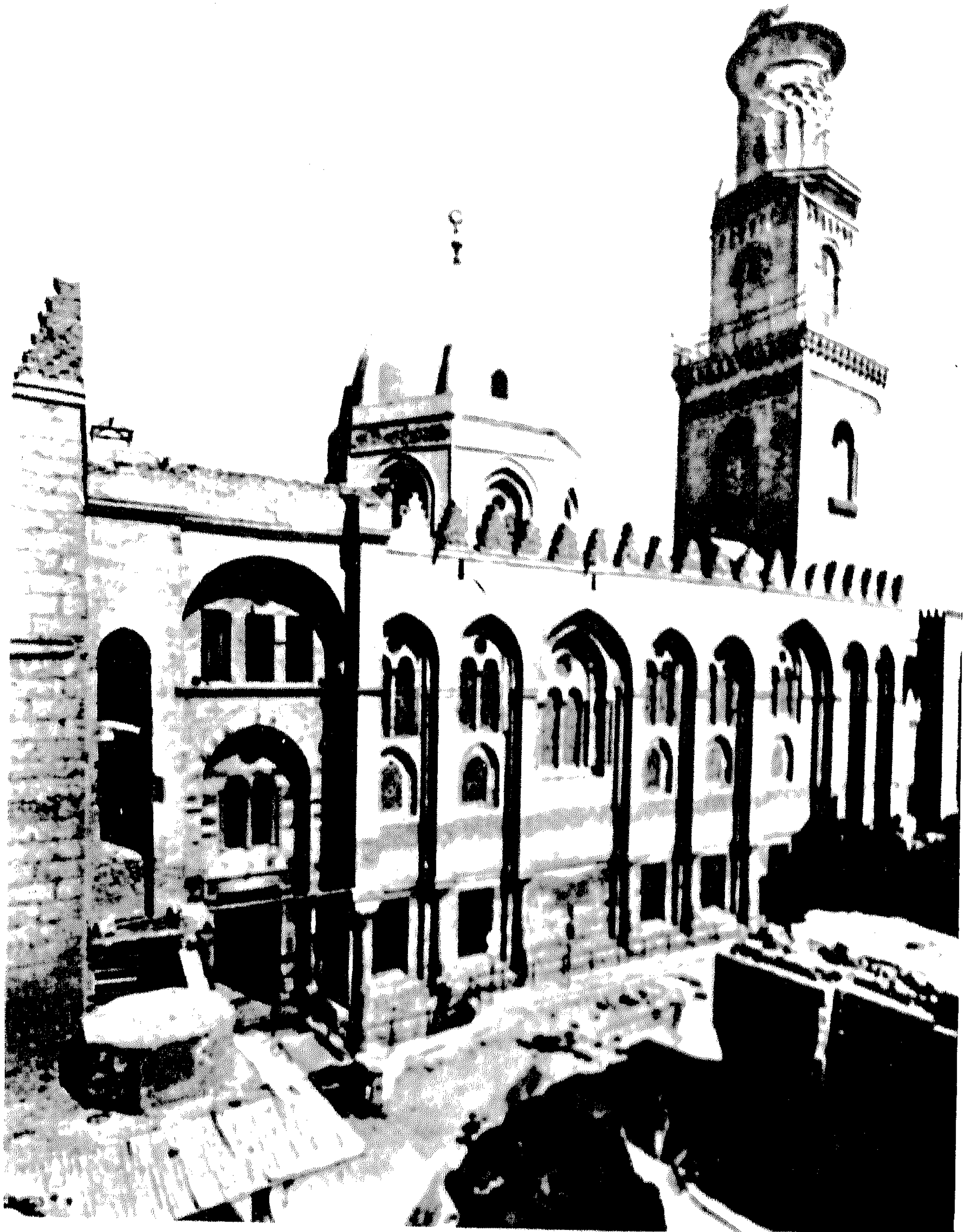
لوحة ٢٦ - واجهة إيوان القبلة المطل على
صحن المدرسة

لوحة ٢٧ - إيوان القبلة وإحدى البوائك التي تمتد
عمودية على حائط القبلة بمدرسة قلاوون



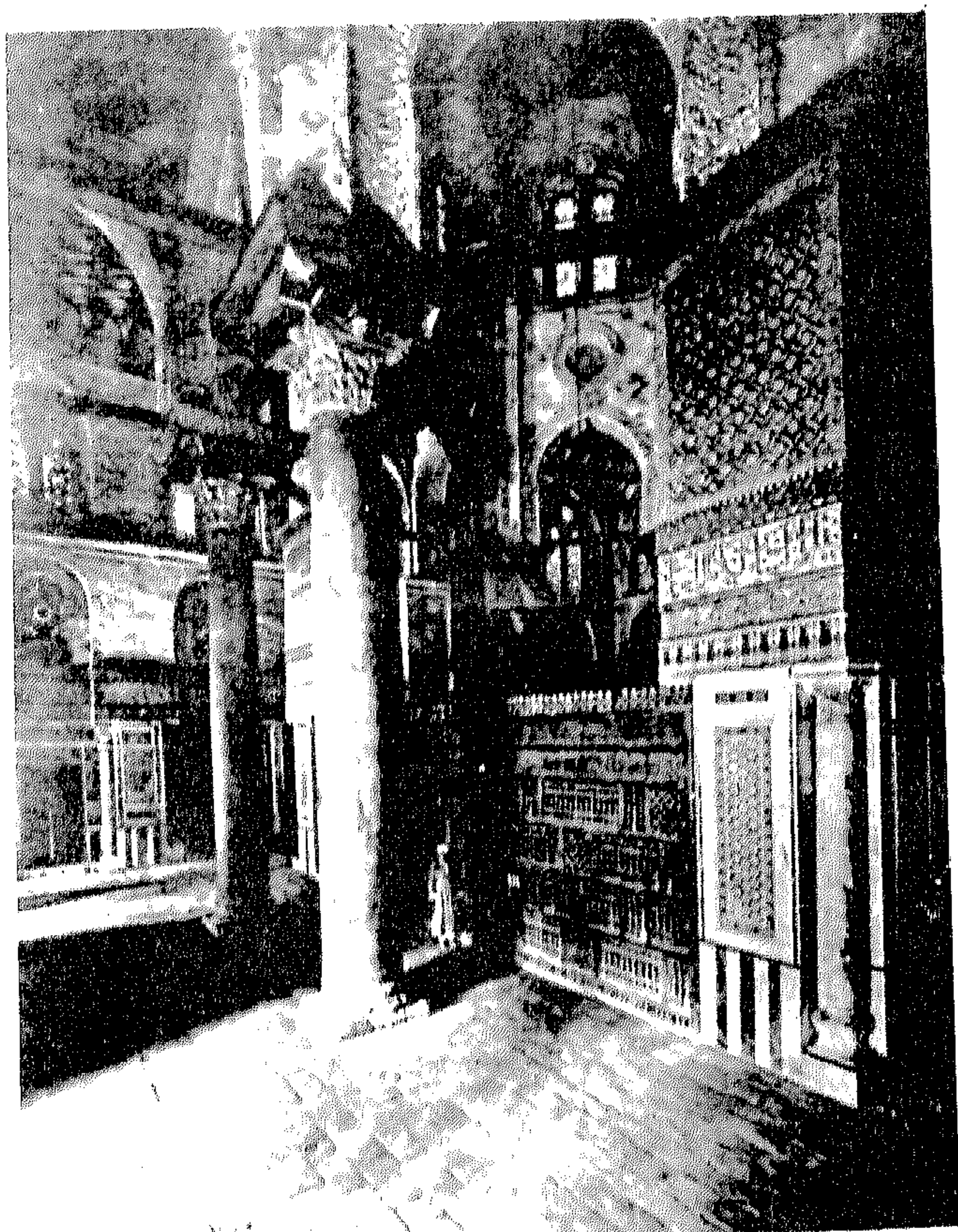
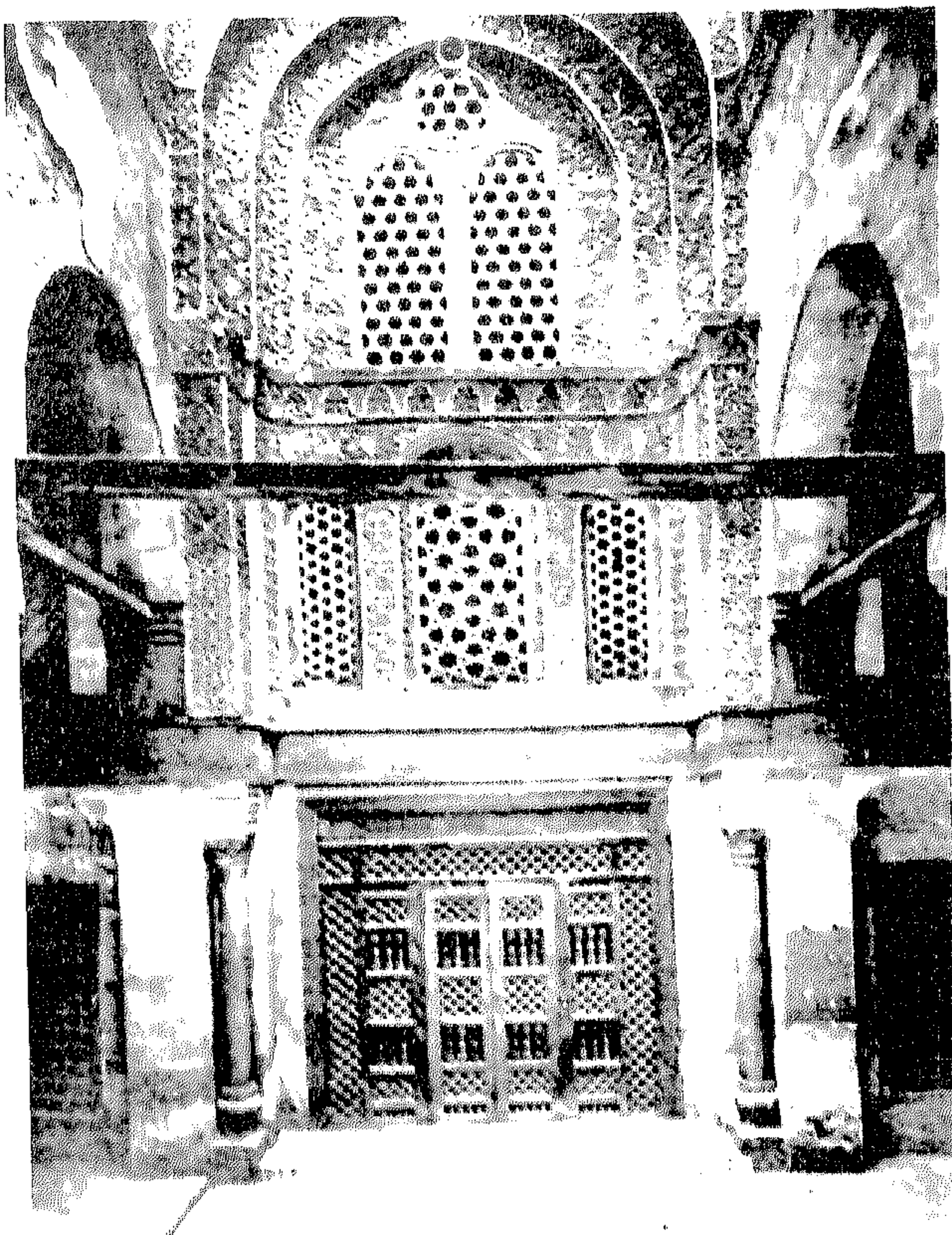
لوحة ٢٨ - زخارف البائكة الوسطى بإيوان القبلة بمدرسة قلاوون





لوحة ٢٩ الواجهة الشرقية لقبة قلاوون يعملوها المثناة والقبة

لوحة ٣٠ - مدخل قبة قلاوون من الجهة الغربية

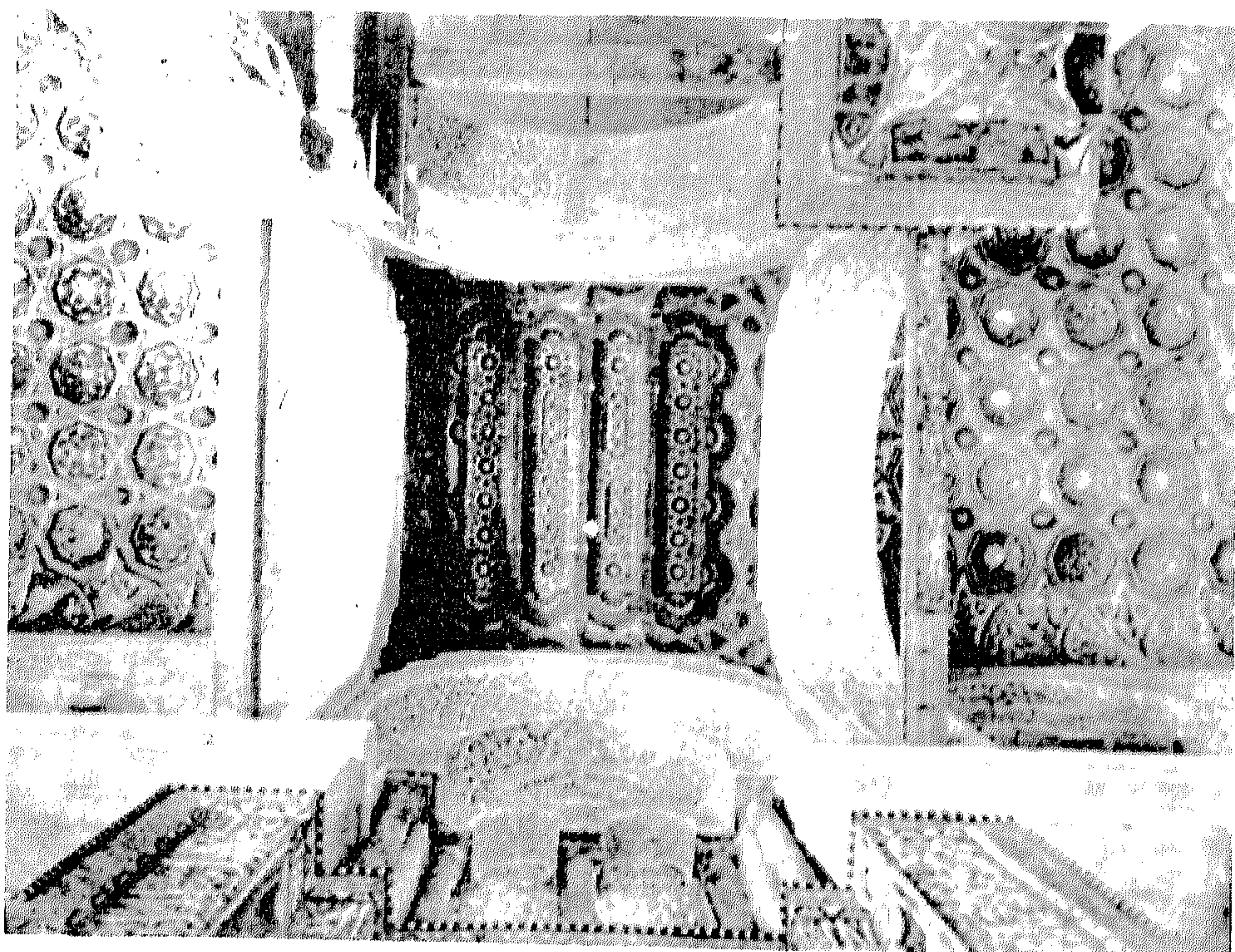


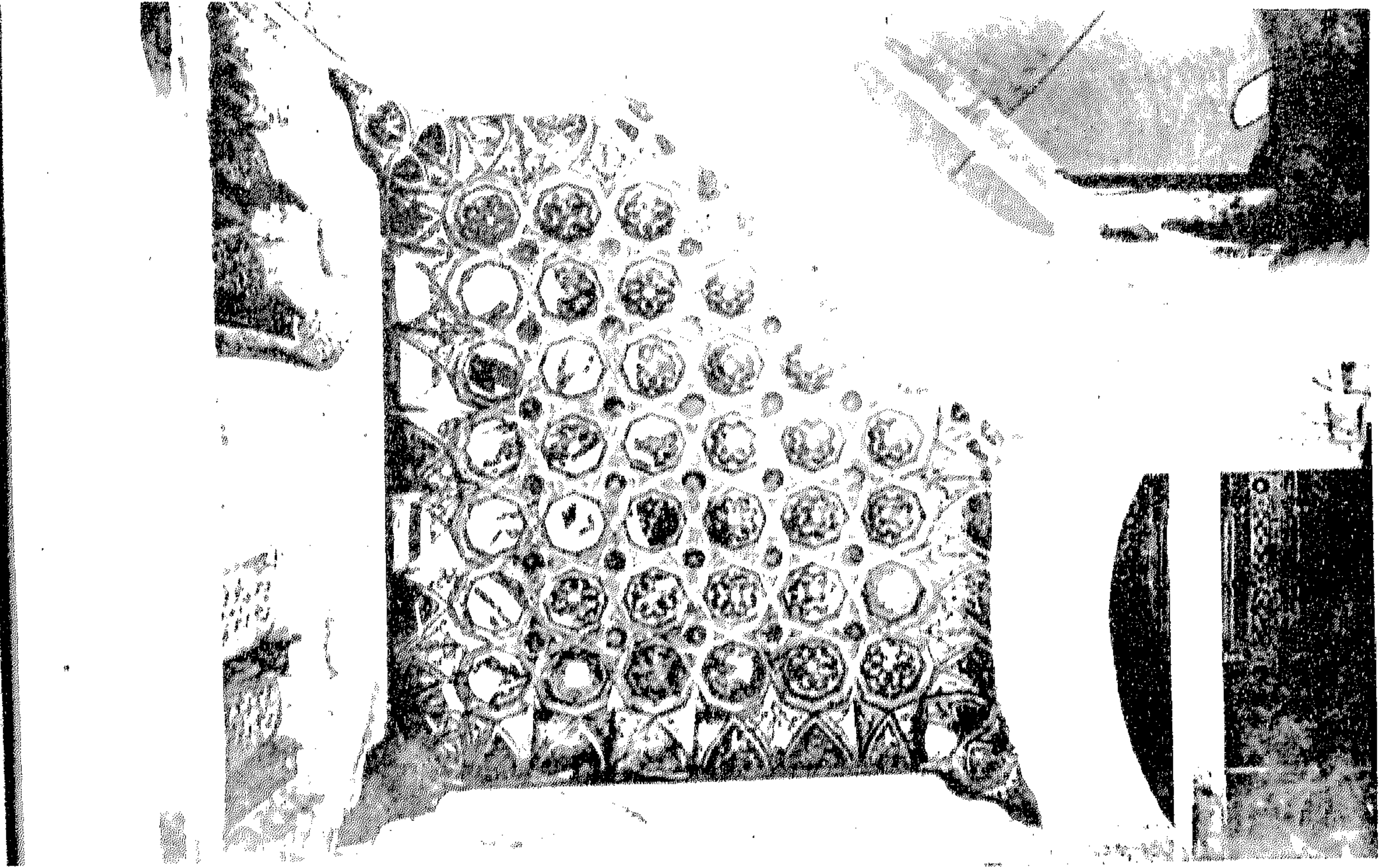
لوحة ٣١ - مقبرة المنصور قلاوون داخل قبته



لوحة ٣٢ — المقصورة الخشبية التي تحيط
بمقبرة قلاوون داخل القبلة

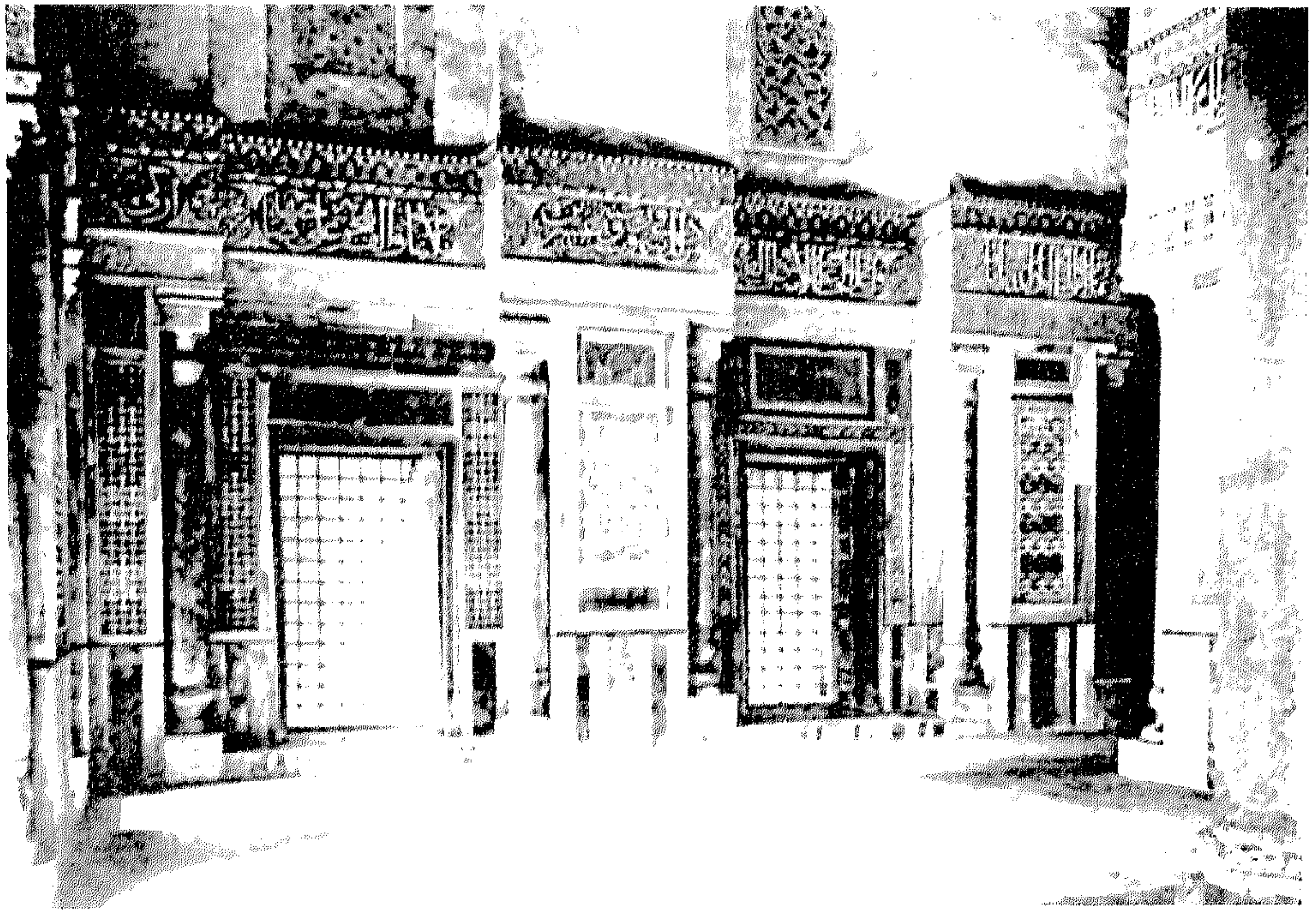
لوحة ٣٣ — سقف الركن الجنوبي
الشرق للقبلة قلاوون

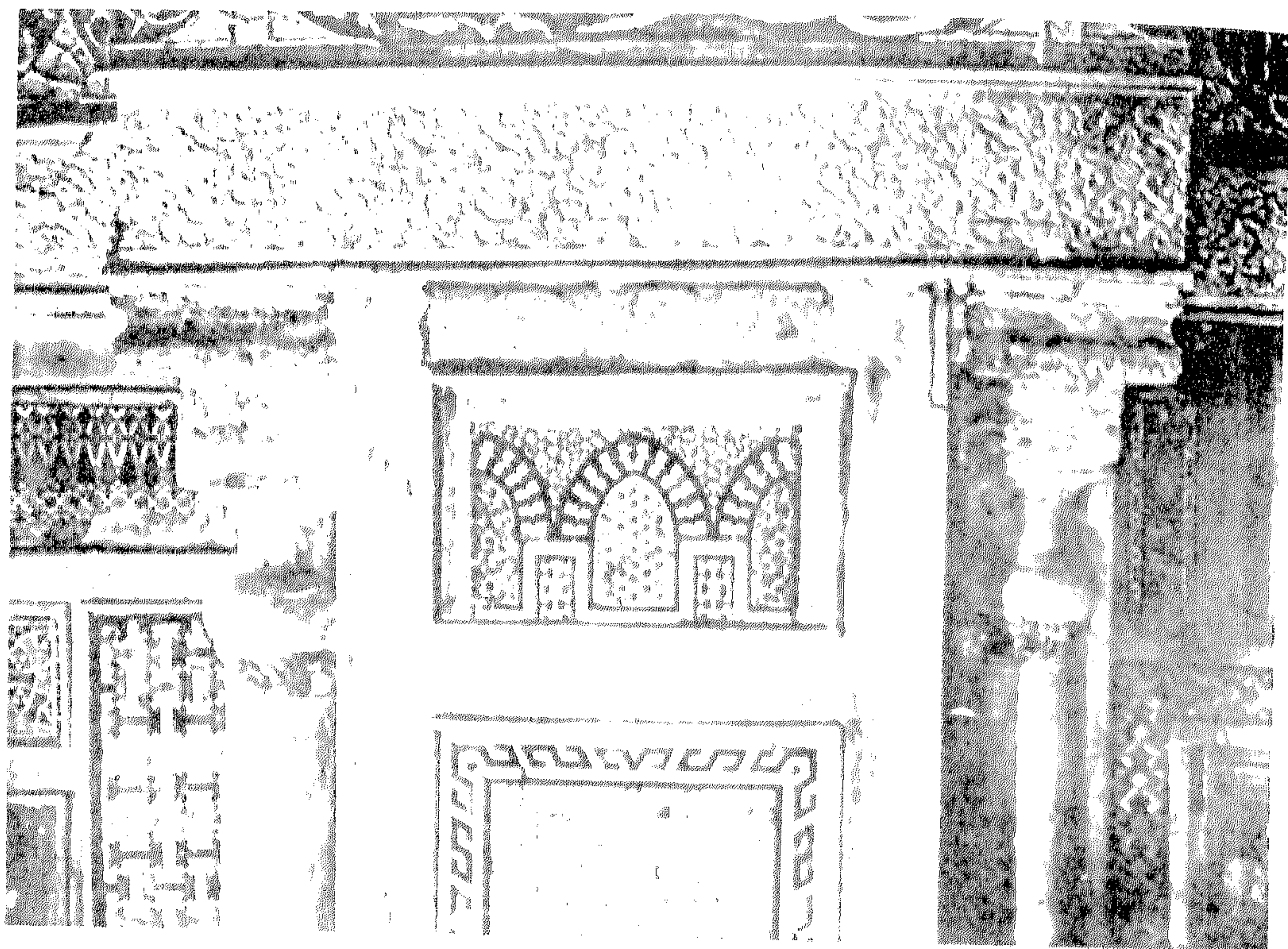




لوحة ٣٤ — سقف الركن الجنوبي الغربي لقبة قلاوون وقد ظهرت به الحقائق (Coffers)

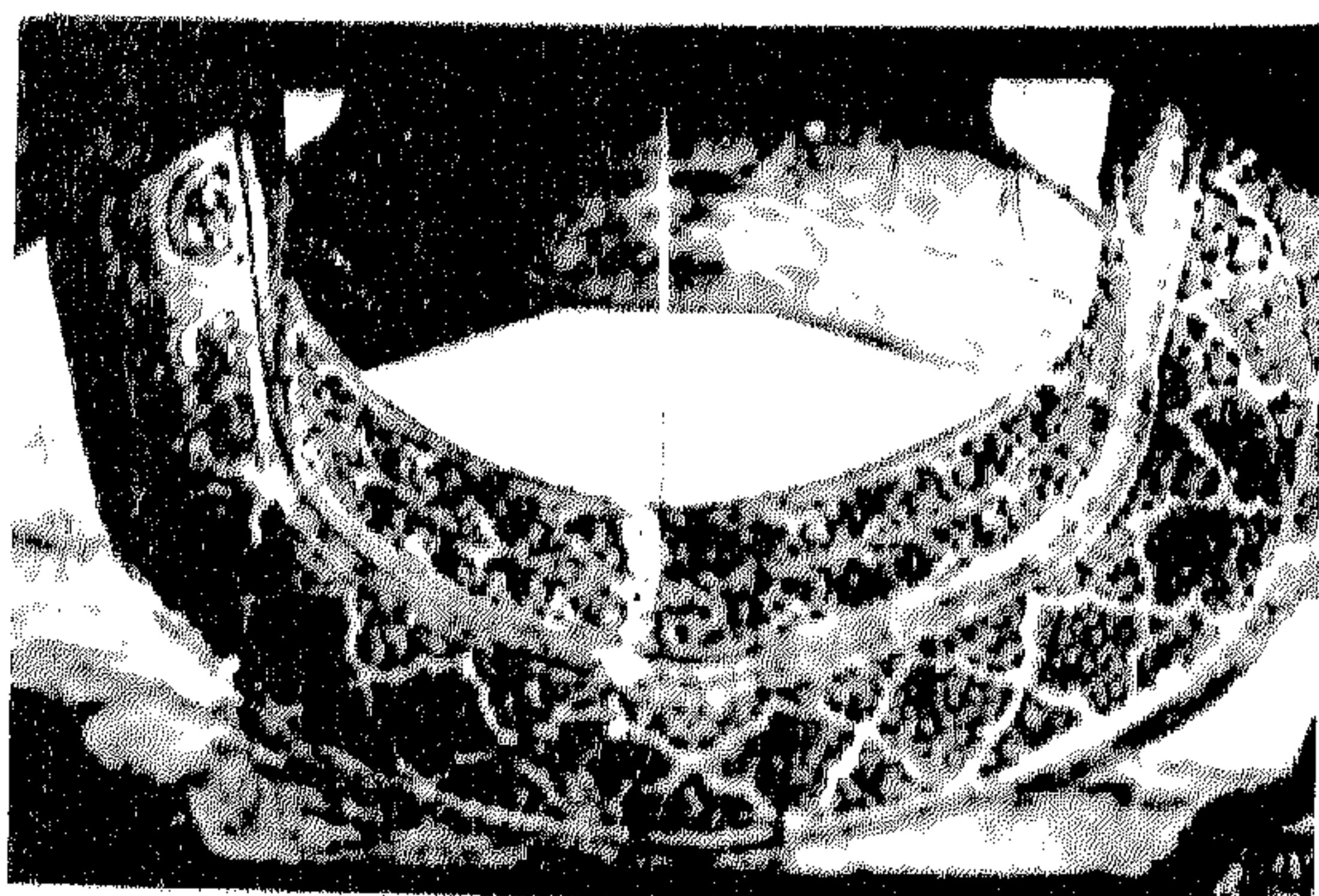
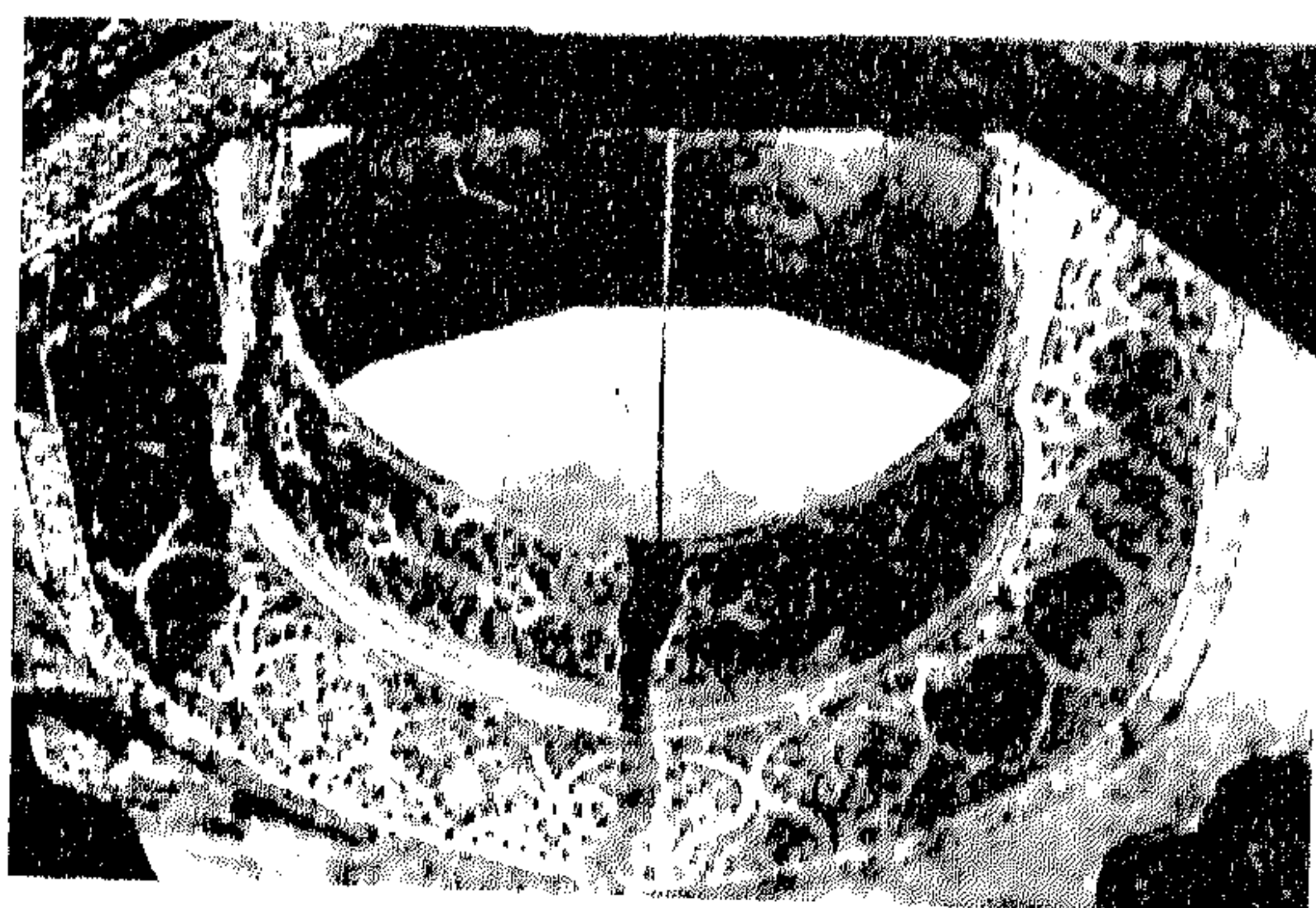
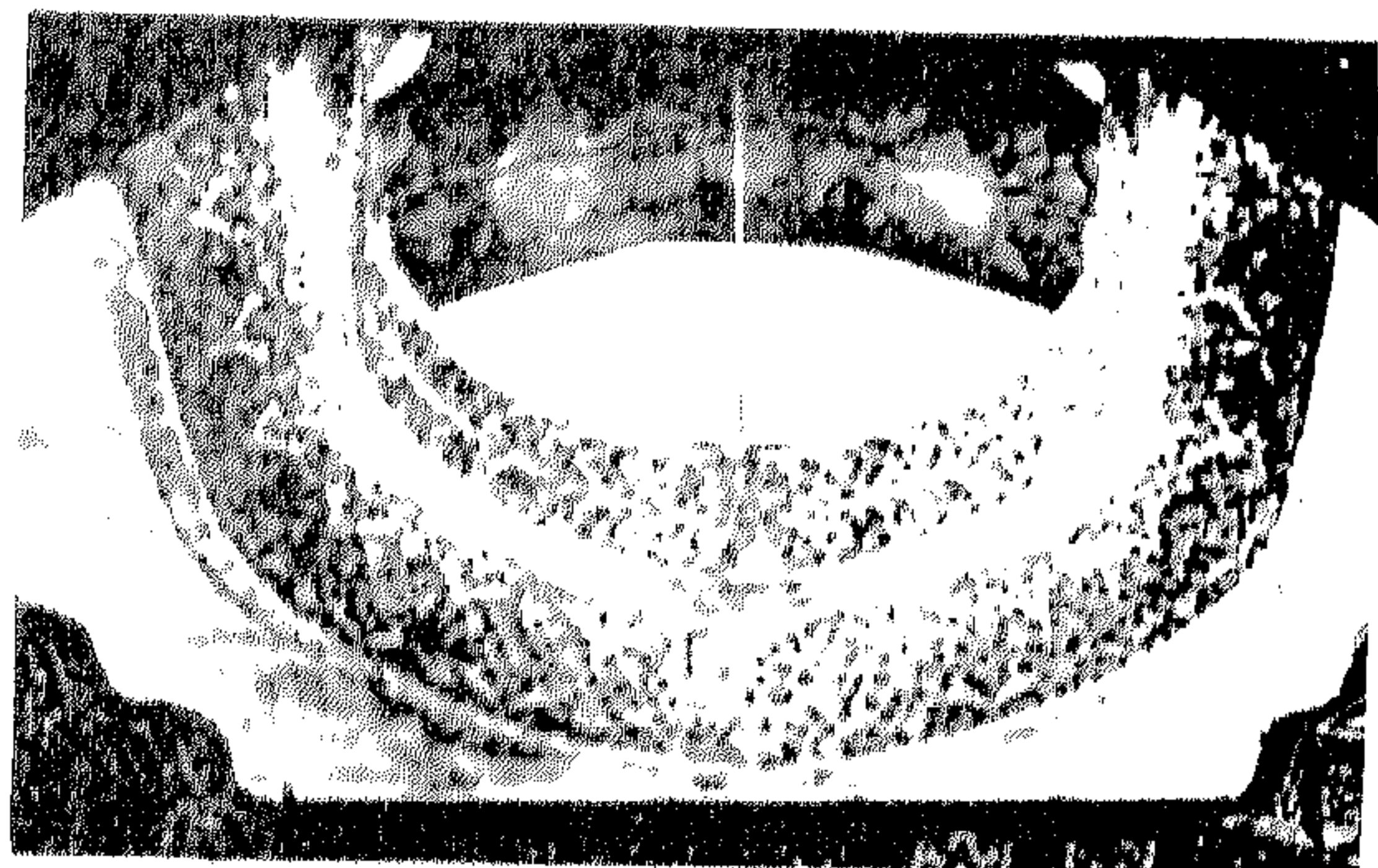
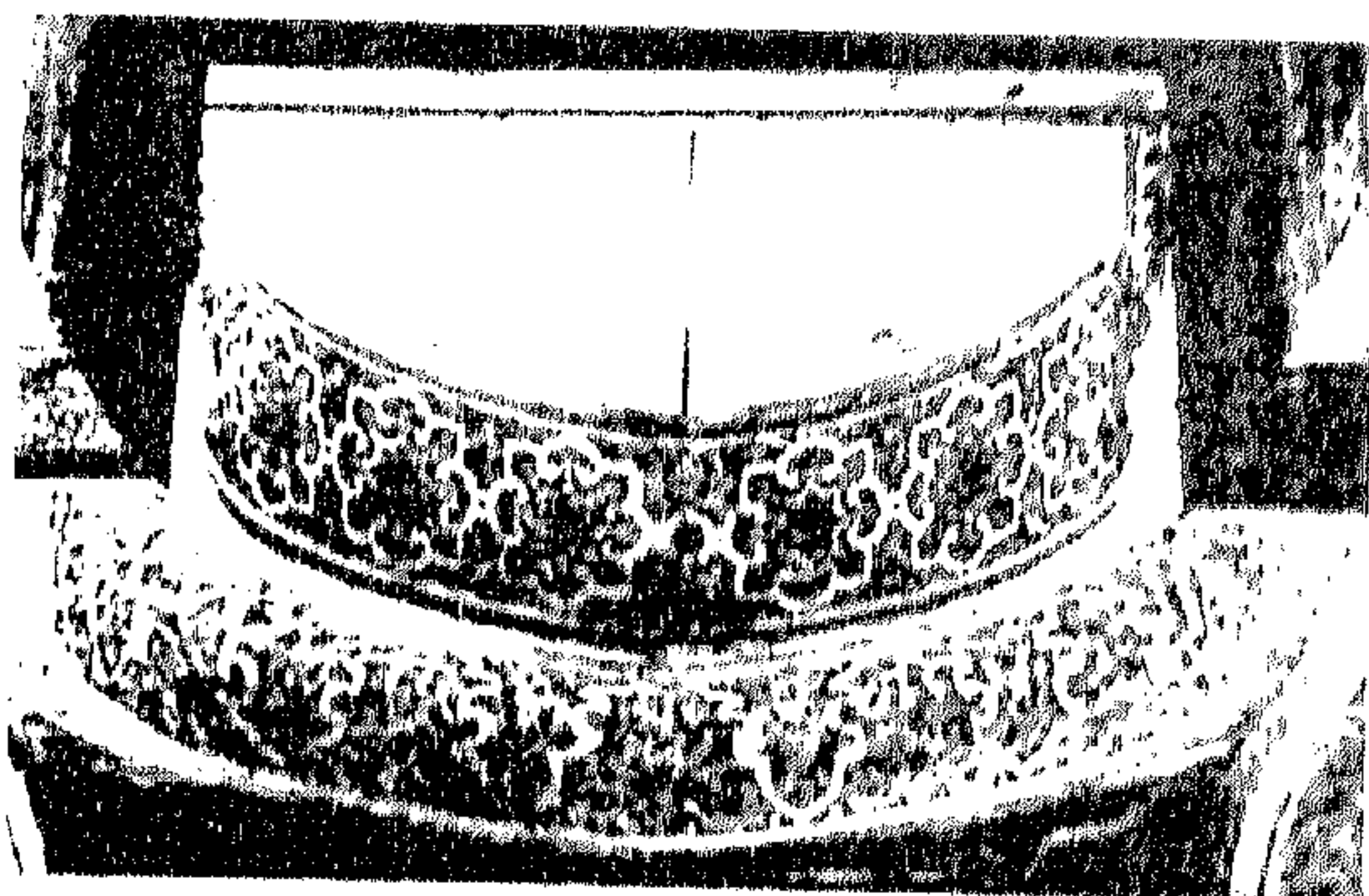
لوحة ٣٥ — الجانب الجنوبي للقبة من الداخل ونرى فيه الزخارف المتعددة التي تمشيه



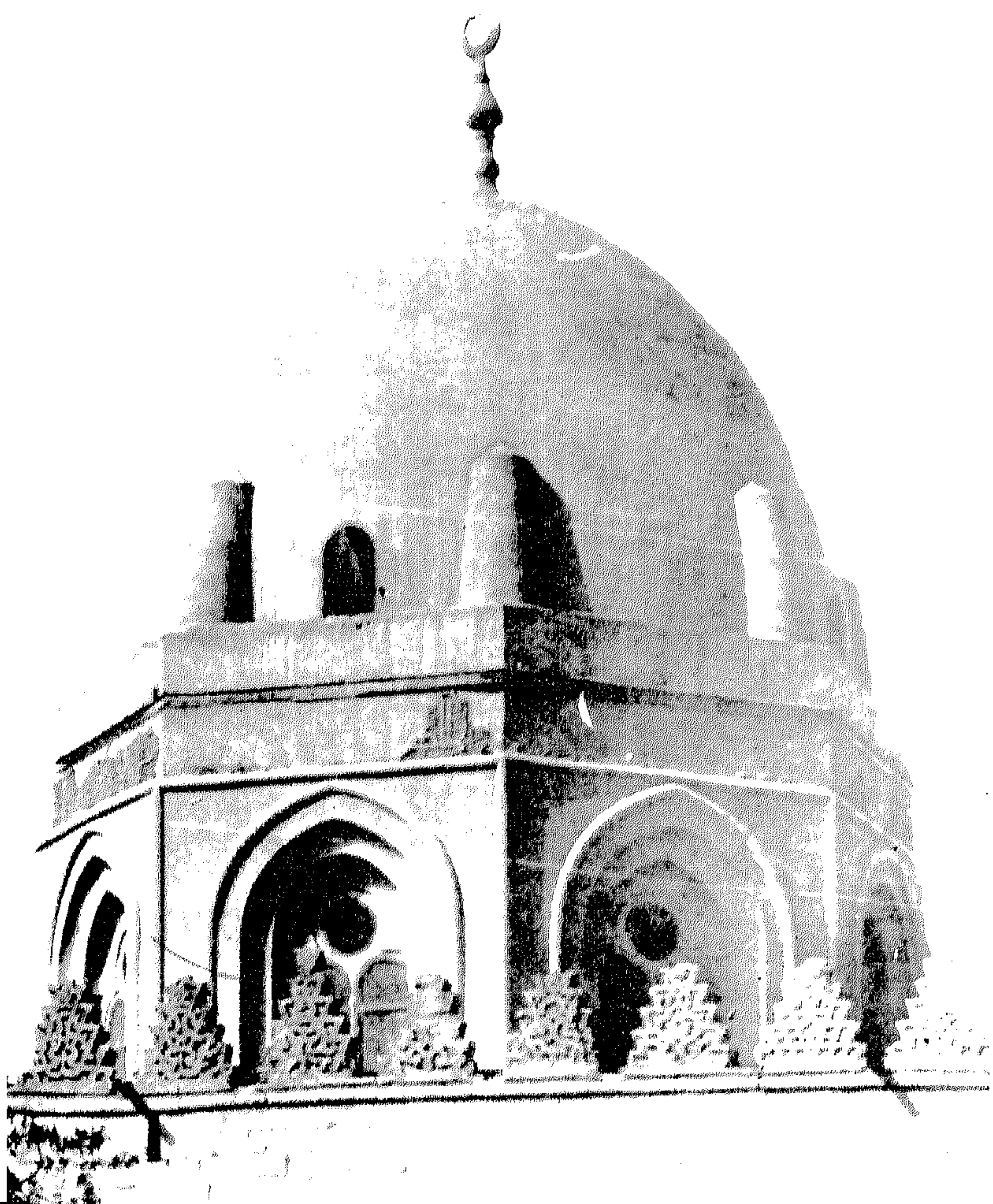


لوحة ٣٦ تفاصيل زخارف السام الجنوبي لقبة قلاوون

لوحة ٣٧ بقود المثلث الذي يحيط بعقبة قلاوون الذي يتوسط القبة



لوحة ٣٨ - وزرة رخامية تكتسو جدار
 قبة قلاوون بها كتابات كوفية
 مربعة مكونة من كلمة « محمد »
 مكررة أربع مرات



لوحة ٣٩ - قبة قلاوون من الخارج



لوحة ٤٠ - المدخل الرئيسي لمجموعة قلاوون



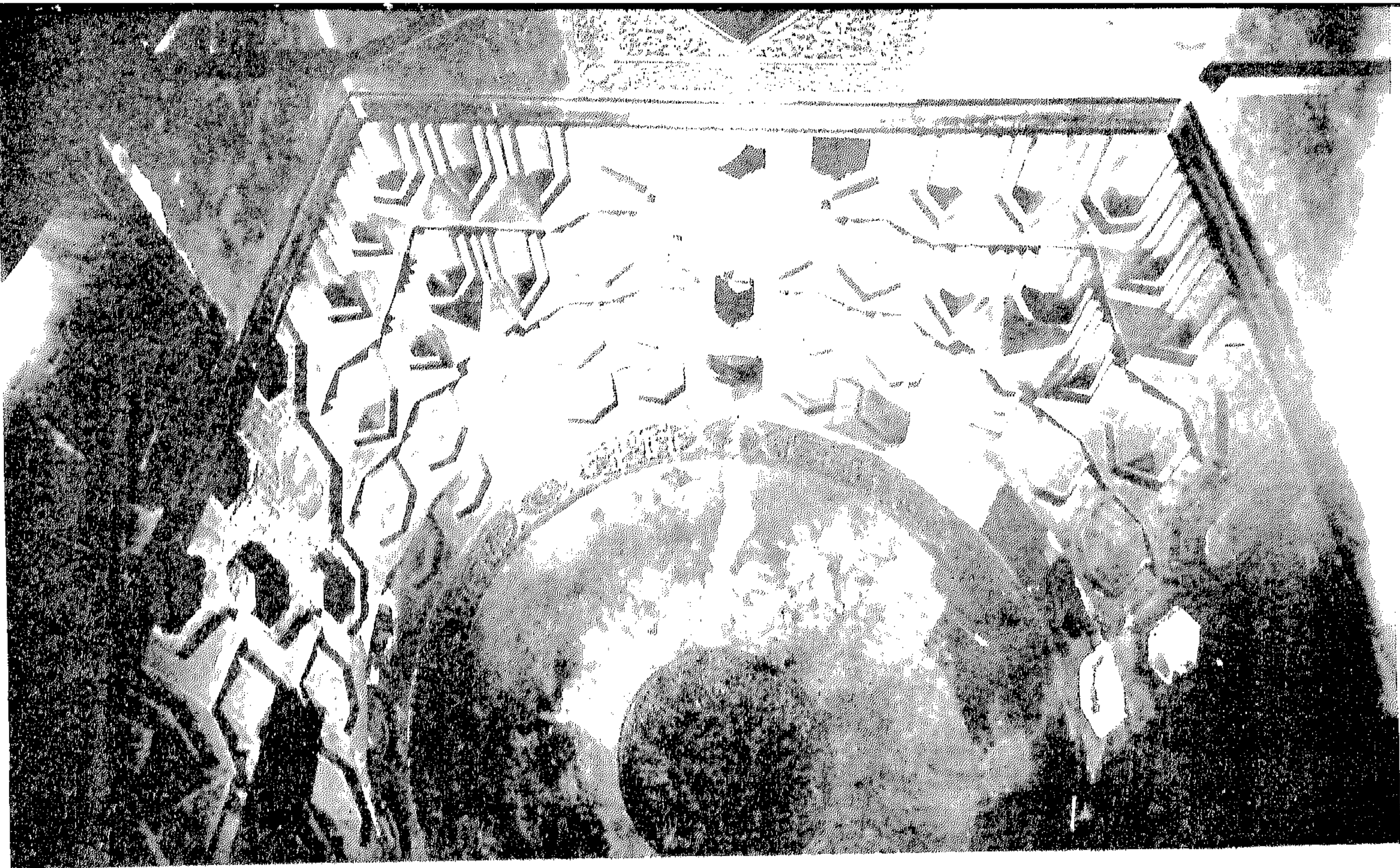
لوحة ٤١ - قبة قلاوون



▲ لوحة ٤٢ — مشهد المنصور قلاوون

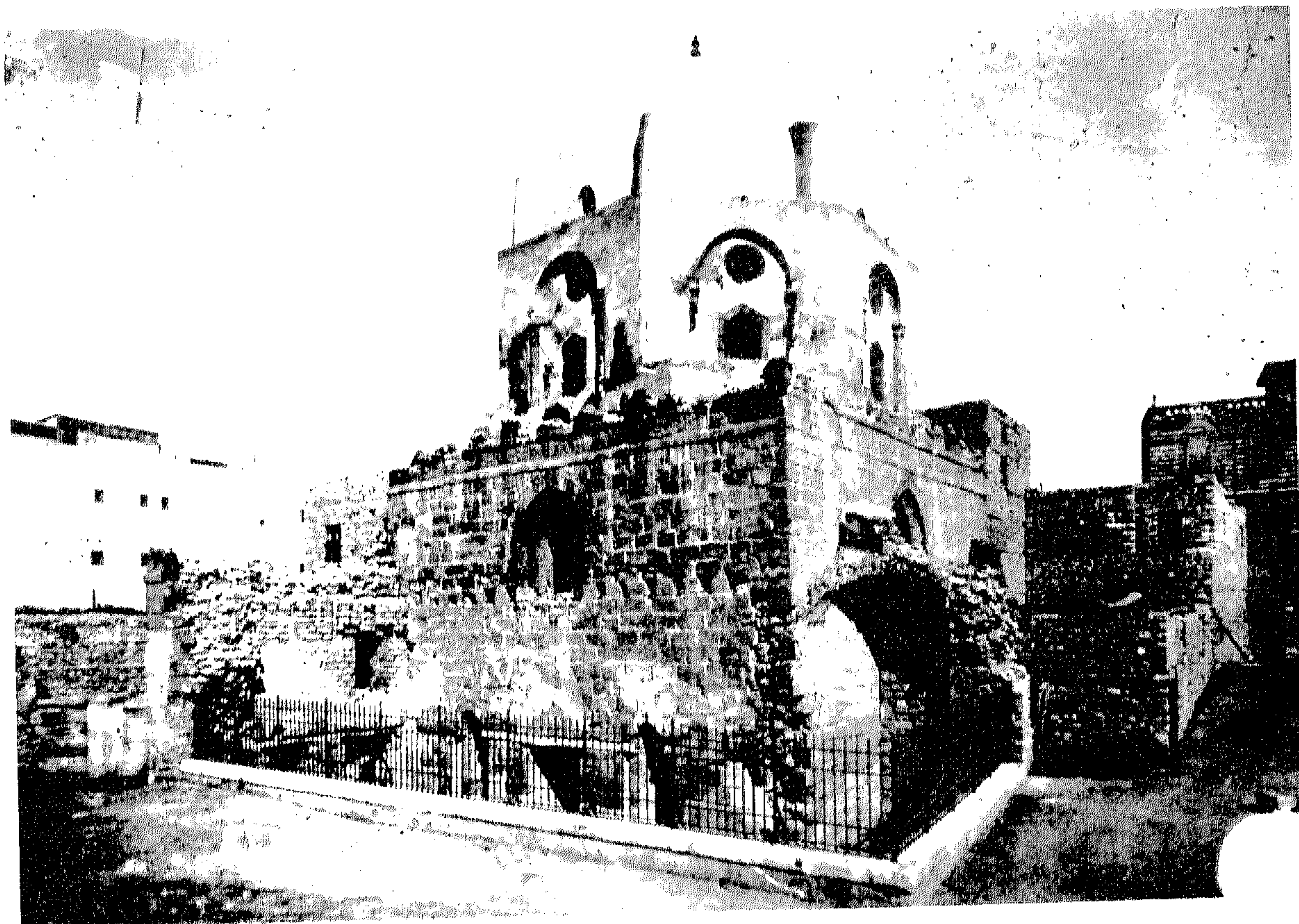


▶ لوحة ٤٣ — قبلة الأمير حسام الدين
طارنطاي من الخارج (١)



لوحة ٤٤ -- قبصة الأمير حسام الدين مارنطاي من الداخل ▲

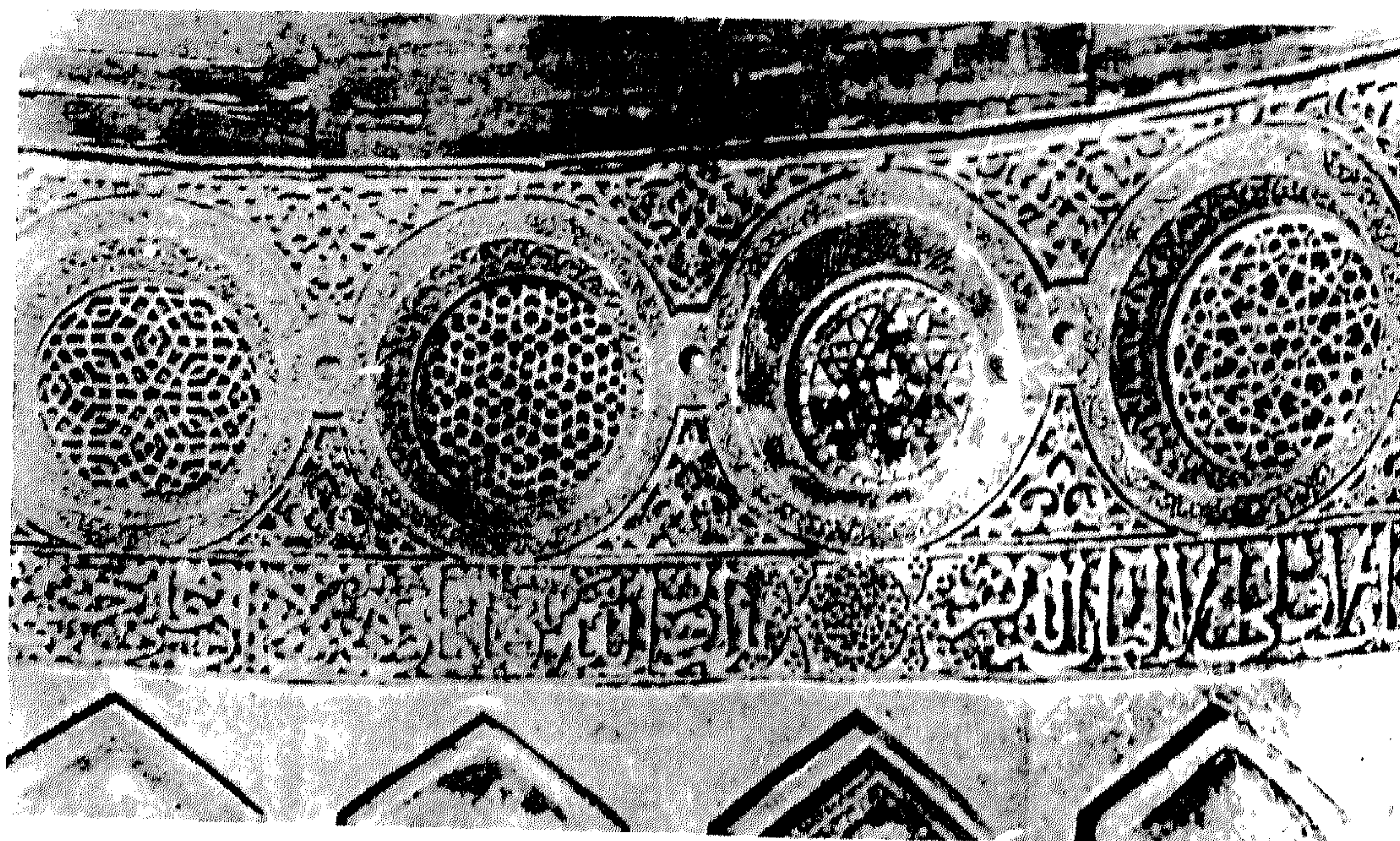
لوحة ٤٥ -- ضريح الأشرف خليل بن قلاوون ▼





لوحة ٤٦ - قبعة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ▲

لوحة ٤٧ - النقوش التي تزخر رقبعة قبعة ضريح الأشرف خليل ▼





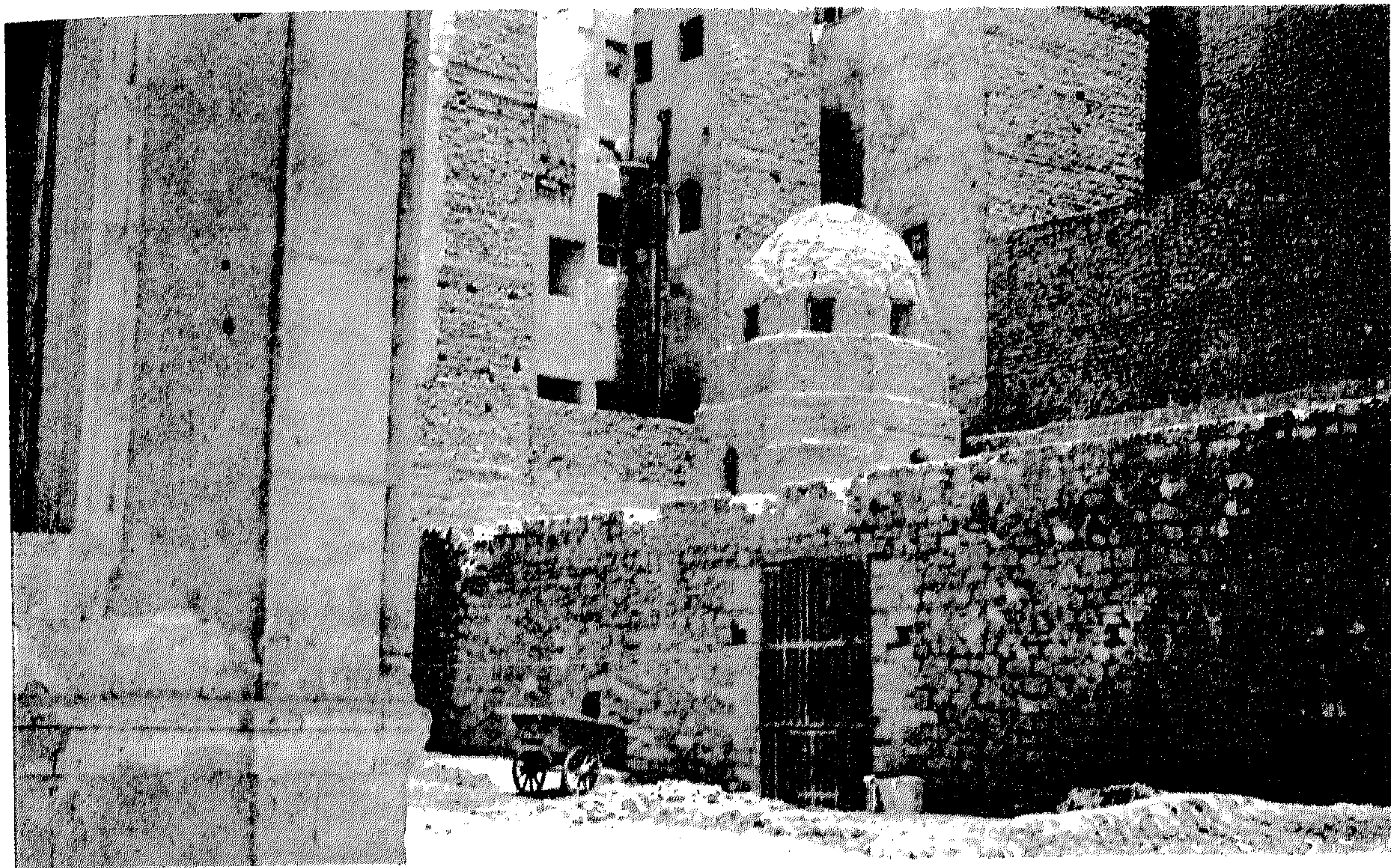
لوحة ٤٨ - قبلة الأشرف خليل



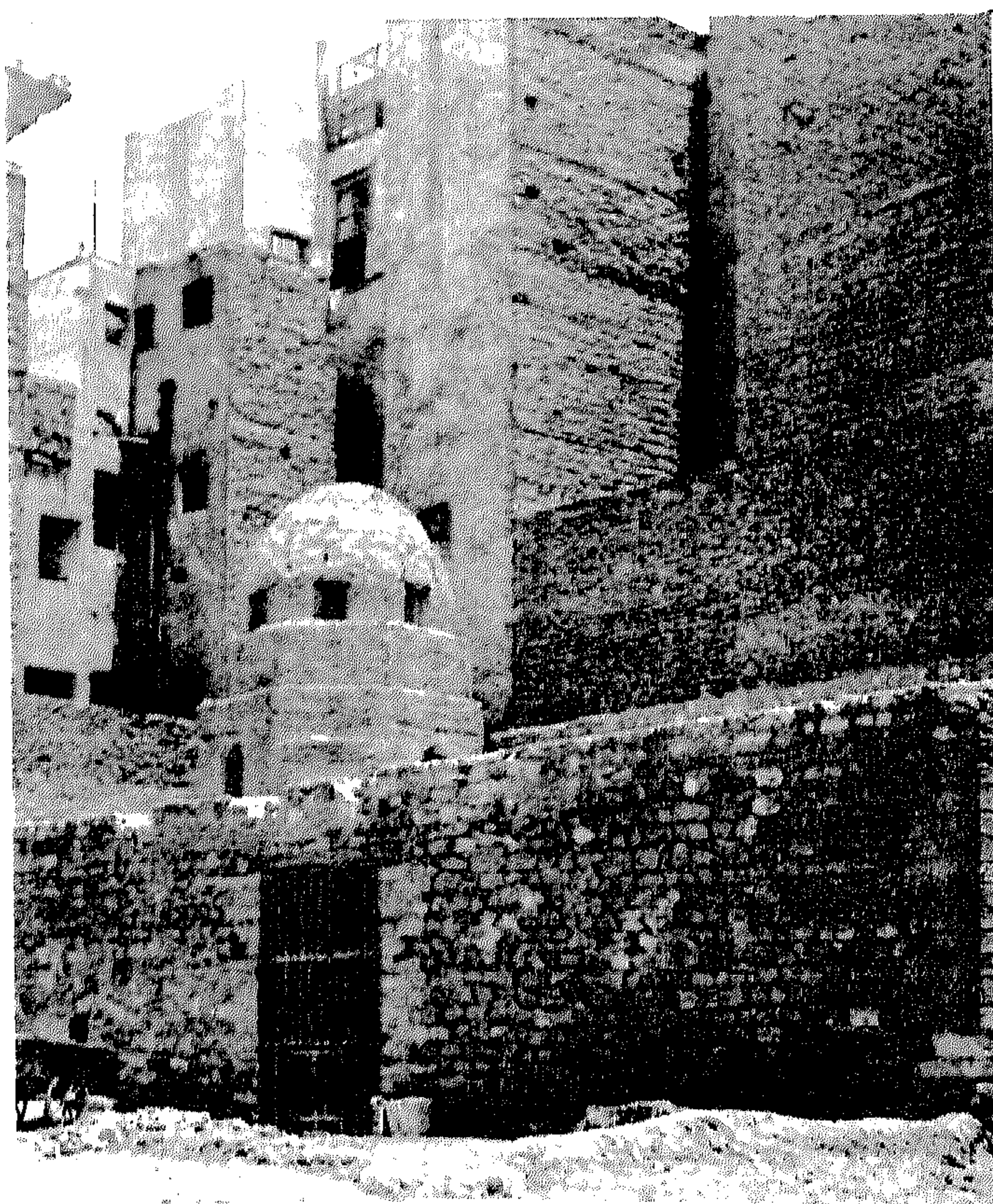
لوحة ٤٩ - ضريح أحمد بن سليمان الرفاعي

لوحة ٥٠ - زخارف محراب ضريح أحمد بن سليمان الرفاعي

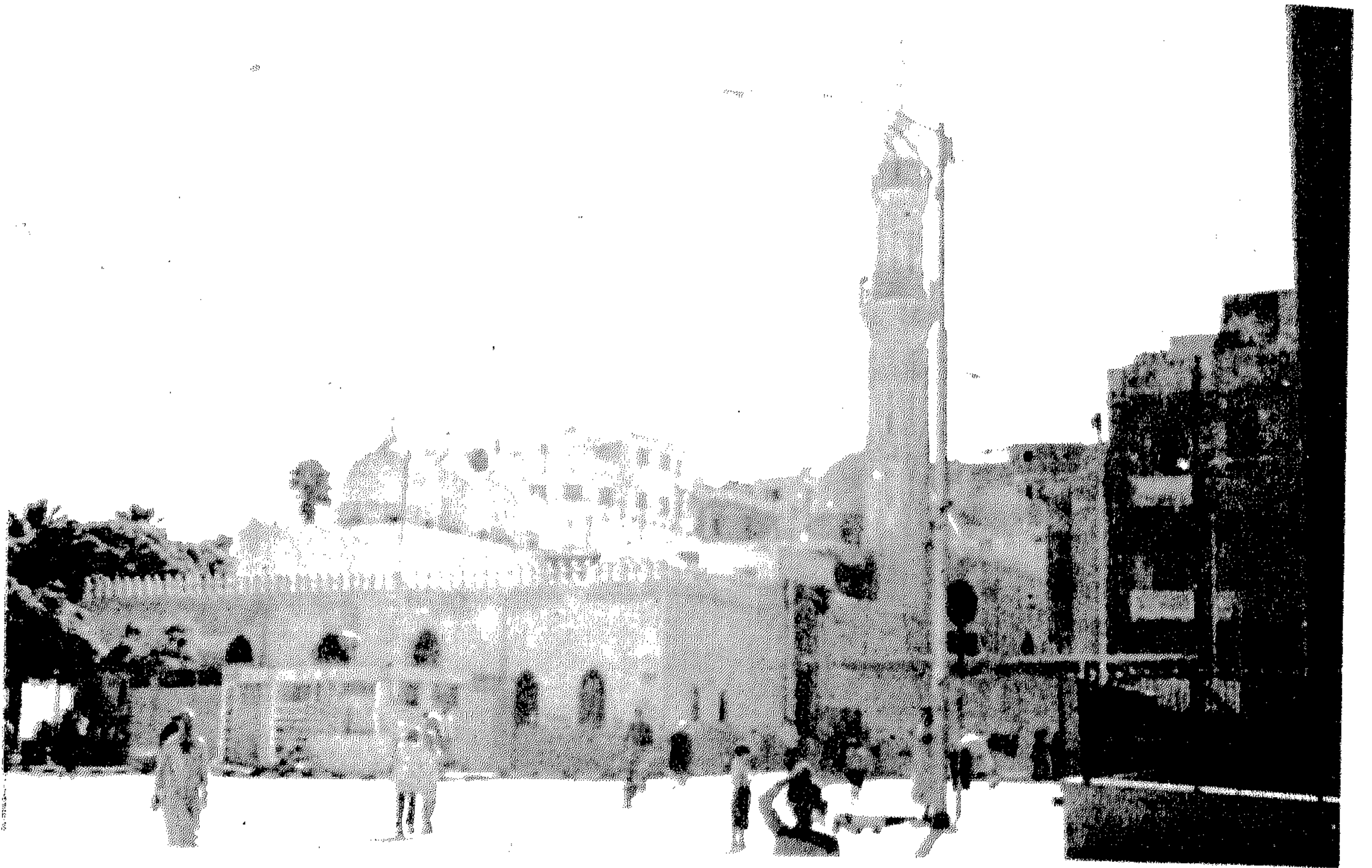




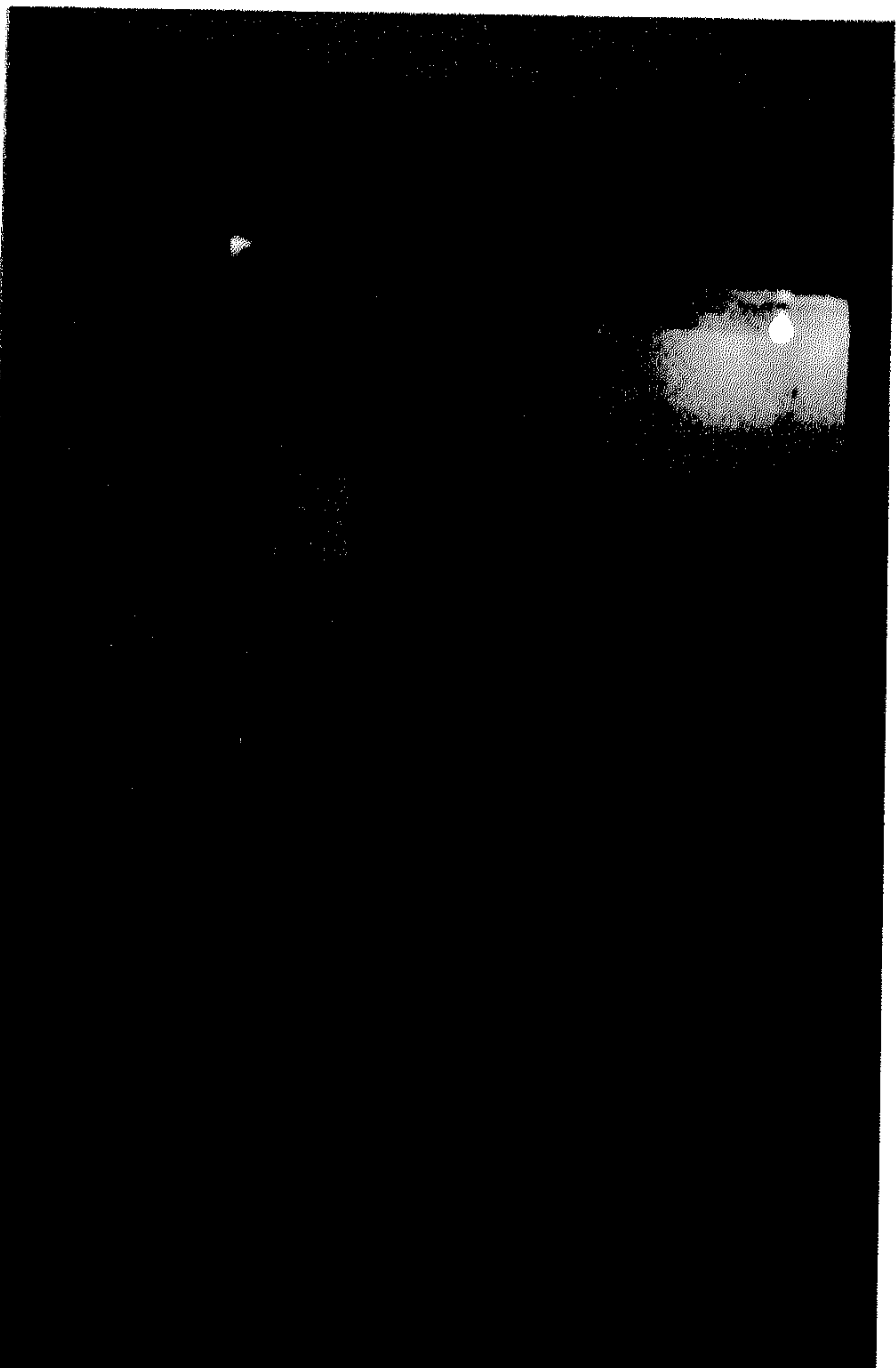
لوحة ٥١ — ضريح أحمد بن سليمان الرفاعي



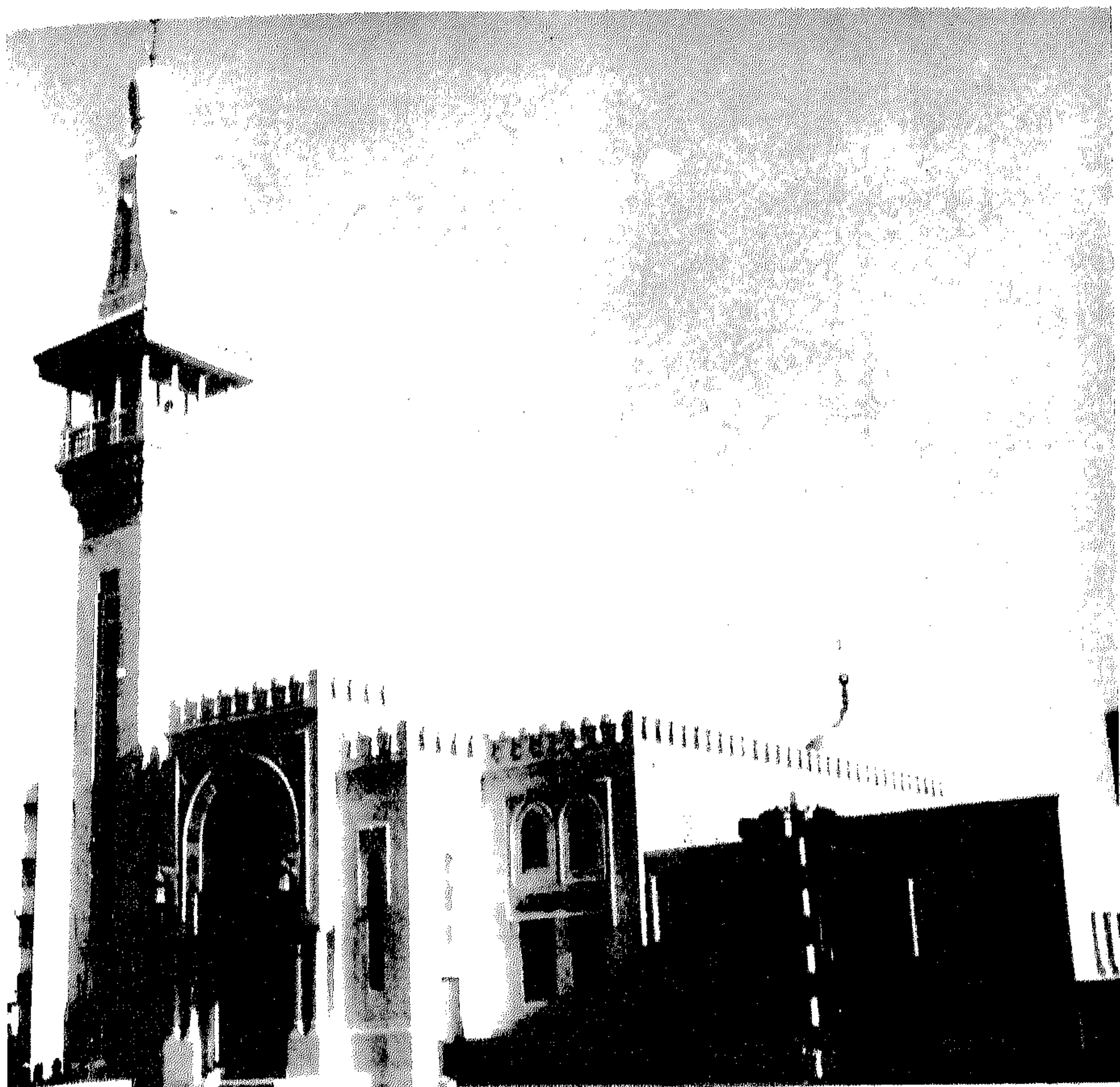
لوحة ٥٢ — ضريح أحمد بن سليمان الرفاعي



لوحة ٥٣ واجهة مسجد الأباصيرى بالاسكندرية



لوحة ٥٤ مقصورة الأباصيرى



لوحة ٥٥ - الواجهة الرئيسية
لمسجد سيدى جابر



لوحة ٥٦ - مسجد سيدى جابر من الداخل



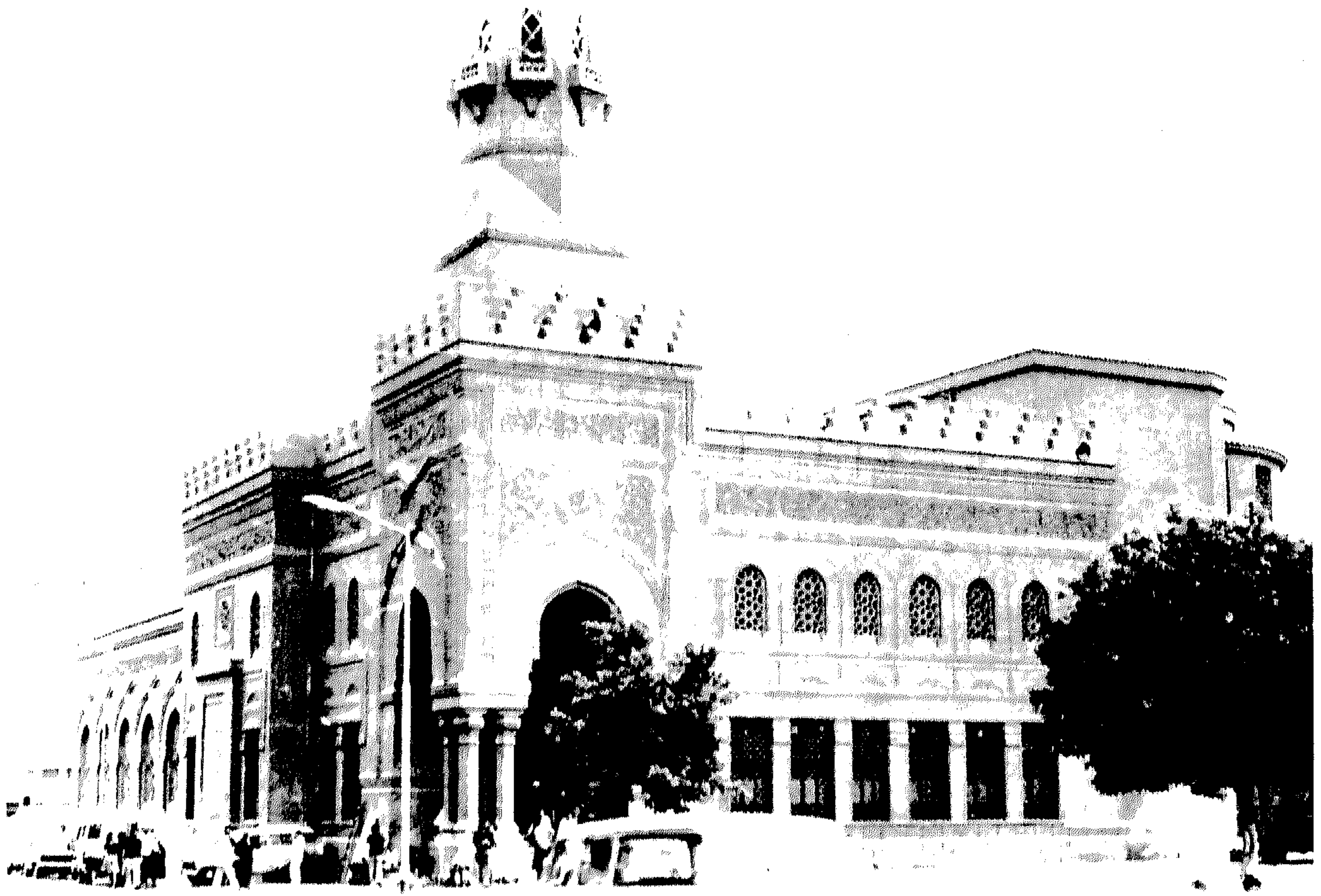


لوحة ٥٧ - المقصورة المعدنية لسيدي جابر

لوحة ٥٩ - مشكاة جامع الدريني

لوحة ٥٨ - جامع الدريني بالقصر العيني



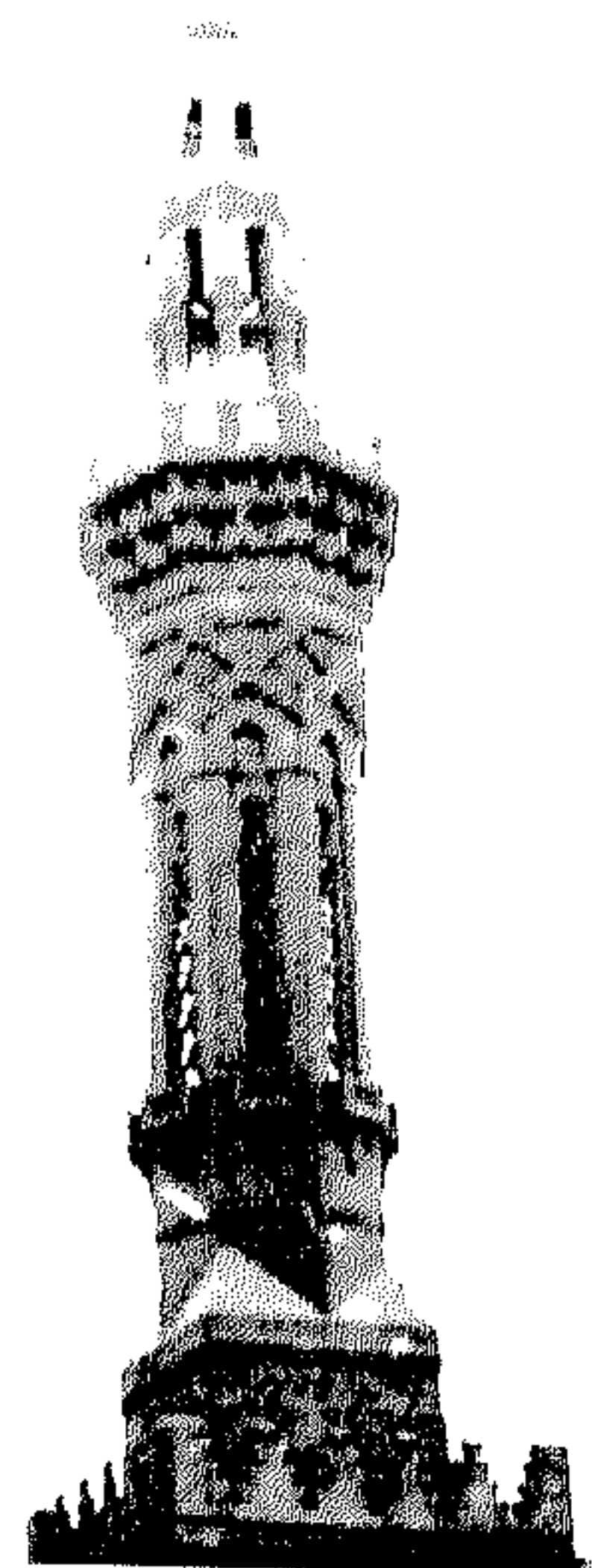


لوحة ٦٠ - جامع عمر مكرم بميدان التحرير

لوحة ٦٢ - ضريح ابن دقيق العيد
بالقرافة الكبرى بجبل المقطم



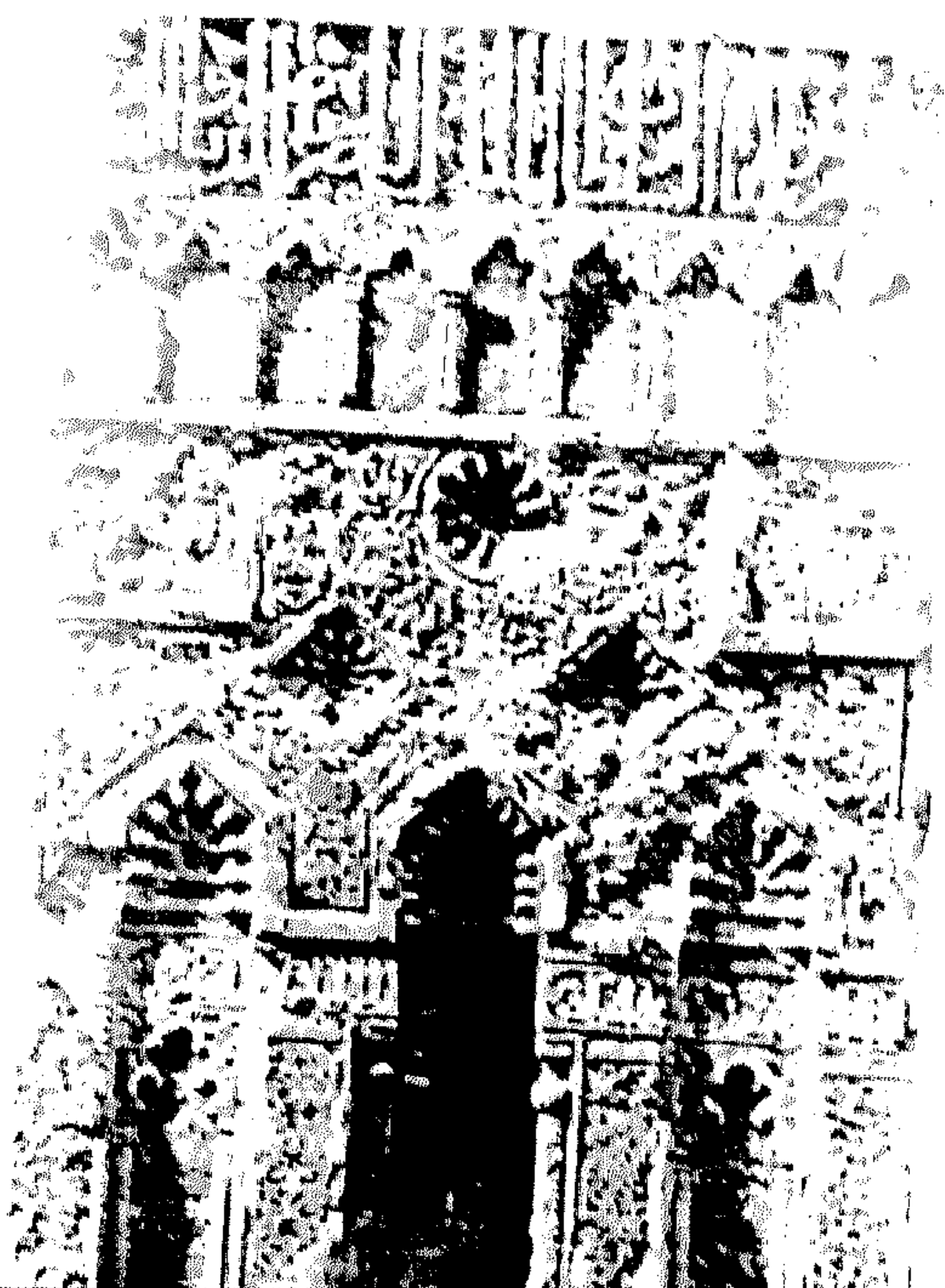
لوحة ٦١ - مئذنة جامع عمر مكرم





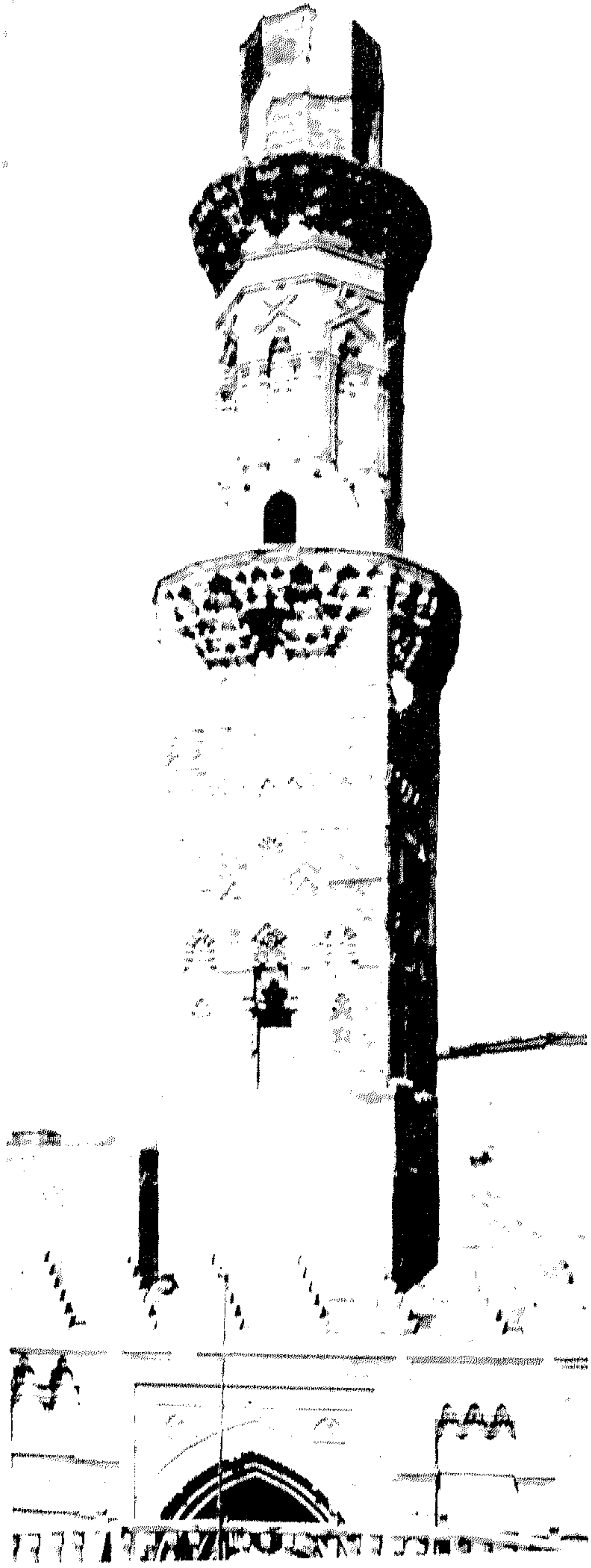
لوحة ٦٣ - الواجهة الرئيسية لمدرسة الناصر محمد بن قلاوون

لوحة ٦٥ - زخارف جصية تغطي واجهة القبلة بمدرسة الناصر محمد



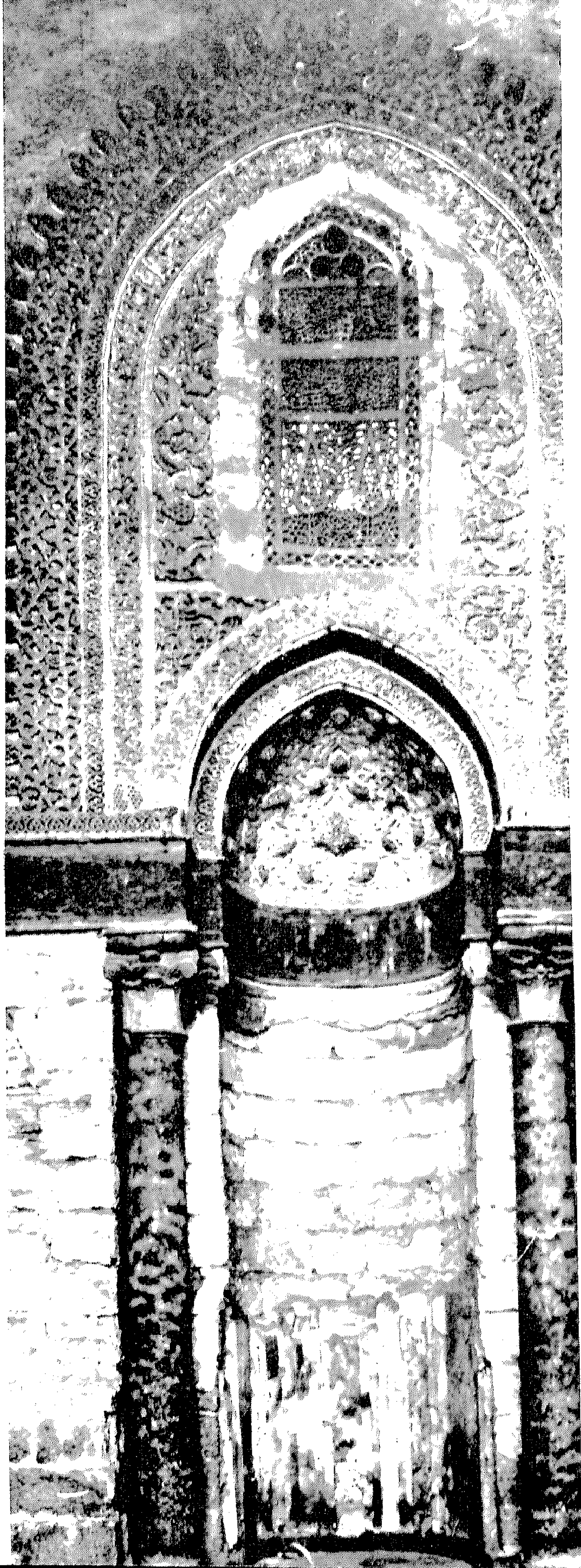
لوحة ٦٤ - صحن مدرسة وضريح الناصر محمد بن قلاوون





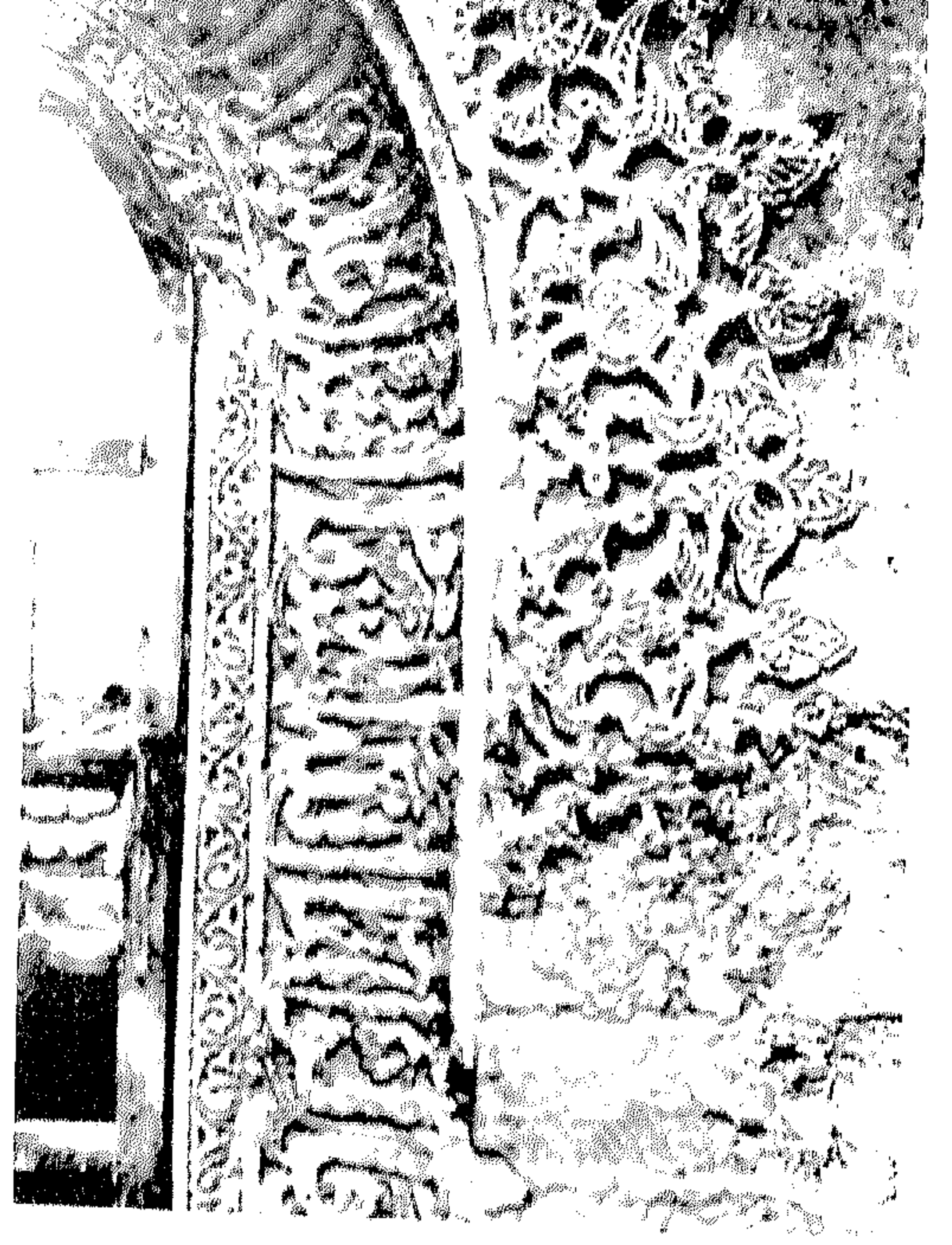
لوحة ٦٧ - مثناة مدرسة الناصر محمد

لوحة ٦٦ - محراب المدرسة الناصرية





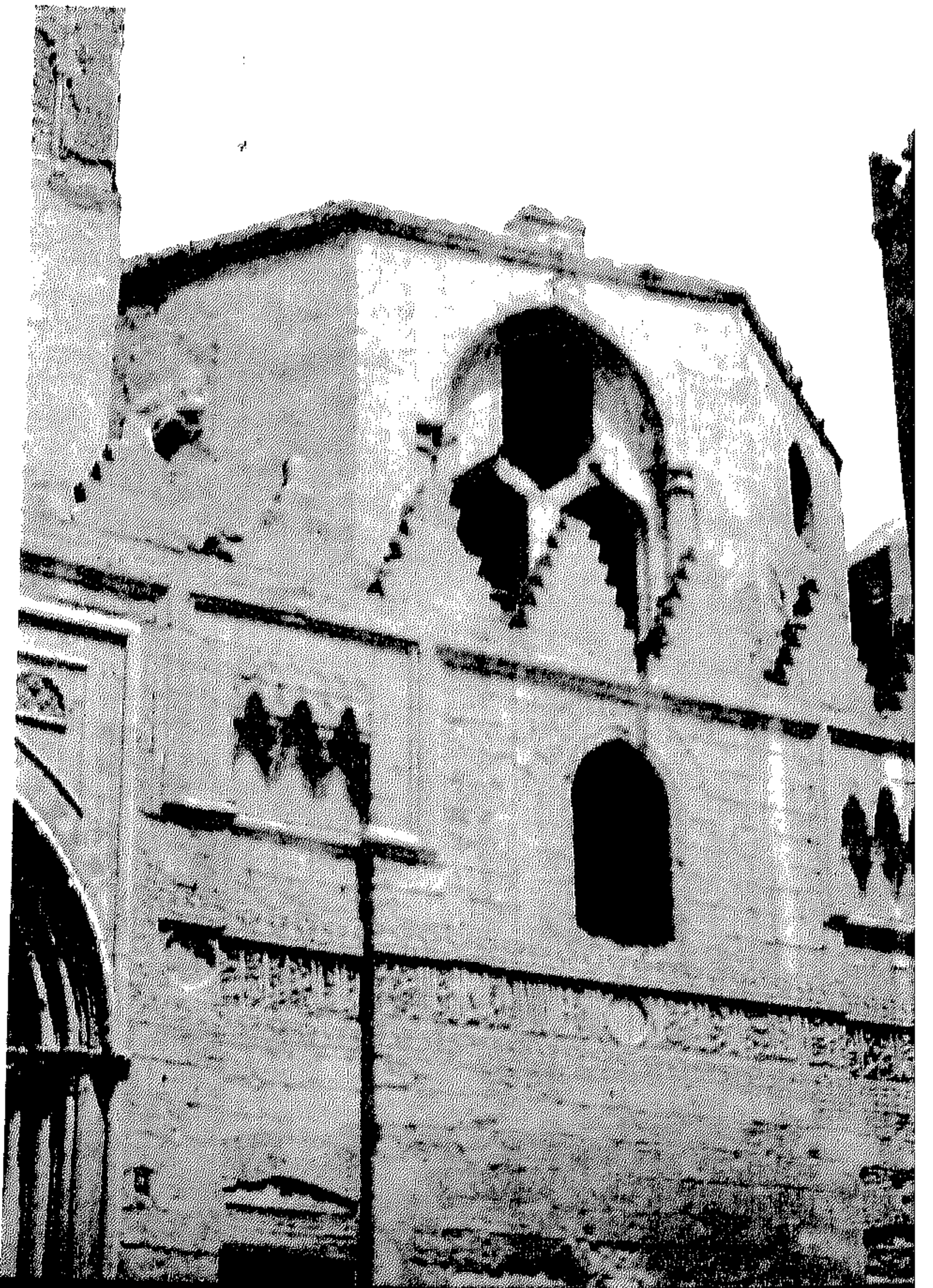
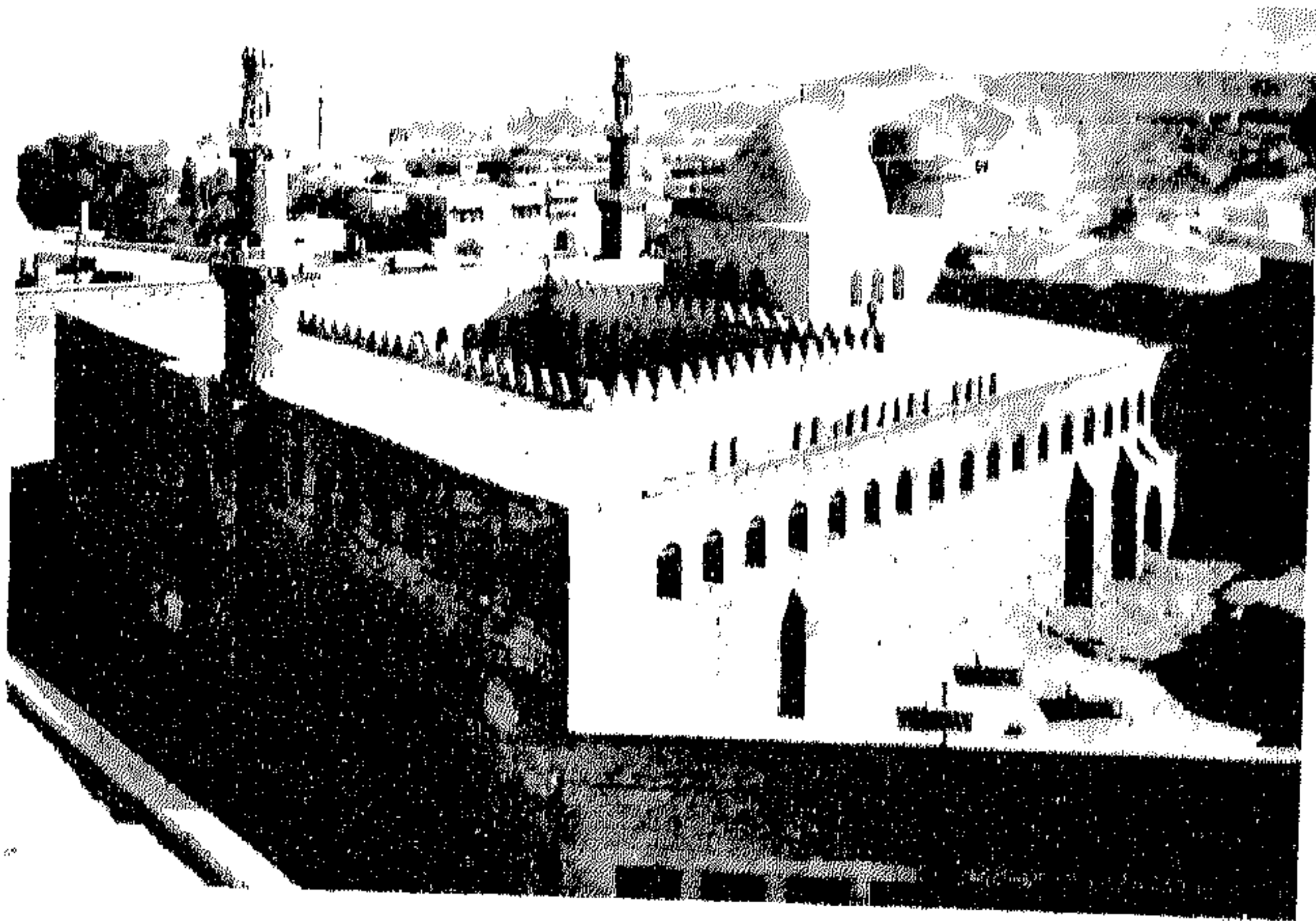
لوحة ٦٩ -- المدخل الرئيسي للمدرسة الناصرية

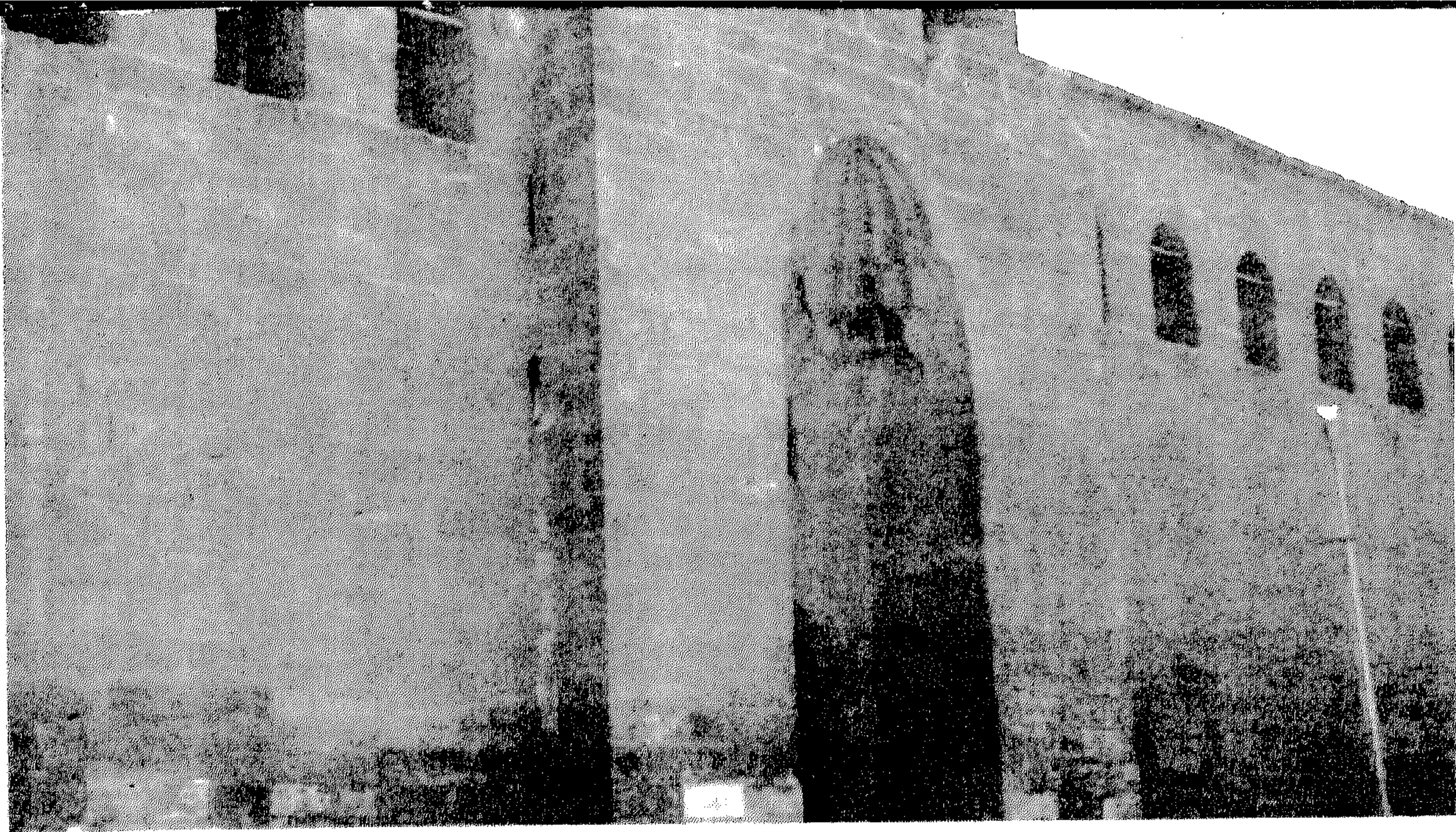


لوحة ٦٨ -- الزخارف الجصية التي تحيط بنافذة
الإيوان الشاهي القرب بالمدرسة الناصرية

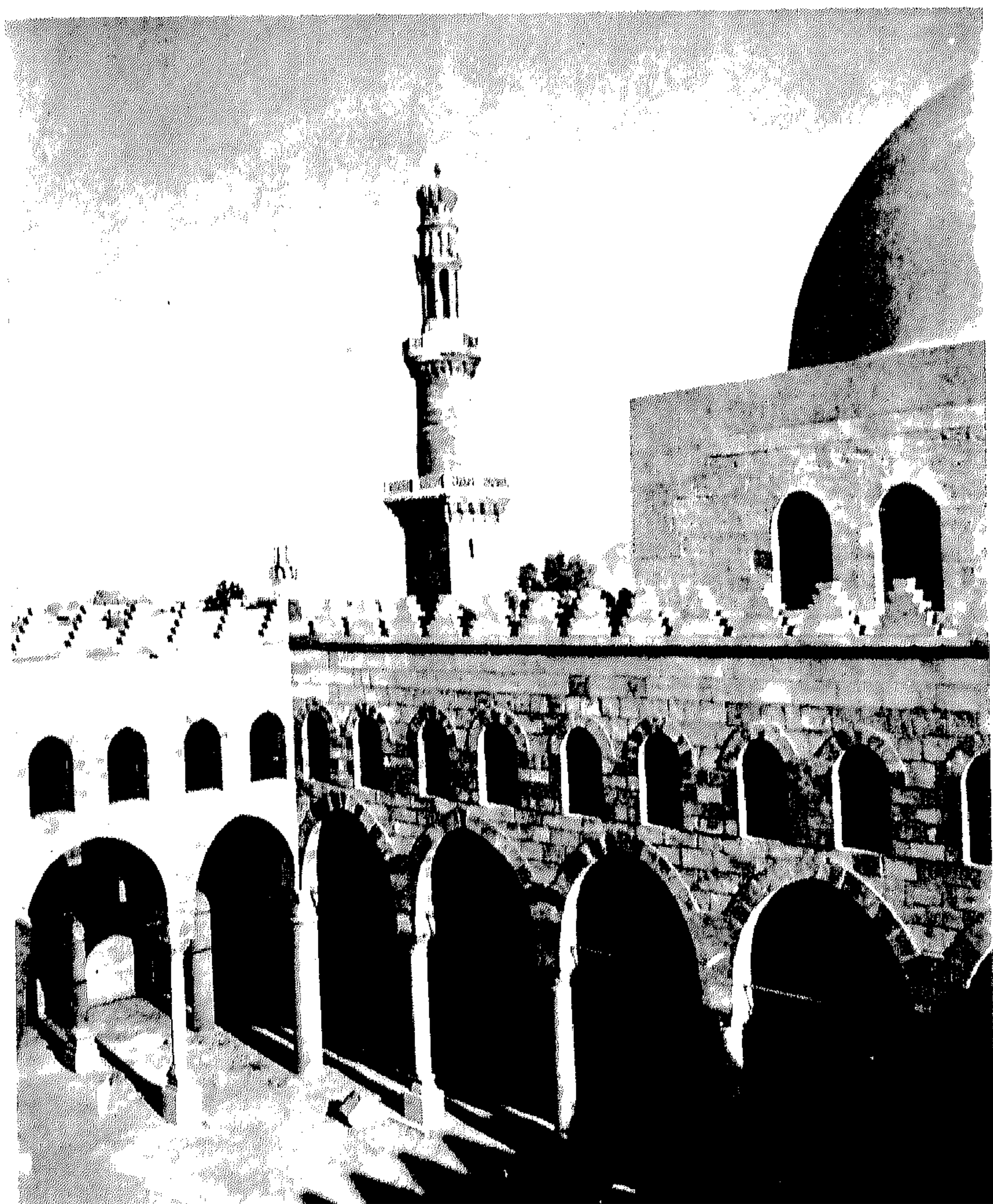
لوحة ٧٠ -- رقبسة قبة الناصر محمد

لوحة ٧١ -- جامع الناصر محمد بالقلعة





لوحة ٧٢ - المدخل الرئيسي لجامع الناصر محمد



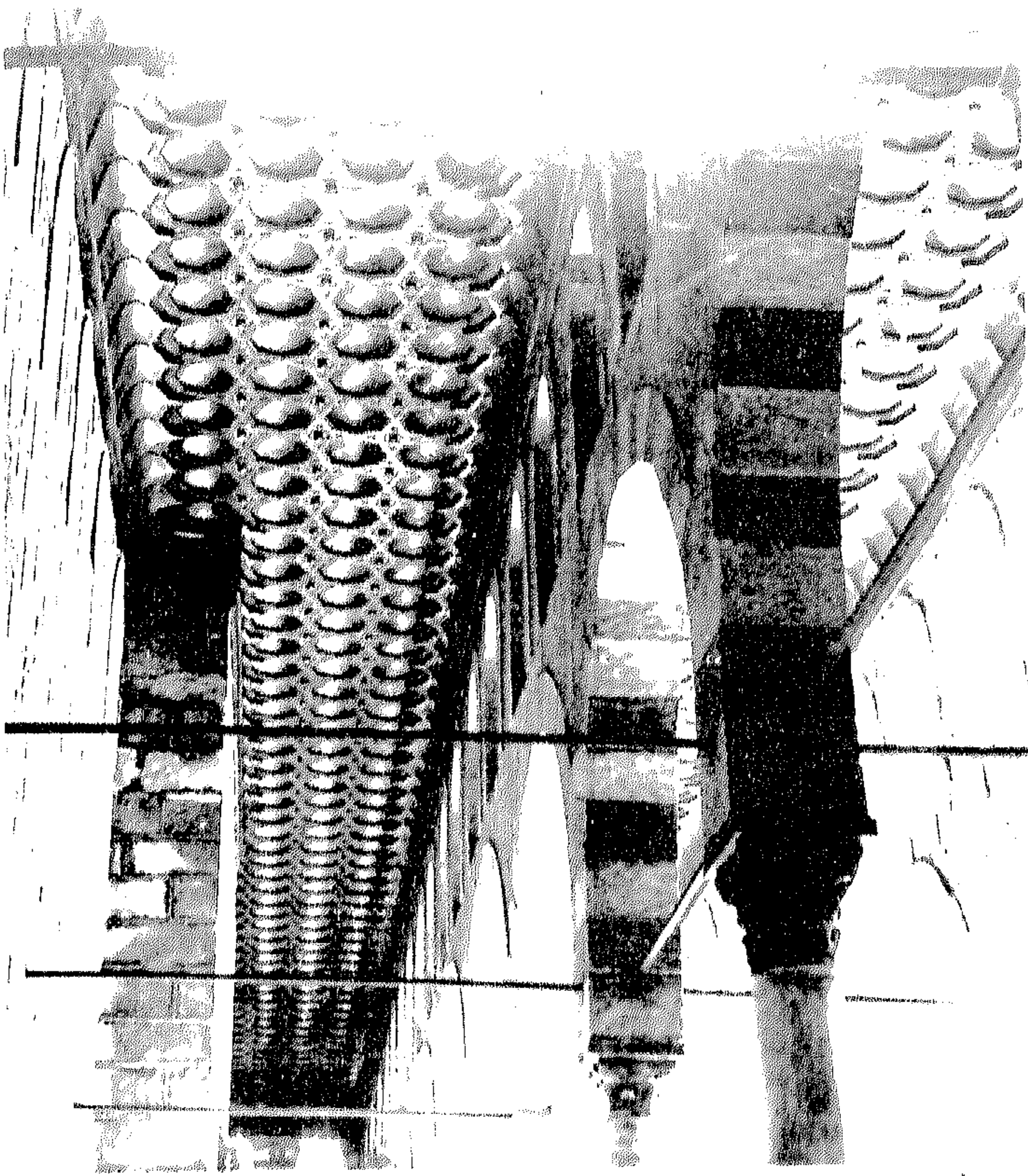
لوحة ٧٣ - صحن جامع الناصر محمد



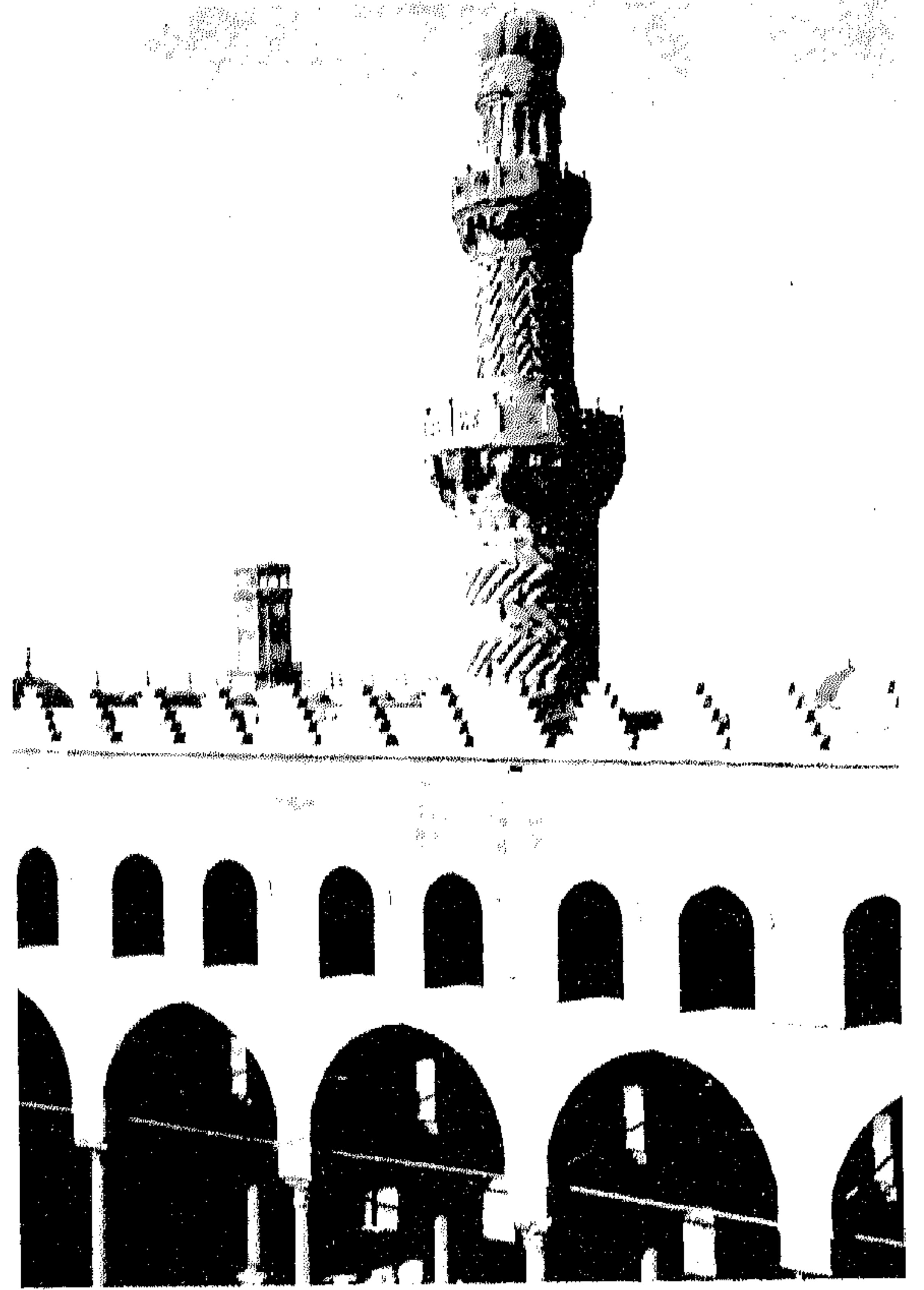
▲ لوحة ٧٤ - داخل جامع الناصر محمد

▼ لوحة ٧٥ - واجهة إيوان القبلة



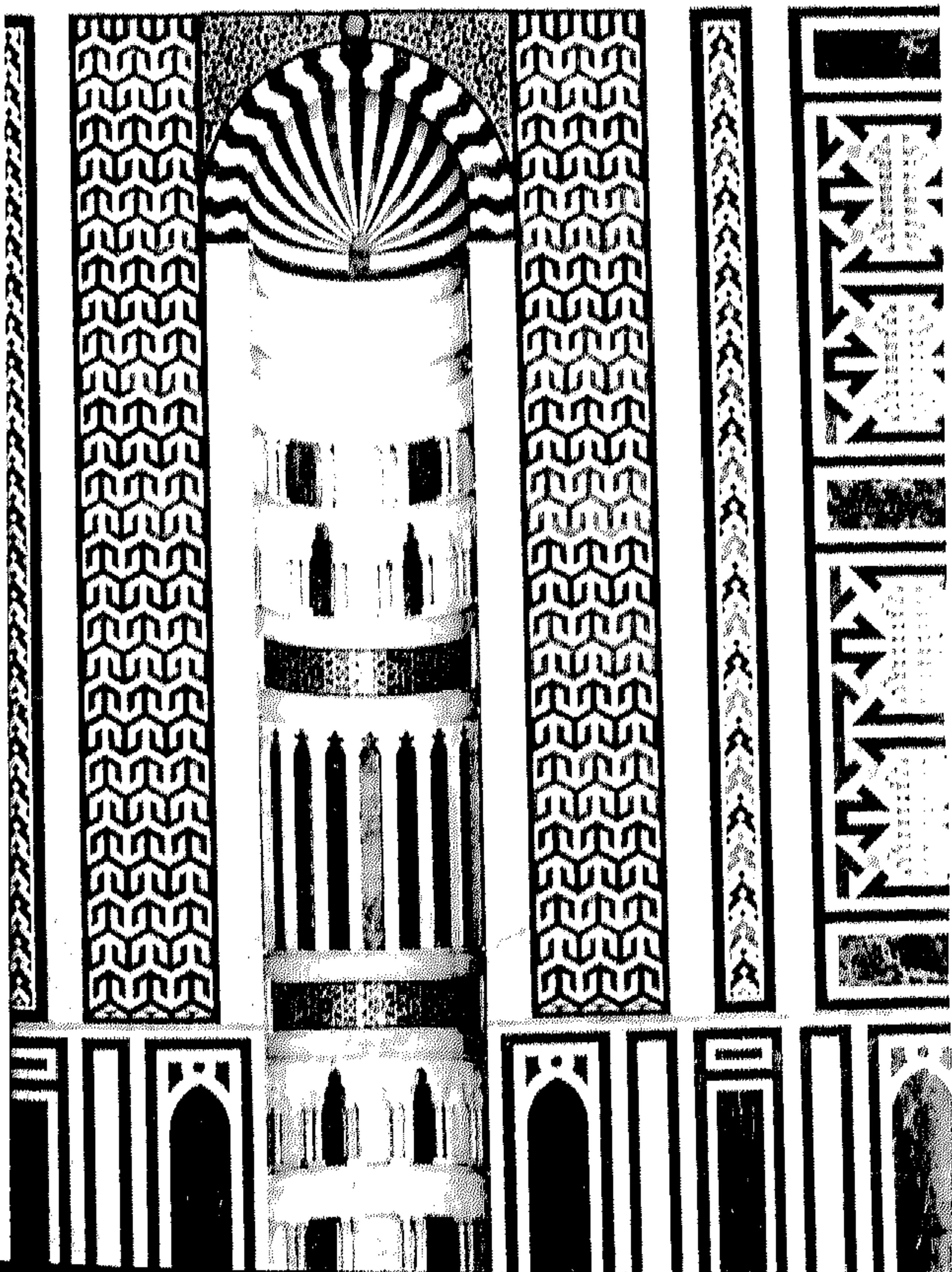


لوحة ٧٧ - سقف الأروقة بجامع الناصر محمد

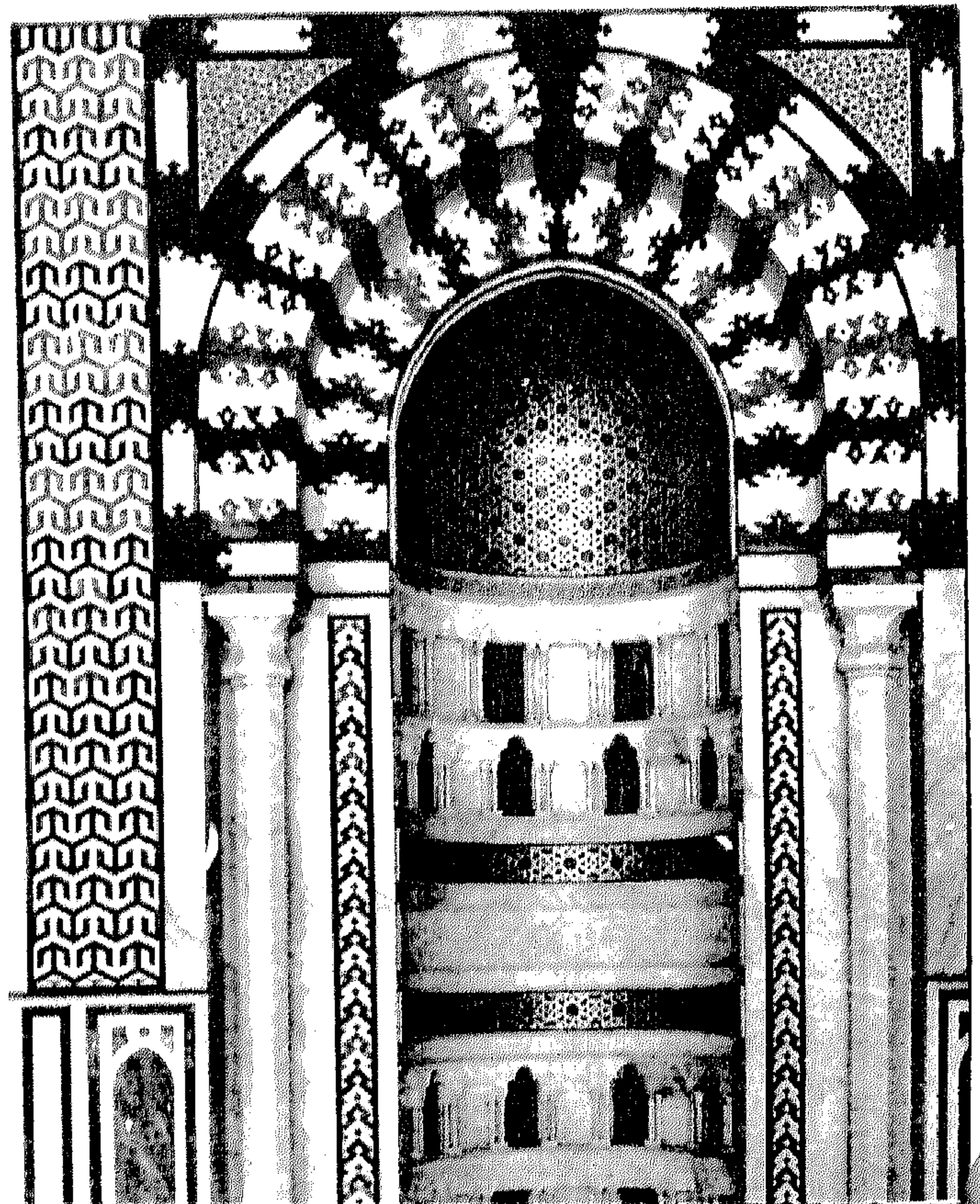


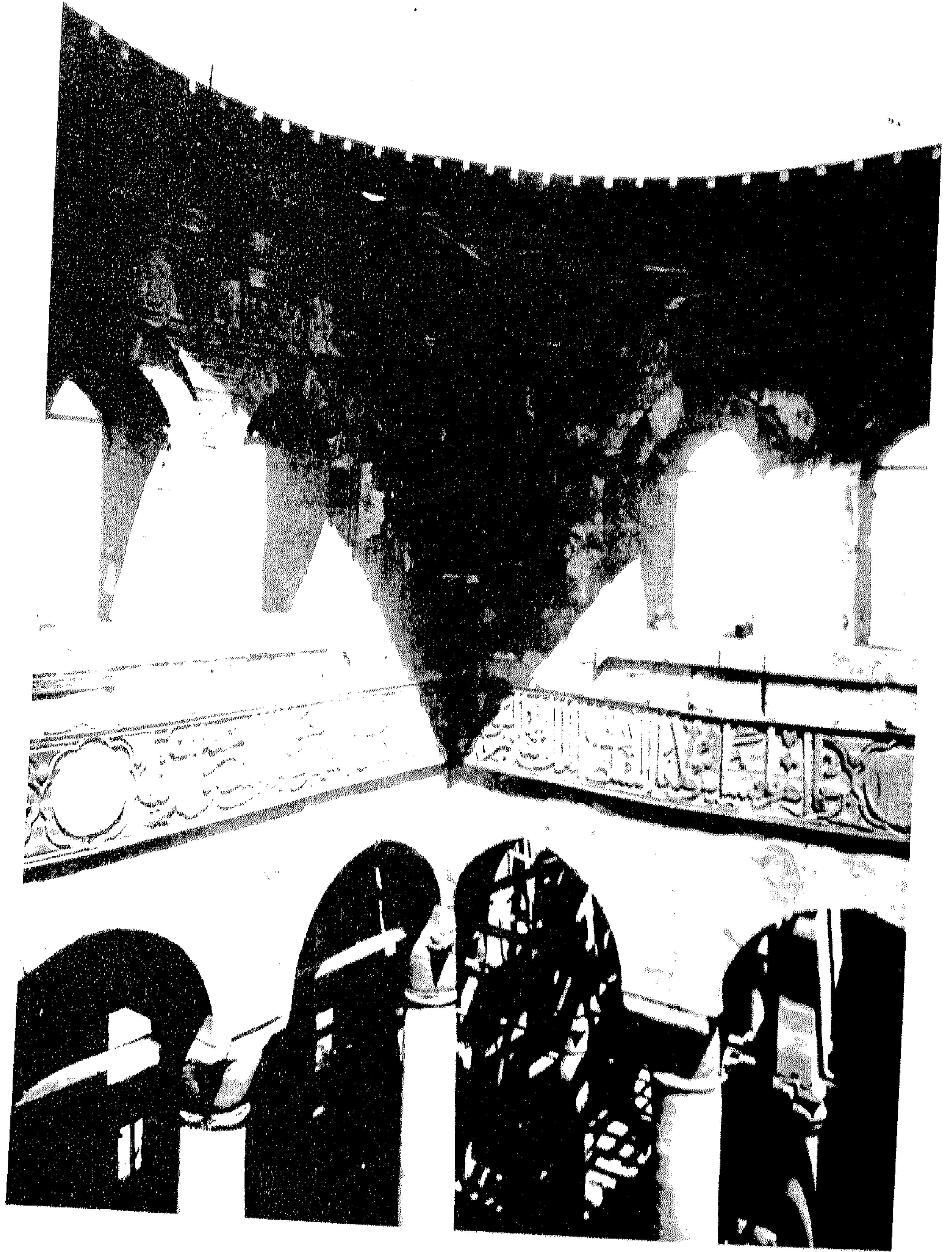
لوحة ٧٦ - واجهة الايوان الغربى لجامع الناصر محمد

لوحة ٧٩ - محراب ثانوى بجامع الناصر محمد



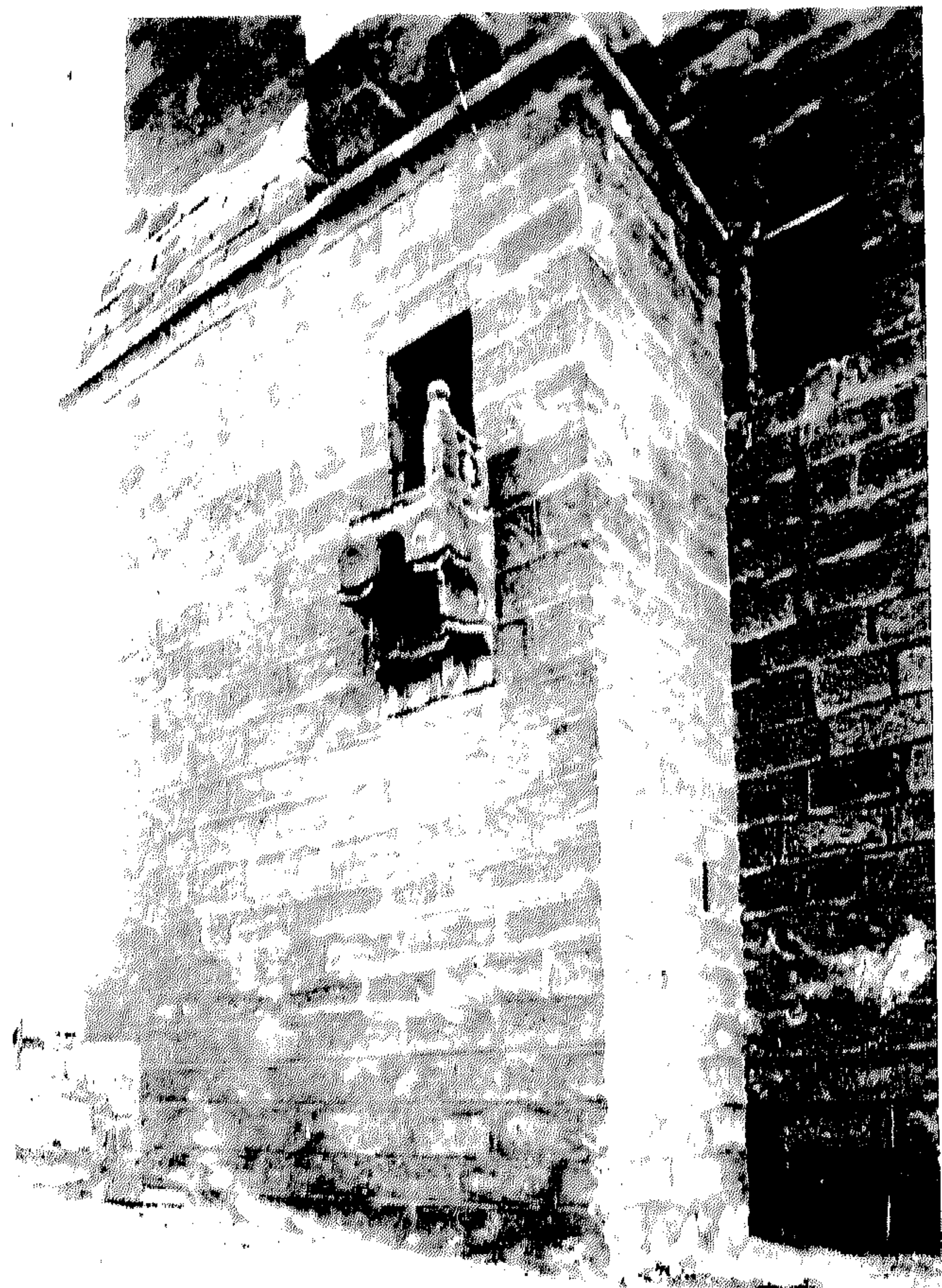
لوحة ٧٨ - محراب جامع الناصر محمد





لوحة ٨٠ - مقرنصات القبة التي تتقدم محراب الجامع وقد ظهر تحتها
شريط من الكتابة عليه اسم السلطان الناصر محمد

لوحة ٨١ - الشبابيك الجصية بجامع الناصر محمد من الداخل



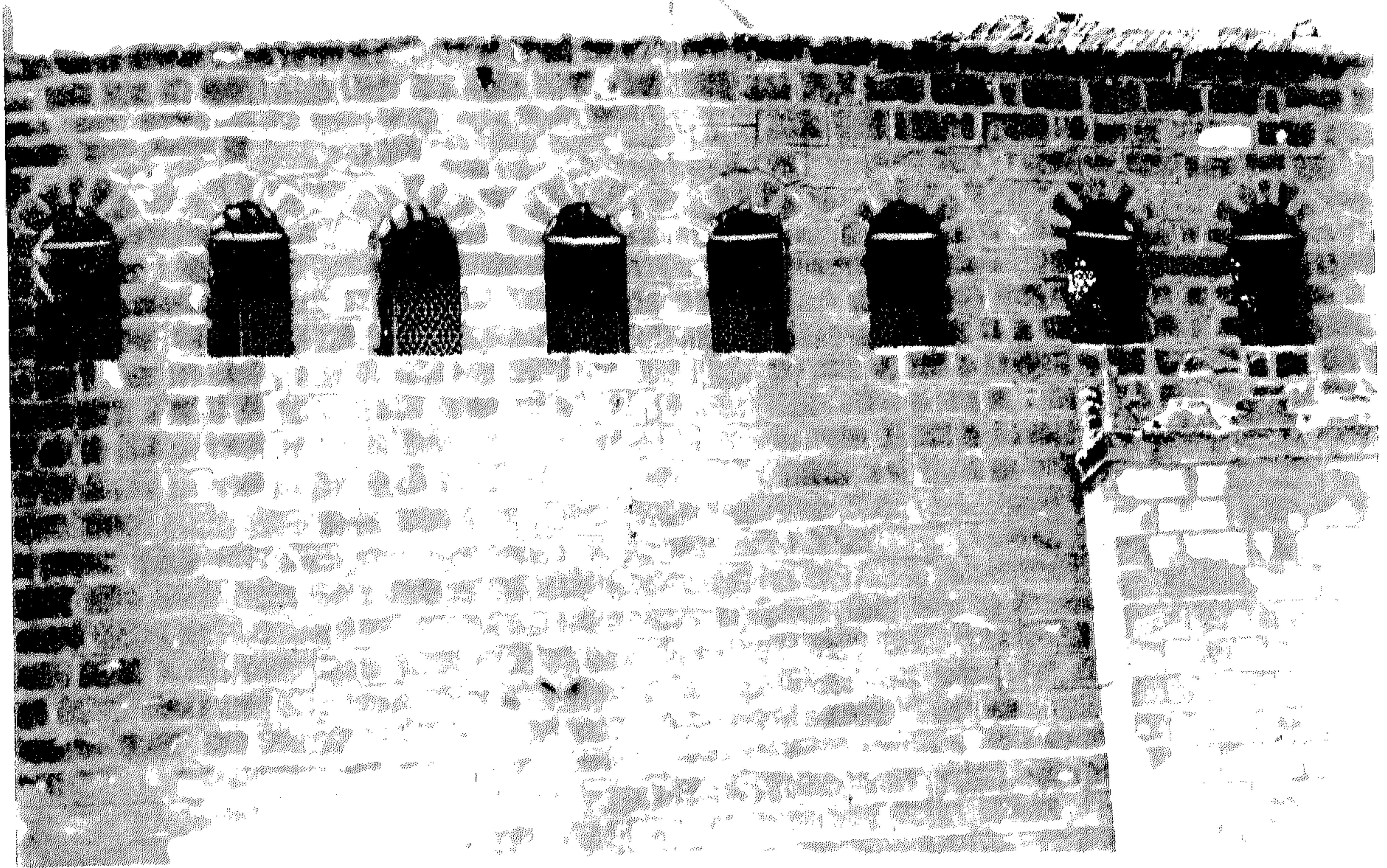
لوحة ٨٢ - شرفة مثلثة بجامع الناصر محمد



لوحة ٨٣ - تفصيل شرفة مئذنة جامع الناصر محمد ▲



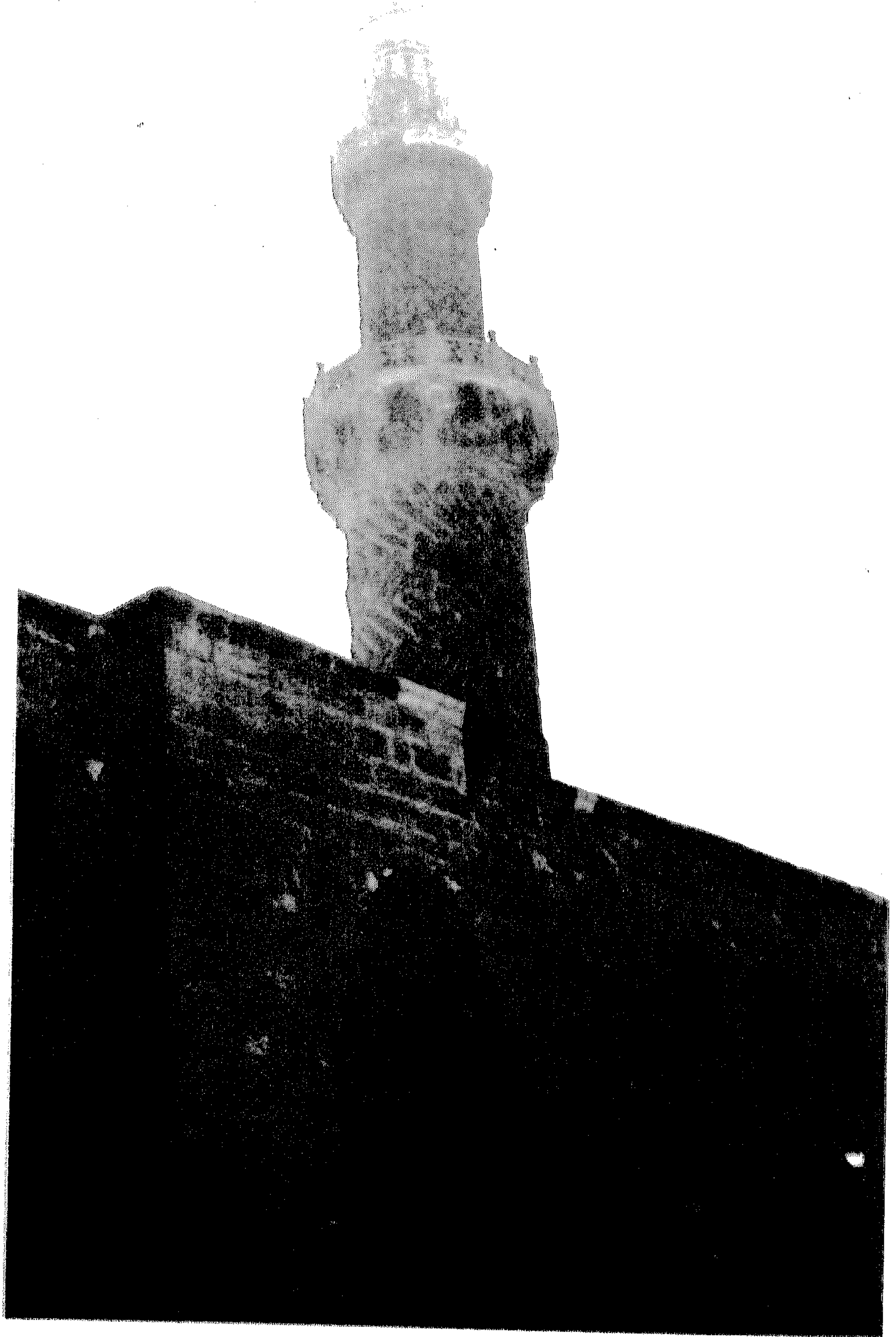
لوحة ٨٤ - تاج عمود بـايوان القبلة ►



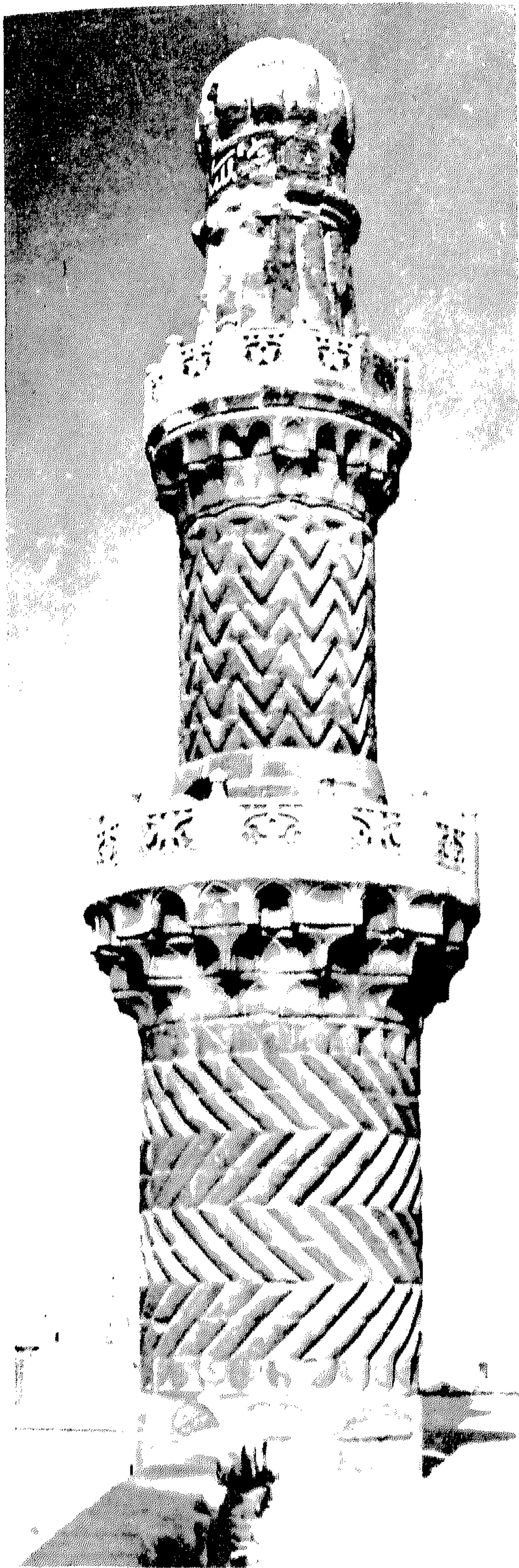
لوحة ٨٥ - جدار القبلة من الخارج



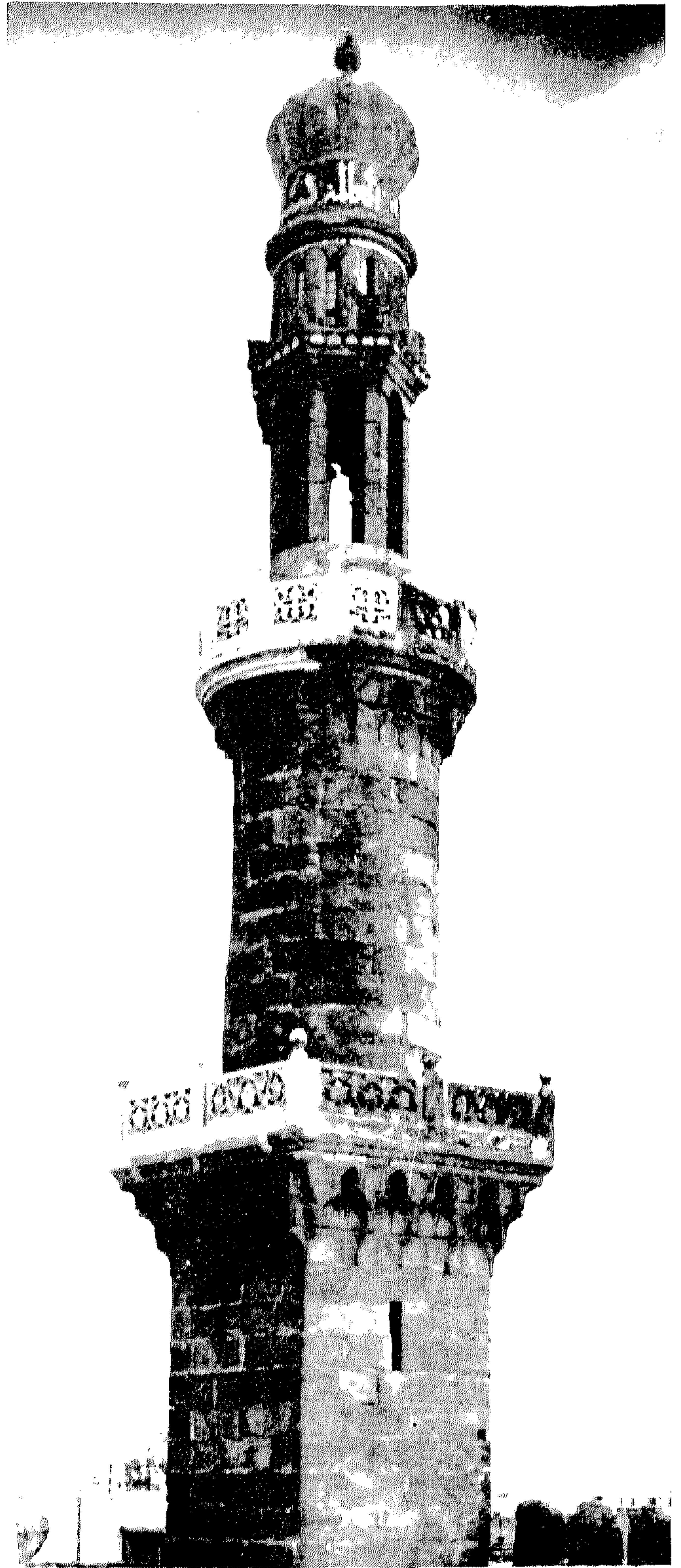
لوحة ٨٦ - شرافه تعلو أحد أركان جامع الناصر محمد



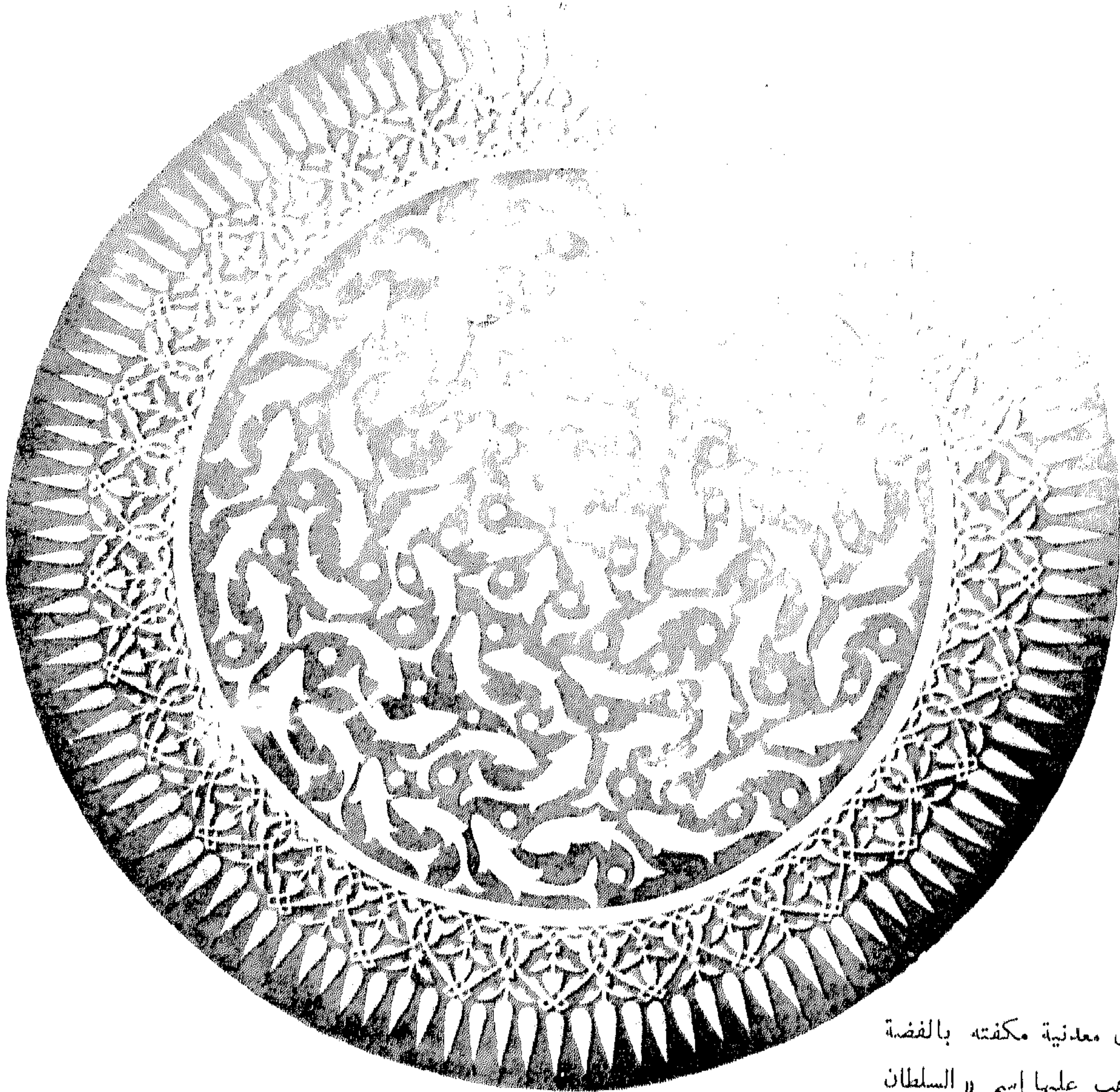
لوحة ٨٧ - المئذنة تعلو المدخل الرئيسي



لوحة ٨٩ — المئذنة الثانية بجامع الناصر محمد ▲



لوحة ٨٨ — أحد مئذنتي جامع الناصر محمد ▲

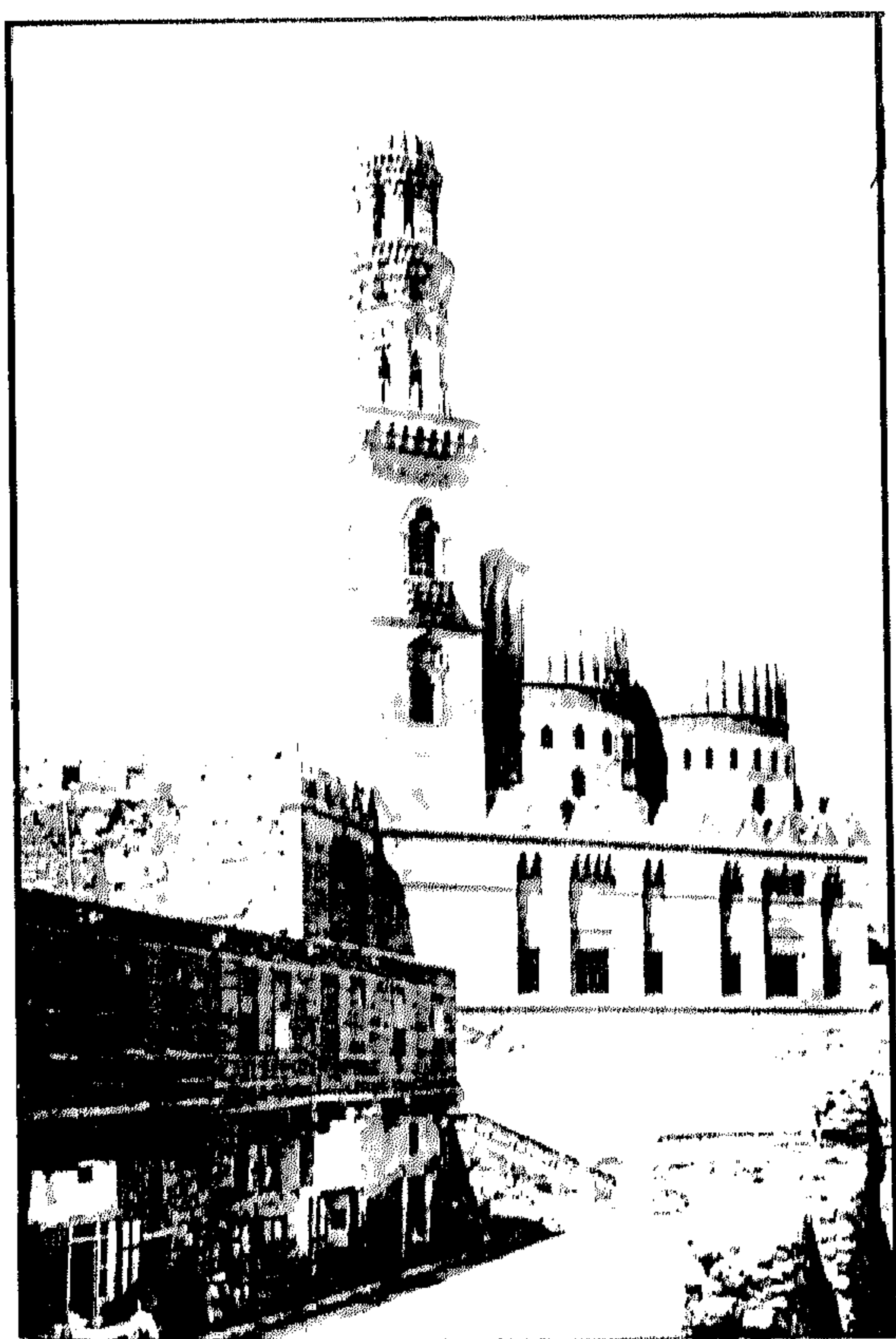


لوحة ٩٠ - أواني معدنية مكفته بالفضة
والذهب عليها اسم « السلطان
الناصر محمد بن قلاوون »



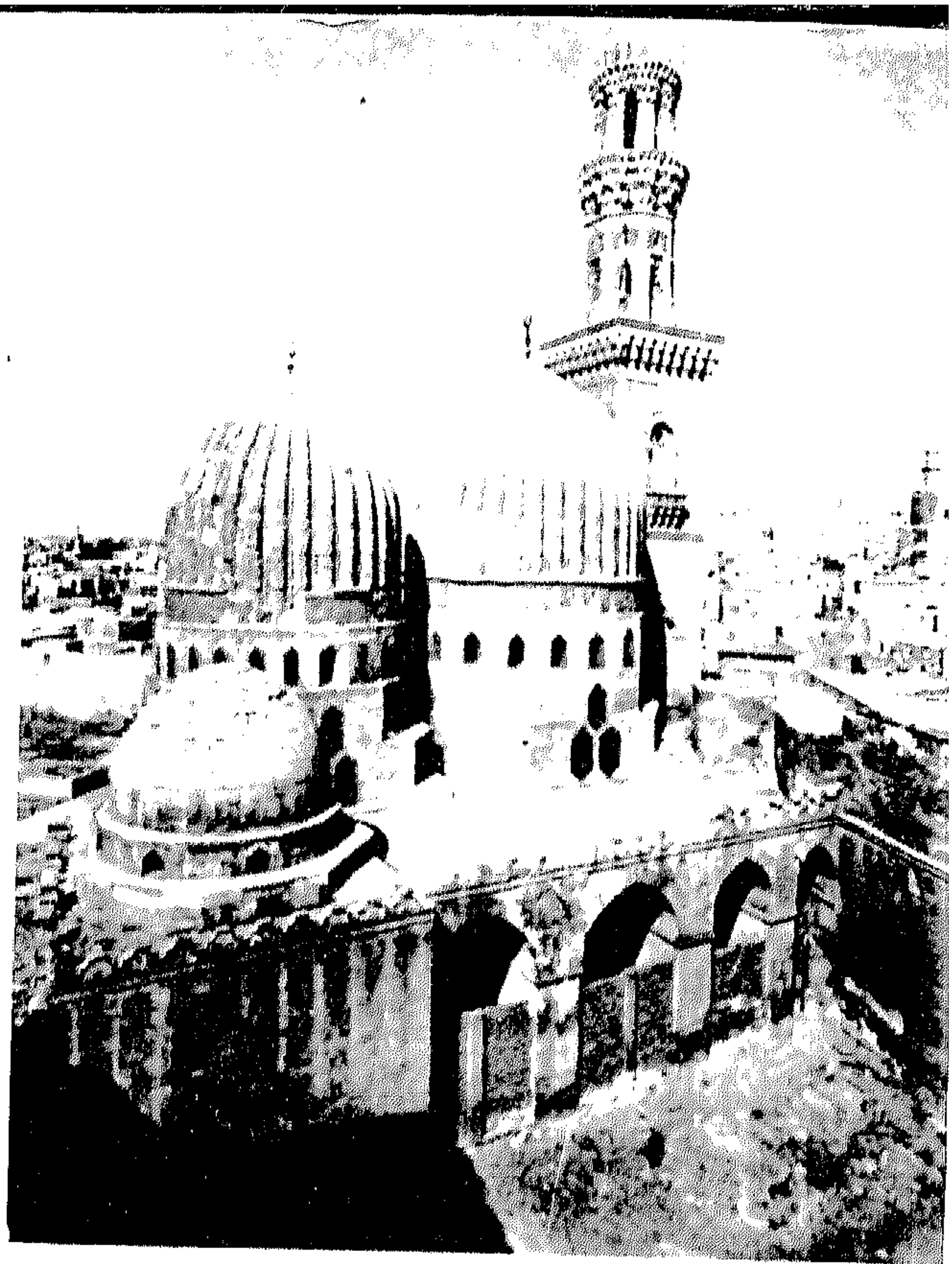


لوحة ٩١ - منظر عام للمدرسة وضريح سلار وسنجر الجاولي

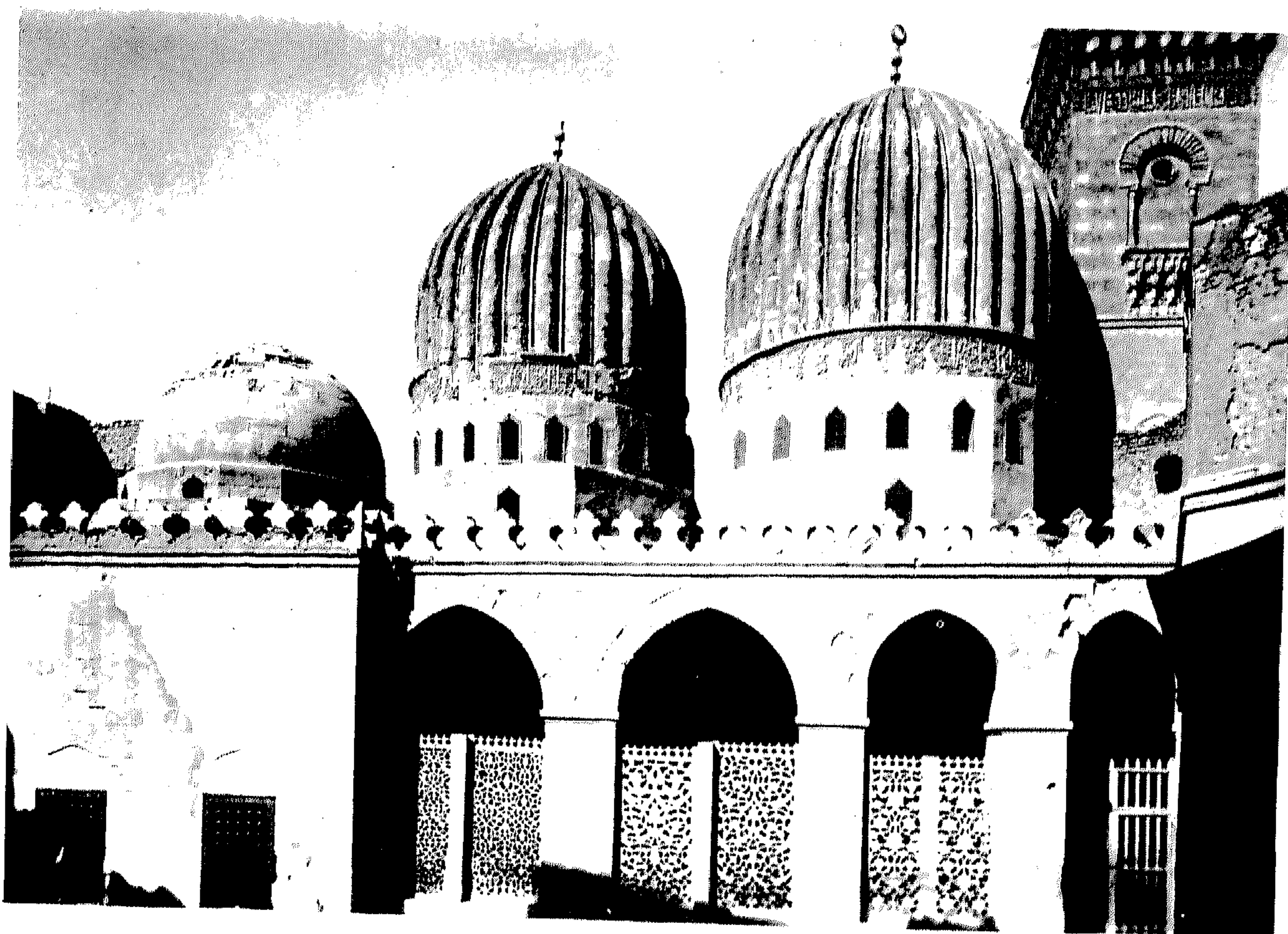


لوحة ٩٢ - الواجهة الشمالية الشرقية
لمدرسة سلار وسنجر الجاولي

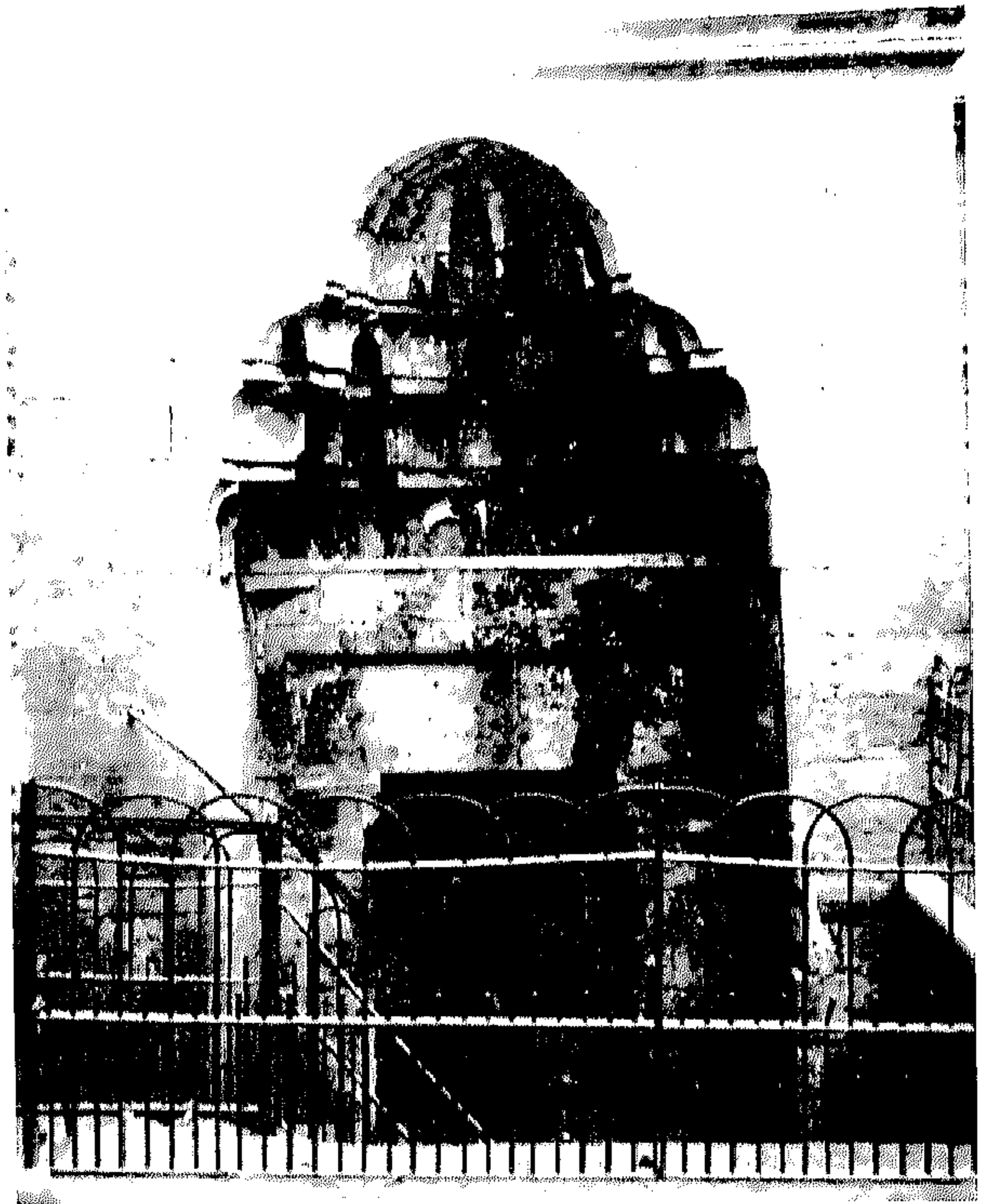
لوحة ٩٣ - الجانب الجنوبي الغربي للمدرسة



لوحة ٩٤ - الواجهة القبليّة للمدرسة

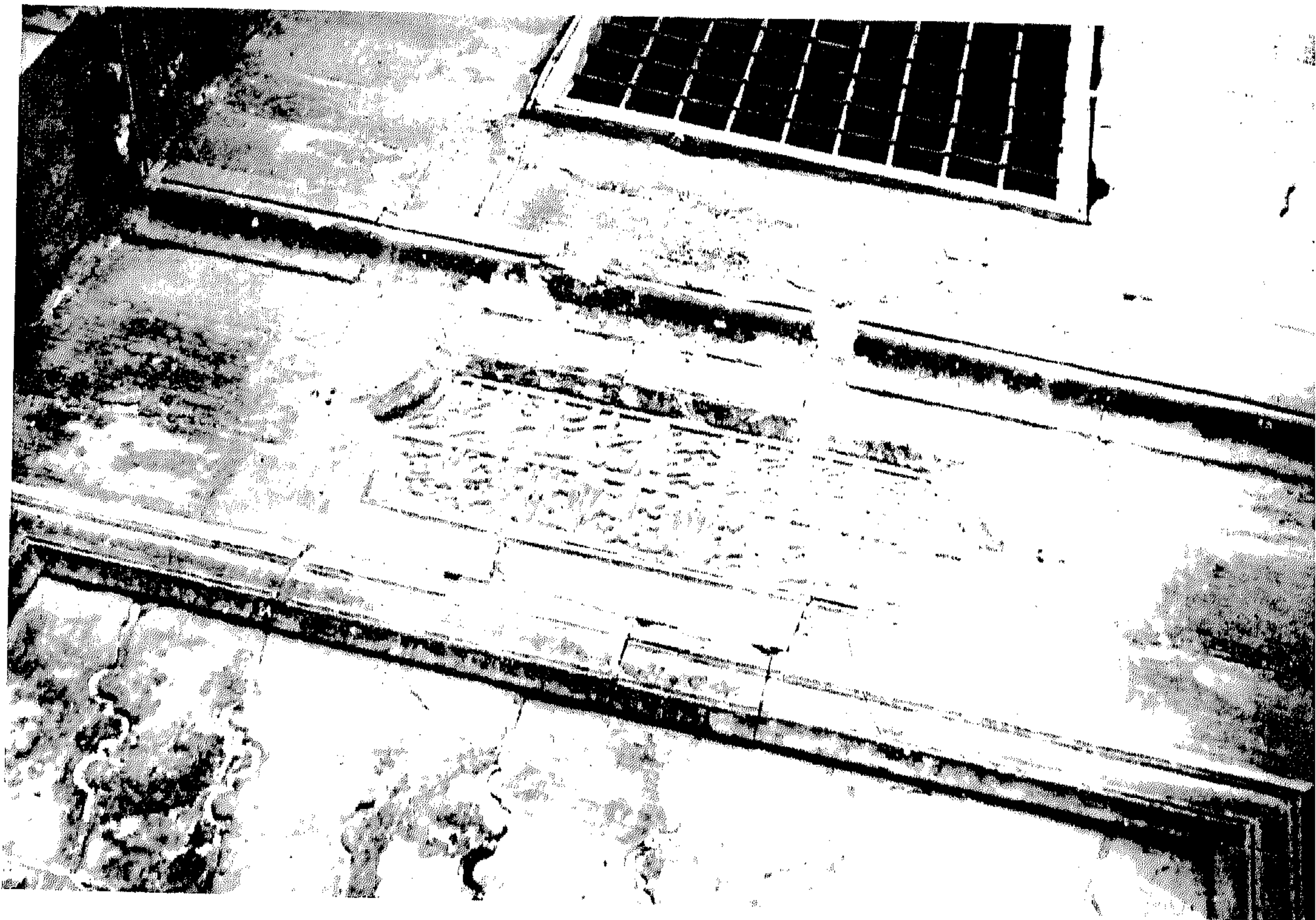


لوحة ٩٥ - المدخل الثاني لمدرسة سلار وسنجر
المطل على حارة (قلعة الكيش)



لوحة ٩٦ - مدخل ضريح سلار وقد نقش عليه النص التذكاري





لوحة ٩٧ - عتب المدخل الرئيسي ويعلوه لوحة تذكارية تبين تاريخ البناء سنة ٧٠٣ هـ

لوحة ٩٨ - الايوان الشرقى للخانقاه سائر وسنجر الجاولى

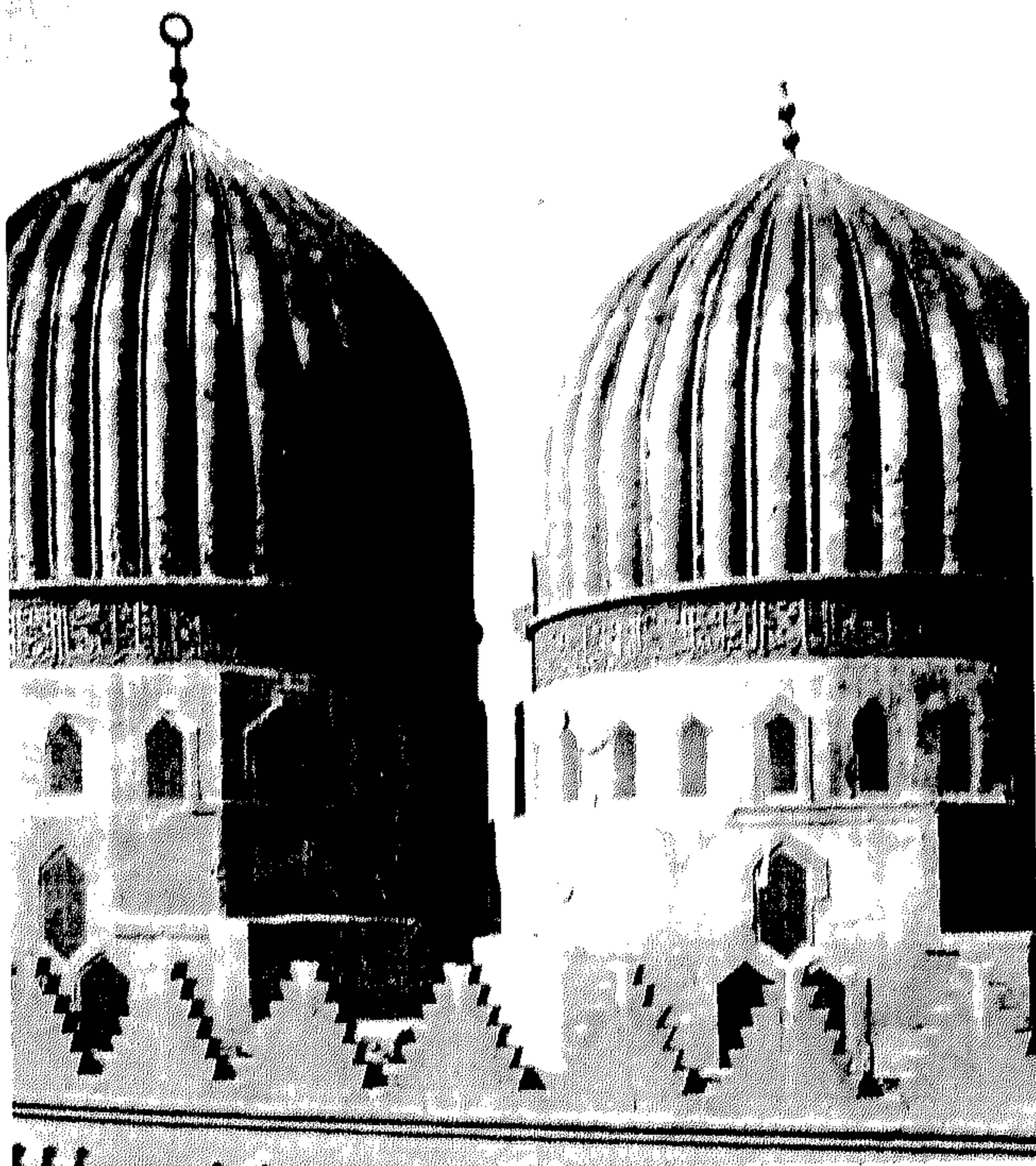




لوحة ٩٩ - الأيوان القبلي للخانقاه سلاروسنجر الجاولي ▲

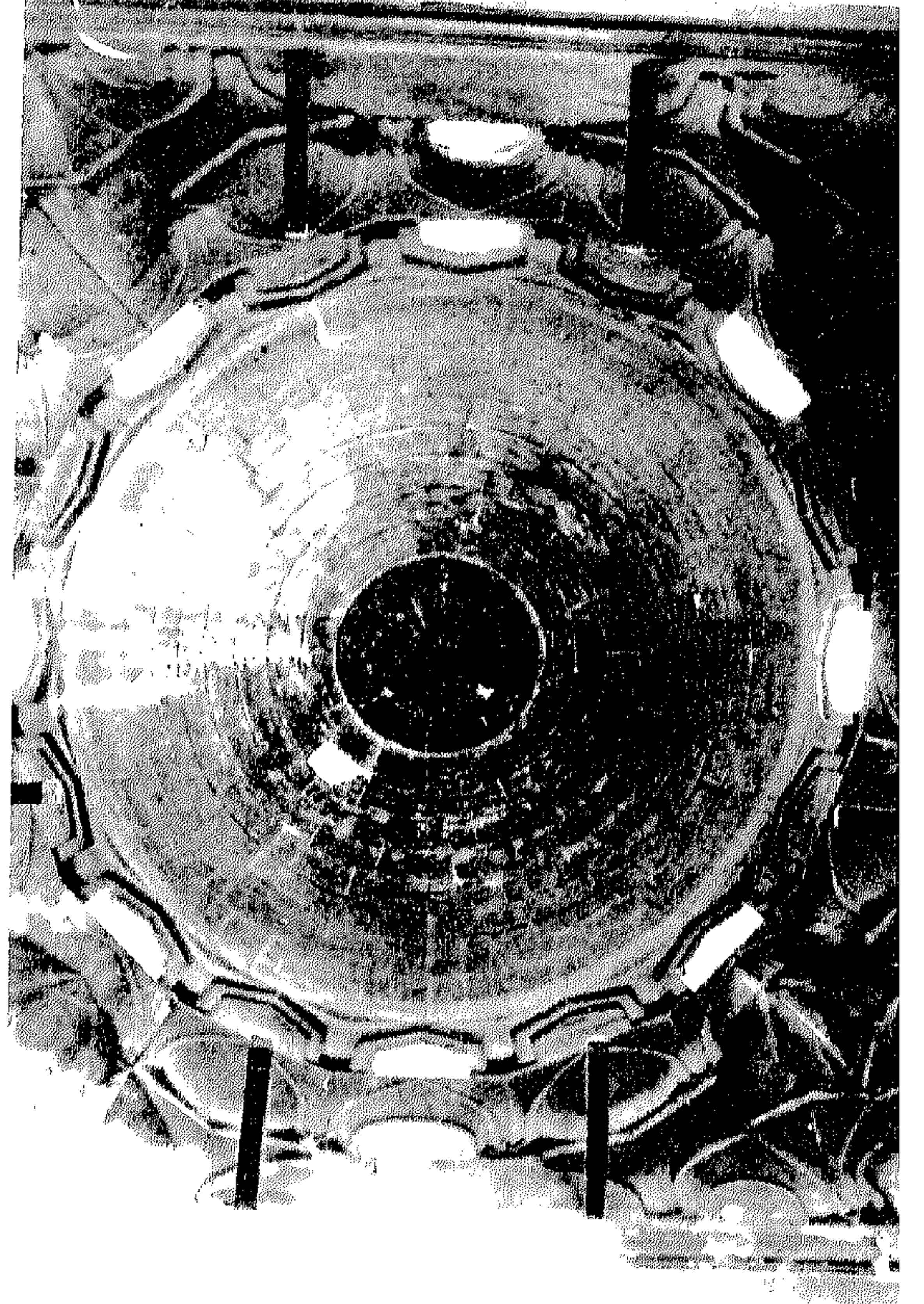
لوحة ١٠١ - قبة سلاروسنجر الجاولي ▼

لوحة ١٠٠ - الإيوان الغربي للخانقاه سلاروسنجر الجاولي ▼



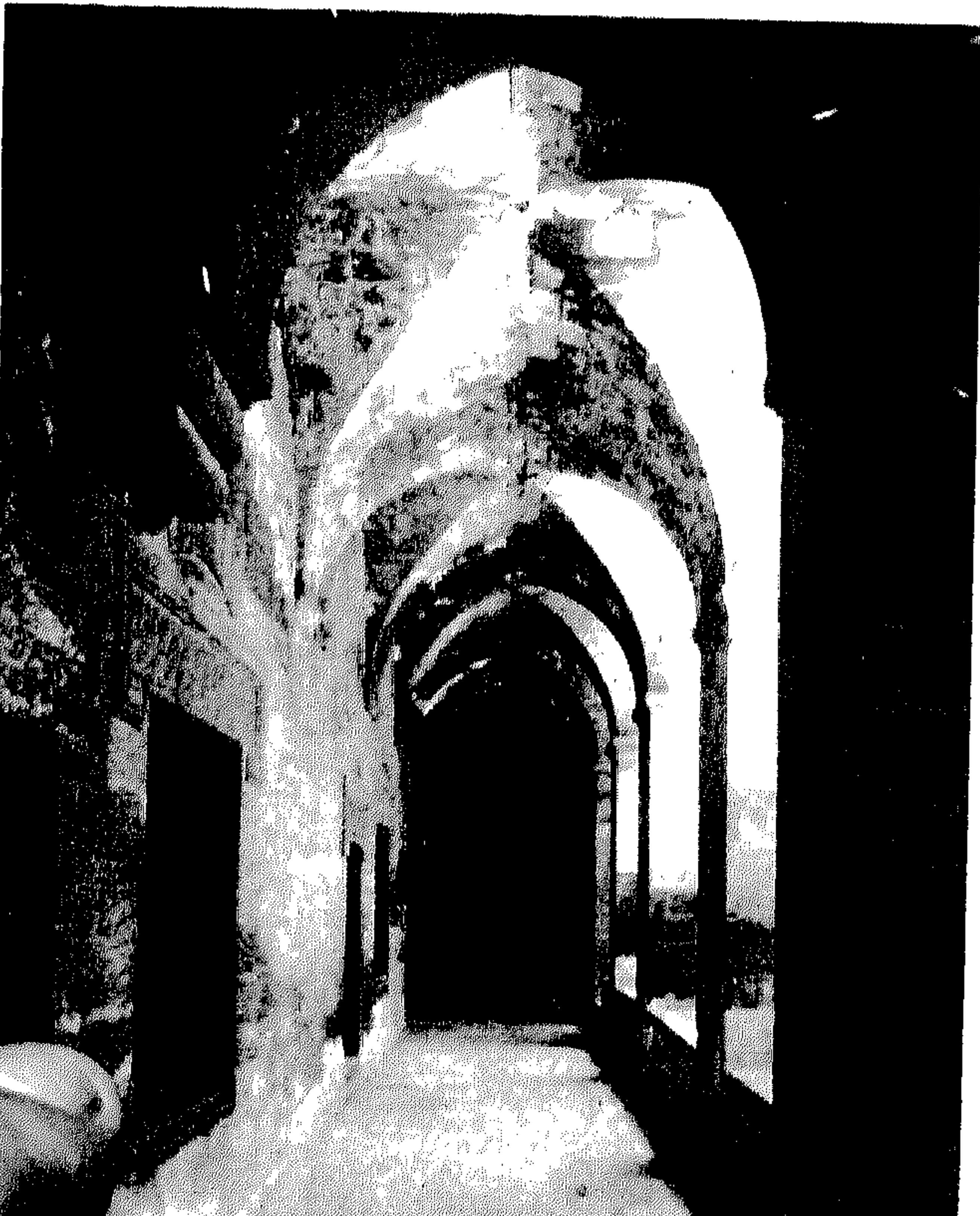


لوحة ١٠٣ - محراب ضريح الجاولي ▲



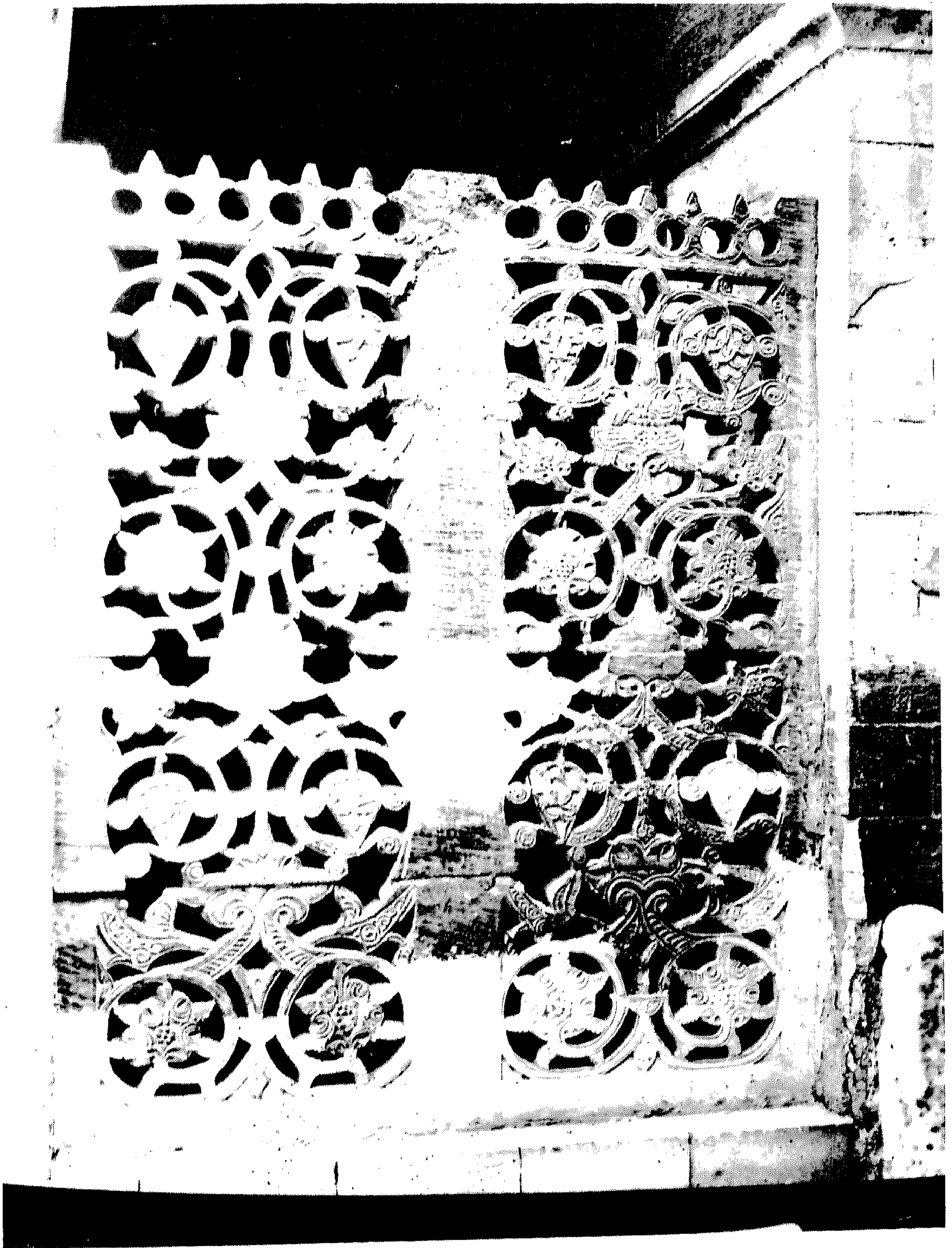
لوحة ١٠٢ - داخل قبة ضريح الجاولي ▲

لوحة ١٠٥ - الممر الذي يتقدم قبة سنجر الجاولي
وهو مغطى بأقباء متقاطعة ▼



لوحة ١٠٤ - محراب قبة سلا ر ▼



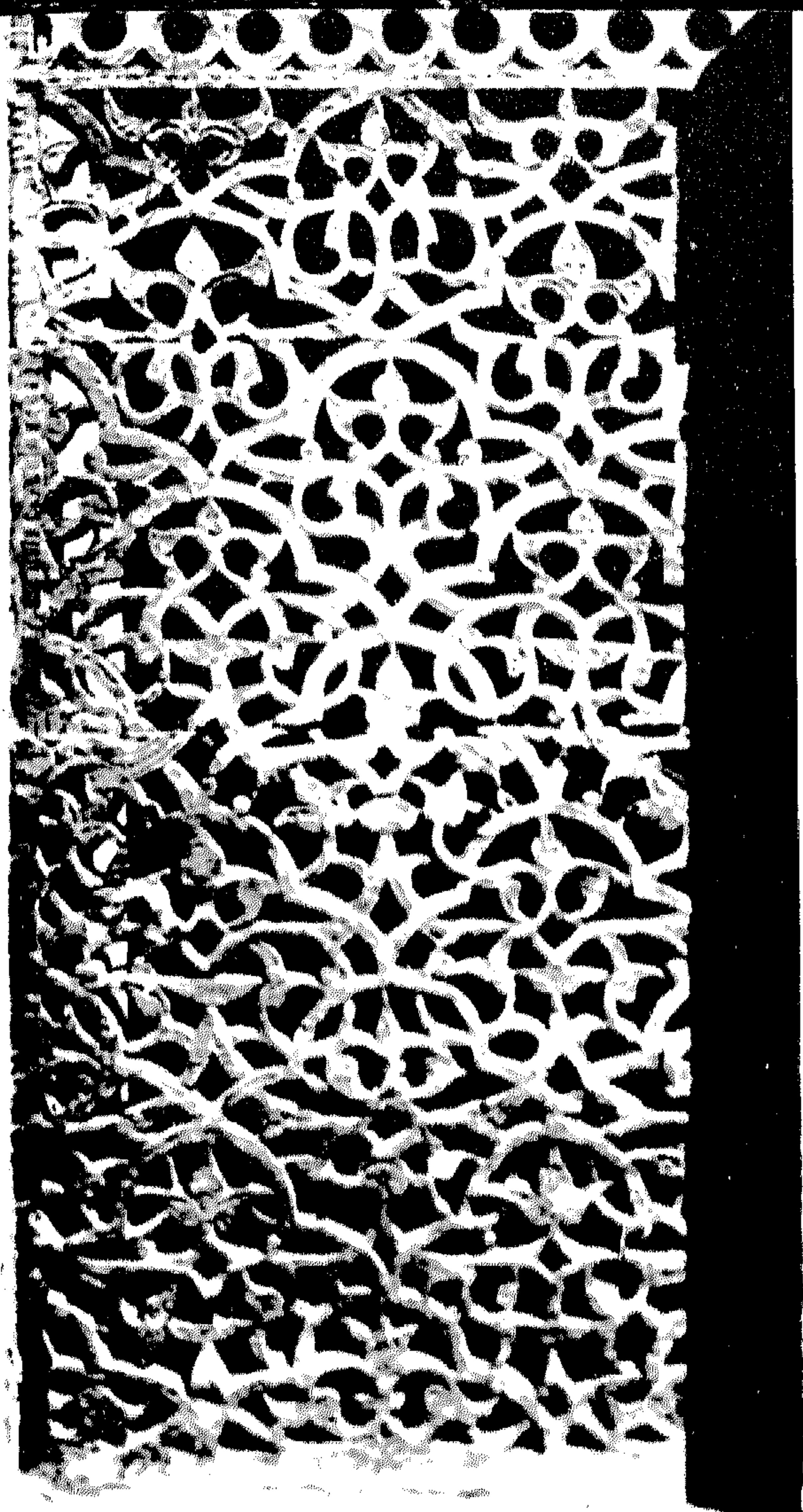


لوحة ١٠٦ - تفاصيل المقاصير المحرمة التي تغطي عقود الممر الذي يتقدم قبة سلا وسنجر الجاولي



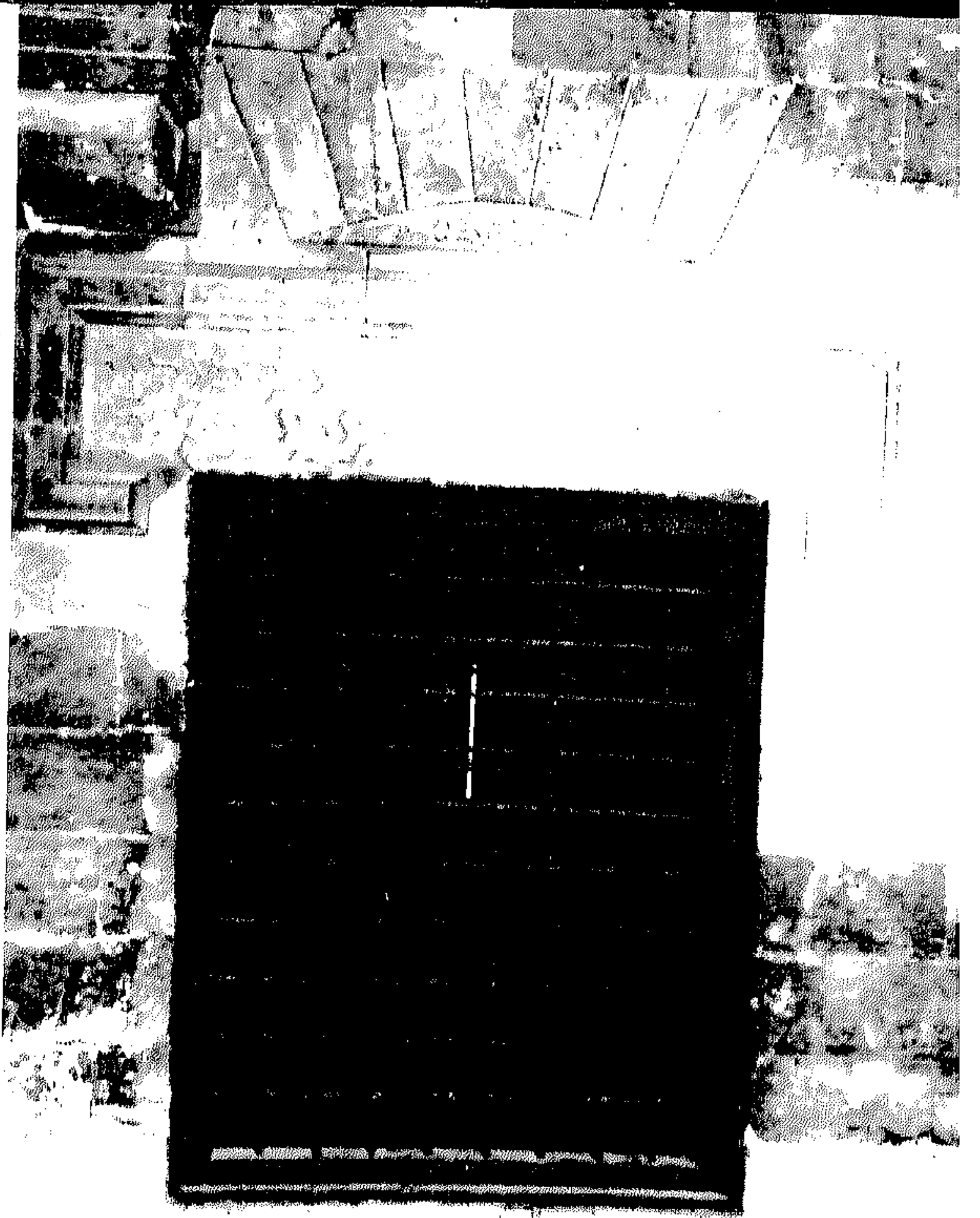
لوحة ١٠٧ - تفاصيل المقاصير الحجرية التي تغطي العقود والفتحات

لوحة ١٠٨ - زخارف حجرية مخرومة تملأ النوافذ

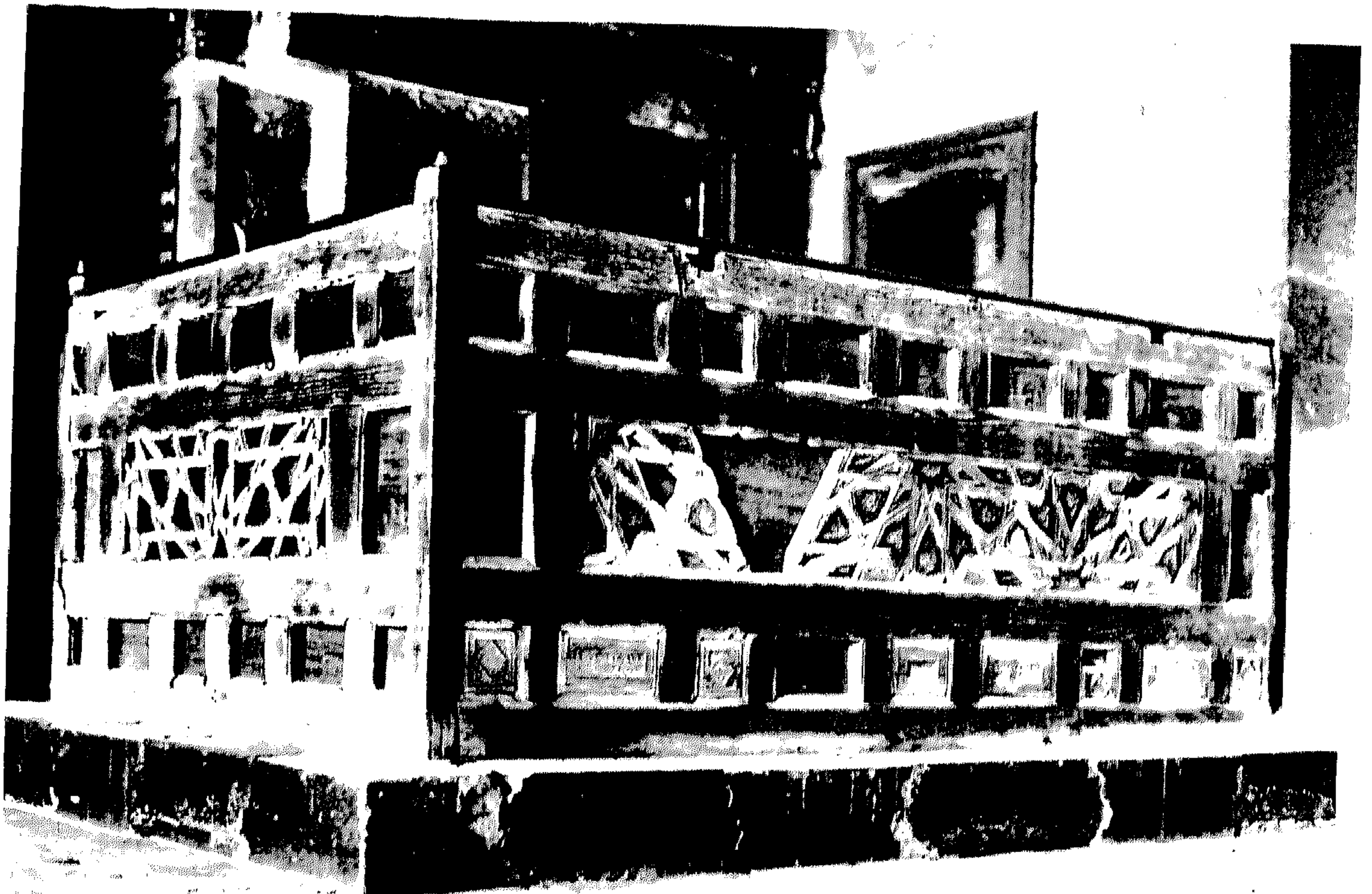


لوحة ١٠٩ - مشكاة الأمير سيف الدين سلار

لوحة ١١٠ - النافذة التي تتوسط ضريح سلار من الخارج



لوحة ١١١ - تابوت خشبي خاص بضريح سلار وسنجر الجاولي

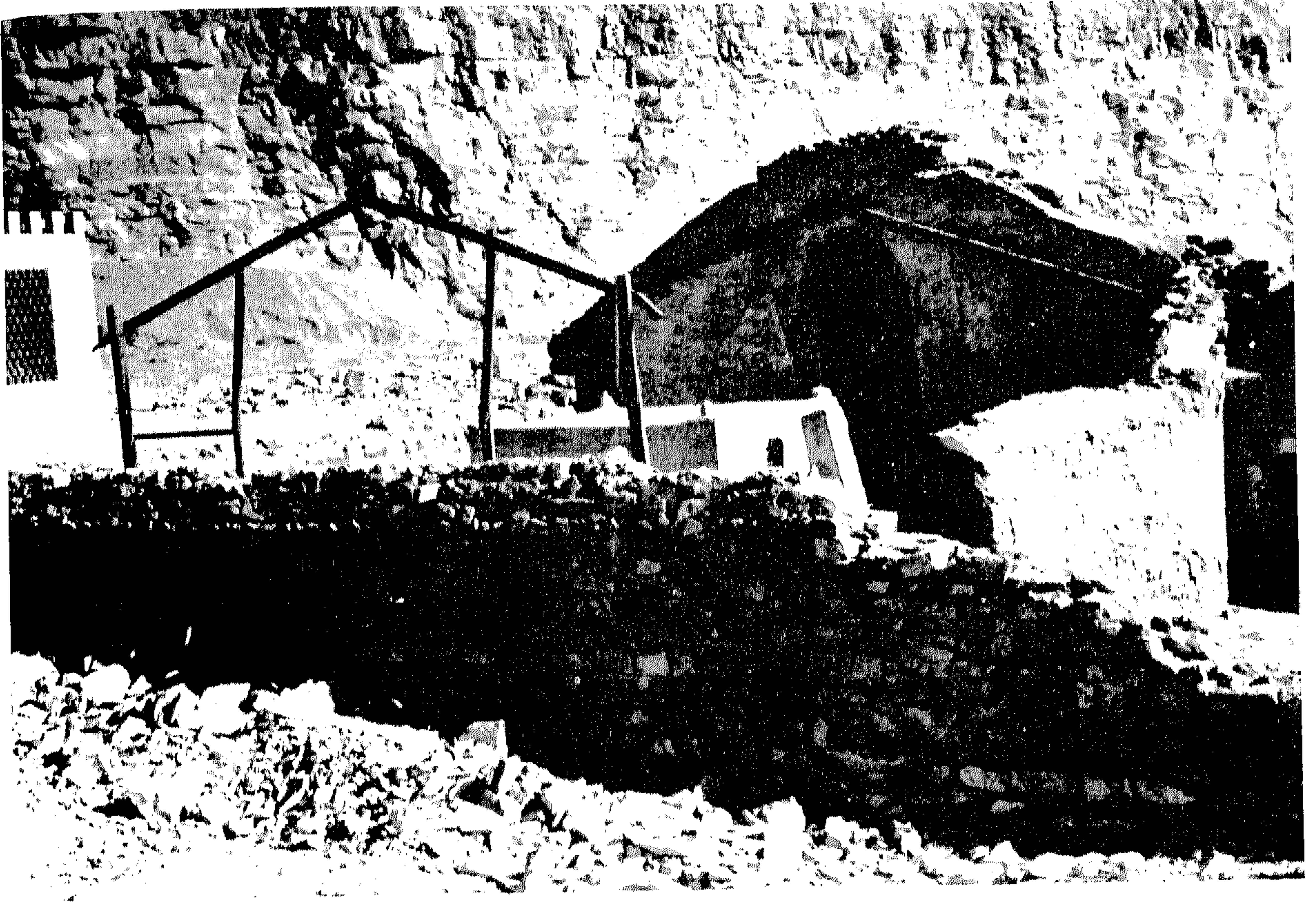




لوحة ۱۱۲ - منظر خارجی لقبته سلاور وسنجر الجاولی

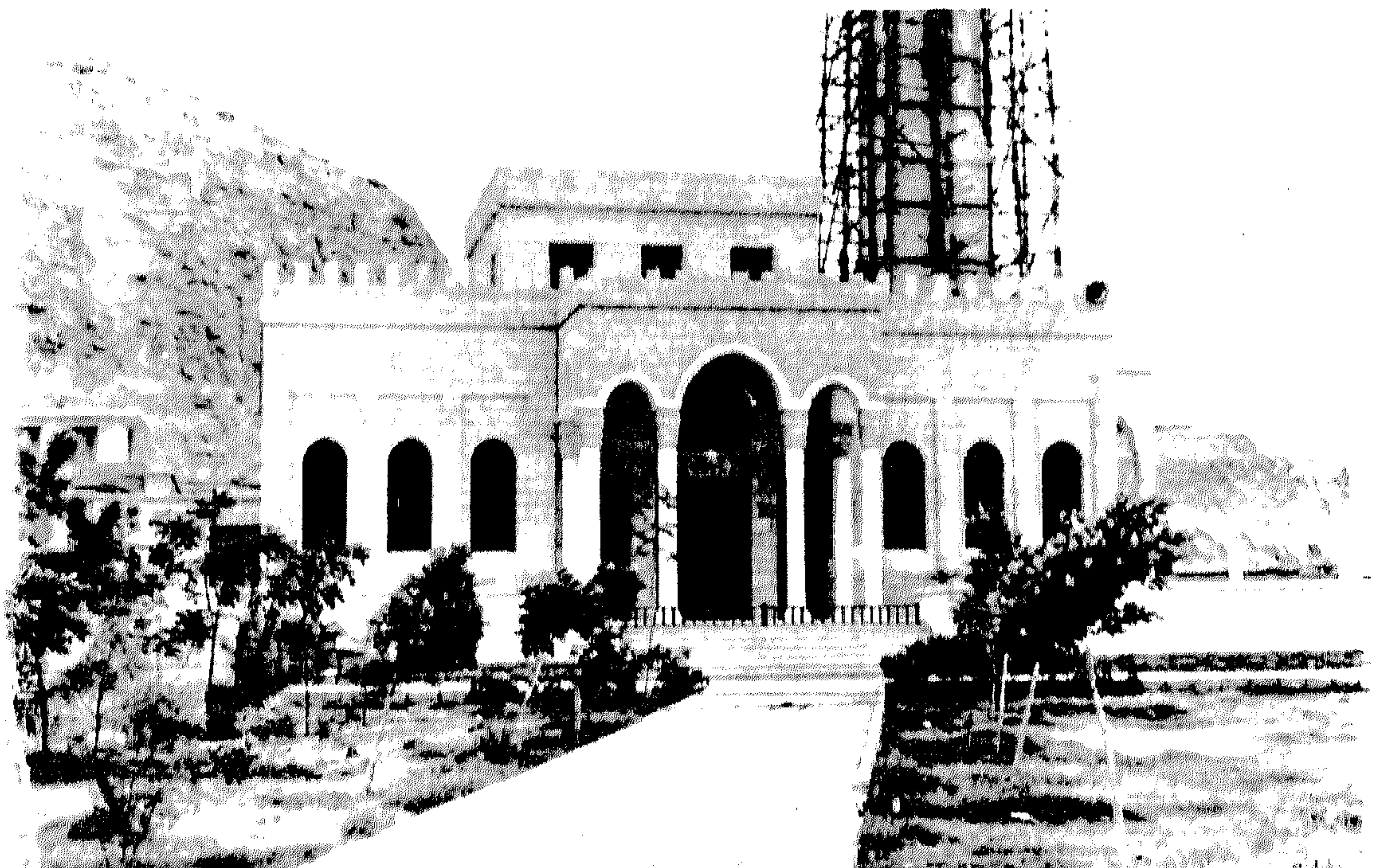


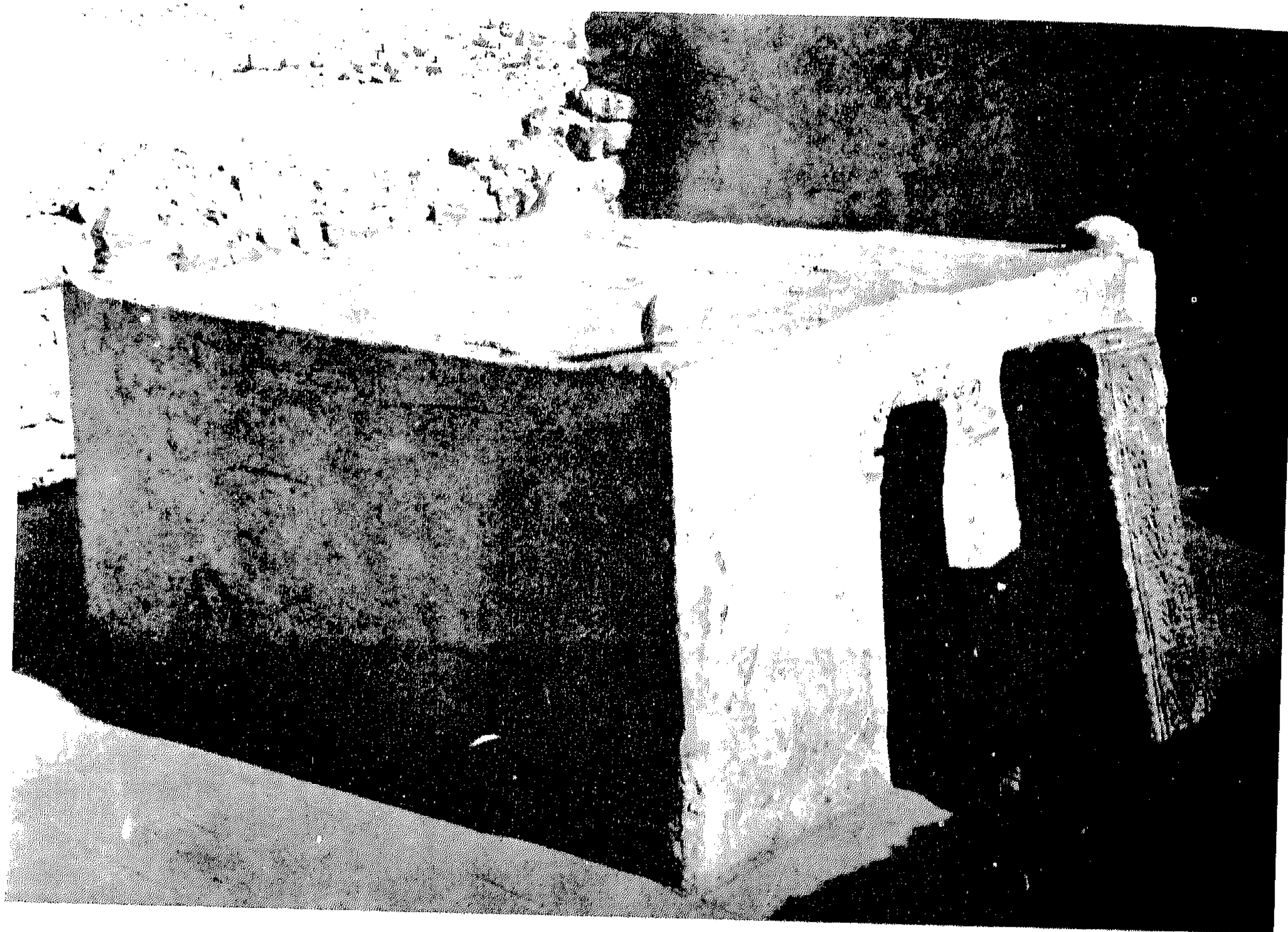
لوحة ١١٣ - منظر مثمنة مدرسة سلار وسنجر الجاولى



لوحة ١١٤ - ضريح أحمد بن عطاء الله السكندري بصحراء البساتين

لوحة ١١٥ - (أ) جامع أحمد ابن عطاء الله السكندري



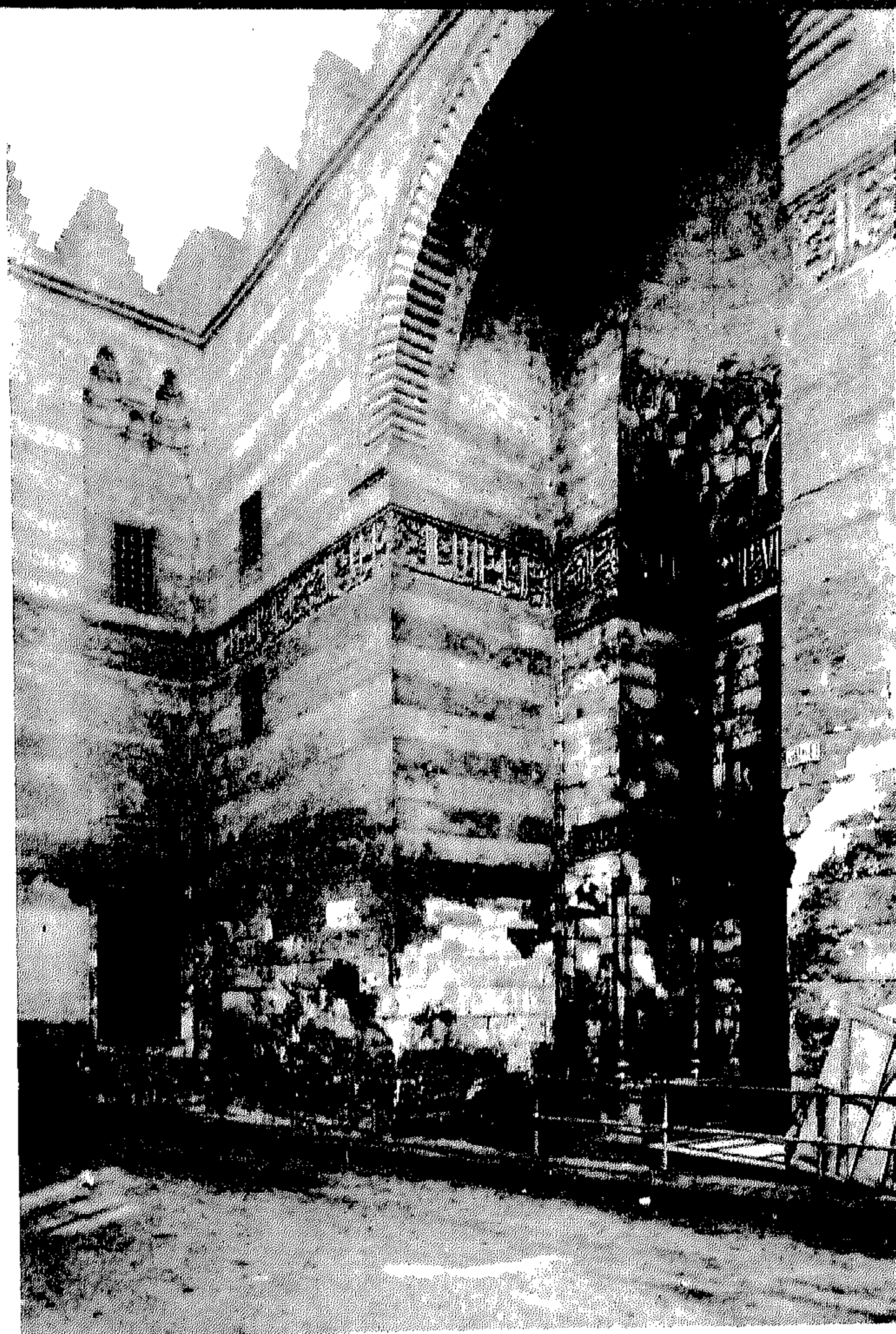


لوحة ١١٦ - تابوت ابن عطاء الله السكندري

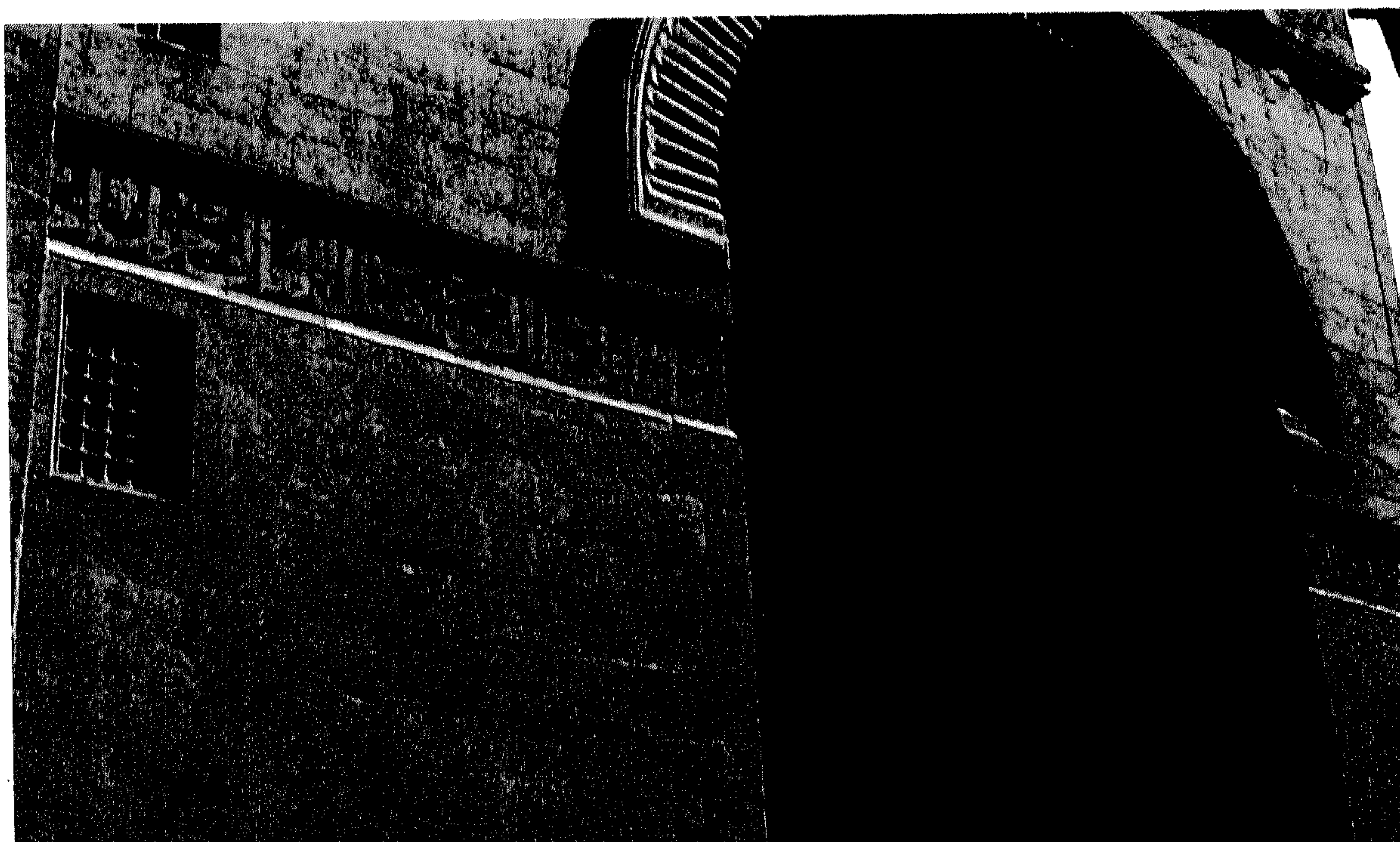


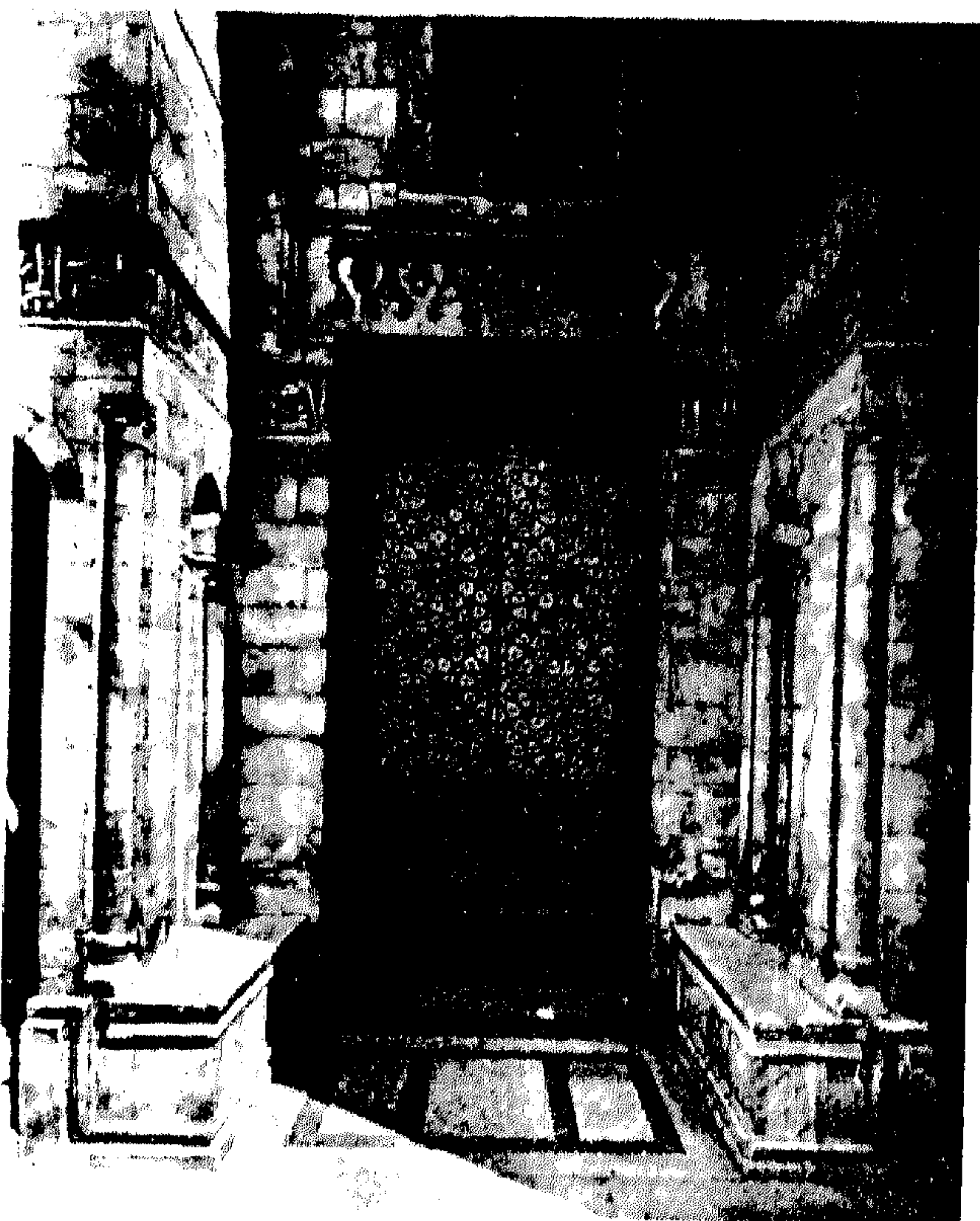
لوحة ١١٧ - جزء من الواجهة الرئيسية
لحانقاه بپیرس الجاشنكير

لوحة ١١٨ - المدخل الرئيسي للمخاض ببيبرس الجاشنكير

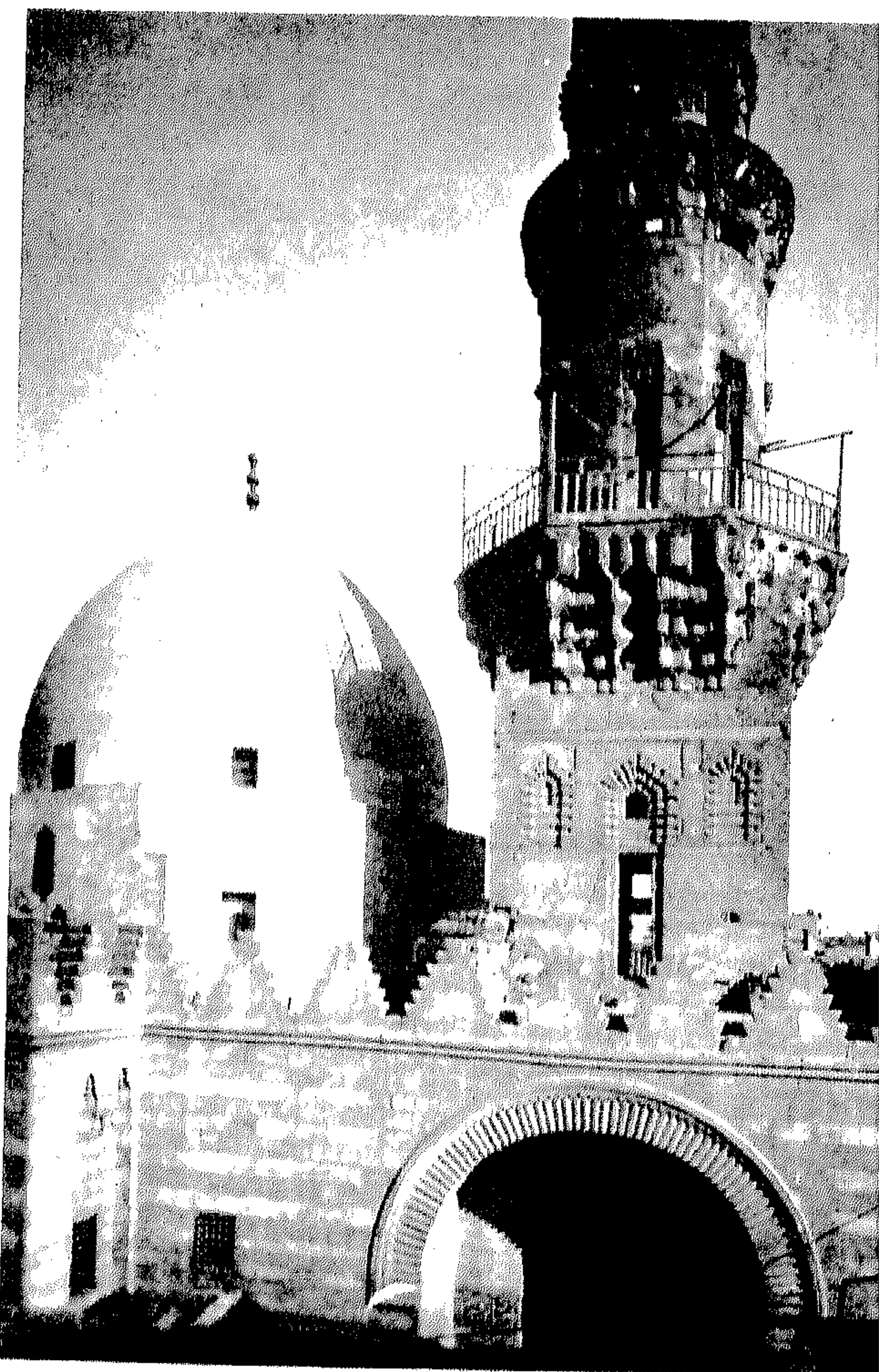


لوحة ١١٩ - شريط الكتابة على الواجهة



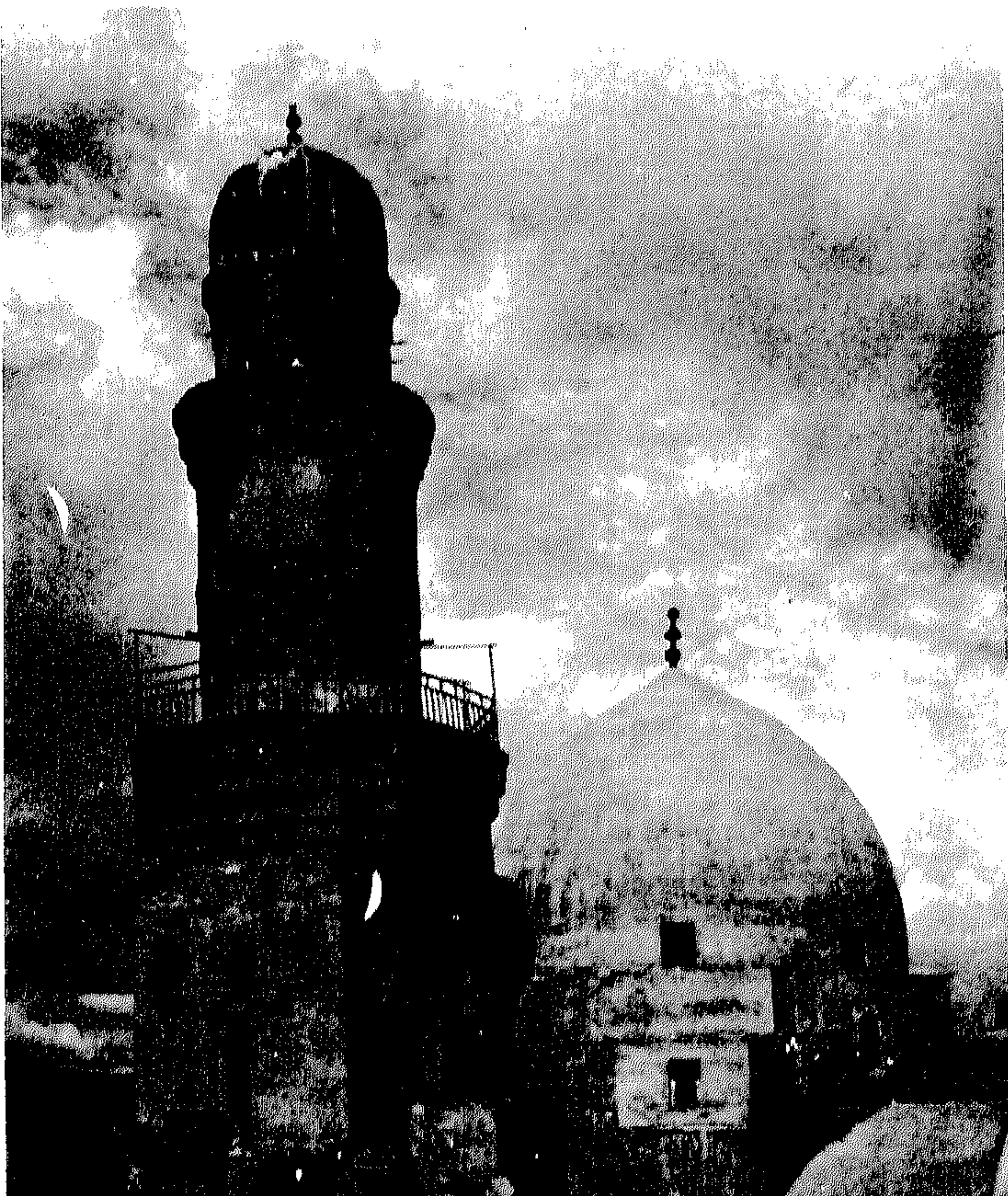
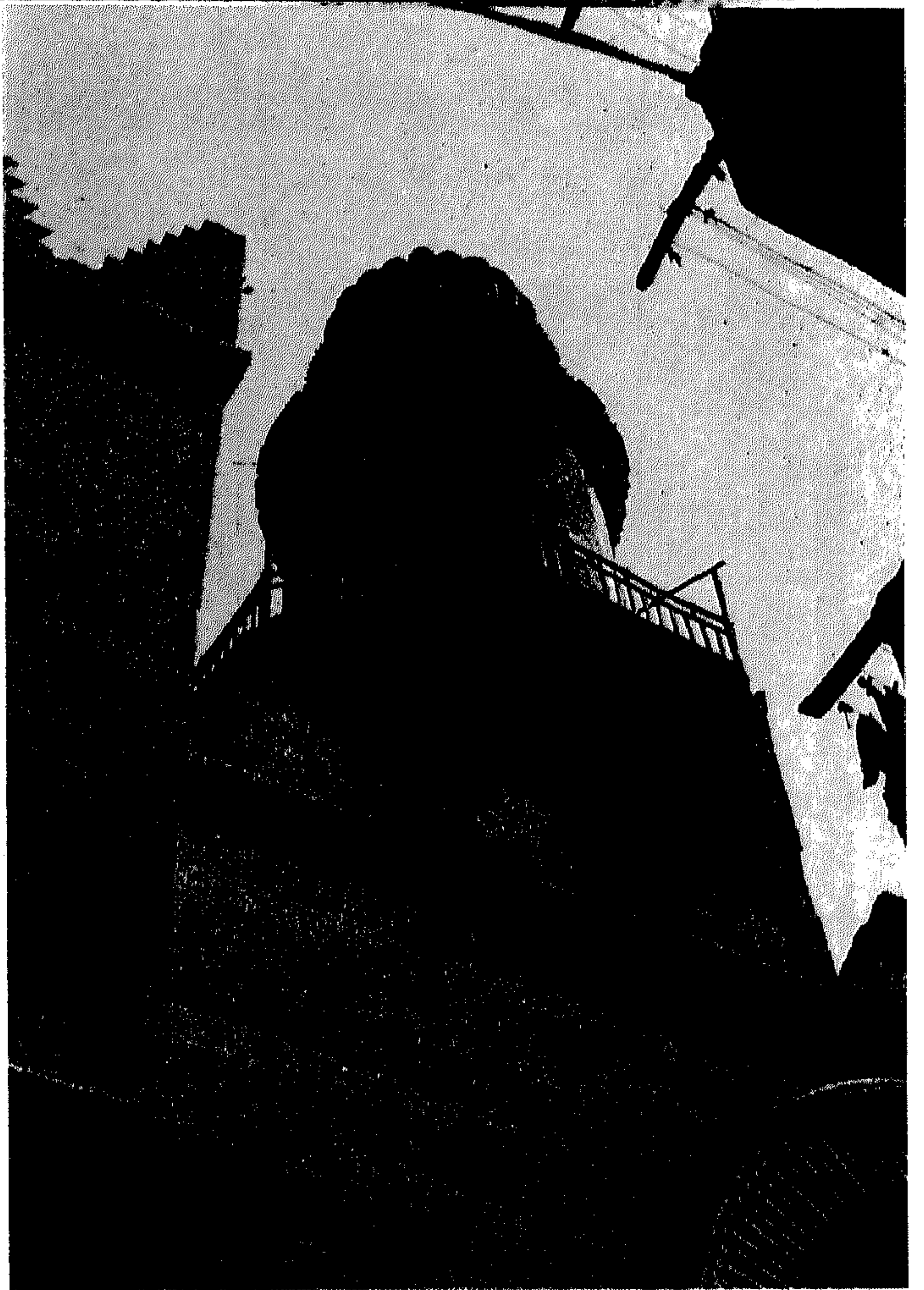


لوحة ١٢٠ - باب الخانقاه الخشبي المصنوع والمزخرف
بالعشق النجمي المكففت بالفضة والذهب



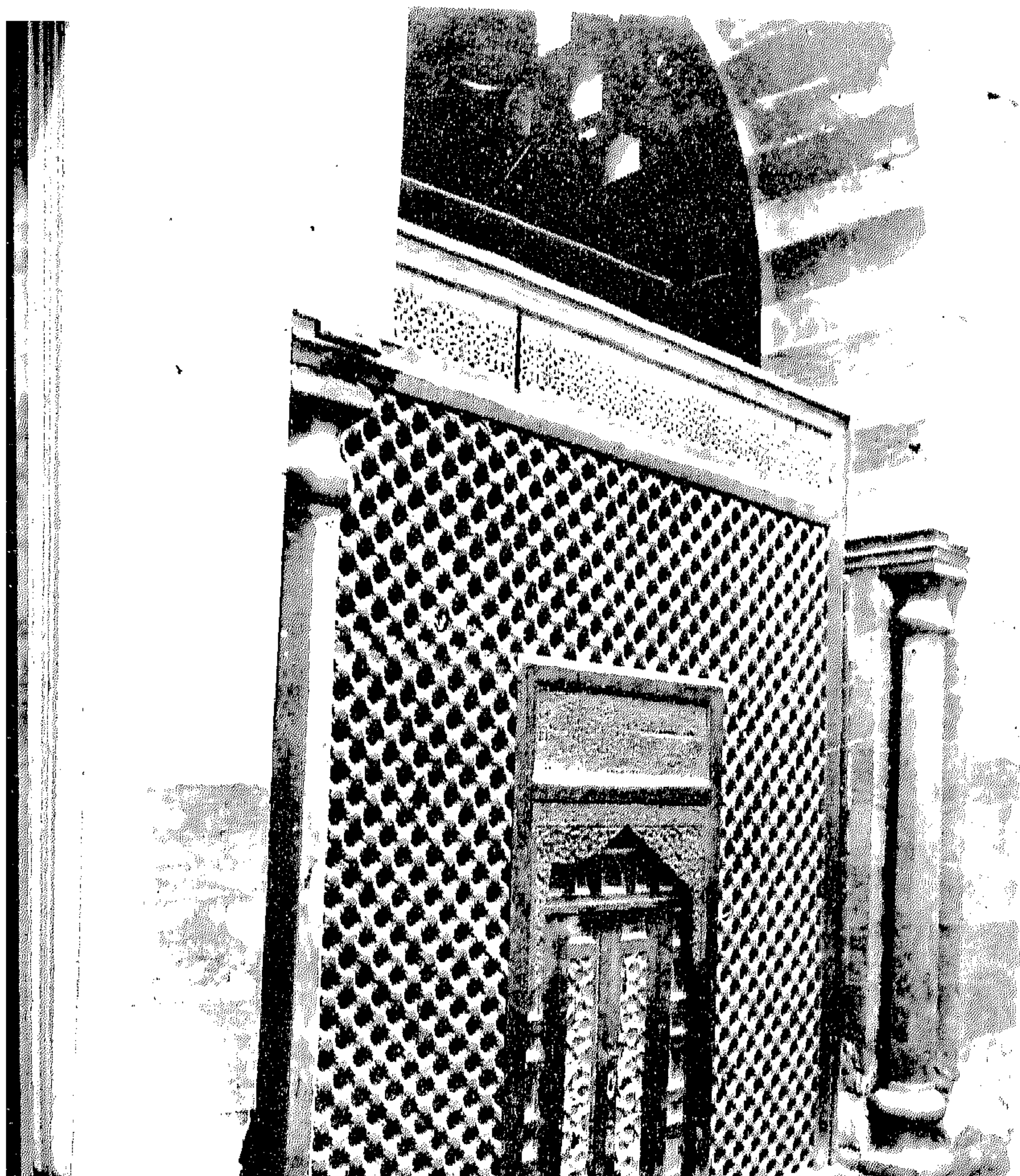
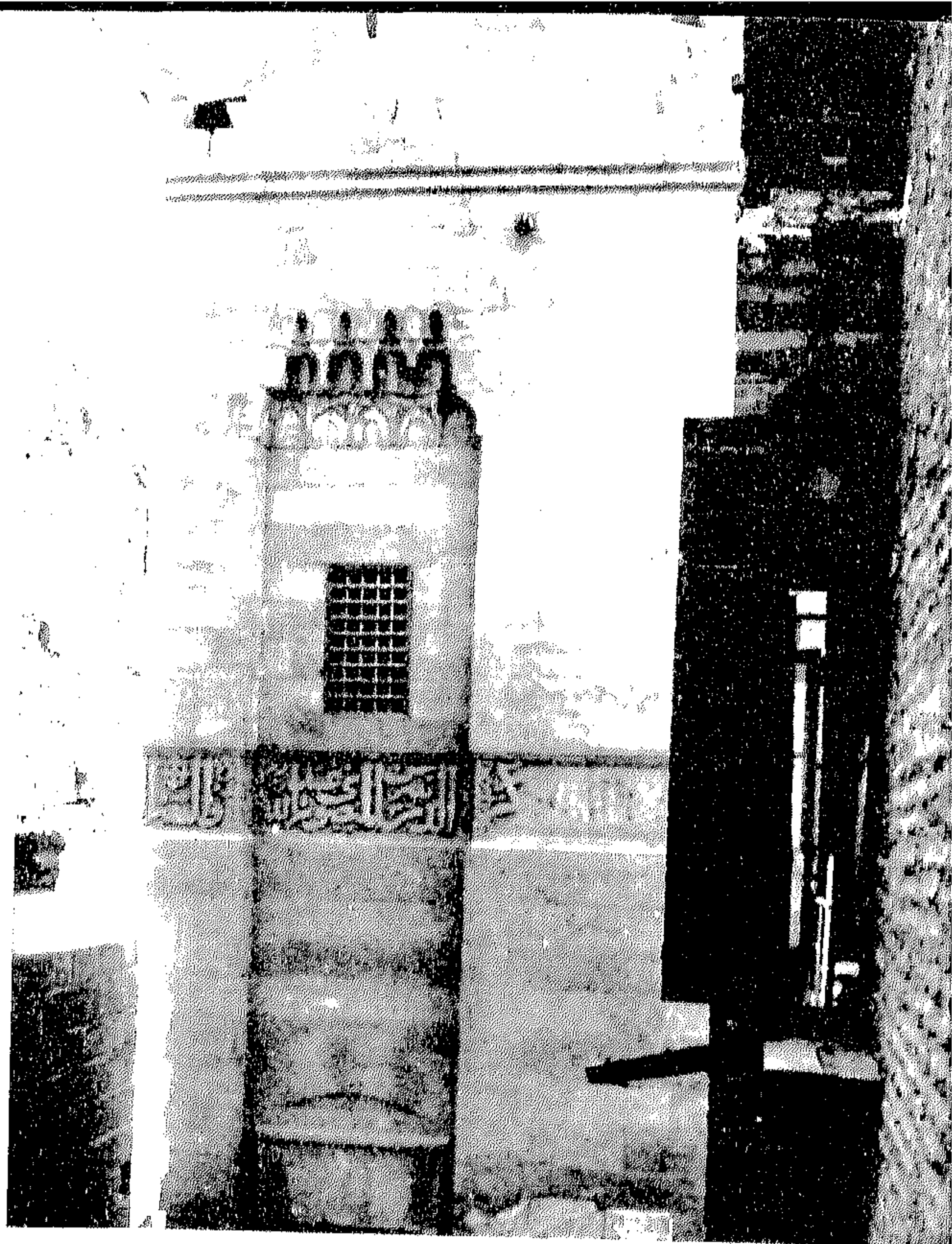
لوحة ١٢١ - عقد الباب الرئيسي الذي تعلوه المئذنة

لوحة ١٢٢ - المئذنة تعلو الواجهة الرئيسية



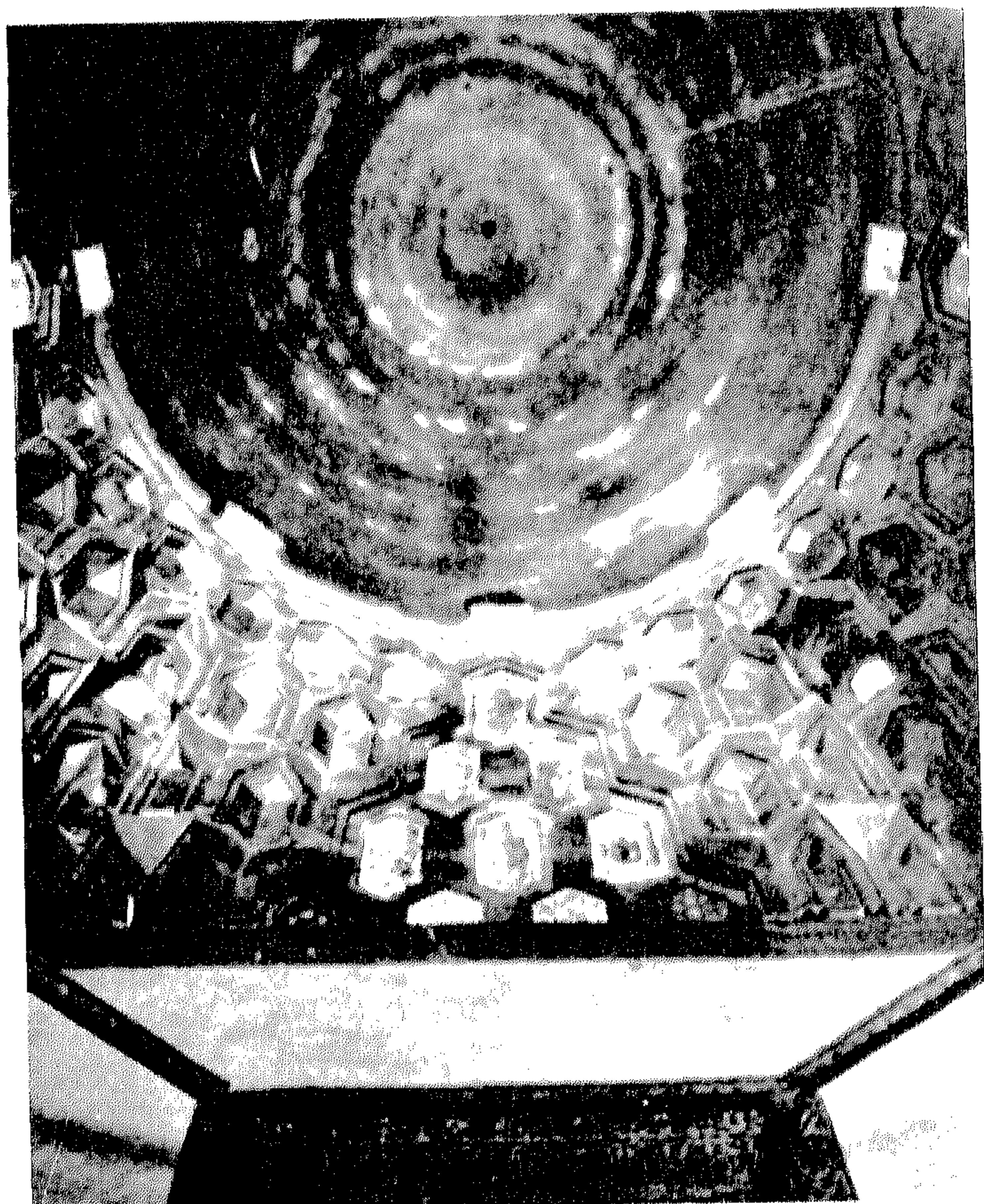
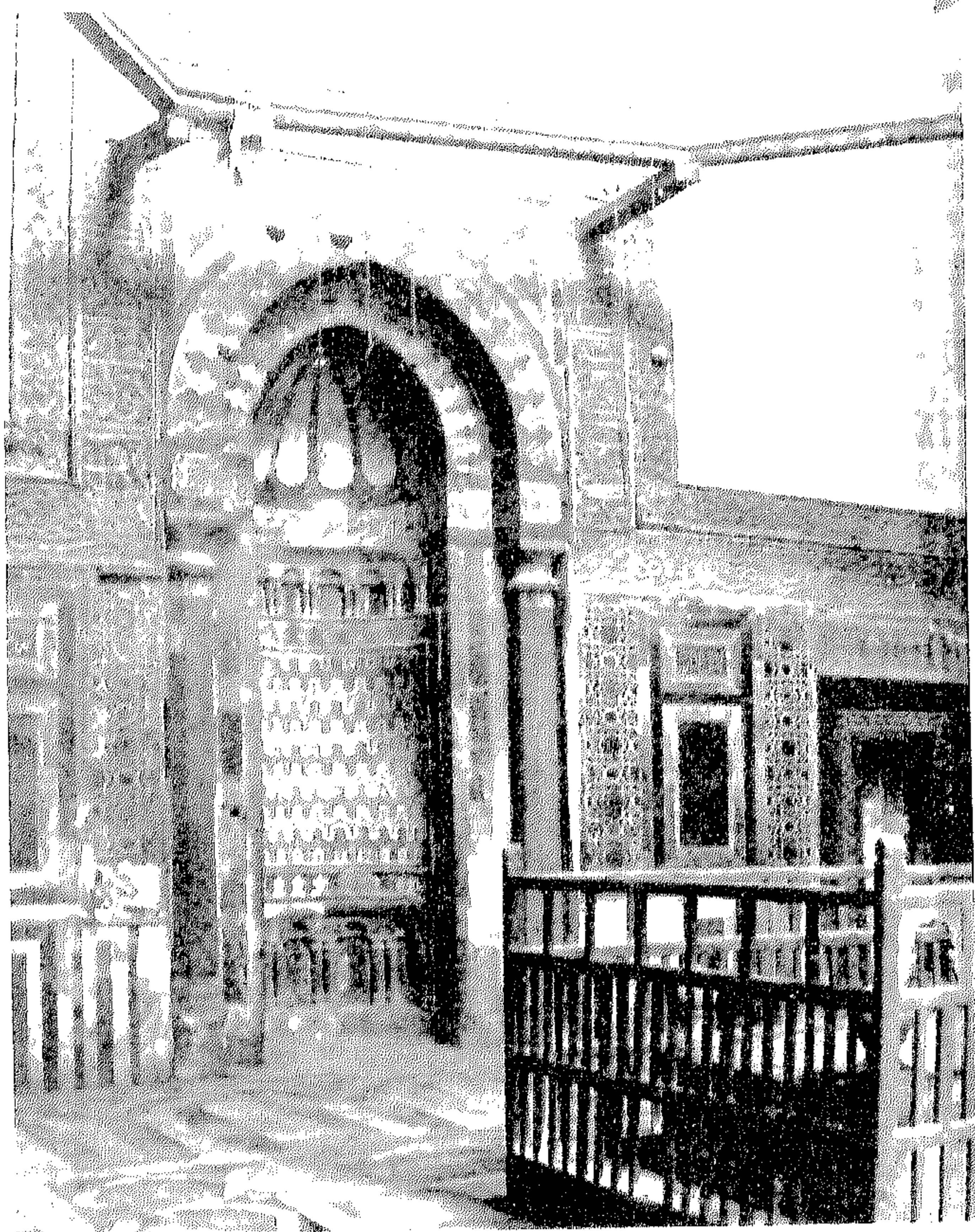
لوحة ١٢٣ - مئذنة وقبة خانقاه بيبرس الجاشنكير

لوحة ١٢٤ - واجهة خانقاه بيبرس الجاشنكير الغربية

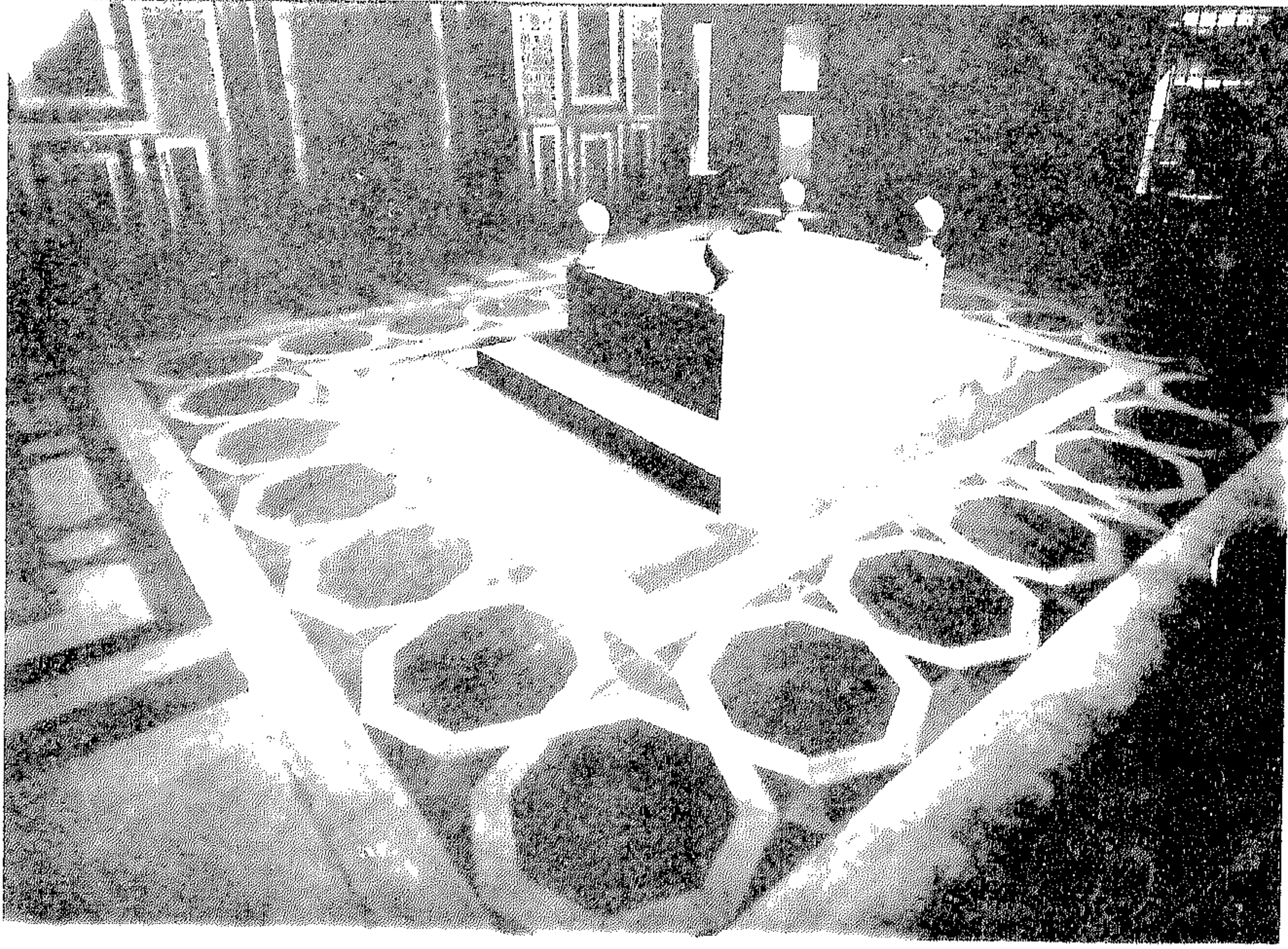


لوحة ١٢٥ - مقصورة خشبية تتقدم باب
ضريح بيبرس الجاشنكير

لوحة ١٢٦ - محراب قبة بيبس جاشنكير
الملحقة بالخزانة



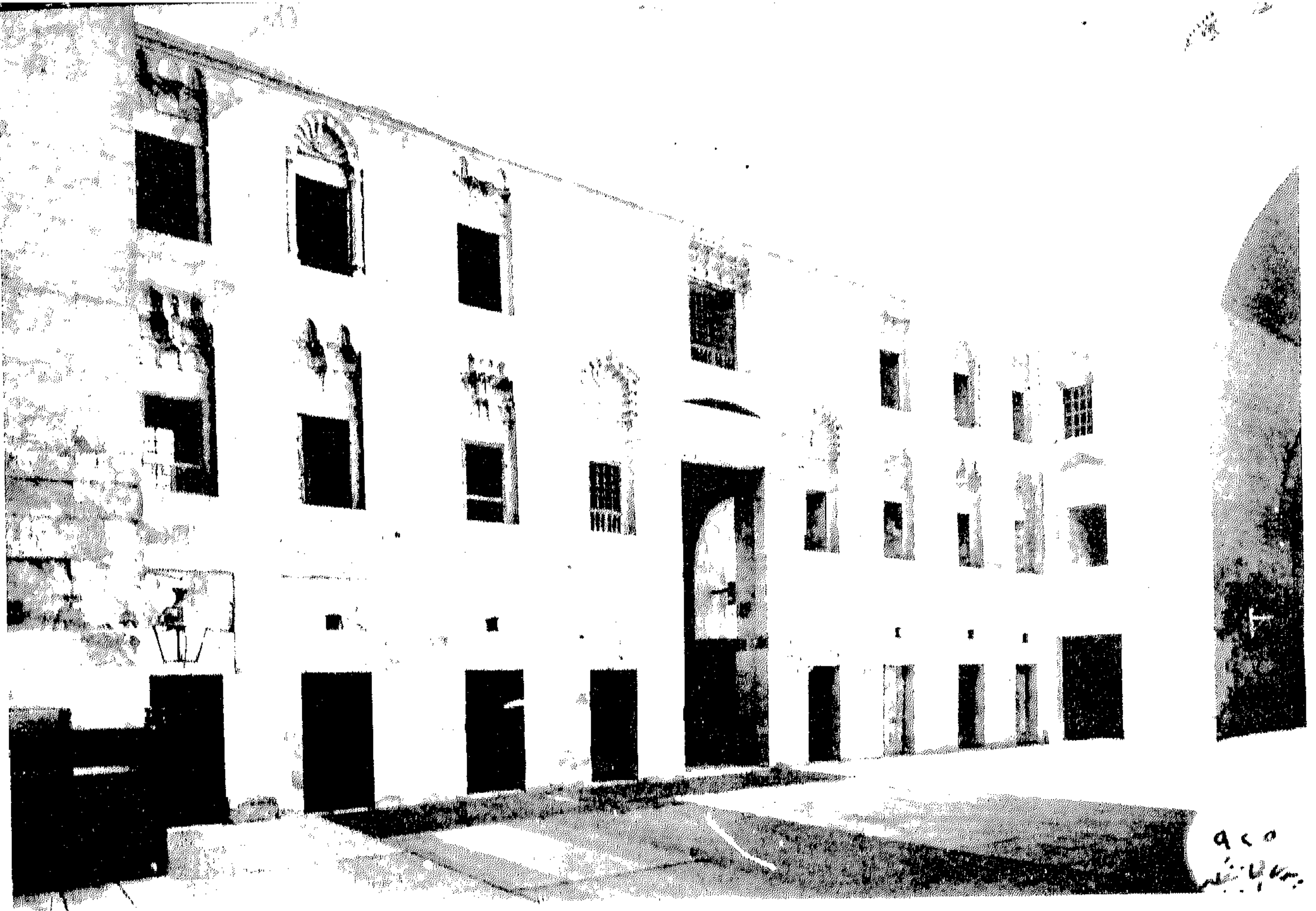
لوحة ١٢٧ - قبة بيبس جاشنكير من الداخل



لوحة ١٢٨ - أرض قبة بپرس جاشنكير المكسي بالرخام الملون



لوحة ١٢٩ - الإيوان الغربي للخانقاه

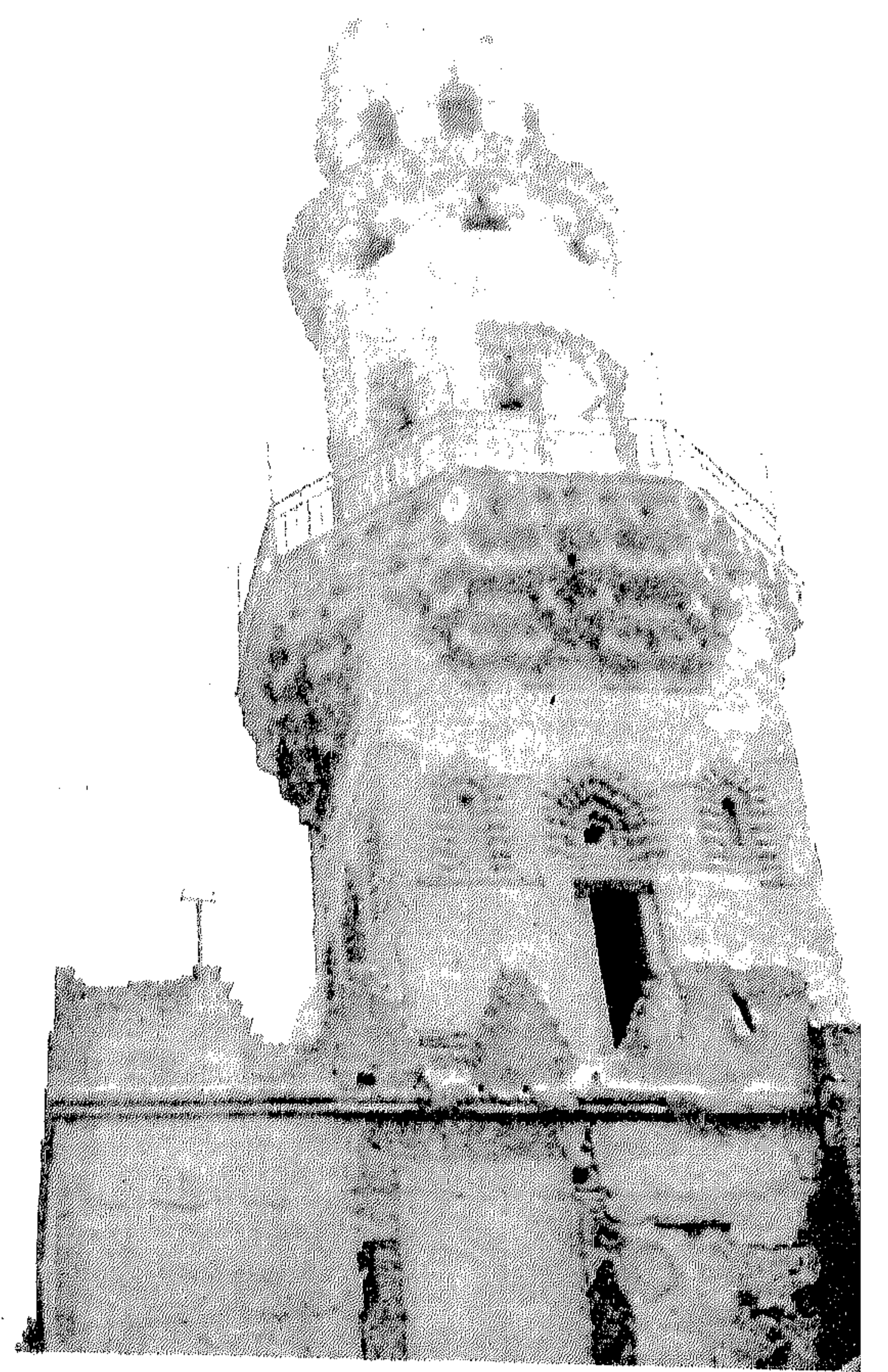


لوحة ١٣٠ - صحن الخانقاه وقد ظهر به أبواب الخلاوى



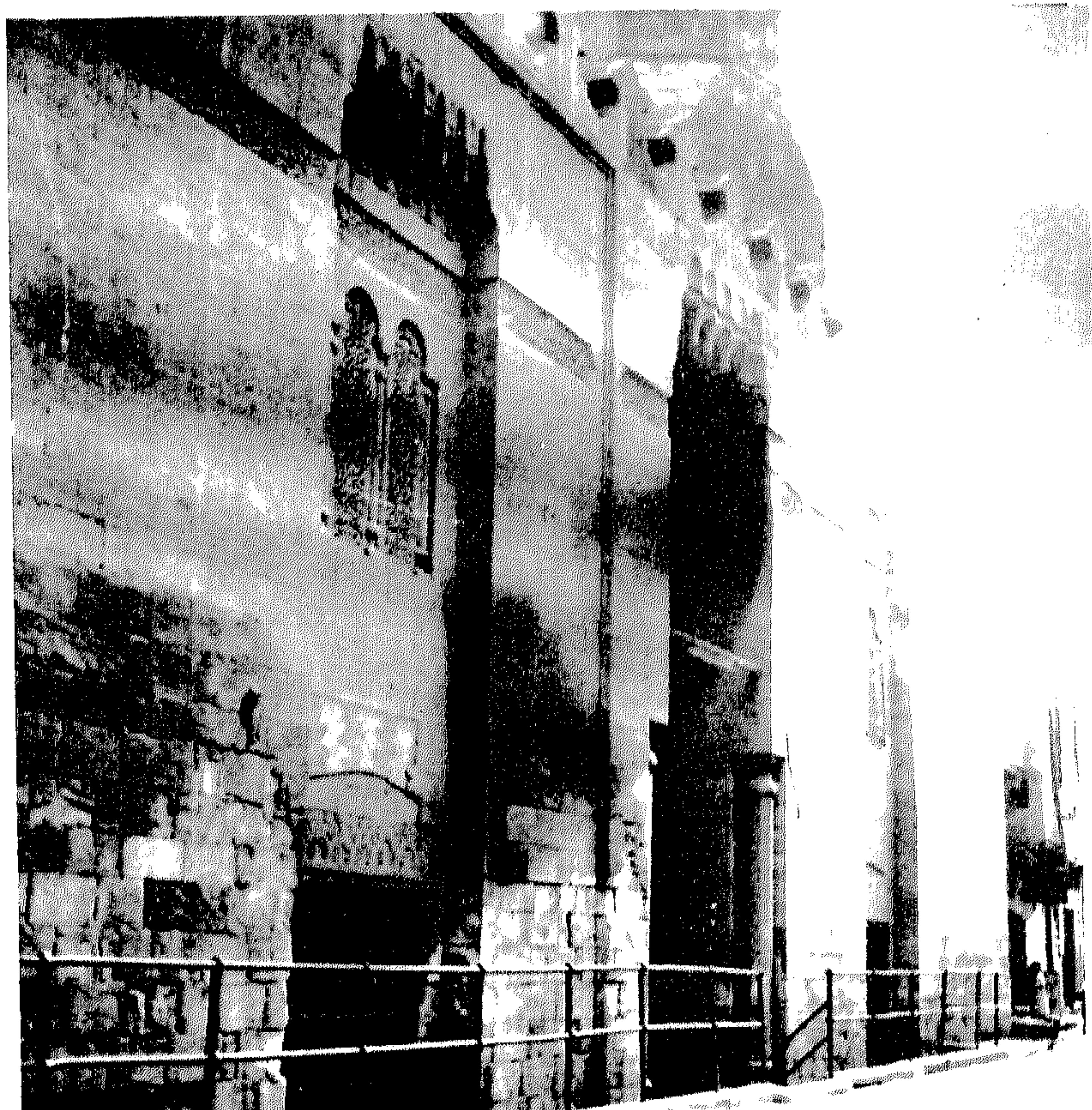
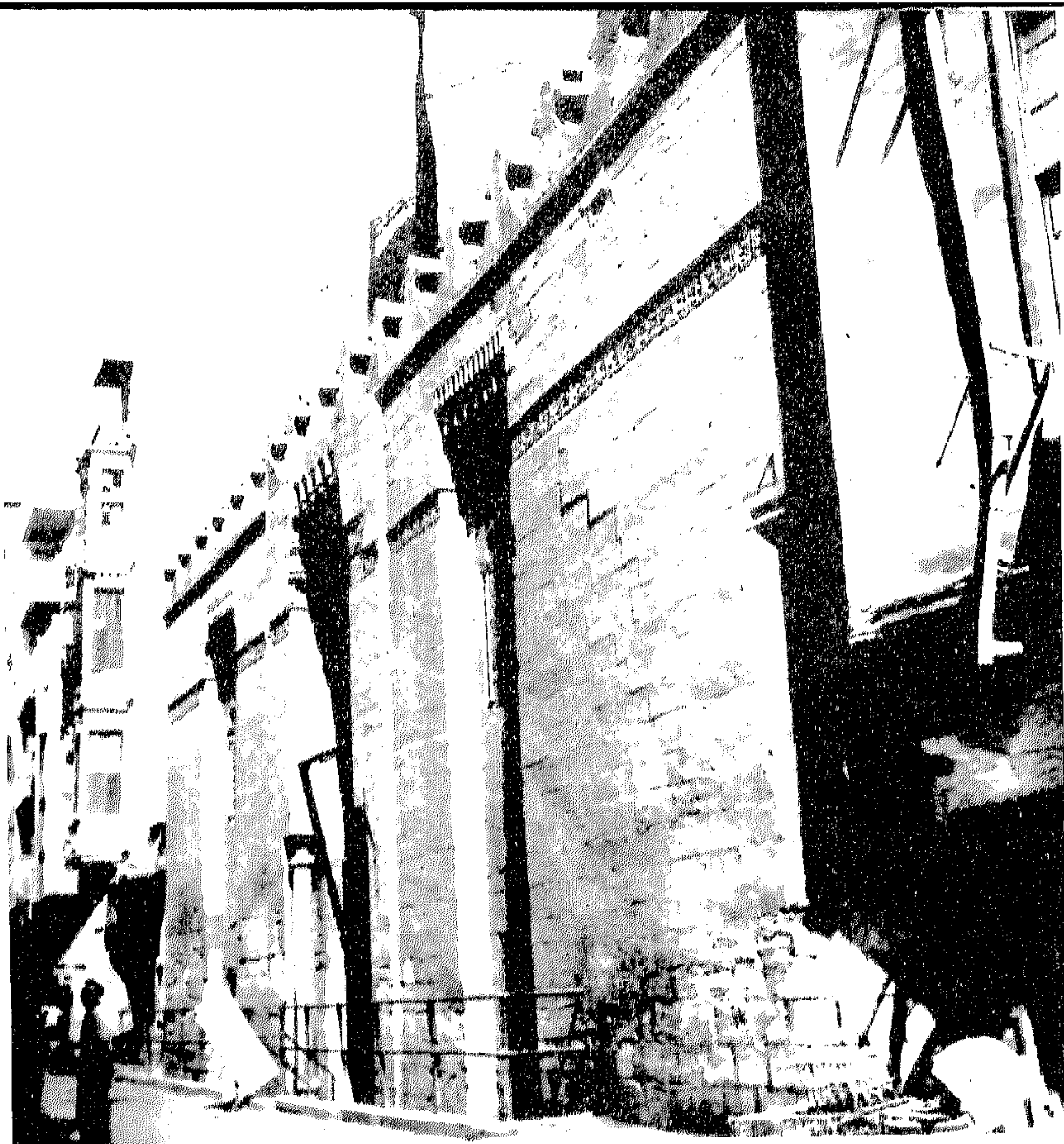
لوحة ١٣١ - المدخل الرئيسى للخانقاه

لوحة ١٣٢ - مشدنة الخانقاه



لوحة ١٣٣ - تفصيل للمشدنة

لوحة ١٣٤ - الواجهة الرئيسية لجامع
الأمير الماس الحاجب



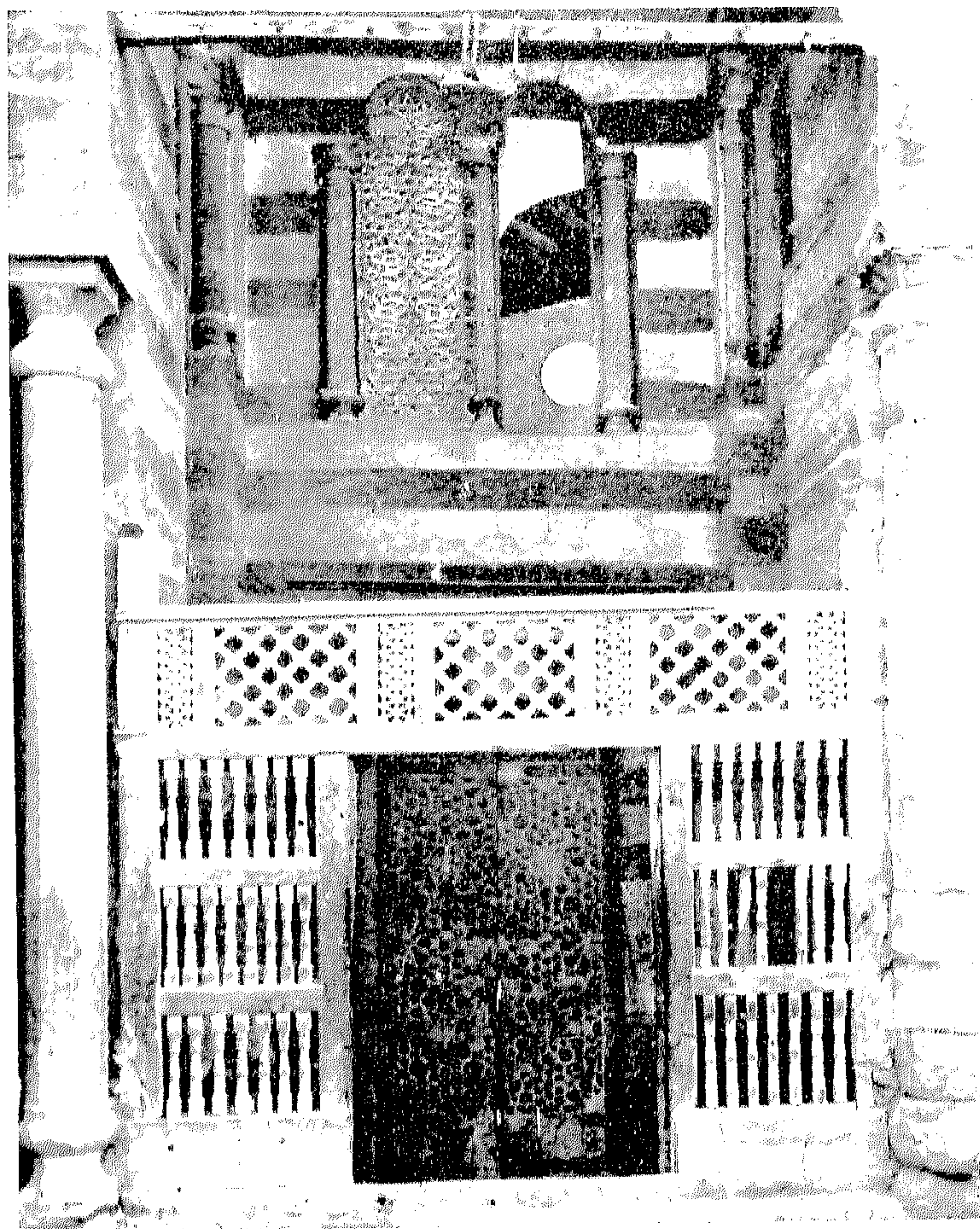
لوحة ١٣٥ - المدخل الرئيسي يتوسط الواجهة

لوحة ١٣٦ - تفاصيل المدخل الرئيسي

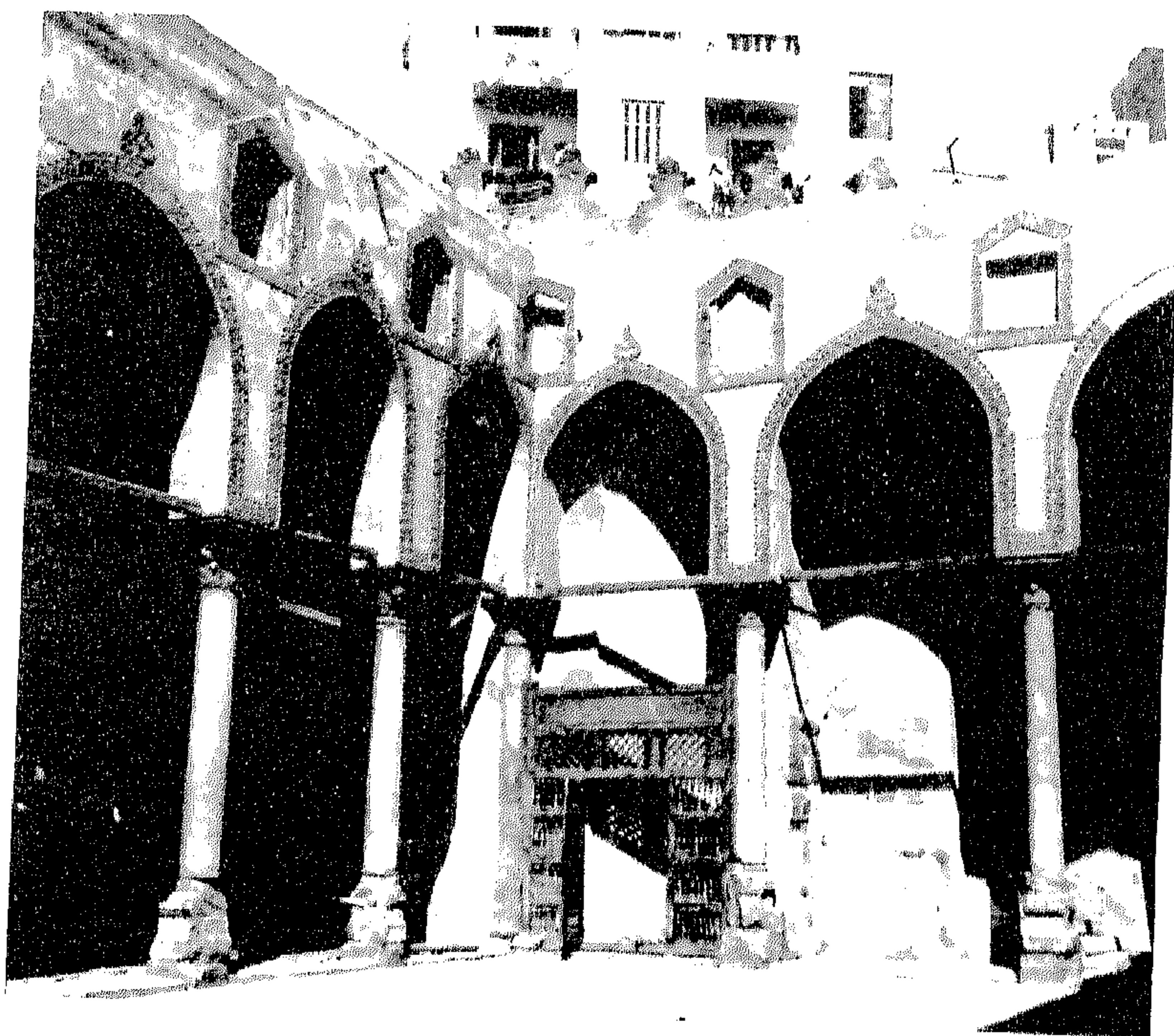


لوحة ١٣٧ - تفاصيل الواجهة الرئيسية

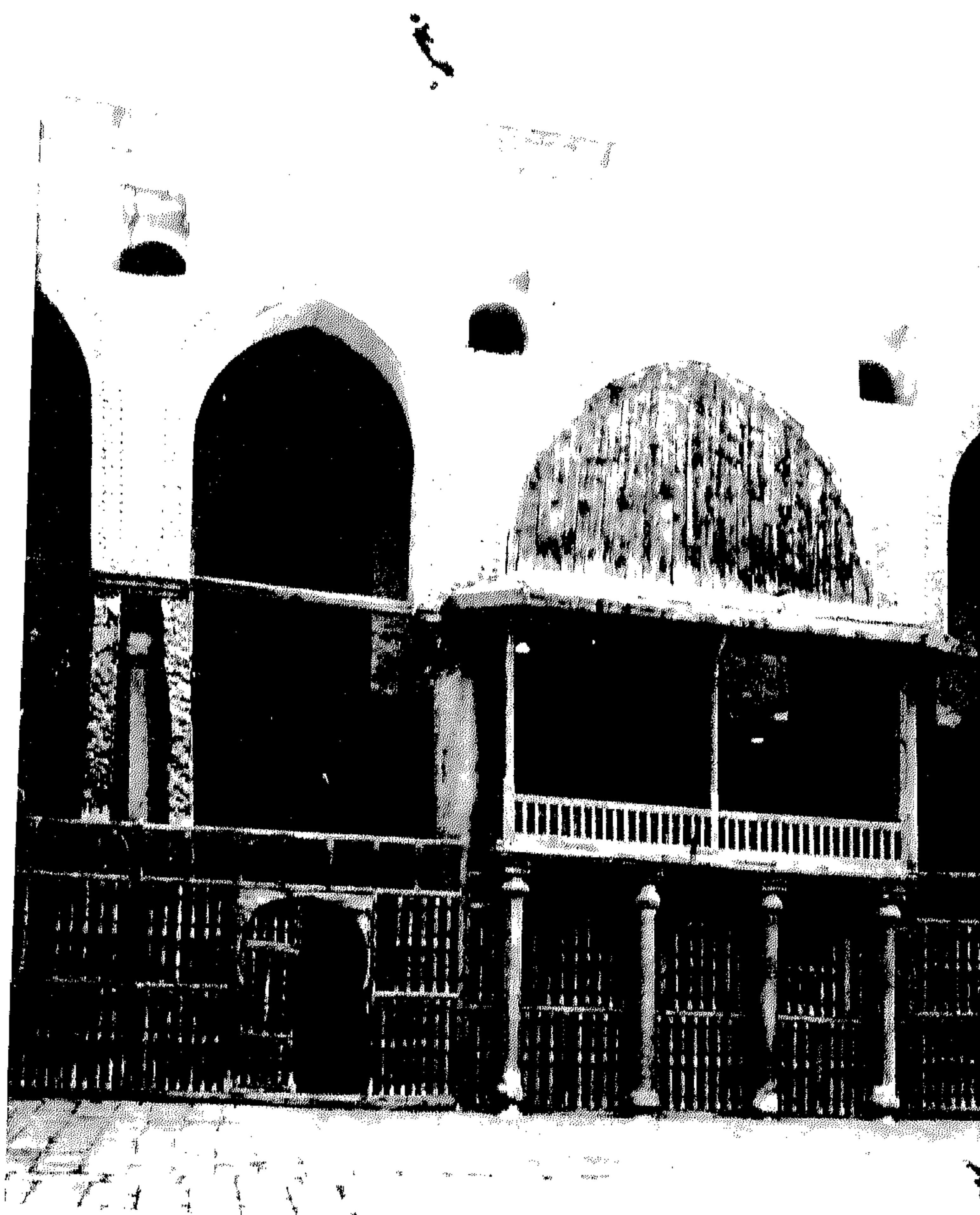
لوحة ١٣٨ - واجهة المسجد يتوسطها الباب
المصنوع تتقدمه المقصورة الخشبية



لوحة ١٣٩ - باب المسجد الخشبي المصنوع

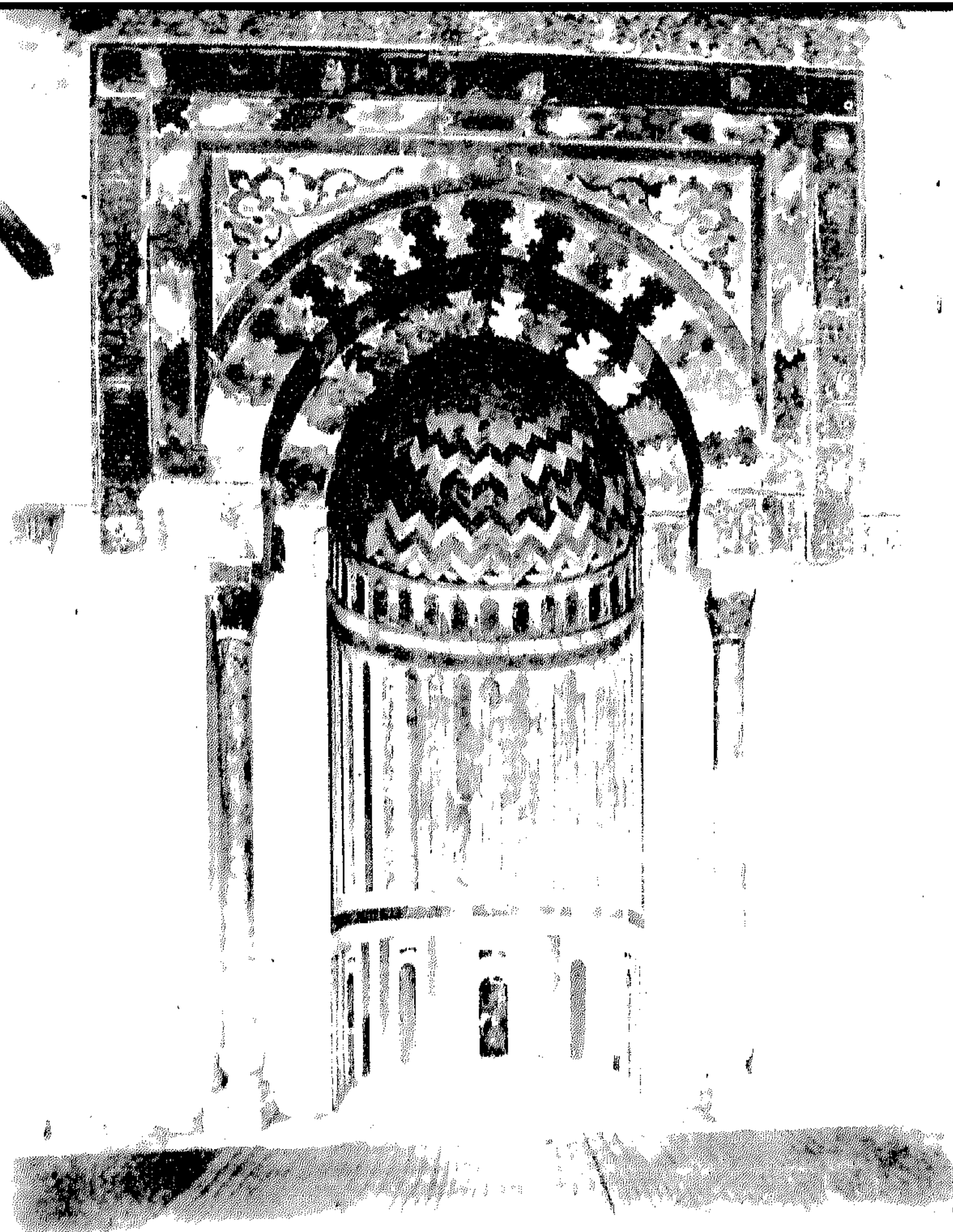


لوحة ١٤٠ - صحن المسجد



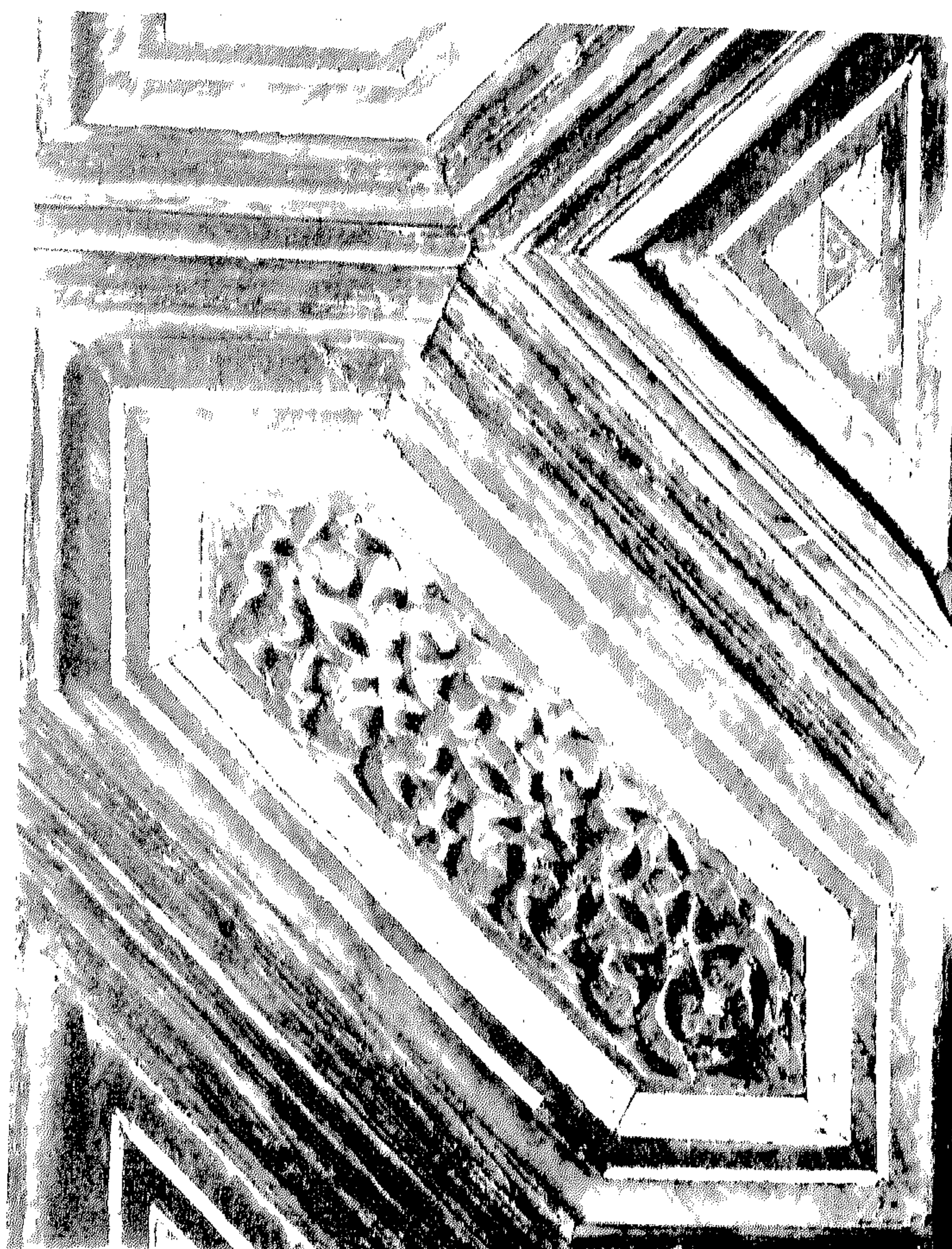
لوحة ١٤١ - واجهة إيوان القبلة
يتوسطه دكة المبلغ

لوحة ١٤٢ - محراب المسجد



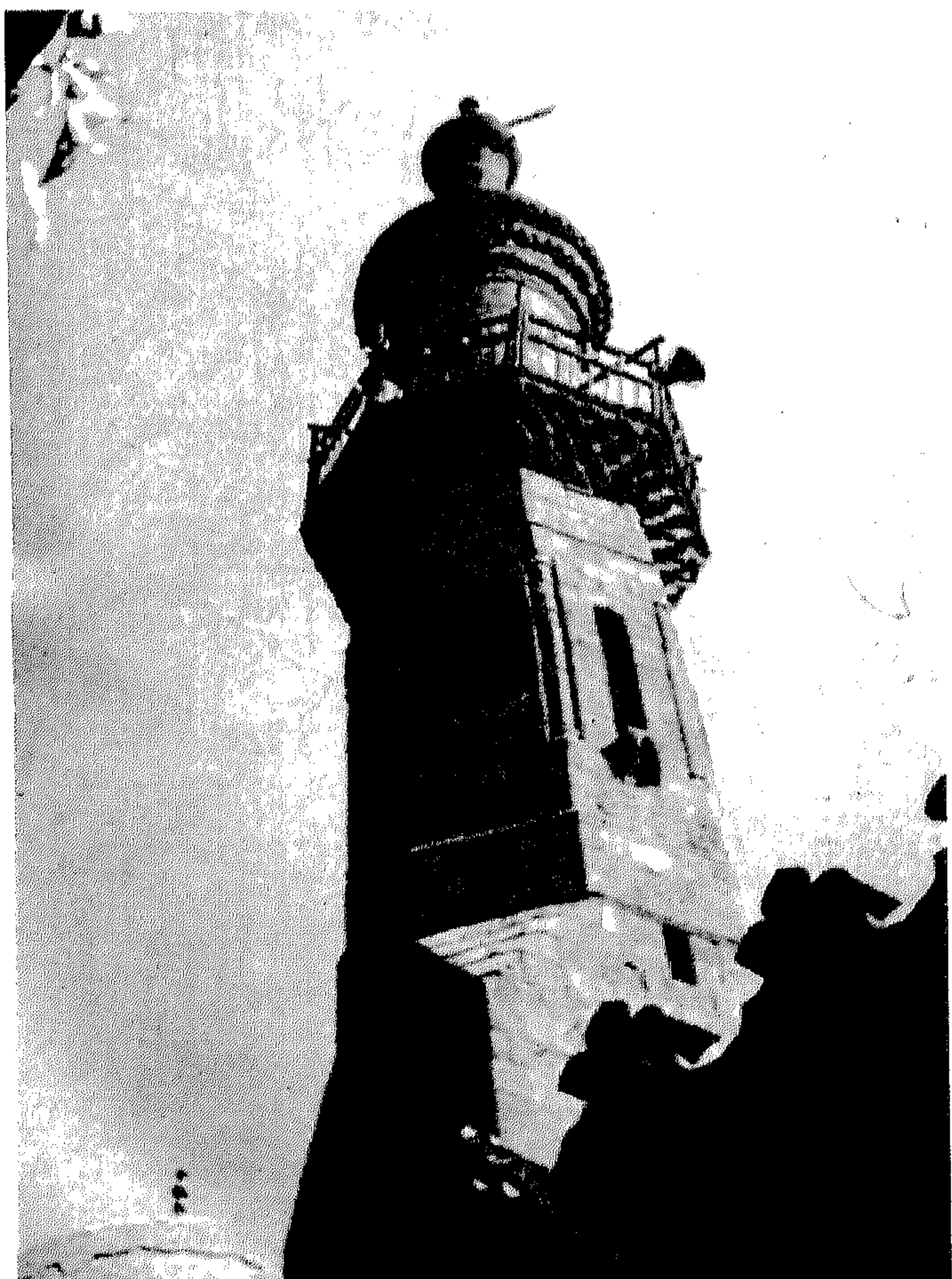
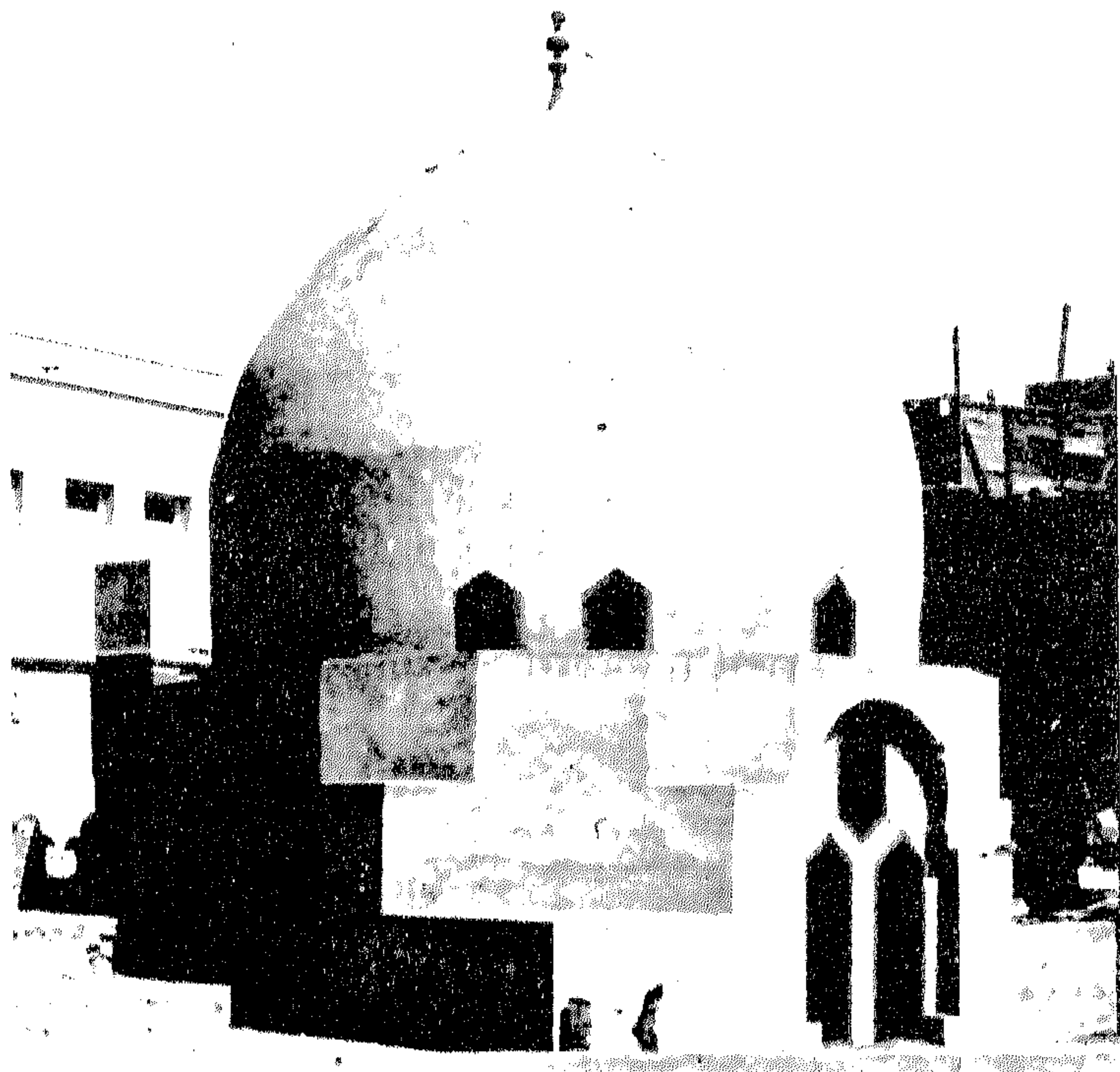
لوحة ١٤٣ - عقود الواجهة الغربية لصحن المسجد

١٤٤ - تاج عمود بمسجد الماس



١٤٥ - خشوات خشبية مجمعة بمسجد الماس

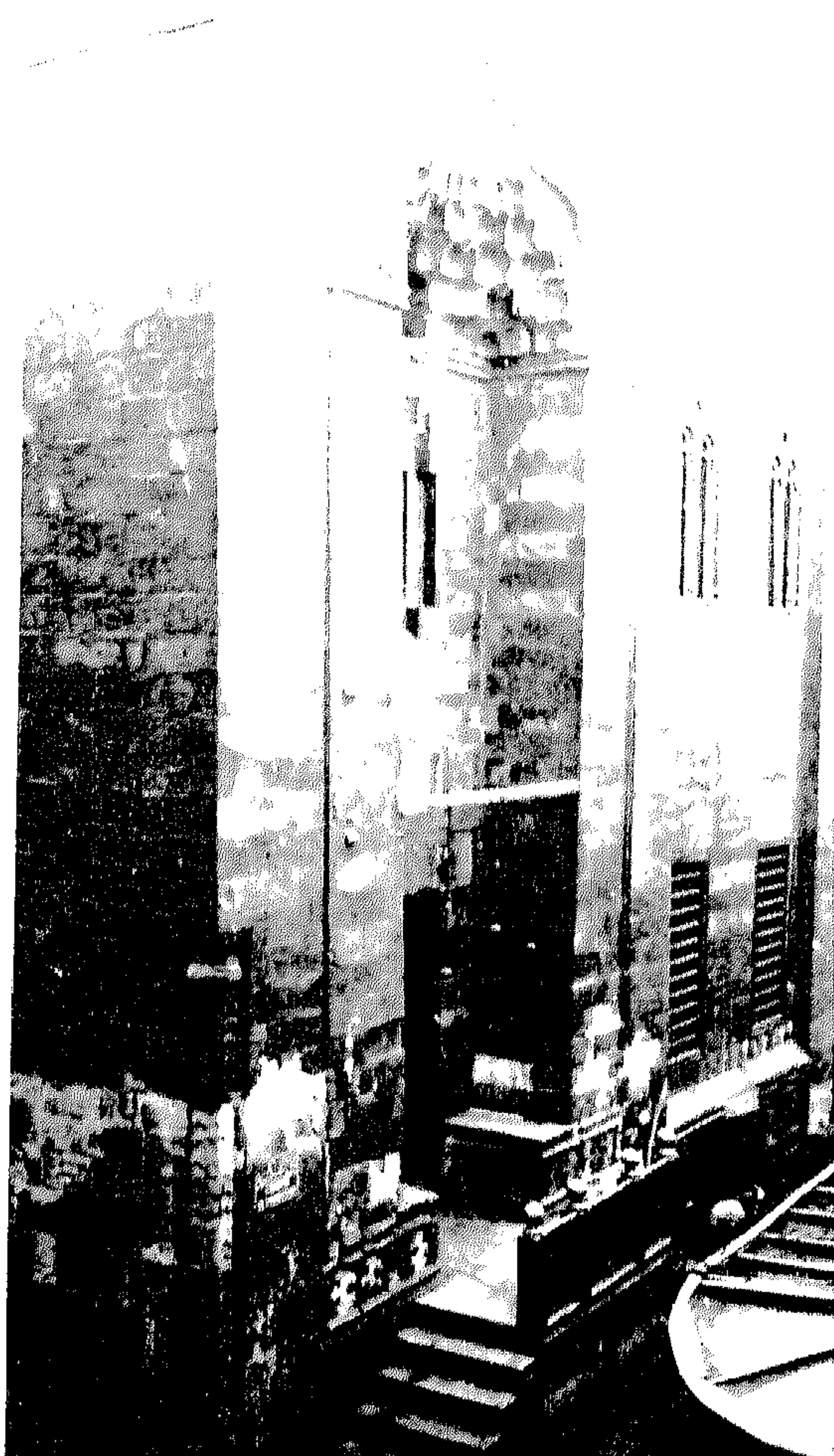
لوحة ١٤٦ - قبة الأمير الماس

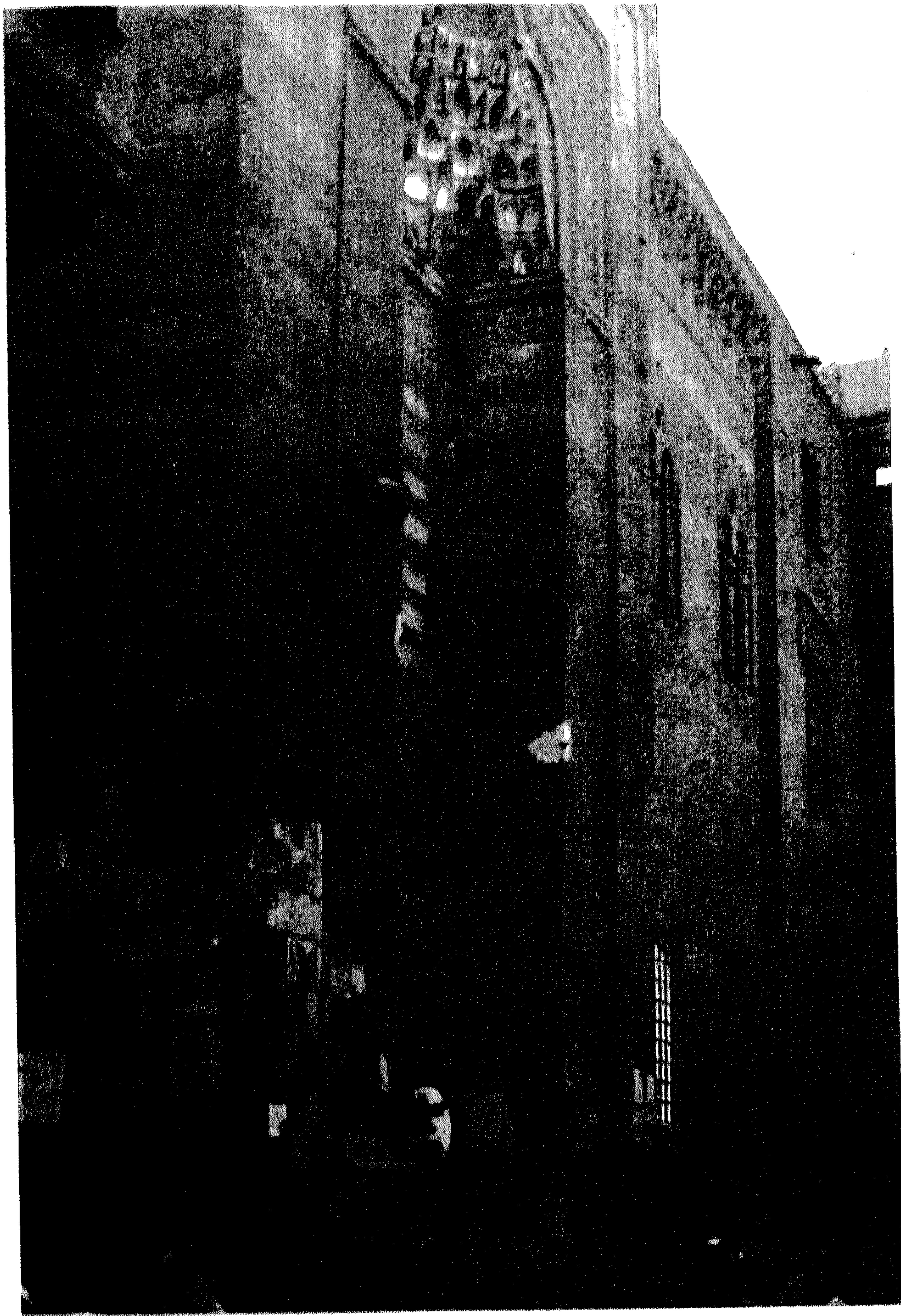


لوحة ١٤٧ - مئذنة جامع الماس

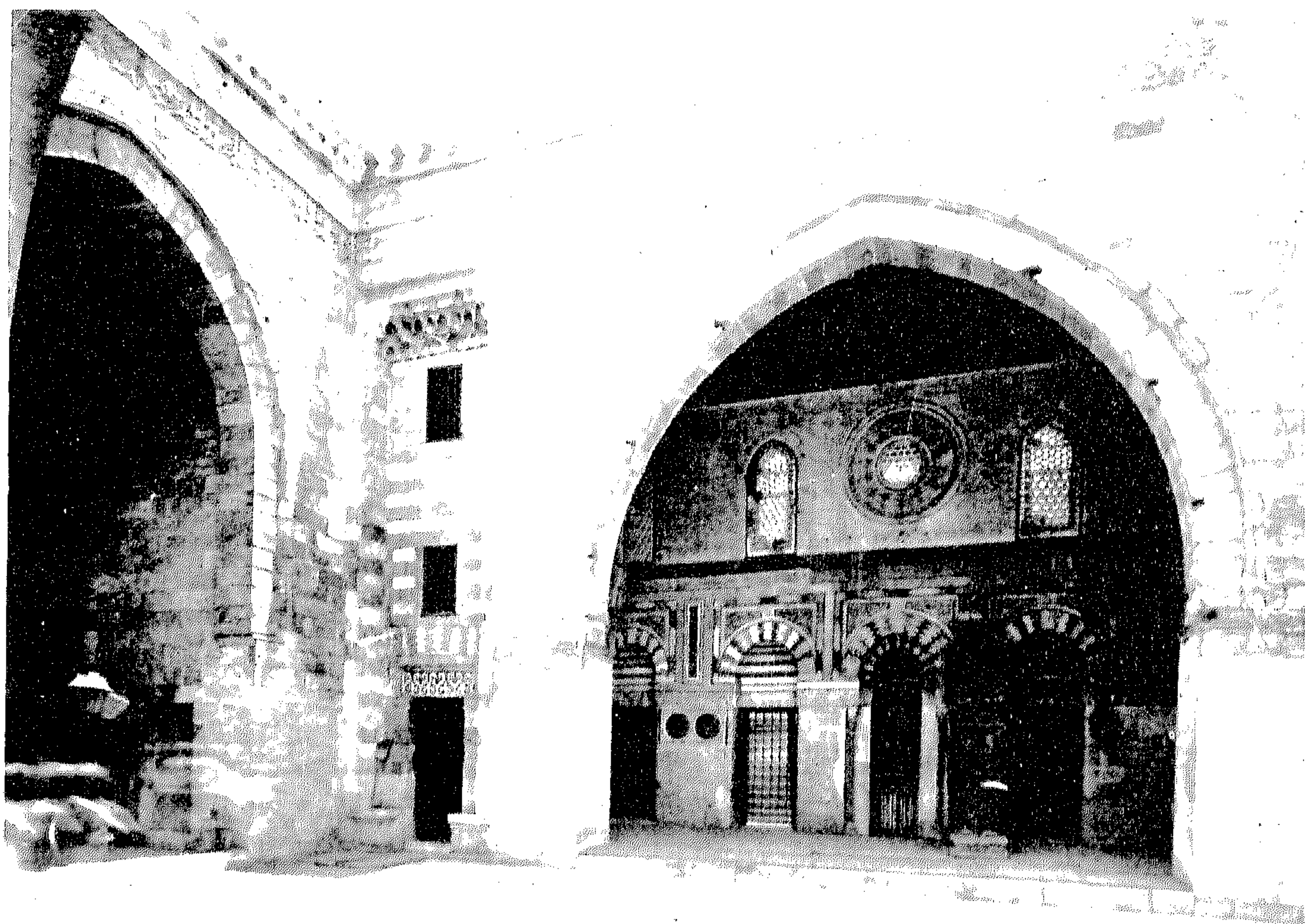


لوحة ١٤٩ - واجهة مدرسة جمال الدين الأستاذار بالجمالية



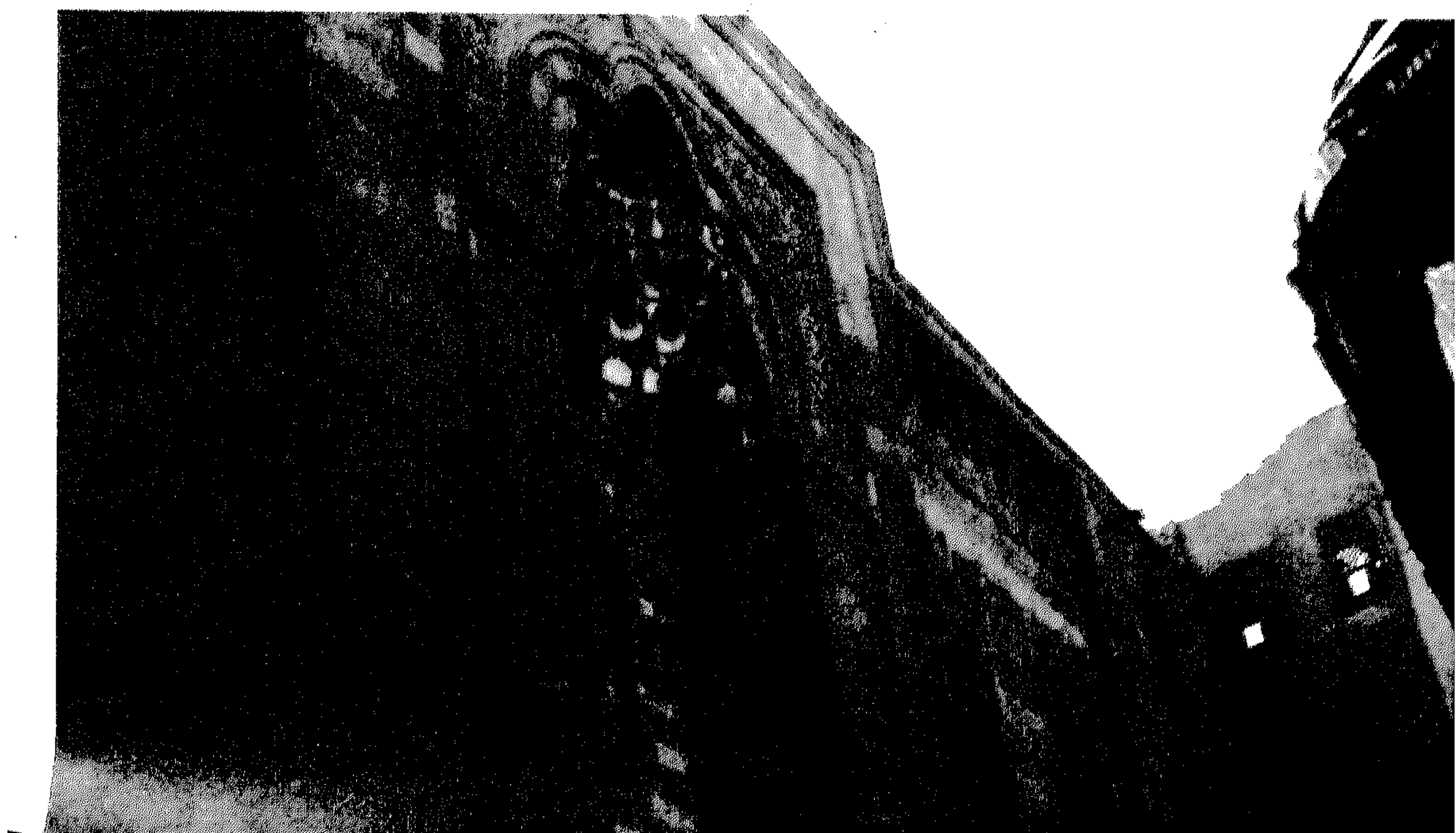


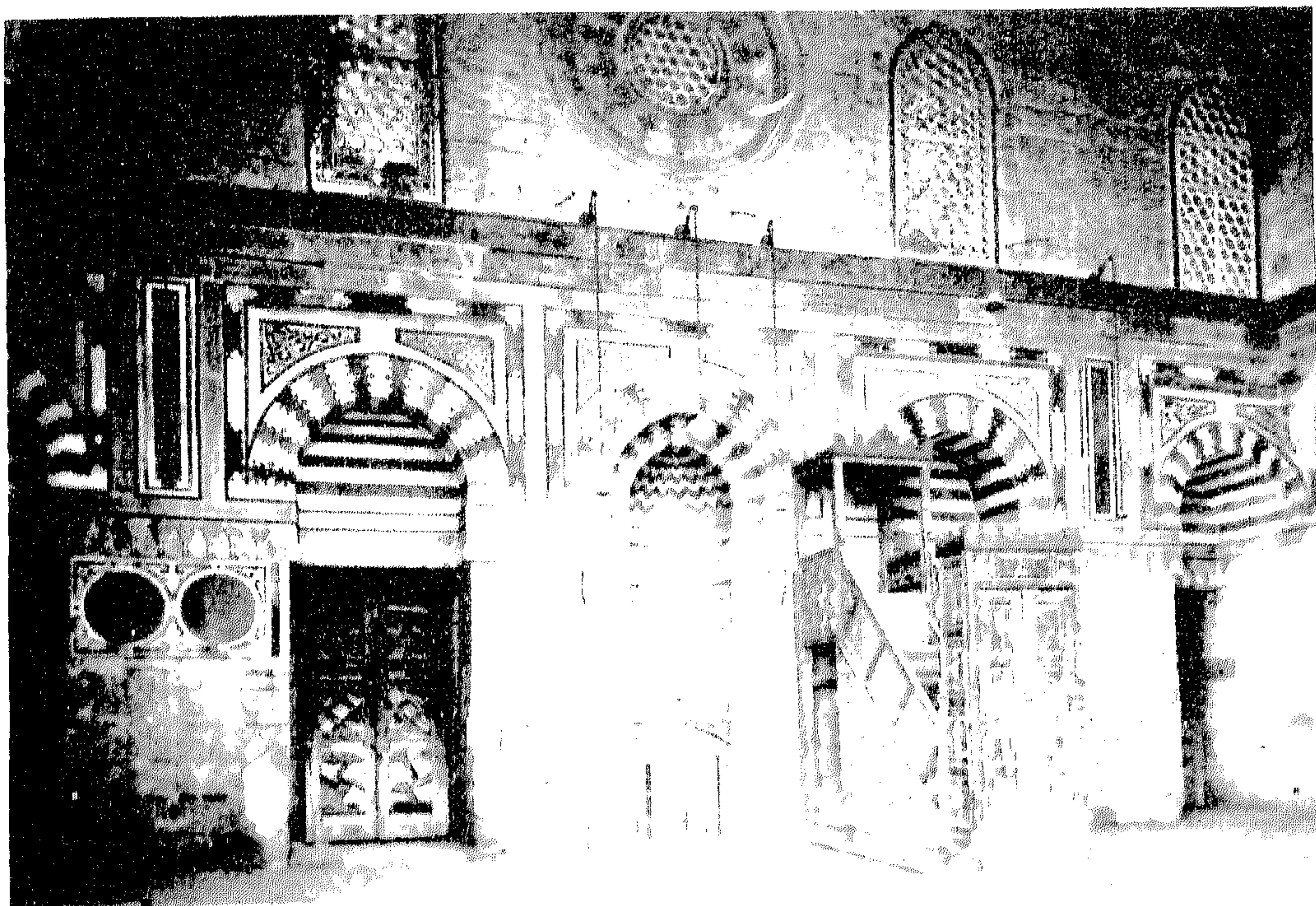
نوحه ١٥٠ - الركن الجنوبي الغربي لواجهة مدرسة جمال الدين



لوحة ١٥١ - صحن المسجد تحيط به الإيوانات

لوحة ١٥٢ - تفاصيل المدخل الرئيسي للمدرسة



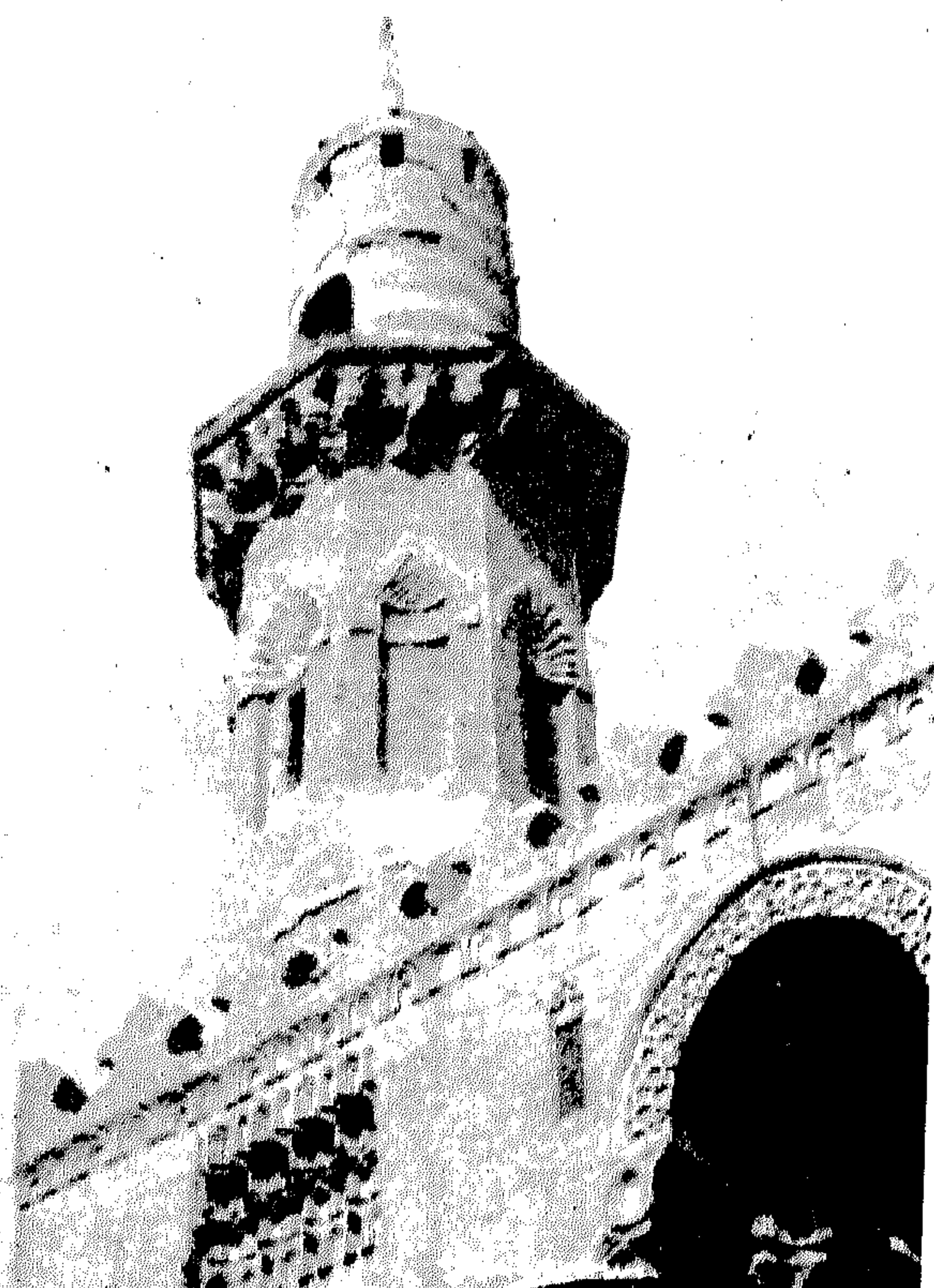


لوحة ١٥٣ - حائط إيوان القبلة

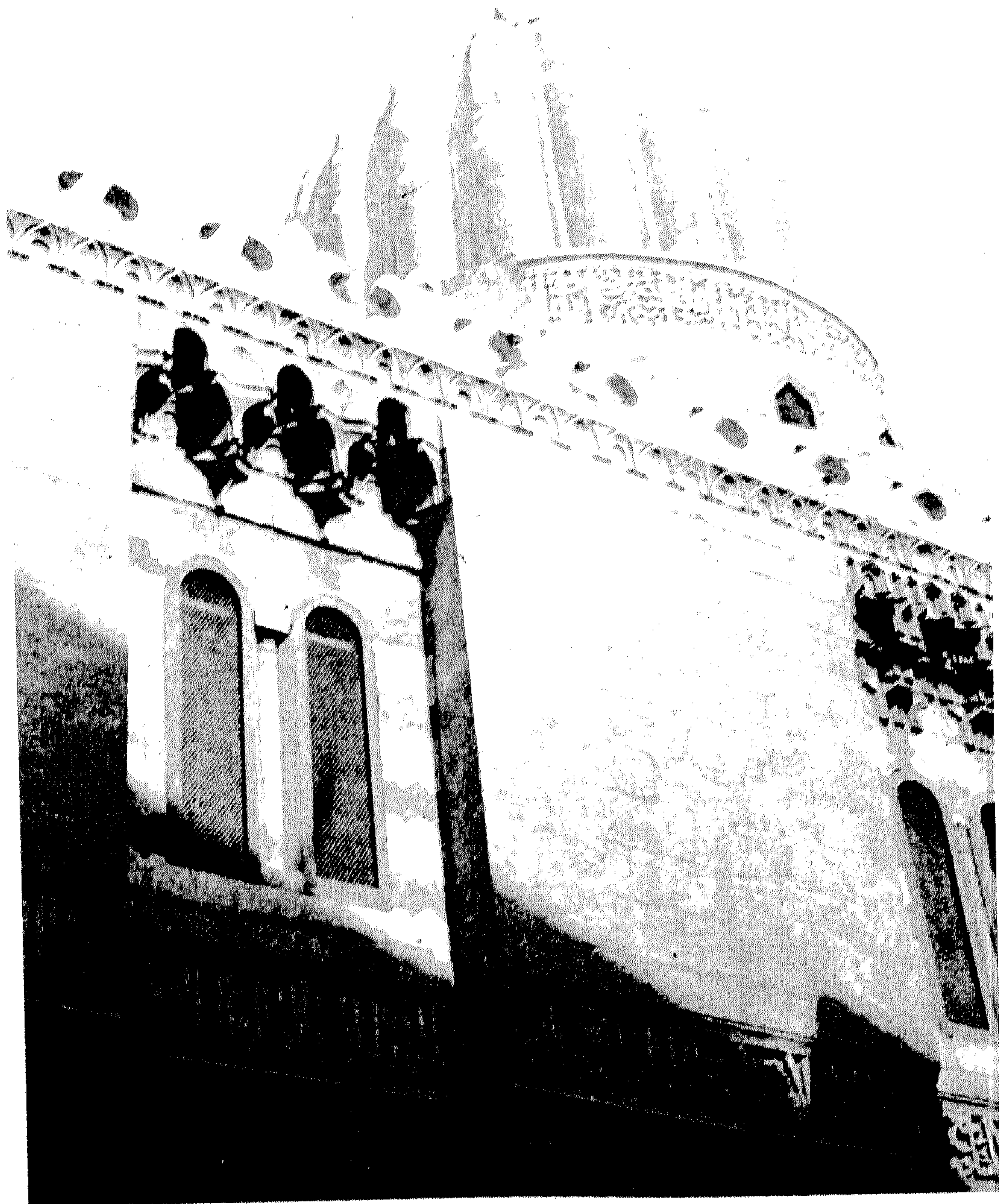


لوحة ١٥٤ - مدرسة وخانقاه أحمد المهندار

لوحة ١٥٥ - الواجهة الرئيسية للمدرسة والخانقاه



لوحة ١٥٦ - مثناة المهندار

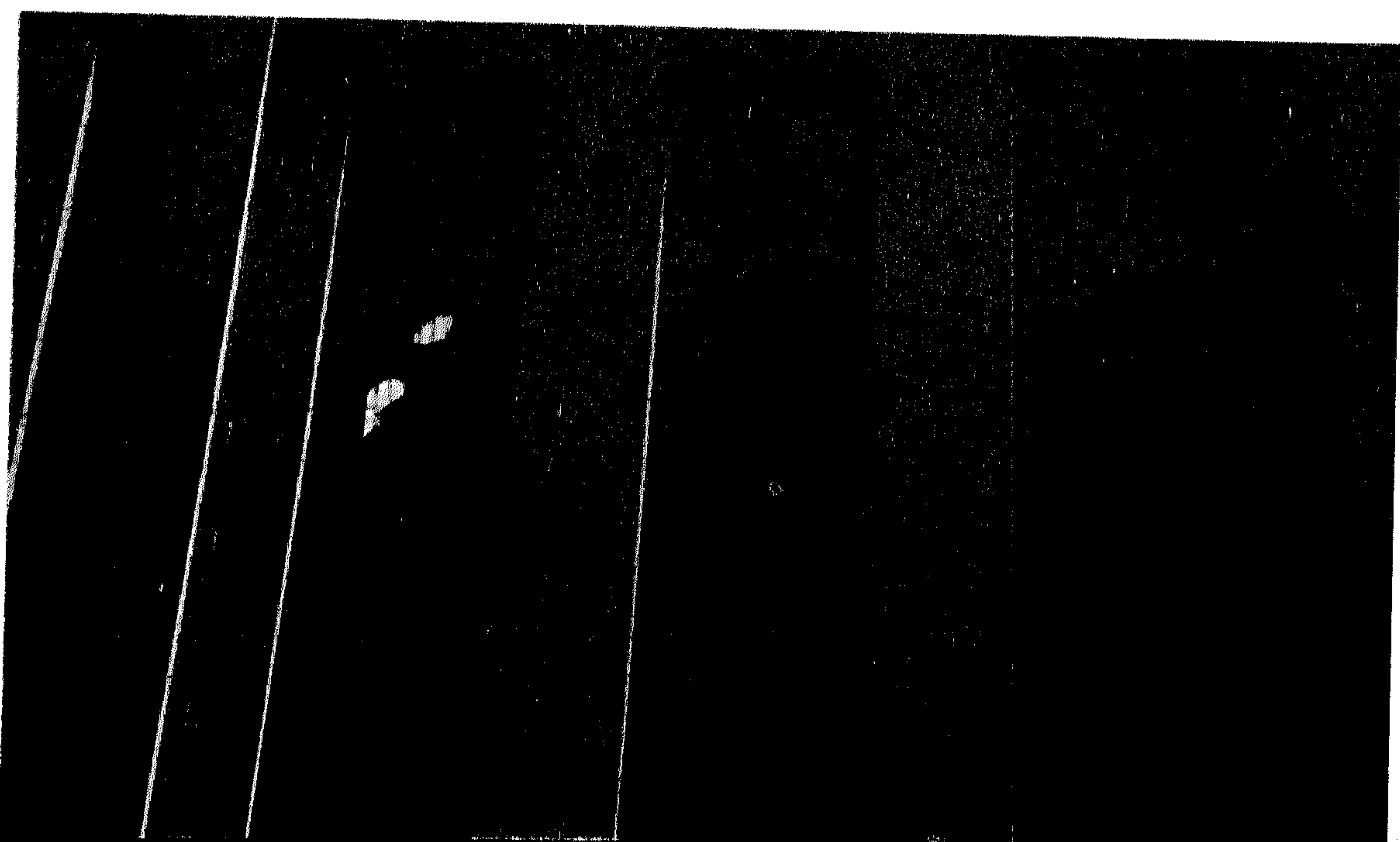


لوحة ١٥٧ - قبة المهندار

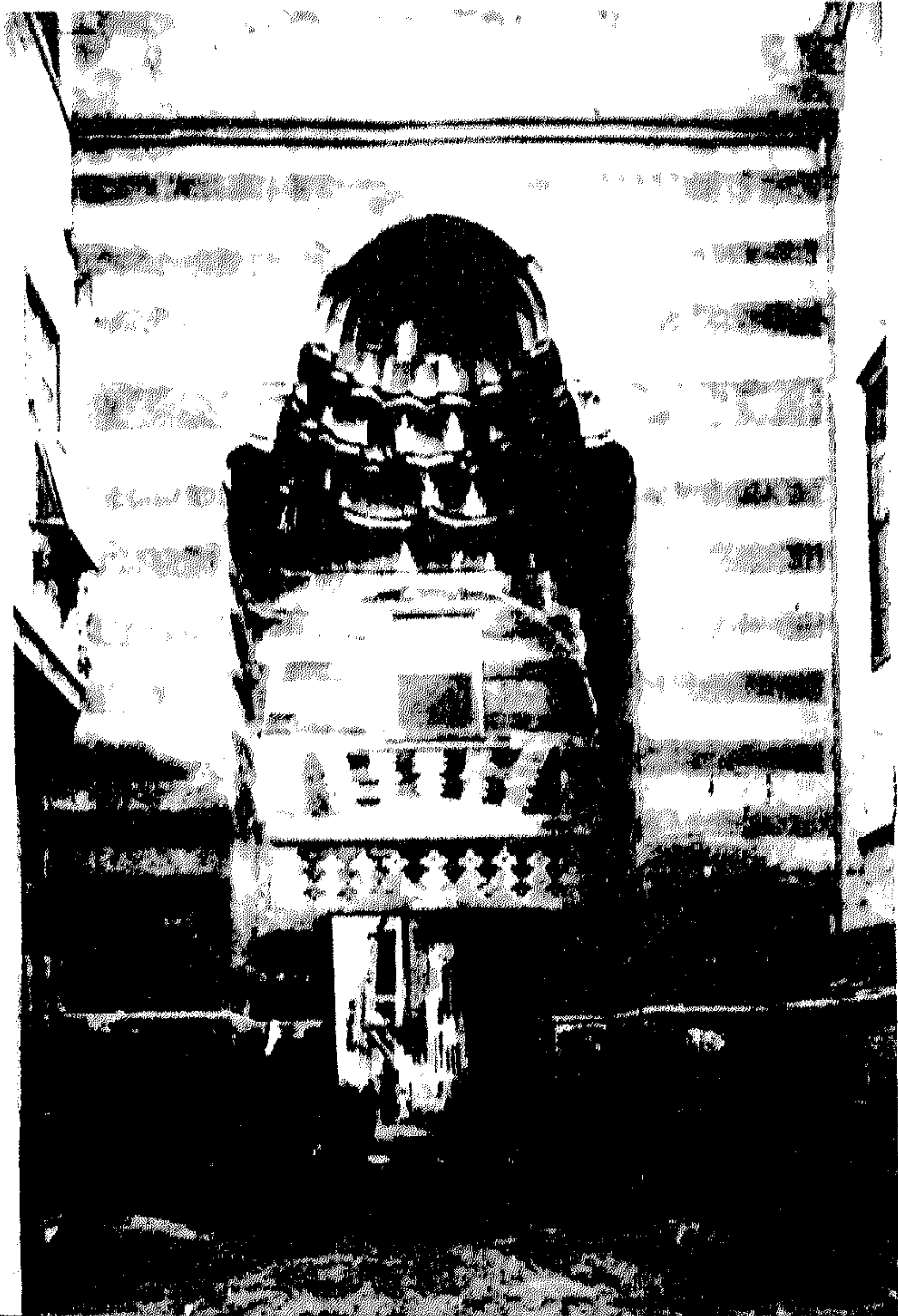
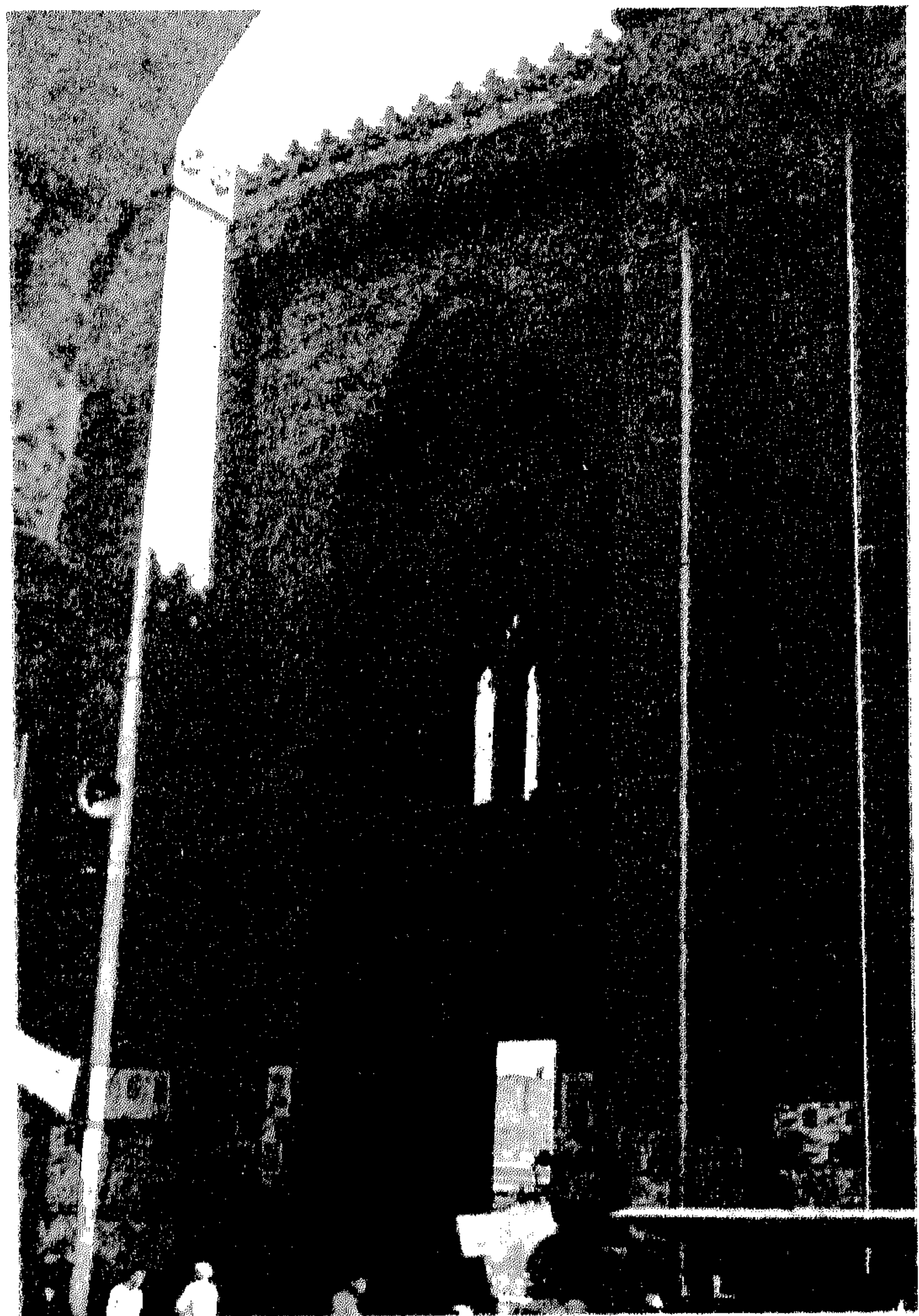
لوحة ١٥٨ - جامع قوصون بشارع محمد علي



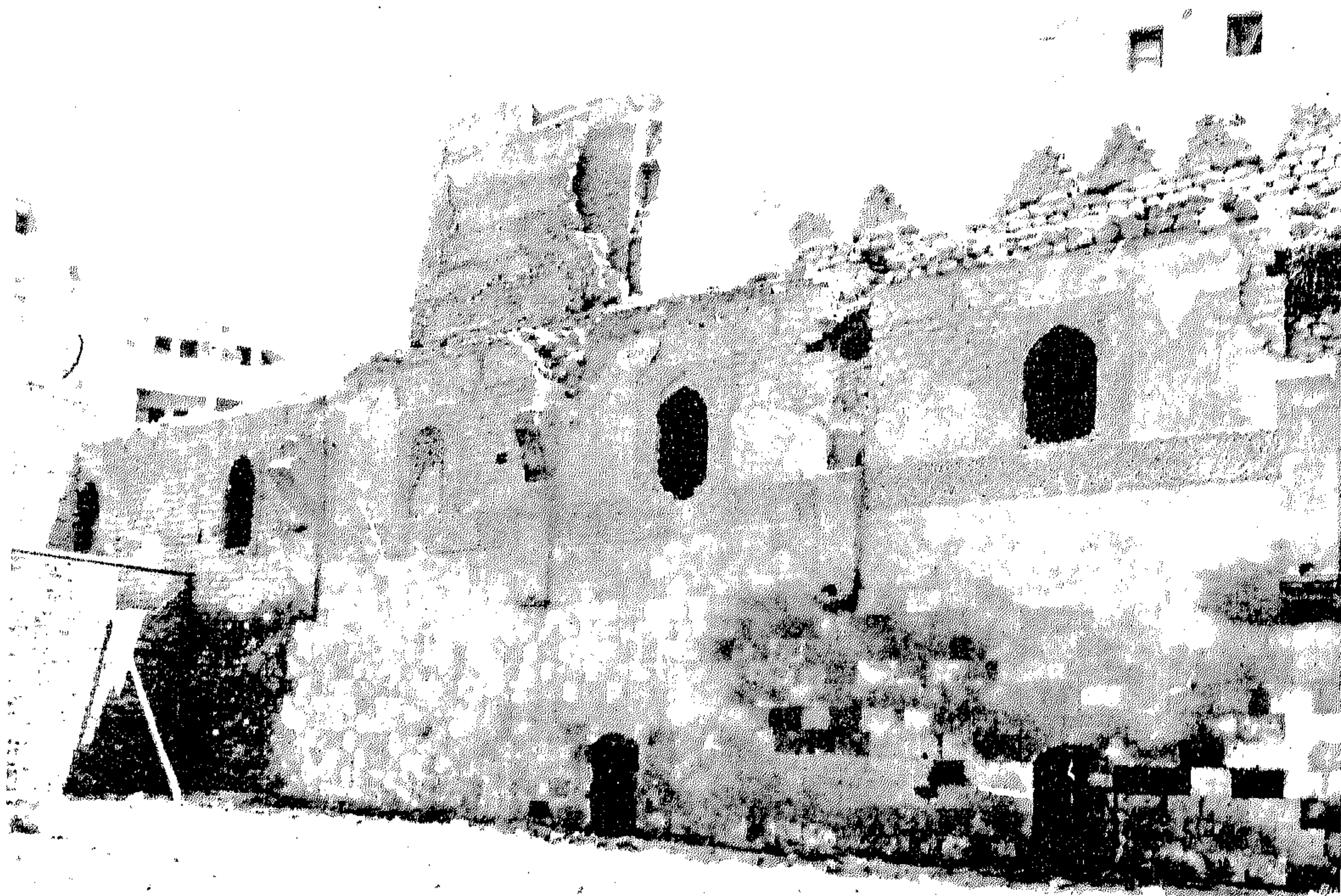
لوحة ١٥٩ - واجهة جامع قوصون



لوحة ١٦٠ - المدخل الرئيسي لجامع قوصون



لوحة ١٦١ - المدخل القديم لجامع قوصون

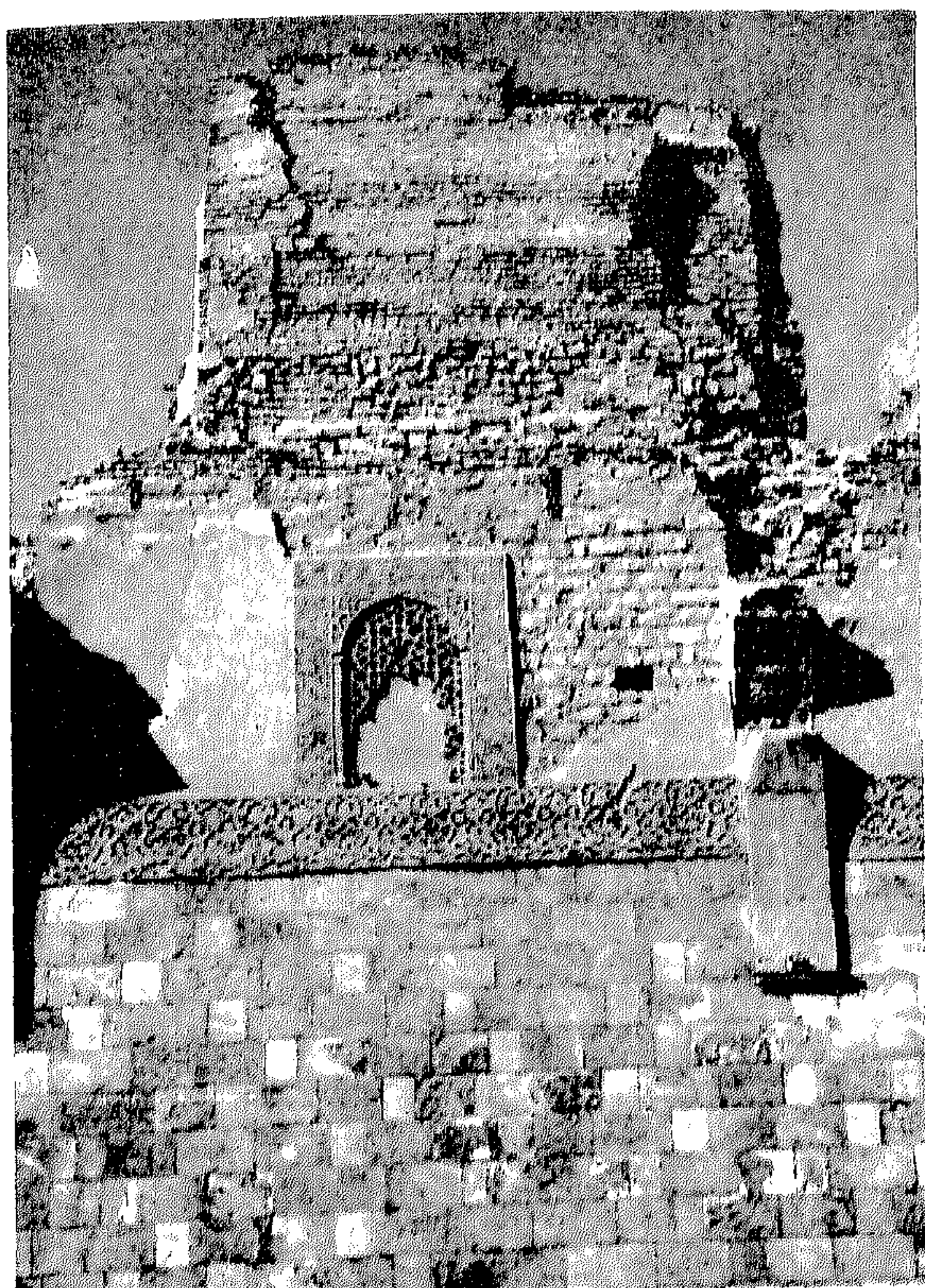


لوحة ١٦٢ - داخل الجامع

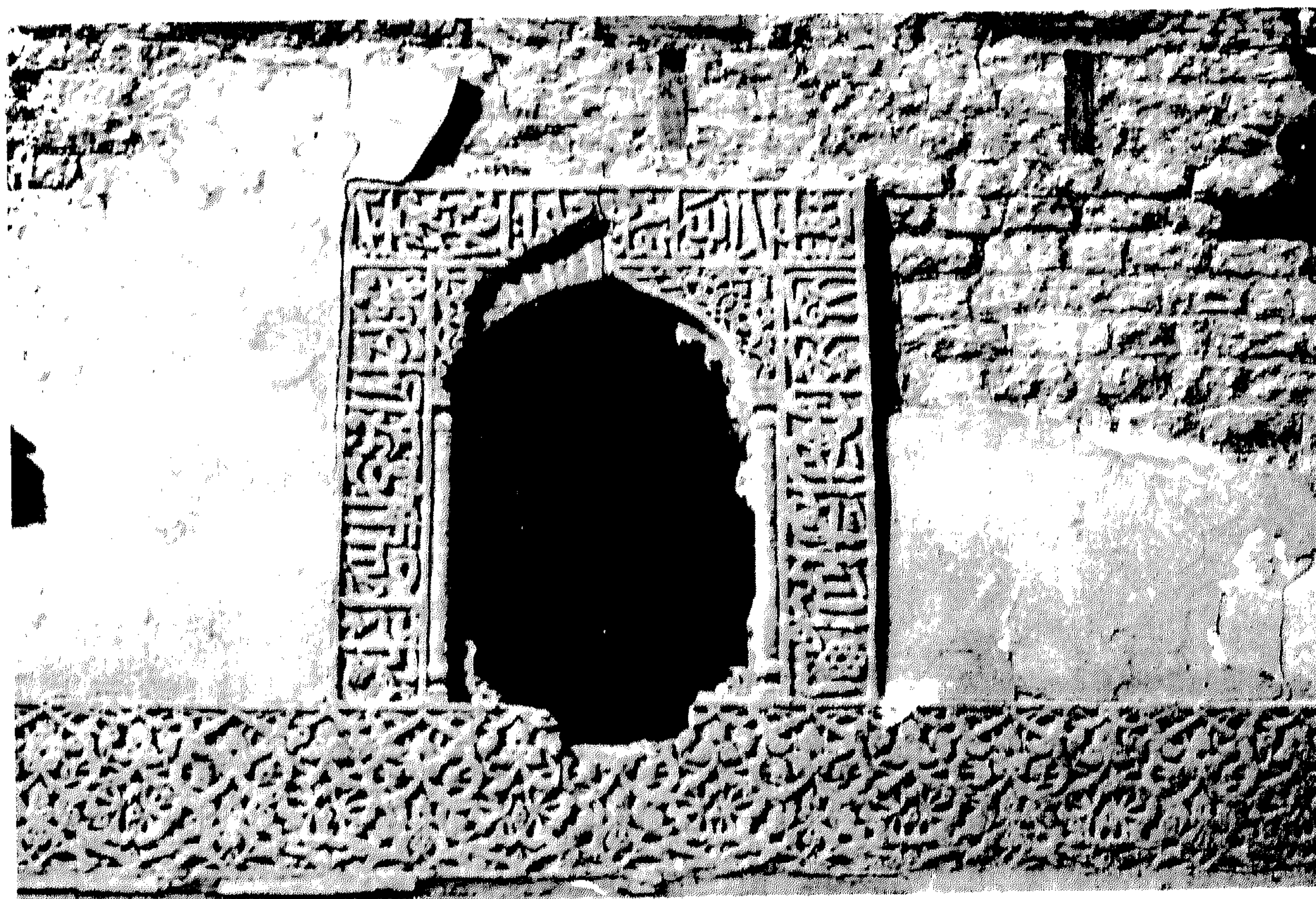


لوحة ١٦٣ - الزخارف الجصية بالداخل

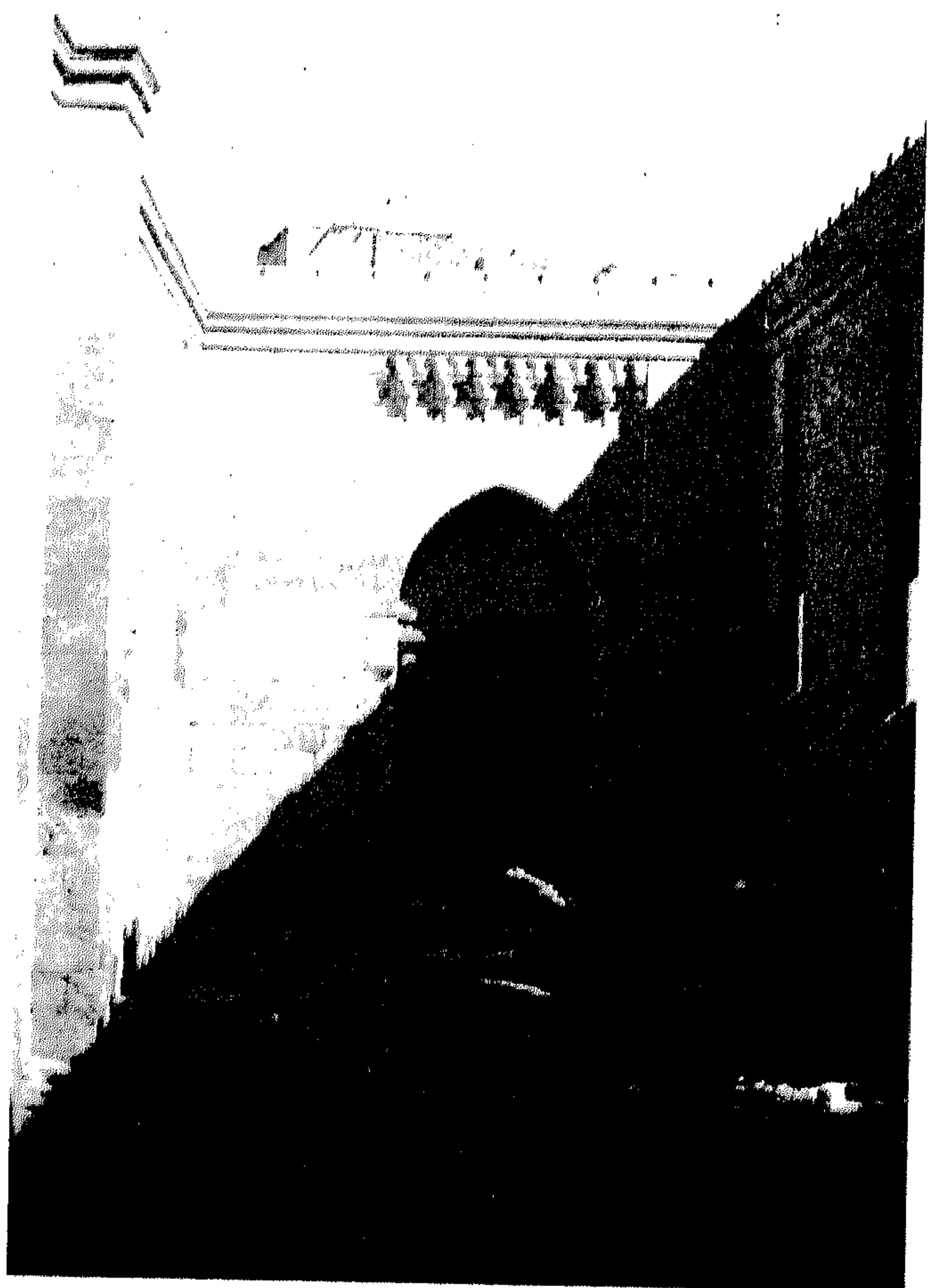
لوحة ١٦٤ - الزخارف النباتية التي تحيط بالنوافذ



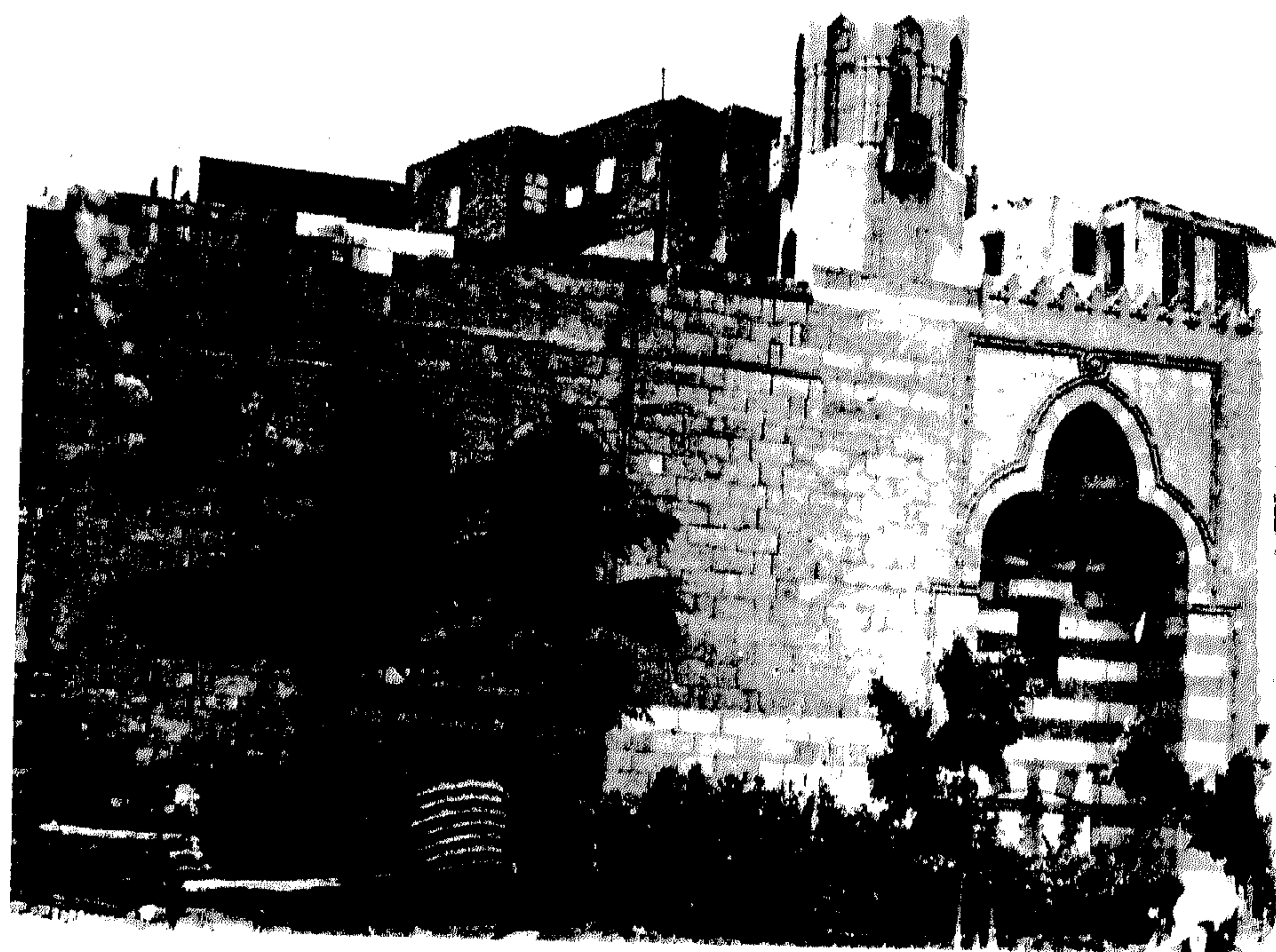
لوحة ١٦٥ - الزخارف الكتابية التي تحيط بالنوافذ



لوحة ١٦٦ - البوابة الأثرية لجامع قوصون



لوحة ١٦٧ - واجهة جامع الفخر (قايتباي) بمنيل الروضة

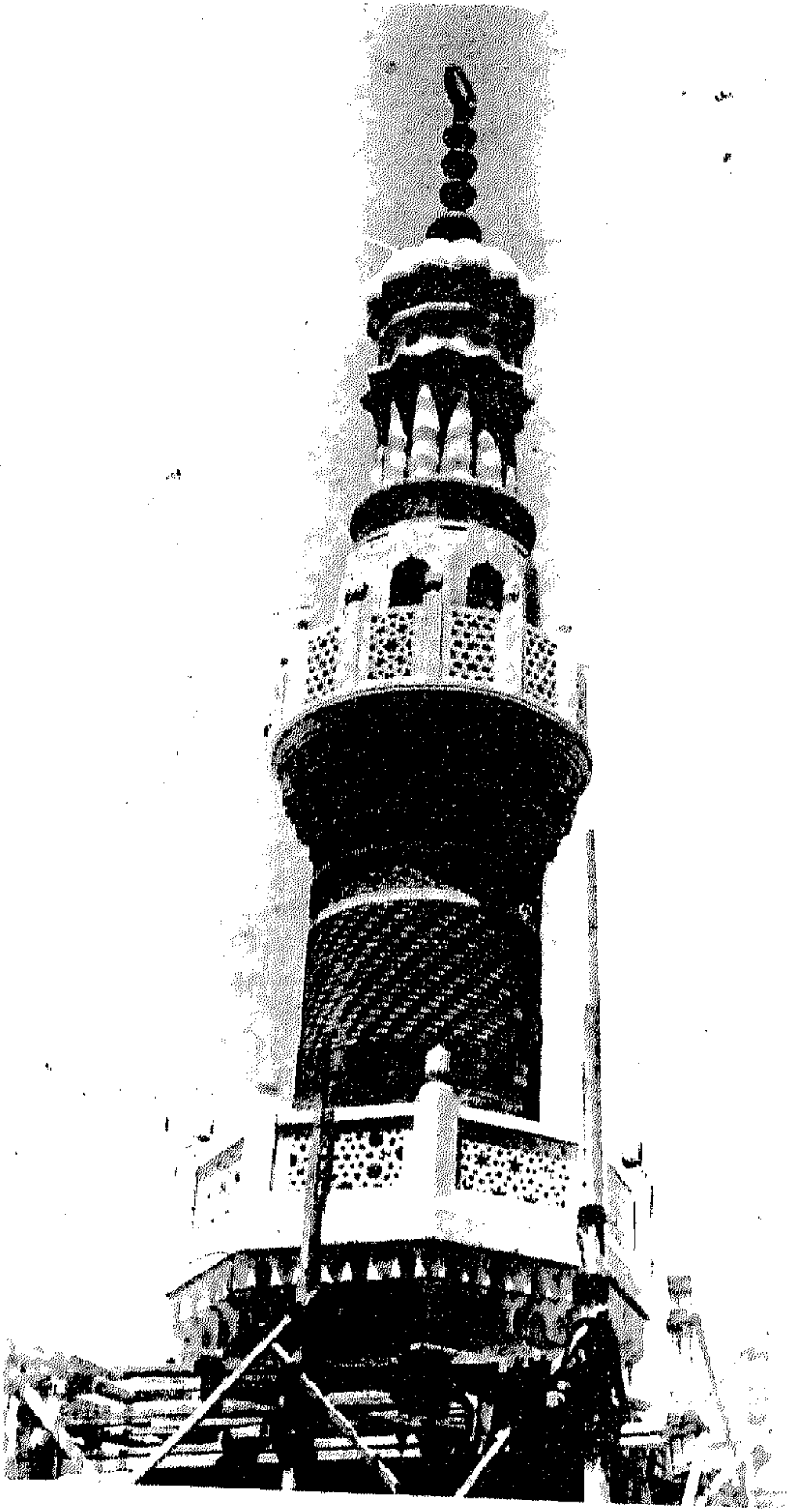


لوحة ١٦٨ - منارة جامع الفخر

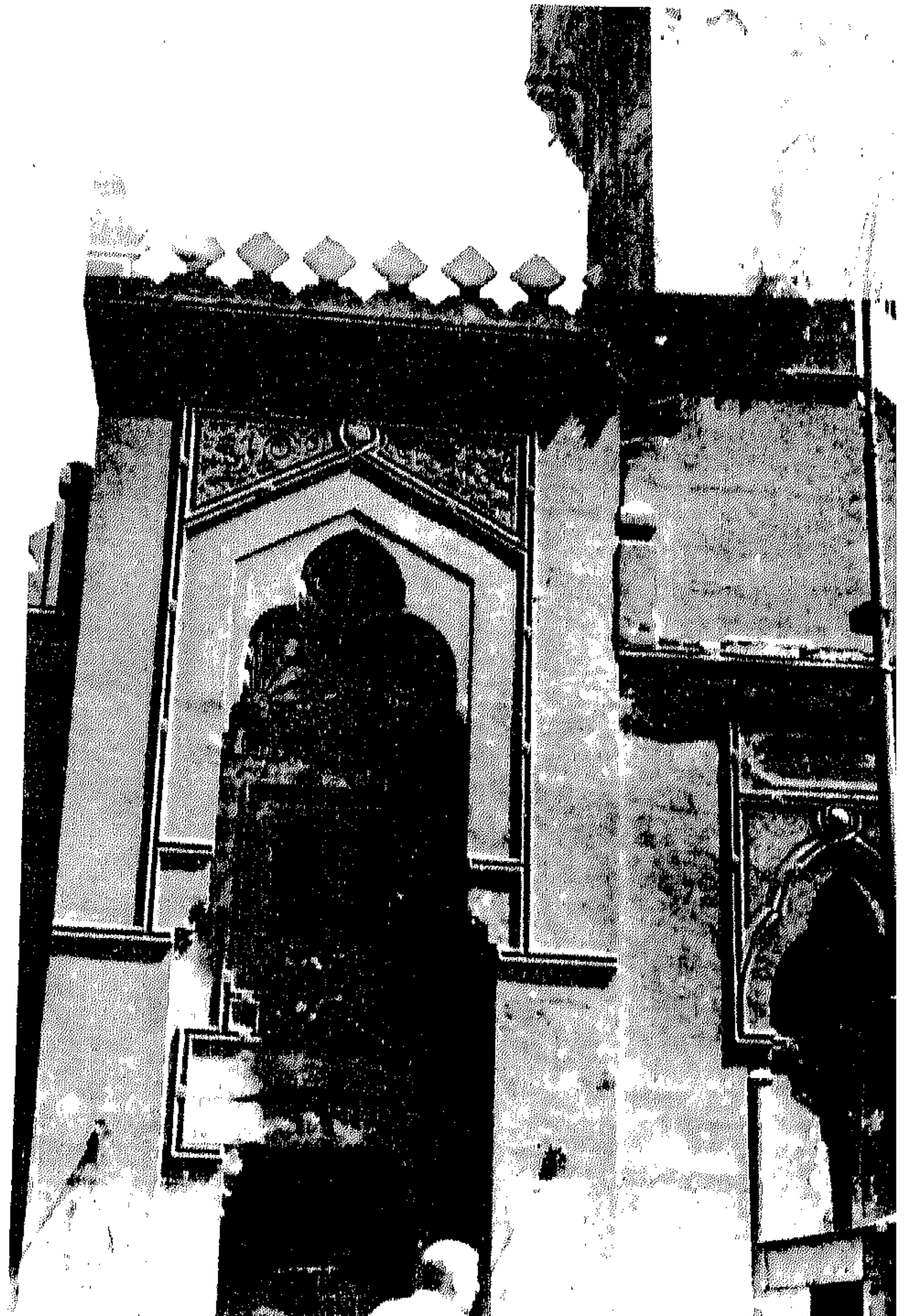


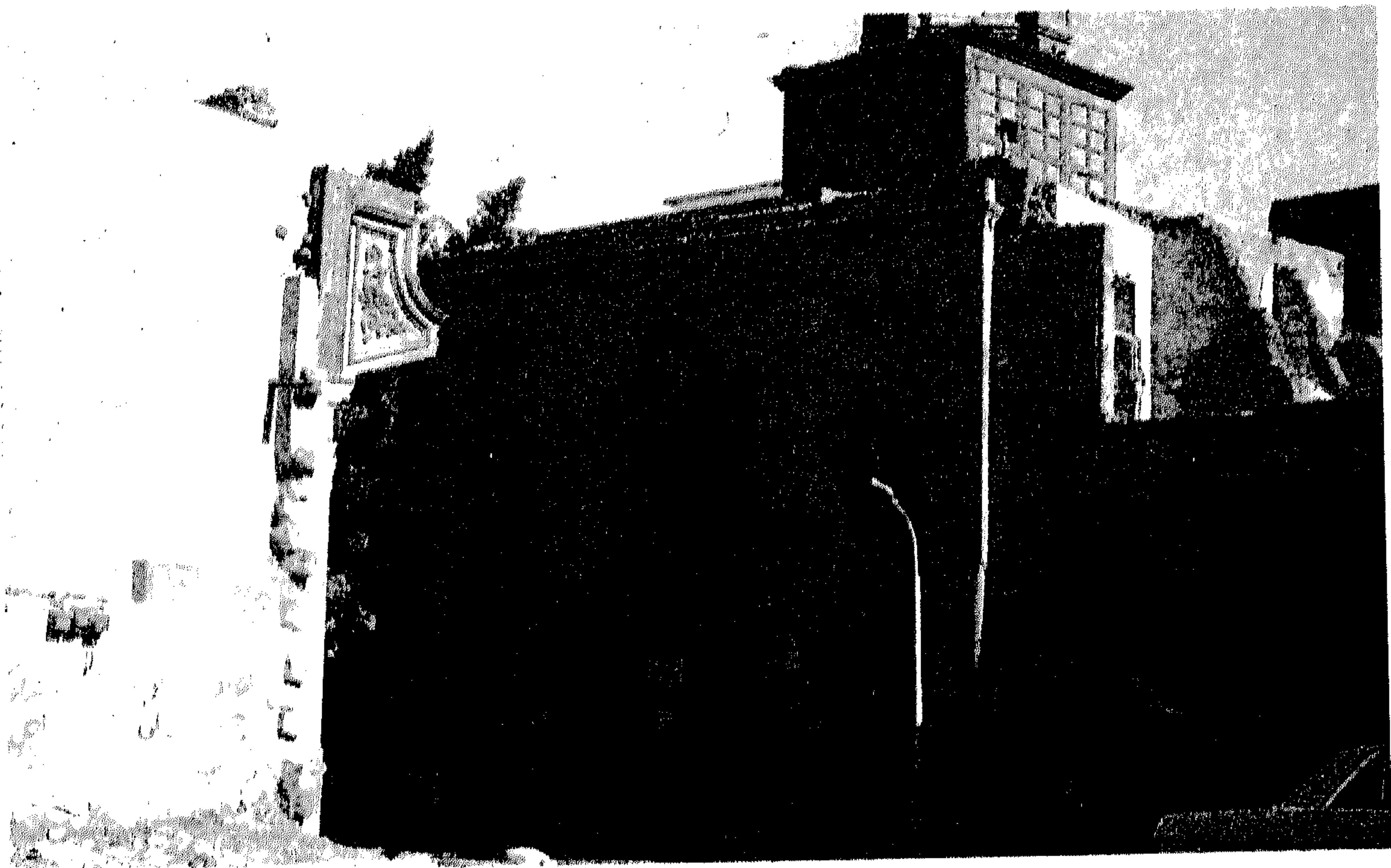
لوحة ١٦٩ - جامع الطباخ بعبدين

لوحة ١٧٠ - مئذنة جامع الطباخ



لوحة ١٧١ - واجهة مسجد بشتاك الرئيسية
(فاضل باشا حالياً)





لوحة ١٧٢ - تفصيل الواجهة الرئيسية

لوحة ١٧٣ - المدخل الرئيسى لمسجد بشتاك



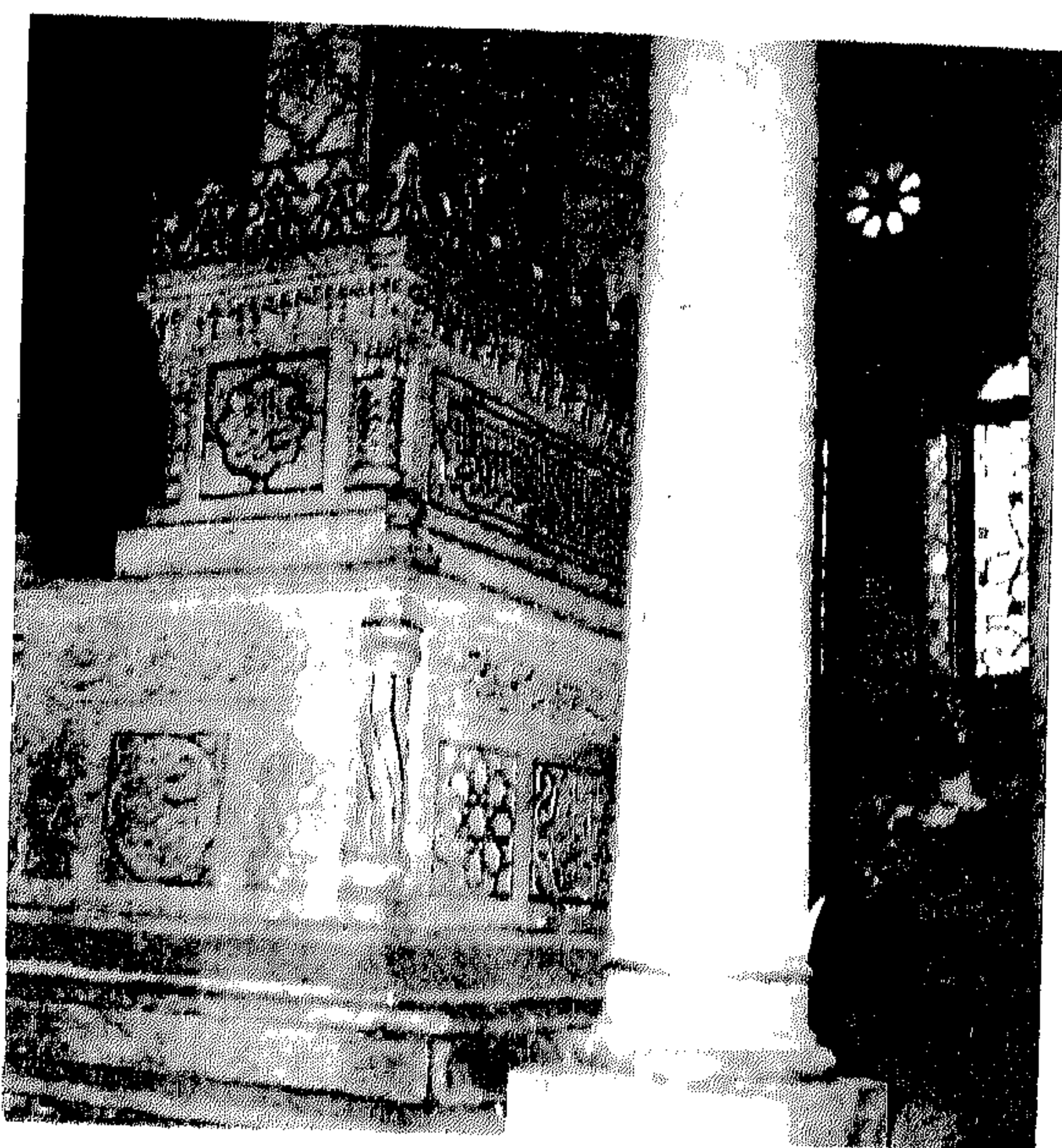


لوحة ١٧٥ - الباب الموصل إلى ضريح فاضل
باشا وأسرتة التي ألحقت بمسجد بشتاك



لوحة ١٧٤ - داخل مسجد بشتاك

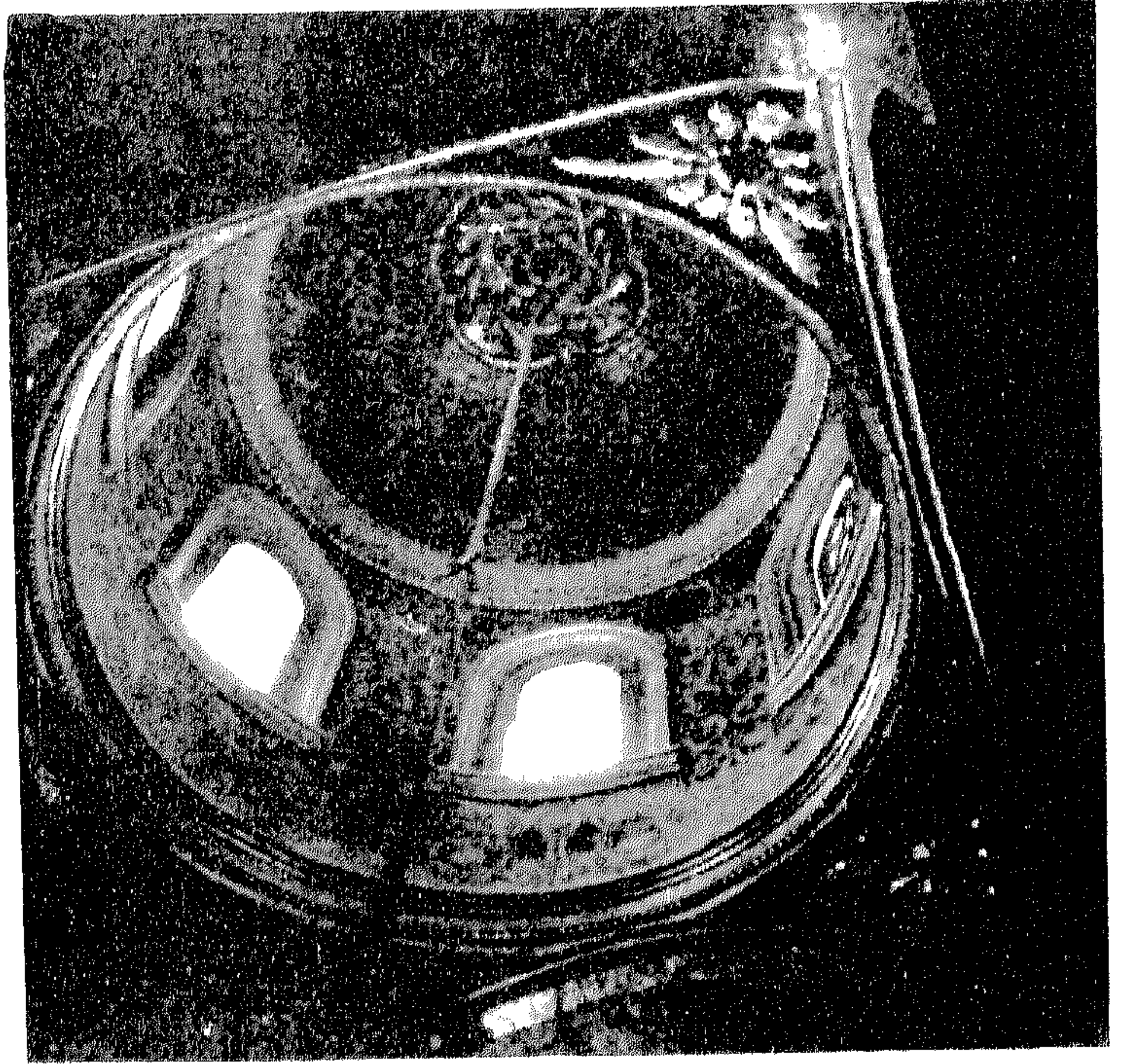
لوحة ١٧٧ - مقبرة فاضل باشا



لوحة ١٧٦ - ضريح فاضل باشا



لوحة ١٧٨ - القبة التي تعلو ضريح فاضل باشا

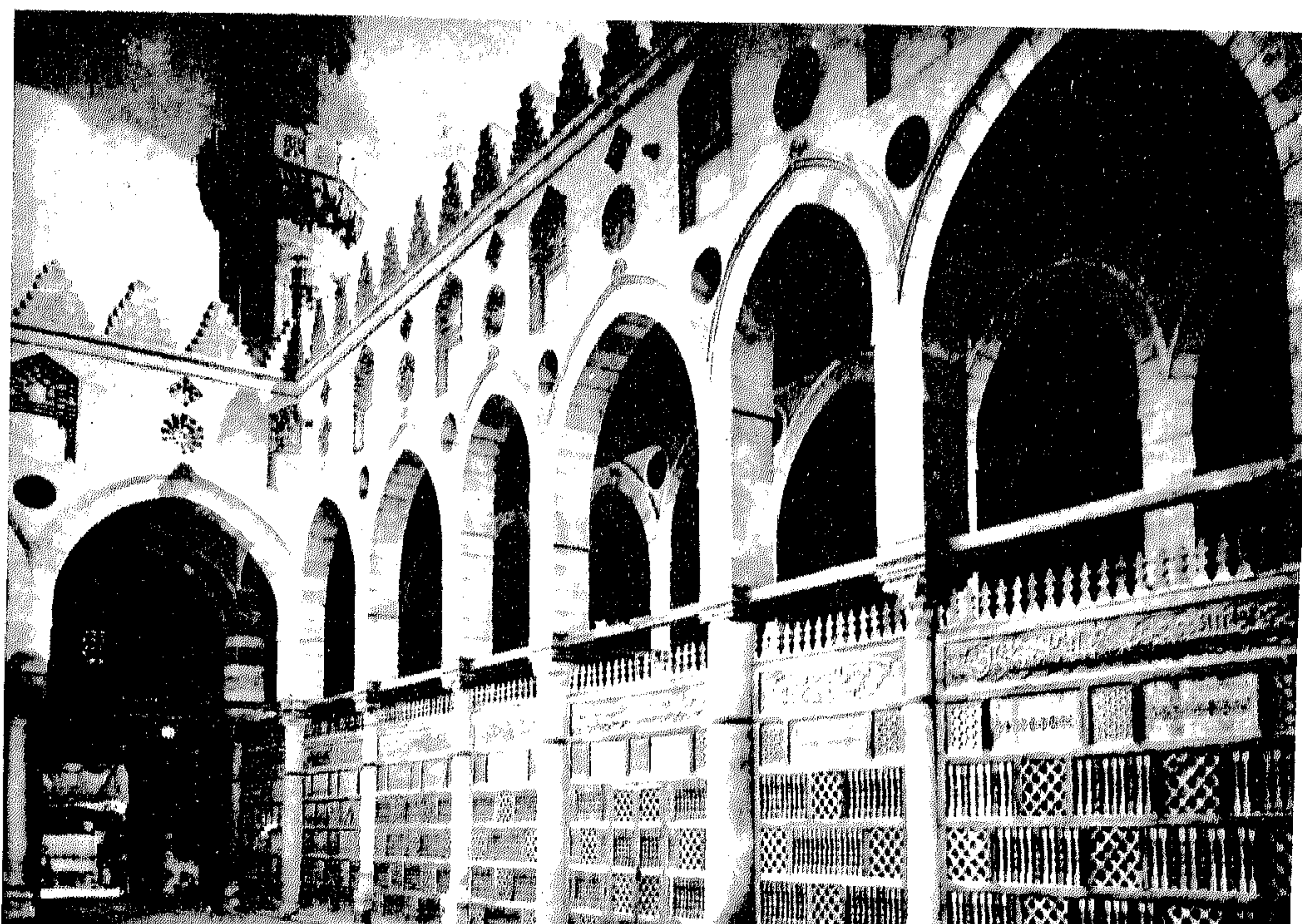


لوحة ١٧٩ - المدخل الرئيسي لجامع طنبة المارداني

لوحة ١٨٠ - تفاصيل المدخل الرئيسي

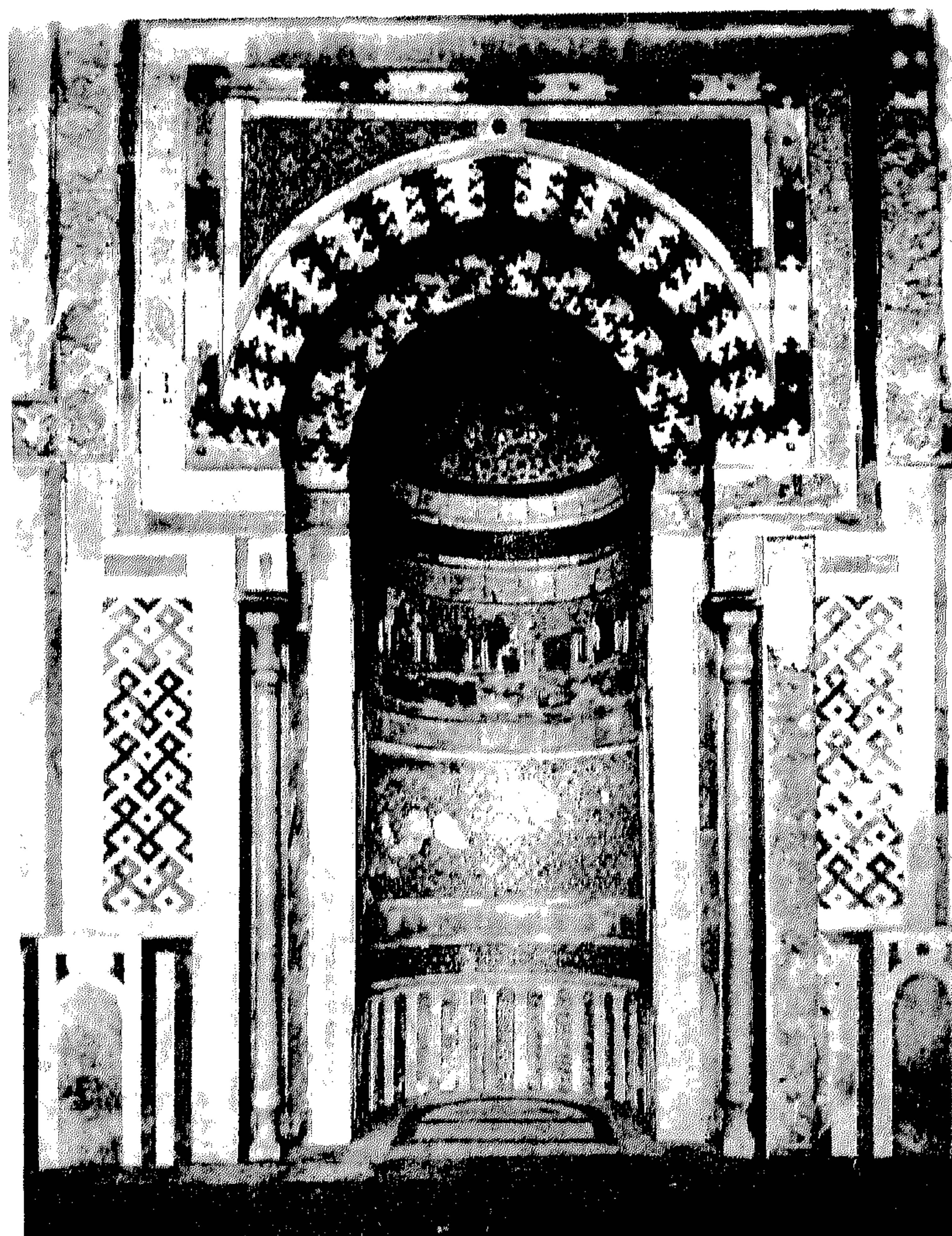


لوحة ١٨١ - صحن الجامع



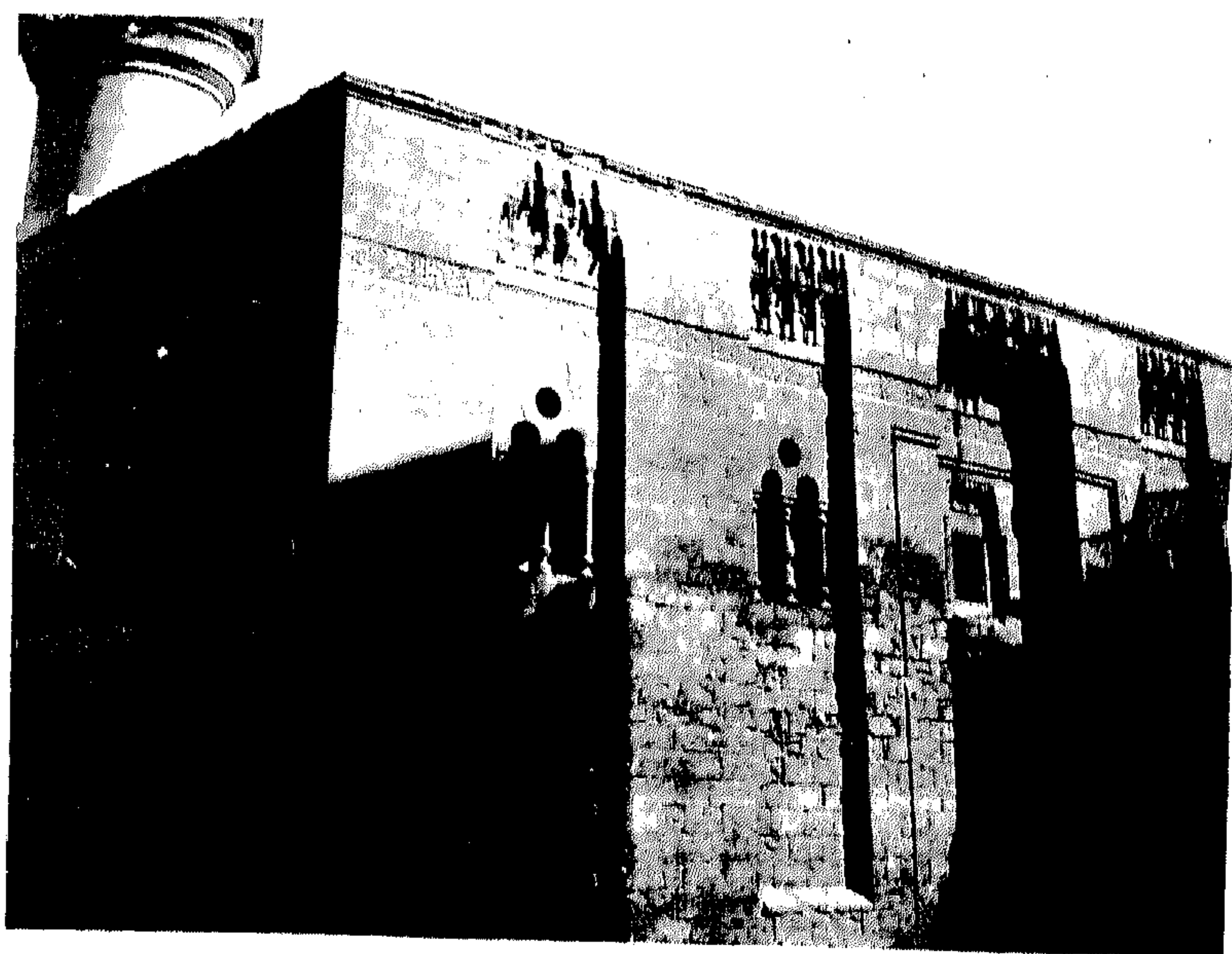


لوحة ١٨٢ - رواق الشبلة بالجامع



لوحة ١٨٣ - محراب الجامع

لوحة ١٨٤ - مئذنة الجامع



لوحة ١٨٥ - الواجهة
الرئيسية لمسجد الست مسكة



لوحة ١٨٦ — المدخل الرئيسي للمسجد



لوحة ١٨٧ — الواجهة الشمالية

لوحة ١٨٨ -- الزخارف التي تزين واجهه المسجد



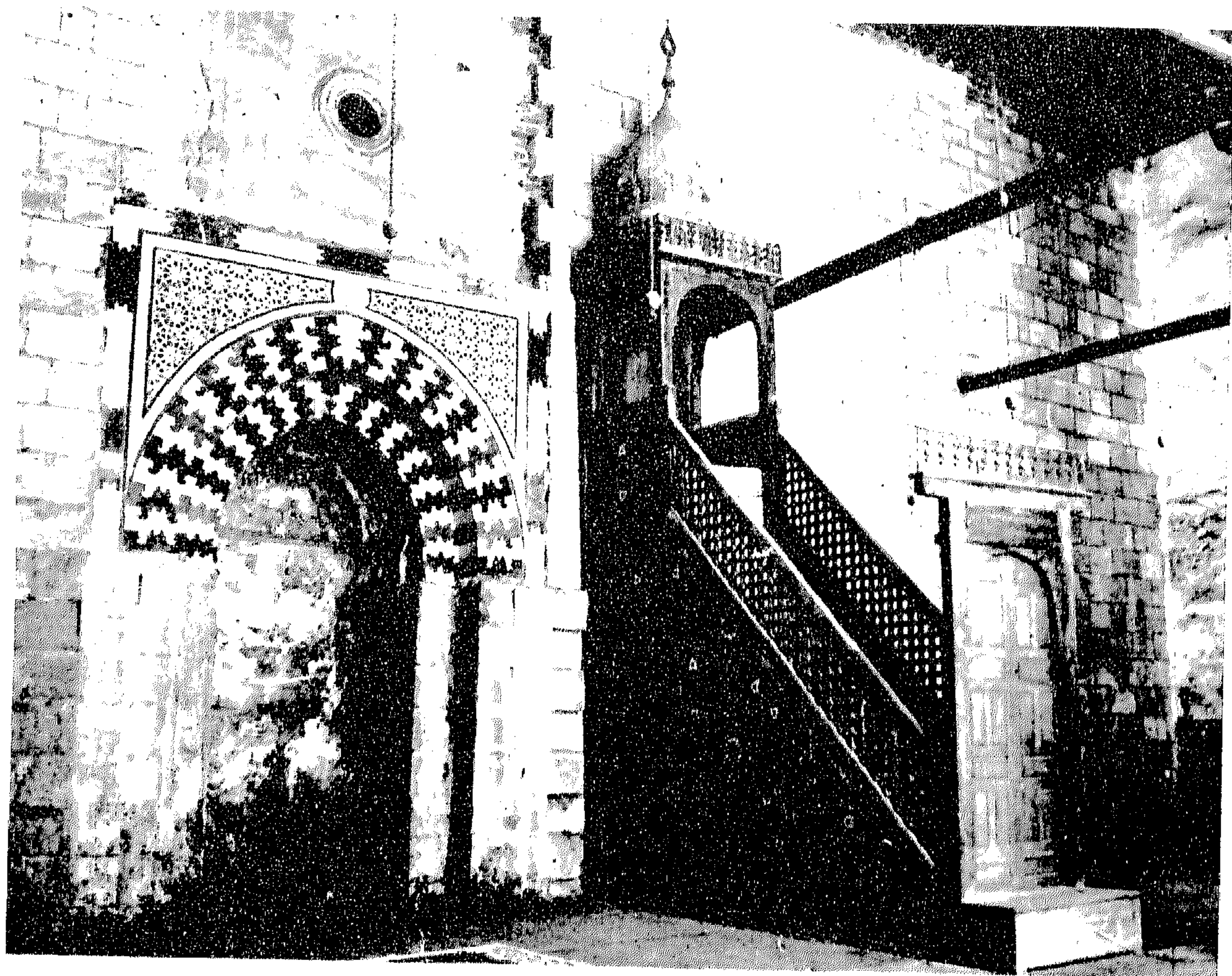
لوحة ١٨٩ -- ديكور مسجد الست مسكة

لوحة ١٩٠ - محراب المسجد



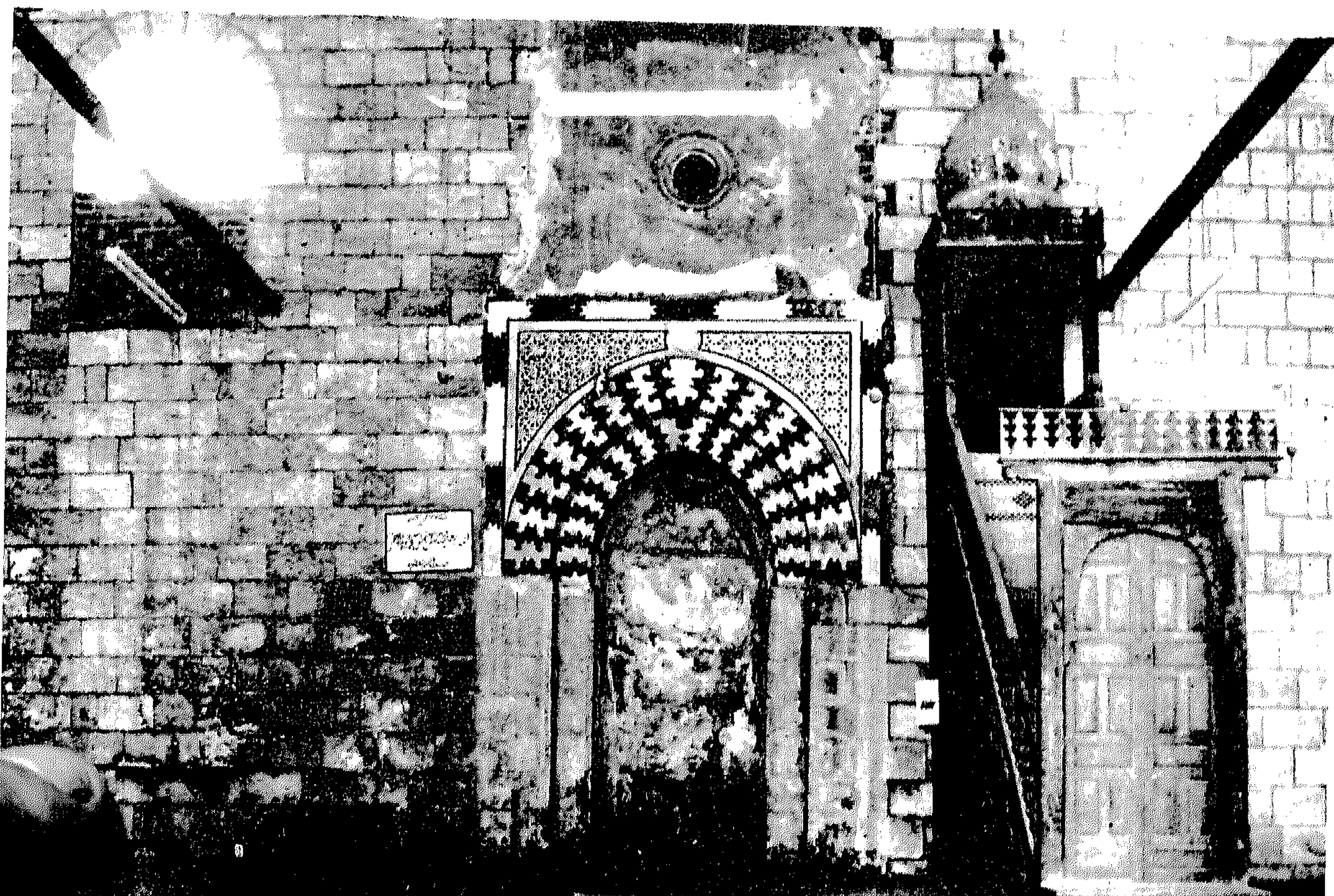
لوحة ١٩١ - تفاصيل زخارف المحراب





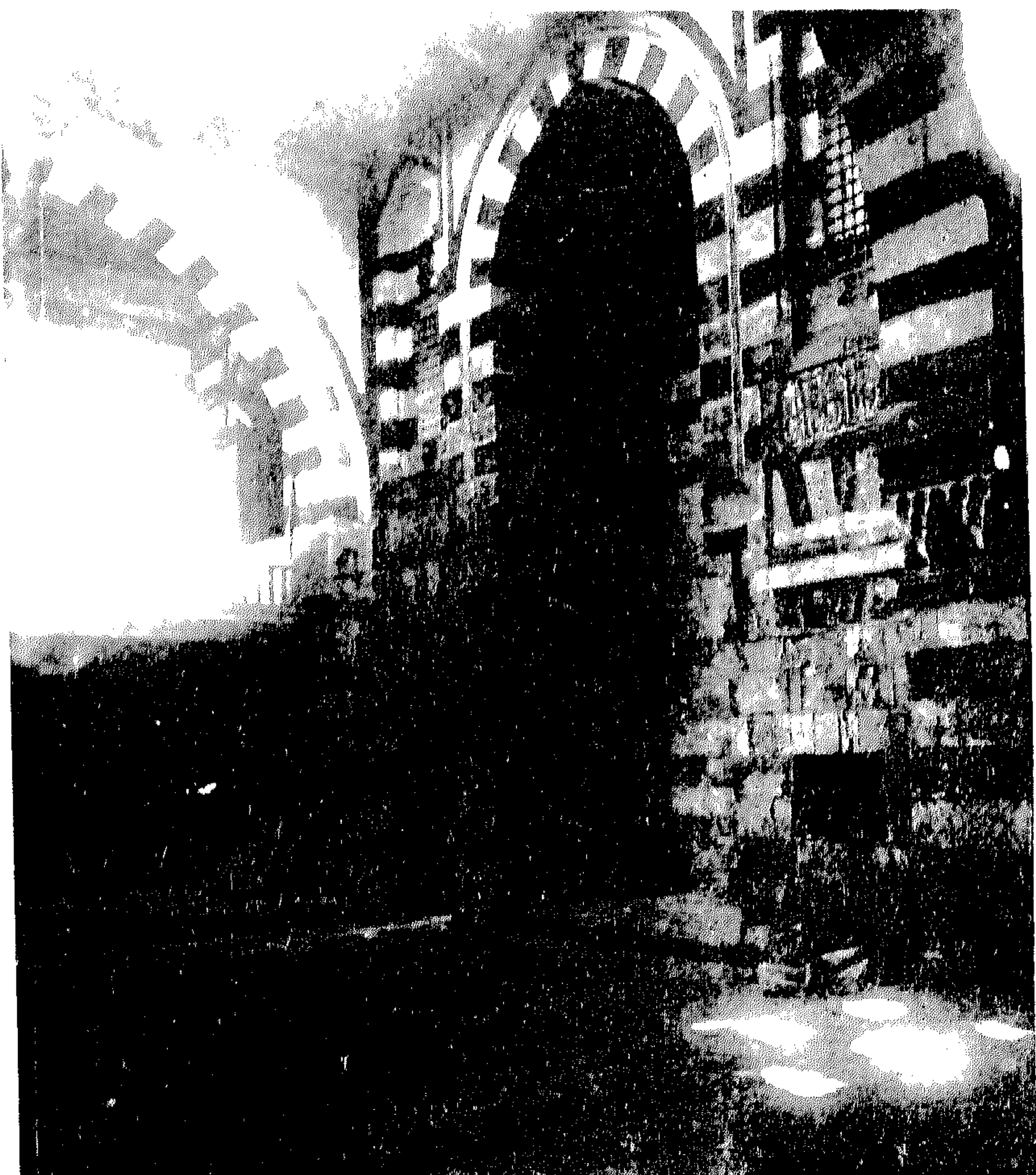
لوحة ١٩٢ - المنبر الخشبي المجاور لمحراب المسجد

لوحة ١٩٣ - حائط القبلة وقد ظهرت به نوافذ المعقودة



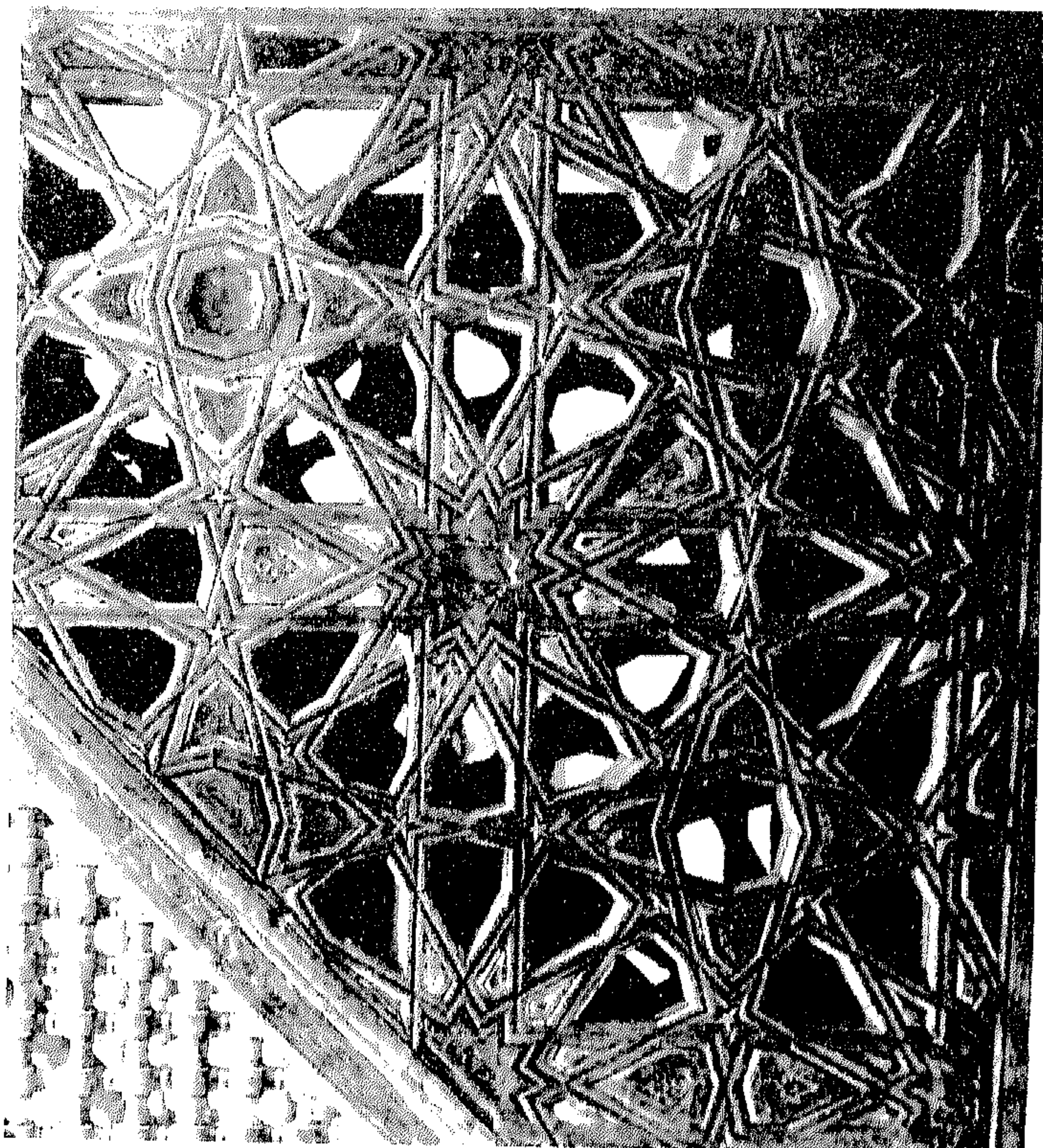


لوحة ١٩٤ - الواجهة الرئيسية لجامع أرغون شاه الإسماعيلي ▲

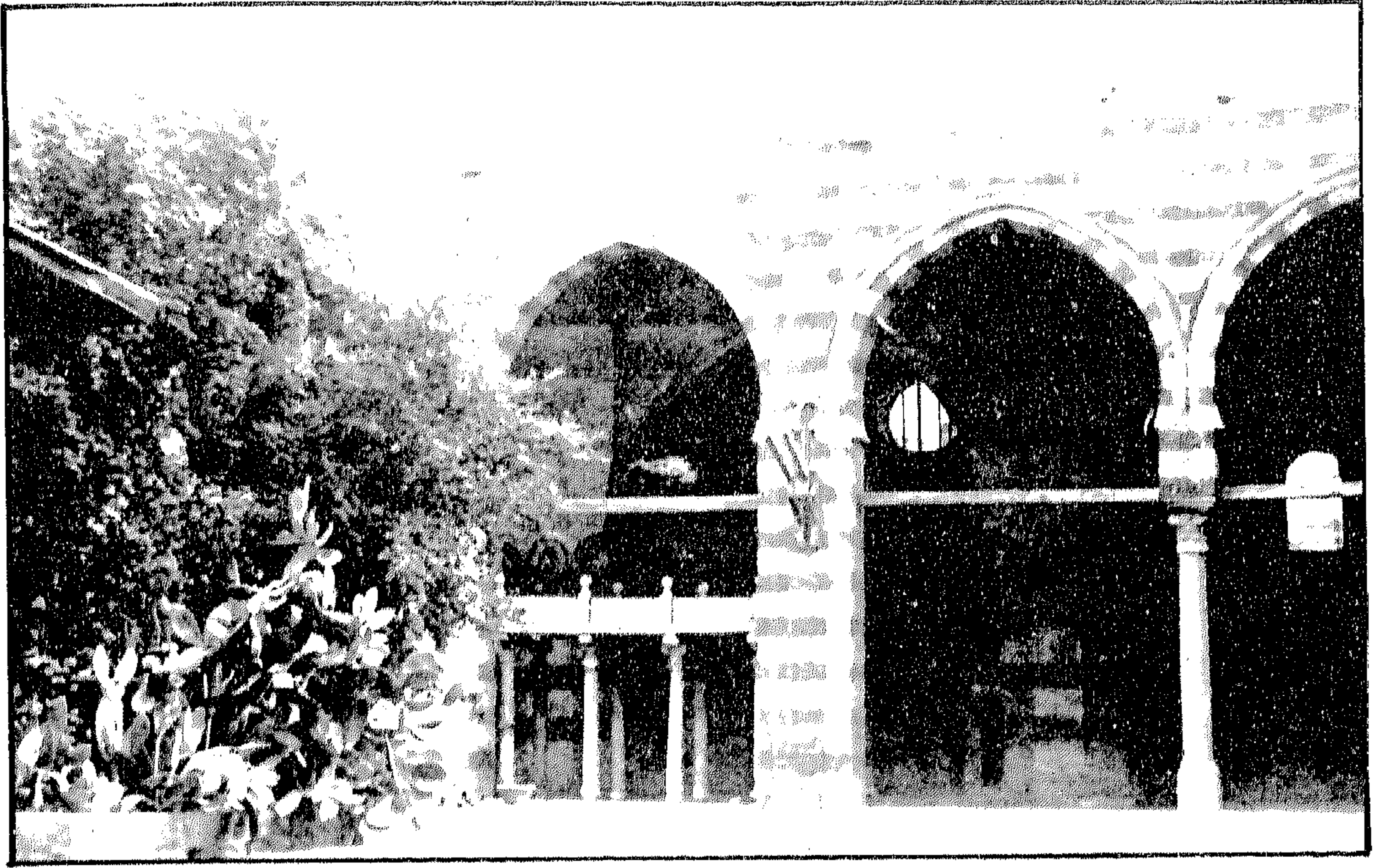


لوحة ١٩٥ - من الجامع ▶

لوحة ١٩٦ - جزء من منبر (ريشة) الجامع
المصنوع بطريقة الخشوات المجدمة

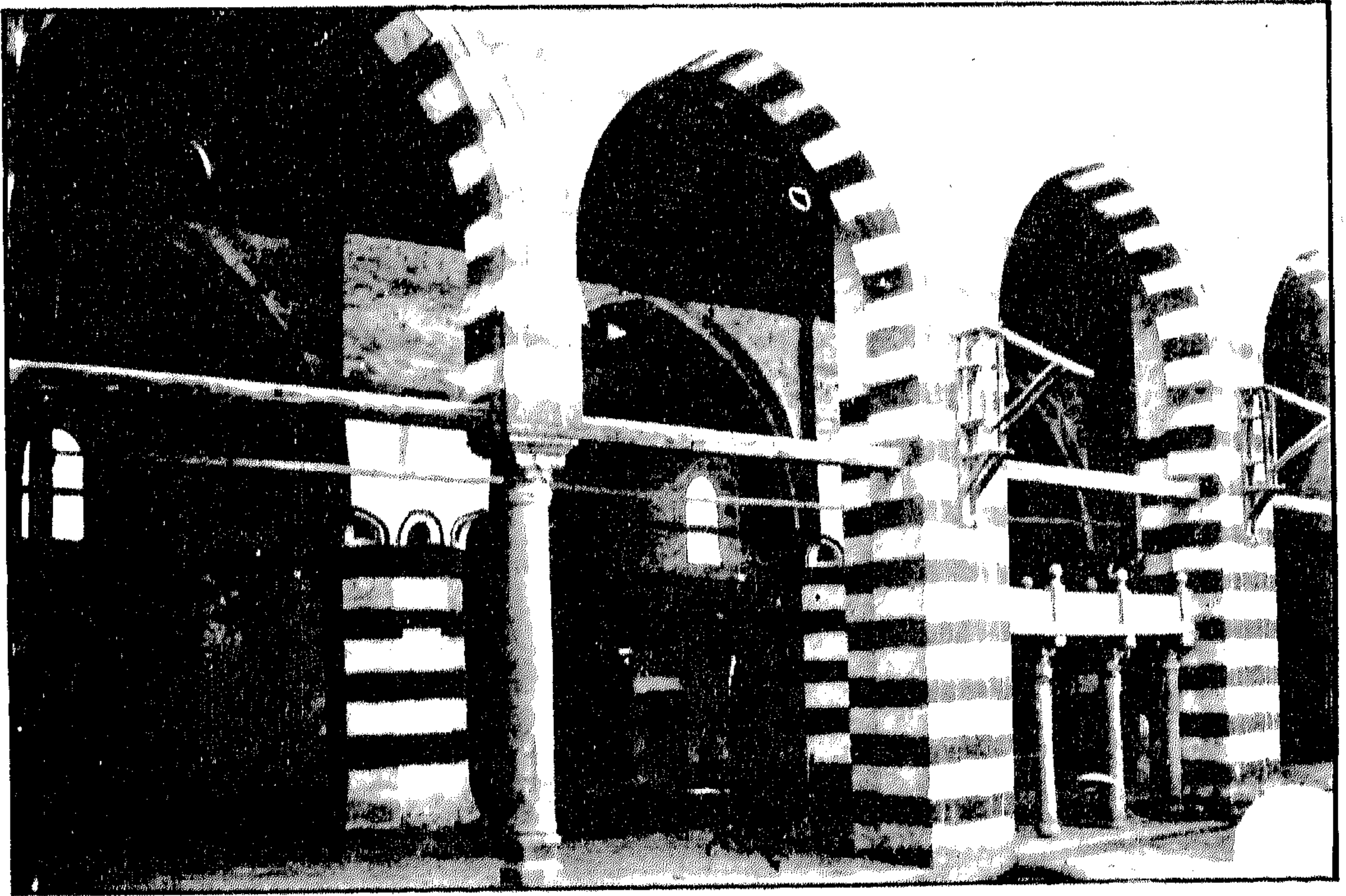


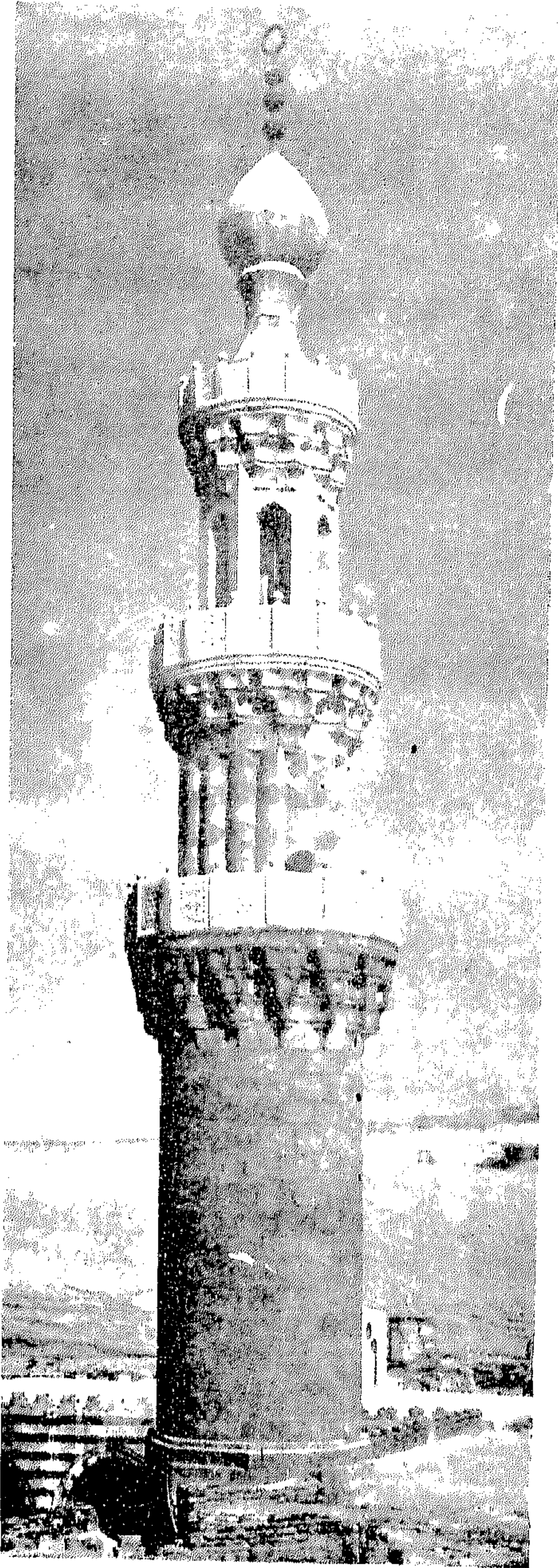
لوحة ١٩٧ - مشدنة الجامع



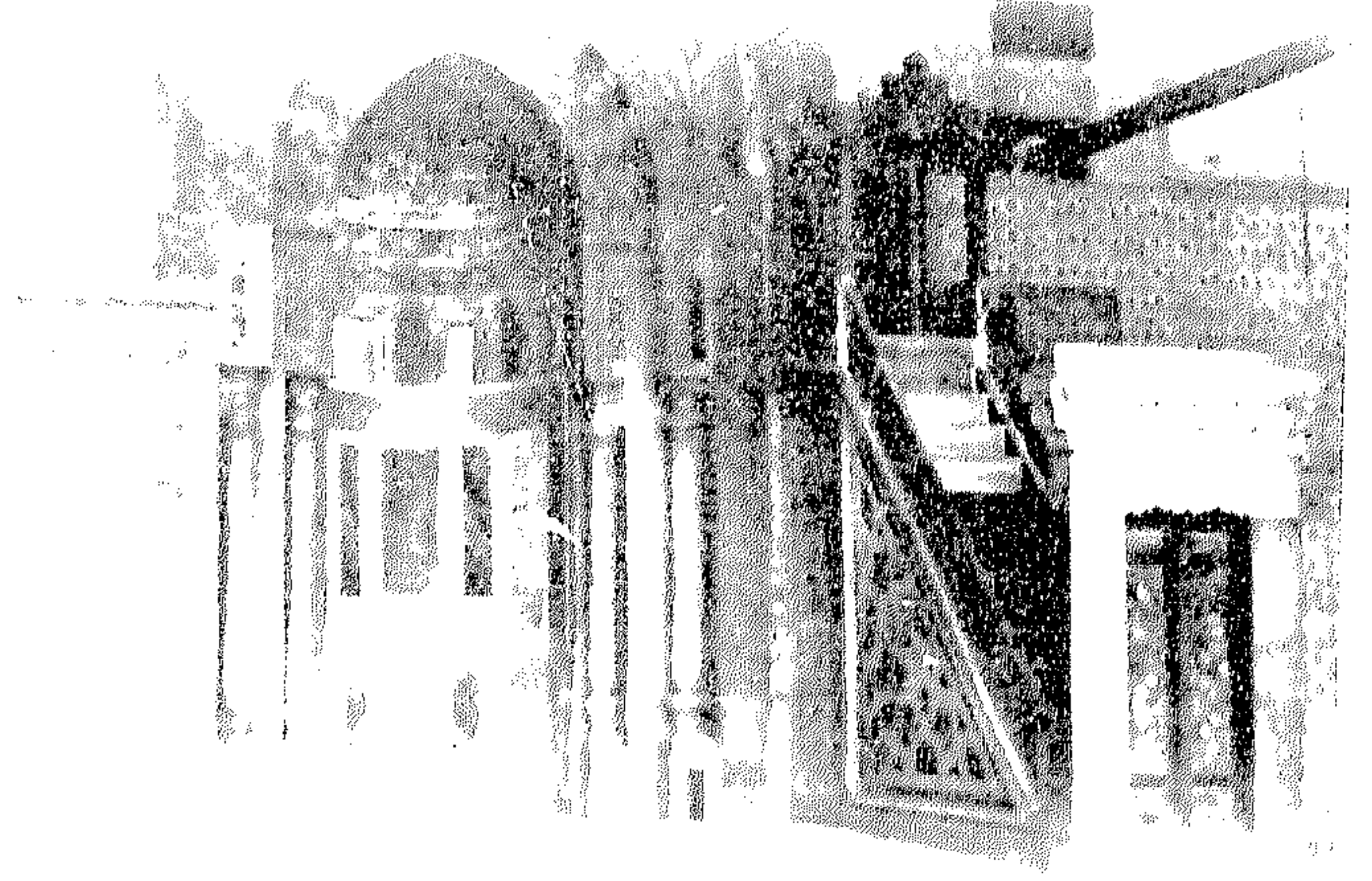
▲ لوحة ١٩٨ - داخل جامع آق سنقر

▼ لوحة ١٩٩ - إيوان القبلة



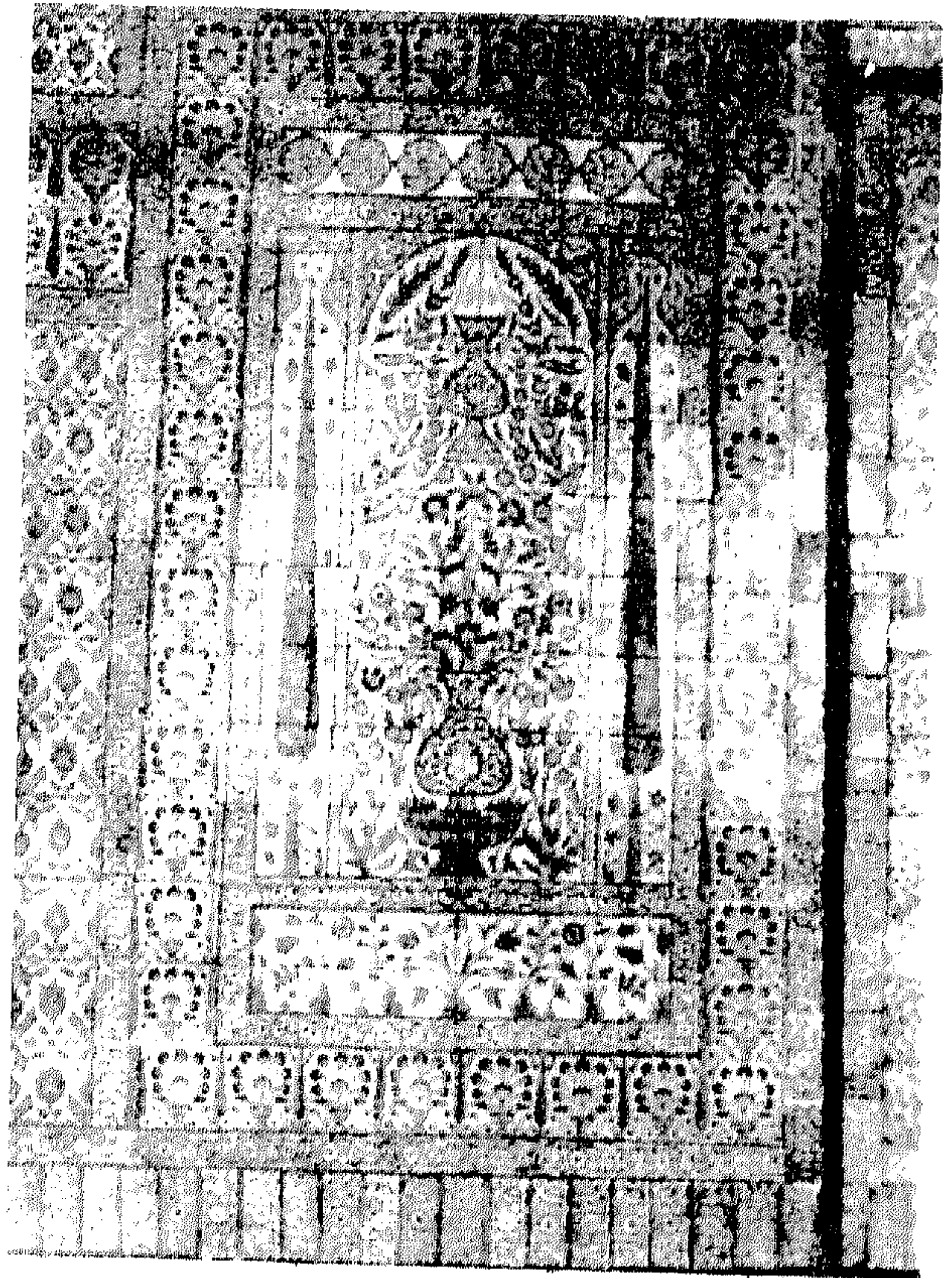


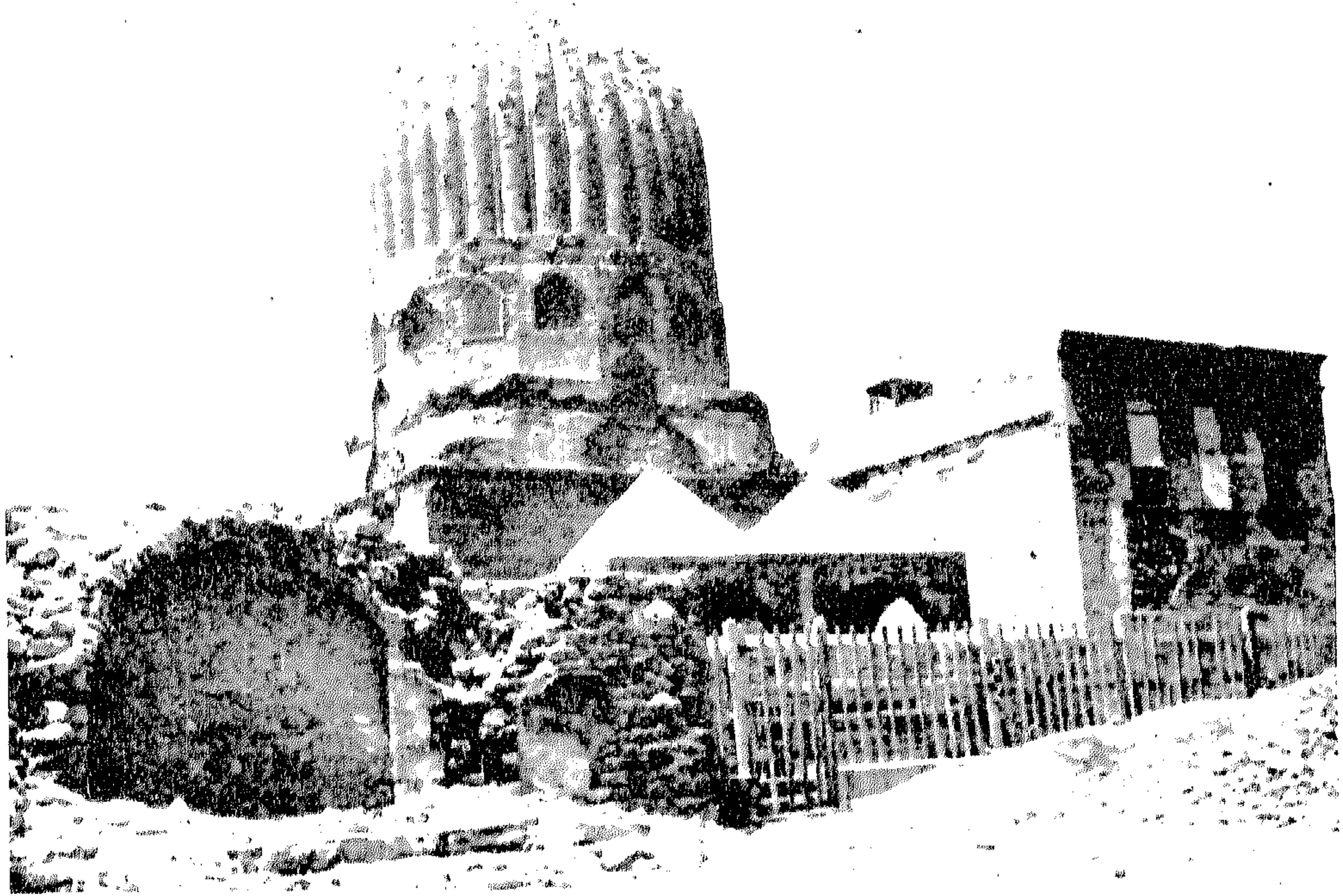
▲ لوحة ٢٠٢ - مشهدنة جامع آق سنقر



▲ لوحة ٢٠٠ - قبلة المسجد ومنبره

لوحة ٢٠١ - بلاطات القاشاني التي تكسو جدران إيوان القبلة

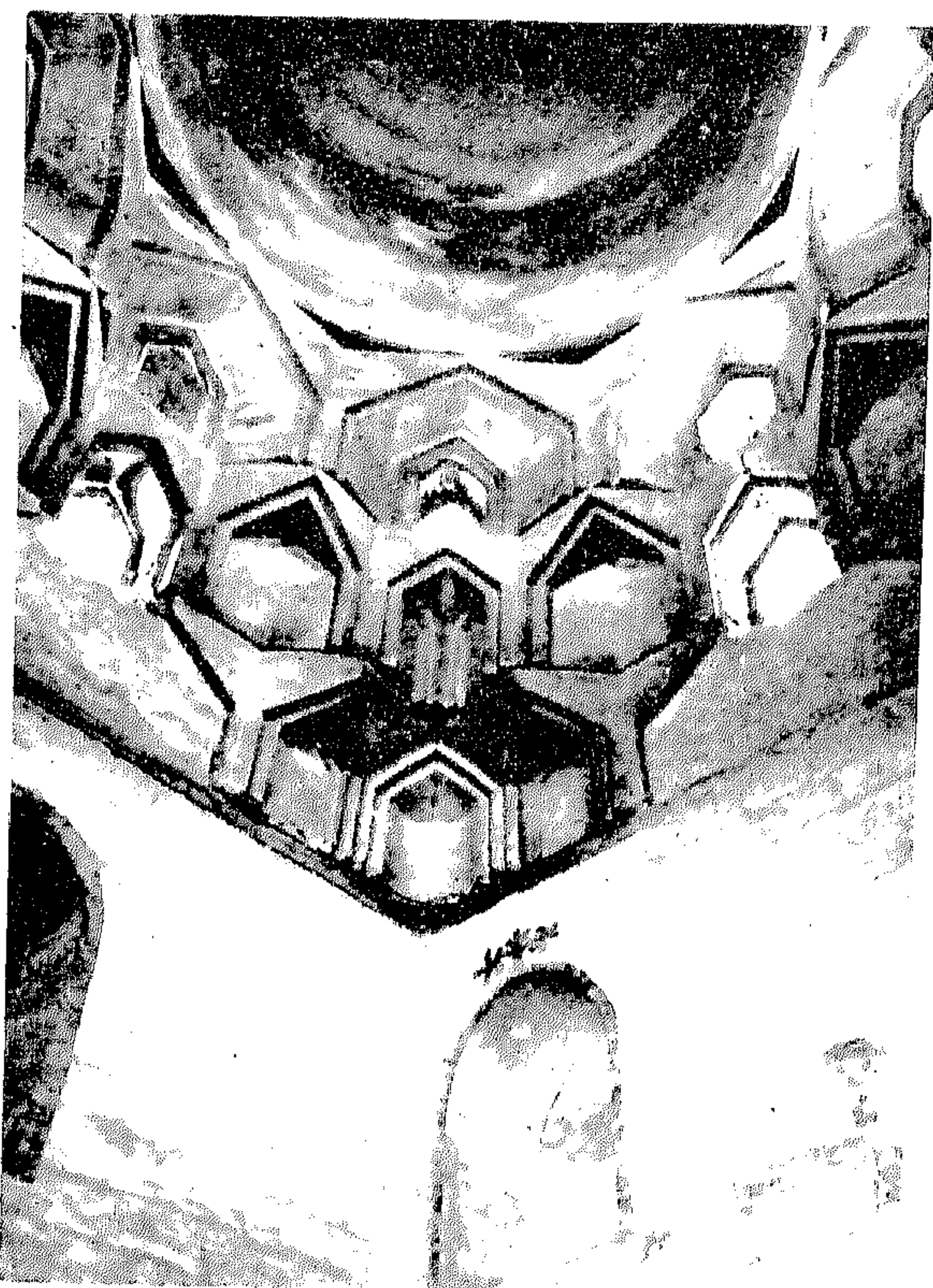




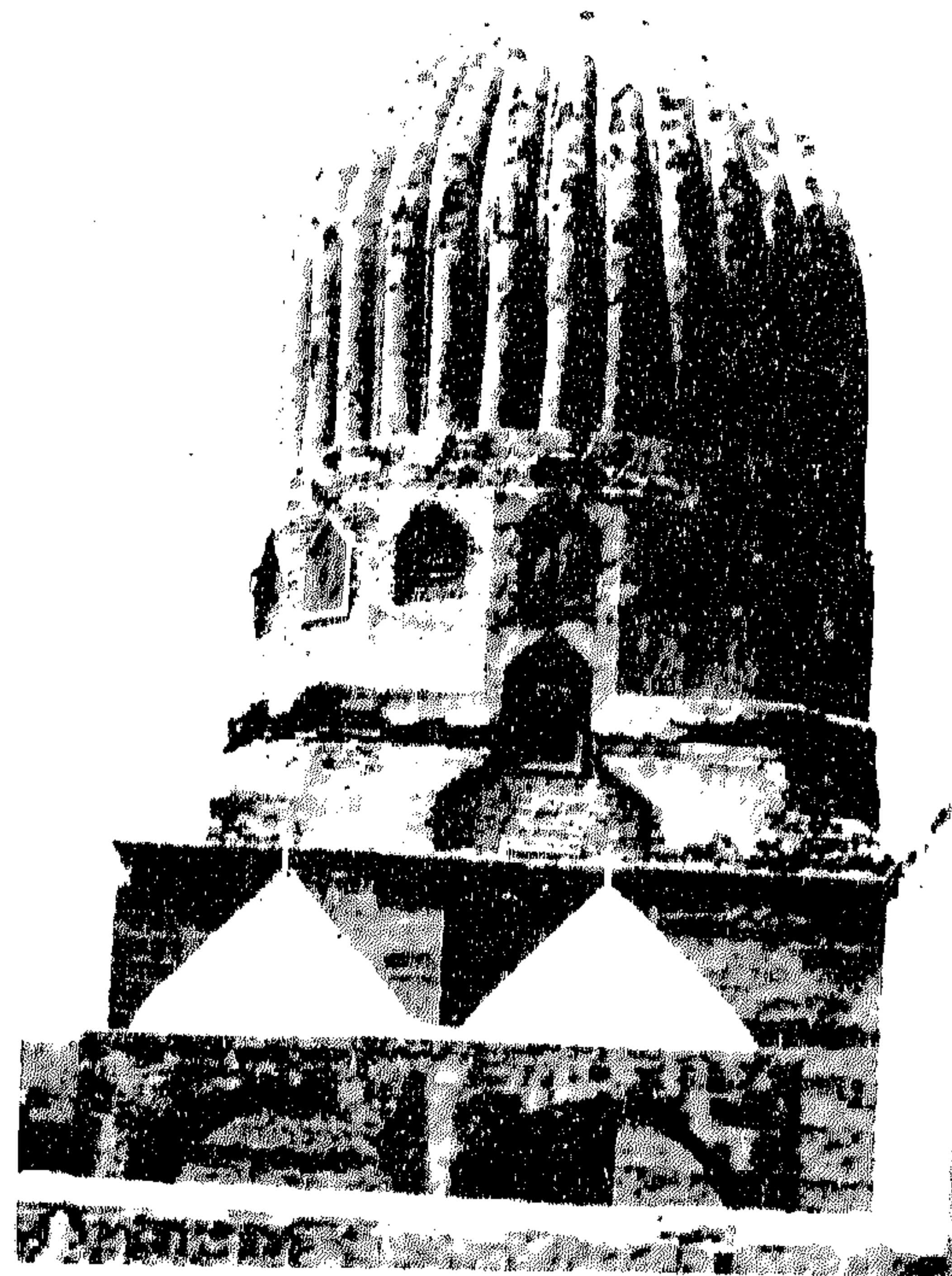
لوحة ۲۰۳ — خانقاه و قبة خوند طوغای ▲

لوحة ۲۰۴ — مقبرة خوند طوغای ▼





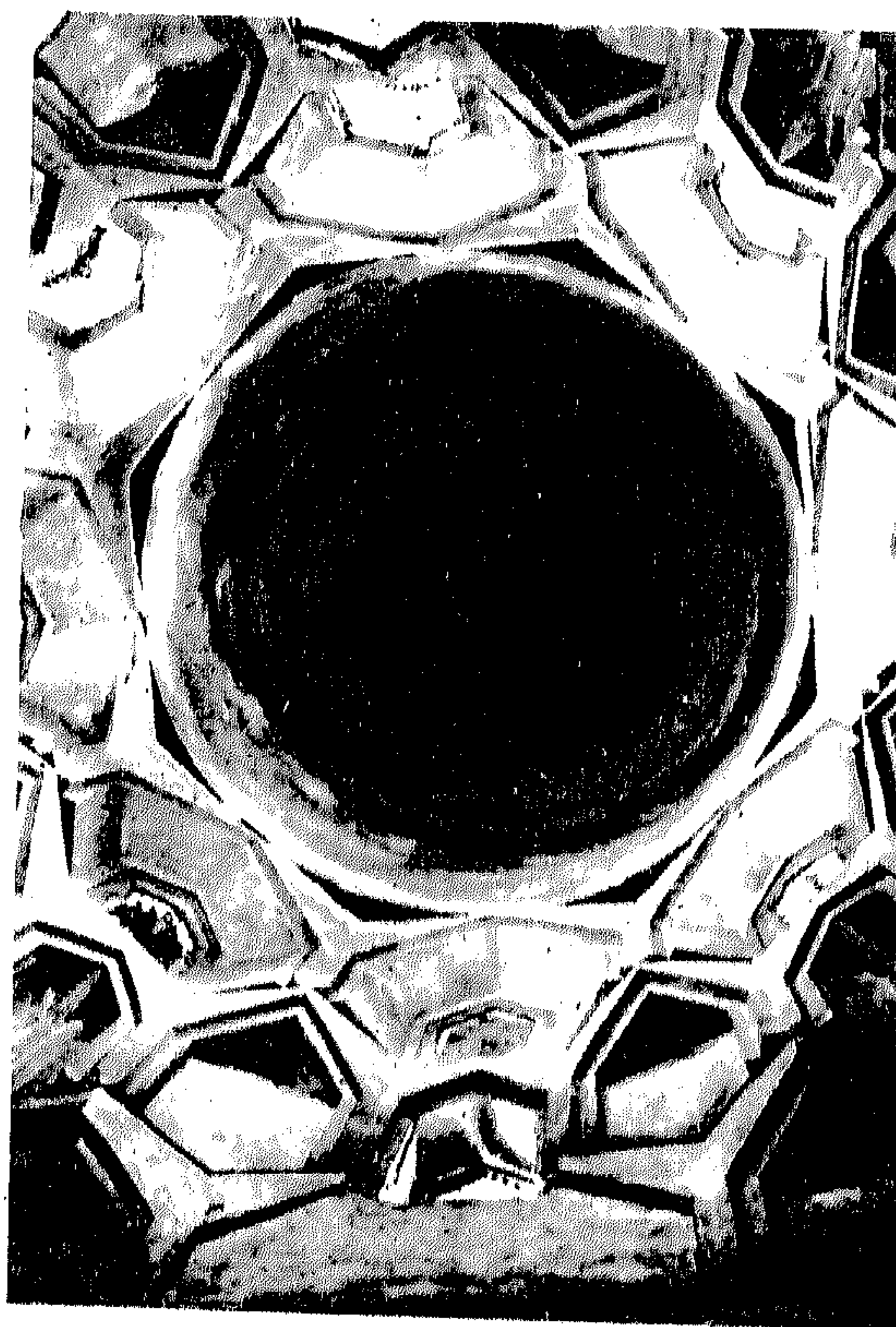
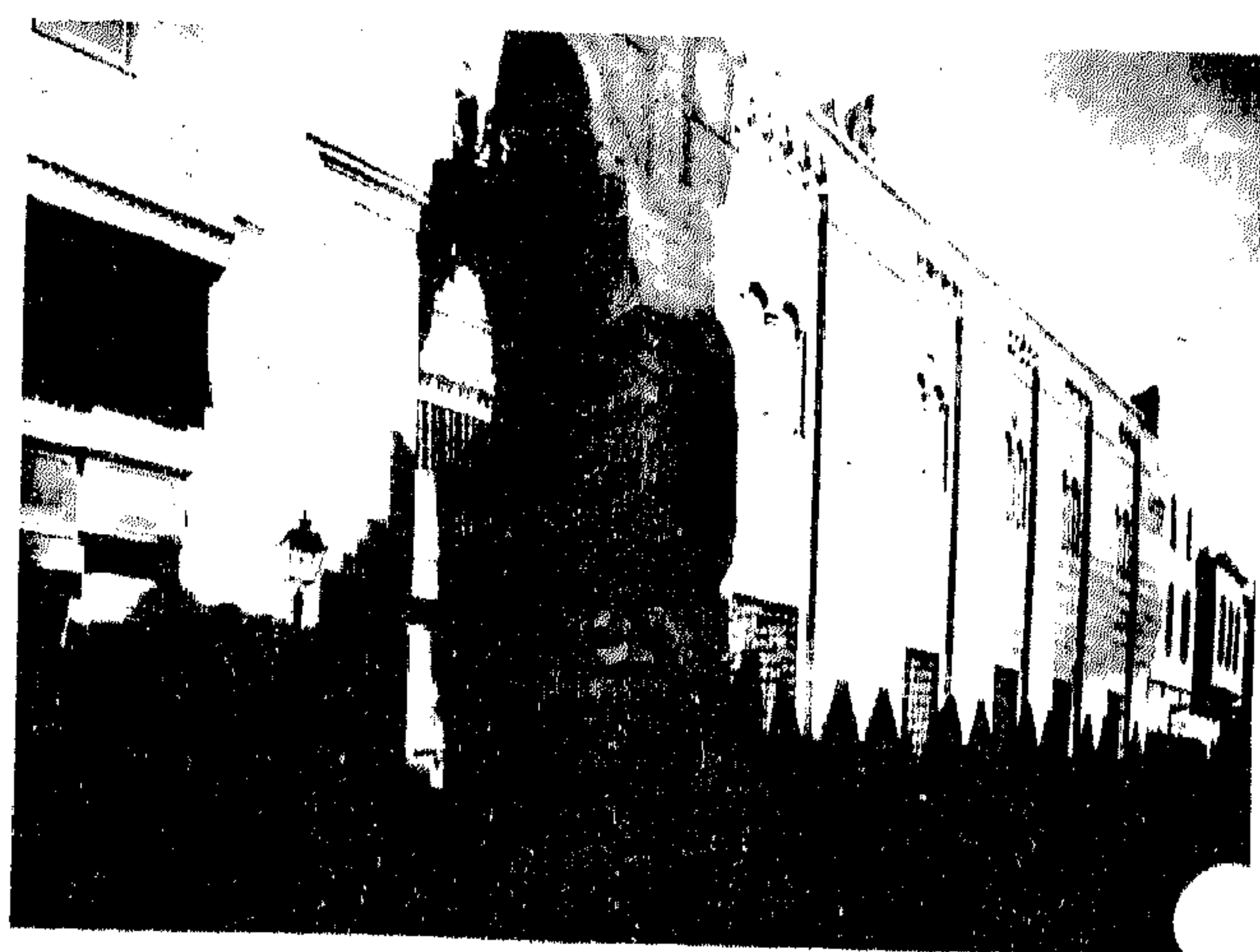
لوحة ٢٠٦ - مقرنصات قبة خوند طوغای



لوحة ٢٠٥ - قبة خوند طوغای من الخارج

لوحة ٢٠٧ - قبة خوند طوغای من الداخل

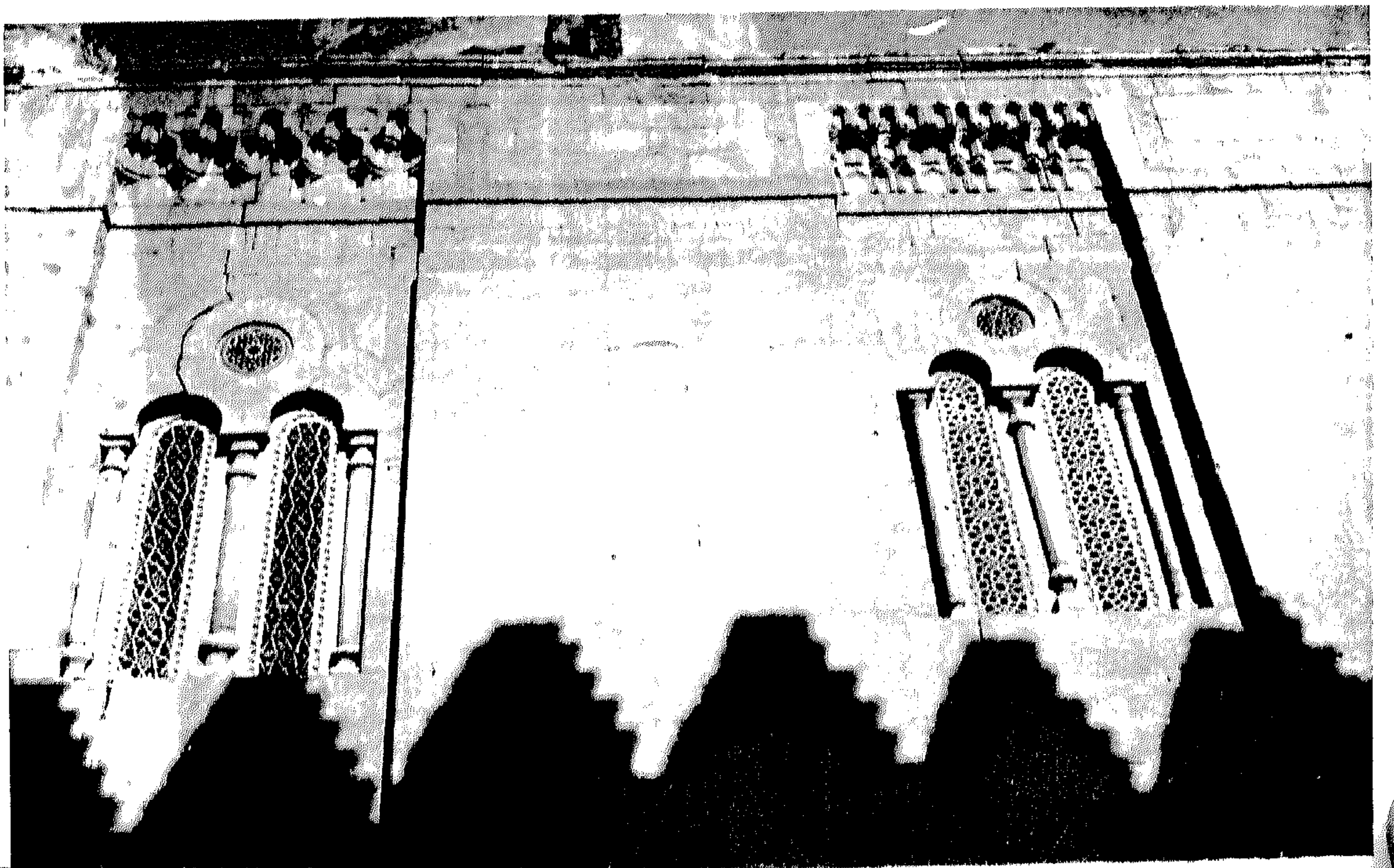
لوحة ٢٠٨ - الواجهة الرئيسية لجامع شیخو



لوحة ٢٠٩ --- المدخل الرئيسي لجامع شيخو



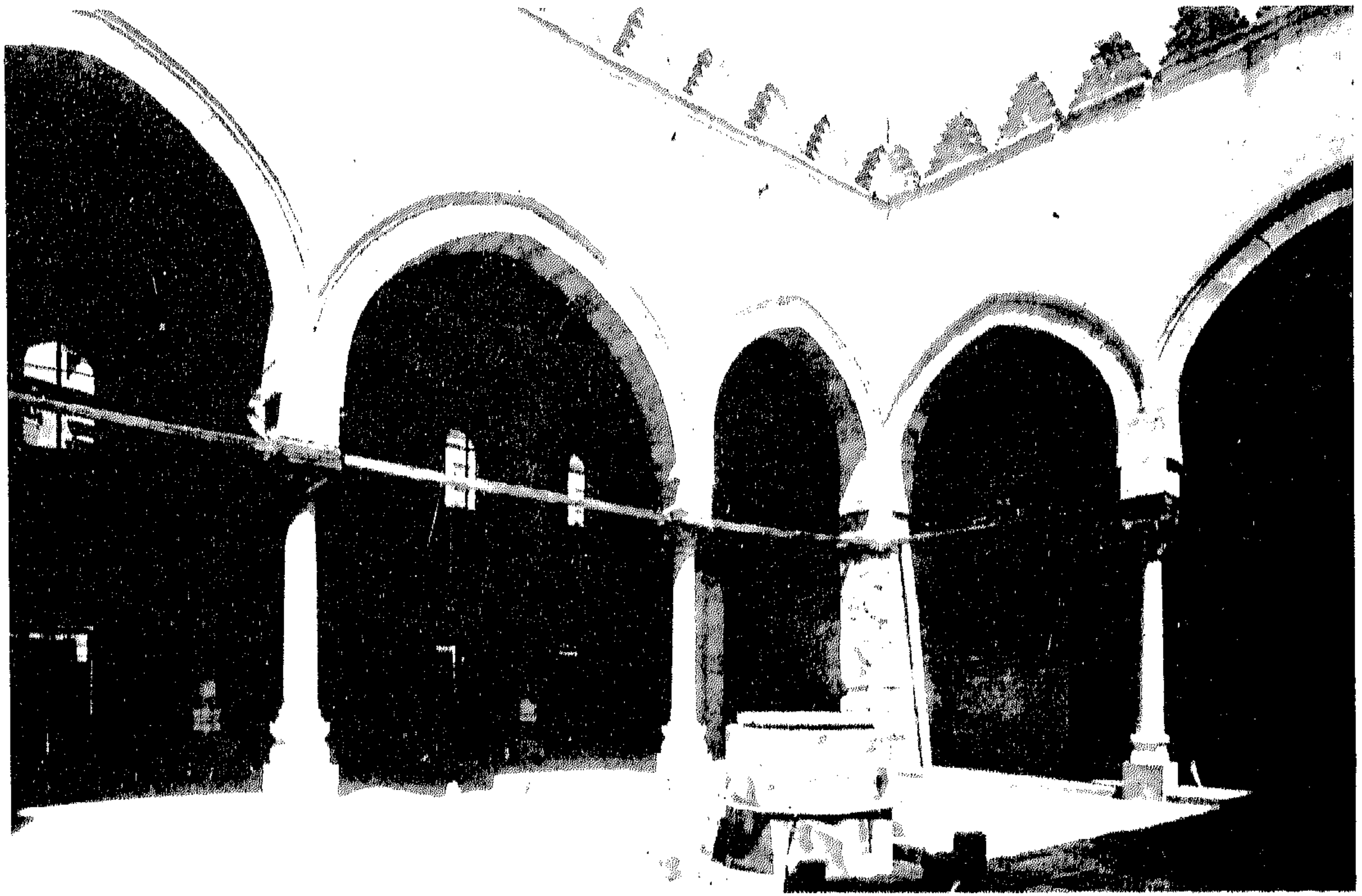
لوحة ٢١٠ --- النوافذ القنديلية بالواجهة الرئيسية



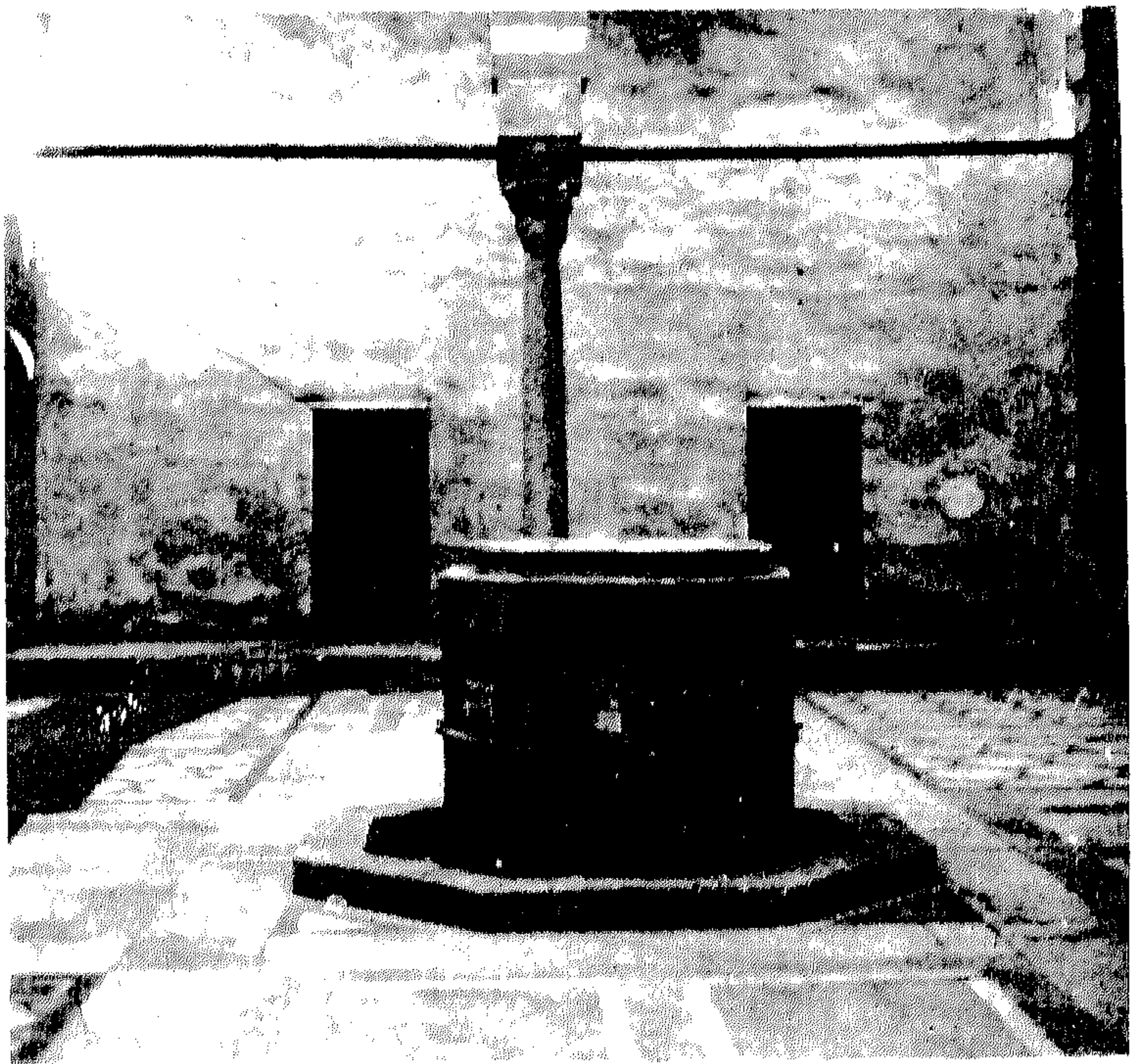
لوحة ٢١١ - القبعة التي تفتح بابها في ردهة الجامع



لوحة ٢١٢ - قبعة شيخو داخل الجامع

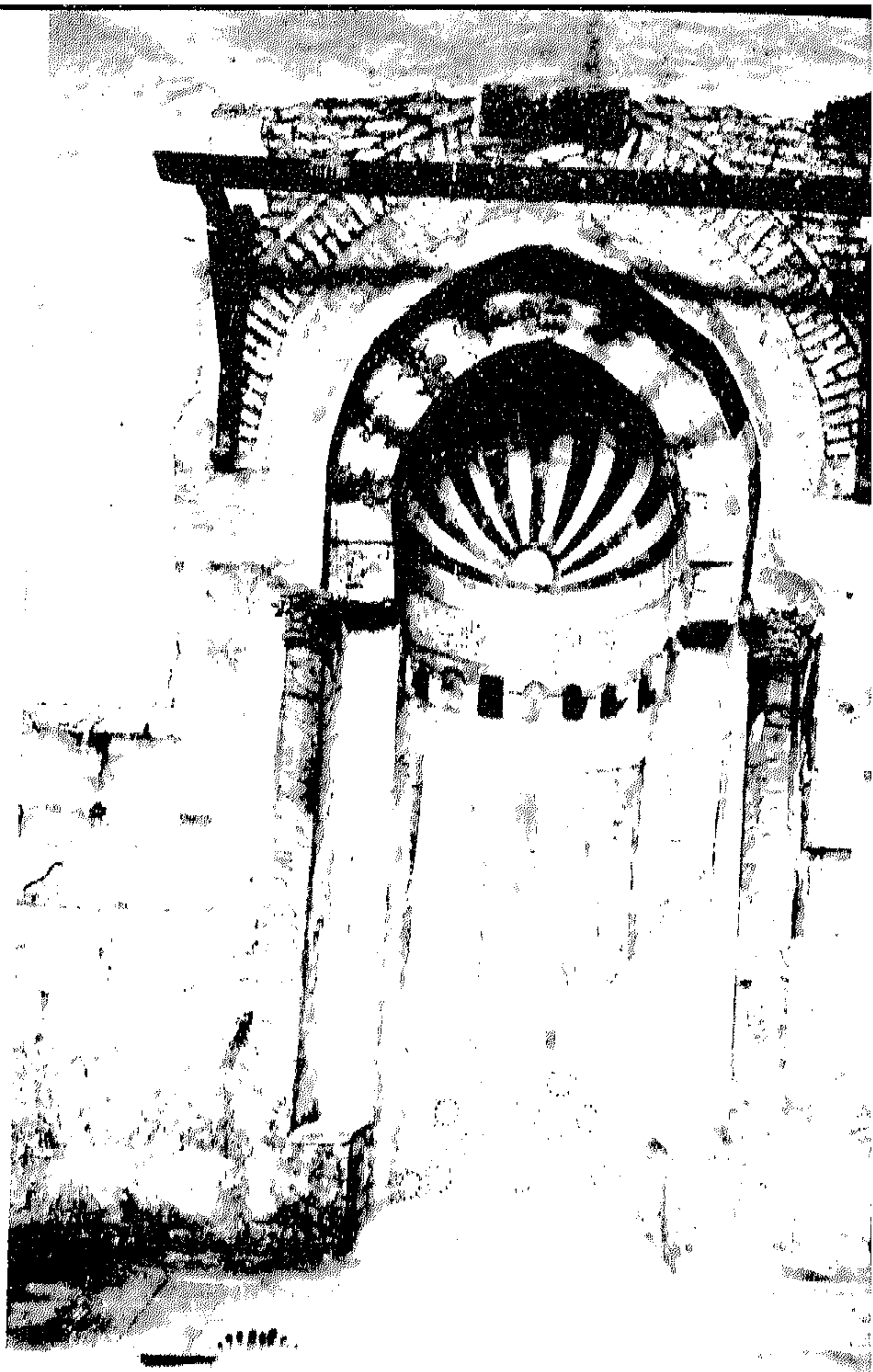


لوحة ٢١٣ - الميضاه التي تتوسط صحن الجامع

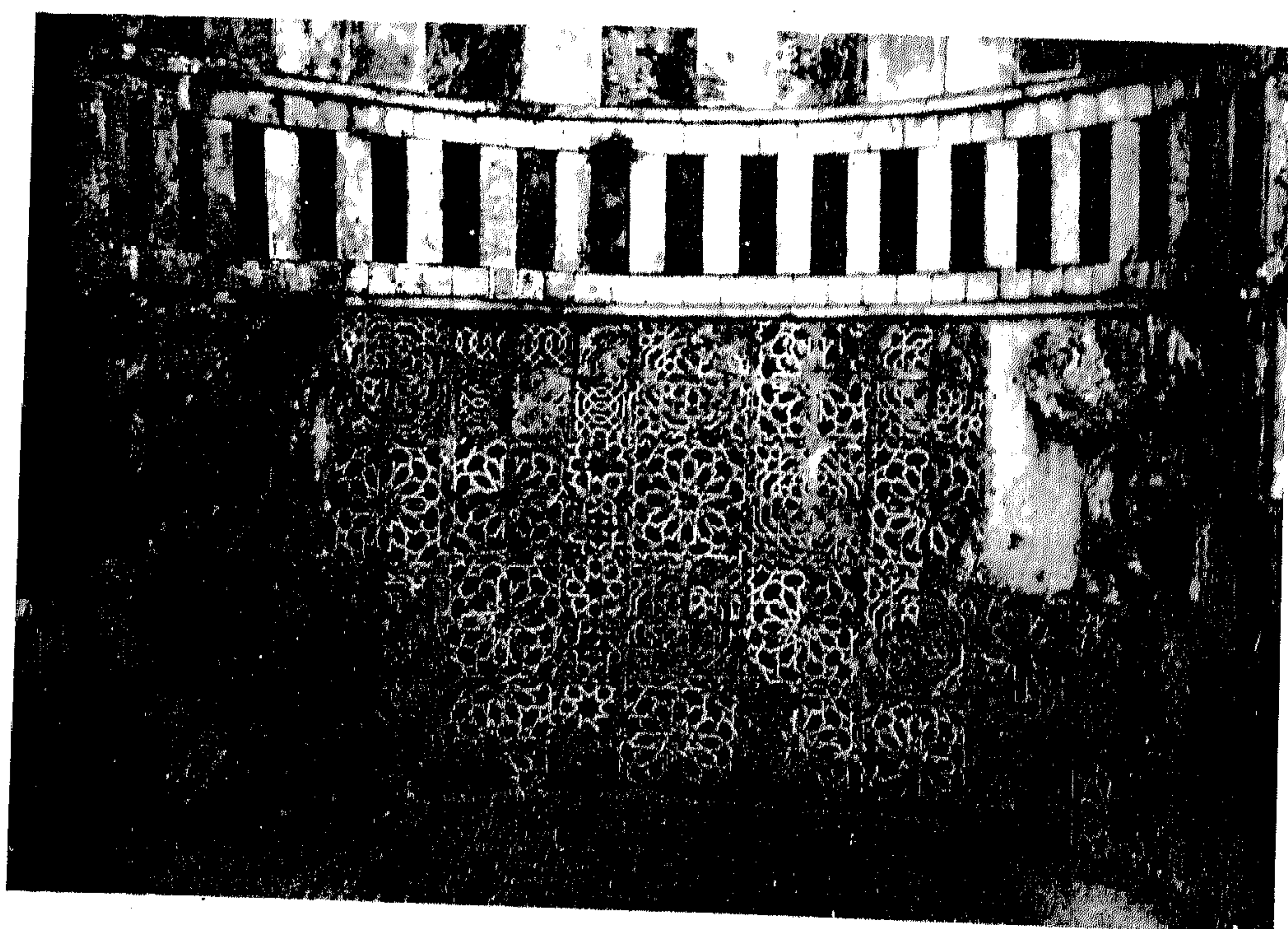


لوحة ٢١٤ - عقود ونوافذ الرواق الشمالى

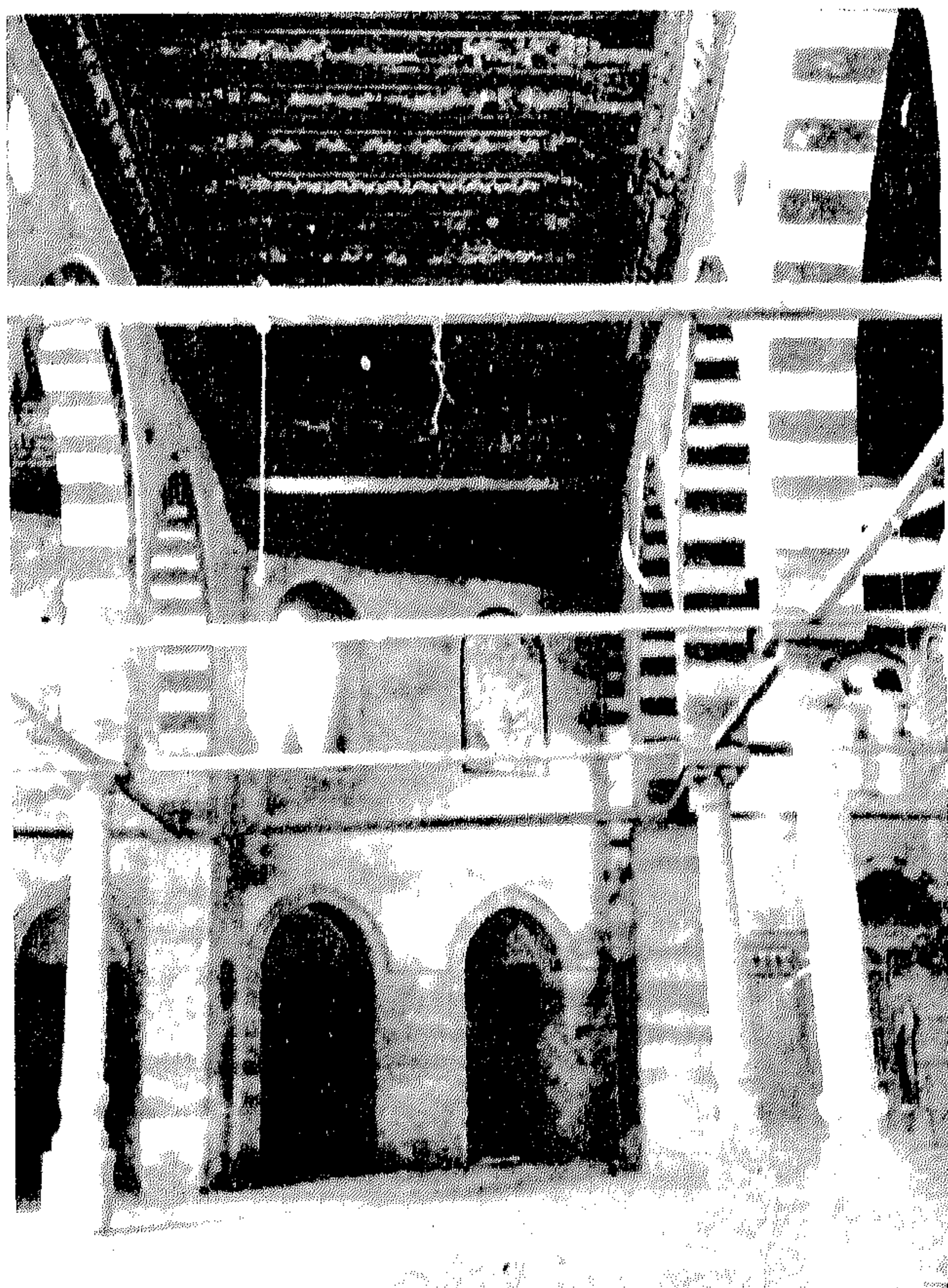
لوحة ٢١٥ - محراب جامع شيخو



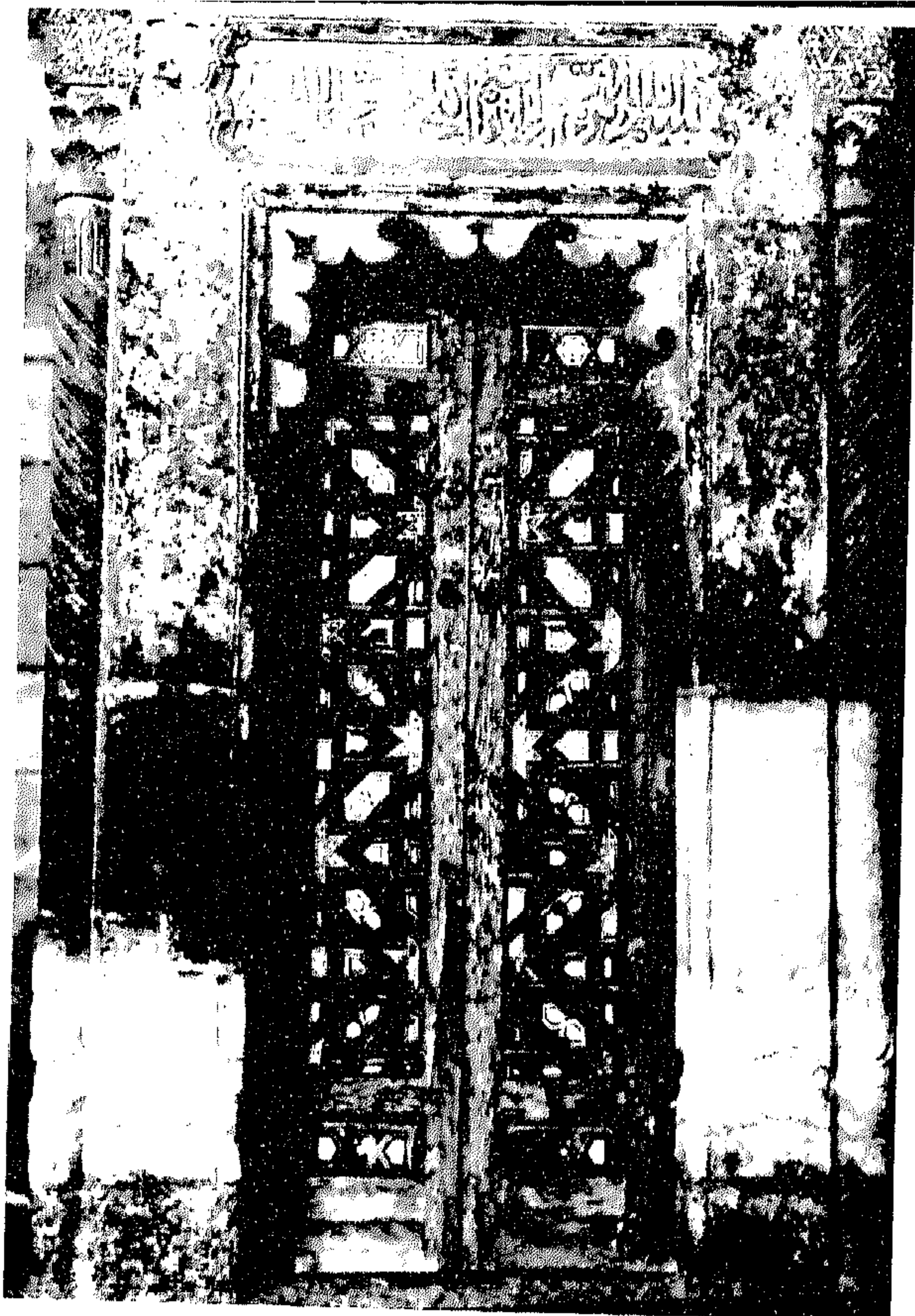
لوحة ٢١٦ - بلاطات قاشاني تكسو أسفل المحراب



لوحة ٢١٧ - إيوان الجنوبي للجامع

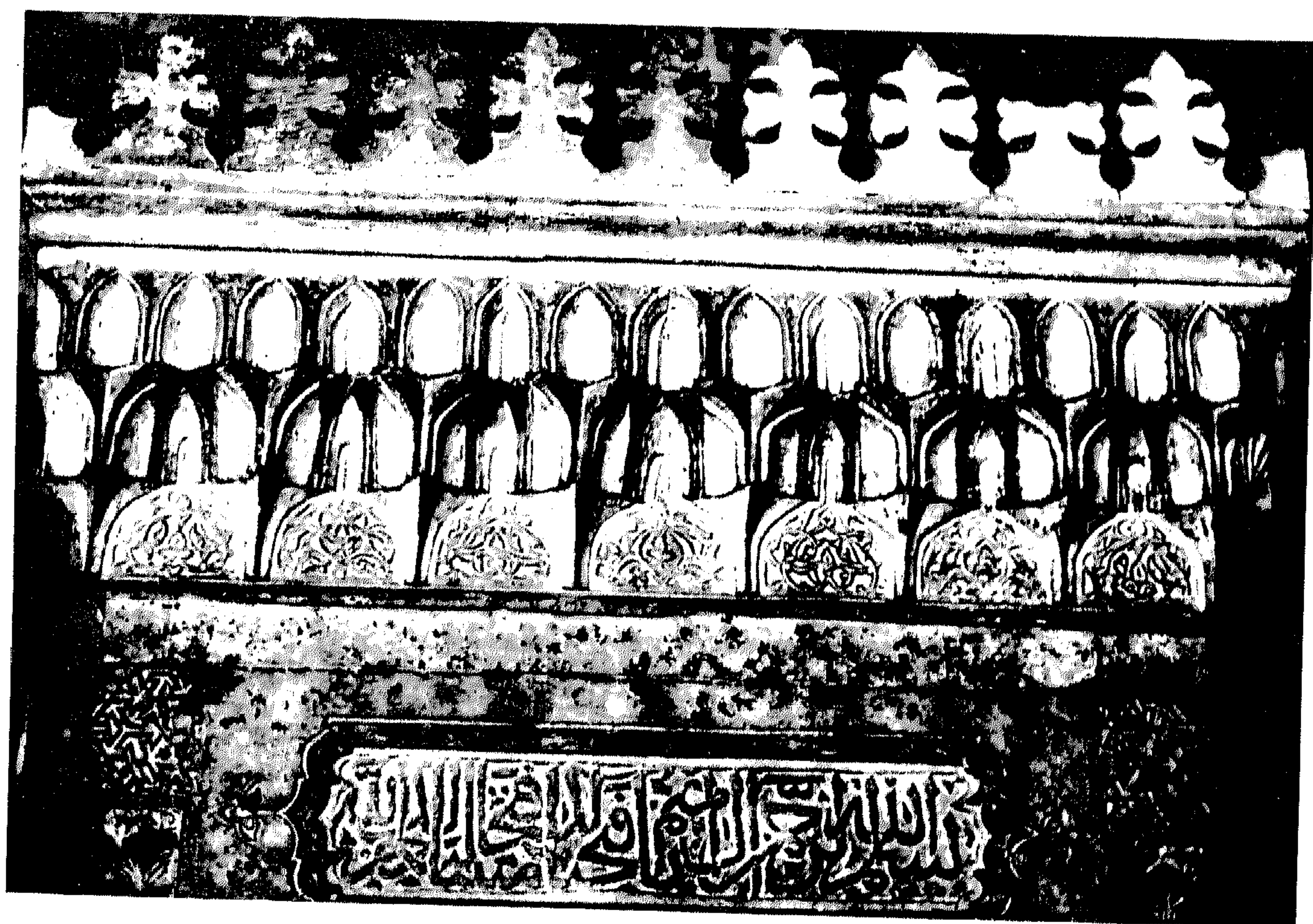


لوحة ٢١٨ - إيوان القبلة



لوحة ٢١٩ - دولاب حائطى مزخرف
بطريقة الحشوات المجمع

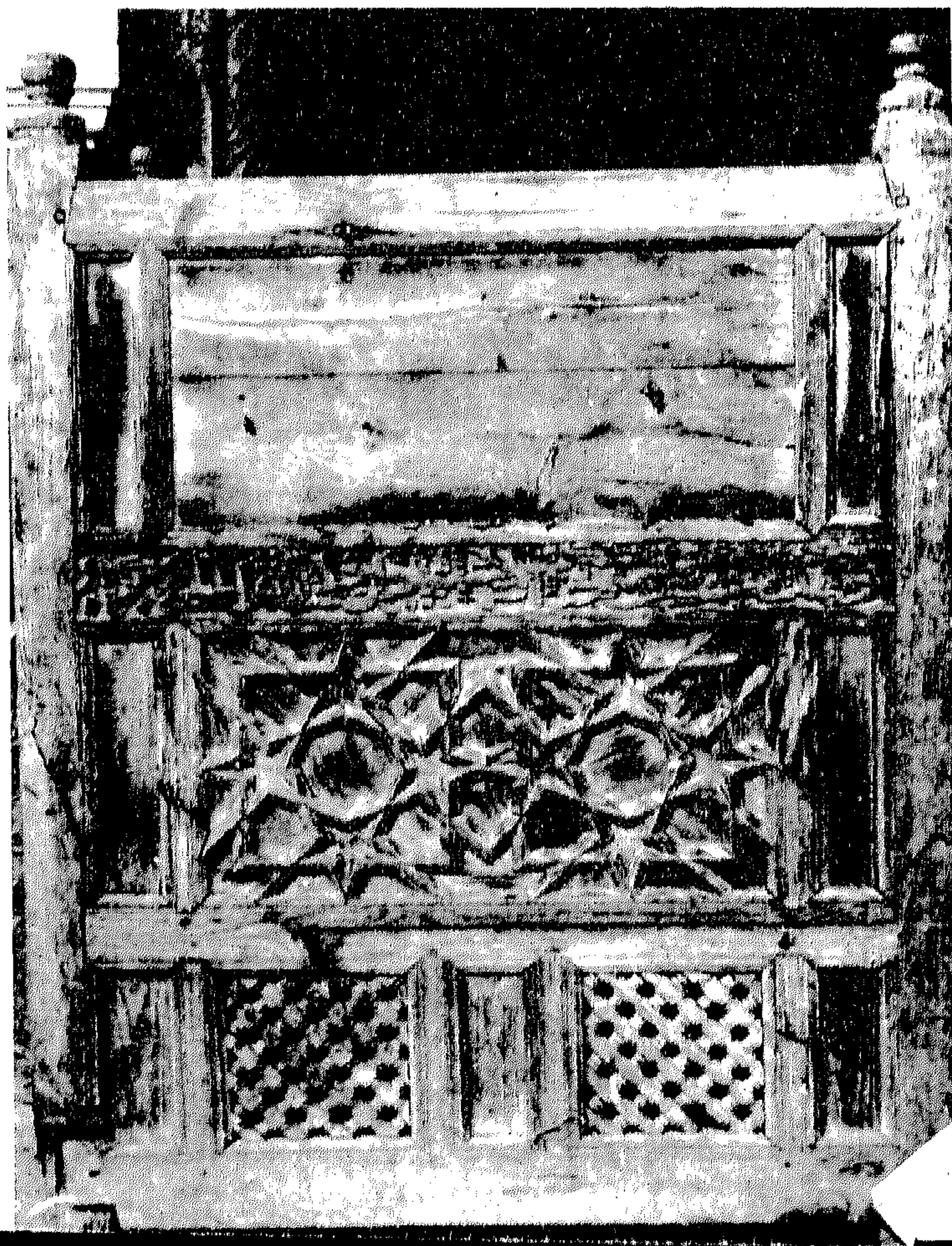
لوحة ٢٢٠ - باب المتبر الخشبى



لوحة ٢٢١ - دكة المبلغ الحجرية



لوحة ٢٢٢ - جزء من كرسي مصحف

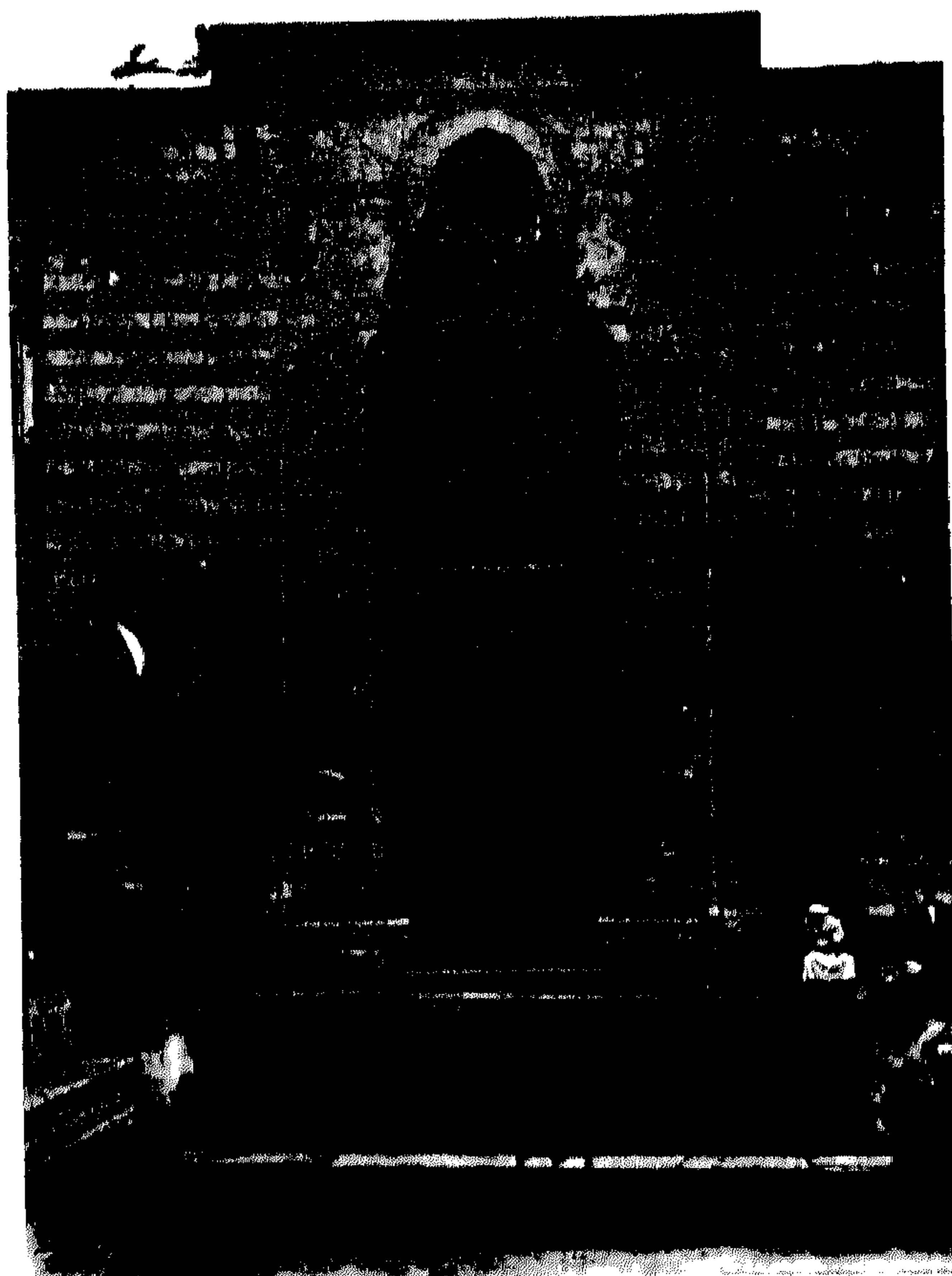


لوحة ٢٢٣ - مشكاة من الزجاج المموه بالمينا.



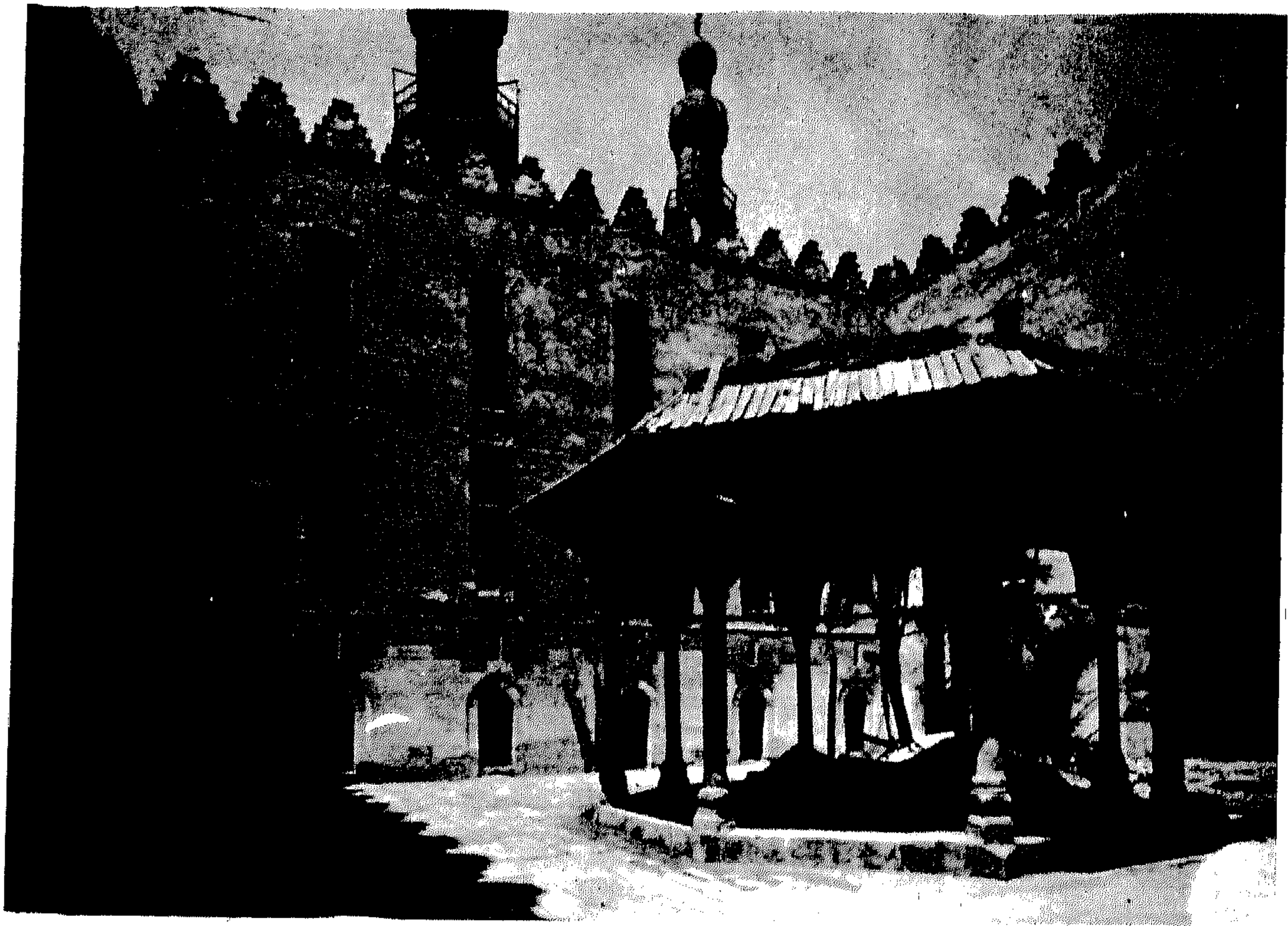
لوحة ٢٢٤ - منارة جامع شيخو

لوحة ٢٢٥ - المدخل الرئيسي لخانقاه شيخو



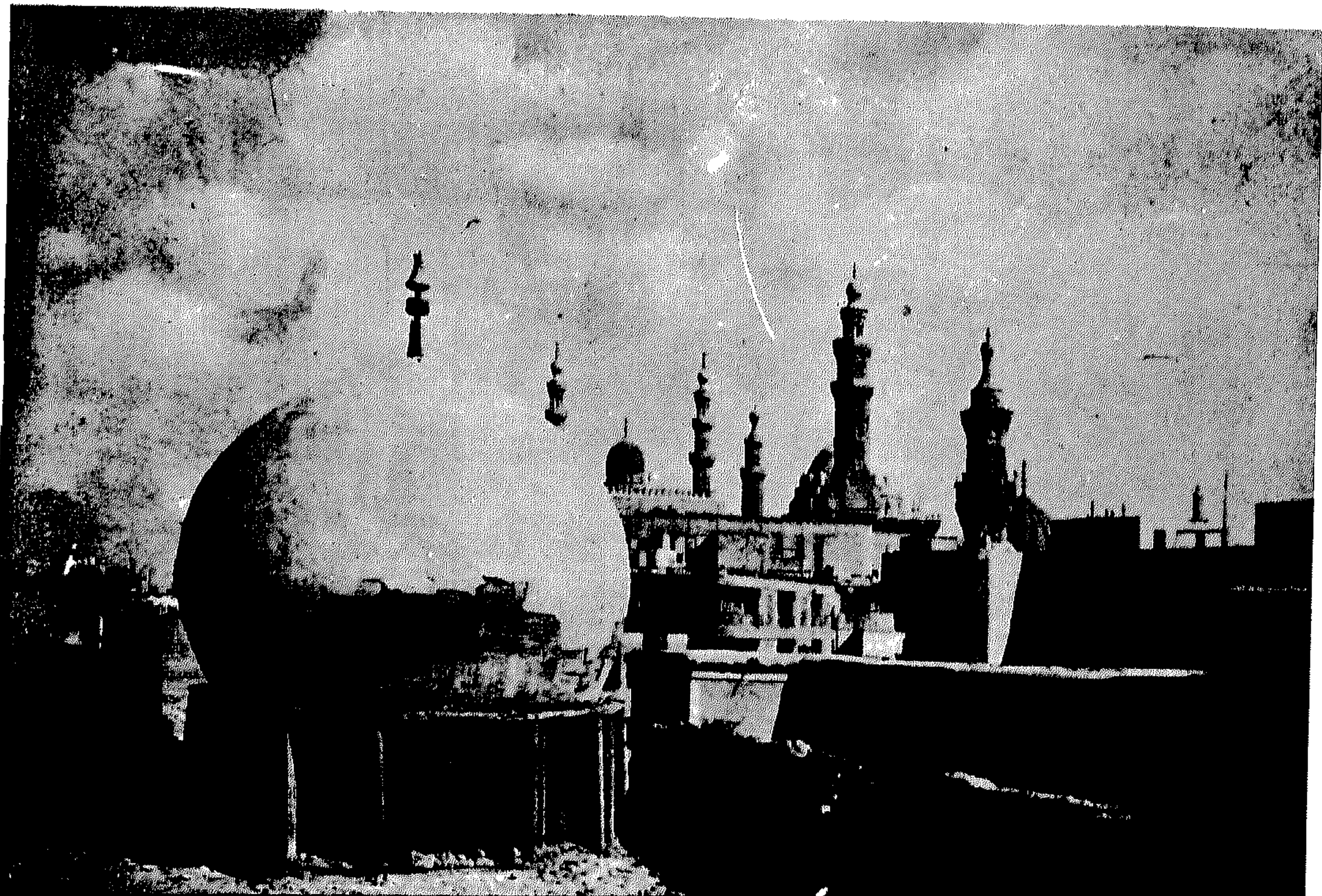
لوحة ٢٢٦ - صحن خانقاه شيخو



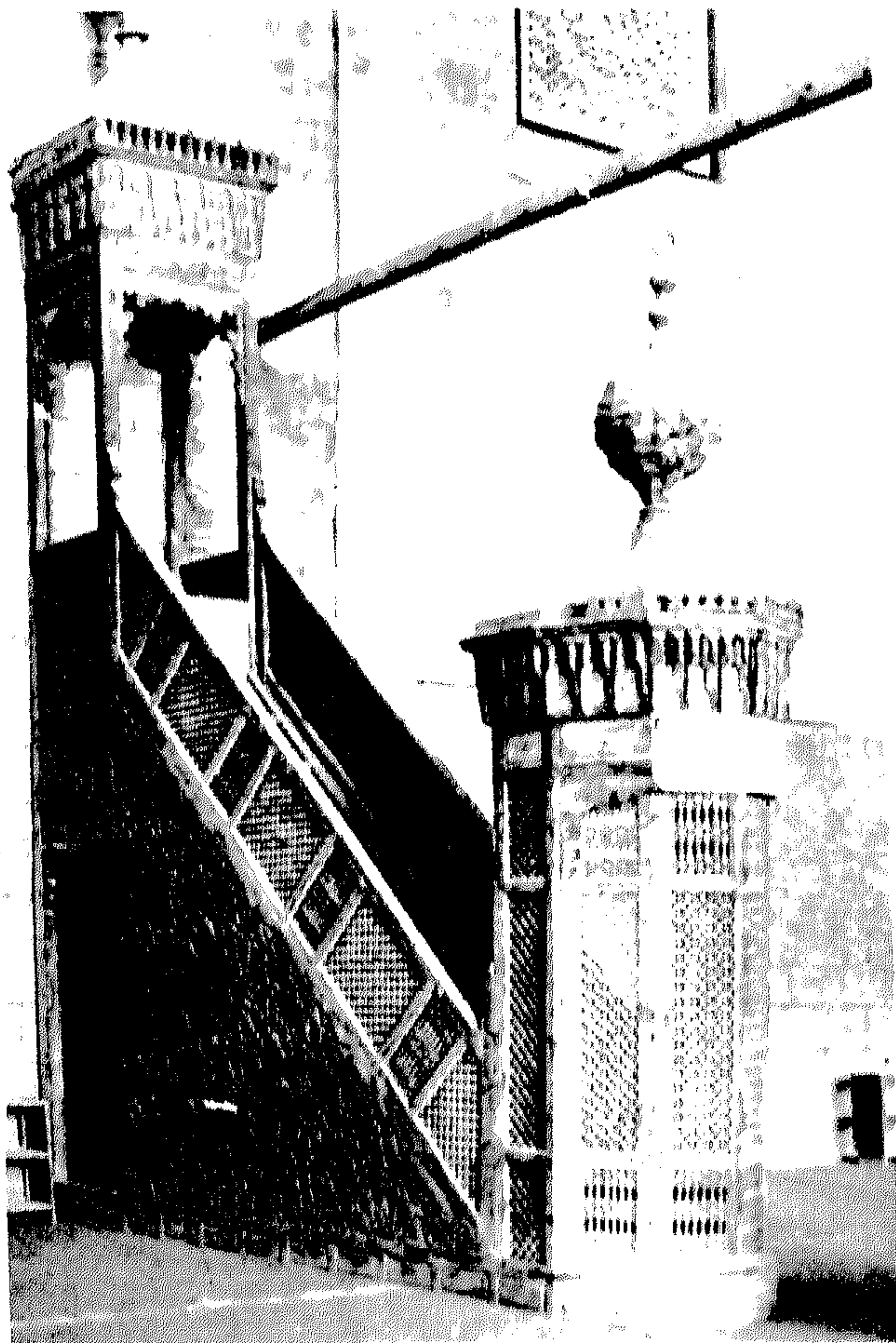
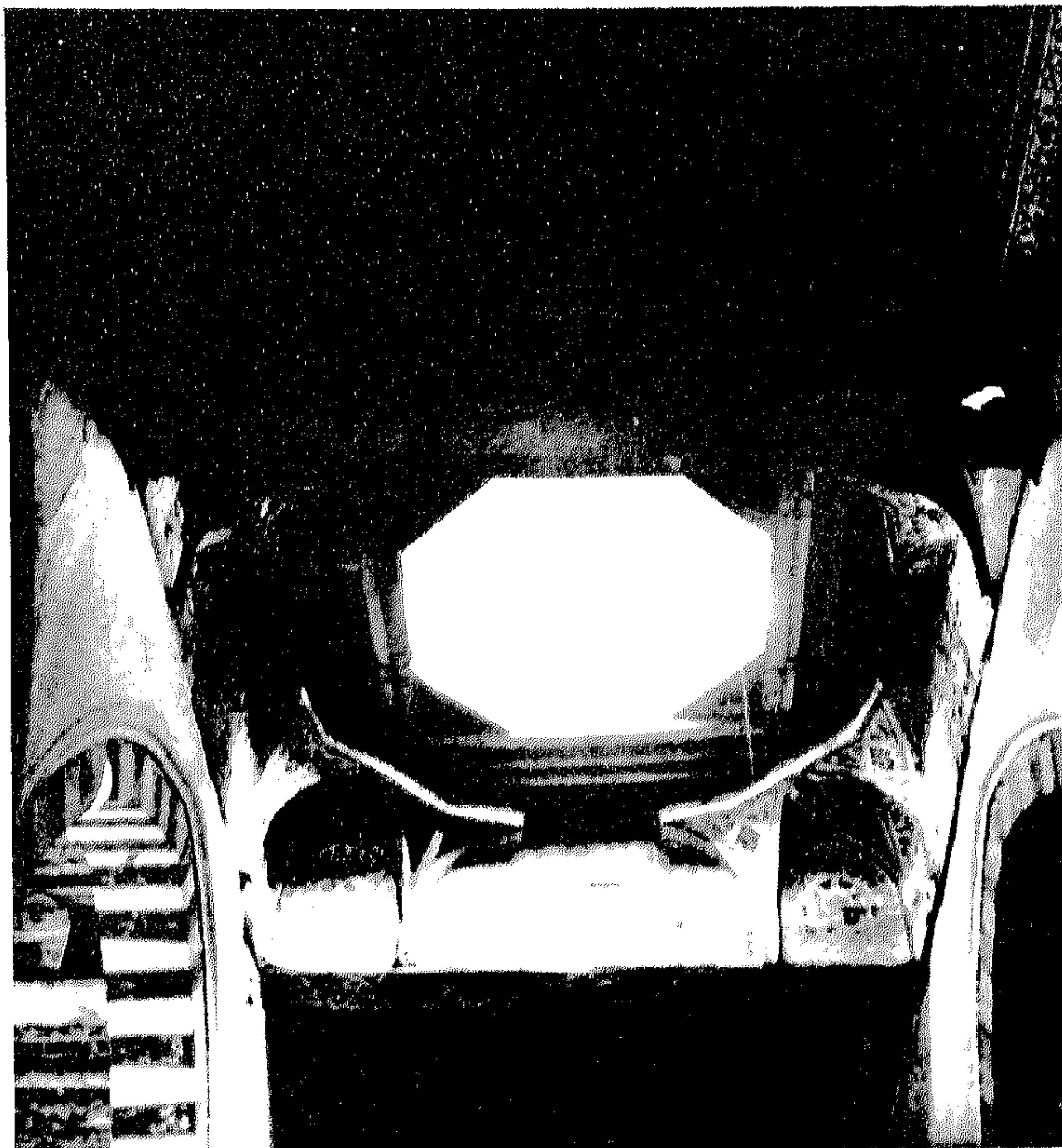


لوحة ٢٢٧ - الضلع الغربي للصحن وقد ظهرت به خلاوى الصوفية

لوحة ٢٢٨ - القبة الخشبية التي تتقدم المحراب من الخارج

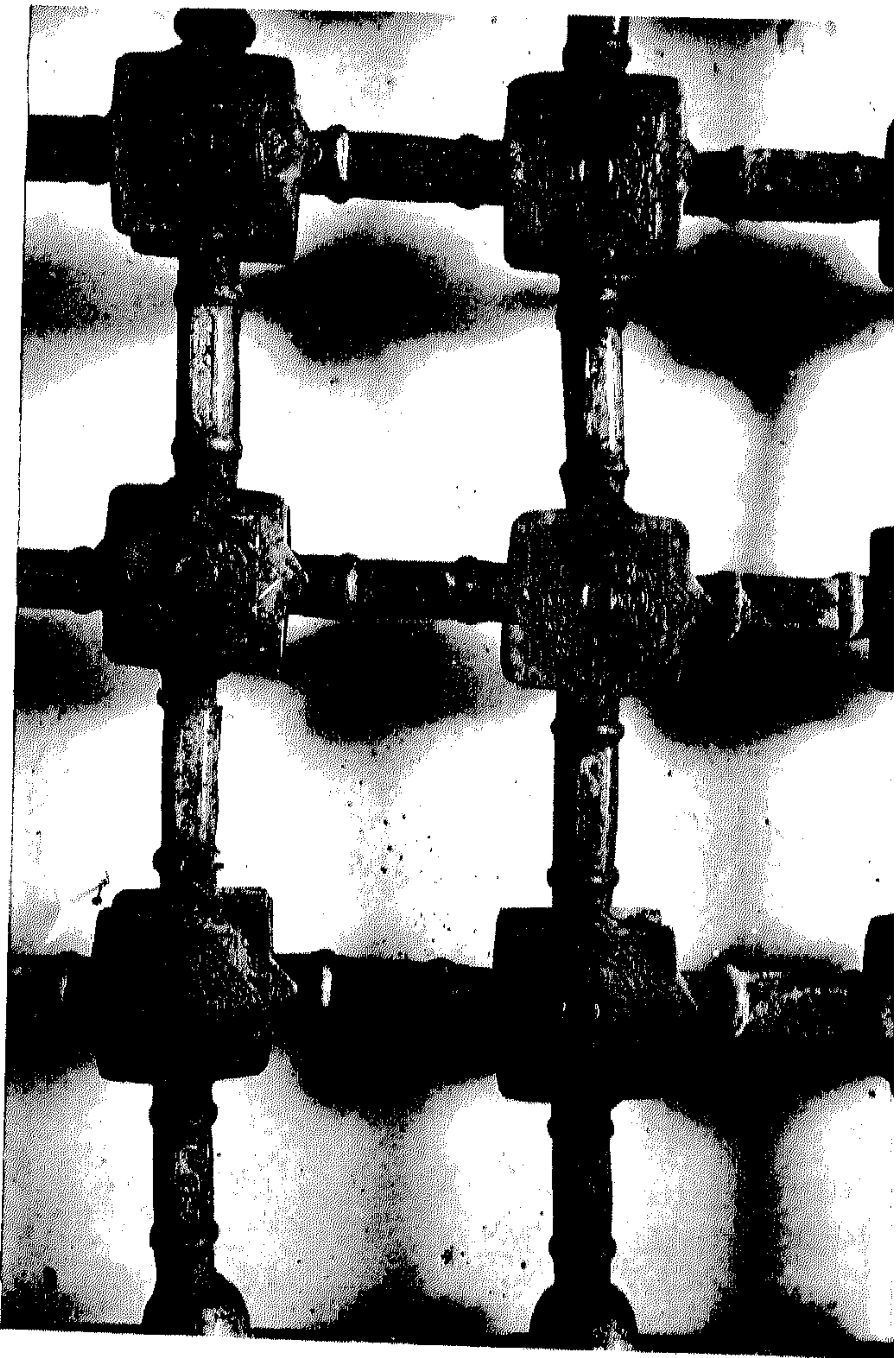
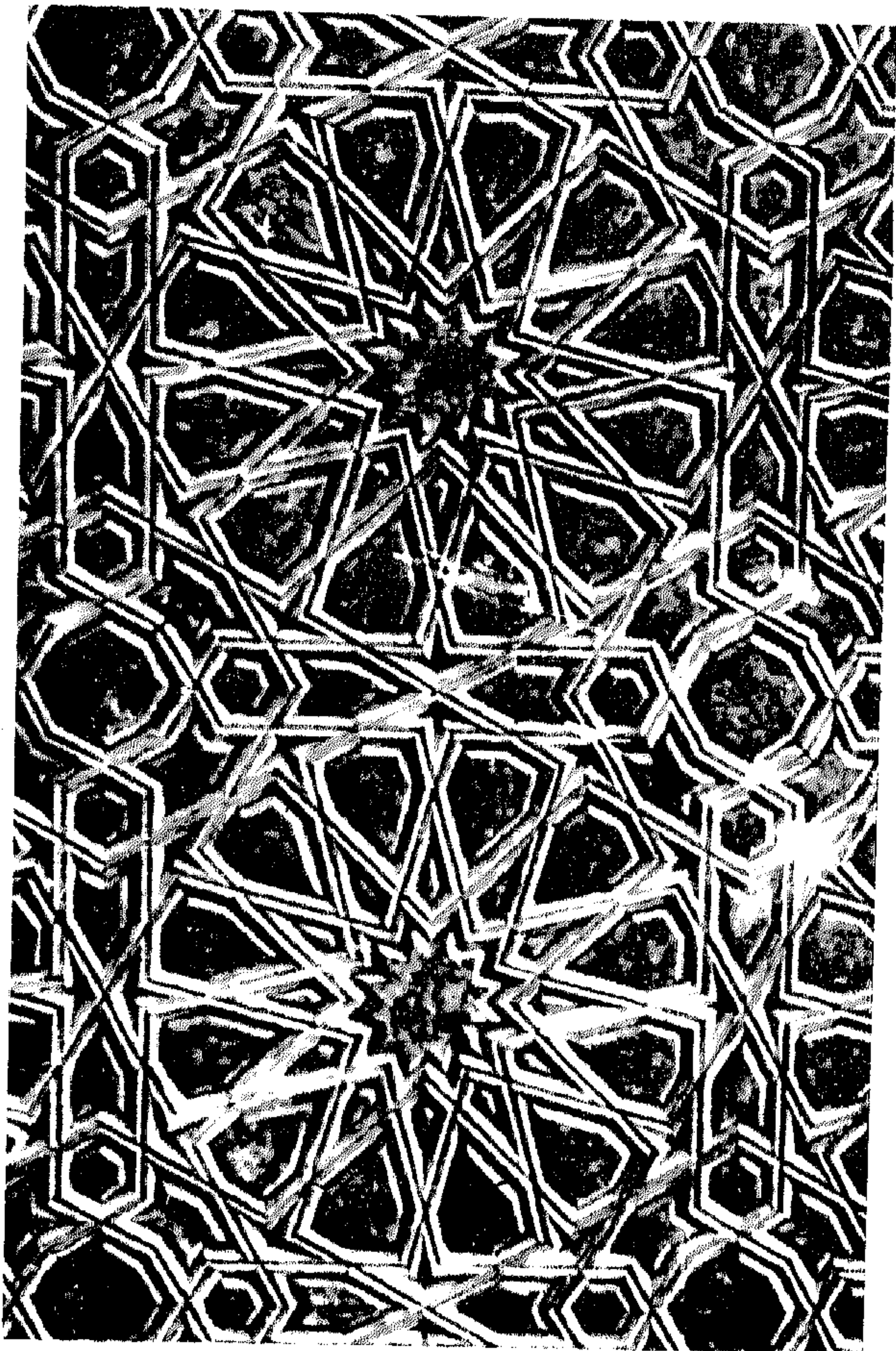


لوحة ٢٢٩ - القبة الخشبية من الداخل



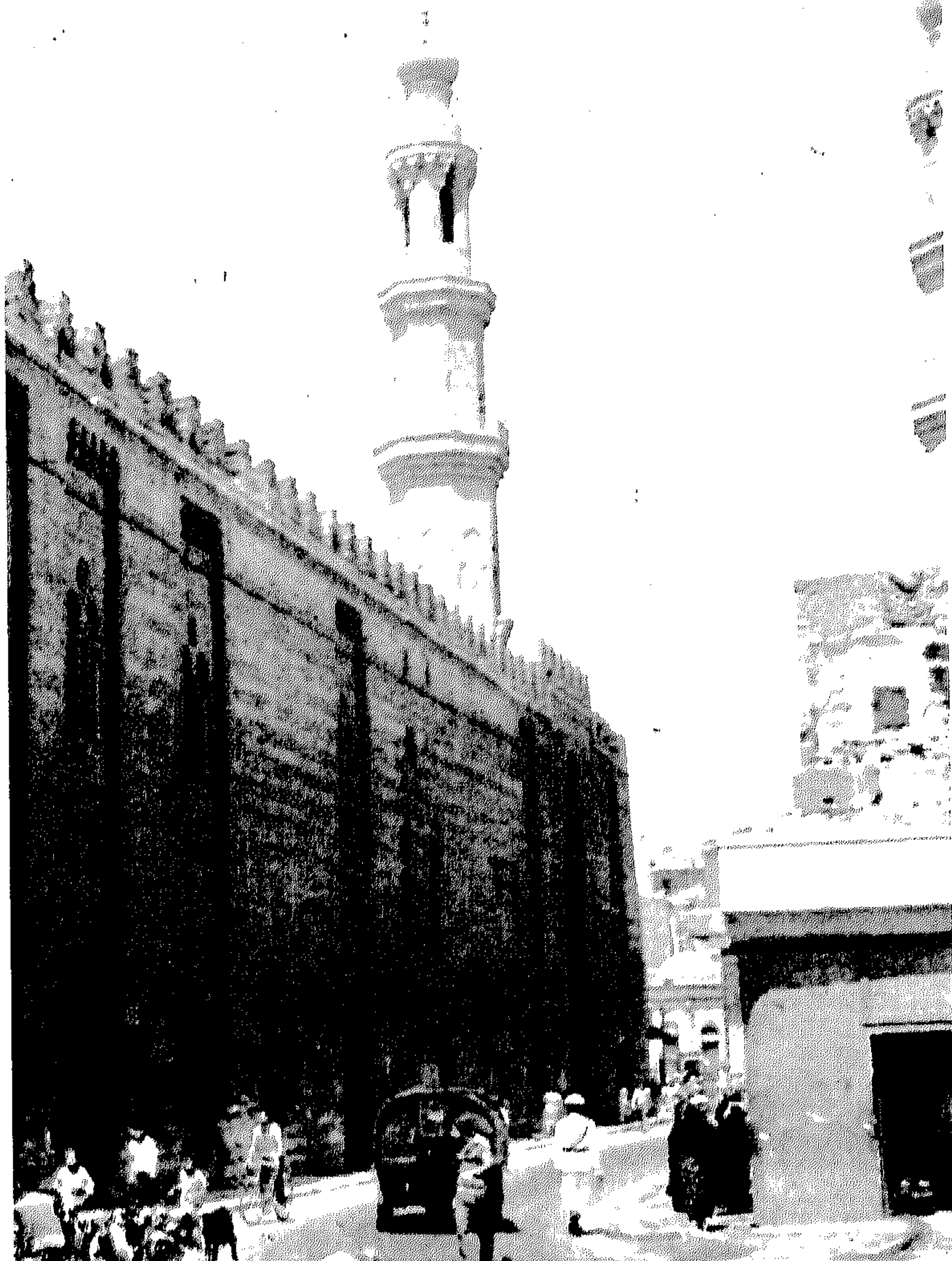
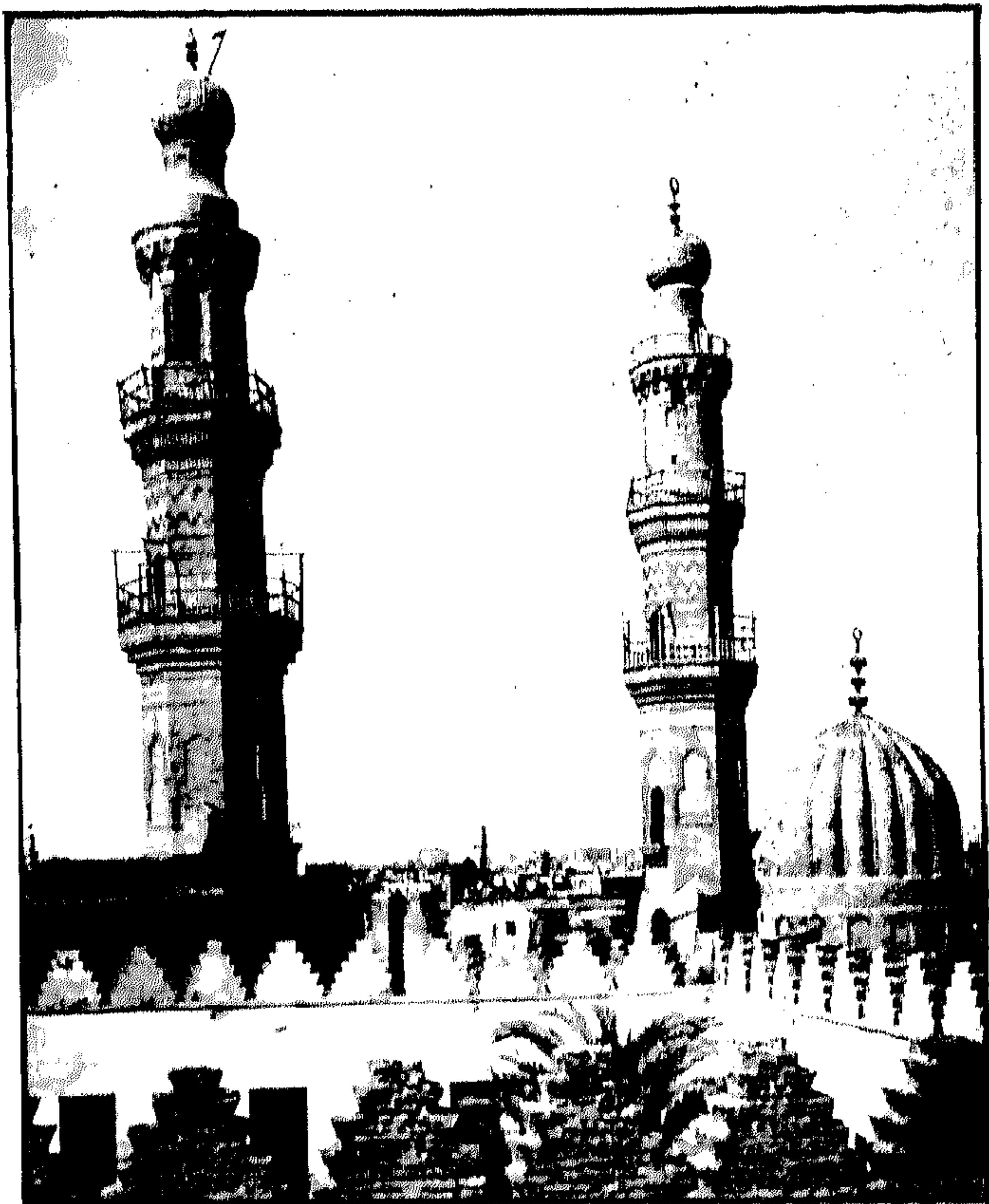
لوحة ٢٣٠ - منبر الخانقاه الخشبي

لوحة ٢٣١ - تفاصيل المنبر الخشبي



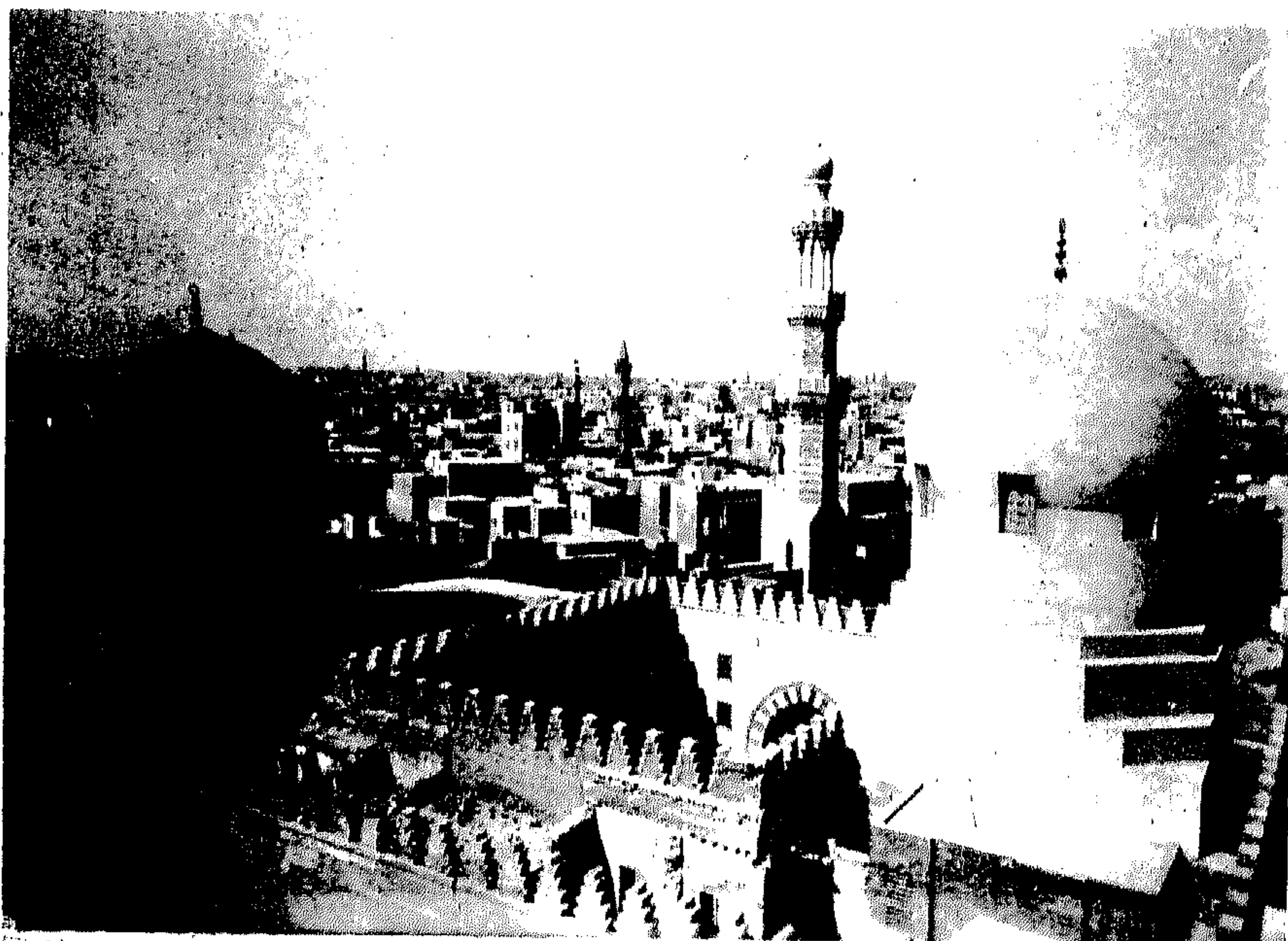
لوحة ٢٣٢ - المصنوعات الحديدية التي تملأ نوافذ واجهة جامع وخانقاه شيخو

لوحة ٢٣٣ - مئذنتي جامع وخانقاه شيخو



لوحة ٢٣٤ - واجهة الخانقاه

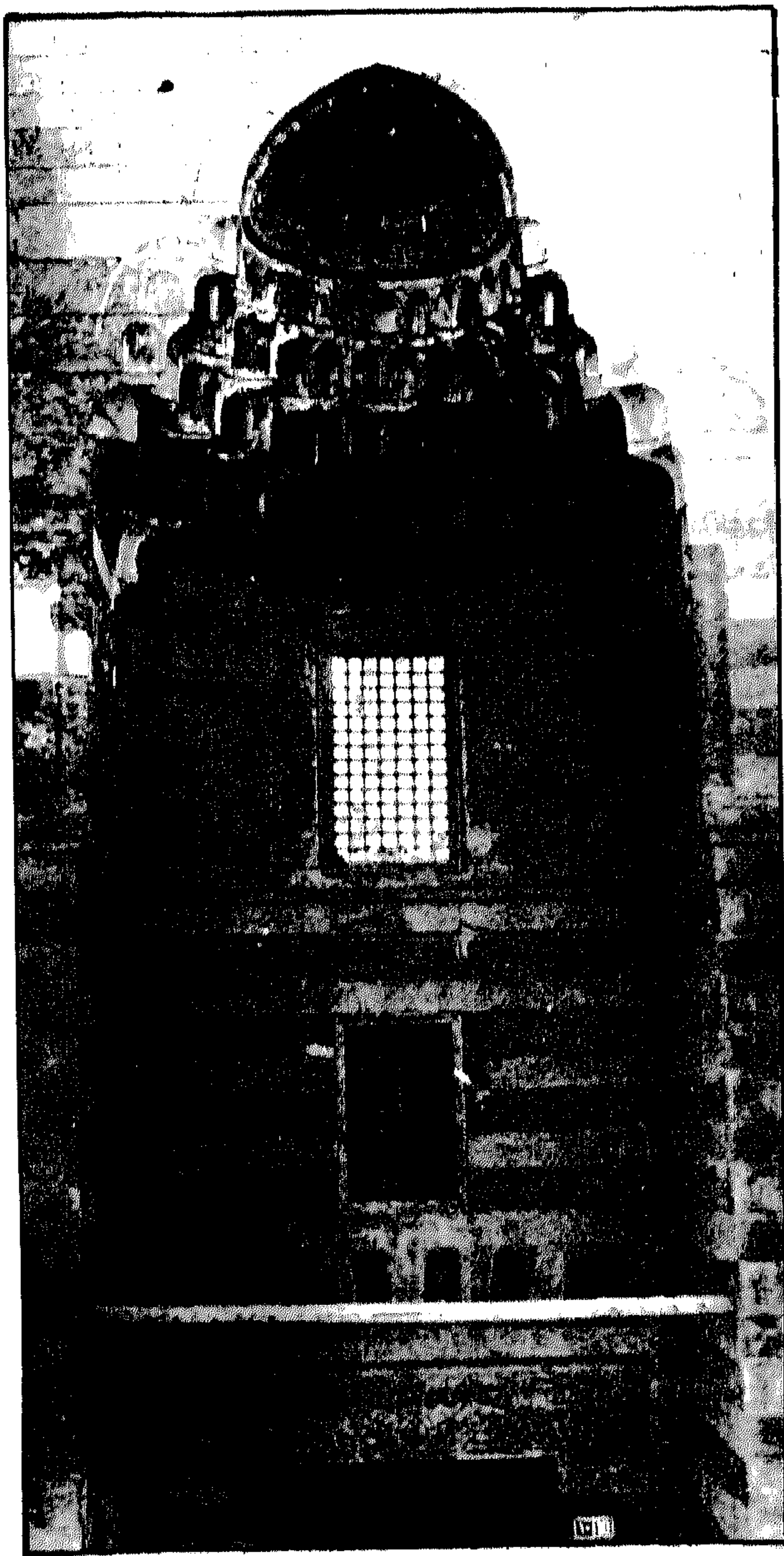
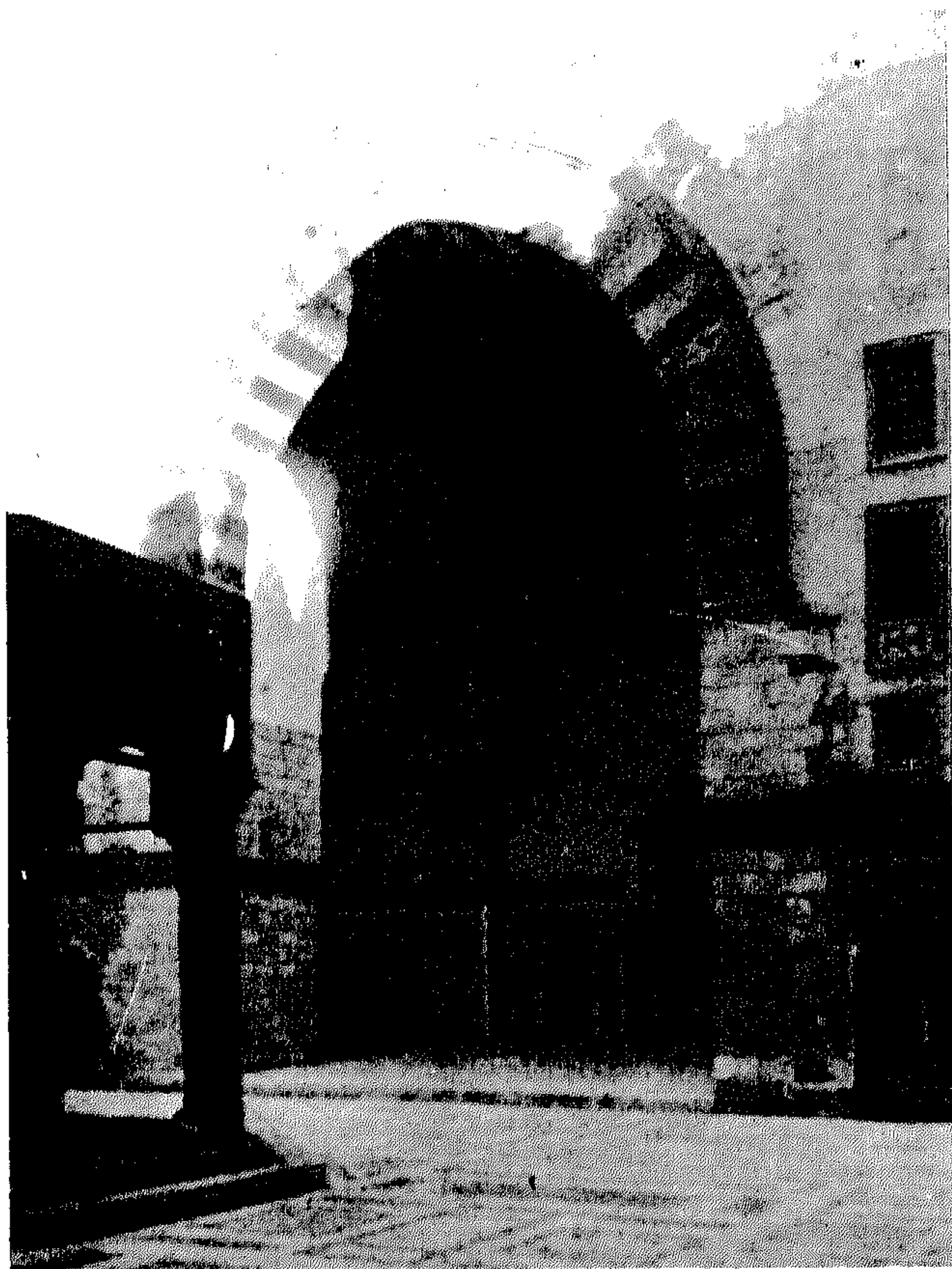
حقة ٢٣٥ - منظر عام لمدرسة صرغتمش



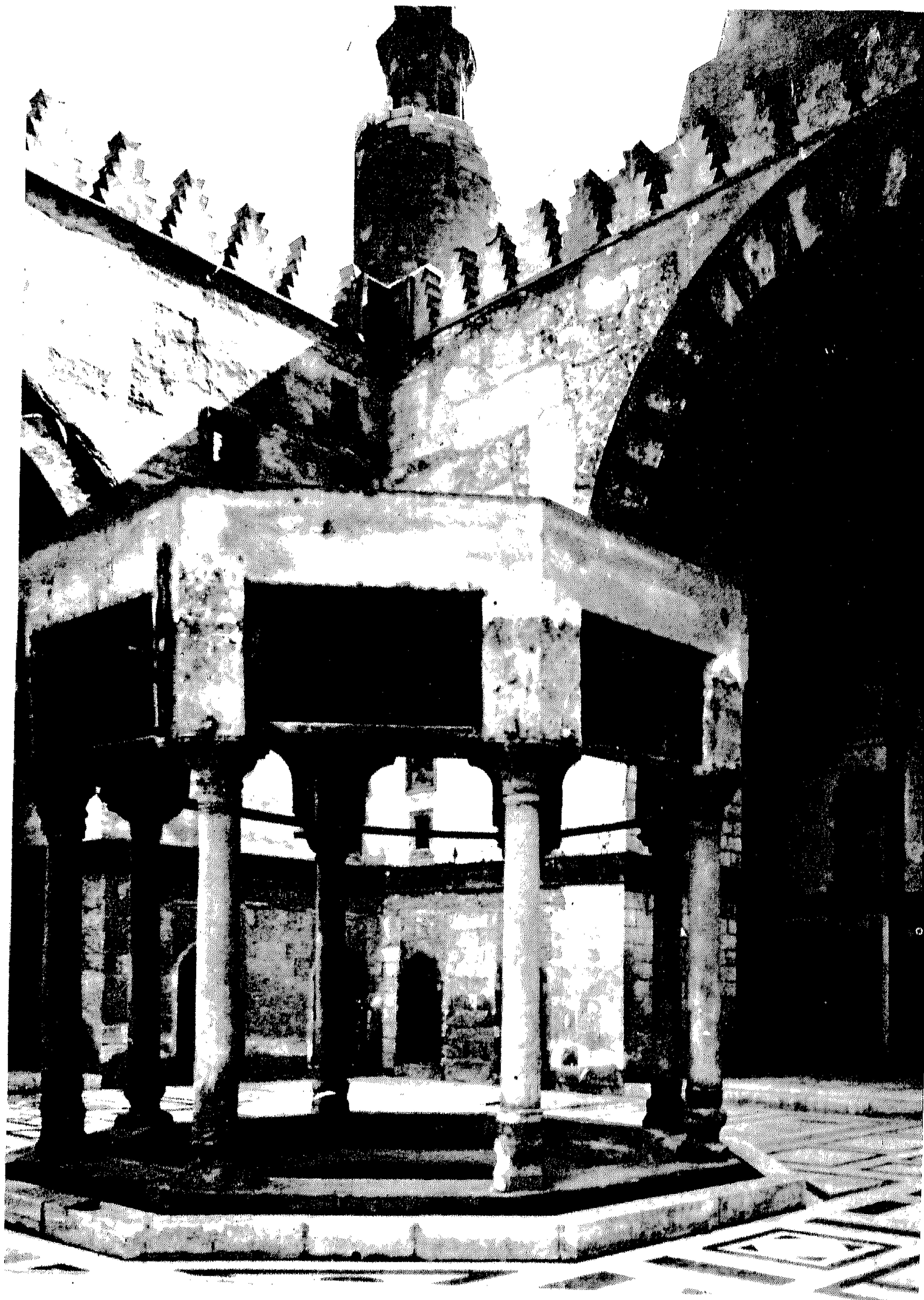
لوحة ٢٣٦ - مثدنة الخانقاه



لوحة ٢٣٨ - صحن المدرسة

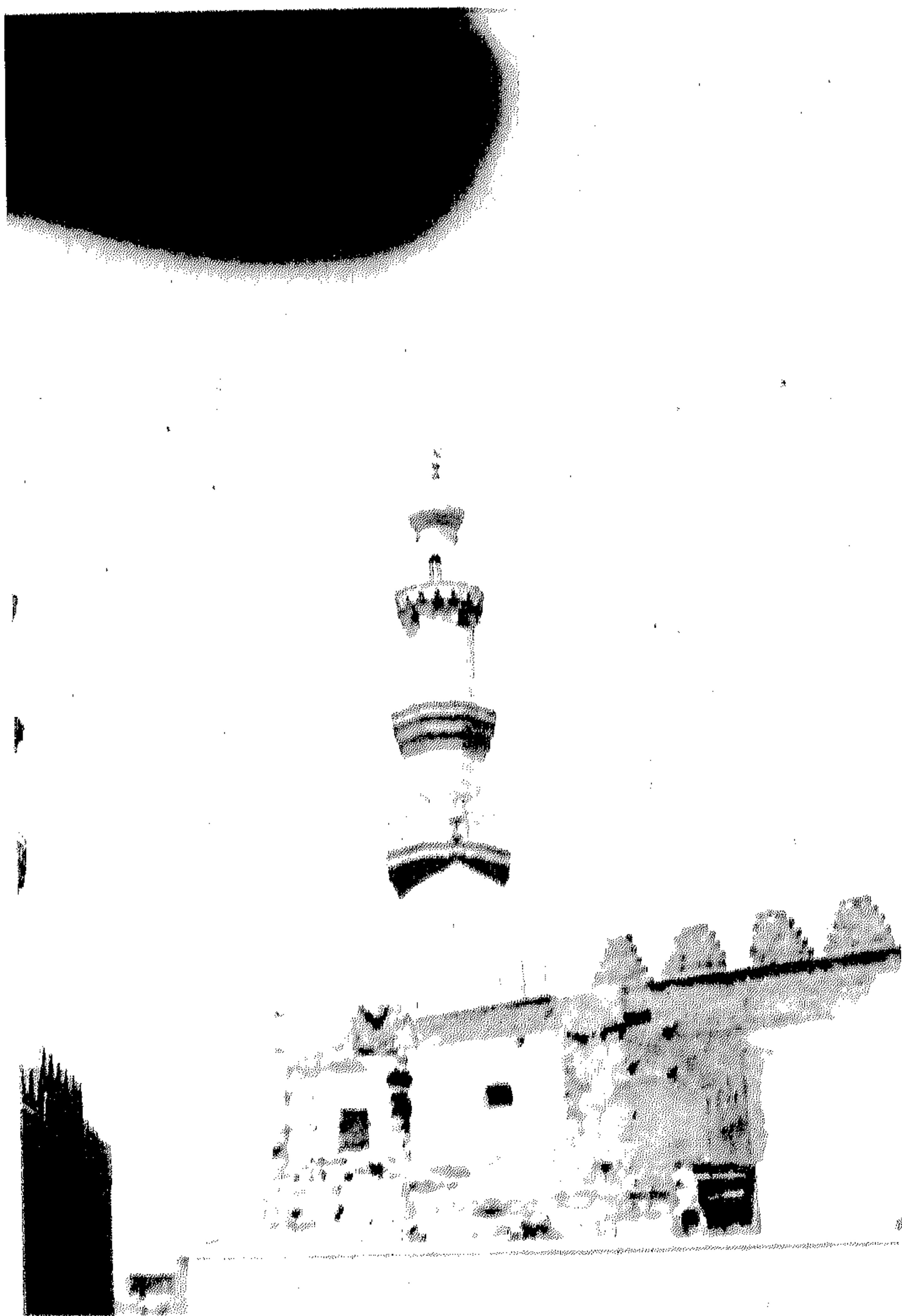


لوحة ٢٣٧ - المدخل الرئيسي للمدرسة

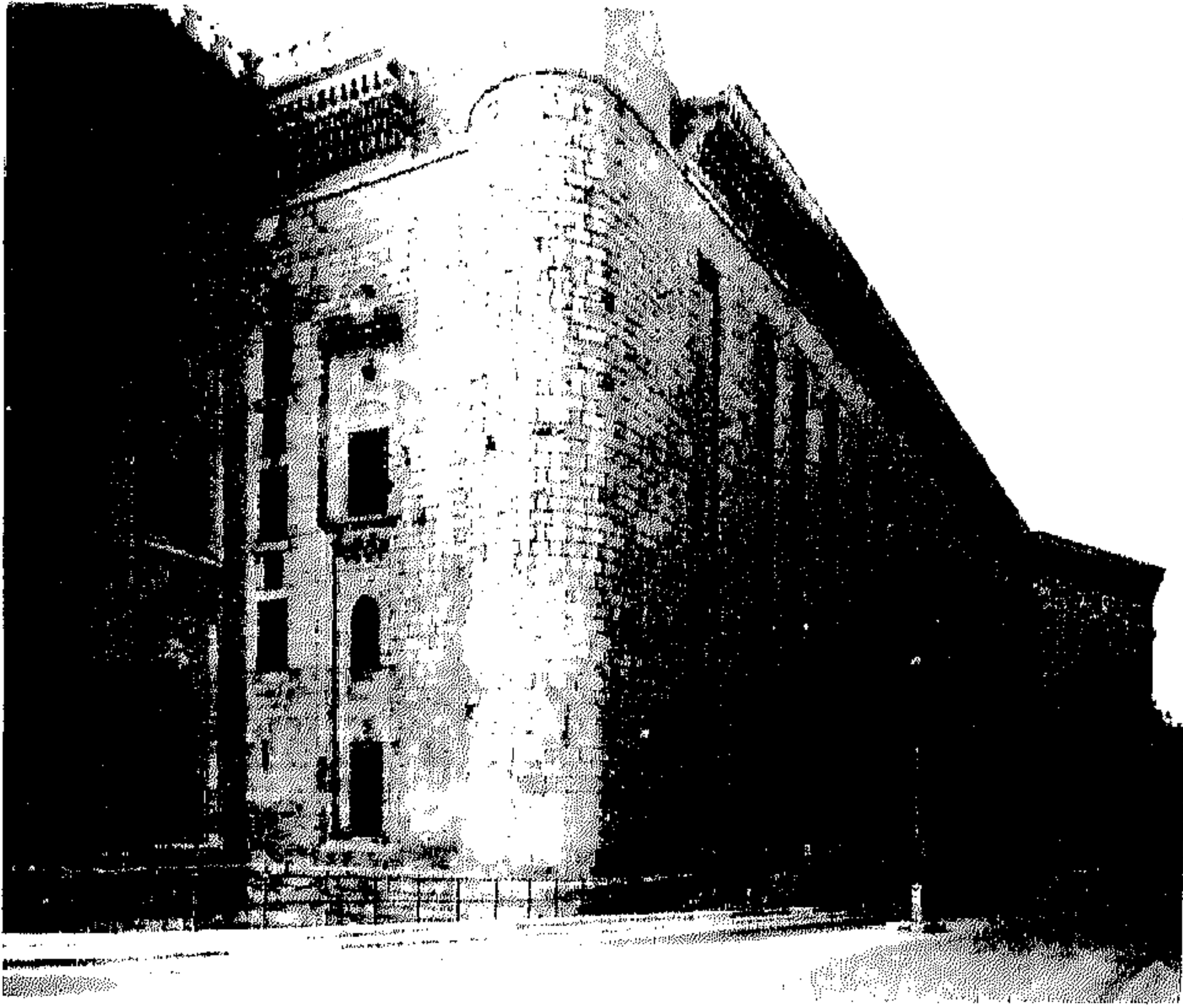


لوحة ٢٣٩ - الميضاتتوسط صحن المدرسة

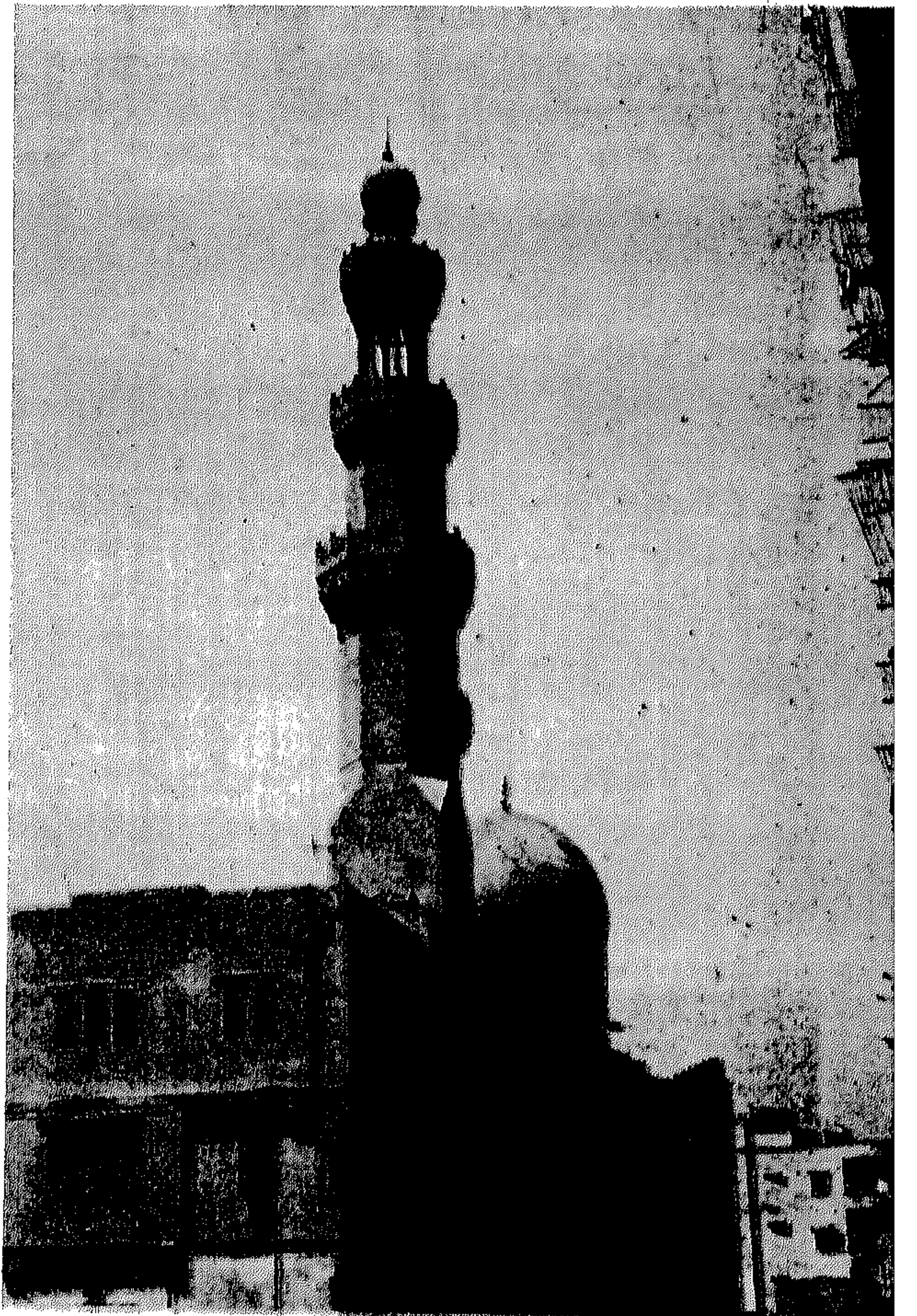
لوحة ٢٤٠ - قبة مدرسة صرغتمش



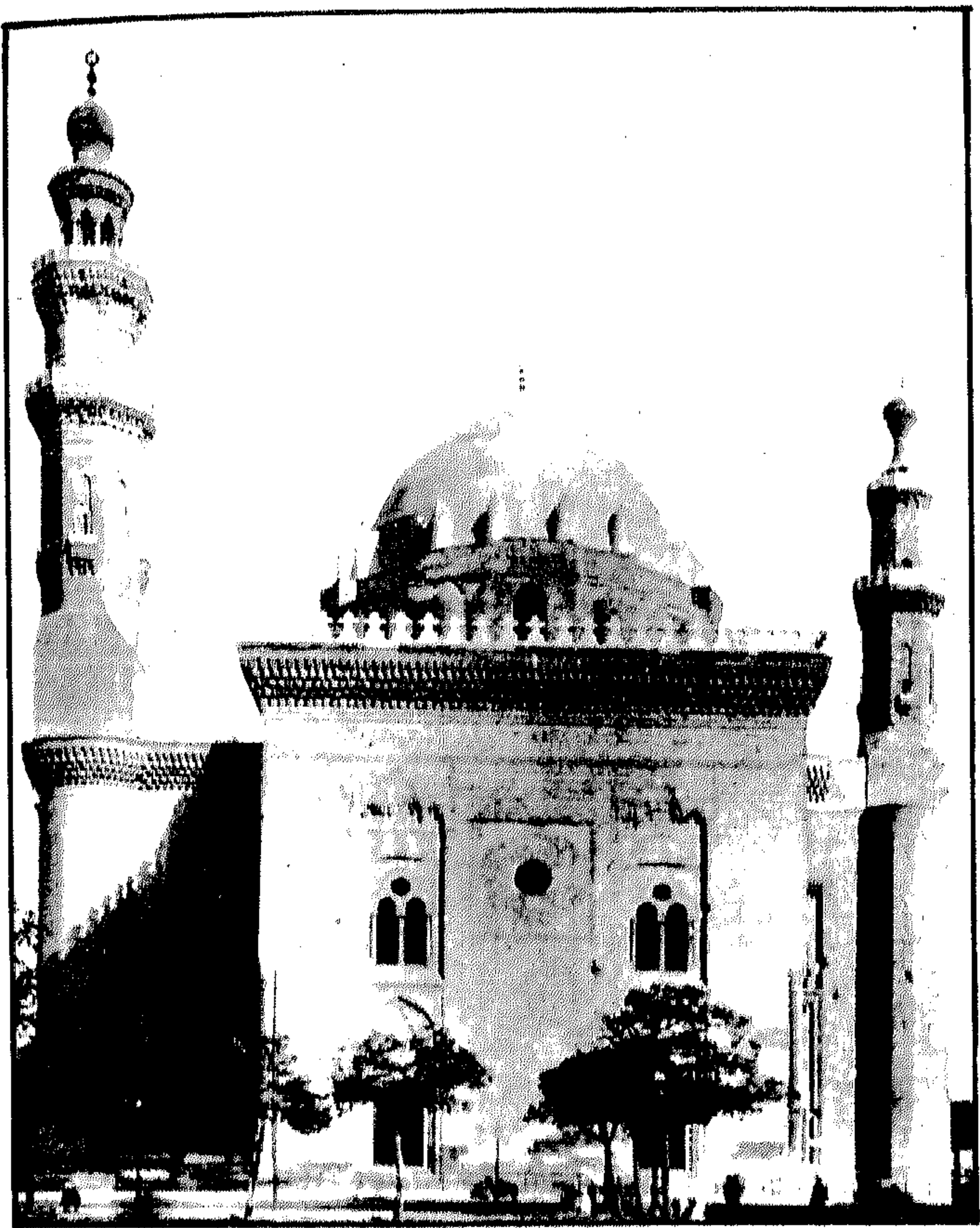
لوحة ٢٤١ - جامع شيخون



لوحة ٢٤٣ — الواجهة الرئيسية لمدرسة السلطان حسن



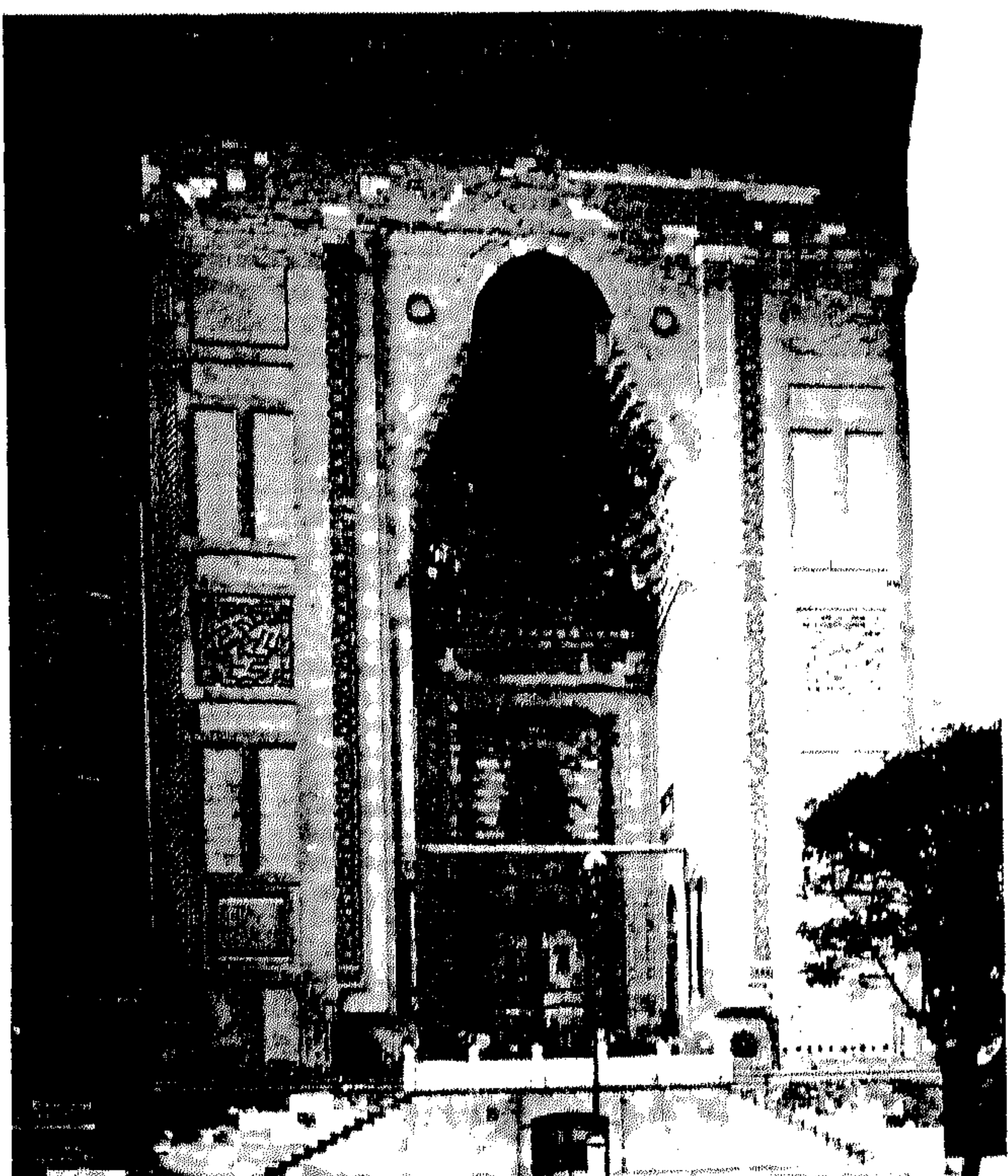
لوحة ٢٤٢ — مئذنة وقبة مدرسة صرغتمش



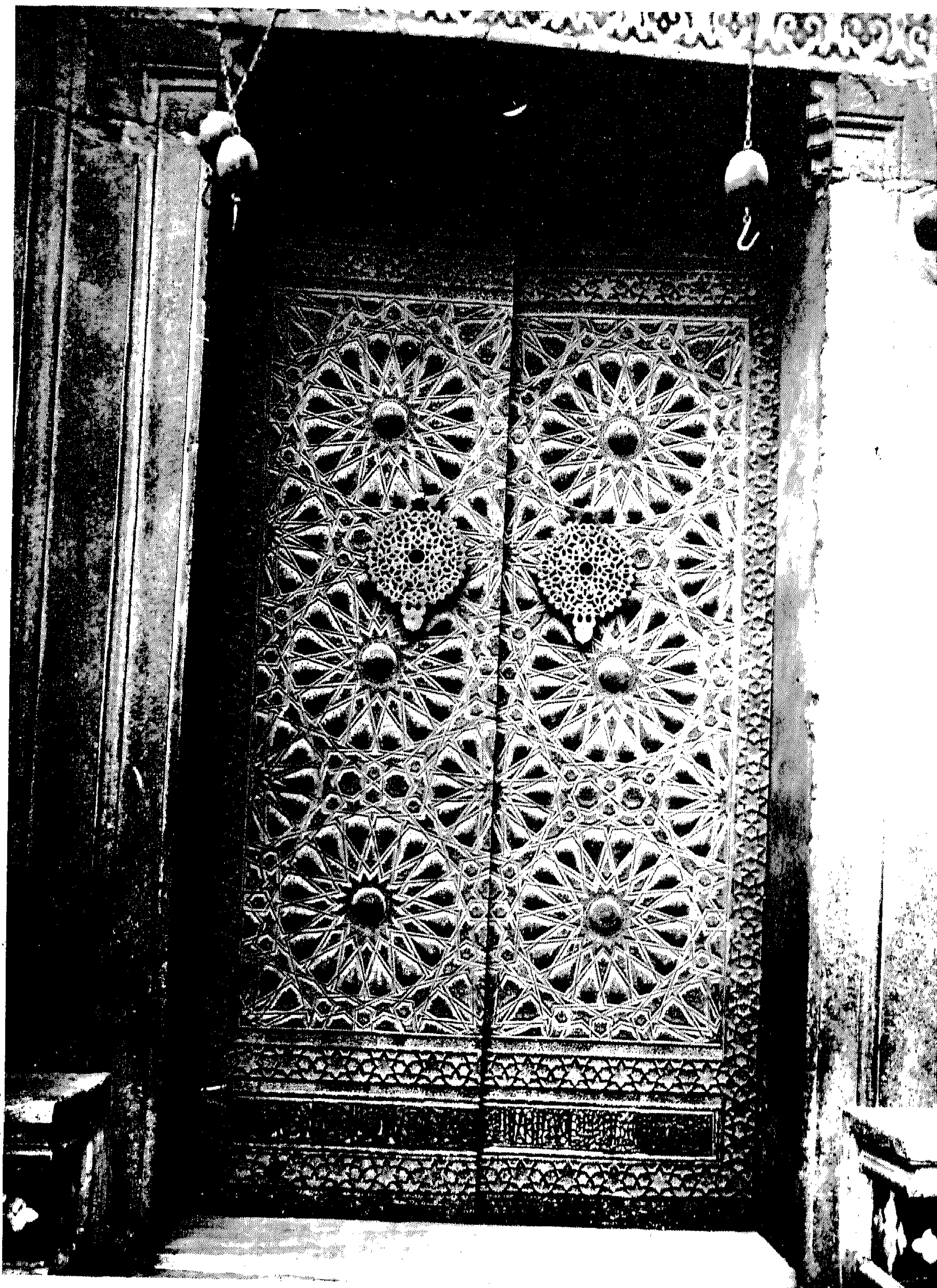
لوحة ٢٤٥ - الواجهة الشمالية للمدرسة



لوحة ٢٤٤ - زخارف محفورة في الحجر بمدرسة السلطان حسن

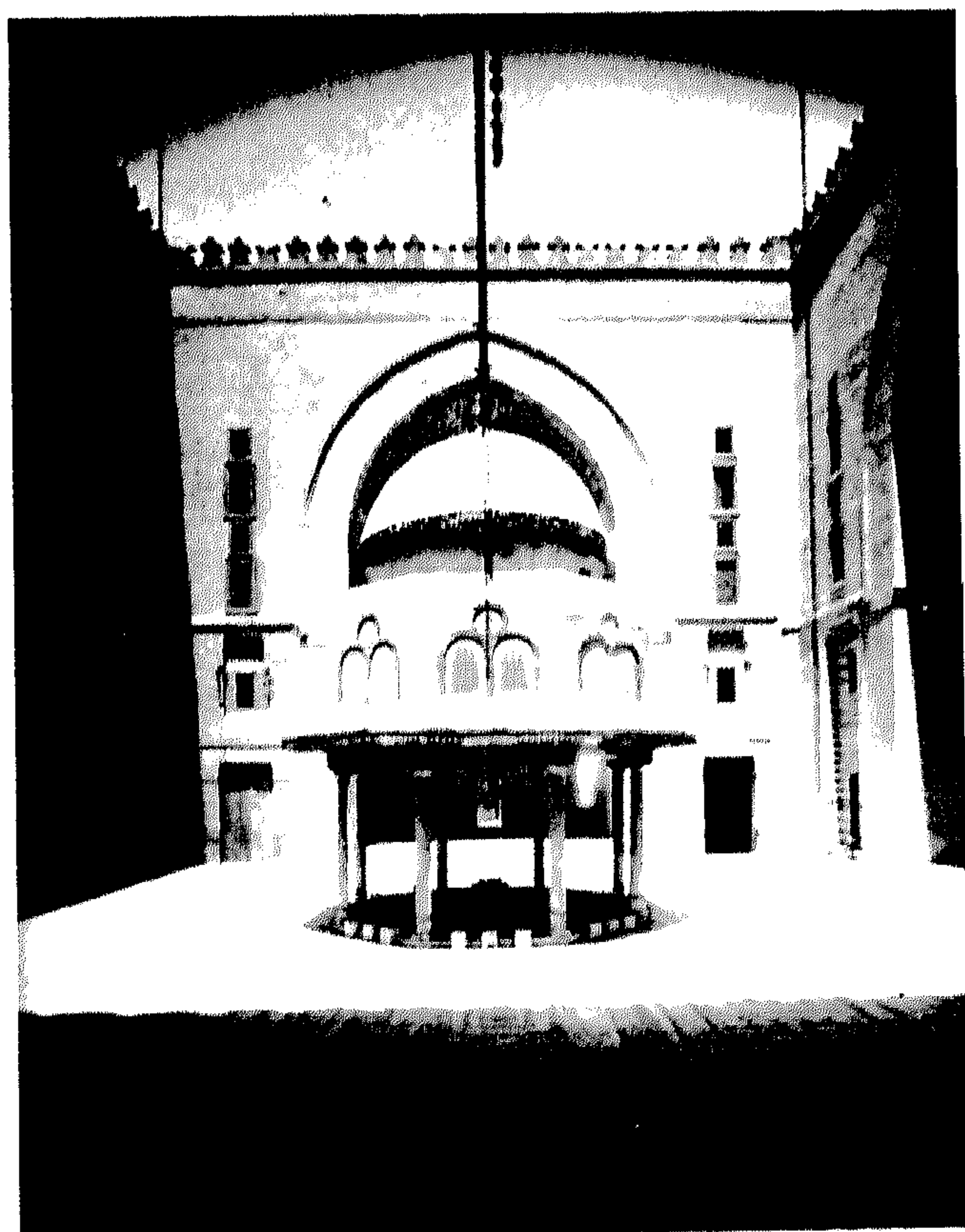
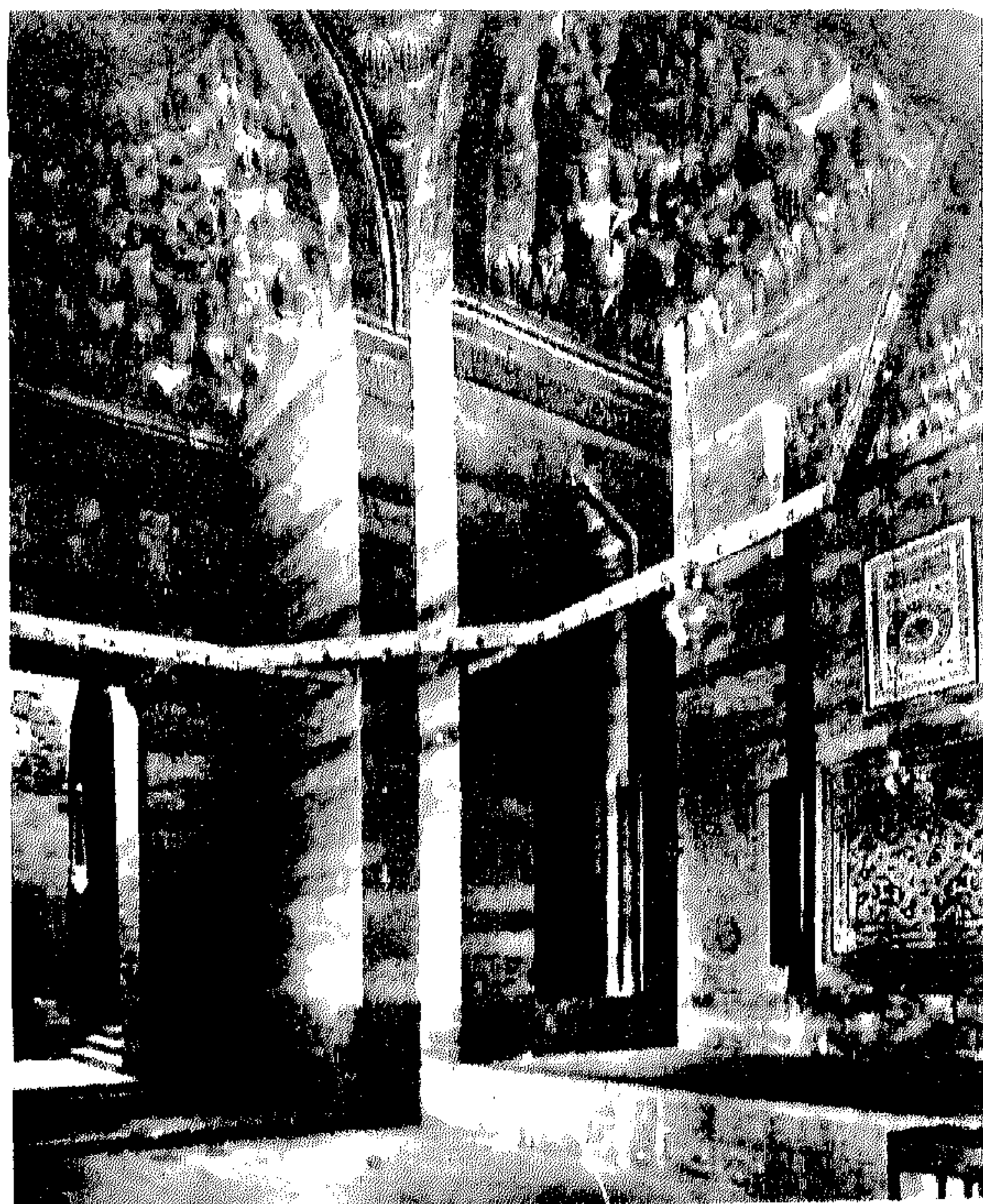


لوحة ٢٤٦ - المدخل الرئيسي للمدرسة

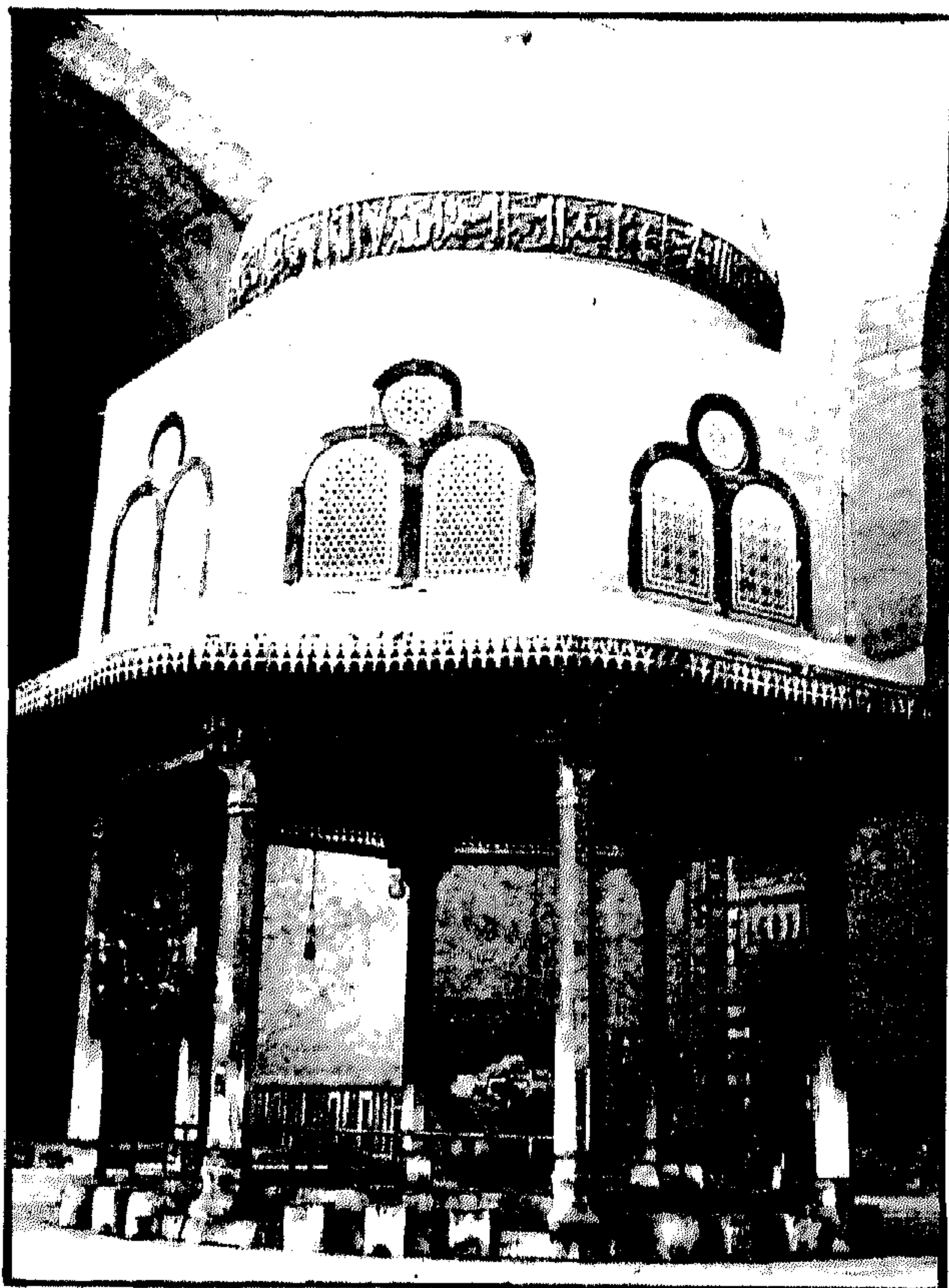


لوحة ٢٤٧ - باب مدرسة السلطان حسن

لوحة ٢٤٨ - درگاه مدرسة السلطان حسن



لوحة ٢٤٩ - صحن مسجد السلطان حسن

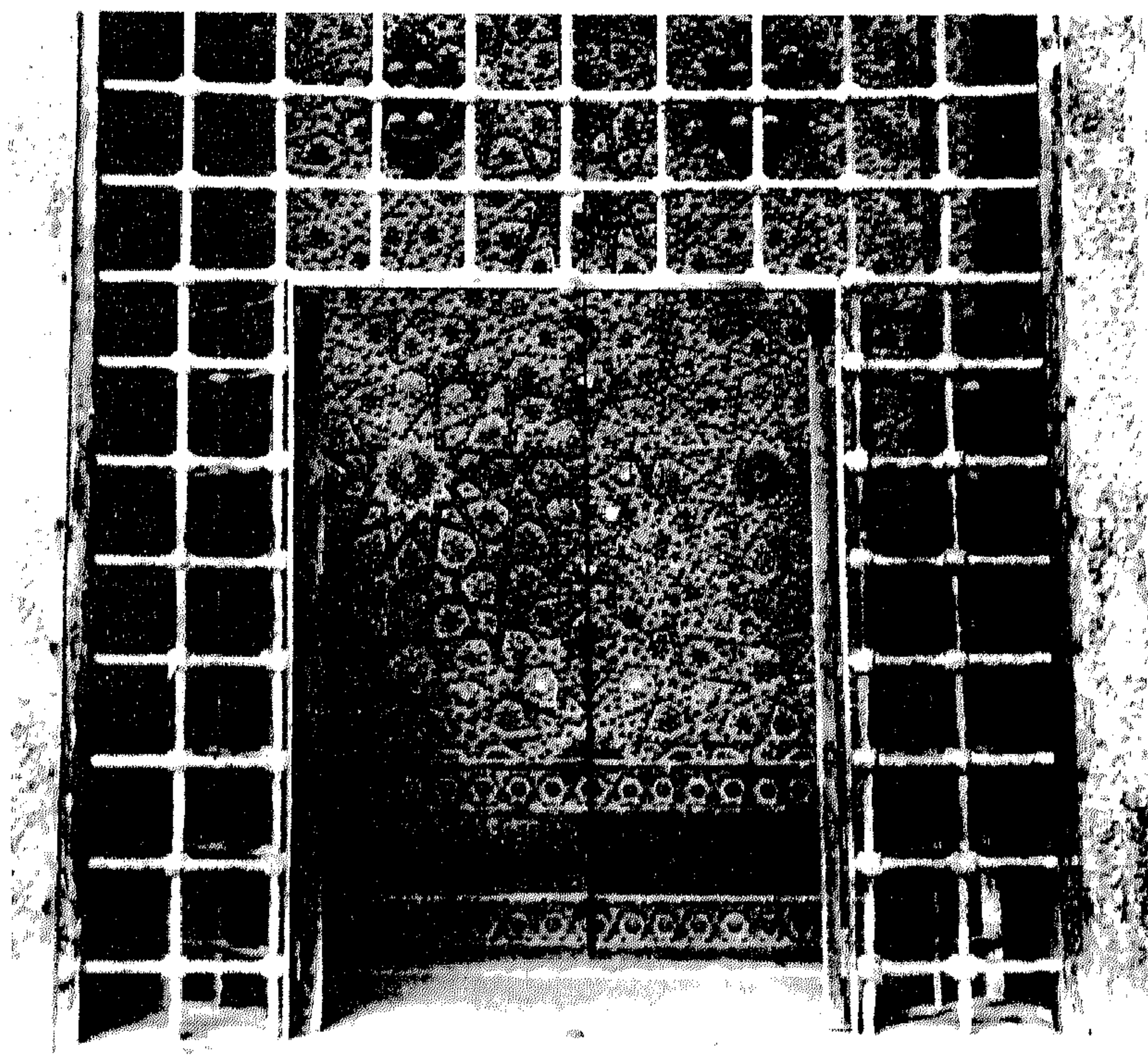


٢٥٠ - الميضأة التي تتوسط مدرسة السلطان حسن

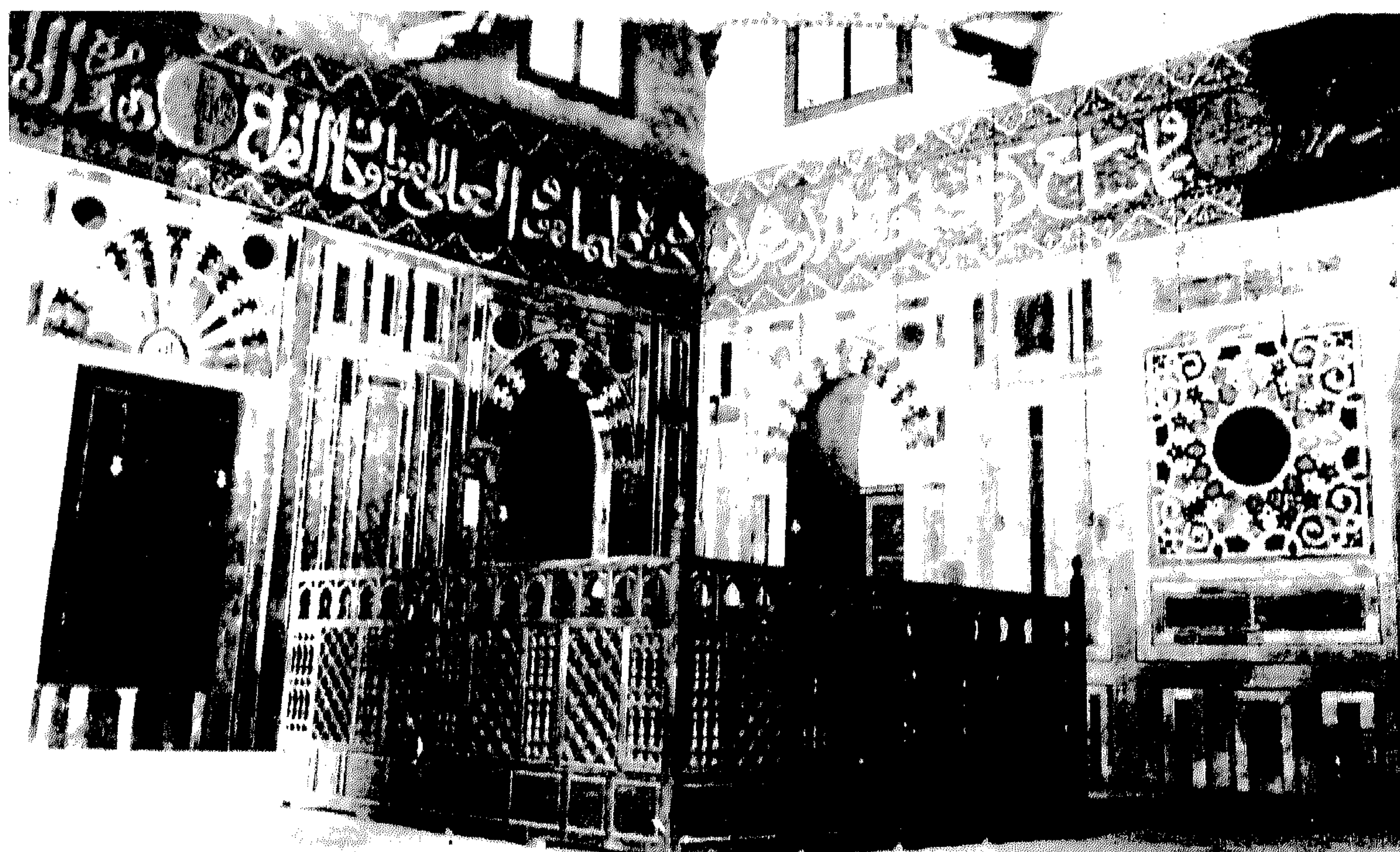
لوحة ٢٥١ - إيوان القبلة بمدرسة السلطان حسن



لوحة ٢٥٢ - أحد أبواب المدرسة التي تفصل
بين إيوان القبلة ، والقبلة



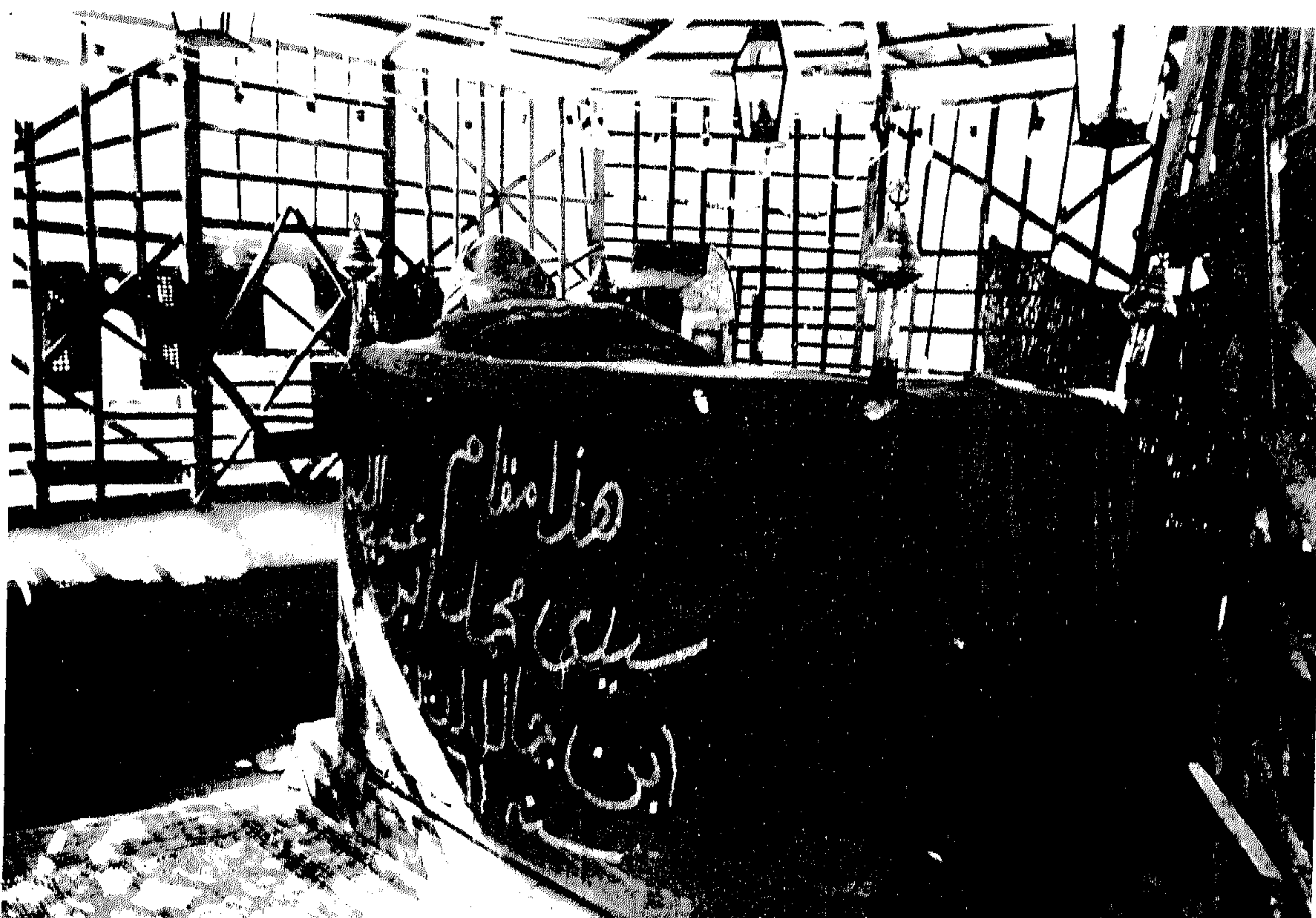
لوحة ٢٥٣ - القبلة الملحقة بمدرسة السلطان حسن



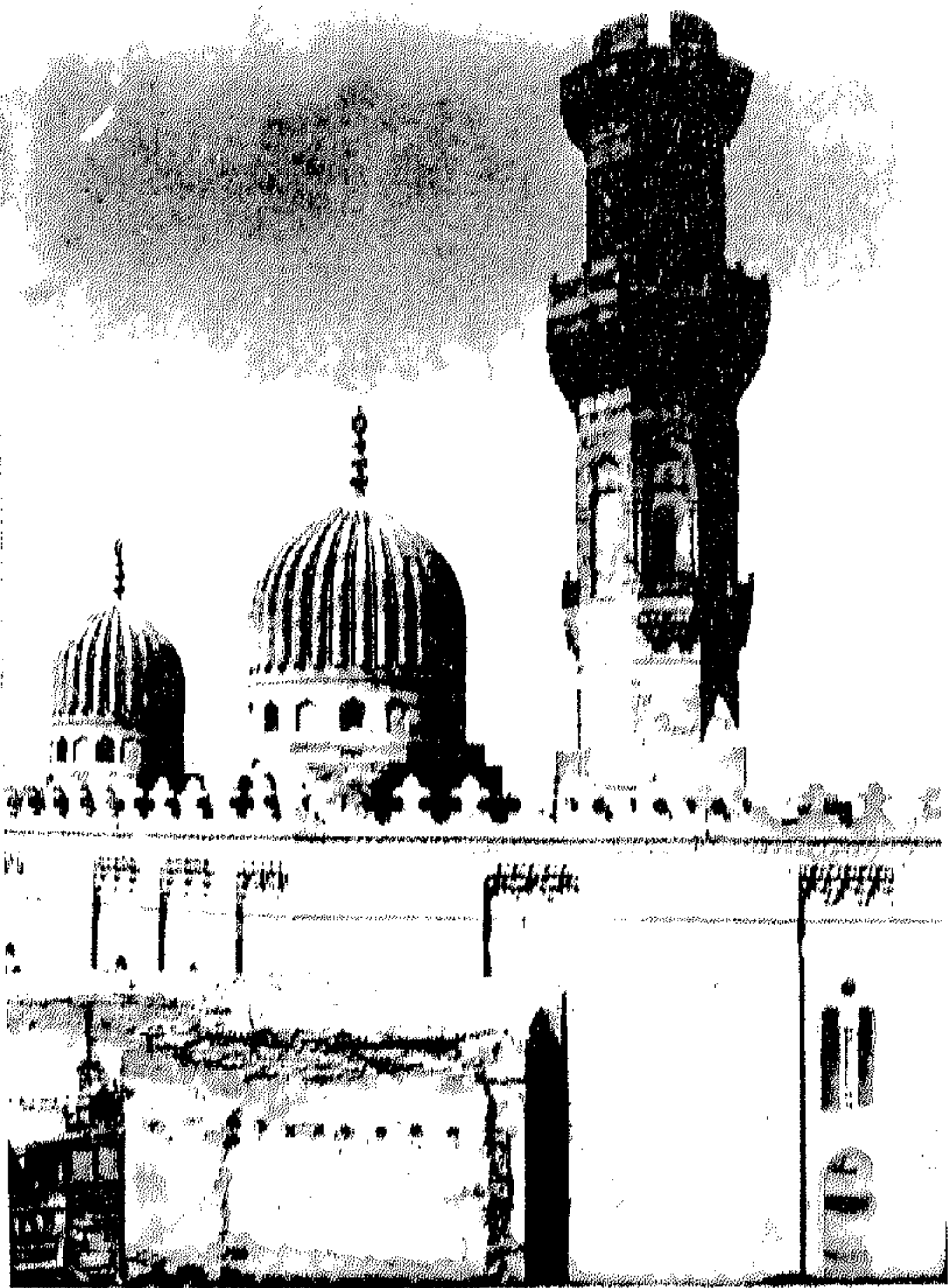
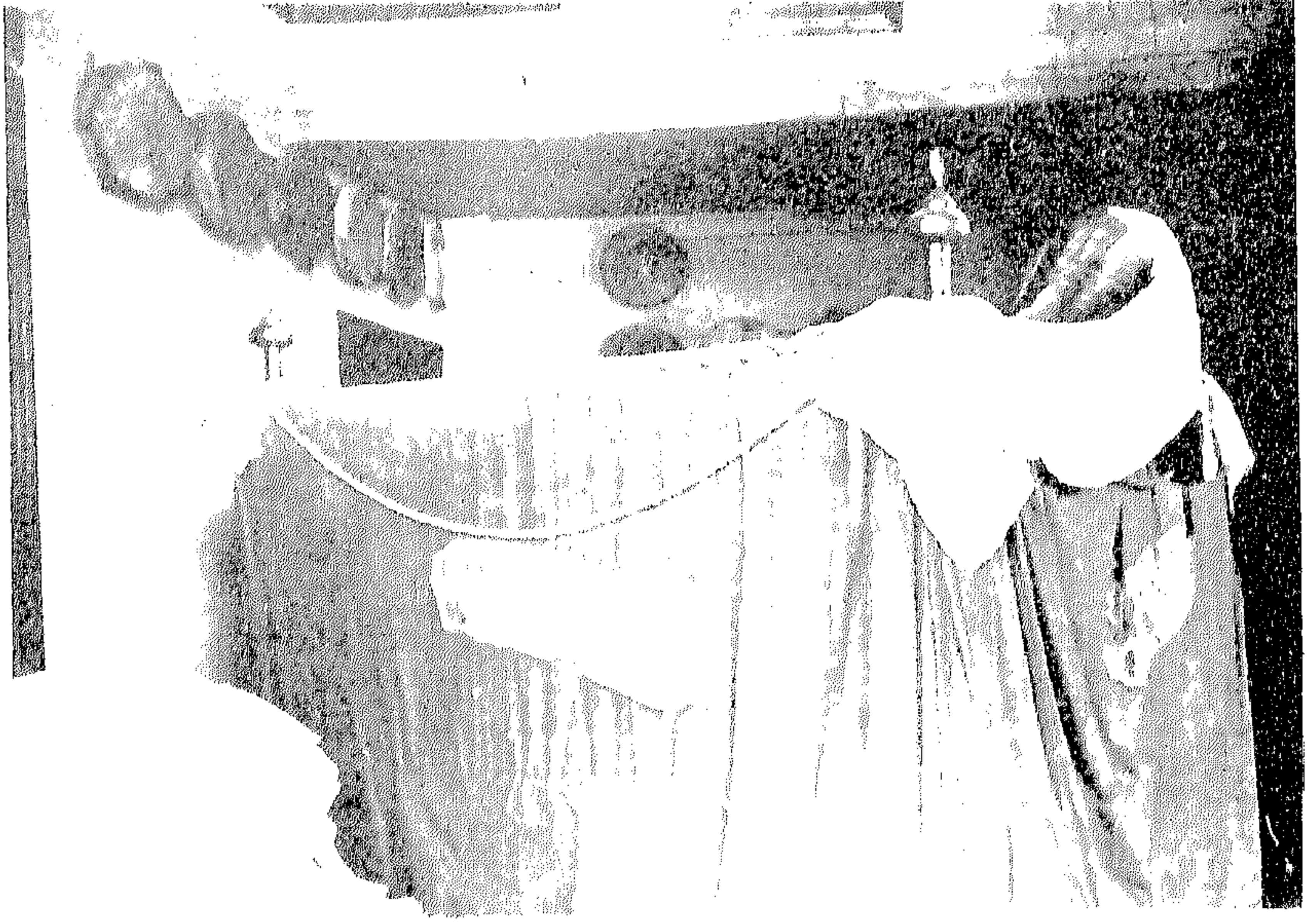
لوحة ٢٥٤ - ضريح ابن هشام الأنصاري أمام باب النصر



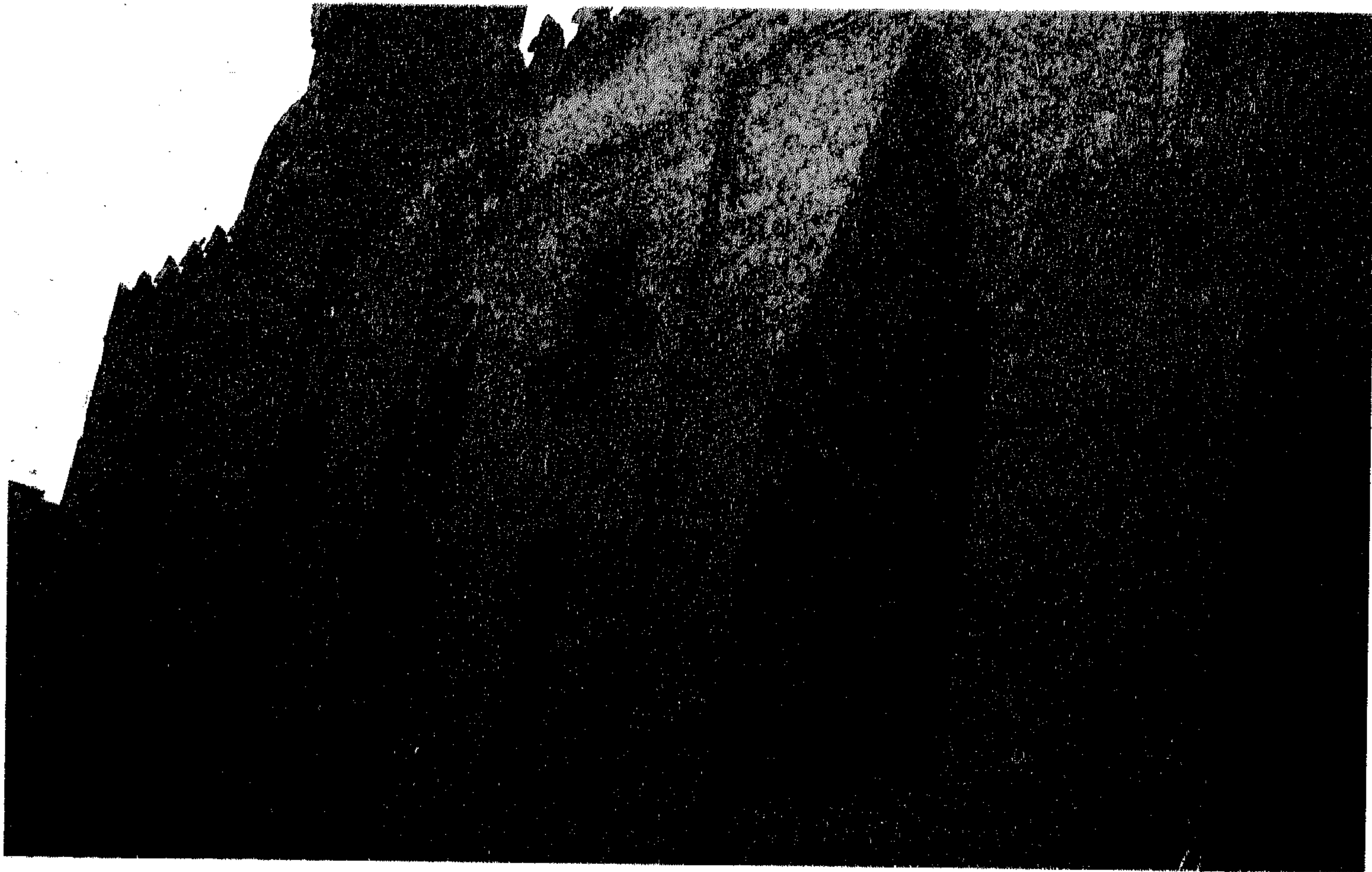
لوحة ٢٥٥ - ضريح ابن هشام الأنصاري



لوحة ٢٥٦ — مقبرة ابن هشام الأنصاري

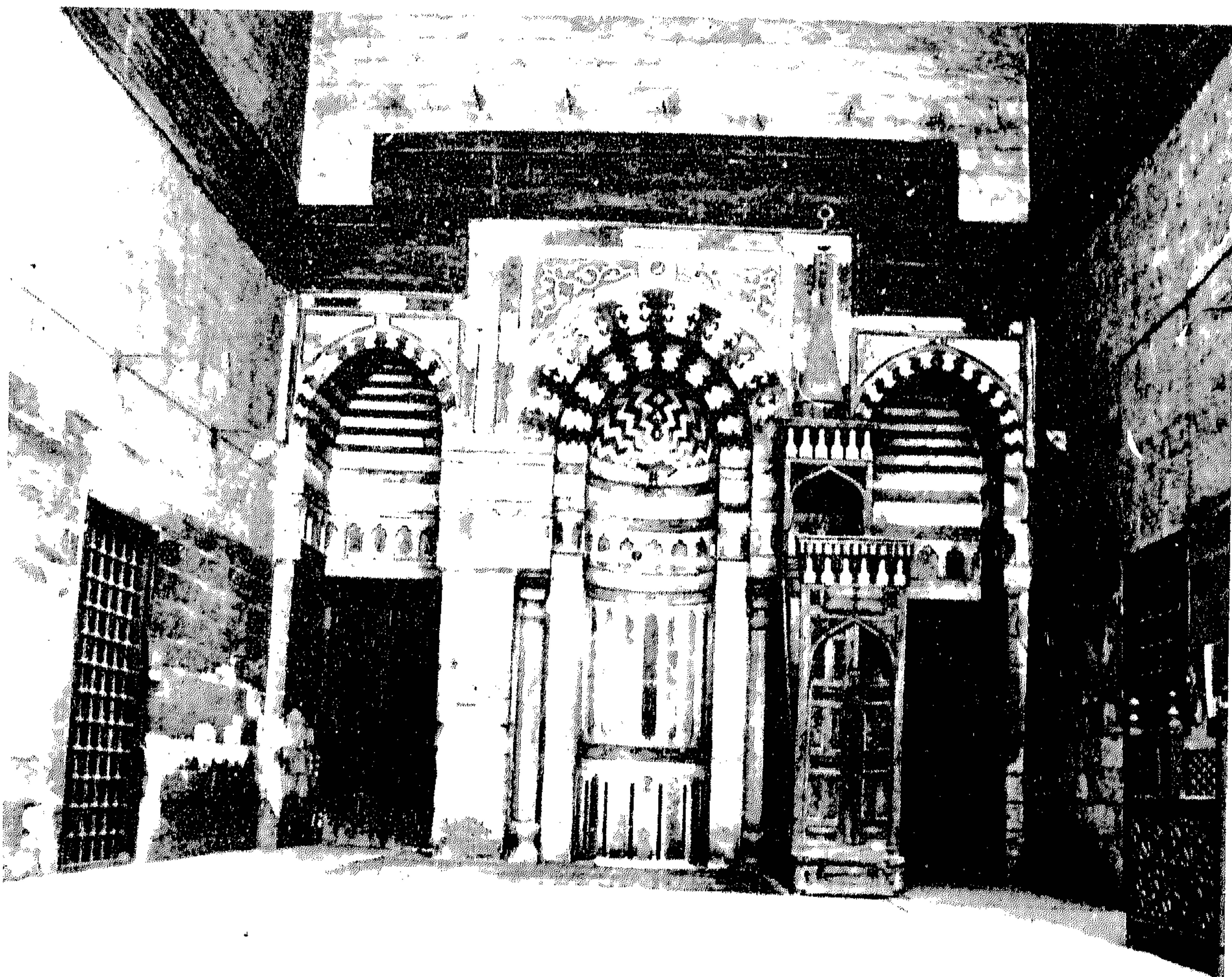


لوحة ٢٥٧ — الواجهة الرئيسية لمدرسة أم السلطان شعبان

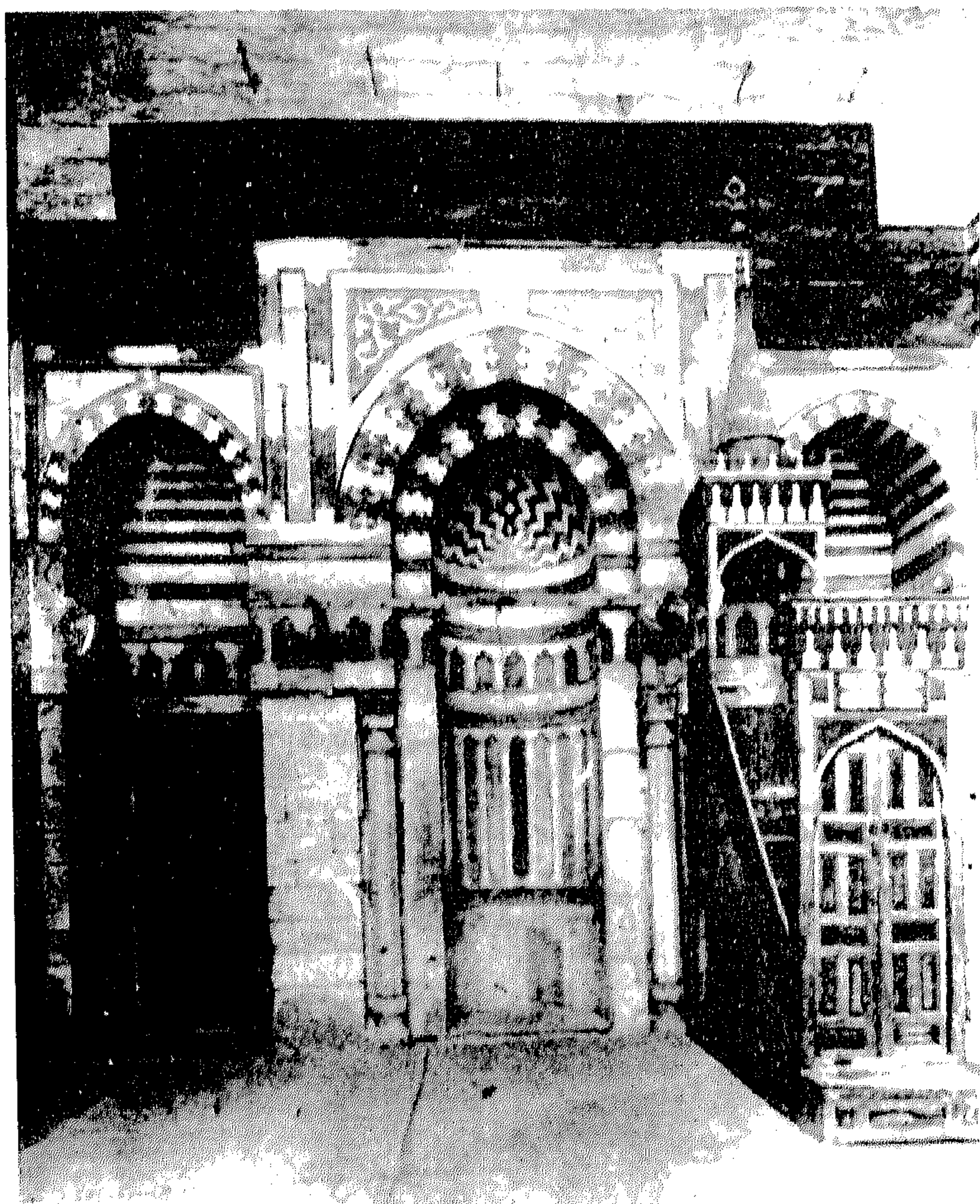
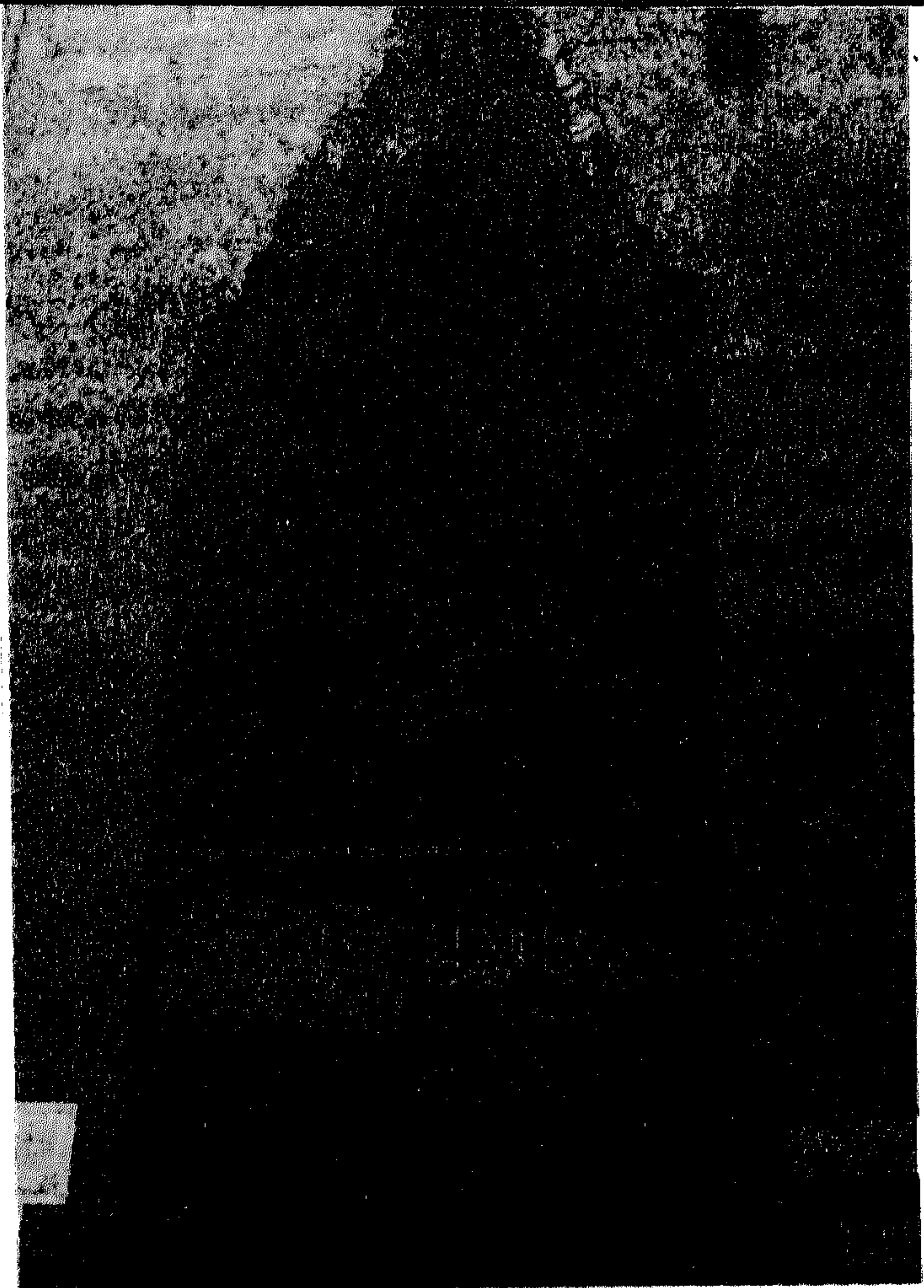


لوحة ٢٥٨ — تفاصيل الواجهة الرئيسية

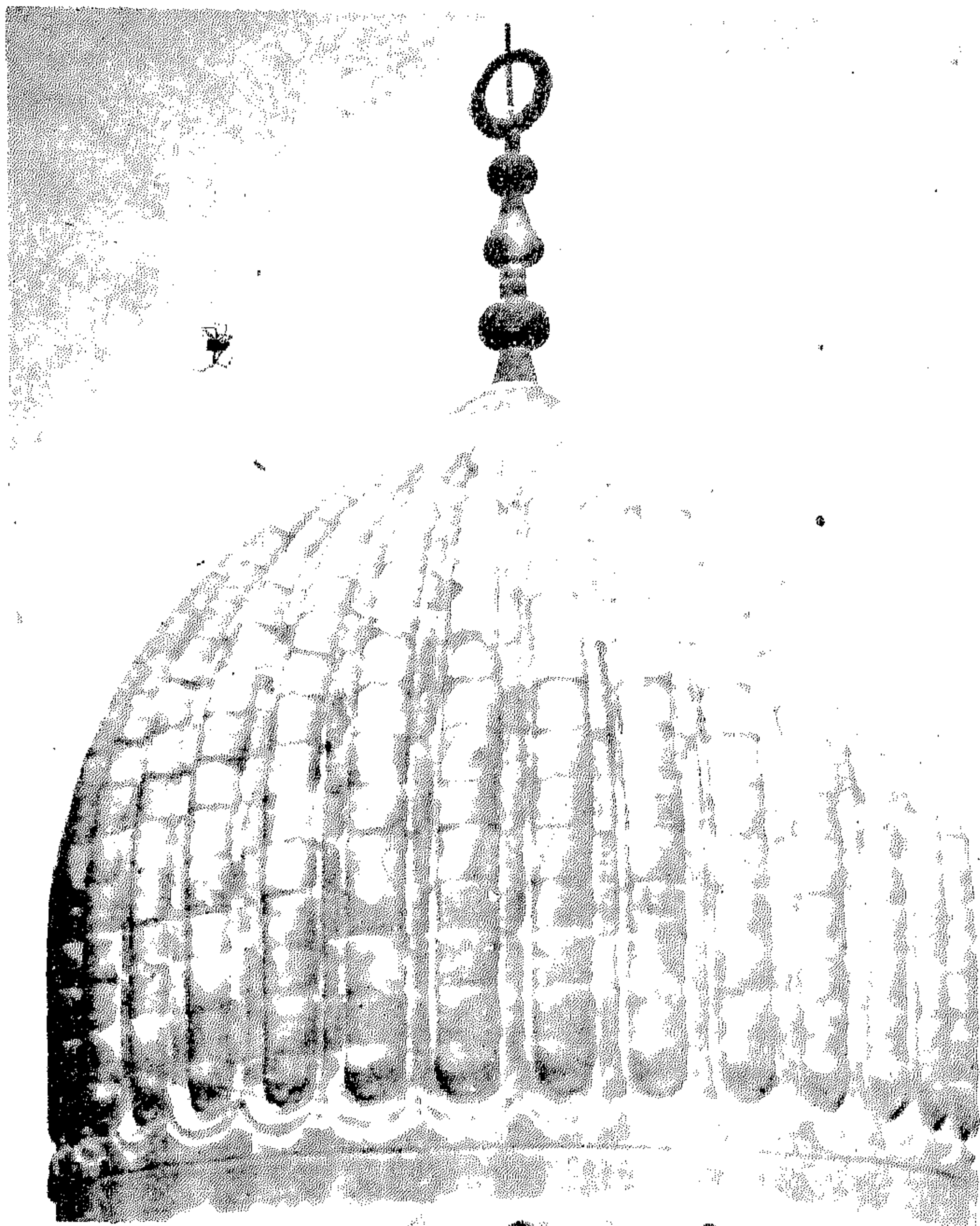
لوحة ٢٥٩ — إيوان القبلة



لوحة ٢٦٠ - المدخل الرئيسي للمدرسة



لوحة ٢٦١ - محراب ومنبر المدرسة

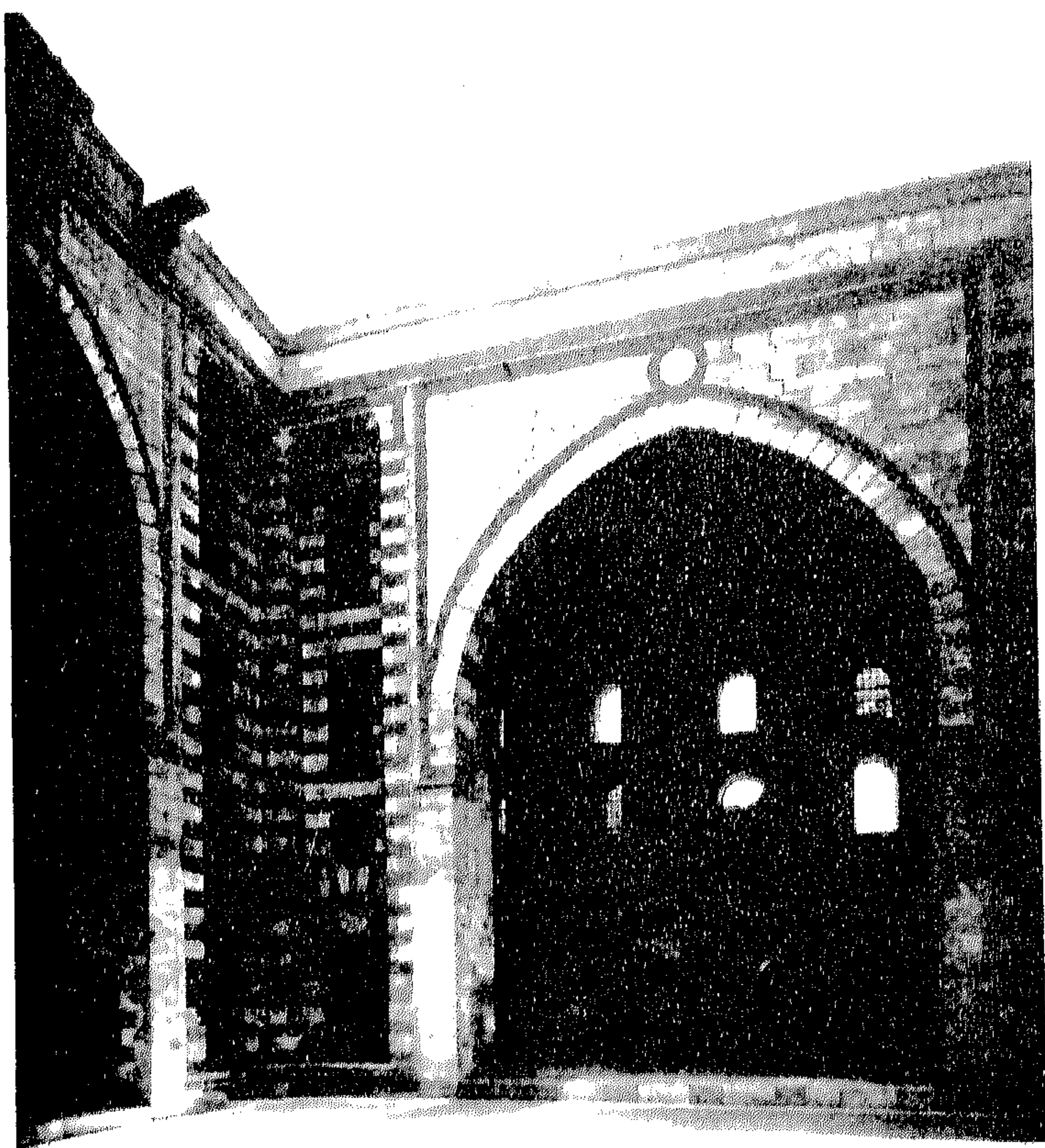


لوحة ٢٦٢ - قبة أم السلطان شعبان

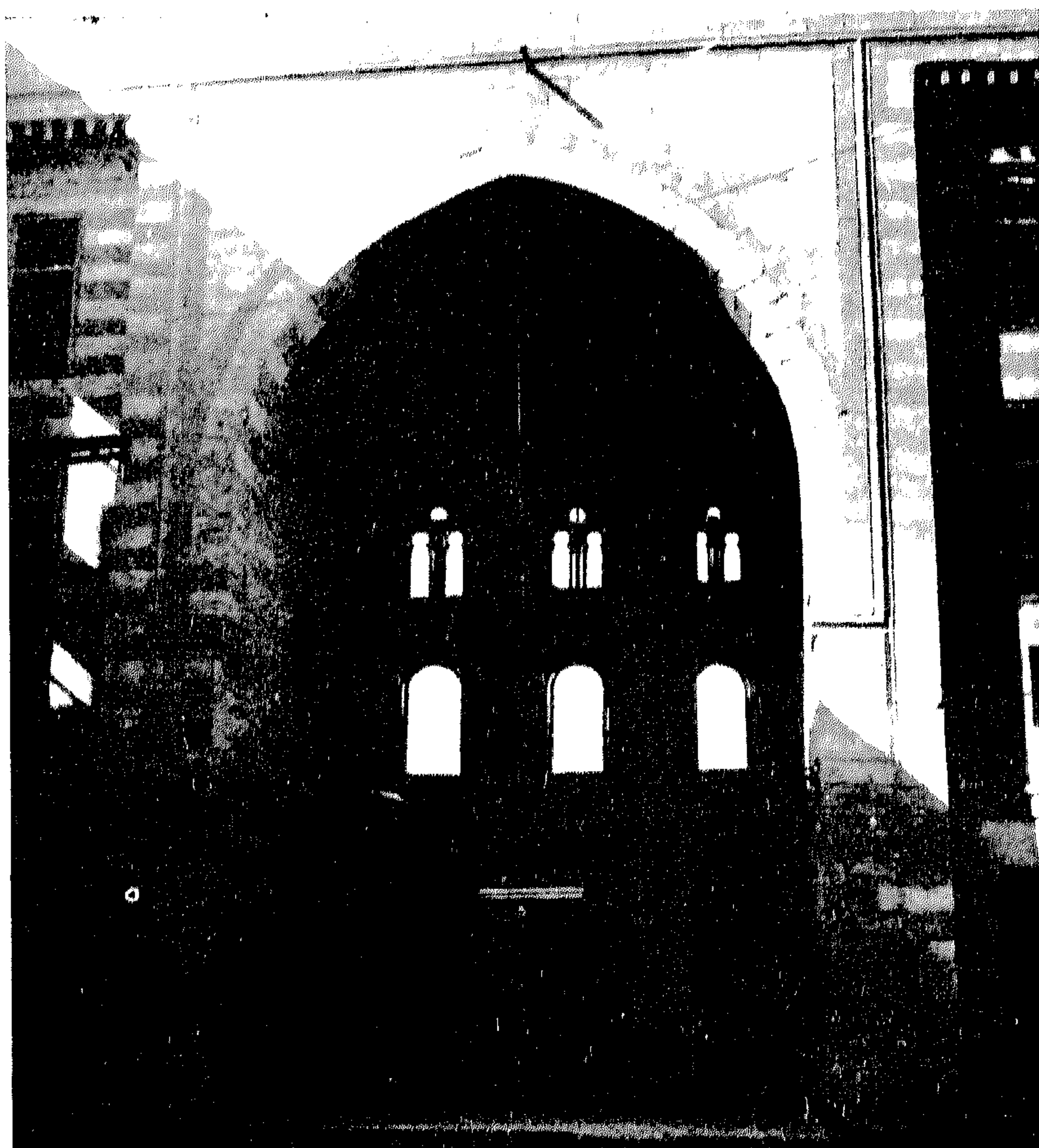


لوحة ٢٦٣ - الواجهة الرئيسية لمدرسة
الجاى اليوسفى

لوحة ٢٦٤ --- صحن مدرسة الجاي اليوسفي



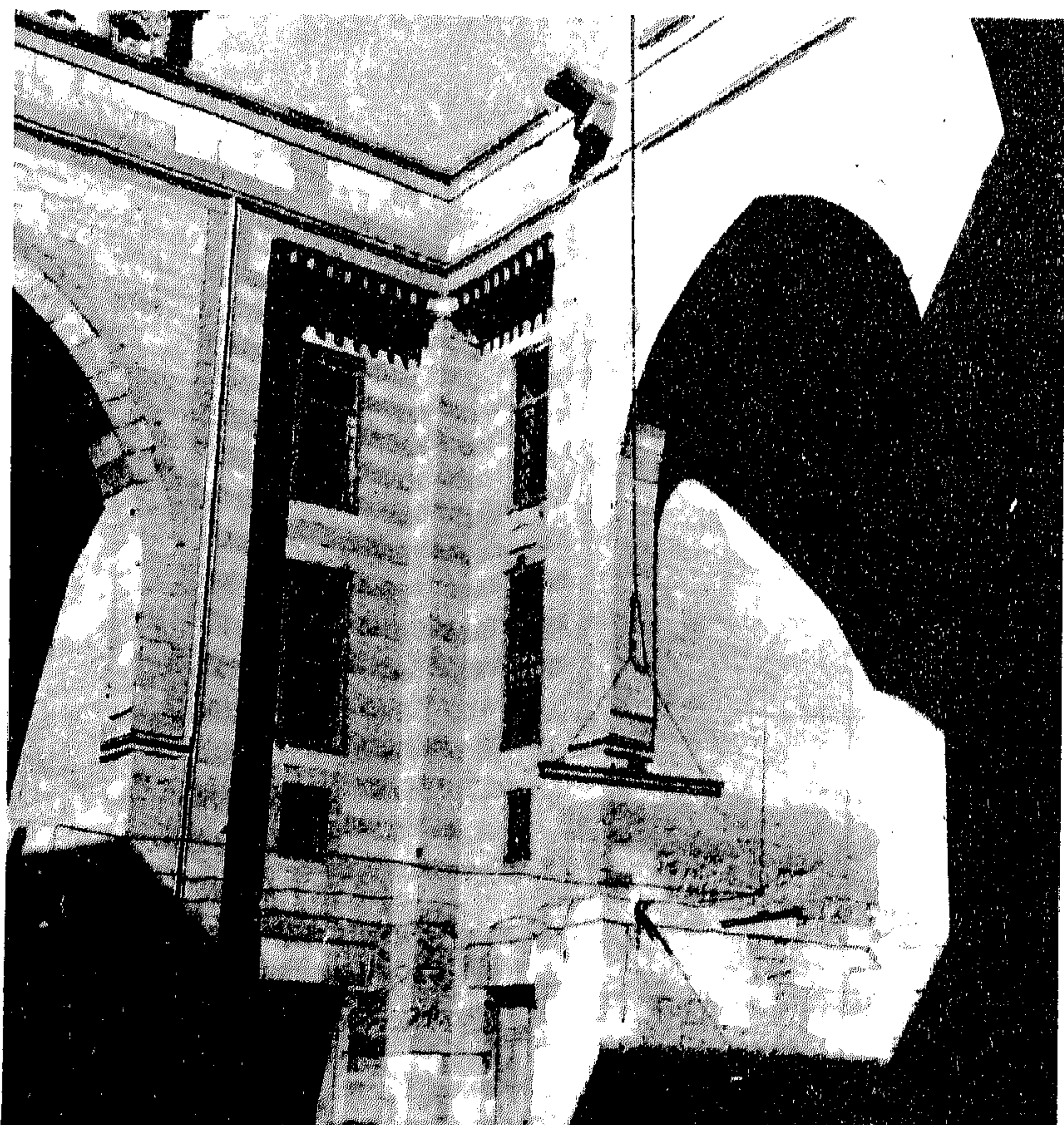
لوحة ٢٦٥ --- إيوان القبلة بالمدرسة

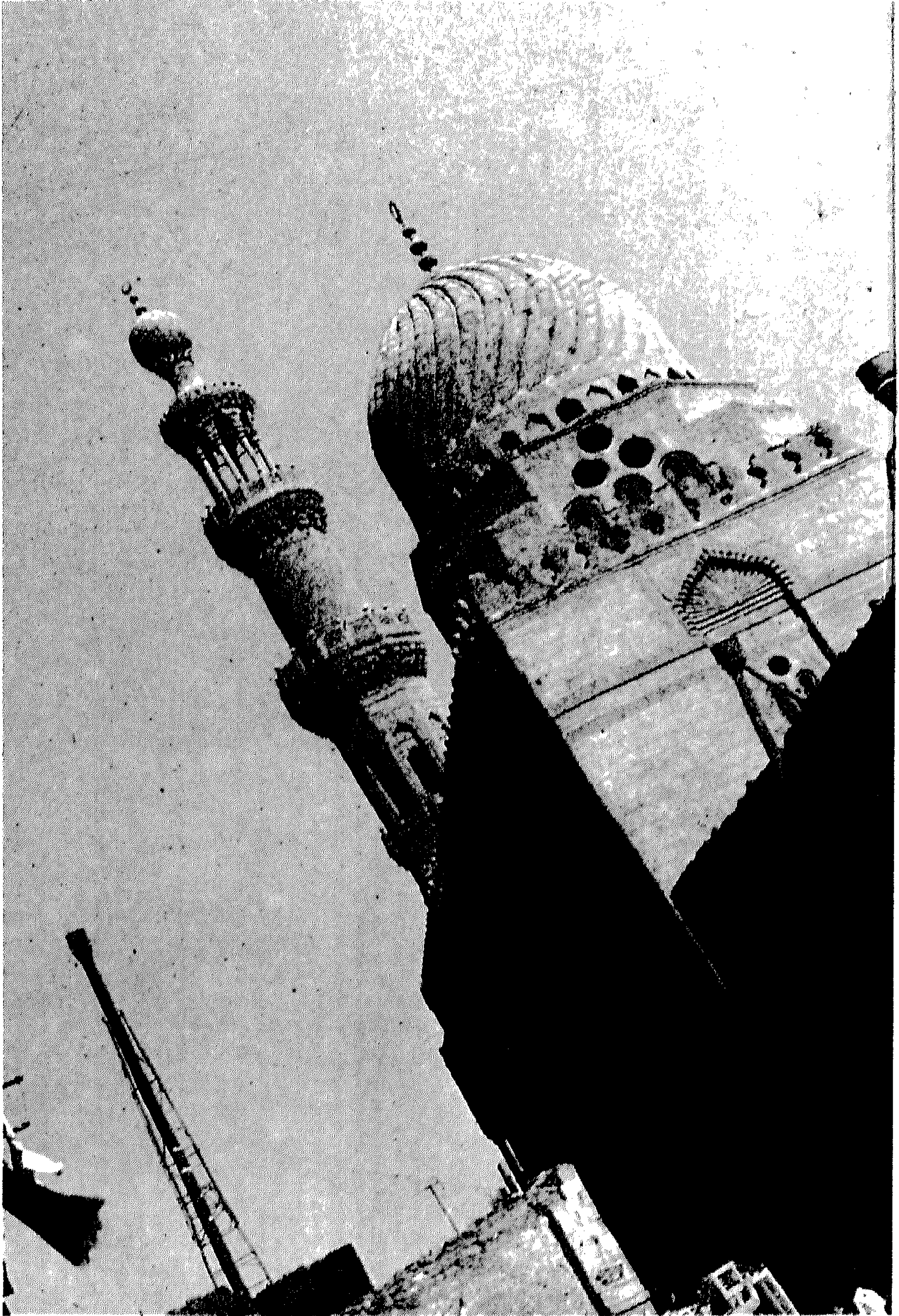


لوحة ٢٦٦ - الإيوان الغربي للمدرسة



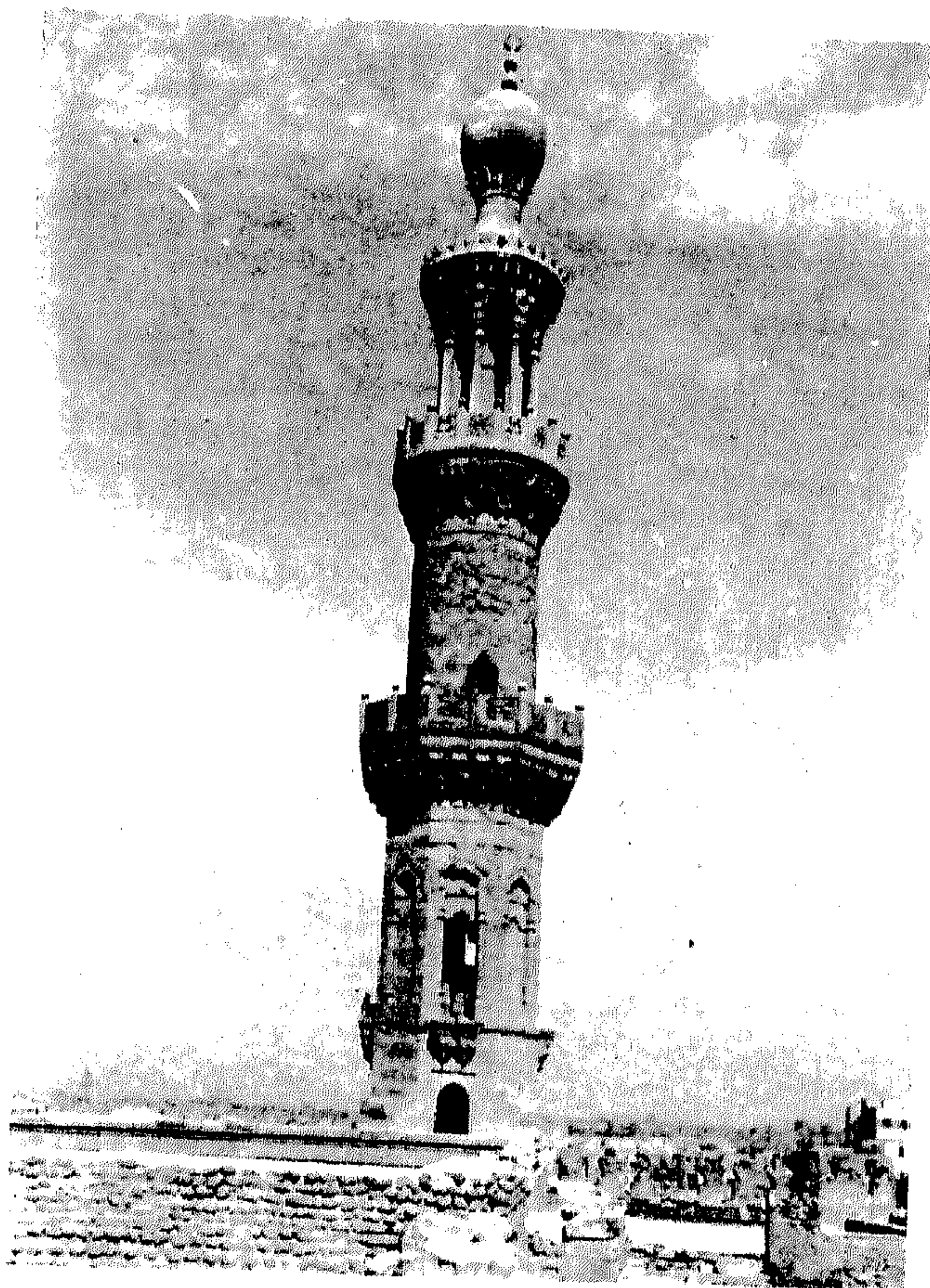
لوحة ٢٦٧ - الإيوان الشمالي للمدرسة



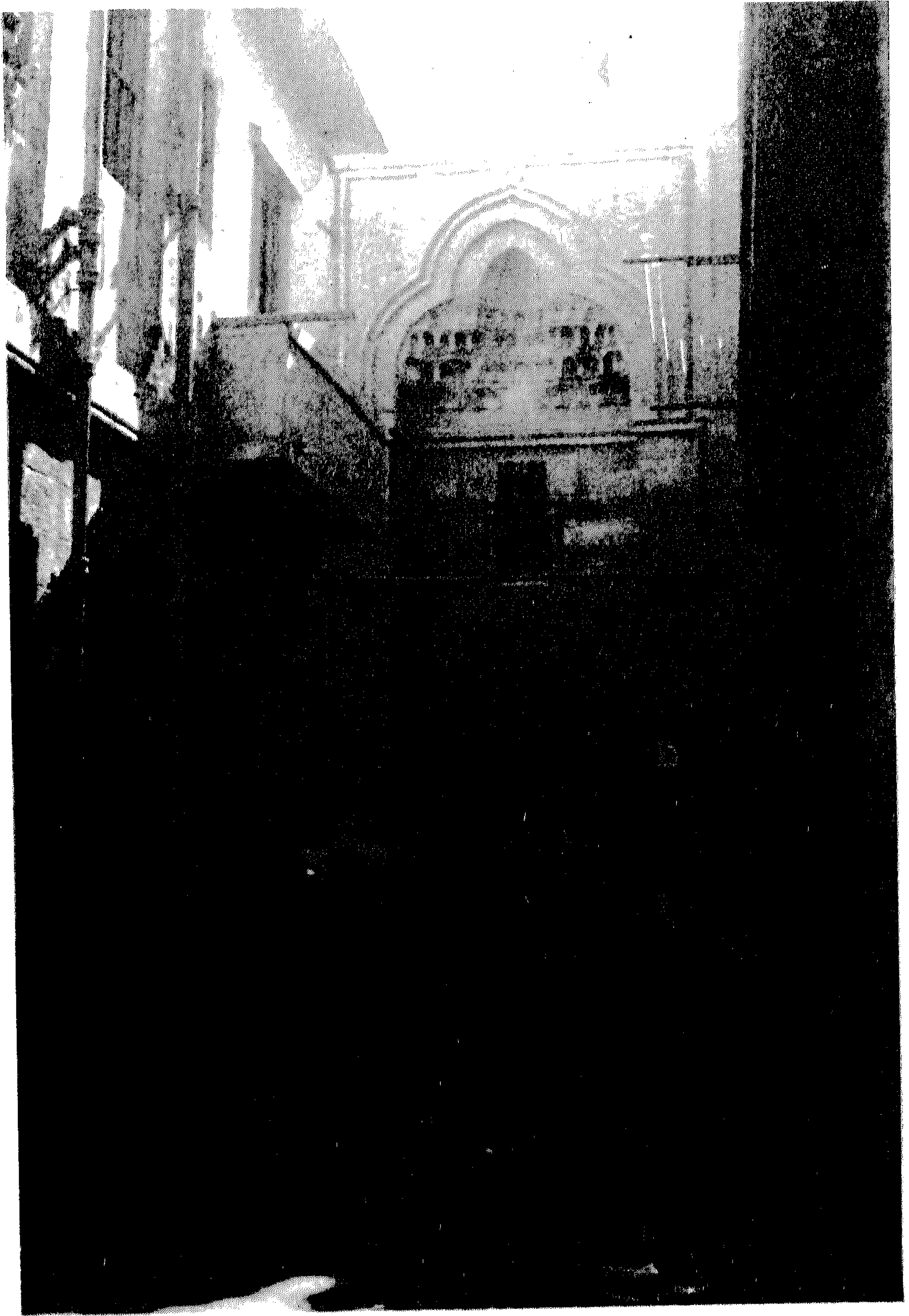


لوحة ٢٦٨ - قبة ومئذنة المدرسة

لوحة ٢٦٩ - قبة المدرسة

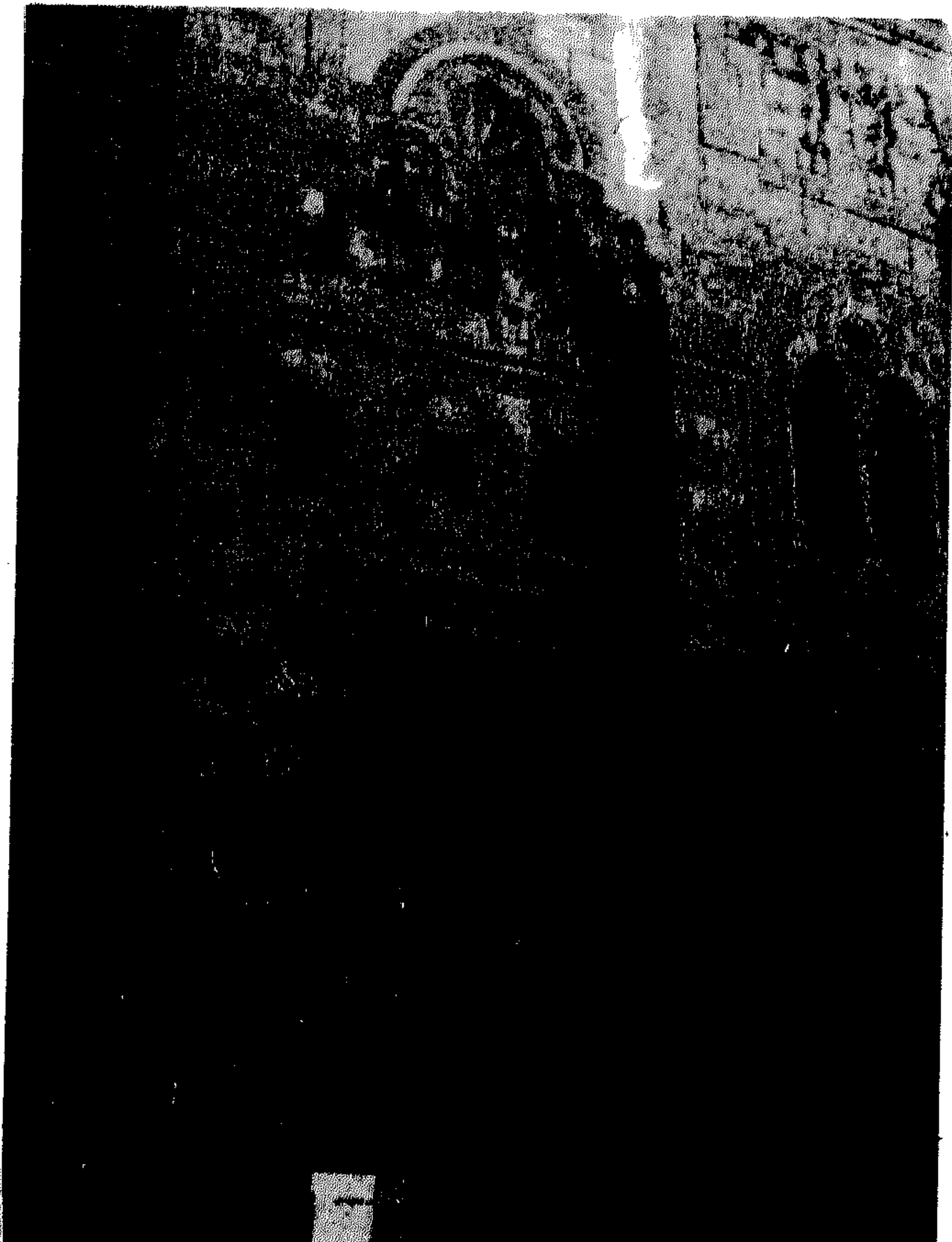
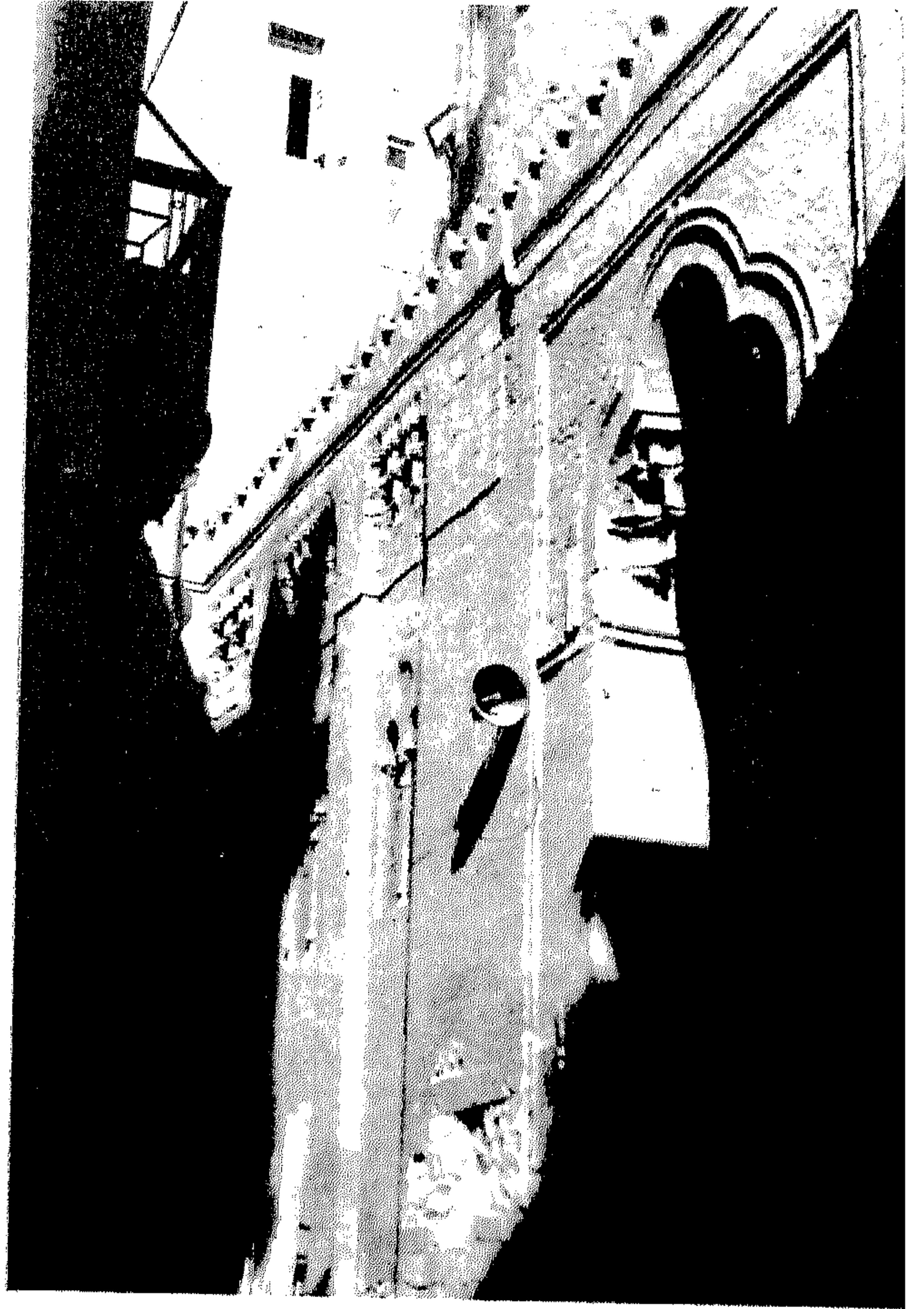


لوحة ٢٧٠ - مئذنة مدرسة الجاي الیوسفی



لوحة ٢٧١ - مدرسة الأمير بمكة

لوحة ٢٧٢ - الواجهة الرئيسية لمدرسة مشقال



لوحة ٢٧٣ - المدخل الرئيسي للمدرسة



اوحة ٢٧٤ - مئذنة مدرسة مشقال

الفارس

فهرس الأشكال

صفحة	
٢٦	شكل (١) مسقط أفقى لجامع الظاهر ببيرس
٤١	شكل (٢) مسقط أفقى لضريح مصطفى باشا
٥١	شكل (٣) مسقط أفقى لضريح فاطمة خاتون
٥٦	شكل (٤) مسقط أفقى خانقاه البندقارية
٦٨	مسقط أفقى لدرسة وضريح المنصور قلاوون
٦٨	مسقط أفقى بيمارستان قلاوون
٧٤	مسقط أفقى قبة المنصور قلاوون
٧٨	مسقط أفقى ضريح حسام الدين طرنتاوى
٨٨	مسقط أفقى ضريح الأشراف خليل بن قلاوون
٩٠	مسقط أفقى ضريح أحمد بن سليمان الرفاعي
١٣٠	مسقط أفقى مدرسة الناصر محمد بن قلاوون
١٣٤	مسقط أفقى جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة
١٣٤	قطاع رأسى بالقبة التى تتقدم محراب جامع الناصر محمد
١٣٥	قطاع رأسى بایوان القبلة بجامع الناصر محمد بالقلعة
١٥١	شكل (١٥) مسقط أفقى لدرسة وقبة وخانقاه سلار وسنجر الجاولى
١٧٣	مدرسة وضريح ببيرس جاشنكير
١٧٣	مسقط أفقى لخانقاه ببيرس جاشنكير
١٧٤	مسقط أفقى لمدرسة جمال الدين الاستادار
١٧٩	مسقط أفقى لجامع الماسى الحاجب
١٨٨	مسقط أفقى لمدرسة وخانقاه الأمير أحمد المهندار
١٩٤	مسقط أفقى لجامع قوصون
٢١٦	مسقط أفقى لجامع الماردنى
٢٢٥	واجهة مسجد الست مسكة من الداخل
٢٢٥	تفاسيل الرخام لمحراب مسجد الست مسكة
٢٤١	مسقط أفقى لجامع آق سنقر
٢٥٠	واجهة جامع الأمير شيخو
٢٥٨	مسقط أفقى لجامع الأمير شيخو
٢٦٦	مسقط أفقى لخانقاه الأمير شيخو
٢٧٠	شكل (٣٠) مسقط أفقى لمدرسة صرغتمش
٢٨١	مسقط أفقى لمدرسة السلطان حسن بن قلاوون
٢٩٠	قطاع رأسى لمدرسة السلطان حسن بن قلاوون
٣٠٧	مسقط أفقى لمدرسة أم السلطان شعبان
٣١٦	مسقط أفقى لمدرسة الجاى الیوسفى
٣٢٨	مسقط أفقى لمدرسة الأمير مئقال

فهرس الأعلام

أولا

(١)

أبو بكر محمد بن طفج الاخشيدى ص ٣٦٠
 أبو حيان المالكي ص ٢٩١
 أبو الحسن الخرقانة ص ١١
 أبو الحسن الشاذلى ص ٣٠٧
 أبو ذر الغفارى ص ٩٦
 أبو الربيع سليمان ص ١٦٣
 أبو سعيد خزنبذا ص ٢٠٤
 الشيخ أبو السعود ص ٧٦
 أبو صالح الأرمنى ص ٩١
 أبو عبد الله بن جماعة ص ١١٥
 أبو العباسى المرسى ص ٩٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ،
 ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩
 أبو الفتوح الواسطى ص ١٠١
 أبو النداء ص ١٦
 أبو الفضل بن جعفر ص ٢٦٦
 أحمد بك احسان ص ٢٦٦
 أحمد البدوى ص ١٠١
 أحمد جاويش ص ٢٥٢
 أحمد خورشيد ص ١٠٦ ، ١٠٧
 أحمد رمزى ص ١٠٧ ، ١١٠
 أحمد الحريرى ص ٣٠٧
 أحمد بن الرفاعى ص ١٠١
 أحمد زكى ص ٩٨
 أحمد بن سليمان الرفاعى ص ٨٩
 أحمد شوقى ص ٩٤
 أحمد بن طولون ص ٢٥٦ ، ٣٠٦
 أحمد كتحذا غربان ص ٢٧٠
 أحمد بن محمد الحاسب ص ٣٠٦
 أحمد المنكلى ص ١٠٣
 أحمد ص ١٠٥
 الأمير أرغون ص ١٧٣ ، ١٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥
 ازبك ص ٧٠
 ازدمر الصالحى ص ٤٣
 أسد الدين بن رميته ص ١٧٩
 الخديوى اسماعيل ص ١٠٧ ، ١١١ ، ٢٠٧ ،
 ٣٠٩
 اسماعيل الصنافيرى ص ١٩٩
 الصالح اسماعيل ص ٢١٣ ، ٢٢٧
 أصلم البهائى ص ٢٣٤

ابراهيم الدسوقى ص ١٦١
 ابراهيم آغا مستحفظان ص ٢٣٦ ، ٢٣٧
 ابراهيم باشا الهامى ص ١٠٤
 ابراهيم بك ص ١٠٦
 ابراهيم مغلطاي ص ١١٠
 ابن أمير غمر العيد ص ٢٦٥
 ابن اياس ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٣٣ ، ١٩٦ ،
 ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٩٠
 ابن تغربردى ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٤٦ ، ٥٩ ،
 ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ،
 ١١١ ، ١٥٩ ، ٢١٤ ، ٢٩١
 ابن جبير ص ٩٨ ، ١٠٣
 ابن الجذرى ص ٢٠٩
 ابن حجر ص ١١٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٨٩ ،
 ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٧
 ابن حوقل ص ٩١ ، ٩٢
 ابن خلدون ص ٢٩١ ، ٢٩٢
 ابن خلكان ص ١٥٤
 ابن الذهبى ص ٥٢
 ابن الزيات ص ٣٨ ، ٤١
 ابن سعيد ص ٥٦ ، ١٨٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٢
 ابن السيوفى ص ٢١٨ ، ٢١٩
 ابن عبد الحكم ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٣٥٠
 ابن عطاء الله السكندرى ص ٩٣ ، ١٥٦ ،
 ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١
 ابن عبد الظاهر ص ٢٨ ، ٨٢
 ابن العماد ص ١٥٤
 ابن الفرات ص ٧٣
 ابن قتيبة ص ٩٨
 ابن مفلح ص ٢٩١
 ابن المرجل ص ٢٩٠
 ابن مهابى ص ٢٩٧
 ابن ناشىء ص ١٥٨
 ابن هشام جمال الدين ص ٢٩٤
 ابن واصل ص ١٨
 ابن يونس ص ٩٨
 أبو بكر الداودارى ص ١٣١ ، ١٣٣

الأدقوى ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦
 الروم ص ٩٦
 الزبير بن العوام ص ٩٦
 الشيخ السادات ص ١٠٧
 السخاوى ص ١٠٣ ، ١٤٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤
 السلاجقة ص ٢٣٣
 الاسنوى ص ١١٣ ، ٢٩٠
 السيوطى ص ٩٢ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧
 الامام الشافعى ص ١٤٣
 الشعرانى ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣
 الشهاب بن حجر ص ٩٢
 الطنبغا الزامر ص ٢٧٤
 الطنبغا الماردانى ص ١٨٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨
 الشيخ العبيط ص ١٠٧ ، ١١١
 العثمانيون ص ٣٣
 القبط ص ٩١
 القيقاق ص ١٨
 القلقشندى ص ١٣٢ ، ٢٣٣
 المالك البحرية ص ١٣٣ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٦٣
 المالك البرجية ص ١٣٣
 المناوى ص ١٦٠
 النجيب بن هبة الله ص ١١٢
 الشيخ الياس ص ١٧

سلون خاتون ص ١١٧
 سلون خوند ص ٢٢٣ ، ٢٢٠
 نبغا عبد الواحد ص ٢٣٩
 ق سنقر الكاملى ص ٦٠
 ق سنقر الناصرى ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٦
 تسوش ص ٧٠
 كمل الدين الرومى ص ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٠٧
 لاميرة الفت هانم قادن ص ٢٠٧ ، ٢٠٨
 ل ملك ص ١٨٨
 لمعز ايبك ، ٢١ ، ٢٢ ، ٥٣
 بيبك الاقزم ص ٦٥
 ايد غمش ص ١٨٨ ، ١٩١ ، ٢١٣
 ايدمر ص ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤
 آنوك اينال ص ١٢٢ ، ١٢٦ ، ٢٣٩
 المبلاذورى ص ١٥٢
 التاج السبكى ص ٢٩١
 التفتازانى ص ١٥٦
 الجاى اليوسفى ص ٣٠٠ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤
 الجبرتى ص ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٩٨
 الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد ص ١٢٠ ، ١٣١
 الحافظ المنذرى ص ١٥٤
 الخاتون طغاي ص ١٢٦
 الادريسي ص ٩١ ، ٣١٢

(ب)

بكتاشى الفخرى ص ١٤١
 بكتمر ص ١٧٣ ، ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢٩٦
 بهادر الجمالى ص ٢٩٩
 بها قوام الدين الافغانى ص ٢٧٢
 صاحب بهاء الدين ص ٩٣
 بيبرس ص ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢٢٠ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣١٩
 بيدرا ص ٢٣ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٧
 بيغا ارس القاسمى ص ٢٧٣
 بيغاروس ص ٢٧٤

بدر الجمالى ص ٣٠٦
 بدر الدين بن جماعة ص ٢٩٠
 بدر الدين بكتاشى ص ٢٠٥
 بدر الدين سلامشى ص ٧٥
 بدر الدين بيسرى ص ٦٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦
 بدر الدين بيلبك ص ٦٢
 بدر الدين لؤلؤ ص ٢٢
 برجىز ص ١٢٧
 برس دافن ص ١٦
 برقوق ص ٨٣
 برهان الدين ابراهيم بن زيد ص ٧٨
 برهان الدين السنجارى ص ٤٥
 بشتاك الحميرى ص ٢٠٧ ، ٢٩٩
 بشتاك الناصرى ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٢
 بشير الجمدارر ص ٢٨٢

(ت)

تقی الدین بن بنت الأعز ص ۴۶
تقی الدین بن تمیمة ص ۱۵۹
تقی الدین بن دقیق العید ص ۱۱۲ ، ۱۱۳ ،
۱۱۴ ، ۱۱۵ ، ۱۵۴
تقی الدین السبکی ص ۱۵۹
تقی الدین محمد بن الحسن ص ۲۷ ، ۱۵۴
الملك المظفر تقی الدین محمود ص ۸۳
شکر ص ۲۰۱ ، ۲۷۴
توران شاه ص ۱۹ ، ۲۰ ، ۲۲۲
الأمیر توقتای ص ۲۶۵

تاج الدین ابی النصر عبد الوهاب ص ۲۸۵
تاج الدین أبو الحسن ص ۴۰
تاج الدین البربری ص ۲۹۰
تاج الدین التبریزی ص ۲۹۰
تاج الدین بن الشیرازی ص ۷۶
تاج الدین الدشناوی ص ۱۱۵
تاج الدین عبد الوهاب ص ۴۰
تاج الدین الفاکهانی ص ۲۹۰
نثر الحجازیة ص ۳۰۴
تذکار پای خاتون ص ۳۱۸

(ج)

جقمق ص ۲۸۴
جمال الدین اقوش ص ۱۷۳ ، ۱۹۹ ، ۲۰۰ ،
۲۰۲
جمال الدین بن یغمور ص ۲۷ ، ۳۹ ، ۴۰ ، ۵۲
جمال الدین عبد الله التركمانی ص ۱۸۰
جمال الدین الموصلی ص ۱۸۸
الاشرف جنبلاط ص ۲۸۴
جوهر المقلی ص ۵۵ ، ۲۰۹

جابر بن اسامة الجهنی ص ۹۸
جابر بن عبد الله بن عمرو ص ۹۸
جابر بن ماجة الصدفی ص ۹۸
جابر بن یاسر بن عویض ص ۹۸
الجاحظ ص ۱۰
جلشانة ص ۲۲۰
جلال الدین التبریزی ص ۲۷۲
جلال الدین القزوینی ص ۱۸۸

(ح)

۱۲۰ ، ۱۶۲ ، ۱۹۶ ، ۲۰۰ ، ۳۱۱
حسام الدین طرنگای ص ۶۳ ، ۷۵ ، ۷۶ ، ۸۰ ،
۸۱
حسن اغا خرنندار ص ۲۸۱
الحسن البصری ص ۱۰
حسن عبد الوهاب ص ۷۲ ، ۷۳ ، ۲۳۶
حسن العدوی ص ۹۳

حاجی ص ۱۱۳ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹ ، ۲۳۴ ، ۲۶۱ ،
۲۶۵
الحافظ أبو عبد الله تميمی الدین الذهبی ص
۸۳۵۶۰
الخليفة الناصر ناصر الله ص ۳۹
الست حدق ص ۲۱ ، ۲۲۲
حسام الدین لاجین الشیرازی ص ۶۲ ، ۶۵ ، ۱۱۹

(خ)

خوند اشاورن ص ۴۵
خوند ابنة اريك ص ۱۸۷
خوند بن قاسم ص ۲۹۱ ، ۳۰۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۲
خوند زهره ص ۳۰۴
خوند طوئای ص ۲۳۹
خوند السلانی ص ۲۲۷
خوند منلیک ص ۴۶

الاشرف خلیل ص ۲۶ ، ۷۵ ، ۸۰ ، ۸۱ ، ۸۶ ،
۱۱۷ ، ۱۱۹ ، ۱۲۰ ، ۱۲۶ ، ۱۲۸ ، ۱۶۲ ،
۱۶۵ ، ۲۲۱
خلیل بن قوسون ص ۲۹۶
خلیل البکری ص ۱۰۶
الأمیر خمارویة بن أحمد بن طولون ص ۵۶
خوند اردو ص ۲۷۳

(د)

الکونت دی سانت مدریس ص ۳۱

(ر)

روبرت دیفید ص ۲۹

روجرز ص ۱۶

()

زادة أحمد بن يزيد ص ٢٧٢
 زيد بن صوجان ص ٩
 الشيخ زيدان ١٠٩
 زهير بن أبي سلمة ص ٢٩٠
 الصاحب زين الدين ص ١١٥

(۷۲)

سابق الدین مثنیٰ ص ۳۱۸ ، ۳۲۰
سرزور الزینی ۲۲۸
سعد بن عبادۃ ۹۹
سکبای بن قراجین ص ۴۵ ، ۱۱۷ ، ۱۲۶
سلار ص ۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۲۲ ،
۱۴۱ ، ۱۴۲ ، ۱۴۳ ، ۱۴۴ ، ۱۴۸
۱۶۴
سلامشی ص ۶۰
سلیم اغا ص ۲۸۴
سنفر الأشقر ص ۶۱ ، ۶۲ ، ۷۵ ، ۱۹۰

(ثمن)

(الوزير) شاور ص ١٢
شجر الدر ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٤٨ ،
٧١ ، ٥٣
(الأمير) شرف الدين ص ٢٢٣
شرف الدين البوصيرى ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
٩٤
شرف الدين الأخمى ص ١١٤
شرف الدين الدمياطى ص ٢٧
شرف الدين عبد الغنى الحرابى ص ١٢٧
شرف الدين عبد المؤمن بن خلف ص ١٥٢ ،
١٥٣ ، ١٥٥
شرف الدين الأزكشى ص ٢٢٧
شرف الدين محمد بن أبى الفضل ص ١١٢
(الشيخ) الشرقاوى ص ٣٣
(الأشرف) شعبان ص ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ،
٢٧٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
٣١١ ، ٣١٠

(ص)

صارم الدين ابراهيم الابراهيمى ص ١٧٩
الصالح طلائع بن زريك ص ١٢
صدر الدين محمد بن الرجل ص ١٢٧
الصدر بن محمد الدين عبد الرحمن ص ١٥٤
صرغتمشى ص ٢٢٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦

(ب)

طقزدمر ص ٢١٣
طومانبای ص ٢٨٤
طیغ الطویل ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

طراز ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
طرنتای ص ٤٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١
طشتمر ص ١٧٣ ، ٢٦٥ ، ٣١١

(ع)

علی بن السراج ص ٢٩٠
علی الطباخ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢
علی القشلاق ص ٣٠٨
علی مبارک ص ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
١٠٩ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
٢٣٨ ، ٢٨٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩
(الشیخ) علی الملیجی ص ١٠١ ، ١٠٢
عقبة بن عامر ص ٧١ ، ٩٨
علم الدین بن عبد الله زینور ص ٢٦٤
علم الدین سنجر الجادلی ص ١٤٢ ، ١٤٣ ،
١٤٤ ، ١٥٠
علم الدین سنجر الشجاعی ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٣ ،
٦٢ ، ٧٦
علم الدین سنجر الصوابی ص ٨٤
عمر السعدی ص ٧٦
عمر بن القارض ص ١٦١
عمر مکرم ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧
عمرو بن العاص ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٥٢ ، ٣٠٥
عمیر بن وهب العجمی ص ١٥٢
علاء الدین البندقداری ص ١٨ ، ١٩ ، ٥٢ ، ٥٣
علاء الدین بن عبد الجمالی ص ١٧٩
علاء الدین طیبیری الوزیری ص ٦٣
علاء الدین علی بن عثمان ص ١٨٠
علاء الدین علی بن قلاوون ص ٧٥
عیاش بن عباس ص ٩٨

عبادة بن الصامت ص ٩٦ ، ٩٧
عباس (باشا) ص ١٠٤
عباس حلمی الثانی ص ١٨٨
عبد الرحمن التفهنی ص ٢٧٢
عبد الرحمن کتخدا ص ٧١
عبد الرحیم البیانی ص ١١٣
عبد الصمد الجوهري البغدادي ص ١٤٤
عبد العزیز بن مروان ص ٣٠٥
عبد العزیز الدینی ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٤
عبد الغنی السعدی ص ٢٩٣
عبد الله بن سلام ص ١٥٣
عبد العزیز الشناوی ص ١٠٥
عبد الله بن یوسف الأنصاری ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
عبد الله بن الغنم ص ١٧٩
عثمان بك طبل ص ١١٦
عدی بن مسافر ص ٣٨
عز الدین ایبک ص ٢١ ، ٧٥ ، ٣٠٦
عز الدین ایدمر ص ١٦٣
عز الدین بن بدر الدین ص ٢٨٩
عز الدین بن عبد السلام ص ١٥٤
علی بن ایبک ص ٢٢
(الملك الصالح) علی ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٦٤

(غ)

(الظاهر) غزی ص ٣٠
(السلطان) الغوری ص ٦٥

(السلطان) غازان ص ١١٩
(الامام) الغزالی ص ١١

(ف)

(صاحب) فخر الدین ص ٣٢
١٩٥
فخر الدین محمد بن فضل الله ص ١٨٠ ، ١٩٥
فخر الدین یوسف ص ١٩
فریزز ص ١٠٥ ، ١٠٧

فارس الدین انطای ص ٢١ ، ٢٢ ، ٣٢
فاطمة خاتون ص ٤٥ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٨٨
فان برشم ص ٢٨ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٨٨
فتح الدین بن ظاهر ص ٨٢

(ق)

- قاري (الأمير) ص ١٨٨
(الأشرف) قايتباي ص ٧٨ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٩٨ ، ١٩٥
قبحق ص ١٦٣
قراسنقر ص ١٦٣
قراسنقر ص ١٦٣
قشطتمر ص ٢٧٤
قشطتمر ص ٢٧٤
(الأمير) تقابدرى ص ١٧
- قطب الدين أبو موسى ص ١٩٧
قطب الدين اليوينى ص ٦٢
قطب الدين بن الشامية ص ١١٤
المظفر قطز ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٦١
مطلوبغا المنصورى ص ٢٩٦
قمارى ص ٢٧٣
قنبر ص ١٢
قوصون ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٣

(ك)

- كافور الاخشيدى ص ٥٦
كتبغا ص ٢٣ ، ٤٦ ، ٦١ ، ٧٦ ، ٨١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٦٢
كجك ص ١٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢٣٥
(القاضي) كريم الدين ص ٢٢١ ، ٢٤٠
كريم الدين عبد الكريم ص ١٧٩
(الأمير) كريم الدين الناظر ص ١٠٩
كريزول ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٨٦ ، ٨٠
- كعب بن زهير ص ٩٣ ، ٩٤
كليبر ص ١٠٦
كمال الدين المجلى ص ٢٧
كمال الدين طاهر ص ٢٧
كمال الدين طاهر ص ٢٧
كمال محلى ص ١٥٥
كمال الدين محمد بن عبد الواحد ص ١٦٠
كهلان (قبيلة) ص ١٥٦
كوندك ص ٢٩٦

(ل)

- لواتة ص ٩١
(الملك) لويى ص ١٩ ، ٢٠

(م)

- ماير ص ١٦ ، ١٧
(الصدر) مجد الدين عبيد الرحمن الحلبي ص ٢٧
مجد الدين السلامى ص ٢٠٤
محمد البكرى ص ١٠٦
محمد بن بيلبك الحسينى ص ٢٨٢
محمد بن التلمسانى
محمد المرجانى
محمد رمزى ص ٥٥ ، ١٢١ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢٣٨ ، ٢٧٧ ، ٢٩٩
٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٨ ، ٣١٩
محمد بن عبد الله الكازرونى ص ٣٠٧
محمد عزت باشا ص ١٠٦
محمد على ص ٣٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٠
محمد بن قطلو شاه ص ٢٧٢
محمد كريم ص ١٠٦
محمود الغزنوى ص ١١
محيى الدين بن عبد الظاهر ص ٦٤
المسعود نجم الدين خضر ص ٧٥
الست مسكة ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦
مسلمة بن مخلد ص ٩٨
- مسيح باشا ص ١٩١
مصطفى باشا فاضل ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠
معاوية بن حديج ص ٩٦ ، ٩٧
مغلطاوى ص ١١١ ، ١٦٤ ، ٢٧٤
المقرىزى ص ١٢ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣١٨
منجك ص ٢٤٥ ، ٢٧٤
منصور جاب الله ص ٩٩
المنصور قلاوون ص ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٨١ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ٢٢٠
منكلى بفا ص ٢٧٤ ، ٣١١
منكوتمر ص ٦١ ، ٦٣ ، ١٢٠ ، ١٩٦
ملكتمر الماردىنى ص ٢٧٤
مهذب الدين أبو الفرج ص ٤١
مهيرة ص ٢٨
مهيىب الدين أبو الفرج ص ٤٣
موسى الايوبى ص ٢١

(ن)

٢٩ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ١٩٩ ، ٣٠٦	نابليون ص ١٠٦
نجم الدين عقيل ص ١١٥	ناصر الدين المنبر الجذدى ص ١٥٦
(الشريف) نجم الدين الوفى ص ٨٣	ناصر الدين محمد ص ١٤١
(الشيخ) نصر ص ١١	(الملك) الناصر محمد ص ٤٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢
نصر بن معاوية ص ١٥٢	٧٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٦
نور الدين السخاوى ص ٢٤٦	١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٨
نور الدين على بن محمد ص ١٦٣	١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤
نور الدين على القرافى ص ١٩١	٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠
نيزارى بك ص ٢٠٧ ، ٢١٠	٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨
نيلكسون ص ١٠	(الملك الصالح) نجم الدين ايوب ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

(هـ)

هولاكو ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٦١	هشام بن عروة ص ٩٨
--------------------------	-------------------

(ى)

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٠ ، ٣١١	ياقوت ص ١٥٣
يلبغا اليحياوى ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٧	يحيى الصنافيرى ص ٩٨
يوسف سركىس ص ٢٨٨	يعقوب ارتين ص ١٦
(الشيخ) يوسف العجمى ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١	يلبغا روس ص ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤
	يلبغا السمرى ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

ثانيا فهرس الأماكن والبقا

(١)

الاسكندرية ص ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٤١ ، ١٥٣ ،
١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٤٤ ، ١٣٢ ، ١٣٨
الأشمونين ص ١٣٢ ، ١٣٨
اطفيح ص ١٤٠ ، ١٦٥
الاطفيمية ص ١٤٠
امبابية ص ١٠٦ ، ٢٩٨
انطاكيا ص ٢٩٦
الأنطلس ص ٩٩
الأعرام ص ١٢٢
ايران ص ٩ ، ١٢
ايوان كسرى ص ٢٧٧

أبو صير ص ٩٢
أبيدوس ص ٩٢
أثر النبي ص ٩٣
أخميم ص ١٦٥
أرسوف ص ١٤٣
الأردن ص ٢٣
أرض الطبالة ص ٢٥
الأراضي الحجازية ص ٢٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
١٧٣ ، ١٧٩
اسوار القاهرة ص ٢٥
اسوان ص ٦٥ ، ١٦٥
أسيوط ص ١٠٥ ، ١٣٢

(ب)

بركة الفيل ص ١٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ،
٢١٠
بركة قارون ص ٥٦ ، ٥٥
البركة الناصرية ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤
برقه ص ١٤١ ، ١٦٥
بركد ص ١٨٧
بحيرة المنزلة ص ١٠٣
البحر الأحمر ص ١١٢
البحرين ص ٢٩٨
بستان باب اللوق ص ١٢٣
بستان الزهري ص ٢٢٥
بستان الشريف بن ثعلب ص ١٩٩
بعلبك ص ٢٣ ، ٥٣
بغداد ص ٢٢ ، ٢٩١
البلينا ص ٩٢
بلييس ص ٩٢ ، ١٠٦ ، ١٩٦
بنسا ص ١٥٢
البهتاوية ص ١٣٢
بيت القاضي ص ٢٨
بيت المقدس ص ٢٠ ، ٣١
بيسان ص ٢٣ ، ٦١ ، ١٤٣
بين القصرين ص ١٢١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨
بيسوس (باسوس) ص ٣١٢
بنى سويف ص ٩٢
البورجي ص ٢٥
بوصيرة ص ١٥٢
بولاق ص ٦٣ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١٩٥ ، ٣١٩

باب البحر ص ٢٢٥
باب الحديد ص ٦٤ ، ٧٨
باب الخرق ص ١٢
باب الخلق ص ١٢ ، ٧٥
باب دمشق ص ٢٢٩
باب الدرفيل ص ٣١٠ ، ٣١١
باب الذهب ص ١٥٤
باب زويله ص ١٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٥٥ ، ٨٩ ،
١٨٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٣٠٠
باب الزقاق ص ١٨٠
باب سارية ص ٣١٠
باب الشعارة ص ١٣٢
باب السلسلة ص ١٩٠ ، ٢٨٣
باب العزب ص ٢٧٧
باب الفتوح ص ١٣٥ ، ٢٩٣
باب الفرج ص ٢٨
باب القرافة ص ١٩١ ، ١٩٢
باب قصر يشتك ص ٢٠٥
باب القلعة ص ٢٤ ، ١٧٣
باب المزينين ص ١٥٤
باب المقدس ص ٢٥
باب النصر ص ٦١ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٥٥
١٦٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
باب الوزير ص ٣٠٠
برج برغوث ص ٥٤
برج الزاوية ص ٢٤
بركة الحبش ص ٣١٢
بركة الحاج ص ١٢١ ، ١٤٠ ، ٢٢١

(ت)

تحت الربع ص ٢٨
تل حمدون ص ٨٥
تنيس ص ١٥٢ ، ١٥٣
توريز ص ١٩٠
تونة ص ١٥٢

التبانه ص ٣٠٠
تربة الصوفية ص ٢٩٣
تربة البندقداري ص ٥٥
ترعة الاسماعيلية ص ٦٤
تروجة ص ١١٧

(ث)

ثغر الاسكندرية ص ١٨٠ ، ٣١١

(ج)

جامع الملك الكامل ص ٢٠٦
جامع كريم الدين ص ١٠٥ ، ١١٠
جامع الناصر محمد ص ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ٢١٧
جامع المارداني ص ١٣٨ ، ٢١٢ ، ٢١٧
جامع المسيحية ص ١٩١
جامع الست مسكة ص ٢٢٥
جامع الأنوار ص ٢٥
جامع النور ص ٢٣٣
جاردن سيتي ص ١٢٥ ، ٢٢٢
جبانة أبي سبحة ص ٣١٠
جبانة التونسي ص ١١٥
جبانة سيدي علي أبي الوفاء ص ١٦٠
جبانة الامام الليث ص ١٦٠
جبانة المالك ص ١٤
جبل المقطم ص ٤٠ ، ٤١ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦١
جزيرة الروضة ص ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٩٥ ،
٣١٩ ، ٣٠٠
جزيرة أروى ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ٢٩٨ ، ٣١٩
جزيرة الزمالك ص ١١٠ ، ٣١٩
جزيرة السباق ص ٣١٩
جزيرة العبيط ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
جزيرة الفيل ص ٦٣ ، ٦٤ ، ١٩٥ ، ٢٩٨
جزيرة مصر ص ٣٠٦
جزيرة المعرض ص ٣١٩
الجعافرة ص ٤٠
الجمالية ص ١٥ ، ١١٧ ، ٣١٨
جنان الزهري ص ٢٣٠
جنينة لاط ص ٢٢٢

جامع أبي العباس المرسى ص ٩٤
جامع أبي صالح الحديد ص ٢٢٥
جامع أحمد بن طولون ص ١٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٦٥ ،
٢٦٦ ، ٢٦٨
جامع الماس الحاجب ص ١٧٣ ، ١٧٤
جامع أرغون الاسماعيلي ص ٢٣١
جامع آق سنقر ص ٢٣٣ ، ٢٣٨
جامع اقوش ص ٢٠٢
جامع الجاولي ص ١٤٤ ، ٢٣٠
الجامع الجديد ص ١٩٧
جامع الحاكم ص ١٣ ، ١٦٥
جامع الخطبة ص ١٣٢
جامع الدريني ص ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤
جامع الرفاعي ص ٣١١
الجامع الأزرق ص ٢٣٦
جامع الأزهر ص ٢٥ ، ١٥٤
الجامع الاسماعيلي ص ٢٢٧ ، ٢٣٠
جامع بشتاك ص ٢٠٤ ، ٢٠٦
جامع بنت الملك الظاهر ص ٣١٨
جامع الظاهر بيبرس ص ٣٧ ، ٤٣ ، ٢٨٣
جامع شيخون ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠
جامع الطباخ ص ١٩٩ ، ٢٠٢
جامع العافية ص ٢٥
جامع العطارين ص ١٠٠
جامع عمر مكرم ص ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
جامع عمرو ص ٩٧
جامع فاضل باشا ص ٢٠٤ ، ٢٠٧
جامع الفخر قايتباي ص ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٩
جامع القرافي ص ١٩١
جامع قوصون ص ١٨٧ ، ١٩٠

(ح)

حارة اليانسية ص ٢٠٩
حارة الأربعين ص ٢٦٧
الحبانية ص ٢٣٤
الحسنية ص ٢٥ ، ٢٩٣
حدرة البقرة ص ١٧٣ ، ١٩٠

حارة الوزيرية ص ٧٥ ، ٨١
حارة الهلالية ص ٨٩
حارة المصامرة ص ١٨٨
حارة بيت القاضي ص ٢٠٦
حارة السودان ص ٢٠٩

٣١٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢١٣ ، ١٦٥

حمص ص ٥٤ ، ٦٢
حمام بشتاك ص ٢٠٦
حوش ابراهيم شركس ص ٢٣٠
حوش الغنم ص ١٢٣ ، ١٢٤
حوض ابن هنس ص ١٧٣
حي الحنفى ص ٢٢٠ ، ٢٢٥
حي الصاغة ص ٢٠٠
حي الناصرية ص ٢٣٠
حي باب الشعرية ص ٢٩٣
حي بركة الفيل ص ٥٥
حي جنينة ياميش ص ٢٢٢
حي طالون ص ٢٠٧

حديقة الشلالات ص ٩٧

حديقة مورو ص ٣١٩

حران ص ٥٣

حصن الأكراد ص ٥٤

حصن بابليون ص ٣٠٥

حكر الست حدق ص ٢٢٢

حكر العلاني ص ٣١٨

حلب ص ١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٥ ، ٥٢

١٧٣ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ٦١ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٢٢٧ ، ٢١٣

حلباء ص ٥٤

حماة ص ١٨ ، ١٩ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

(خ)

خانقاه الناصر محمد ص ١٤

خان أرسلان ص ١٤٣

الحزقانيه ص ٣١٢

خط باب الزهومة ص ١٢٦

خط البندقاريين ص ٧٦

خط بولاق ص ١٦٣

خط بئر الوطاويط ص ٢٦٦

خط الحنفى ص ٢٢٥

خط الزربية ص ١١٠

خط زربية قوصون ص ١١٠

خط الزمالك ص ٣١٩

خط المسطاح ص ٨١

خط الشرابيشيين ص ١٢٦

خط الصليبية ص ٢٥٦

خط قبو الكرمانى ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣٤

خط قصر الدوبارة ص ١١٠

خط القصر العالى ص ١١١

خط القلعة ص ٣١٠ ، ٣١١

خط الكباش ص ١٢٦

الخليج ص ٢٥ ، ١٢٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٣٤

الخليل ص ٢٣

خندق القلعة ص ٣١٠

خانقاه أرسلان ص ١٤٣

خانقاه اينال ص ١٥

الخانقاه البرقوقية ص ١٤ ، ١٥ ، ٢٩٧

الخانقاه البندقارية ص ١٢ ، ١٤ ، ٥٢ ، ٥٥

الخانقاه البيسرية ص ١٢

خانقاه بشتاك ص ٢٠٧

خانقاه ببيرس الجاشنكير ص ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦٦

الخانقاه الجاولية ص ١٢

الخانقاه الجمالية ص ١٧٩

خانقاه الجبيغا المظفرى ص ١٢

خانقاه خوند طوغاي ص ١٥ ، ٢٣٩

خانقاه السلمى ص ١١

خانقاه سرياقوسى ص ١٢

خانقاه سعيد العداء ص ١٢ ، ١٤

خانقاه سلار وسنجر الجاولى ص ١٤٠

خانقاه الشرابيشية ص ١٢

الخانقاه الشيخونية ص ١٣ ، ١٤ ، ٢٥٦

خانقاه القشيري ص ١٢

خانقاه قوصون ص ١٩١

الخانقاه الأقبغاوية ص ١٣

الخانقاه المهازرية ص ١٨٣

(د)

دار الطنبغا الماردانى ص ٢٧٧

دار العدل ص ٢٤٥

دار الفيلة ص ٥٦

دار قطوان الساقى ص ٢٠٦

دار الوزارة ص ١٢

دار يلغا اليحياوى ص ٢٧٧

درب البزابيز ص ٢٦٧

درب راشد ص ١٨٠

دار آقوش ص ١٨٨

دار البيسرية ص ٢٠٥

دار الحديث الكاملية ص ١٥٤

دار راشد باشا حسنى ص ٢٦٦

دار سعيد السعداء ص ١٢

دار غتمش ص ٢٦٦

دار الضيافة ص ٣١٠

دار الطعم ص ١٢٦

٦١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ،
 ٢٠٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ،
 دمياط ص ١٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 دميرة ص ١٥٢ ،
 دهمرو ص ١٢ ،
 الدهيتة ص ١٢٦ ، ٢٢٨ ،
 ديرين ص ١٠٢ ،
 دور الحريم ص ١٣٢ ،
 دويرة الصوفية ص ١٢

درب سيف الدولة نادر ص ١٨٠ ،
 درب الاغوات ص ١٩٠ ،
 درب ترمز ص ٢٠٦ ، ٣١٨ ،
 درب القصر بالجمالية ص ١٢ ،
 درب القرودي ص ٢٣١ ،
 درب المارستان ص ٣١١ ،
 الدلتا ص ١٠٠ ،
 دالاص ص ٩١ ، ٩٢ ،
 دمشق ص ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٥٣ ،

(ر)

الرملة ص ٦١ ، ٦٣ ، ١٩٦ ،
 الرملة ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
 روض الفرج ص ٢٩٨ ،
 الري ص ١١ ،
 الريدانية ص ٦٥

رأس البر ص ٣١٩ ،
 رباط المشتى ص ٣٠٥ ،
 ربع الأمير طنجي ص ٢١٤ ،
 رحبة باب السعيد ص ١٢ ،
 رشيد ص ١٠٠

(ز)

زاوية الشيخ خضر ص ٢٥ ،
 زاوية الكازروني ص ٣٠٥

زاوية الشيخ أبي السعود ص ٧٦ ، ٨١ ،
 زاوية الأبار ص ٥٢ ، ٥٥ ،
 الزمالك ص ١١٠

(س)

شارع باب الوزير ص ٢٣٣ ، ٢٣٥ ،
 شارع البنهاوي ص ٢٩٤ ،
 شارع بئر الوطاويد ص ٢٦٧ ،
 شارع بورسعيد ص ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ،
 شارع بين القصرين ص ١٢٢ ، ٢٠٦ ،
 شارع التبانة ص ٢١٤ ،
 شارع الجامع الاسماعيلي ص ٢٣١ ،
 شارع الحامية ص ٢١٣ ،
 شارع الخنصيري ص ٢٠٧ ، ٢٦٤ ،
 شارع درب الجمايز ص ٢٠٧ ،
 شارع الدواوين ص ٢٣١ ،
 شارع الأربعين ص ١١٠ ،
 شارع السروجية ص ١٨٩ ،
 شارع سوق السلاح ص ٢٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،
 شارع السيوفية ص ٥٢ ،
 شارع الشسراني ص ٢٩٤ ،
 شارع شيخون ص ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،
 شارع الحنفايري ص ١٩٩ ، ٢٠٢ ،
 شارع الصليبية ص ٥٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
 شارع عماد الدين ص ٢٣١ ،
 شارع قاييتباي ص ٣٠٩ ،
 شارع القصاصيين ص ٢٩٣ ،
 شارع القلعة ص ١٧٥ ،
 شارع القاهرة ص ٢٠٦ ،
 شارع القصر العيني ص ١٢٥

ساحل البحر الأحمر ص ٢٦٣ ،
 الساجور ص ٥٤ ،
 سامراء ص ١٥ ،
 سبيل الأميرة الفت هانم ص ٢٠٨ ،
 سبيل الناصر محمد ص ٣٠ ،
 سبيل وكتاب خسرو باشا ص ٣٠ ،
 سجن الاسكندرية ص ٢٤٤ ، ٢٩٧ ،
 سراي الخديوي اسماعيل ص ٢٩٨ ،
 سراي الاسماعيلية ص ١٠٩ ،
 سراي مصطفى باشا ص ٢٠٧ ،
 سراي المعارض ص ٣١٩ ،
 سرياقوس ص ١٤ ، ١٤٥ ، ٢٩٦ ،
 الاسكندرية ص ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٤١ ، ١٥٣ ،
 ١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٤٤ ، ٢٩٥ ،
 سكة الحجر ص ٣١١ ،
 سوق الخيل ص ٢٩٨ ،
 سوق السلاح ص ١١٩ ،
 سوق المحمل ص ٦٤ ،
 سوق النحاسين ص ٢٨ ،
 سويقة السباعين ص ٢٢٢ ، ٢٣٤ ،
 سويقة العزى ص ٢٠٨ ،
 سويقة المعزى ص ٣١٢ ،
 سويقة منعم ص ٢٤٦ ، ٢٥٦ ،
 سيس ص ٨٥

٢٠٤ ، ١٥٥ ، ١١٨ ، ١١٧

شبرا ص ٢٩٨ ، ١٩٥

شط ص ١٥٢

ثلقان ص ٣١٢

الشوبك ص ٨٣ ، ١٤١

شارع محمد على ص ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٧٩

شارع مراسينا ص ١٤٣ ، ١٤٤

شارع المعز لدين الله ص ٢٠٦

شارع نجم الدين ص ٢٩٣

شارع الوالدة باشا ص ١٢٥

الشام ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٨٣ ، ٩٧ ،

(ص)

صفد ص ١٦٤

صهيون ص ١٦٥

صور ص ٨٤

الصالحية ص ٢٤ ، ٤٠

الصليبية ص ٥٥

صحراء القبجاق ص ٤٦

صعيد مصر ص ١١٢

(ض)

ضريح سلار وسنجر الجاولى ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩

ضريح سنقر السعدى ص ٣١

ضريح العز بن عبد السلام ص ١١٦

ضريح سيدى عمرو ويحيى ص ٩٧

ضريح فاطمة خاتون ص ٤٤ ، ٨٦

ضريح الست مسكة ص ٢٢٦

ضريح مصطفى باشا ص ٣٨ ، ٤٢

ضريح ورباط الشيخ يوسف العجمى العدوى ص ٣٨

ضريح ابن عطاء الله السكندرى ص ١١٦ ، ١٥٦ ، ١٦١

ضريح ابن هشام النحوى ص ٢٨٨

ضريح سيدى أبى الدرداء ص ٩٧

ضريح أحمد بن سليمان الرفاعى ص ٨٩

ضريح القاضي تقي الدين بن دقيق العيد ص ١١٢

ضريح السادات الثعالبة ص ٢١٥

ضريح الأشرف خليل ص ٨٢ ، ٨٦

ضريح الشيخ الشرف الدمياطى ص ١٥٢

(ط)

طول كرم ص ١٤٣

طلخا ص ١٠٢

طريق الأهرام ص ١٧

طوس ص ١١

طبرستان ص ١١
طرابلس ص ٦٠ ، ٦٤ ، ١٢١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
٢٩٨ ، ٢٤٤
الطرائة ص ٨٥

(ع)

عزبة الخمايسة ص ٦٣

العسكر ص ٢٣٠

عطفة حمام بشتاك ص ٢٠٨

عطفة المحكمة ص ١٨٩

عكا ص ٦١ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢١ ،

١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨

عين جالوت ص ٢٣ ، ٦١

عين شمس ص ٢٩٤

عابدين ص ١٩٩

العباسية ص ٢٢ ، ٧٤ ، ٢٩٧

العباسية ص ٢٩٣

العراية المدفونة ص ٩٢

عزقة ص ٥٤

العراق ص ١٢ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٩ ، ١٥٤ ،

٢٥٧ ، ١٥٥

العريش ص ١٠٦

(غ)

غزة ص ١٧ ، ٢٢ ، ١٠٦ ، ١٤٣ ، ٢٣٤

(ف)

الفسطاط ص ١٧ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١٥٢ ، ٢٣٠ ،

٢٩٤ ، ٣٠٦

فلسطين ص ١٤٣

غم الخليج الناصرى ص ١٩٧

فاس ص ٩٩

فارسكر ص ٢٠

فاقوس ص ٤٠

الفاقوسية ص ٤٠

(ق)

قصر الشوق ص ١٨١
القصر الغربى ص ٢٠٥ ، ٢٠٦
قصر النيل ص ١٣٣ ، ٦٣
القصر ص ٤٠
القطائع ص ٢٠٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٦ ، ٢٦٥
القلعة ص ٦٥ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ،
٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٣
قلعة الجبل ص ٢٤ ، ٤٥ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٦ ،
١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٦٥ ،
١٧٩ ، ١٩٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٣ ،
٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠
قلعة جزيرة الروضة ص ٢٥ ، ٣٠٦
قلعة حلب ص ٦٧
قلعة سيكوفسكى ص ٣٣
القلعة الصالحية
قلعة صهيون ص ٧٥
قلعة القاهرة ص ١١٩
قلعة الكباش ص ١٤٣
قلعة كركر ص ٦٧
قلعة المقياس ص ٣٠٦
قليوب ص ٣١٢
قناطر السباع ص ١٢٣ ، ١٢٥ ، ٢١٠ ، ٢٣١
قنطرة آق سنقر ص ٢٢٥ ، ٣٣٤
قنطرة باب البحر ص ٦٣
قنطرة المجنونة ص ٢١٠
قنطرة الخرق ص ١٩٩
قنطرة القمز ص ١٩٧
قهسا ص ٢٨٠
قوص ص ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٥٨ ، ٢٤٥
قيسارية أمير على ص ١٢٦
قيسارية الشراب ص ١٢

قاعة البغادة ص ١٤٤
قاعة الخيم ص ١٥٤
قنافون ص ١٤٣
القاهرة ص ١٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٤٧ ،
٥٤ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
١٥٥ ، ٣١٩
قبرص ص ٤٠ ، ٨٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨
قبة تنكر ص ٢٣٨
القبة الخضراء ص ١٣٣ ، ١٣٨
قبة الامام الشافعى ص ٣٢ ، ٤٠ ، ١٣٨ ، ٢٢٦ ،
٢٨٢
قبة الصخرة ص ٢٥
قبة علاء الدين كجك ص ٢٣٥
قبة قلاوون ص ٢٨ ، ٣١ ، ٢٨٣
قبة المدرسة الناصرية ص ٢٤٠
قبة النصر ص ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢
قبة الصالح نجم الدين ص ٢٣٥
قبة الامير يونس ص ٢٩٧
القدس ص ٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٩٧
القراغة الصغرى ص ٨١
قراغة الامام الشافعى ص ٣٨
القراغة الكبرى ص ١١٢
قراغة الممالك ص ١٥
قرية الطرانة ص ٣٩٨
قرية كفر قايتباى ص ١٩٥ ، ١٩٨
القصر الابلق ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ،
٢٧٤
قصر بشتاك ص ٢٠٦
القصر الشرقى ص ٢٠٥ ، ٢٠٦
قصر بيسرى ص ٢٠٦
قصر الدوبارة ص ١١١

(ك)

الكعبة ص ٦٤ ، ١١٢
كنيسة القيامة ص ١٩٧
كيفا ص ١٩ ، ٢٠

الكباش ص ٢٥ ، ٣١٠
الكرك ص ٧٥ ، ٨٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٨٨ ،
١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٥

(م)

مدرسة الجاسم اليوسفى ص ٣١٠ ، ٣١٤
مدرسة وقبة حسام الدين طرنتاى ص ٧٥
مدرسة السلطان حسن ص ١٩٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ،
٢٨٣ ، ٢٨٤
مدرسة وشريح زين الدين يوسف ص ٣٠
مدرسة سابق الدين مثقال ص ٣١٨
مدرسة شارنجدة ص ٣٠
مدرسة صرغتمش ص ٢٦٤ ، ٢٧٢
مدرسة المنصور قلاوون ص ٦٩

مجموعة القصور قلاوون ص ١٢٧ ، ١٢٨
محافظة البحيرة ص ٢١
محافظة الجيزة ص ٣١ ، ١٢٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩٨
محافظة الشرقية ص ٢١ ، ٢٠٤
محافظة الغربية ص ٢١
محافظة المنوفية ص ٢١
محطة كوبرى الليمون ص ٦٣
مدرسة برقوق ص ١٢٧
مدرسة وخانقاه بيبرس الجاشنكير ص ١٦٢

المدرسة الباسطية ص ٢٩٤
 المدرسة الجادلية ص ١٤٤
 المدرسة السلفية ص ١٥٣
 المدرسة الاشرفية ص ٤٧
 المدرسة الصالحية النجمية ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٦ ،
 ١١٣ ، ١١٥ ، ١٤٧
 المدرسة الصلاحية ص ١١٣
 المدرسة الضرغتمشية ص ٢٧٦
 المدرسة القاهرية ص ٢٨ ، ٣٠
 المدرسة الفارقية ص ٥٥
 المدرسة الناضلية ص ١١٣ ، ١١٥
 المدرسة الكاملية ص ٣١ ، ١١٧ ، ٢٠٥
 المدرسة المنصورية ص ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ٢٠٠
 المدرسة الناصرية ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ،
 ١٤٧
 الدائن ص ٢٧٧
 المدينة المنورة ص ٢٥
 مذهب الانجليز ص ٣٣
 مرعش ص ٨٥
 المرقب ص ٢٥
 الرئيس ص ٢٢٢
 مسجد الامام البوصري ص ٩١
 مسجد اصلم البهائي ص ٢٤٣
 مسجد ام السلطان شعبان ص ٢٣٨ ، ٢٩٥
 مسجد القبر ص ٢٥
 مسجد التبن ص ٦٥
 مسجد سيدى جابر ص ٩٧
 مسجد الجيوشى ص ٤٣
 المسجد الحسينى ص ١١٣ ، ١٢١
 مسجد الخضر ص ٩٧
 مسجد الرحمة ص ٩٧
 مسجد ذى القرنين ص ٩٧
 مسجد سليمان عليه السلام ص ٩٧
 مسجد القلعة ص ١٢٣

(ن)

نشا ص ١٠٢
 نيسابور ص ١١
 نيلو بوليس ص ٩١

(هـ)

(و)

الوراق ص ٢٩٨
 ورشة الكوخ ص ٧٤
 وكالة توصون ص ١٤٤

(ي)

ينبع ص ٩٣ ، ١١٢

نابلس ص ٢٣ ، ٦١
 نبروه ص ١٠٢
 نجع حمادى ص ٤٠

هوزان ص ١٥٢

وادى الحمامات ص ١٢٩
 الواسطى ص ٩٣
 الوجه القبلى ص ١٣٢

اليمن ص ١٤١

فهرس اللوحات

- لوحة ١ — تبين مختلف الشارات (الرنوك) المملوكية
- لوحة ٢ — مدرسة الظاهر بيبرس بالنحاسين (Slide)
- لوحة ٣ — شارع النحاسين (Slide)
- لوحة ٤ — جامع الظاهر بيبرس بالظاهر
- لوحة ٥ — حنية بالواجهة الرئيسية لجامع الظاهر بيبرس في الواجهة الغربية
- لوحة ٦ — المدخل التذكاري الذي يتقدم الواجهة الرئيسية
- لوحة ٧ — تفصيل المدخل التذكاري في الضلع الغربي
- لوحة ٨ — المدخل التذكاري في الضلع الشمالي
- لوحة ٩ — قبو المدخل الرئيسي لجامع الظاهر بيبرس
- لوحة ١٠ — القبة التي تتقدم المحراب (Slide)
- لوحة ١١ — الزخارف الجصية النباتية والكتابية التي تملأ نوافذ جامع الظاهر بيبرس (Slide)
- لوحة ١٢ — الزخارف النباتية والكتابية التي تملأ نوافذ جامع الظاهر بيبرس (Slide)
- لوحة ١٣ — باب قصر السلطان بيبرس من القرن الثالث عشر (Priss d'avenne)
- لوحة ١٤ — ضريح مصطفى باشا
- لوحة ١٥ — ضريح فاطمة خاتون
- لوحة ١٦ — داخل قبة فاطمة خاتون
- لوحة ١٧ — ضريح فاطمة خاتون
- لوحة ١٨ — رقبة قبة فاطمة خاتون
- لوحة ١٩ — واجهة خانقاه البندقدارية المطللة على الشارع . وقد ظهر شريط الكتابة الذي يعلو الجدار يتخلله (رنك) شاه البندقدار .
- لوحة ٢٠ — خانقاه البندقدارية
- لوحة ٢١ — خانقاه البندقدارية
- لوحة ٢٢ — الواجهة الشرقية لايوان القبلة لمدرسة المنصور قلاوون
- لوحة ٢٣ — الواجهة الشرقية والشمالية لمدرسة قلاوون
- لوحة ٢٤ — المدخل الرئيسي لمجموعة قلاوون
- لوحة ٢٥ — سقف الدهليز الذي يفصل بين مدرسة وقبة قلاوون
- لوحة ٢٦ — واجهة ايوان القبلة المطل على صحن المدرسة
- لوحة ٢٧ — ايوان القبلة واحدى البوائك التي تمتد عمودية على حائط القبلة بمدرسة قلاوون
- لوحة ٢٨ — زخارف البائكة الوسطى لايوان القبلة بمدرسة قلاوون

- لوحة ٢٩ — الواجهة الشرقية لقبة قلاوون يعلوها المنذنة والقبة
- لوحة ٣٠ — مدخل قبة قلاوون من الجهة الغربية
- لوحة ٣١ — مقبرة المنصور قلاوون داخل قنته
- لوحة ٣٢ — المقصورة الخشبية التي تحيط بمقبرة قلاوون داخل القبة
- لوحة ٣٣ — سقف الركن الجنوبي الشرقي لقبة قلاوون
- لوحة ٣٤ — سقف الركن الجنوبي الغربي لقبة قلاوون وقد ظهرت به الحقائق
- لوحة ٣٥ — الجانب الجنوبي للقبة من الداخل ونرى فيه الزخارف المتعددة التي تغشاه
- لوحة ٣٦ — تفاصيل زخارف الضلع الجنوبي لقبة قلاوون
- لوحة ٣٧ — عقود المثلث الذي يحيط بمقبرة قلاوون الذي يتوسط القبة
- لوحة ٣٨ — وزرة رخامية تكسو جدار قبة قلاوون بها كتابات كوفية مربعة مكونة من كلمة « محمد » مكررة أربع مرات
- لوحة ٣٩ — قبة قلاوون من الخارج
- لوحة ٤٠ — المدخل الرئيسى لمجموعة قلاوون
- لوحة ٤١ — قبة قلاوون
- لوحة ٤٢ — منذنة المنصور قلاوون
- لوحة ٤٣ — قبة الأمير حسام الدين طرنتاي من الخارج
- لوحة ٤٤ — قبة الأمير حسام الدين طرنتاي من الداخل
- لوحة ٤٥ — ضريح الأشرف خليل بن قلاوون
- لوحة ٤٦ — قبة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون
- لوحة ٤٧ — النقوش التي تزخرق رقبة قبة ضريح الأشرف خليل
- لوحة ٤٨ — قبة الأشرف خليل
- لوحة ٤٩ — ضريح أحمد بن سليمان الرفاعى
- لوحة ٥٠ — زخارف محراب ضريح أحمد بن سليمان الرفاعى
- لوحة ٥١ — ضريح أحمد بن سليمان الرفاعى
- لوحة ٥٢ — ضريح أحمد بن سليمان الرفاعى
- لوحة ٥٣ — واجهة مسجد الأباصيرى بالاسكندرية
- لوحة ٥٤ — مقصورة الأباصيرى
- لوحة ٥٥ — الواجهة الرئيسية لمسجد سيدى جابر
- لوحة ٥٦ — مسجد سيدى جابر من الداخل
- لوحة ٥٧ — المقصورة المعدنية لسيدى جابر
- لوحة ٥٨ — جامع الدربنى بالقصر العينى
- لوحة ٥٩ — منذنة جامع الدربنى
- لوحة ٦٠ — جامع عمر مكرم بميدان التحرير
- لوحة ٦١ — منذنة جامع عمر مكرم
- لوحة ٦٢ — ضريح ابن دقيق العيد بالقرافة الكبرى بجبل المقطم
- لوحة ٦٣ — الواجهة الرئيسية لمدرسة الناصر محمد بن قلاوون
- لوحة ٦٤ — صحن مدرسة وضريح الناصر محمد بن قلاوون
- لوحة ٦٥ — زخارف جصية تغشى واجهة القبلة بمدرسة الناصر محمد

- لوحة ٦٦ — محراب المدرسة الناصرية
- لوحة ٦٧ — مئذنة مدرسة الناصر محمد
- لوحة ٦٨ — الزخارف الجصية التي تحيط بنافذة الايوان الشمالى الغربى بالمدرسة الناصرية
- لوحة ٦٩ — المدخل الرئيسى للمدرسة الناصرية
- لوحة ٧٠ — رقبة قبة الناصر محمد
- لوحة ٧١ — جامع الناصر محمد بالقلعة
- لوحة ٧٢ — المدخل الرئيسى لجامع الناصر محمد
- لوحة ٧٣ — صحن جامع الناصر محمد
- لوحة ٧٤ — داخل جامع الناصر محمد
- لوحة ٧٥ — واجهة ايوان القبلة
- لوحة ٧٦ — واجهة الايوان الغربى
- لوحة ٧٧ — سقف الاروقة
- لوحة ٧٨ — محراب جامع الناصر محمد
- لوحة ٧٩ — محراب ثانوى بجامع الناصر محمد
- لوحة ٨٠ — مقرنصات القبة التي تتقدم محراب الجامع وقد ظهر تحتها شريط من الكتابة عليه اسم السلطان الناصر محمد
- لوحة ٨١ — الشبابيك الجصية بجامع الناصر محمد من الداخل
- لوحة ٨٢ — شرفة مئذنة جامع الناصر محمد
- لوحة ٨٣ — تفصيل شرفة جامع الناصر محمد
- لوحة ٨٤ — تاج عمود بايوان القبلة
- لوحة ٨٥ — شرافة تعلو أحد أركان جامع الناصر محمد
- لوحة ٨٦ — جدار القبلة من الخارج
- لوحة ٨٧ — المئذنة تعلو المدخل الرئيسى
- لوحة ٨٨ — أحد مئذنتى جامع الناصر محمد
- لوحة ٨٩ — المئذنة الثانية بجامع الناصر محمد
- لوحة ٩٠ — اوانى معدنية مكفنة بالفضة والذهب عليها اسم « السلطان الناصر محمد بن قلاوون »
- لوحة ٩١ — منظر عام لمدرسة وضريح سلار وسنجر الجاولى
- لوحة ٩٢ — الواجهة الشمالية الشرقية لمدرسة سلار وسنجر الجاولى
- لوحة ٩٣ — الجانب الجنوبى الغربى للمدرسة
- لوحة ٩٤ — الواجهة القبالية للمدرسة
- لوحة ٩٥ — المدخل الثانى لمدرسة سلار وسنجر المطل على حارة (قلعة الكبش)
- لوحة ٩٦ — مدخل ضريح سلار وقد نقش عليه النص التذكارى
- لوحة ٩٧ — عتب المدخل الرئيسى ويعلوه لوحة تذكارية تبين تاريخ البناء سنة ٧٠٣ هـ
- لوحة ٩٨ — الايوان الشرقى للخانقاه
- لوحة ٩٩ — الايوان القبلى للخانقاه

- لوحة ١٠٠ — الايوان الغربى للخانقاه
- لوحة ١٠١ — قبنا سلار وسنجر الجاولى
- لوحة ١٠٢ — داخل قبة ضريح الجاولى
- لوحة ١٠٣ — محراب ضريح الجاولى
- لوحة ١٠٤ — محراب قبة سلار
- لوحة ١٠٥ — الممر الذى يتقدم قبة سنجر الجاولى وهو مغطى بقباب متقاطعة
- لوحة ١٠٦ — تفاصيل المقاصير الحجرية المخرمة
- لوحة ١٠٧ — تفاصيل المقاصير الحجرية التى تغطى العقود والفتحات
- لوحة ١٠٨ — زخارف حجرية المخرومة تملأ النوافذ
- لوحة ١٠٩ — مشكاة الامير سيف الدين سلار
- لوحة ١١٠ — الناقده التى تتوسط ضريح سلار من الخارج
- لوحة ١١١ — تابوت خشبى خاص بسلار
- لوحة ١١٢ — منظر خارجى لقبنا سلار وسنجر الجاولى
- لوحة ١١٣ — منظر مئذنة مدرسة سلار وسنجر الجاولى
- لوحة ١١٤ — ضريح أحمد بن عطاء الله السكندرى
- لوحة ١١٥ — (١) جامع أحمد بن عطاء الله السكندرى
- لوحة ١١٦ — تابوت ابن عطاء الله
- لوحة ١١٧ — جزء من الواجهة الرئيسية لخانقاه بيبرس الجاشنكير
- لوحة ١١٨ — المدخل الرئيسى للخانقاه
- لوحة ١١٩ — شريط الكتابة على الواجهة
- لوحة ١٢٠ — باب الخانقاه الخشبى المصنوع والمزخرف بالطبق النجمى المكنت بالفضة والذهب
- لوحة ١٢١ — عقد الباب الرئيسى الذى تعلوه المئذنة
- لوحة ١٢٢ — المئذنة تعلو الواجهة الرئيسية
- لوحة ١٢٣ — مئذنة وقبة خانقاه بيبرس الجاشنكير
- لوحة ١٢٤ — واجهة خانقاه بيبرس الجاشنكير الغربية
- لوحة ١٢٥ — مقصورة خشبية تتقدم باب ضريح بيبرس الجاشنكير
- لوحة ١٢٦ — محراب قبة بيبرس جاشنكير الملحقة بالخانقاه
- لوحة ١٢٧ — قبة جاشنكير من الداخل
- لوحة ١٢٨ — ارض قبة بيبرس جاشنكير المكسى بالرخام الملون
- لوحة ١٢٩ — الايوان الغربى للخانقاه
- لوحة ١٣٠ — صحن الخانقاه وقد ظهر به ابواب الخلاوى
- لوحة ١٣١ — المدخل الرئيسى للخانقاه
- لوحة ١٣٢ — مئذنة الخانقاه
- لوحة ١٣٣ — تفصيل للمئذنة
- لوحة ١٣٤ — الواجهة الرئيسية لجامع الامير الماس الحاجب
- لوحة ١٣٥ — المدخل الرئيسى يتوسط الواجهة
- لوحة ١٣٦ — تفاصيل المدخل الرئيسى

- لوحة ١٣٧ — تفاصيل الواجهة الرئيسية
- لوحة ١٣٨ — واجهة المسجد يتوسطها الباب المصفح تتقدمه المقصورة الخشبية
- لوحة ١٣٩ — باب المسجد الخشبي المصفح
- لوحة ١٤٠ — صحن المسجد
- لوحة ١٤١ — واجهة ايوان القبلة يتوسطه دكة المبلغ
- لوحة ١٤٢ — محراب المسجد
- لوحة ١٤٣ — عقود الواجهة الغربية لصحن المسجد
- لوحة ١٤٤ — حشوات خشبية مجمعة بمسجد الماس
- لوحة ١٤٥ — تاج عمود بمسجد الماس
- لوحة ١٤٦ — قبة الامير الماس
- لوحة ١٤٧ — مئذنة جامع الماس
- لوحة ١٤٨ — مئذنة وقبة الماس
- لوحة ١٤٩ — واجهة مدرسة جمال الدين الاستادار بالجمالية
- لوحة ١٥٠ — الركن الجنوبي الغربى لواجهة مدرسة جمال الدين
- لوحة ١٥١ — صحن المسجد تحيط به الايوانات
- لوحة ١٥٢ — تفاصيل المدخل الرئيسى للمدرسة
- لوحة ١٥٣ — حائط ايوان القبلة
- لوحة ١٥٤ — مدرسة وخانقاه احمد المهندار
- لوحة ١٥٥ — الواجهة الرئيسية للمدرسة والخانقاه
- لوحة ١٥٦ — مئذنة المهندار
- لوحة ١٥٧ — قبة المهندار
- لوحة ١٥٨ — جامع قوصون بشارع محمد على
- لوحة ١٥٩ — واجهة جامع قوصون
- لوحة ١٦٠ — المدخل الرئيسى لجامع قوصون
- لوحة ١٦١ — المدخل القديم لجامع قوصون
- لوحة ١٦٢ — داخل الجامع
- لوحة ١٦٣ — الزخارف الجصية بالداخل
- لوحة ١٦٤ — الزخارف النباتية التى تحيط بالنوافذ
- لوحة ١٦٥ — الزخارف الكتابية التى تحيط بالنوافذ
- لوحة ١٦٦ — البوابة لجامع قوصون
- لوحة ١٦٧ — واجهة جامع الفخر (قايتباى) بمنيل الروضة
- لوحة ١٦٨ — مئذنة جامع الفخر
- لوحة ١٦٩ — جامع الطباخ بعابدين
- لوحة ١٧٠ — مئذنة جامع الطباخ
- لوحة ١٧١ — واجهة مسجد بشتاك الرئيسية (فاضل باشا حاليا)
- لوحة ١٧٢ — تفصيل الواجهة الرئيسية
- لوحة ١٧٣ — المدخل الرئيسى لمسجد بشتاك
- لوحة ١٧٤ — داخل مسجد بشتاك

- لوحة ١٧٥ — لوحة الباب الموصل الى ضريح فاضل باشا واسرته التي
الحقت بمسجد بشتاك
- لوحة ١٧٦ — ضريح فاضل باشا
- لوحة ١٧٧ — مقبرة فاضل باشا
- لوحة ١٧٨ — القبة التي تعلو ضريح فاضل باشا
- لوحة ١٧٩ — المدخل الرئيسى لجامع طنبنغا الماردانى
- لوحة ١٨٠ — تفاصيل المدخل الرئيسى
- لوحة ١٨١ — صحن الجامع
- لوحة ١٨٢ — رواق القبلة بالجامع
- لوحة ١٨٣ — محراب الجامع
- لوحة ١٨٤ — مئذنة الجامع
- لوحة ١٨٥ — الواجهة الرئيسية لمسجد الست مسكة
- لوحة ١٨٦ — المدخل الرئيسى للمسجد
- لوحة ١٨٧ — الواجهة الشمالية
- لوحة ١٨٨ — الزخارف التي تزين واجهة المسجد
- لوحة ١٨٩ — صحن مسجد الست مسكة
- لوحة ١٩٠ — محراب المسجد
- لوحة ١٩١ — تفاصيل زخارف المحراب
- لوحة ١٩٢ — المنبر الخشبي المجاور لمحراب المسجد
- لوحة ١٩٣ — حائط القبلة وقد ظهرت به نوافذ المعقودة
- لوحة ١٩٤ — الواجهة الرئيسية لجامع ارغون شاه الاسماعيلى
- لوحة ١٩٥ — صحن الجامع
- لوحة ١٩٦ — جزء منبر (ريشه) الجامع المصنوع بطريقة الحشوات
الجمعة
- لوحة ١٩٧ — مئذنة الجامع
- لوحة ١٩٨ — داخل جامع آق سنقر
- لوحة ١٩٩ — ايوان القبلة
- لوحة ٢٠٠ — قبلة المسجد ومنبره
- لوحة ٢٠١ — بلاطات القاشانى التي تكسو جدران ايوان القبلة
- لوحة ٢٠٢ — مئذنة جامع آق سنقر
- لوحة ٢٠٣ — خاتناه وقبة خوند طوغاى
- لوحة ٢٠٤ — مقبرة خوند طوغاى
- لوحة ٢٠٥ — قبة خوند طوغاى من الخارج
- لوحة ٢٠٦ — مقرنصات قبة خوند طوغاى
- لوحة ٢٠٧ — قبة خوند طوغاى من الداخل
- لوحة ٢٠٨ — الواجهة الرئيسية لجامع شيخو
- لوحة ٢٠٩ — المدخل الرئيسى لجامع شيخو
- لوحة ٢١٠ — النوافذ القنديرية بالواجهة الرئيسية
- لوحة ٢١١ — القبة التي تفتح بابها فى ردهة الجامع

- لوحة ٢١٢ — قبة شيخو داخل الجامع
 لوحة ٢١٣ — الميضاه التى تتوسط صحن الجامع
 لوحة ٢١٤ — عقود ونوافذ الرواق الشمالى
 لوحة ٢١٥ — محراب جامع شيخو
 لوحة ٢١٦ — بلاطات قاشانى تكسو اسفل المحراب
 لوحة ٢١٧ — الايوان الجنوبى للجامع
 لوحة ٢١٨ — ايوان القبلة
 لوحة ٢١٩ — دولاى حائطى مزخرف بطريقة الحشوات المجمع
 لوحة ٢٢٠ — باب المنبر الخشبى
 لوحة ٢٢١ — دكة المبلغ الحجرية
 لوحة ٢٢٢ — جزء من كرسى مصحف
 لوحة ٢٢٣ — مشكاة من الزجاج الموه بالمينا
 لوحة ٢٢٤ — مؤذنة جامع شيخو
 لوحة ٢٢٥ — المدخل الرئيسى لخانقاه شيخو
 لوحة ٢٢٦ — صحن خانقاه شيخو
 لوحة ٢٢٧ — الضلع الغربى للصحن وقد ظهرت به خلاوى الصوفية
 لوحة ٢٢٨ — القبة الخشبية التى تتقدم المحراب من الخارج
 لوحة ٢٢٩ — القبة الخشبية من الداخل
 لوحة ٢٣٠ — منبر الخانقاه الخشبى
 لوحة ٢٣١ — تفاصيل المنبر الخشبى
 لوحة ٢٣٢ — المصبغات الحديدية التى تملأ نوافذ واجهة جامع
 و خانقاه شيخو
 لوحة ٢٣٣ — مؤذنتى جامع و خانقاه شيخو
 لوحة ٢٣٤ — واجهة الخانقاه
 لوحة ٢٣٥ — مؤذنة الخانقاه
 لوحة ٢٣٦ — منظر عام لمدرسة صرغتمشن
 لوحة ٢٣٧ — المدخل الرئيسى للمدرسة
 لوحة ٢٣٨ — صحن المدرسة
 لوحة ٢٣٩ — الميضاه تتوسط صحن المدرسة
 لوحة ٢٤٠ — قبة مدرسة صرغتمشن
 لوحة ٢٤١ — واجهة مدرسة صرغتمشن
 لوحة ٢٤٢ — مؤذنة وقبة مدرسة صرغتمشن
 لوحة ٢٤٣ — الواجهة الرئيسية لمدرسة السلطان حسن
 لوحة ٢٤٤ — زخارف محفورة فى الحجر بمدرسة السلطان حسن
 لوحة ٢٤٥ — الواجهة الشمالية للمدرسة
 لوحة ٢٤٦ — المدخل الرئيسى للمدرسة
 لوحة ٢٤٧ — باب مدرسة السلطان حسن
 لوحة ٢٤٨ — دركاه مدرسة السلطان حسن
 لوحة ٢٤٩ — صحن مسجد السلطان حسن

- لوحة ٢٥٠ — الميضاه التي تتوسط مدرسة السلطان حسن
- لوحة ٢٥١ — ايوان القبلة بمدرسة السلطان حسن
- لوحة ٢٥٢ — أحد ابواب المدرسة التي تفصل بين ايوان القبلة والقبلة
- لوحة ٢٥٣ — القبلة الملاحقة بمدرسة السلطان حسن
- لوحة ٢٥٤ — ضريح ابن هشام الانصارى أمام باب النصر
- لوحة ٢٥٥ — ضريح ابن هشام الانصارى
- لوحة ٢٥٦ — مقبرة ابن هشام الانصارى
- لوحة ٢٥٧ — الواجهة الرئيسية لمدرسة أم السلطان شعبان
- لوحة ٢٥٨ — تفاصيل الواجهة الرئيسية
- لوحة ٢٥٩ — ايوان القبلة
- لوحة ٢٦٠ — المدخل الرئيسى للمدرسة
- لوحة ٢٦١ — محراب ومنبر المدرسة
- لوحة ٢٦٢ — قبة أم السلطان شعبان
- لوحة ٢٦٣ — الواجهة الرئيسية لمدرسة الجاى اليوسفى
- لوحة ٢٦٤ — صحن مدرسة الجاى اليوسفى
- لوحة ٢٦٥ — ايوان القبلة بالمدرسة
- لوحة ٢٦٦ — الايوان الغربى للمدرسة
- لوحة ٢٦٧ — الايوان الشمالى للمدرسة
- لوحة ٢٦٨ — قبة ومؤذنة المدرسة
- لوحة ٢٦٩ — قبة المدرسة
- لوحة ٢٧٠ — مؤذنة مدرسة الجاى اليوسفى
- لوحة ٢٧١ — مدرسة الامير مئقال
- لوحة ٢٧٢ — الواجهة الرئيسية لمدرسة مئقال
- لوحة ٢٧٣ — المدخل الرئيسى للمدرسة
- لوحة ٢٧٤ — مؤذنة مدرسة مئقال

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
٩	الخوانق فى العصر المملوكى
١٦	الرنوك الاسلامى
١٨	مدرسة الملك الظاهر بيبرس
٣٢	جامع الظاهر بيبرس
٣٨	ضريح الشيخ يوسف العجمى (مصطفى باشا)
٤٤	ضريح فاطمة خاتون
٥٢	الخاتناه البندقارية
٦٠	الملك المنصور قلاوون
٦٩	مدرسة المنصور قلاوون
٧١	قبة المنصور قلاوون
٨٢	ضريح الملك الأشرف خليل
٨٩	ضريح أحمد بن سليمان الرفاعى
٩١	مسجد الامام البوصرى بالاسكندرية
٩٦	مسجد سيدى جابر بالاسكندرية
١٠٠	جامع الدرينى
١٠٥	جامع عمر مكرم بميدان التحرير
١١٢	ضريح ابن دقيق العيد
١١٧	المدرسة الناصرية
١٣١	جامع الناصر محمد بالقلعة
١٤٠	مدرسة وخاتناه سلاروسنجر الجاولى
١٥٢	ضريح الشيخ الشرف الدمياطى
١٥٦	ضريح ابن عطاء الله السكندرى
١٦٢	مدرسة وخاتناه بيبرس الجاشنكير
١٧٤	جامع الماس الحاسب
١٨٠	الخاتناه والمدرسة الجمالية
١٨٥	الخاتناه المهندارية
١٨٩	جامع قوصون
١٩٧	جامع النحرى (قايتباى حاليا) بالمنيل
٢٠١	جامع الطبائخ بعبادين
٢٠٦	جامع بشتاك (فاضل باشا حاليا)
٢١٤	جامع الطنبغا الماردانى

الموضوع	الصفحة
مسجد الست مسكة	٢٢٢
الجامع الاسماعيلي بالناصرية	٢٢٩
جامع آق سنقر (جامع النور)	٢٣٥
خانقاه خوند طغاي	٢٤٢
جامع الأمير شيخون	٢٤٧
خانقاه الأمير شيخون	٢٥٩
مدرسة صرغتمشن	٢٦٧
مدرسة السلطان حسن	٢٧٦
ضريح ابن هشام النحوي الأنصاري	٢٩١
مدرسة أم السلطان شعبان	٢٩٨
رباط المشتهى أو زاوية الكازروني	٣٠٨
مدرسة الجاي اليوسفي	٣١٣
مدرسة سابق الدين مثقال	٣٢١
فهرس الاشكال	٤٧١
فهرس الاعلام	٤٧٢
فهرس الاماكن والبقاع	٤٧٩
فهرس الاوحات	٤٨٦
فهرس الموضوعات	٤٩٤

رقم الايداع ١٩٧٦/٣٤٦٣
الترقيم الدولي ٣-٨٩-٢٤١-٩٧٧ ISBN

مطابع الانعام التجارية

